

أما إلى المرتضى

غرر القوائد ودرر القلائد

للشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

المجلد الأول

دار الفكر العربي

أما إلى المرتضى

غُرر الفوائد وَ دُرر القلائد

للشرف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي

٣٥٥ - ٤٣٦ هـ

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

كتابخانه
مرکز تحقیقات کلامی و فقهی علوم اسلامی

شماره ثبت: ٥٠٠٤٠٠

تاریخ ثبت:

القسم الأول

Shiabooks.net



ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت : ٢٧٥٢٩٨٤ ، فاكس : ٢٧٥٢٧٣٥

٨، ٨١٠

ش ر آ م

الشرىف المرئضى؁ على بن الحسين؁ ٣٥٥-٤٣٦هـ.
 آمالى المرئضى؁ أو؁ غرر الفوائد ودرر القلائد/ للشرىف
 المرئضى على بن الحسين الموسوى العلوى؛ تحقيق محمد
 أبو الفضل إبراهيم. - القاهرة: دار الفكر العربى؁ ١٩٩٨.
 ٢مج؛ ٢٤سم.
 بيلوجرافية: مج ٢: ص ٦٢٤ - ٦٣١.
 يشتمل على فهرس
 تدمك: ١ - ١١١١ - ١٠ - ٩٧٧.
 ١- الأدب العربى - مجموعات. ٢- القرآن الكريم؁
 خواص وأسرار. ٣- الحديث الشرىف - مباحث عامة.
 أ- محمد أبو الفضل إبراهيم؁ محقق. ب- غرر الفوائد
 ودرر القلائد. ج- العنوان.

رقم الإبداع	١٩٩٨ / ٤٨٩٥
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 10 - 1111- 1

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

١ - الشريف المرتضى (*)

كانت بغداد في القرن الرابع الهجري موئل العلم ، ومثابة العلماء ، وملتقى الكتّاب والشعراء والأدباء ، فيها غنيت ساحات الخلفاء والملوك والرؤساء بفنون الناظرة والمساجلة والجدل ، وعمرت المكتبات بألوف الكتب المؤلفة والمترجمة ، المطولة والمختصرة ؛ وغصت دور العلماء وحلقات الدروس بطلاب الأدب ، ورواد العلم والمعرفة من شتى الجهات .

وكان للكثير من ملوك بني بويه من لطافة الحس ، وزكاة الطبع ، ورهافة الذوق ،

مصادر الترجمة :

دمية القصر ٧٥-٧٦	أمل الآمل ٤٨٦-٤٨٧
الرجال لأبي العباس النجاشي ١٩٢-١٩٣	إنباء الرواة ٢٤٩: ٢-٢٥٠
روضات الجنات ٢٧٤-٢٧٨	بغية الوعاة ٣٣٥-٣٣٦
سير النبلاء للذهبي ج ١١ قسم ١ ص ١٣١	تاريخ ابن الأثير ٤٠: ٤١
شذرات الذهب ٢٥٦: ٣-٢٥٨	• الإسلام للذهبي (وفيات ٤٣٦)
الفهرست لأبي جعفر الطوسي ٩٧-١٠٠	• بغداد ١١: ٤٠٢-٤٠٣
لسان الميزان ٢٢٣: ٤-٢٢٤	• أبي الفداء ٢: ١٦٧
مرآة الجنان ٥٥: ٣-٥٧	• ابن كثير ١٢: ٥٣
معالم العلماء لابن شهر آشوب ٦٠-٦٣	• تنمة اليثيمة ٥٣: ٥٦
معجم الأدباء ١٣-١٤٦-١٥٧	• جهرة الأنساب لابن حزم ٥٦-٥٧
المنتظم (وفيات ٤٣٦)	• ابن خلكان ١: ٣٣٦-٣٣٨
النجوم الزاهرة ٣٩: ٥	

ورجاجة العقل ماهياً لهم أن يكونوا كتّاباً أو شعراء ؛ وما دفع بعضهم للمشاركة في العلوم ،
والأخذ بنصيب من أطراف الفنون ؛ فحَدَّبوا على العلماء ، وأغدقوا على الشعراء ؛ وعرفوا
للأدباء أقدارهم ؛ فولَّوهم الوزارة والإمارة والقضاء في كثير من الأحيان .

وكانوا أيضاً من شيمة عليّ ، وعلى هوى أحفاده من أبناء الحسن والحسين ، فخصَّوهم
بالتكريم ، ومنحَّوهم أرفع المناصب ، وأدَنوهم من نفوسهم ، وقرَّبوهم في مجالسهم ،
وظاهروهم في المناظرة ، ودفعوهم إلى الجهر بالرأى والإدلاء بالحجة ؛ وكانوا لهم رداء حين
يحتدم الجدَل ، ويشتد اللِّدَاد بينهم وبين أهل السنة ؛ ومنَّ بشدَّة أزرهم من الأتراك وخلفاء
بنى العباس .

في هذه الحِقبة النادرة في تاريخ العلوم ، وفي هذا العصر الحالى بأزاهير الفنون والآداب ،
وفي تلك الدولة التي قام في أكنافها العلماء والشعراء والأدباء ؛ عاش الشريف المرتضى عليّ
ابن الحسين ، وأخوه الشريف الرضى محمد بن الحسين ، واتَّخذا مكانهما بين ذوى المثالة ،
وأعيان الشرف والفضل من الأعلام ؛ فكان المرتضى عالماً فقيهاً متكلماً ، خبيراً بقرض الشعر ،
بصيراً بمذاهب الكلام ، وكان الرضى شاعراً مطبوعاً متصرفاً ، وكتّاباً بارعاً رائعاً
الديباجة صافى الأسلوب ، مشاركاً في التأليف والتصنيف ؛ وقضيا حياتهما مرعياً الجانب ؛
رفيعي المنزلة ؛ مرموقى المحلِّ عظيمى الخطر والجاه عند خلفاء بنى العباس ، والملوك من بنى
بويه على السواء .

وكانا يَنزِعَان إلى أعرق المناصب ، وأطيبِ النُّجَار ، نَجَلَهُمَا أبو أحمد الحسين بن موسى
ابن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ؛
وأنجبتهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر الأطروش ، صاحب الديلم ، وشيخ الطالبين
وعالمهم وشاعرهم .

وكان أبو أحمد من ذوى النباهة والصيت عند بنى بويه ، ولقبه بهاء الدولة أبو نصر ابن بويه بالطاهر الأوحى ؛ كما كان من ذوى القدر والجاه عند بنى العباس ؛ وولّوه النظر فى المظالم ونقابة الطالبين مرات ؛ كان يقوم بالسفارة بينهم وبين آل بويه أحيانا ، وبين الحمدانيين أحيانا ، فمحض النصح ، وبصر بمنهج الرشيد ، وأبدى رأى الأصيل ؛ وظفر بالمكانة منهم جميعا . ومات فى سنة ٤٠٠ . وقد رثاه أبو العلاء المعرى بقصيدته المشهورة :

أودى فليت الحادثات كفاف^(١) مال^(٢) المسيف^(٣) وعنبر^(٤) المستاف^(١)
الطاهر^(٢) الآباء والأبناء والآ راب^(٣) والأثواب والألاف^(٤)
رغى^(١) الرعود وتلك هدة واجب^(٢) جبل^(٣) هوى^(٤) من آل عبد متاف^(١)
بخلت فلما كانت ليلة فقده^(٢) سمح^(٣) النمام^(٤) يدمعه^(١) الدراف^(٢)
ويقال إن البحر غاض وإيها^(٣) ستمود^(٤) سيفاً^(١) لجة^(٢) الرجاف^(٣)
ويحق^(٤) فى رزه الحسين^(١) تغير^(٢) السحر^(٣) سنين^(٤) ، بلة^(١) الدر^(٢) فى الأصداف^(٣)^(٤)

وفىها يذكر الشريفين ويعزيهما :

ولقيت ربك فاستردك الهدى^(١) ما نالت^(٢) الأيام^(٣) بالإتلاف^(٤)
وسقاك أمواه الحياة مخلدا^(١) وكساك^(٢) شرخ^(٣) شبائك^(٤) الأفواف^(١)
أبقيت^(٢) فينا كوكبين سناهما^(٣) فى العسبح^(٤) والظلمات^(١) ليس^(٢) يخاف^(٣)
متأقنين^(٣) وفى المسكارم^(٤) ارتما^(١) متأقنين^(٢) بسود^(٣) وعفاف^(٤)
قد رين^(٣) فى الإرداء^(٤) ، بل مطرين^(١) فى الساجد^(٢) ، بل قرين^(٣) فى الإسفاف^(٤)

(١) سقط الزند ١٢٦٤-١٣٢٠ . كفاف ، أى لبت الحوادث كفت الأذى . والمسيف : من ذهب

ماله . والمستاف : الشام . (٢) الهدى : صوت الشىء الساقط ، والواجب : الساقط ؛ ويقال إن المرقى

مات فى ذات ليلة برق ورعد ومطر . (٣) السيف : الساحل . والرجاف : من نموت البحر .

(٤) الحرسان : اسم الليل والنهار .

رُزِقَا الملاء فَأَهْلُ نَجْدٍ كَلَمًا نَطَقَا الفَصَاحَةَ مِثْلُ أَهْلِ دِيَاثٍ^(١)
سَاوَى الرَّضَى الْمُرْتَضَى وَتَقَاسَمَا خُطَطَ المَلَا بِتَنَاصُفٍ وَتَصَافٍ

وفى آخرها يقول :

يَا مَالِكِي سَرَّحَ القَرِيضَ أَتَشْكُمَا مِنْهُ سَحْوَةٌ مُسْتَدْتِينَ عِجَافٍ^(٢)
لَا تَعْرِفُ الْوَرَقَ اللَّجِينَ وَإِنْ تُسَلِّ تُخَيِّرُ عَنِ الْقَلَامِ وَالْخِذْرَافِ^(٣)
وَأَنَا الَّذِي أَهْدَى أَقْلًا بِهَارَةٍ حُسْنًا لِأَحْسَنِ رَوْضَةٍ مِثْنَفٍ^(٤)

وبعد موته انتقلت وظائفه إلى الشريف الرضي ، ولما مات آلت إلى الشريف المرتضى .

وكان مولد الشريف المرتضى ببغداد في رجب سنة خمس وخمسين وثلاثمائة^(٥) ، وفيها تلقى العلم وشغل به في جميع أحوال حياته ؛ وكان أول عهده بالمدرسة والتأديب على الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالفقيه ، ذهبت به أمه إليه مع أخيه الرضي ؛ وهما في سن الحداثة ، وقبل أن يجاوزا حدَّ الصغر ؛ فأخذاه عنه ، وتخرَّجا عليه . ثم صحب المرتضى غيره من العلماء ، وورد شيوخهم ، وحمل عنهم ؛ مثل سهل بن أحمد الديباجي ، وأبي عبيد الله المرزباني ، وأبي الحسن الجندی ، وأحمد بن محمد بن عمران الكاتب ، وغيرهم .

ويبدو من تقصّي أخباره ؛ ومطالعة ما وصل إلينا من كتبه ورسائله أن أعظم الشيوخ الذين تأدب بهم وأفاد منهم ها الشيخ المفيد وأبو عبد الله المرزباني .

(١) دِيَاث : موضع فيه نبط لفصاحة لهم .

(٢) السَّرْحُ فِي الْأَسْل : المال الراعي ، والسنات : الذي أصابته السنة ؛ أي الفخط . والعجاف : الهازل .

(٣) اللَّجِين : ورق الشجر يخلط بالنوى الرضوض ، ويلجن بعضه ببعض ، وهو من علف أهل

الأمصار . والقلام والخذرّاف : من الخنزير ؛ وهو علف أهل البادية .

(٤) الروضة الشاف : التي لم ترع بعد . (٥) الفهرست لأبي جعفر الطوسي ١٠٠ .

فأما الشيخ المفيد فقد كان رأساً من رؤوس الشيعة ؛ وعلماً من أعلامهم ؛ لا يدرك شأوه فيهم ؛ وإليه انتهت رئاسة الإمامية في عصره ، وفي كتبه حُفِظَتْ أقوالهم وآراؤهم وشروحهم وتأويلاتهم ؛ وعنه تلقى السيد المرتضى الفقه والأصول والتفسير وعلم الكلام ؛ ثم استقل بالرأى فيما بعد ؛ ووضع في ذلك الكثير من الكتب والرسائل والمقالات .

وأما الرزباني فقد كان إماماً من أئمة الأدب ؛ وشيخاً من شيوخ المعتزلة ، وعلماً من أعلام الرواية ؛ وكانت داره مقصد العلماء والمتأدبين ؛ مهيأة بالكتب والورق والداد ؛ معدة للطعام والراحة والنوم ؛ فكان يأخذ عن يزوره من العلماء ؛ ويقراء لمن يجلس إليه من الطلاب ، وفيما بين ذلك يؤلف الكتب ويصنفها ؛ ومعظم ما رواه السيد المرتضى في كتاب الفرغ من الشعر واللغة والأخبار مما تلقاه عليه ، ورواه عنه .

ولما عَظَتْ به السن ، وخلع عن منكبه رداء الشباب عكف في منزله مُخْلِداً إلى القراءة والدرس ؛ واستنزف أيامه في التحصيل والتأليف ، مؤثراً مجالسة العلماء والمستفيدين على مخالطة الرؤساء وذوى السلطان ؛ بل إنه زهد فيها ورث أبوه من نقابة الطالبين ، والنظر في المظالم ، وآثر بها أخاه الرضى - وكان أصغر منه - ليَرْضَى ما كانت تنزع إليه همة أخيه من الرغبة في سَنَى الطالب وبلوغ الأقدار ؛ ويقضى حاجة نفسه من الانقطاع إلى العلم ، والخلوة إلى القراءة والدرس ؛ ولم يقول شيئاً من هذه الناصب إلا بعد وفاة أخيه . وأعاناه على ما يبنى ما يهيأه من مكتبة عريضة واسعة ؛ تحوى ما عرف من الكتب في حياته ؛ ذكر الثعالبي أنها قُوِّمَتْ بعد وفاته بثلاثين ألف دينار ، وقدرت بثمانين ألف مجلد ، بعد أن أهدى منها ما أهدى إلى الرؤساء والوزراء .

وكان السيد المرتضى في نعمة سابغة ، وخير كثير ، وثروة قل أن تنهياً لمثله من العلماء ؛ روى أنه كانت له ثمانون قرية بين بغداد وكربلاء ، يشقها نهر ينتهي إلى الفرات ؛ وكانت السفن تسير فيه غادية راثمة ، تحمل السُّفَر والزوار ؛ وخاصة في موسم الحجيج ؛ وكان لهم فيها بساط قط

من ثمار الأشجار العاطفة على النهر؛ فأكمة موقوفة عليهم ، ولغيرهم ممن تحمل السفن ؛
وقدروا ما تُغله هذه القرى بأربعة وعشرين ألف دينار في العام .

وقد نمكّن بفضل هذه الثروة من أن يعيش في داره مكفول الرزق ، مقضى الحاجات ،
لا يشغله ما يشغل غيره من شئون الدنيا ومطالب الحياة ؛ ولا يصرفه شيء عن
القراءة والدرس والتصنيف والفتيا ؛ بل إنه نمكّن من أن يقضى حاجة قلبه من البر
بالناس ، ومواصلتهم ، والعطف عليهم ؛ وخاصة من كان يمت إلى العلم بصلة ، أو يُبدى إليه
برحم ماسة ، فكان منزله داراً للضيافة ، ومدرسة للتعليم والمدارسة ، ينقطع فيه التلاميذ
والطلاب والمريدون ، ويستروح في رحابه الوافدون من شتى الجهات ، بعد أن يكون قد
أدماهم السير وأكلهم التري ؛ بل إنه جعل للكثير من تلاميذه مرتبات منظمة ؛ وحبوساً
موقوفة عليهم ؛ كان أبو جعفر الطوسي ^(١) من تلاميذه المنقطعين إليه ، فأجرى عليه اثني عشر
ديناراً في كل شهر ، في ثلاثة وعشرين عاماً قضاها في صحبته إلى أن مات ، وكذلك رتب
للقاضي عبد العزيز بن البراج ^(٢) ثمانية عشر ديناراً في الشهر ؛ وغيرهما كثير . ووقف قرية
كاملة ؛ يجري خيرها على كاغد للفقهاء خاصة ؛ رغبة في النفع ، وبث العلم في الناس .

وروى أنه أصاب الناس قحط شديد فاحتال رجل يهودي على تحصيل قوت يحفظ
نفسه ففرغ إليه ؛ وشفاعته الرغبة في العلم : واستأذنه أن يقرأ عليه شيئاً من علم النجوم ؛
فأذن له ، وأمر بمجازة تجرى عليه في كل يوم ، فقرأ عليه برهة ثم أسلم .

ومن هذه الباب أيضاً ما حكاه ابن خلكان عن أبي زكريا التبريزي أن أبا الحسن علي
ابن أحمد بن سلك الفالي الأديب كانت له نسخة من كتاب الجهرة لابن دريد في غاية الجودة ،

(١) هو محمد بن علي بن جعفر الطوسي ، ولد سنة ٣٨٥ ، ولزم الشيخ المفيد وتخرج عليه ولما مات
سنة ٤١٣ ؛ لزم السيد المرتضى إلى أن مات ، ثم استغل بالإمامة بعده ، وتوفي سنة ٤٠٦ .
(٢) هو عبد العزيز بن نحرير بن البراج ؛ ولد بمصر ونشأ بها ؛ ورحل إلى طرابلس وولى قضاءها
مدة ، وتوفي سنة ٤٨١ .

فدعته الحاجة إلى بيعها ، فاشتراها الشريف المرتضى بستين ديناراً ، وتصفحها فوجد بها أبياتاً
بخط يائنها أبي الحسين الفالي ؛ وهي :

أَنِسْتُ بِهَا عَشْرِينَ حَوْلًا وَبَعْتُهَا لَقَدْ طَالَ وَجْدِي بَعْدَهَا وَحَنِينِي
وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنَّنِي سَأُيْعُهَا لَوْ خَلَدْتُنِي فِي السَّجُونِ دِيُونِي
وَلَكِنْ لَضَعْفٍ وَافْتِقَارٍ وَصِيبَةٍ صَغَارٍ عَلَيْهِمْ تَسْتَهْلُ شَتُونِي
فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابِقِ قَهْرَةٍ مَقَالَةٍ مَكُونِ الْفُؤَادِ حَزِينِ
«وَقَدْ تُخْرِجُ الْحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ كَرَامٍ مِنْ رَبِّ بَيْنِ ضَنِينِ»

فأرجع إليه النسخة ؛ وتركه الدنانير ؛ جرياً على عادته من صلته أهل العلم ، وبره بهم .

وقد اجتمع إليه من فنون العلوم وضروب الآداب ما قلّ أن يجتمع لسواه ؛ وضرب
فيها جميعها بسهم وافر ؛ فكان فقيهاً انتهت إليه رئاسة الإمامية في عصره ؛ بعد أن درس
الأصول ، ومحض الحقائق ، واستخرج المسائل ، ونصب نفسه بعد ذلك للفتيا ، فشُدَّتْ إليه
الرحال ، ووفدت إليه الناس من كل صُقع ، ووضع لكل كتاب ؛ فهذه المسائل الديلمية ،
وتلك المسائل الطوسية ، وهذه المسائل المصرية والوصلية وهكذا . وحقق علم الكلام وأصول
الجدل ، فحاجَّ النظراء والتكلمين ، وناظر المخالفين ؛ وكتابه الشافي حجة على طول باعه
في الجدل . وله في تفسير القرآن وتأويل الكتاب ما كشف به عن بحر لا يسبر غوره ؛ ولا
ينال دركه ؛ وقد حفظ من أخبار العرب وأشعارهم ولغتهم ما جعله في الرعيّل الأول من الرواة
والحفاظ والأدباء ؛ وبكل هذا كان إمام عصره غير مدّاقع ؛ قال ابن بسام : « كان هذا
الشريف إمام أئمة العراق ، بين الاختلاف والاتفاق ؛ إليه فزع علماؤها ، وعنه أخذ عظمائها ،
صاحب مدارسها ، وجماع شاردها وآنسها ؛ مما سارت أخباره ، وعرفت أشعاره ، وحدثت
في ذات الله مآثره ؛ إلى تواليفه في الدين ، وتصانيفه في أحكام المسلمين ، ممن يشهد أنه قرع

تلك الأصول ، ومن أهل ذلك البيت الجليل (١) .

وكان بعدهذا شاعرا ، وله ديوان شعر؛ قال ابن شهر آشوب: إنه يُرَبَّى على عشرين ألف بيت ، وذكر بروكلمان أن هناك نسخة منه من مكتبة مشهد . وقد أورد المرتضى طائفة منه في كتاب الفرر، والشهاب، وطيف الخيال ، وذكر الثعالبي في تنمة اليتيمة ، والباخرزي في دمية القصر قدرا منه ، فمن قوله :

أحبُّ ترى نجد ، ونجدٌ بعيدٌ إلا حبذا نجدٌ وإن لم تُقدِّرْ بالـ (٢)
يقولون: نجدلست من شعب أهلها وقد صدقوا لكنني منهم حبا
كأنى وقد فارقت نجداً شقاةً فتى ضلَّ عنه قلبه ينشد القلبيا

ومنه :

يا خليلي من ذؤابة قيس في التصابي رياضة الأخلاق (٣)
عللاني بذكرهم تطرباني واسقياني دمي بكأس دهاق
وخذا النوم من جفوني فاني قد خلعت الكرى على العشاق (٤)

ومنه في الرثاء :

كأنى لما سك مني نعيه صككت بمسنون الغرادين قاضير
طواه الردى طى الرداء وعطَّلت مغاني الحجا عنه وغر المناقب
ولما بلوت الأصدقاء ووُدَّهم خلصت إليه من خلال التجارب

وسئل إجازة بيت أبي دهبيل الجمحي :

وأبرزتها من بطن مكة عندما أصات المنادى بالصلاة فأعما

(١) ابن خلكان: ٣٣٦ . (٢) تنمة اليتيمة ١ : ٥٤ . (٣) تنمة اليتيمة ١ : ٥٥ .
وابن خلكان ١ : ٣٢٧ . (٤) روى ابن خلكان أنه لما وصلت هذه الأبيات إلى البصري
الشاعر قال : « المرتضى قد خلق ما لا يملك على من لا يقبل » . (٥) الفرر ١ : ١١٥ .

فقال :

فطَّيَّبَ سَراهاُ المَقامَ وضوأتُ	بإِشراقها بينَ الحَطينِ وزمَما
فيارب إن لَقِيتَ وجهاً تَحِيَّةَ	فحى وجوهاً بالمدينة مَهْما
تُجاوِزُ عَن مَسِّ الدَهانِ وطالما	عَصَمَنَ عَنِ الحِناءِ كَفْما ومَعصِما
وكم من جَليدٍ لا يَخامِرُه الهوى	شَنَّ عَليه الوجدَ حَتى تَتَيَّما
أَهانَ لَهَنَ النَفْسِ وهى كَريمةٌ	وألقى إِلَيَّ الحَديثَ المَكْثَما
تَسفَهِتَ لَما أن مَرَّرتَ بدارها	وَعُوجِلْتَ دونَ الحَلمِ أن تَتَحَلَّما
فمَجَّتْ تَقَرَّى دارِسا متَنَكِّرا	وتَسالَ مَصرُوفاً عَنِ النَطقِ أَعْجَما
وبومٍ وَقَفنا لِلوداعِ وَكلَّنا	بِعمْدَ مَطيعِ الشوقِ مَنْ كانَ أَحزَما
نُصرتُ بِقلبٍ لا يَعتَفُّ فى الهوى	وعَينٍ مَتى اسْتَمطرَها قَطَرُ دَما

وتوفى الشريف المرتضى فى ربيع الأول سنة ٤٣٦ ، وصلى عليه ابنه ، ودفن فى داره ، ثم نقل إلى المشهد الحسينى بكربلاء .

٢ - مؤلفاته*

- ١ - « إبطال القياس » ؛ ذكره الذهبي في سير النبلاء .
- ٢ - « الانتصار في الفقه » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ، وسمياه « الانفرادات في الفقه » ، وطبع ضمن مجموعة الجوامع الفقهية لمحمد بن باقر بطهران سنة ١٢٧٦ ، وطبع منفردا سنة ١٣١٥ .
- ٣ - « إنقاذ البشر من القضاء والقدر » ، ذكره ابن شهر آشوب ، وطبع في النجف ١٩٣٥ ، وطهران ١٣٥٠ .
- ٤ - « البرق » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ، وسماه « الرموق في أوصاف البروق » .
- ٥ - « تتبع الأبيات التي تكلم عنها ابن جني في إثبات الممانى للمتنبى » . ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٦ - « تنمة أنواع الأعراض من جمع أبي رشيد النيسابوري »^(١) ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٧ - « تفسير الخطبة الشقشقية » ، نقله صاحب دواجن الجفان عن كتاب رياض العلماء .
- ٨ - « تفسير قصيدة السيد الحميري » المعروفة بالقصيدة المذهبة ، وهي القصيدة البائية في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وتبلغ ١٧ بيتا ، مطلعها :

(*) اقتصرنا في سرد مكتب المرتضى هنا على ما ذكر أبو العباس النجاشي في كتاب الرجال ، وأبو جعفر الطوسي في كتاب فهرست ، وابن شهر آشوب في كتاب معالم العلماء ، وما لم يذكره واحد من هؤلاء ذكرته مضمونا إلى مصدره .

هلاً وقفت على المكان المشيب بين الطويل واللوى من كبكب
ذكرها أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب . وطبعت مع الشرح بمصر
سنة ١٣١٣ بعنوان : « القصيدة الذهبية » .

٩ - « تفسير قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ » ، ذكره النجاشي .

١٠ - « تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي ﴾ » ، ذكره النجاشي .

١١ - « تفسير سورة الحمد ، وقطعة من سورة البقرة » ، ذكره النجاشي .

١٢ - « تقريب الأصول » ، ذكره النجاشي .

١٣ - « تكملة الفرر والدرر » ، ذكره ابن شهر آشوب .

١٤ - « تنزيه الأنبياء » ، ذكره أبو جعفر الطوسي وابن شهر آشوب . وطبع بالمطبعة

الحيدرية في النجف سنة ١٣٥٢ .

١٥ - « جل العلم والعمل » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب .

١٦ - « جواب الملحة في قدم العالم من أقوال المنجمين » ، ذكره ابن شهر آشوب .

١٧ - « الحدود والحقائق » ، ذكره ابن شهر آشوب .

١٨ - « الخطبة القصصة » ، ذكره ابن شهر آشوب .

١٩ - « الخلاف في أصول الفقه » ، ذكره النجاشي ، وابن شهر آشوب .

٢٠ - « ديوان شعره » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب على ما ذكره بروكلمان

أنه منه نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد .

٢١ - « الذخيرة في الأصول » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب .

٢٢ - « الذريعة في أصول الفقه » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ،

وابن شهر آشوب .

٢٣ - « الرد على يحيى بن عدى فى اعتراض دليل الوجود فى حدث الأجسام » ، ذكره النجاشى ، وابن شهر آشوب .

٢٤ - « الرد على يحيى بن عدى فى مسألة سماها طبيعة المسلمين » ؛ ذكره النجاشى .

٢٥ - « الرسالة الباهرة فى المثرة الطاهرة » ذكره ابن شهر آشوب .

٢٦ - « رسالة فى المحكم والمتشابه » ، منقول من تفسير النعمانى ؛ ذكره ابن شهر آشوب .

٢٧ - « الشافى فى الإمامة والنقض على كتاب المنفى للقاضى عبد الجبار بن أحمد » ،

ذكره أبو جعفر الطوسى وقال : « إنه لم يؤلف مثله فى الإمامة » ، وذكره أيضا

النجاشى ، وابن شهر آشوب . وقد اختصره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى

المتوفى سنة ٤٦٠ ، وطبع الكتاب والمختصر فى المعجم سنة ١٣٠١ فى جزأين .

٢٨ - « شرح مسائل الخلاف » ، ذكره النجاشى .

٢٩ - « الشهاب فى الشيب والشباب » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب ،

وطبع بمطبعة الجواب سنة ١٣٠٢ .

٣٠ - « طيف الخيال » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، وابن شهر آشوب ، ومنه نسخة

مصورة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٣١٣ ز ، عن النسخة المحفوظة بمكتبة الأسكوريال .

٣١ - « غرر الفوائد ودرر القلائد » ، ذكره أبو جعفر الطوسى ، والنجاشى ، وابن

شهر آشوب ، وقد اختصره عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم الملائقى ، وسماه

« غرر الغرر ، ودرر الدرر » ، وأكمل هذا المختصر فى سنة ٧١٦ ، ومنه نسخة خطية

فى مكتبة طهران ؛ ذكره بروكلمان .

٣٢ - « الفرائض فى نصر الرواية ، وإبطال القول بالمدد » ، ذكره ابن شهر آشوب .

٣٣ - « الفقه الملىكى » ، ذكره ابن شهر آشوب .

- ٣٤ - « الكلام على من تعلق بقوله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ » ، ذكره النجاشي .
- ٣٥ - « ما تفرّد به الإمامية » ، ذكره النجاشي ، وابن شهر آشوب .
- ٣٦ - « مسائل آيات » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٣٧ - « مسائل أهل مصر الأولى والأخيرة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي .
- ٣٨ - « مسائل البادريات » ذكره النجاشي .
- ٣٩ - « المسائل التبانيات » ، ذكره النجاشي ، وابن شهر آشوب .
- ٤٠ - « المسائل الجرجانية » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٤١ - « المسائل الحلبية الأولى والأخيرة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٤٢ - « مسائل الخلاف في الفقه » ، لم يتمه ؛ ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب ؛ وذكر بروكلمان أن منه نسخة في مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .
- ٤٣ - « المسائل الرازية » ١٤ مسألة ، ذكره ابن شهر آشوب .
- ٤٤ - « المسائل الرمليات » ، ذكره النجاشي .
- ٤٥ - « المسائل السلارية » ، ذكره ابن شهر آشوب ؛ وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .
- ٤٦ - « المسائل الصيداوية » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٤٧ - « المسائل الطبرية » ، ذكر بروكلمان أن منه نسخة في مكتبة مشهد ، وذكره أيضا الكنتوري في كشف الحجب .
- ٤٨ - « المسائل الطرابلسية الأولى والأخيرة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .

- ٤٩ - « المسائل الطوسية » ، لم يتم . ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٥٠ - « المسائل الحمديات » ، ذكره النجاشي .
- ٥١ - « مسائل مفردات من أصول الفقه » ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٥٢ - « مسائل مفردات » ، نحو مائة مسألة في فنون شتى ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- ٥٣ - « المسائل الموصلية الثلاثة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب .
- وذكر بروكلمان أن منها نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .
- ٥٤ - « مسائل ميفارقين » ، ذكره ابن شهر آشوب ، وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في النجف ، في مكتبة خاصة ، وأخرى في مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .
- ٥٥ - « المسائل الناصرية في الفقه » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وابن شهر آشوب .
- وقد طبع هذا الكتاب مع كتاب « الجوامع الفقهية » لمحمد بن باقر في طهران ١٢٧٦ .
- ٥٦ - « مسألة في الإرادة » ، ذكره النجاشي .
- ٥٧ - « مسألة في دليل الخطاب » ، ذكره النجاشي .
- ٥٨ - « مسألة في التأكيذ » ، ذكره النجاشي .
- ٥٩ - « مسألة في التوبة » ، ذكره النجاشي .
- ٦٠ - « مسألة في قتل السلطان » ذكره النجاشي .
- ٦١ - « مسألة في كونه تعالى علما » ، ذكره النجاشي .
- ٦٢ - « مسألة في المتعة » ، ذكره النجاشي .
- ٦٣ - « المصباح في أصول الفقه » ، لم يتمه ذكره أبو جعفر الطوسي والنجاشي ، وابن شهر آشوب .

٦٤ - « المقنع في الغيبة » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ، وابن شهر آشوب .
٦٥ - « المختصر في الأصول » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ،
وابن شهر آشوب .

٦٦ - « النعم في تفضيل الملائكة على الأنبياء » ، ذكره ابن شهر آشوب .
٦٧ - « الموضح عن وجه إعجاز القرآن » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، والنجاشي ،
وسمياه « كتاب الصرف » ، وذكره أيضا ابن شهر آشوب .

٦٨ - « نقض الرواية ، وإبطال القول بالعدد » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ، وذكره أيضا
ابن شهر آشوب ، وسماه « مختصر الفرائض في قصر الرواية وإبطال القول بالعدد »
وذكر بروكلمان أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة مشهد (ضمن مجموعة) .
٦٩ - « النقض على ابن جني في الحكاية والمحكي » ، ذكره أبو جعفر الطوسي ،
وابن شهر آشوب .

٧٠ - « نكاح أمير المؤمنين ابنته من عمر » ، ذكره ابن شهر آشوب .

٧١ - « الوعيد » ، ذكره النجاشي .

٣ - أمالي المرتضى

وحينما يستعرض الباحث كتب العربية النفيسة التي حوت ألوان المعارف ، وزخرت بأشتات الطرائف ، وحفظت بين دفتيها نتاج القرائح ، وحقائق السير والتاريخ والأخبار ، ونصوص الشعر واللغة والغريب فإنه بلا حياء يعد منها كتاب أمالي المرتضى - أو كما يسميه مؤلفه غرر الفوائد ودرر القلائد - وينظمه في المقدالذي يضم كتاب السكامل للمبرد، والبيان والتبيين للجاحظ، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والمقد لابن عبد ربه، والأغانى لأبي الفرج، وغيرها من الكتب التي حلت في سماء الآداب العربية كالنجوم، وأرست قواعدها كالأطواد ، وعمرت بها مجالس العلماء وسوامر الأدباء ؛ وتدارسها المتأدبون جيلا بعد جيل ؛ وتداولها النساخ ، وعُدّت في مكاتب الدارسين من أكرم الذخائر وأنفس الأعلاق .

وهي مجالس مختلفة ، أملاها في أزمان متعاقبة ؛ تنقل فيها من موضوع إلى موضوع ، ومن غرض إلى آخر ؛ اختار بعض آي القرآن الكريم ؛ مما يئم تأويله على الخاصة، بله العامة ؛ ويدور حولها السؤال، ويثار الاستشكال ؛ وعالج تأويلها وتوجيهها على طريقة أصحابه من المعتزلة، أو أصحاب العدل كما كان يسميهم ؛ وحاول جهده أن يوفق بين تأويل الآيات المتشابهة ، وما دار على السنة العرب من نصوص الشعر واللغة ؛ وفي هذا أبدى تفوقا عجيبا ؛ وأبان عن ذهن وقاد، وذكاء متلهب ، وبصر نافذ ؛ وأعانه فيما فسر وأول ووجه وفرة محفوظه من الشعر واللغة ومأثور الكلام . وكان الطابع الذي يغلب عليه عرض الوجوه المختلفة ؛ والآراء المحتملة ، مجوزا في ذلك إمكان الأخذ بالآراء جميعا .

وترجع قيمة ما عرض له الشريف في هذه المجالس من تأويل الآيات إلى أنها تعد صورة لتفسير القرآن الكريم عند علماء المعتزلة ؛ مما لم يصل إلينا من كتبهم إلا القليل النادر .

واختار أيضا طائفة من الأحاديث التي يختلف العلماء في تأويلها ؛ ويبدو التعارض فيها

بينها وحاول تفسيرها وتأويلها ؛ بالنهج الذي عالج به تأويل آي القرآن ؛ مستعيناً بشواهد
الشعر واللغة ؛ موضعاً مذهب أصحابه من أهل العدل ؛ مُدلياً بحجّتهم على مَنْ خالف تأويلهم
من جماعة أهل السنة، أو أهل الجبر كما كان يسميهم ؛ وناقش ابن قتيبة وأبا عبيد القاسم بن
سلام وابن الأنباري في ذلك على الخصوص .

ثم عرض لمسائل في علم الكلام مما اشتجر فيها الرأي ، ودار حولها الجدل ؛ واسطرعت
الأقلام ، وأقيمت المناظرات ؛ مثل القول برؤية الله ، وخلق أفعال العباد ؛ وإرادة الله للقبائح ،
والقول بوجوب الأصلح ، وقرر رأي أصحابه ؛ وحاجّ عنهم ، واحتج على خصومهم ؛ وكان فيما
جادل وناقش رفيقاً في الجدل عفيفاً في المقال .

وأودع في الكتاب بجانب ما بسط من تأويل الآيات والأحاديث وعرض المسائل
مختاراتٍ من المصطفى المتخول من الشعر وحرّ الكلام ؛ تناولها بالشرح والنقد والموازنة ،
وذكر صدراً من تراجم الشعراء والعلماء والأدباء وأصحاب الأهواء والآراء الخاصة ؛ وأورد طائفة
من أشعارهم وأقوالهم ونوادرهم ، ثم استروح بذلك فيض من الطرائف النادرة ، والأجوبة
الحاضرة المسكتة ، والأفاكية الرفيعة ؛ معتمداً فيما أورده على ما وصل إليه من كتب الجاحظ
وابن قتيبة والمبرد وأبي حاتم والآمدي وغيرهم ، أو مارواه عن شيوخه ، وأبي عبيد الله المرزباني
على الخصوص .

واختار أيضاً بعض الموضوعات التي كانت مقاصد شعراء العربية في الجاهلية وصدر الإسلام ؛
كالدائح والأهاجي والمراثي والسير ووصف الشيب والطف وغيرها ، وأورد ما قاله الشعراء
فيها ؛ ووازن بين الكثير منها ، وتناولها بالنقد في كثير من الأحيان .

وبهذه الفنون المتنوعة ؛ والفصول المختلفة ؛ والمباحث الجليلة اجتمع للكتاب ميزة
كبرى بين الكتب العربية ؛ وعدّه مصدراً ينقل عنه العلماء ، ويحتج به الأدباء ؛ ويرد
شرعته القارئون على ممرّ الأجيال .

ويبدو أن هذه المجالس أملاها الشريف في داره على تلاميذه ومريديه ؛ في أزمنة مختلفة متعاقبة ؛ لم يصل العلم إلى التاريخ الذي بدأها فيه ؛ ولكن الثابت أنه فرغ من إملائها يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ؛ كما ذكره الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرى في آخر نسخته .

أما الزيادات التي في آخر الكتاب ؛ وهي التي عرفت بتكملة الفرر فهي طائفة أخرى من المسائل التي اختارها فيما كان يمرض له في مجالسه فيما بعد ؛ وأشار بأن تضاف إلى الكتاب ، للتشابه بينهما في المنهج والمنحى ؛ وبهذه التكملة يتم الكتاب .

٤ - نسخ الكتاب

١ - نسخة كتبت في سنة ٥٦٧ هـ ، ووقعت في ملك الحسين بن أبي عبد الله بن إبراهيم الخوجاني ، وقرأها علي فضل الله بن علي بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن الحسين ، وأجاز له روايتها بتاريخ ٥٦٨ هـ ، عن شيخه عبد الرحيم بن أحمد بن الإخوة البغدادي عن أبي غانم المصمى عن السيد المرتضى ، وعنه أيضا عن النقيب حمزة بن أبي الأعز الحسيني عن أبي المعالي أحمد بن قدامة عن السيد المرتضى ، وعنه أيضا عن السيد المرتضى بن الداعي الحسني عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الدوريسي . وعلى النسخة حواش كثيرة ، هي مما أملاه فضل الله على تلميذه الحسين بن أبي عبد الله الخوجاني ، أو مما نقله من نسخته ، مقرونة برؤس أصحابها ، أو غير مقرونة وعلى الصفحة الأولى من هذه النسخة رموز النسخ التي قابل فضل الله بن علي نسخته عليها ، وأسماء أصحابها ، كتبت على النحو الآتي :

” ر : علامة نسخة مولانا الصدر الكبير العلامة ضياء الدين تاج الإسلام ، سلطان العلماء ، أبي الرضا فضل الله بن علي الحسني الراوندي قدس الله روحه “

” ص : علامة نسخة أبي الصلاح التقى نجم الدين الحلبي ، رحمه الله ، وكان سمع هذا الكتاب على السيد علم الهدى رضي الله عنه بقراءة غيره “

” ش : علامة نسخة السيد أبي السعادات هبة الله بن علي بن عبد الله بن حمزة العلوي الشجري ، وكانت نسخته بخطه رضي الله عنه “

ج : علامة نسخة الشريف أبي يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفرى رحمه الله ، وكان خليفة الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثى رضى الله عنه والجالس مكانه ، وكتب بخطه فى آخر نسخته من هذا الكتاب : هذا آخر مجلس أملاء سيدنا أدام الله علوه ثم تشاغل عنه بأمور الحج ، ووقع الفراغ منه يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة “

وتبدأ هذه النسخة بصفحة فيها مقدمة الفهرست ، وبها التعريفات والرموز الخاصة التى قابل عليها صاحب النسخة واستفاد منها ، ثم يلى ذلك الفهرست ، وفيه عنوانات المجالس وموضوعاتها ، ثم صفحتان بهما نقول وأشمار ثم دعاء كتب فى سنة ٧٦١ ، ثم يلى ذلك صحيفة العنوان ، وهو مكتوب بالخط الكوفى الجميل المزخرف بحلية على شكل زهور ، تحتها اسم المؤلف ، داخل إطار ، بالخط النسخى الجميل ، ثم تحته إطار أكبر ، به نص إجازة فضل الله ابن على ، وفى حواشى الصحيفة بعض التملكات وإثبات قراءة كمال الدين المرتضى المرعشى على الحسين بن أبى عبدالله الخوجانى من أول الكتاب إلى المجلس الحادى والثلاثين ، وإجازته بتاريخ ٥٨٤ . ثم يلى ذلك أبواب الكتاب ، وعنوانات المجالس فى وسط السطر بخط كبير واضح .

وفى آخر النسخة : « وافق الفراغ من نسخته فى محرم سنة سبع وستين وخمسمائة ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير » .

وهى مكتوبة بقلم ممتاز واضح مضبوط أكثره بالشكل ، وتقع فى ٣١٧ ورقة ، وعدد سطور الصفحة عشرون سطرا ، وأصلها المخطوط بمكتبة الإسكودريال برقم ١٤٥ .

وإلى صديق العلامة الأستاذ محمد بن تاووت الطنجي "يرجع الفضل في إهانتى على تصوير
نسخة منها .

وقد رمزت إلى هذه النسخة بكلمة « الأصل » وأثبت جميع ما فيها من الحواشى .

(٢) نسخة بخط محمد بن أبي طاهر بن أبي الحسين الوراق ، فرغ من كتابتها في منتصف
رجب سنة ٥٨٦ برسم مرشد الدين أبي الحسن علي بن الحسين بن أبي الحسن الوراقى ، وعليها
قراءة للوارانى على شيخه الحسن بن الحسين بن علي الدوريسى بتاريخ سنة ٥٨٧ ، بروايته
عن فضل الله بن علي بن الحسين الراوندى عن الإمام عبد الرحيم بن الإخوة عن أبي غانم العصى
عن السيد المرتضى ؛ وكتب ذلك الدوريسى بخطه .

وفى آخر هذه النسخة الزيادات التى رأى السيد المرتضى إضافتها إلى الكتاب ؛ مما
لم يذكر فى نسخة الأصل ؛ وهى أيضا بخط محمد بن أبي طاهر بن أبي الحسين الوراق ، كتبها
برسم مرشد الدين أبي الحسن الوراقى المذكور فى شبان من السنة نفسها وعلى هذه النسخة
ما يثبت أن الحسن بن الحسن بن الحسين انتسخ منها ومن الزيادات نسخة له .

وفى حواش كثيرة ؛ ومنها ما يوافق ما فى حواشى نسخة الأصل .

وقد فقد منها صفحة العنوان الخارجى ؛ ولعله يكون قد ألصقت بها ورقة بيضاء ،
وبظهرها فاتحة الكتاب ، ورأسها حلية بالألوان وعنوانات المجالس مميزة بخط كبير واضح ،
وفى آخرها اسم ناسخها وتاريخ النسخ ؛ مرة بعد المجالس ومرة بعد الزيادات . وهى مكتوبة
بقلم معتاد ، مضبوطة بالشكل الكامل المتقن ؛ وعدد أوراقها ٢٤٥ ورقة وفى كل صفحة
٢٢ سطرا .

وأصل هذه النسخة مخطوط محفوظ بمكتبة فيض الله بإستانبول برقم ١٤٨٥ ؛ وهى مما

صوره مهند إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة . وقد رمزت إليها بالحرف « ف » .

٣ - نسخة كتبت لحيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن زيد بن عبد الله الحسيني ، وعليها صمغ لأبي البركات علي بن نصر بن علي بن الأعز الحسيني على حيدر المذكور مؤرخ سنة ٦١٩ .

والموجود منها مجلد واحد ينتهي بآخر المجلس الرابع والثلاثين ، وليس بآخره اسم الناسخ أو تاريخ النسخ ، ومن المؤكد أنها كتبت قبل سنة ٦١٩ ، وهو تاريخ الصمغ الموجود بالصفحة الأولى .

وبآخر المجلد صمغ لحيدر بن محمد صاحب النسخة المذكور ، بقراءة علي ابن الأعز وبحضور آخرين ذكرت أسماؤهم ، بتاريخ سنة ٦٢٤ .

وقد عورضت هذه النسخة بنسخ أخرى ، أشير إلى خلافتها في الحاشية بهذا الرمز (خ) . وبها حواش يوافق الكثير منها الحواشي التي ذكرت في الأصل . ويلاحظ أن بعض هذه الحواشي نقلت عن نسخة ابن الشجري ، ويسبقها رمزها المعروف : « ش » أحياناً ، وأحياناً بلفظ « ابن الشجري » .

وقد كتبت بالخط النسخ الجلي الواضح ، وضبطت بالشكل الكامل ، وعدد أوراقها ٢٨٥ ورقة وعدد سطور كل صفحة ١٣ سطراً ، وهي محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٨٣ أدب تيمور .

وقد رمزت إليها بالحرف « ت » .

٤ - نسخة بخط هاشم بن الحسين الحسيني ، فرغ من كتابتها في العاشر من شعبان

سنة ١٠٦٧ ، وذكر في آخرها أنه قابلها على الأصل الذي كتبت عنه ، وانتهى من ذلك في السادس عشر من شعبان المذكور .

وهي أربعة أجزاء في مجلد واحد . وتقع في ١٨٢ ورقة ، وفي كل صفحة ٢٣ سطرا ؛ كتبت بخط دقيق .

وقد رمزت إليها بالحرف «د»

٥ - نسخة طبعت في طهران سنة ١٢٧٣ ، ومعها التكملة ، وعليها حواش ، يوافق بعضها ما في نسختي الأصل ، وف . ولم يذكر فيها ما يشير إلى الأصل الذي طبعت عليه ؛ إلا أنه ذكر في حاشية ص ٢٠٠ عند آخر المجلس الرابع والعشرين : « هذا آخر المجلدة الأولى من أصل الجعفري - رحمه الله » . ويؤخذ من هذا أن لها علاقة بنسخة أبي يعلى محمد بن الحسن بن حمزة الجعفري ؛ وهي إحدى النسخ التي قبلت بها نسخة « الأصل » .

وقد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف « ط »

٦ - نسخة طبعت في مصر بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ ؛ على نفقة السيد أمين الخانجي وأحمد ناجي الجمالي ، وعليها شروح وتعليقات للسيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي ، ثم السيد أحمد أمين الشنيطي .

ولم يذكر فيها ما يشير إلى الأصل الذي طبعت عليه . والعنوان الذي وضع على هذه الطبعة : « أمالي السيد المرتضى » ، وبه عرف الكتاب .

وقد أشرت إلى هذه النسخة بالحرف « م »

وقد اتخذت نسخة الإسكوريال أصلا للعمل ، وأثبت نصها ، ووضعت فروق النسخ

المخطوطة الأخرى ، أما النسختان المطبوعتان ، فإنني لم أذكر منهما إلا ما انفردا فيه برواية ، وهو قليل .

وقد أثبت جميع حواشي الأصل ، وبعض حواشي نسختي ت ، ف . ووضعت هذه الحواشي بين أقواس تميزا لها عما وضعت من الشرح والتعليق .
وقد بذلت ماوسع الجهد والطاقة ؛ ومن الله التمس الجزاء فيما قصدت ؛ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

محمد أبو الفضل إبراهيم

مصر الجديدة ٨ شعبان سنة ١٣٧٣
١٢ أبريل سنة ١٩٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَجَالِس

تَأْوِيلُ آيَةٍ

قال الشريف المرتضى قدس الله روحه : إن^(١) «سأل سائل» عن قول الله تعالى^(٢) : [ط] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ . [الإسراء : ١٦] .

في هذه^(٣) الآية وجوه من التأويل ؛ كل منها يُبطل الشبهة الداخلة على المبطلين فيها ؛ حتى عدكوا بتأويلها عن وجهه ، وصرّفوه عن بابه .

أولها : أن الإهلاك قد يكون حسناً ، وقد يكون قبيحاً ؛ فإذا كان مُسْتَحَقّاً أو على سبيل الامتحان كان حسناً ، وإنما يكون قبيحاً إذا كان ظلماً ؛ فتعلق الإرادة به لا يقتضي تعلّقها به على الوجه القبيح ، ولا ظاهر الآية^(٤) يقتضي ذلك ؛ وإذا علمنا بالأدلة نزّه القديم تعالى عن القبائح علمنا أن الإرادة لم تتعلق إلا بالإهلاك الحسن ؛ وقوله تعالى : ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ المأمور به محذوف ؛ وليس يجب أن يكون المأمور به هو الفسق ، وإن وقع بعده الفسق ؛ ويجرى هذا مجرى^(٥) قول القائل : أمرته فعضي ، ودعوته فأبى . والمراد أنني أمرته بالطاعة ، ودعوته إلى الإجابة والقبول .

ويمكن أن يقال على هذا الوجه : ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه ؛ وإنما موضعها أن يقال : أي معنى لتقدم الإرادة ؟ فإن كانت متعلّقة بإهلاك مُسْتَحَقٍّ بغير الفسق المذكور في الآية فلا معنى لقوله تعالى : إذا أردنا أمرنا ؛ لأن أمره بما يأمر به لا يحسن إرادته

(١-١) ت ، د ، ف : «قال الله جل من قائل» . (٢) حاشية ت (من نسخة) : «لهذه» .

(٣) ش : «ولا ظاهر الآية» . (٤) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : «وإنما

يجرى» ، وفي حاشية الأصل أيضا (من نسخة أخرى) : «وإنما هذا يجري» .

للعقاب المستحق بما تقدم من الأفعال ، وإن كانت الإرادة متمثلة بالإهلاك المستحق بمخالفة الأمر المذكور في الآية الذي تأبونه ، لأنه يقتضي أنه تعالى يريد لإهلاك من لم يستحق العقاب . والجواب عن ذلك أنه تعالى لم يعلق الإرادة إلا بالإهلاك^(١) المستحق بما تقدم من الذنوب ؛ والذي حسن قوله تعالى : وإذا أردنا أمرنا ... هو أن في تكرار الأمر بالطاعة والإيمان إغذاراً إلى العصاة ، وإنذاراً لهم ، وإيجاباً وإثباتاً^(٢) للحجة عليهم / : حتى يكونوا متى خالفوا وأقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرار^(٣) الوعيد والوعظ والإنذار بمن يحق عليه القول ، وتجب عليه^(٤) الحجة ؛ ويشهد بصحة^(٥) هذا التأويل قوله تعالى قبل هذه الآية : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ . [الإبراء : ١٥] .

والوجه الثاني في تأويل الآية أن يكون قوله تعالى : ﴿ أَمْرُنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ من صفة القرية وصلتها ، ولا يكون جواباً لقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا ﴾ ، ويكون تقدير الكلام : وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أننا أمرنا مترفيها ففسقوا فيها^(٦) ، وتكون « إذا » على هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهر في الآية ، للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه^(٧) ؛ ونظير هذا قوله تعالى في صفة الجنة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ

(١) ت ، ف : « بإهلاك مستحق » . (٢) ساقطة من ت ، د ، ف . (٣) ت ، د : « تكرار » . (٤) ساقطة من ف . (٥) ت ، ف : « لصحة » . (٦) في ت ، وحاشية الأصل : « ويكون كأنه قال تعالى : وإذا أردنا أن نهلك قرية مأموراً مترفوها كررنا القول عليهم ، وأعدنا الوعظ لهم ، وأمرناهم أن يفسقوا فيها ، فحق عليها القول . والله أعلم بالمراد » . (٧) في ت ، ق ، حاشية الأصل : « يمكن أن يتمحل « إذا » في الآية جواب ، وهو أن تحمل الفاء في قوله تعالى : ﴿ فَدَمَّرْنَاهَا ﴾ زائدة ، وتعمل « دمرنا » جواباً لإذا ، ولا خلاف في مورد الفاء زائدة في كلام العرب ؛ حكى ابن جني عن أبي علي قال : حكى أبو الحسن عنهم : « أخوك فوجد » بمعنى أخوك وجد . ومن ذلك قولهم : زيدا فاضربه ، وعمراناً كرم ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ ، ويكون معنى الآية على هذا إخباراً عن عزة الله تعالى وقدرته على جميع ما أراد تعالى . وحجة الفاء زائدة ، في بيت الكتاب :

لَا تَجْزِعِي إِنَّ مُنْفِسًا أَهْلَكَتُهُ وَإِذَا هَلَكْتُ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَاجْزِعِي
الفاء في « فاجزعي » زائدة .

لَهُمْ خَزَنَتُنَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٣-٧٤﴾ [الزمر: ٧٣-٧٤] ، ولم يأت « إذا » جواباً في طول الكلام للاستغناء عنه^(١) .

ويشهد أيضاً بصحة^(٢) هذا الجواب قول الهذلي :

حتى إذا أسلكتهم^(٣) في قَتَائِدَةٍ شَلًّا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَّالَةَ الشَّرْدَا^(٤) .
فحذف جواب إذا ، ولم يأت به ، لأن هذا البيت آخر القصيدة^(٥) .

والوجه الثالث : أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازاً أو اتساعاً وتنبهاً على المعلوم من حال القوم وعاقبة أمرهم ، وأنهم متى أمرُوا فاسقُوا وخالفوا ؛ وذكر الإرادة يجرى هاهنا مَجْرَى قَوْلِهِمْ : إذا أراد التاجر أن يفتقر أنته النوائب من كل جهة ، وجاءه الخسران من كل طريق ، وقولهم : إذا أراد العليل أن يموت خلط في مآكله ، وتسرع إلى كل ما تنوق .

(١) حاشية الأصل : « كأن التقدير : إذا جاءوها حضروها وفتحت ؛ أو هموا بدخولها ، وما أشبه ذلك ، والله أعلم » . (٢) كذا في الأصل ، حاشية ت (من نسخة) ؛ وفي ت ، ف : « لصحة » . (٣) د ، ف ، حاشية ت (من نسخة) : « سلكتهم » .

وسلك لغة في أسلك ، وأورده صاحب الكشاف بهذه الرواية عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ . (٤) حواشي الأصل ، ت ، د ، ف : « البيت لعبد مناف بن ربيع الهذلي ؛ في آخر قصيدته التي أولها :

مَاذَا يَفِيرُ ابْنَتِي رَبْعٌ عَوِيلُهُمَا لَا تَرَقْدَانِ وَلَا بُوسَى لِمَنْ رَقَدَا

قَتَائِدُ : موضع ، والجمالة : أصحاب الجمال ، كالبغلة والحمار ، وانتصاب « شلا » على المصدر ، ودل على فعل مضمر يحصل بظهوره جواب « حتى إذا سلكتهم » المتظر ، وتلخيصه : حتى إذا أسلكتهم هذا الموضع شلوم شلا ، يشبه طرد الفرد من الجمال إذا تزاغت على الماء ؛ وهذا كما يقال : طردوم طرد غرائب الإبل . ومعنى أسلكتهم جعلوا لهم مسلكا ، والسلك : إدخال شيء في شيء تسلك فيه ، ومنه ﴿ مَا سَلَكَكُمْ ﴾ . وروى أبو عبيدة : « الشرذ » (يفتح الشين والراء) ، وقال : تقول : إبل شرذ وجلب وطرد .

وانظر الكلام على هذا البيت في (ديوان الهذليين ٢ : ٤٢) ، وأدب السكاك ٤٢٤ ، والافتصاب (٤٠٢) . (٥) حاشية الأصل : « جواب الشرط جزء لا يتم المشروط دونه ؛ فإذا حذف كان

أهول للكلام ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ... ﴾ الآية ، وكقول القائل : لو رأيت عليا بصفين ، وكقولهم : لو ذات سوار لعنتي » .

إليه نفسه ؛ ومعلوم أن التاجر لم يُرد في الحقيقة شيئا ، ولا العليل^(١) أيضا ، لكن لما كان العلوم من حال هذا الخسران ، ومن حال هذا الهلاك حُسِنَ هذا الكلام ، واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه^(٢) . وكلام العرب وَخِي وإشارات واستعارات وبجازات^(٣) . ولهذا الحال كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة ؛ فإن الكلام متى خلا من الاستعارة^(٤) ، وجرى كله على الحقيقة كان بعيدا من الفصاحة ، بريئا من البلاغة ، وكلام الله تعالى أفصح الكلام .

[٢ ظ] / والوجه الرابع : أن تحصل الآية على التقديم والتأخير ؛ فيكون تلخيصها : إذا أمرنا متر في قرية بالطاعة فمضوا واستحقوا العقاب أردنا إهلاكهم ؛ والتقديم والتأخير في الشعر وكلام العرب كثير . ومما يمكن أن يكون شاهدا لصحة هذا التأويل من القرآن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ [المائدة : ٦] ، والطهارة إنما تجب قبل القيام إلى الصلاة ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَافِةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ [النساء : ١٠٢] ، وقيام الطائفة معه يجب أن يكون قبل إقامة الصلاة ؛ لأن إقامتها هي^(٥) الإتيان بجميعها على الكمال .

فأما قراءة مَنْ قَرَأَ الآيةَ بالتشديد فقال : ﴿ أَمَرْنَا ﴾^(٦) ، وقراءة مَنْ قَرَأَهَا بالمدِّ

(١) كذا في الأصل ، د ، وحاشية ت (من نسخة) ، وفي ت ، ف : « المريض » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « تصوير المجاز في الآية على أن التقدير : إذا قرب هلاك قرية أمرنا متر فيها فمضوا ؛ وكذلك قولهم : إذا أراد المريض ... التقدير : إذا قرب موت المريض خلط ، وكذلك التاجر إذا قرب افتقاره أتمه النواصب ؛ وهذا كقوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ ؛ أي يقرب أن ينقض ؛ وإنما كنى بالإرادة عن القرب في هذه المواضع لأن المريد للشيء ، المخلى بينه وبينه — ولا مانع هناك — ما أقرب ما يقع مراده ، والله أعلم » . (٣) حاشية الأصل : « الإرادة قد تستعمل في الجهاد فضلا عن العقلاء ؛ كقوله تعالى : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ ﴾ ؛ وكقول الراعي النميري :

فِي مَهْمَةٍ قَلِقَتْ بِهِ هَامَاتُهَا قَلَقَ الْفُؤُوسِ إِذَا أَرَدَنْ نُصُولَا

(٤) كذا في الأصل ، وحاشية ت (من نسخة) ، وفي ت : « وإن كان الكلام متى خلا من الاستعارة » ، وفي ف : « فإن كان الكلام متى خلا من الاستعارات » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « هو الإتيان » . (٦) هي قراءة شاذة ، عن أبي عثمان النهدي ، والليث عن أبي عمرو ، وأبان عن عاصم . (وانظر القراءات الشاذة لابن خالويه ٢٠) .

والتخفيف ، قال : ﴿ آمَرْنَا ﴾ ^(١) فلن يخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها ^(٢) ؛
إلا الوجه الأول ؛ فإن معناه لا يليق إلا بأن يكون ما تضمنته الآية هو الأمر الذي يُستدعى
به الفعل ^(٣) .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ ثُمَّ نَسِيَ لَقِيَّ اللَّهُ
تَعَالَى وَهُوَ أَجْذَمٌ » .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام ^(٤) مفسراً لهذا الحديث في كتابه غريب الحديث : الأجذم :
المقطوع اليد ، واستشهد بقول المتكلم ^(٥) :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفِّ لَه أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْذَمًا
وقد خطأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة ^(٦) أبا عبيد في تأويله هذا الخبر وقال : الأجذم وإن

(١) هي قراءة شاذة أيضاً ، عن خارجة عن نافع ؛ (وانظر المصدر السابق) .

(٢) حاشية الأصل : « قوله أمرنا ، بالتشديد : كثرنا ، وآمرنا ، بالتخفيف : جعلناهم أمراء ؛
وإن شئت فقل العكس من ذلك ، والصحيح العكس » . (٣) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) :
« يستدعى به إلى الفعل » .

(٤) هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، اللغوي الفقيه المحدث ، ولد بهراة ، ثم ذهب إلى بغداد ، ودرس
بها الأدب والحديث والفقه ، وولى القضاء بطرسوس ؛ وخرج منها إلى مكة ، وسكنها حتى مات سنة ٢٢٤ .
وص كتابه غريب الحديث جمع فيه ما في كتب أبي عبيدة وقطرب والأخفش والنضر بن شميل ، وذكر
أحاديث كل رجل من الصحابة على حدة . قال ابن الأثير : « جمع كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار ،
الذي صار أولاً ؛ وإن كان أخيراً ؛ لما حواه من الأحاديث والآثار الكثيرة والمعاني اللطيفة والفوائد الجليلة ؛
فصار فيه القدوة في هذا الشأن ، أفنى فيه عمره ؛ حتى إنه قل فيما يروى : لما جمعت كتابي هذا في
أربعين سنة ، وهو كان خلاصة عمري » . ومنه نسخة مصورة بدار الكتب المصرية منقولة عن نسخة
مخطوطة بمكتبة كبرى في بالاسناتنة . (وانظر إنباء الرواة ٣ : ١٢ - ٢٣ ، والنهاية لابن الأثير ١ : ٤١ - ٥٠ .
وكشف الظنون ١٢٠٤) . (٥) هو جرير بن عبد المسيح الضبي ، والبيت من قصيدة له أولها :

يُصَيِّرُنِي أُمِّي رَجَالًا وَلَا أَرَى أَخَا كَرَمٍ إِلَّا بِأَنْ يَتَكْرَمًا

وهي في (دبوانه ١٦٩ ، والأصمعيات ٦٤ - ٦٥ ، ومختارات ابن الشجري ٢٨ - ١٩) ؛ وخبر القصيدة
في (الخرزانه ٤ : ٢١٥ - ٢١٦) . (٦) هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ولد ببغداد ونشأ =

كان للقطوع اليد ؛ فإن هذا المعنى لا يابق بهذا الموضع . قال : لأن العقوبات من الله تعالى لا تكون إلا وقفا للذنوب وبحسبها ، واليد لا مدخل لها في نسيان القرآن ، فكيف تعاقب فيه ! واستشهد بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ [البقرة : ٢٧٥] ، وزعم أن تأويل الآية أن الربا إذا أكلوه ثقل في بطونهم ، وربا في أجوافهم ؛ فجعل قيامهم مثل قيام^(١) من يتخبطه الشيطان تمرأاً ونحشلاً . واستشهد أيضا بما روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « رأيت ليلة أُسرى بي قوماً تُقرضُ شِفَاهَهُمْ ، وكلما قُرِضَتْ وَفَتْ ، فقال لي جبريل : هؤلاء خطباء أمتك ، تُقرضُ^(٢) شِفَاهَهُمْ ؛ لأنهم يقولون مالا يفعلون » . قال : والأجذم في الخبر إنما هو المجذوم ؛ وإنما جاز أن يُسمى المجذوم أجذم ؛ لأن الجذام يقطع ١٠ أعضاء ويشذبها ؛ والجذم هو القطع .

[٣] قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : قد أخطأ الرجلان جميعا ، / وذهبا عن الصواب ذهبا بعيدا ، وإن كان غلط ابن قتيبة أخش وأقبح ؛ لأنه علل غلطه ، فأخرجه إلى أغاليط كثيرة ؛ ونحن نبين معنى الخبر ثم نتكلم على ما أورده .

أما معنى الخبر فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب في كلامها ؛ وإنما أراد عليه السلام بقوله : يحشر أجذم ؛ المبالغة في وصفه بالنقصان عن الكمال ، وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال . والتشبيه له بالأجذم من حسن التشبيه وعجبيه ؛ لأن اليد من الأعضاء الشريفة التي لا يتم كثير من التصرف ولا يوصل إلى كثير من المنافع إلا بها ؛ ففادها

== بها ، وأقام بالدينور مدة ففسب إليها ، وحدث ببغداد عن إسحاق بن راهويه وطيفته ، وروى عنه ولده أحمد وابن درستويه ؛ توفي سنة ٢٧٦ ؛ وكتابه في غريب الحديث ذكره ابن الأثير فقال : « فصنف كتابه المشهور في غريب الحديث والآثار ؛ حذا فيه حذو أبي عبيد ، ولم يودعه شيئا من الأحاديث المودعة في كتاب أبي عبيد ؛ إلا ما دعت إليه حاجة من شرح وبيان واستدراك ، فجاء كتابه مثل كتاب أبي عبيد أو أكبر » . (وانظر إنباء الرواة ٢ : ١٤٣-١٤٧ ، والنهاية لابن الأثير ١ - ٥ ، وكشف الظنون ١٢٠٤) . (١) ساقطة من ف . (٢) هكذا ضبطت بالقلم في الأصل ، وفوت ، ش : « تقرأ » بضم التاء وفتح الفاف وتشديد الراء المفتوحة .

يفقد ما كان عليه من الكمال، وتفوته النافع والرافق التي كان يحملُ يده ذريعةً إلى تناوُلها؛ وهذه حالُ ناسي القرآن ومضيعة^(١) بـمـدحفظه، لأنه يفقد ما كان لا يسأله من الجمال، ومستحقاً له من الثواب، وهذه عادة للعرب في كلامهم معروفة؛ يقولون فيمن فقدَ ناصره ومُعينه^(٢)؛ فلان بعد فلان أجْدَع، وقد بقيَ بعده أجْذَم؛ قال الفرزدق يَرْتِي مالِك بن مِسْمَع^(٣)؛
تَضْمَعُ طوداً وائلٍ بعد مالِكٍ وأصبحَ منها مَمِيسُ العزِّ أجْدَعاً^(٤) .
وإنما أراد المعنى الذي ذكرناه. وللعرب ملاحنُ في كلامها^(٥)، وإشارات إلى الأغراض، وتلويحات بالمعاني، متى لم يفهمها ويسرع إلى الفطنة بها من تعاطى تفسير كلامهم، وتناول خطابهم كان ظالماً نفسه، متعدياً طوره .

ونعود إلى الكلام على ما ذكره الرجلان؛ أما أبو عبيد فإن خطأه من حيث لم يَفْظُن للغرض في الخبر، وضلَّ عن وجهه، وإلا فالأجْذَم هو الأقطع لا محالة كما قال؛ إلا أنه لا يليق بهذا الموضع، وإذا حُمِلَ عليه لم يُفدْ شيئاً؛ وإن كانت^(٦) شبهته التي أوقعته في هذا التأويل ظنَّه أن ذلك يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن فليس كما ظن، لأنَّ الجْذَمَ^(٧) أولاً ليس بعقوبة؛ لأن الله تعالى قد يَجْذِمُ^(٨) أوليائه والصالحين من عباده، ويقطع أعضاءهم بالأمراض، وقد يبتدىء خلقَ مَنْ هو ناقص الأعضاء؛ فليس بلازم في الجْذَم أن يكون عقوبة. ثم لو كان يستحقُّ ناسي القرآن عقوبةً على نسيانه لكان حفظ القرآن بأسره فرضاً واجباً وحماً لازماً^(٩)؛ لأن العقوبة لا تستحق بترك ما ليس بواجب، وليس

(١) كذا ضبطت بالنم في الأصل، ت، وفي ش: «ومضيعة»، بكسر الصاد وبعدها ياء ساكنة .

(٢) في نسخة بمحاشيتي الأصل، ت: «ومغيته» .

(٣) هو مالِك بن مِسْمَع الجعدي؛ من بكر بن وائل، كان سيد ربيعة في زمانه، وتوفي سنة ٧٣ .

(٤) المعارف: ١٨٤، وجهرة الأنساب: ٣٠١، والإصابة ٦: ١٦٤ .

(٥) ديوانه: ٤١٤ . (٦) حاشية ف (من نسخة): «كلامهم» .

(٧) ت: «وإن كان» . (٨) حاشية ت (من نسخة): «الجْذَم» .

(٩) نسخة أبي السماعات الشجري: «يجْذَم» يضم الياء وفتح الجيم وتشديد الدال المسكورة؛

وضبطت في ت بالوجهين معاً، وفي حواشي الأصل، ت، ف: «الجْذَم القَطْع»، وقد جْذِمَ (بكسر الدال) (بكر الدال) يجْذِم جذماً فهو أجْذَم، أي مقضوع اليد .

(٩) حاشية الأصل: «الملازمة ممنوعة» .

حفظ جميع القرآن كذلك .

[٣ ظ] وأما ابنُ قتيبة فإنه غلط من حيث لم يفتن للوجه / في الخبر الذي ذكرناه ؛ من حيث ظنَّ أن العقوبة لا تسكون إلا في محلِّ الذنب ، وهذا القولُ يوجب عليه ألاَّ يُجْلَدَ ظهرُ الزاني ، وتختص العقوبة بفرجه ، وكذلك القاذف كان يجبُ أن يعاقب في لسانه دون سائر أعضائه ؛ والخبر الذي استشهد به حُجَّةٌ عليه ، لأننا نعلمُ أن اللسانَ أقوى خطأ في باب الكلام من الشفة ، فلمْ لمْ يُنْصَحْ بالعقوبة ^(١) وحلَّتْ بالشفاهِ دونه ؟ ثم غلطه في تأويل الآية التي أوردها أقبحُ من كل ما تقدَّم ؛ لأنه توهمَ أن ما تضمنته الآية من نخبِط آكلِ الربا وتمترُّه عند القيام إنما هو في الدنيا من حيث يثقل ما أكله في معدته فيمنعه من النهوض ؛ ونحن نعلم ضرورةً خلاف ذلك ، ونجدُ كثيراً من آكلِ الربا أخفَّ نهوضاً وأسرع قياماً ^{١٠} وتصرُّفاً من غيرهم ؛ ممَّنْ لمْ يأكل الربا قطُّ ؛ والمعنى في الآية ما ذكره المفسِّرون من أن ما وصفهم الله تعالى به يكونُ عند قيامهم من قبورهم ، فيلحقهم العثار والزَّلُّ والتَّخَبُّلُ على سبيلِ العقوبة لهم ، وليكونَ ذلك أيضاً أمانةً لمن يعاقبهم ^(٢) من الملائكة والخزنة على الفرق بين الوليِّ والعدوِّ ، ومستحقَّ الجنة ومستحقَّ النار . وليس بمعروف ولا ظاهرٍ أن الأجدَمَ هو المجذوم ؛ وردَّ ابن قتيبة معناه واشتقاقه إلى الجدَم الذي هو القطع يُوجب عليه ^{١٥} أن يكونَ كلُّ داءٍ يقطع الجسدَ ويفرِّق أوصاله ؛ كالجدري والأكلَّة ^(٣) وغيرها يسمَّى جذَماً ، ويسمى مَنْ كان عليه أجدَمٌ ، وهذا باطل .

وأما قول الشاعر ^(٤) :

حَرَّقَ قَيْسٌ عَلَى الْبَلَا دَحْتِي إِذَا اضْطَرَمْتُ أَجْذَمًا

فليس من هذا الباب ؛ بل هو من الإجدام الذي هو الإسراع ؛ فكأنه قال : لما اضْطَرَمْتُ

(١) ف : « فلمْ لمْ تُنْصَحْ بالعقوبة به » . (٢) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « ويعاينهم »

(٣) في نسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف : « الأكلَّة » ، بالكسر : الحسكة ، والأكلَّة ، بالضم :

اللقمة . (٤) هو الربيع بن زياد العبسي ، من أبيات في (الحماسة بشرح التبريزي ٢ : ٦١ - ٦٣) ،

واللسان (جذم) .

أسرع عني ، وتباعد مني . والإجذام ، بالذال المعجمة والذال غير المعجمة جميعا : الإسراع ؛
فأما قول عنترة في وصف الذئب^(١) :

هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكِيبُ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ
الْأَجْذَمُ مِنْ صِفَةِ الْمَكِيبِ^(٢) لَا مِنْ صِفَةِ الزَّنَادِ ؛ فَكَأَنَّهُ^(٣) قَالَ : قَدَحَ الْمَكِيبُ الْأَجْذَمَ
عَلَى الزَّنَادِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنِ التَّشْبِيهِ وَوَاقِعِهِ^(٤) .

مَسْأَلَةٌ

قال الشريف المرتضى قدس الله روحه : كَانَ بَعْضُ الشُّيُوخِ الْمُتَقَدِّمِينَ^(٥) يَقُولُ : لَيْسَ
بِمُتَمَنِّعٍ أَنْ يُمَكِّنَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الظُّلْمِ مَنْ / يَعْلَمُ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ يَرِذُ الْقِيَامَةَ غَيْرَ مُسْتَحِقٍّ [٤ و]
لشئ من الأعْوَاضِ ، أَوْ لِمَا يَوَازِي الْقَدْرَ الْمُسْتَحَقَّ عَلَيْهِ مِنْهَا ؛ فَإِذَا أَرَادَ الْإِتِّصَافَ مِنْهُ
تَفَضُّلٌ عَلَيْهِ بِمَا يَنْقُلُهُ إِلَى مُسْتَحِقِّ الْعَوَاضِ ، وَيَقُولُ : لَيْسَ هَذَا بِبَعِيدٍ وَلَا مُسْتَحِيلٍ ، لِأَنَّ
الْعَوَاضَ لَيْسَ يَخْتَصُّ بِصِفَةٍ تَمْنَعُ مِنَ التَّفَضُّلِ بِمِثْلِهِ ، وَلَا يَجْرِي فِي ذَلِكَ تَجَرُّى الثَّوَابِ .

(١) من المعلقة بشرح النبريزي ص ١٨٠ ، وقوله :

وَحَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَارِحٍ غَرْدًا كَفَعَلَ الشَّارِبِ الْمُتَرَّثِمِ

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « هذا من باب إجراء الصفة على غير من هي له ، كقولنا : مررت برجل
حسن غلامه . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « كأنه » . (٤) د ، م : « من أحسن التشبيه
وأولعه » ؛ وفي حواشي الأصل ، ب ، ف : « أكثر القال والقليل في هذا الحديث ، فقال بعضهم : الأجذم :
المقطوع اليد ، وقال آخرون : هو المجذوم . وفي معنى هذا الحديث سر ، ومعناه يتضح بالحديث الآخر الذي
روى عنه عليه السلام : إني تارك فيكم الثقلين ، أحدهما كتاب الله ، جبل ممدود من السماء إلى الأرض . . الحديث
فلما شبه الكتاب بالجبل الذي يتعلق به ، ويجعل سبباً للتوقي من الهلاك عبر عن تاركة والغافل عنه بالأجذم ،
ولأنما عبر بكلمة الأجذم الشنعة ، واللفظ المستكره لأنه إذا اتطاع الجبل لم يمكن أن يمسك ، وإذا كانت
اليدين جزماء أيضا لم يمكن الإمساك ، فأراد بذلك أث الإمساك غير حاصل ، لأمر يرجع إلى اليد المسكة لا إلى
الجبل لأن الجبل باق بحاله ؛ فهذا أحسن ، والله أعلم . ومعنى الذئبان هو ترك أحكامه ، والأخذ بمعارمه
وحدوده ؛ ولا يريد ذهاب الحفظ » . (٥) حاشية الأصل : « أبو القاسم البلخي » .

وهو أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي ، أحد شيوخ المعتزلة ، ورأس طائفة منهم
يقال لهم : الكعبية ، توفي سنة ٣١٧ . (ابن خلكان ١ : ٢٥٢) .

والمستقر من مذاهب الشيوخ - وهو الصحيح - أن الانتصاف لا يجوز أن يكون موقوفاً على ما يُتفضل به ؛ لأن الانتصاف واجب على الله تعالى من حيث خلق بين عباده وبين الظلم ، فلا يجوز أن يتعلق إلا بأمر واجب ، والتفضل لفاعله ألا يفعله ، فتقول الحال إلى تعذر الانتصاف . وقالوا : مَنْ يعلم الله تعالى أنه يرد القيامة - ولا أعواض له - بمنه من الظلم ، ولا يمكنه منه هذه العلة . ويجوزون^(١) أن يمكن من الظلم مَنْ يكون في الحال غير مستحق للعوض ، أو غير مستحق للتقدير الذي يوازى الظلم من العوض ، بعد أن يكون المعلوم من حاله أنه يرد القيامة وقد استحق من الأعواض ما يوازى ما عليه منها .

قال المرتضى : وهذا القول - نعى تجوز تمكين الظالم من الظلم ، وهو في الحال غير مستحق للعوض - يبطل بالعلة التي أبطلنا بها قول مَنْ أجاز الانتصاف بالتفضل ؛ لأننا نعلم أن تبيية المكلف وغير المكلف لا تجب ، وللقديم تعالى ألا يفعلها ، فلو لم يفعلها واخترم هذا الظالم بعد حال ظلمه لكان الانتصاف منه غير ممكن . وقد تعلق الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب ؛ كما علمته مَنْ قدمنا حكاية قوله بما ليس بواجب . وليس لهم أن يقولوا ذلك يحسن ؛ لأن الله تعالى يعلم أنه يُبقيهم فيستحق^(٢) أعواضاً ؛ لأن عليهم مثل ذلك إذا قيل لهم : فأجزوا أيضاً أن يرد القيامة وهو لا يستحق العوض ؛ ويعلم الله تعالى أنه يتفضل عليه بما يقع به الانتصاف .

فإذا قالوا : علم الله تعالى بأنه يتفضل ، لا يخرج التفضل من أن يكون غير واجب ؛ وقيل لهم : وعلم الله تعالى بأنه يُبقي مَنْ لا عوض له ليستحق العوض ، لا يخرج التبيية من أن تكون غير واجبة ، فاستوى الأمران .

والصحيح أن يقال : إنه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال ؛ ليستقيم الكلام ويترد .

(١) حاشية الأصل : « أبو هاشم وأصحابه » .

وهو أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي ، كان هو وأبوه من كبار أئمة المعتزلة ؛ ولهما مقالات على مذهب الاعتزال ؛ وكتب السلام مشحونة بمذاهبهما واعتقادهما ، توفي سنة ٣٢١ هـ ، (ابن خلكان

١ : ٢٩٢-٢٩٣) . (٢) ن ، وحاشية ف (من نسخة) : « ليستحق » .

مجلس آخر *

تأويل آية

قال الله تعالى^(١) : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ [ط] مِنْ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإبراء : ٨٥] .

وقد ظن قوم من غفلة الملحدين وجهلهم أن الجواب عما سُئِلَ عنه في هذه الآية لم يحصل ، وأن الامتناع منه إنما هو لفقد العلم به ، وأن قوله تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ تنكيت وتقرّيع لم يقم موقعهما ؛ وإنما هو^(٢) على سبيل المحاجة والدافعة .
عن الجواب .

وفي هذه الآية وجوه من التأويل تُبطل ما ظنوه ، وتدلّ على ما جهلوه ؛ أولها : أنه تعالى إنما عدل عن جوابهم لعلهم بأنّ ذلك أدعى لهم إلى الصلاح في الدين ، وأن الجواب لو صدر منه إليهم لازدادوا فساداً وعناداً ؛ إذ كانوا بسؤالهم متعنّتين^(٣) لا مُستفيدين ؛ وليس هذا بمنكر ؛ لأننا نعلم في كثير من الأحوال ممن^(٤) يسألنا عن الشيء أن العدول^{١٠} عن جوابه أولى وأصلح في تدبيره .

وقد قيل إن اليهود قالت لكفار قريش : سلوا محمداً ؛ عن الروح فإن أجابكم فليس بنبي ؛ وإن لم يجيبكم فهو نبي ؛ فإننا نجد في كتبنا^(٥) ذلك ؛ فأمره الله بالعدول عن ذلك ليكون علماً له ودلالة على صدقه ، وتسكدياً لليهود الرادّين عليه ؛ وهذا جواب أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي^(٦) .

١٥

* ف : « مجلس ثان » ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « هذا المجلس مما افتتح به الكتاب ، على ما وجد في بعض النسخ » . (١) ف : « إن سأل سائل عن قوله تعالى » . (٢) ف : « هما » . (٣) في ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « معتنن » ، وفي حاشية ف : « أعنت : أتى بالعنت » . (٤) في ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « فيمن » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « كتابنا » . (٦) حاشية ف : « أبو علي من قرية يقال =

وثانيها أن القوم إنما سألوه عن الروح : هل هي محدثة مخلوقة أو ليست ^(١) كذلك ؟ فأجابهم إنها من أمر ربى ، وهو جوابهم عما سألوه ^(٢) عنه بعينه ؛ لأنه لا فرق بين أن يقول في الجواب : إنها محدثة مخلوقة ، وبين قوله إنها من أمر ربى ؛ لأنه إنما أراد أنها من فعله وخلقه ، وسواء على هذا الجواب أن تكون الروح التي سألوا عنها هي التي بها قوام الجسد أم عيسى عليه السلام ، أم جبرئيل صلى الله عليه . وقد سمى الله تعالى جبرئيل روحاً ، وعيسى أيضاً مسمى بذلك في القرآن .

وثالثها أنهم سألوا عن الروح الذي هو القرآن ، وقد سمى الله القرآن روحاً في مواضع من الكتاب ؛ وإذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه ، لأنه قال لهم : الروح ^(٣) الذي هو القرآن من أمر ربى ، ومما ^(٤) أنزله على نبيه صلى الله عليه ؛ ليجعل له دلالة ١٠ وعلماً على صدقه ، وليس من فعل المخلوقين ، ولا يمتن بدخل في إمكانهم ؛ وهذا جواب الحسن البصرى .

[هـ و] ويقويه قوله / تعالى بعد هذه الآية : ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَمَذْهَبَ الْبَاقِيْنَ بِالَّذِي آوْهَيْنَا إِلَيْكَ ، ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ . [الإسراء : ٨٦] . فكانه قال تعالى : إن القرآن من أمرى وفعلى ^(٥) ومما أنزلته علماً على نبوة رسولى ، ولو شئت لرفعتُه وأزلتُه ١٥ وتصرفتُ فيه ؛ كما يتصرف الفاعل فيما يفعله .

لها جباء ؛ وهي من رستاق كارور من ناحية الأهواز ، ويقال لأهل هذه الناحية الربيعيون ؛ لأنهم كانوا استنفروا ليقاتلوا الحسين عليه السلام ، فجاءوا وقد فرغ من أمره ، فقتلوا الأجرة ، فقال ابن زياد : لأنكم لم تلبوا بلاء ، وأعطى كل واحد منهم ربح دينار . قال دامت أيامه : أخبرنى بذلك العراقى العلوى البصرى . وكانت وفاة أبى على هذا فى سنة ٣٠٦ . (وانظر ترجمته فى ابن خلكان : ٤٨٠-٤٨١) .

(١) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « أم ليست » . (٢) ت ، ف : « سألو عنه » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « إن الروح » . (٤) ش : « وما أنزله » .

(٥) حاشية الأصل : « ليس فى الآية دليل على قوله : " وفعلى " ؛ كذب هذا الشيخ عبد الرحيم

البغدادى رحمه الله على حواشى نسخة السيد الإمام » .

فصل

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : قال أبو مسلم محمد بن بحر الأصبهاني^(١) في قوله تعالى : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾. [الحجر : ١٩] ؛ قال : إنما خصّ الموزون دون الكيل بالذِّكر لوجهين :

أحدهما أن غاية الكيل تنتهي إلى الوزن لأن سائر الكيلات إذا صارت طعاما دخلت في باب الوزن وخرجت عن باب الكيل ؛ فكان الوزن أعم من الكيل .
والوجه الآخر أن في الوزن معنى السكيل ؛ لأن الوزن هو طلب مساواة الشيء بالشيء ومقايسته إليه ، وتعديله به ؛ وهذا المعنى ثابت في الكيل ، فخصّ الوزن بالذِّكر لاشتماله على معنى السكيل .

هذا قول أبي مسلم ، ووجه الآية وما يشهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه أبو مسلم ، وإنما أراد تعالى بالموزون المقدّر الواقع بحسب الحاجة ؛ فلا يكون ناقصاً عنها ، ولا زائداً عليها زيادة مضرّة أو داخلية في باب العبث . ونظير ذلك من كلامهم^(٢) قولهم : كلام فلان^(٣) موزون ، وأفعاله مقدّرة موزونة ؛ وإنما يراد ما أشرنا إليه ، وعلى هذا المعنى تأوّل المفسرون ذكر الموازين في القرآن على أحد التأويلين ، وأنها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب ، قال الشاعر^(٤) :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْخَوَاشِي لَا هَرَاءَ وَلَا نَزْرُ
والهَرَاءُ : الكثير ، والنَزْر : القليل ؛ فكأنه قال : إن حديثها لا يقل عن الحاجة

(١) كان أبو مسلم الأصبهاني على مذهب المعتزلة ؛ وصنف التفسير على طريقتهم ، وتوفى سنة ٣٧٠ .
(٢) لسان الميزان ٥ : ٨٩٠ . (٢) ش : « في كلامهم » .
(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « زيد » .
(٤) في م ، وحاشيتي الأصل ، ف : « وهو ذو الرمة » ؛ والبيت في ديوانه : ٢١٢ .

ولا يزيدُ عليها ؛ وهذا يجرى بجرى أن تقول : هو موزون . وقال مالك بن أسماء
ابن خارجة الفزاري^(١) :

وحدث الله هو مما ينمّت الناعتون يؤزن وزنا^(٢)
منطق صائب وتلحن أحياء نأخير الحديث ما كان لحنًا

[٥ ظ] وهذا الوجه الذي ذكرناه أشبه بمراد الله تعالى في الآية ، وأليق بفصاحة القرآن /
وبلاغته الموفيتين^(٣) على فصاحة سائر الفصحاء وبلاغتهم ؛ فأما قول الشاعر الذي استشهدنا
بشعره : « وتلحن أحيانا » فلم يرد اللحن في الإعراب الذي هو ضد الصواب^(٤) ؛ وإنما أراد
الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الإفصاح عنه ؛ على معنى قوله تعالى :
﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ . [عمد : ٣٠] ، وقول الشاعر^(٥) :

ولقد وحيث لكم لكيما تفتنوا ولحنت أحنأ ليس بالمرتاب^(٦) ١٠

وقد قيل : إن اللحن الذي غني في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم ؛ على ما روى عن

(١) هو مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري ؛ شاعر إسلامي غزل . (الشعر والشعراء

. (٧٥٨-٧٥٦) .

(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « حديث معطوف على كلام قبله ؛ أي لها وجه ، ولها حياة ، ولها
حديث ، أو مثل ذلك . وقوله : « الله » ، أي أعتلده ؛ يقال : لذت به ولذذته ، وقوله : « مما ينمت
الناعتون » ، أي مما ينمته الناعتون . وقوله : « مما يؤزن وزنا » ، أي موزونا ، فهو في موضع الحال .
(٣) حاشية الأصل : « الموفيتين : المشرفين » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « المسألة محتملة لأنه يريد بالحن ضد صواب الإعراب ؛
لأن مقابل المنطق الصائب الملحون ، واللحن من القوائى والفتيات غير مستكره ولا منكر ، بل قد
يستحب ذلك منهن ؛ لأنه بالتأنيث أشبه ، وللمشهوة أدعى ، ومع الغزل أخرى ؛ والإعراب جدد ، وليس الجدد
من التعشق والتغزل بشيء » ، ثم ما الموجب لأن يتم عمل البيت وجه يسلبه حسن الطباق ؟ ولو أراد به الملاحنة
التي هي الفطنة لكان ملقبا بذكر اللحن ؛ لأن اللحن في هذا المعنى صائب ، فيذهب الاتساق بذهاب الطباق ؛
فبان لك أن المعنى هو اللحن الذي يضاد صواب الإعراب وإقامته ؛ وإن كان كذلك المعنى الثاني محتملا .

(٥) هو القتال الكلامي ؛ والبيت في (الأمالي ١ : ٥ ، واللسان - لحن) ، وقبله :

هل من معاشر غيركم أدعوهم فلقد سئمت دعاء يالكِلاب!

(٦) حاشية الأصل : « الوحي : الإشارة والرسالة والكلام الخفي ؛ يقال : وحيث إليه في الكلام ، =

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لَمَلَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ الْحَنُّ بِحِجَّتِهِ » أى أفطن لها ، وأغوص عليها .

ومما يشهد بما ذكرناه ما أخبرنا به أبو غبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني^(١) قال حدثنا أحمد بن عبد الله المسكري قال حدثنا العنزي قال حدثنا علي بن إسماعيل الزيدى قال أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال : تكلمت هند بنت أسماء بن خارجة فلعنت ، وهى عند الحجاج ، فقال لها : أتلعنين وأنت شريفة فى بيت قيس؟! فقالت : أما سمعت قول أخى مالك لامرأته الأنصارية؟ قال : وما هو؟ قالت : قال^(٢) :

مَنْطِقُ صَائِبٍ وَتَلَحُّنُ أَحْيَا نَا وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنًا

فقال لها الحجاج : إنما عنى أخوك اللحن فى القول ؛ إذا كنى المحدث عما يريد ، ولم يَمْنِ اللحن فى العربية^(٣) ، فأصاحى لسانك .

وقد ظن عمرو بن بحر الجاحظ مثل هذا بعينه وقال : إن اللحن مستحسن^(٤) فى النساء الفرائز^(٥) ، وليس بمستحب منهن كل الصواب والتشبه بفحول الرجال ، واستشهد بأبيات مالك بعينها ، وظن أنه أراد باللحن ما يخالف الصواب^(٦) . وتبعه على هذا النلط عبد الله ابن مسلم بن قتيبة الدينورى ، فذكر فى كتابه المعروف بعيون الأخبار^(٧) أبيات الفزارى ، واعتذر بها من لحن إن أصيب فى كتابه .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وأخبرنا المرزباني قال أخبرنى محمد بن يحيى

== وأوجب معنى ؟ وقوله : المرتاب ، يجوز أن يكون المرتاب مصدرا كالارتباب ، ويجوز أن يكون مفعولا ، والتقدير : ليس بالمرتاب فيه . (١) هو أبو غبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني الكاتب صاحب كتاب الموشع ومعجم الشعراء وغيرهما من المصنفات ؛ روى عن ابن دريد وطبقته ، وكان مائلا إلى التشيع ، وهو أحد شيوخ الشريف المرتضى ؛ توفي سنة ٣٨٤ . (ابن خلكان ١ : ٥٠٧-٥٠٨) .
(٢) حاشية ت (من نسخة) : « قوله » . (٣) فى نسخة بجواشى الأصل ، ت ، ف : « الإعراب » . (٤) فى ت ، ونسخة بحاشية الأصل : « من النساء » .
(٥) حاشية الأصل : « جمع غريبة ؛ وهى التى لم تجرب الأمور » . (٦) الخبر فى (البيان والتبيين ١ : ١٤٧) . (٧) عيون الأخبار ٢ : ١٦١ .

الصُّوْلَى قال حدثني يحيى بن علي المنجّم قال حدثني أبي قال : قلت للجاحظ : مثلك في عقلك وعلمك بالأدب يُنشِد قولَ الفَزَارِيِّ ويفسّره على أنه أراد اللحنَ في الإعراب ! وإنما أراد وصفها بالظَّرْفِ والفِطْنَةِ وأنها تُورِي^(١) بما قصدتُ له وتَنَكَّبُ التصريحَ به ، فقال له : قد فطِنتُ لذلك بعد ، فقلت^(٢) : فنيّرهُ من كتابك ، فقال : فكيف بما سارت به الركبان ! قال الصُّوْلَى : فهو في كتابه على خطئه .

[١٦] / ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية ما أخبرنا به أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال : حدثنا محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ الأزدي أن رجلاً من بني العنبر حصل أسيراً في بكر بن وائل ، فسألهم رسولاً إلى قومه فقالوا : لا تُرسلْ إلا بحضرتنا ؛ لأنهم كانوا عزموا على غزو قومه ، فخافوا أن يندرهم ؛ فجاء بعبداً أسود ، فقال له : أتَعْقِلُ ؟ قال : نعم ؛ إني لما قل ، قال : ما أراك عاقلاً ، وأشار بيده إلى الليل فقال : ما هذا ؟ فقال : هذا الليل ، قال : أراك عاقلاً ، ثم ملا كَفَيَّةً من الرَّمْلِ فقال : كم ؟ فقال : لا أدرى وإنه لكثير . فقال : أيّما أكثر ؟ النجوم أم النيران^(٣) ؟ فقال : كلٌّ كثير ، فقال : أبلغ قومي التحية ، وقل لهم : ليكرّموا فلاناً - يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر - فإن قومه لي مُكرمون ، وقل لهم : إن العرفج قد أدبني^(٤) ، وشكّت النساء ؛ وأمرهم^(٥) أن يُعروا ناقتي الجراء فقد أطلّوا ركوّتها ، وأن يرّكبوا جملي الأصهب^(٦) ، بآية ما أكلت ممكم حبساً ، واسألوا عن خبري أخي الحارث .

فلما أدّى العبد الرسالة إليهم قالوا : لقد جُنَّ الأعور ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملاً أصهب ، ثم سرّحوا العبد ، ودعوا الحارث فقصّوا عليه القصة ، فقال : قد أنذركم ،

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « نوري عما قصدت » . (٢) حاشية الأصل

(من نسخة) : « قلت » . (٣) م : « أم التراب » . (٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « العرفج :

جنس من الشوك ، وأدبى الرمث إذا أشبه ما يخرج من ورقه الدبا ، والدبا : صغار الجراد ؛ وحيث يصليح أن

يؤكل ، والرمث : من مراعى الإبل ؛ وهو من الحمض » . (٥) في نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف :

« ومرهم » . (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « الأصهب : ما اختلط البياض بحمرته » .

أَمَّا قَوْلُهُ : « أَذْبَى الرَّفَجُ » يريد أن الرجال قد استلأوا ولبسوا السلاح ، وقوله : « شَكَّتِ النِّسَاءُ » ؛ أي اتَّخَذْنَ الشُّكَا ، ^(١) للسَّفَر ، وقوله : « الناقاة الحمراء » ، أي ارتحلوا عن الدُّهْناء . وَاَرَكَبُوا الصَّعْمَانَ ^(٢) ؛ وهو الجمل الأصهب ^(٣) . وقوله : « أَكَلْتُ مَعَكُمْ حَيْسًا » يريد أخلاطاً من الناس قد غَزَوْكُمْ ، لأن الحَيْسَ يجمع التمر والسمن والأقِطَ . فامتلأوا ما قال ، وعرفوا لَحْنَ كَلَامِهِ .

تَأْوِيلُ خَبَرِ *

رَوَى أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ فِي كِتَابِهِ غَرِيبَ الْحَدِيثِ ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٤) أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ؛ فَلَيْسَتْ مَعَهُ ^(٥) لَافَقَرٌ جَلِيَابًا ، أَوْ تَجَفَّافًا ^(٦) » .

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : قَدْ تَأَوَّلَ بَعْضُ النَّاسِ هَذَا الْخَبَرَ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْفَقْرَ فِي الدُّنْيَا ، قَالَ : وَلَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّا نَرَى فِيمَنْ يُحِبُّهُمْ مِثْلَ مَا نَرَى فِي سَائِرِ النَّاسِ ، مِنَ الْغِنَى وَالْفَقْرِ ، وَلَا تَمِيزَ ^(٧) بَيْنَهُمَا ، قَالَ : وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ أَرَادَ الْفَقْرَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَخْرَجَ الْكَلَامَ مُخْرَجَ ١٠ الْمَوْعِظَةِ وَالنَّصِيحَةِ وَالْحَثِّ عَلَى الطَّاعَاتِ ، فَكَأَنَّهُ أَرَادَ : مَنْ أَحَبَّنَا فَلَيْسَتْ لِفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا يَجْبُرُهُ ^(٨) مِنَ الثَّوَابِ ، وَالْقُرْبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَالزَّلَفَ ^(٩) عِنْدَهُ .

(١) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « جَمْعُ شَكْوَةٍ ، وَهِيَ الْقَاءُ الْمَغْبُورَةُ » . (٢) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « الدُّهْنَاءُ : هِيَ أَرْضٌ فِي بِلَادِ تَمِيمَ ، يَمُدُّ وَيَقْصُرُ . وَالصَّعْمَانُ : أَسْلُهُ الْأَرْضِ الْغَلِيظَةُ ، وَالصَّعْمَانُ : مَوْضِعٌ إِلَى جَنْبِ رَمْلٍ عَالِجٍ ، وَقَالَ :

حَتَّى أَتَى عِلْمَ الدُّهْنَاءِ يُوَاعِصُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّعْمَانِ مَا جَسَمُوا

قَوْلُهُ : « يُوَاعِصُهُ » ، مِنَ الْوَعَاءِ ، وَهِيَ الرَّمْلُ ، وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ مَوَاعِصًا آخِذًا فِي الْإِثْنِ مِنَ الْأَرْضِ ، وَقَوْلُهُ : « مَا جَسَمُوا » يَعْبُورُ أَنْ تَكُونَ « مَا » اسْتِفْهَامِيَّةً ، وَيَعْبُورُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى الَّذِي ؛ وَفِي كَلَامِ الْوُجْهِينَ يَكُونُ نَصْبًا لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ « أَعْلَمُ » مِنَ الْفِعْلِ . (٣) حَاشِيَةُ ف : « أَرَادَ بِالصَّعْمَانِ الْأَرْضَ ؛ وَكَتَبَ عَنْهَا بِالْجَمَلِ الْأَصْهَبَ » . (٤) ف : قَبْلَ هَذَا الْعَنْوَانِ : « بِمَجْلَسِ آخِرٍ » . (٥) ت : « صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ » . (٦) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « فَلَيْسَتْ » . (٦) التَّجَفَّافُ ؛ بِكسر الهمزة وَفَتْحِهَا : مَا يَجْلُلُ بِهِ الْفَرَسُ مِنْ سِلَاحٍ وَآلَةٍ تَقِيهِ الْجِرَاحَ ، وَقَدْ يَلْبِسُهُ الْإِنْسَانُ أَيْضًا . (٧) ت : « وَلَا تَمِيزُ » ، وَفِي ف ، وَحَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « وَلَا تَمِيزُ » . (٨) فِي ف ، وَنَسْخَةُ بِحَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ت : « مَا يَجْبُرُهُ » . (٩) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : « الزَّلَفُ » .

[٦ ط] قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن / قتيبة : وجه الحديث خلاف ما قاله أبو عبيد ، ولم يُرد إلا الفقر في الدنيا ؛ ومعنى الخبر أن مَنْ أَحَبَّنَا فليصبرْ على التَّقَلُّلِ مِنَ الدُّنْيَا والتقنُّعِ فيها ، وليأخذْ نفسه بالكَفِّ عن أحوال الدنيا وأعراضِها ؛ وشبه الصبر على الفقر بالتَّجفاف أو الجَلْبَاب ؛ لأنه يسترُ الفقر كما يستر الجلباب أو التَّجفافُ البدن . قال : ويشهدُ لصحة هذا التأويل ما رُوي عنه عليه السلام أنه رأى قوماً على بابهِ ، فقال : يا قنبر ، مَنْ هؤلاء ؟ فقال له قنبر : هؤلاء شيعةُك ، فقال : مالي لا أرى فيهم شيئاً ^(١) الشيعة ؟ قال : وما سِبا الشيعة ؟ قال : تُخسُّ البطون من الطَّوَى ، يُنس الشَّقاء من الظُّلْمَا ، عُش العيون من البكا ؛ هذا كله قول ابن قتيبة .

والوجهان جميعاً في الخبر ^(٢) حَسَنان ؛ وإن كان الوجه الذي ذكره ابن قتيبة أحسن ١٠ وانصَح ^(٣) .

ويمكن أن يكون في الخبر وجهٌ ثالثٌ تشهد بصحته اللغة ؛ وهو أن أحدَ وجوه معنى لفظة الفقر أن يُحزَّ أنفُ البعير حتى يَخْلُصَ إلى العِظْمِ أو قريبٍ منه ، ثم يُلَوَّى عليه حَبْلٌ ، يُذَلِّلُ بذلك الصَّعْبَ ، يقال : فَقرَه يَفقرُه فَقراً إذا فَعَلَ ذلك به ، وبعيرٌ مُفَقَّرٌ وبه فَقرَةٌ ، وكلُّ شيءٍ حَزَزَتْ فيه فَقَرَتْه فَقَرَّتُهُ تَفْقيراً ؛ ومنه سُمِّيَتِ الْفَاقِرَةُ ^(٤) ، وقيل سيفٌ مُفَقَّرٌ ^(٥) ؛ فيَحْمَلُ ^(٦) القولُ على أنه عليه السلام أراد ^(٧) : مَنْ أَحَبَّنَا فَلْيَزِمْ نَفْسَهُ وَلِيَخْطِمْهَا وليَقْدِّمْهَا إلى الطاعات ، وَيَضْرِبْهَا عَمَّا تَمِيلُ طِبَاعُهَا إِلَيْهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وليَذِلِّهَا على الصَّبرِ عما كَرِهَ مِنْهَا ، ومشقةٌ ما أريدُ مِنْهَا ^(٨) ؛ كما يُفَعَّلُ ذلك بالبعير الصَّعْبُ ؛ وهذا وجهٌ في الخبر ثالثٌ لم يذكر ، وليس يجب أن يُستبعدَ حملُ الكلام على بعض ما يَحتمَلُه إذا كان له شاهدٌ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « سببها » ، وفي حاشية الأصل : « سببها وسببها بمعنى » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « في هذا الخبر » . (٣) في حاشية الأصل ، ف : « انص »

الحضاب ، أي لم وصار سواده برافاناصاً . (٤) حاشية الأصل : « الفاقة : الداهية ؛ وإنما سُميت بذلك لأنها كاسرة فقار الظهر ، من قولهم فقره ، إذا أصاب فقار ظهره » . (٥) في حاشية الأصل ، ف : « السيف المفقر : الذي في مثنه حروز أي خطوط منقورة » .

(٦-٦) ت : « فيحمل القول أن يكون عليه السلام أراد » . (٧) ط ، م : « بها »

من اللغة وكلام العرب ؛ لأن الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام والشعر أن يذكر كل ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني ؛ فيجوز^(١) أن يكون أراد المخاطب كل واحد منها منفرداً ، وليس عليه العلم بمراده بعينه ؛ فإن مراده مغيّب عنه ، وأكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام .

فصل

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وممن كان من مشهورى الشعراء ومتقدميهم على مذاهب أهل العدل ذو الرمة ؛ واسمه غيلان بن عتبة ، وكُنيتُه أبو الحارث ، وذو الرمة / [٧ و] لقبٌ لقب به لبيت قاله ، وهو قوله في حفة الويد :

* أشعت^(٢) باقى رمة التقليد *

والرمة : القطعة البالية من الحبل ؛ يقال : حبل أرمام ؛ إذا كان ضعيفاً بالياً ؛ وقيل إنه إنما لقب بذى الرمة لأنه كان وهو غلام يتفرع ، فجاءته أمه بمن كتب له كتاباً وعلقته عليه برمة من حبل ؛ فسمي ذا الرمة .

ويشهد بمذهبه فى العدل ما أخبرنا به أبو عبيد الله محمد بن عمران المرباني قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو عثمان الأشناداني عن التوزي عن أبي عبيدة قال : اختصم رؤبة وذو الرمة عند بلال بن أبي بردة ، فقال رؤبة : والله ما فتح طائر أفحوصاً ، ولا تقرم ص سبع قرموصاً^(٣) إلا بقضاء من الله وقدر ؛ فقال له ذو الرمة : والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة^(٤) عيايل^(٥) ضرائك ؛ فقال رؤبة : أفقدرته أكلها ؛ هذا كذب

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ويجوز » . (٢) حاشية الأصل : « بكسر الهمزة ؛ لأن قبله :

* وغير مشجوج القفا موتود * أشعت

وفي حاشية ف : « رمة التقليد ؛ أى الرمة التى يحى منها تقليد الوتديها » ، والبيت فى ديوانه :
١٥٥ . (٣) فى حاشيتى الأصل ، ف « تقرم ص ؛ أى اتخذ قرموصاً ، وهو الموضع الذى يأوى إليه » . (٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الحلوبة : التى بها لبن يحلب ؛ وأكثر ذاك فى النوق ، وقد تستعمل فى غيرها » . (٥) فى حاشيتى ث ، ف : « عيال الرجل : من يعوله ، وواحد العيال عيل ، مثل جبد وجباد وجياند . والضربك : الضرب البأس الفقير ؛ ولا يصرف له فعل ، ولا يقال : ضربه بمعنى ضربه ؛ والجمع ضرائك وضركاء » .

على الذنب ثانٍ^(١) ، فقال ذو الرُّمَّة : الكذب على الذُّب خير من الكذب على ربِّ الذُّب .
وهذا الخبر صريح في قوله بالمدل واحتجاجه عليه ، وبصيرته فيه ؛ فأما الميائل فهو
جمع عَيْل ، وهو ذو العيال . والضرائك : جمع ضريك وهو الفقير .

قال الشريف المرتضى رضي الله عنه : وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا أحمد
ابن محمد المكي عن أبي العيناء عن الأصمعي عن إسحاق بن سويد قال : أنشدني
ذو الرُّمَّة :

وعينان قال الله كونا فكانتا فمولان بالألباب ماتفعل الخمر^(٢)

فقلت له : « فمولين » خبر الكون ، فقال لي : لو سبَّحت ربِّحت ، وإنما قلت : « وعينان
فمولان » وصفتهما بذلك . وإنما تخرَّز ذو الرُّمَّة بهذا الكلام من القول بخلاف المدل .

وقد روى هذا الخبر على خلاف هذا الوجه ؛ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني
أحمد بن خالد النحاس^(٤) قال حدثني^(٥) محمد بن القاسم أبو العيناء قال حدثنا الأصمعي
قال : لما أنشد ذو الرُّمَّة قوله :

وعينان قال الله كونا فكانتا فمولين بالألباب ماتفعل الخمر

— وهو يريد : كونا فكانتا فمولين حيث كانتا^(٦) — قال له عمرو بن عبيد^(٧) : ويحك ! قلت

١٥ عظيما ، فقل : « فمولان بالألباب » ، فقال له ذو الرُّمَّة ، ما أبالي : أقلت هذا أم سبَّحت ، فلما
علم بما ذهب إليه عمرو قال : سبحان الله ! لو عנית ما ظننت كنتُ جاهلا .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله « ثان » لا يعني أنه كذب على الذنب مرتين ؛ وإنما المعنى : إنك
كاذب على الخلق في أن أفعالهم ليست بغشاء من الله وقدر ؛ لأنه وإن ذكر الطائر والسمك ؛ فإنه يعني به الخلق ؛
ثم لما ذكر ذو الرمة الذنب قال رؤية : هذا كذب على الذنب ثان لذلك الكذب الأول الذي
استشهدت عليه بالطائر والسمك . (٢) ديوانه : ٢١٣ .

(٣) الخبر في (الأغاني ١٦ : ١١٧) ، وفيه : « لوفلت : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ،
والله أكبر ؛ كان خيرا لك » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « النحاس » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « حدثنا » . (٦) ت « خبر كانتا » ، ولعله تحريف .

(٧) حاشية الأصل : « كان معتزليا عدليا » .

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : وَمِمَّنْ رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْعَدْلِ مِنْ
شُعْرَاءِ الطَّبَقَةِ الْأُولَى أَعْنَى^(١) قَيْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ، وَاسْتَشْهَدَ بِقَوْلِهِ :

اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْعَدْلِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَ^(٢)

وَمِمَّنْ قِيلَ إِنَّهُ كَانَ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْجَبْرِ مِنَ الشُّهُورِيِّينَ أَيْضًا لَبِيدُ بْنُ رَيْمَةَ الْعَامِرِيُّ ،
وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِهِ :

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفْلًا وَيَأْذَنُ اللَّهُ رَبِّي وَعَجَلَ^(٣)

مِنْ هِدَاةِ سُبُلِ الْخَيْرِ اهْتَدَى نَاعِمَ الْبَالِ وَمَنْ شَاءَ أَضَلَّ

وَإِنْ كَانَ لَا طَرِيقَ^(٤) إِلَى نَسَبِ الْجَبْرِ إِلَى مَذْهَبِ لَبِيدٍ إِلَّا هَذَانِ الْبَيْتَانِ فَلَيْسَ فِيهِمَا دِلَالَةٌ عَلَى

ذَلِكَ ، أَمَا قَوْلُهُ :

* وَيَأْذَنُ اللَّهُ رَبِّي وَعَجَلَ *

١٠

فِيحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ : بَعْلَهُ ؛ كَمَا يَتَأَوَّلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا ﴾

﴿ يَأْذَنُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؛ أَيْ بَعْلَهُ ، وَإِنْ قِيلَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ، إِنَّهُ أَرَادَ : بِتَخْلِيَّتِهِ وَتَعَمُّكَيْهِ ،

وَإِنْ كَانَ لَا شَاهِدَ لَذَلِكَ فِي اللُّغَةِ أَمْكَنَ مِثْلُهُ فِي قَوْلِ لَبِيدٍ ؛ فَأَمَّا قَوْلُهُ : « مَنْ هِدَاةِ اهْتَدَى وَمَنْ

شَاءَ أَضَلَّ » فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَصْرُوفًا إِلَى بَعْضِ الْوُجُوهِ الَّتِي يَتَأَوَّلُ عَلَيْهَا الضَّلَالُ وَالْهَدَى

الْمَذْكُورَانِ فِي الْقُرْآنِ ؛ مِمَّا يَلِيقُ بِالْعَدْلِ وَلَا يَمْتَنِضِي الْإِجْبَارَ ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَذْهَبُ ١٥

لَبِيدٍ فِي الْإِجْبَارِ مَصْرُوفًا بِغَيْرِ هَذِهِ الْآيَاتِ ؛ فَلَا يُتَأَوَّلُ لَهُ هَذَا التَّأْوِيلُ ؛ بَلْ يَحْتَمِلُ مَرَادُهُ عَلَى

مُوَافَقَةِ الْمَعْرُوفِ مِنْ مَذْهَبِهِ .

(١) حاشية الأصل : « قَيْلَةُ الْأَعْنَى » .

(٢) ديوانه ١٥٥ ؛ وَفِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « اسْتَأْثَرَ اللَّهُ ؛ تَعَمُّدًا مَعَ الْبَاءِ ؛ يُقَالُ : اسْتَأْثَرَ

اللَّهُ بِهِ » . (٣) ديوانه : ٣٩ . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « لَا سَبِيلَ » .

مَسْأَلَةٌ

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : اعلم أن أصحابنا لما استدّلوا على نفى الرؤية بالأبصار عن الله تعالى بقوله : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] ، وبينوا أنه تعالى تمدّح بنى الإدراك^(١) الذى هو رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع إلى ذاته ؛ فيجب أن يكون فى ثبوت الرؤية له فى وقت من الأوقات نقص وذم . قال لهم مخالفوهم : كيف يتمدّح بأنه لا يرى ، وقد يشاركه فى نفي الرؤية ما ليس بمدح ؛ كالمدومات والإرادات والاعتقادات ؟ فقالوا لهم : لم يتمدّح تعالى بنى الرؤية فقط ، وإنما تمدّح بنى الرؤية عنه وإثباتها له ، فتمدّحه بمجموع^(٢) الأمرين ؛ وليس يشاركه فى هاتين الصفتين مشارك ؛ لأن الموجودات المحدثات على ضروب ؛ منها ما لا يرى ولا يرى كالإرادات والاعتقادات ، ومنها ما يرى ولا يرى كالألوان ، ومنها ما يرى ويرى كالإنسان وضروب الأحياء ؛ وليس فيها ما يرى ولا يرى ؛ فثبت المدّحة لله تعالى بمقتضى الآية .

[٨و] فقال لهم المخالفون : وكيف يجوز أن تكون صفة لا تقتضى المدّحة بانفرادها ، ثم تصير تقتضيها مع غيرها ! ولئن جاز هذا ليجوز أن يتمدّح متمدّح بأنه شئ لا عالم ، أو موجود قادر ؛ فإذا كان لا مدّحة فى وصف الذات بأنها شئ وموجودة^(٣) ، وإن انضمت إلى صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضى مدّحا ، فكذلك لا مدّحة فى نفي الرؤية ١٥ عن ثبوت^(٤) له ، من حيث كانت بانفرادها لا تقتضى مدّحا .

فأجاب أصحابنا عن هذا الكلام بأن قالوا : ليس يمتنع فى الصّفة أن تكون لا تقتضى مدّحا إذا انفردت ، وتقتضيه إذا انضمت إلى غيرها ، ومثلوا ذلك بقوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] . وإن نفي السّنة والنّوم هاهنا إنما يكون مدّحا إذا انتفى عن هو بصفة الأحياء ، وإن كان بانفراده لا يقتضى مدّحا لمشاركة ذوات كثيرة غير

(١) ت : « بنى إدراك البصر » . (٢) ت : « جميع » ؛ وفى حاشيتها (من نسخة) : « فتمدّح بمجموع الأمرين » . (٣) د ، ونسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « بأنها شئ موجود » . (٤) ش : « ثبت » .

ممدوحة فيه ، وفصلوا بين الوصف بالشئ ، والوجود ، وبين ما ذكروا من حيث لا تأثير لهاتينك^(١) الصفتين في المدح .

واعلم أن صفات المدح المتضمنة للإثبات ما تكاد^(٢) تقتصر إلى شرط في كونها مدحا . وصفات النفي إذا كانت مدحا فلا بد فيها من شرط ؛ وإنما افرق الأمران من حيث كان النفي أعم من الإثبات ؛ فيدخل تحته المدوح وغير المدوح ، والإثبات أشد اختصاصا ؛ • ألا ترى أن ما ليس بعالم من الدوات وليس بموجود أكثر مما ثبت له العلم والوجود منها ؟ لأن الأول لا يكون إلا غير متناه ، والثاني لا بد أن يكون متناهيا ، فلما شملت صفات النفي المدوح وغير المدوح احتاجت إلى شرط يخصها .

وأنت إذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يستمدح بها وجدتها مفتقرة إلى الشروط ؛ ألا ترى أن من ليس بجاهل إنما يكون ممدوحا بهذا النفي إذا كان حيا ذا كرا ، ومن ليس بعاجز إنما يكون ممدوحا إذا كان أيضا موجودا حيا ، ومن ليس بظالم إنما يكون ممدوحا إذا كان قادرا على الظلم وله دواعٍ إليه ، ولا بد في الشرط الذي يحتاج إليه في صفات النفي حتى تكون مدحا من أن يكون أيضا إثباتا أو جاريا مجرى الإثبات ، ولا يكون نفيا لأنه إن^(٣) كان نفيا لم يخص ، وساوى^(٤) فيه المدوح ما ليس بمدوح ؛ مثال ذلك أنا إذا مدحنا غيرنا بأنه لا يظلم ، وشرطنا في هذه المدحة أنه لم يدعه داع^(٥) إلى الظلم لم تحصل المدحة ، ١٥ لأنه قد يشاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي إليه ما ليس بمدوح ، فلا بد من شرط يجري مجرى الإثبات ؛ وهو أن نقول : وهو ممن تدعوه الدواعي إلى / الأفعال ويتصرف فيها [٨ ظ] بحسب حاجته ودواعيه . فإذا صححت هذه الجملة فالوجه أن نقول : إن المدحة في الآية إنما تتعلق بنفي الإدراك عن القديم تعالى ، لكن بشرط أن يكون مدركا ، ولا نجعل^(٦) كل

(١) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « لتينك » ، وفي حاشية ت أيضا (من نسخة أخرى) : « لهاتين » .

(٢) من نسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف : « لا تكاد » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذا » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « وشارك » .

(٥) ت : « لم يدعه الداعي » . (٦) في الأصل : « ونجعل » ، وصححت في الحاشية ، وفي

حاشيتي الأصل ، ف : « في النسخة المقروءة على السيد رضى الله عنه : « ولا نجعل » ؛ كذا كان بخط الشجري ، وفي نسخة من أيضا » .

واحدة من الصفتين تقتضي المدح مجتمعا ؛ مع أنَّ كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد .
وليس بمنكر أن يقتضى الشيء غيره بشرط متى وجد حصل المتقضى ، وإذا لم يحصل ^(١)
لم يحصل مقتضاه ، ونفى السنَّة والنوم والظلم عن الله تعالى إنما كان مدحا بشروط معروفة
على نحو ما ذكرناه ؛ وهذا التلخيص في هذا الموضع أولى وأحسن للشبهة ^(٢) مما تقدم ذكره .

(١) في نسخة بجوانبي الأصل ، ت ، ف : • لم يوجد • .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : • للشبهة • .

مجلس آخر • تأويل آية

إن سأل سائل فقال : ما تقولون في قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء : ٢٢] ، وقال في موضع آخر : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَأَنَّهُمَا يَأْتِيَانِ لِي مَذْبُورًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ^(١) [القصص : ٢١] .
والثُعْبَان هو الحية العظيمة الخليفة ، والجَان الصغير من الحيات ، فكيف اختلف الوصفان والقصة واحدة ؟ وكيف يجوز أن تكون العصا في حالة واحدة من صفة ما عظم خلقه من الحيات ، وبصفة ما صغر منها ؟ وبأي شيء تزيلون التناقض عن هذا الكلام ؟

الجواب : أول ما نقوله ^(٢) : إن الذي ظنه السائل من كون الآيتين خبرا عن قصة واحدة باطل ؛ بل الحالتان مختلفتان ؛ فالحال ^(٣) التي أخبر عن العصا فيها بصفة الجان ^(٤) كانت في ابتداء النبوة ، وقبل مصير موسى عليه السلام إلى فرعون ، والحال التي صارت العصا فيها ثعبانا كانت عند لقائه فرعون وإبلاغه الرسالة ؛ والتلاوة تدل على ذلك ؛ وإذا اختلفت القِصَّتَان فلا مسألة .

على أن قوما من المفسرين قد تعاطوا الجواب عن هذا السؤال ؛ إمّا لظنهم أن القصة واحدة ، أو لاعتقادهم أن العصا الواحدة لا يجوز أن تنقلب في حالتين : تارة إلى صفة الجان ، * كذا في ت ، وفي الأصل ، ف : « مجلس آخر ثالث » .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « لم يعقب : لم يرجع ؛ وقيل لم يلتفت ، وقيل لم يعط ولم ينتظر ؛ يقال : كر على القوم وما عقب . ويرى أهل النظر أنه مأخوذ من العقب ؛ وروى عن سفيان : لم يعقب : لم يعكث ، ويقال : عقب في الأمر إذا تردد وطلبه مجدا ؛ وقوله تعالى : ﴿ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ﴾ ؛ أي لا يحكم بعد حكمه حاكم ، والمعقب : الذي يكر على الشيء ، وقوله تعالى : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ يَدَيْهِ ﴾ ، أي للإنسان ملائكة يعقب بعضهم بعضا . وقال الفراء : ملائكة الليل تعقب ملائكة النهار ؛ يعني أنهم يتعاقبون ليلا ونهارا . (٢) ت ، د : « أول ما نقوله في هذا » . (٣-٣) ت : « فالحال التي أخبر أن العصا صارت فيها بصفة الجان... » .

وتارة إلى صفة الثعبان ؛ أو على سبيل الاستظهار في الحجة ، وأن الحال لو كانت واحدة على ما ظنَّ لم يكن بين الآيتين تناقضٌ ؛ وهذا الوجه أحسنُ ما تكلفوا الجوابَ لأجله ؛ لأن الأولين لا يكونان إلا عن غلطٍ أو غفلة ، وذكروا وجهين تزول بكل واحدٍ منهما الشبهة في تأويلها :

- ٥ أحدهما أنه تعالى إنما شبهها بالثعبان في إحدى الآيتين لعظم خلقها ، وكبر جسمها ، وهول منظرها ؛ وشبهها في الآية الأخرى بالجآن لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها ؛ فاجتمع لها مع أنها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاطُ الجآن ، وسرعة حركته ؛ وهذا أبهر في باب الإعجاز ، وأبلغ في خرق العادة ؛ ولا (١) تناقض معه بين الآيتين ؛ وليس يجب إذا شبهها بالثعبان أن يكون لها جميع صفات الثعبان ، ولا إذا شبهها بالجآن أن يكون لها جميع صفاته ،
- ١٠ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا . قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ [الذھر: ١٥، ١٦] . ولم يردَّ تعالى أن الفضة قوارير على الحقيقة ؛ وإنما وصفها بذلك لأنه اجتمع لها صفات القوارير وشغوفها ورققها ؛ مع أنها من فضة ؛ وقد تشبه العربُ الشيءَ بغيره في بعض وجوهه ؛ فيشبهون المرأةَ بالطَّيْئَةِ والبقرةَ (٢) ونحن نعلم أن في الظباء والبقر من الصفات ما لا يُستحسن أن يكون في النساء ، وإنما وقع التشبيه في صفة دون صفة ، ومن وجه دون وجه (٣) .

والجواب الثاني أنه تعالى لم يردَّ بذكر الجآن في الآية الأخرى الحيَّة ؛ وإنما أراد أحدَ الجنِّ ؛ فكأنه تعالى أخبر (٤) بأن العصا صارت ثعباناً في الخلقة وعظم الجسم ؛ وكانت مع ذلك كأحد الجن في هول المنظر وإفزعها لمن شاهدها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْرِياً وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا » . (٢) ت : « وبالبقرة » .

(٣) ت : « دون آخر » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « وأخبر » .

ويمكن أن يكون في الآية تأويل آخر استخرجناه ؛ إن لم يزد على الوجهين الأولين لم ينقص عنهما ؛ والوجه في تكلفنا له ما بيناه من الاستظهار في الحجة ، وأن التناقض الذي توهم زائل على كل وجه^(١) ؛ وهو أن العصا لما انقلبت حية صارت أولاً بصفة الجان وعلى صورته ؛ ثم صارت بصفة الثعبان ؛ على تدرج ؛ ولم تصر كذلك ضربة واحدة ؛ فتتفق الآيتان على هذا التأويل ، ولا يختلف حكمهما ، وتكون الآية الأولى التي تتضمن ذكر الثعبان • إخباراً عن غاية حال العصا ، وتكون الآية الثانية تتضمن ذكر الحال التي ولّى موسى فيها هارباً ؛ وهي حال انقلاب العصا إلى خِلقة الجان ؛ وإن كانت بعد ذلك الحال انتهت إلى صورة الثعبان .

فإن قيل على هذا الوجه : كيف يصح ما ذكرتموه مع قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ؛ وهذا يقتضى أنها صارت ثعباناً بعد الإلقاء بلا فصل ؟ قلنا : تُفيد^(٢) الآية ما ظن ؛ ١٠ . وإنما فائدة قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هِيَ ﴾ الإخبار عن قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة ؛ وأنه لم يطل الزمان في مصيرها كذلك ، ويجرى هذا مجرى قوله تعالى / : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ [يس : ٧٧] ؛ مع تباعد ما بين [٩ ظ] كونه نطفة وكونه خصيماً مبيناً ، وقولهم : ركب فلان من منزله فإذا هو في ضيعته ، وسقط من أعلى الحائط فإذا هو في الأرض ؛ ونحن نعلم أن بين خروجه من منزله وبلوغه ضيعته زمناً ، ١٥ وأنه لم يصل إليها إلا على تدرج ؛ وكذلك الهابط من الحائط ؛ وإنما فائدة الكلام الإخبار عن تقارب الزمان ؛ وأنه لم يطل ولم يمتد .

(٢) ت (من نسخة) : « تقدير » .

(١) ت : « على كل حال » .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

قال الشريف المرتضى رضى الله عنه : قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ . أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَيْنِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراب : ١٧٢ ، ١٧٣] .

- وقد ظن بعض من لا بصيرة له ، ولا فطنة عنده أن تأويل هذه الآية أن الله تعالى استخرج من ظهر آدم عليه السلام جميع ذريته ، وهم في خلق الدُّرِّ ، فقرَّرهم بمعرفته ، وأشهدهم على أنفسهم . وهذا التأويل - مع أن العقل يُبطله ويُحيله - مما يشهد ظاهر القرآن بخلافه ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ﴾ ، ولم يقل : من آدم ، وقال : ﴿ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾ ، ولم يقل : من ظهره ، وقال : ﴿ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ، ولم يقل : ذُرِّيَّتَهُ ؛ ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لثلاث بقولوا يوم القيامة : إنهم كانوا عن ذلك غافلين ، أو يمتدروا بِشِرْكِ آبَائِهِمْ ، وأنهم نشئوا على دينهم وسُنَّتِهِمْ ؛ وهذا يقتضى أن الآية لم تتناول ولد آدم عليه السلام لسأبه ؛ وأنها إنما ^(١) تناولت من كان له آباء مشركون ؛ وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية ^(٢) بنى آدم ؛ فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم ، فأما شهادة العقول ^(٣) فمن حيث لا تخلو هذه الذرية التي استخرجت من ظهر آدم عليه السلام فخطبت وقررت من أن تكون كاملة العقول ، مستوفية لشروط التكليف ؛ أو لا تكون كذلك ^(٤) .
- فإن كانت بالصفة الأولى وجب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم وإنشائهم ، وإكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال ، وما قرروا به ، واستشهدوا عليه ؛ لأن العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى ، وإن بعد العهد وطال الزمان ؛ ولهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا في بلد من [١٠] البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد العهد جميع تصرفه المتقدم / وسائر أحواله .

(١) ساقطة من ت ، ف . (٢) ت : د ولد آدم . (٣) ت : د العقل .

(٤) ت : د أو لا تكون كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف .

وليس أيضاً لتخلل الموت بين الحالين تأثير ؛ لأنه لو كان تخلل الموت يُزيل الذكر لكان
تخلل النوم والشكر والجنون والإغماء بين أحوال العقلاء يُزيل ذكرهم لِمَا مضى من أحوالهم ؛
لأن سائر ما عددناه مما ينفي العلوم يجري مجرى الموت في هذا الباب . وليس لهم أن يقولوا :
إذا جاز في العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما ذكرناه ؛ وذلك
أنا إنما أوجبنا ذكر العقلاء لِمَا ادَّعَوْهُ إذا كملت عقولهم من حيث جرى لهم ^(١) وهم •
كاملو العقول ، ولو كانوا بصفة الأطفال في تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه .
على أن تجوز النسيان عليهم بنقض الغرض في الآية ، وذلك أن الله تعالى أخبر بأنه
إنما قرَّرهم وأشهدهم لثلاث يدَّعوا يوم القيامة الغفلة عن ذلك ، وسقوط الحجّة عنهم ^(٢) فيه ؛
فإذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجّة وزوالها ، وإن كانوا على الصفة الثانية من
فقد العقل وشرائط التكليف قبَّح خطابهم وتقريرهم وإشهادهم ، وصار ذلك عبثاً قبيحاً ؛ ١٠
يتعالى الله عنه .

فإن قيل : قد أبطلتم تأويل ^(٣) مخالفكم ، فما تأويلها الصحيح عنكم ؟ قلنا في هذه الآية
وجهان :

أحدهما أن يكون تعالى إنما عني جماعة من ذرية بني آدم خلَّقهم وبلَّغهم وأكمل عقولهم ،
وقرَّرهم على السن ^(٤) رساله عليهم السلام بمعرفة ما يجب ^(٥) من طاعته ، فأقرُّوا ١٥
بذلك ، وأشهدهم على أنفسهم به ؛ لثلاث يقولوا يوم القيامة إننا كنّا عن هذا غافلين ،
أو يعتذروا بشرك آبائهم . وإِنَّمَا أَنَا مِنَ اشْتَبِهَ عَلَيْهِ تَأْوِيلُ الْآيَةِ مِنْ حَيْثُ ظَنُّ أَنَّ اسْمَ
الذرية لا يقع إلّا على مَنْ لم يكن كاملاً عاقلاً ؛ وليس الأمر كما ظن ؛ لأننا نسمي جميع البشر
بأنهم ذرية آدم ؛ وإن دخل فيهم العقلاء السكاملون ، وقد قال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ

(١) حاشية الأصل (من نسخة) ، ت ، ف : « عليهم » . (٢) ت ، حاشية الأصل (من نسخة)

« عليهم » . (٣) م : « قول » . (٤) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « لسان » .

(٥) د ، ت : « وما يجب عليهم » .

جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴿٨﴾ [البقرة: ٨].
ولفظ الصالح لا يطلق إلا على مَنْ كان كاملاً عاقلاً ؛ فإن استبعدوا تأويلنا وحملنا الآية على
البايعين المكلفين ؛ فهذا جوابهم .

[١٠] والجواب الثاني أنه تعالى / لما خلقهم وركبهم تركيباً يدل على معرفته ويشهد بقدرته
• ووجوب عبادته، وأراهم العبر والآيات والدلائل في أنفسهم وفي غيرهم كان بمنزلة الشهيد لهم
على أنفسهم ، وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه الذي أراده تعالى ،
وتعذر امتناعهم منه ، وانفكاكهم من دلالته بمنزلة المقرّ المعترف ؛ وإن لم يكن هناك إظهار
ولا اعتراف على الحقيقة ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ
دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اانْتَبِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [فصلت : ١١] ،
١٠ وإن لم يكن منه تعالى قولٌ على الحقيقة ، ولا منها جواب ، ومثله قوله تعالى : ﴿ شَاهِدِينَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ ﴾ [التوبة : ١٧] . ونحن نعلم أن الكفار لم يعترفوا بالكفر بالسنتهم ؛
وإنما (١) لما ظهر منهم ظهوراً لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به ؛ ومثل
هذا قولهم : جوارحي تشهد بنميتك ، وحالي معترفة بإحسانك . وما روى عن بعض
الخطباء (٢) من قوله : سل (٣) الأرض : مَنْ شَقَّ أُنْهَارَكَ ، وَغَرَسَ أَشْجَارَكَ ، وَجَنَى
١٥ ثَمَارَكَ ؟ فإن لم تجيبك جواراً أجابتك اعتباراً .

وهذا باب كبير ، وله نظائر كثيرة في النظم والنثر ؛ يفنى عن ذكر جميعها القدر الذي
ذكرناه منها .

(١) د ، ونسخة بمحاشي الأصل ، ف : « وإنما ذلك » . (٢) في نسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف :
« الحكماء » . (٣) في نسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف : « هذا من كلام الفضل بن عيسى بن أبان ،
ذكره في قصصه » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن». قال: أراد: يستغنى به، واحتج بقولهم: تغنيت تغنياً، وتغائيت تغائياً، وأنشد بيت الأعشى:

وَكُنْتُ أَمْرًا زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمُنَاخِ طَوِيلَ التَّغْنِ^(١)

وقول الآخر:

كَلَانًا غَنِيٌّ عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَدَّ تَغَانِيًا^(٢)

واحتج أيضاً بقول ابن مسعود: «من قرأ سورة آل عمران فهو غنى»، أى مُسْتغْنٍ، وبالحديث الآخر: «نعم كثر الصُّعْلُوكُ سورة آل عمران يقوم بها»^(٣) فى آخر الليل؛ والصُّعْلُوكُ الفقير، واحتج بحديث آخر يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أنه قال: «لا ينبغي لحامل القرآن أن يظن أن أحداً أُعْطِيَ أفضل مما أُعْطِيَ، لأنه لو ملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل مما ملكه». واحتج أيضاً بخبر يرفقه^(٤) عن عبد الله بن زهير أنه دخل على سعد^(٥) بن عبيدة^(٦)، فإذا مثال رث، ومتاع رث، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

قال أبو عبيد: فذكر كرم المتاع الرث، والمثال الرث يدل على أن التغنى بالقرآن الاستغناء به

(١) ديوانه: ٢٢، واللسان (غنى).

إلى القيرة بن حنبل التميمي؛ وذكره البردقي (الكامل ٣: ١٤ - بشرح الرصافي) ضمن أبيات لعبد الله بن معاوية، أولها:

رَأَيْتُ فُضَيْلًا كَانَ شَيْثًا مُلْغَفًا فَكَشَفَهُ التَّمَحْيِصُ حَتَّى بَدَأَ لَبًا

وقوله:

فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِي

(٣) حاشية الأصل: «بقراءتها». (٤) فى نسخة بمواشى الأصل، ت، ف: «يروي». .

(٥) حاشية الأصل: «هو سعد بن أبي وقاص». (٦) كذا فى الأصل، وحاشية ف: «وفى»

د، ف، وحاشية ت (من نسخة): «فى بيته».

عن الكثير من المال والمثال هو الفَرَّاش ، قال الشاعر^(١) :

بِكُلِّ طَوَالٍ السَّاعِدَيْنِ كَأَنَّمَا يَرَى بِسُرَى اللَّيْلِ الْمِثَالُ الْمَهْدَا^(٢)

— معنى الفراش . قال أبو عبيد : ولو كان معناه الترجيع لعظمت المحنة علينا بذلك ؛ إذ

كان مَنْ لَمْ يُرْجَعْ بِالْقُرْآنِ فليس^(٣) منه عليه السلام .

• وذَكَرَ غَيْرُ^(٤) أَبِي عُبَيْدٍ جَوَابًا آخَرَ ، وهو أنه عليه السلام أراد : مَنْ لَمْ يَحْسُنْ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ .

ولَمْ يَرْجَعْ^(٥) فِيهِ . واحتجَّ صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السائب قال : أتيتُ سعداً

— وقد كُفَّ بَصْرُهُ — فسألتُ عليه ، فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ فأخبرته . فقال : مَرْحَبًا يَا بَنِي^(٦) أَخِي ،

بَلَّغْنِي أَنْتَ حَسَنُ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ ، وقد سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول : « إن هذا

القرآنُ نَزَلَ بِحُزْنٍ ، فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا ، فمن لم يتغنَّ بالقرآن

١٠ فليس منا » . فقلوه : « فابكوا أو تبكوا » دليل على أن التغنى التحنين والترجيع . وروى عن

النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يَأْذُنُ اللهُ لشيءٍ من أهل الأرض إلا لأصوات المؤذنين ،

والصوت الحسن بالقرآن » . ومعنى قوله : « يَأْذُنُ » يستمع له ؛ يقال : أذِنْتُ لِلشيءِ أَذْنًا إِذَا

استمعتُ له ؛ قال الشاعر^(٧) :

صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ وَإِنْ ذُكِرَتْ بِسُوءٍ^(٧) عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

(١) نسبة صاحب اللسان في (مثل) إلى الأعشى .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي بدل سري الليل ؛ كقولك شربت بالخمر ماء ، أي بدل الخمر » .

(٣) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « ليس » . (٤) د ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « وذكر عن

غير أبي عبيد جواب » . (٥) ت ، د ، ف : « ورجع » . (٦) في نسخة بحواشي الأصل ،

ت ، ف : « باني » . (٧) هو قنبل بن ضمرة ؛ أحد شعراء الدولة الأموية ، من أبيات ، في

(الحماسة — بشرح التبريزي ٤ — ١٢٤ ، والافتصاب ٢٩٢ ، وشواهد المغني ٣٢٦) ، وقبلة :

إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا عَنِّي وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا

(٧) ف : « بشر » .

وقال عدى بن زيد العبادي^(١) :

أَيُّهَا الْقَلْبُ تَعَلَّلْ بِدَدَنْ إِنَّ هَمِّي فِي سَمَاعٍ وَأُذَنْ^(٢)

والأذن هو السماع ، وإنما حسن^(٣) تكرير المعنى اختلاف اللفظ . وللعرب في هذا

مذهب معروف ، ومثله :

* وَهَيْدَا أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْيُ وَالْبُعْدُ *

فأما الدَدَنْ فهو اللهو/واللعب، وفيه لغات ثلاث: دَدَ على مثال دَم، ودَدَا على مثال فَتَى، [١١]
وَدَدَنْ على مثال حَزَنَ ؛ ومنه قول النبي عليه السلام: « ما أنا من دَدٍ ولا الدَدِ مِنْيَّة^(٤) » .

فإن قيل : كيف يُحتمل قوله : « لا يأذن الله لشيء » كإذنه لكذا وكذا « على معنى الاستماع ، وهو تعالى سامع لكل شيء مسموع ، فأى معنى للاختصاص ؟ قلنا : ليس

المراد ههنا بالاستماع مجرد الإدراك ، وإنما المراد به القبول ، فكأنه عليه السلام قال : ١٠
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ أَوْ يُثَبِّتُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ كَتَقْبَلُهُ وَثَوَابَهُ عَلَى كَذَا وَكَذَا ،
ومن هذا قولهم : هذا كلام لا أسمعه ، وخاطبت فلانا بكلام فلم يسمعه^(٥) ، وإنما يريد نفى
القبول لا الإدراك ، والبيت الذى أنشدناه يشهد بذلك ، لأنه قال :

* وَإِنْ ذُكِرْتُ بِسوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا *

ونحن نعلم أنهم يستمعون الذِّكْرَ بالخير والشر معاً من حيث الإدراك ؛ فوجه ١٥
الاختصاص ما ذكرناه .

(١) حاشية ت : « العباد قوم كانوا يخدمون النعمان فسماهم العباد وكان عدى هذامنهم » ؛ وحاشية

ف : « قوم اقتطعهم النعمان بخدمته ؛ فسكان يقال لهم عباد النعمان ، فنسب عدى إليهم ، وكان نصرانياً .

(٢) حاشية الأصل : « البعد أقرب من النأي » . (٣) ش ، ف : « وإنما حسن تكرير

المعنى لاختلاف اللفظ » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « قوله عليه السلام : « مني » هذه الهاء للاستراحة ، وهى تدل على

تأكد امتناعه من اللهو » . وفي ج ، وحاشيتي ت ، ف (من نسخة) : « مني » .

(٥) في حاشيتي ت ، ف : « ومن هذا الباب قوله : دعوت الله حتى خفت ألا يكون الله يسمع ما

أقول ؛ أى يجب » .

وقد ذكر أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري وَجْهًا ثَلَاثًا فِي الْخَبَرِ ، قَالَ : أَرَادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 (١) مَنْ لَمْ يَتْلُذَّ بِالْقُرْآنِ ، وَيَسْتَحْلِهِ ، وَيَسْتَعِذَّ بِهِ (١) تِلَاوَتَهُ كَاسْتِحْلَاءِ أَصْحَابِ الطَّرْبِ لِلْفَنَاءِ
 وَالتَّيَازُفِ بِهِ . وَسَمِيَ ذَلِكَ تَغْنِيًّا مِنْ حَيْثُ يُفَعَّلُ عَنْدهُ مَا يُفَعَّلُ عِنْدَ التَّغْنِيِ بِالْفَنَاءِ ، وَذَكَرَ أَنَّ
 ذَلِكَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ : الْعَاهِمُ تَيْجَانُ الْعَرَبِ ، وَالْحُبَّاءُ (٢) حَيْطَانُ الْعَرَبِ ، وَالشَّمْسُ حَمَامَاتُ
 الْعَرَبِ (٣) ؛ وَأُنْشِدَ بَيْتَ النَّابِغَةِ :

بُكَاءُ سَحَامَةٍ تَدْعُو هَدِيًّا مُفَجَّعَةً عَلَى قَفْنٍ تَغْنِي (٤)

فَشَبَّهَ صَوْتَهَا لَمَّا أَطْرَبَ إِطْرَابَ الْفَنَاءِ بِالْفَنَاءِ ، وَجَعَلُوا الْعَاهِمَ لَمَّا قَامَتْ مَقَامَ التَّيْجَانِ
 تَيْجَانًا ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْحُبِّ وَالشَّمْسِ .

وَجَوَابُ أَبِي عُبَيْدٍ أَحْسَنُ الْأَجَوِبِ وَأَسْلَمُهَا ، وَجَوَابُ أَبِي بَكْرٍ أَبْعَدُهَا ؛ لِأَنَّ التَّلَذُّدَ
 ١٠ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْمَشْتَهَيَاتِ ، وَكَذَلِكَ الْاسْتِحْلَاءُ وَالْاسْتَعِذَابُ . وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ وَتَفَهُمُ مَعَانِيهِ
 مِنَ الْأَفْعَالِ الشَّاقَةِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ مُلَذًّا مُشْتَهًى (٥) ؟ ! فَإِنْ عَادَ إِلَى أَنْ يَقُولَ : قَدْ تُسْتَحْلَى
 التَّلَاوَةُ مِنَ الصَّوْتِ الْحَزِينِ (٦) ، قُلْنَا : هَذَا رَجُوعٌ إِلَى الْجَوَابِ الثَّانِي الَّذِي رَغِبْتَ عَنْهُ ،
 وَانْفَرَدْتَ عِنْدَ نَفْسِكَ بِمَا يَخَالِفُهُ .

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي الْخَبَرِ وَجْهٌ رَابِعٌ خَطَرَ لَنَا ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 [١٢] / « مَنْ لَمْ يَتَغْنِ » مِنْ غَمِّهِ الرَّجُلُ بِالْمَكَانِ إِذَا طَالَ مُقَامُهُ بِهِ ، وَمِنْهُ قِيلَ : الْمَفْنَى وَالْمَفَانِي ،
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَأَنَّ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا ﴾ [الْأَعْرَافُ : ٩٢] ، أَيْ لَمْ يُقِيمُوا فِيهَا ، وَقَالَ

(١-١) ف : « مَنْ لَمْ يَتْلُذَّ بِالْقُرْآنِ وَلَمْ يَسْتَحْلِهِ وَلَمْ يَسْتَعِذَّ بِهِ » .

(٢) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « جَمْعُ حَبْوَةٍ (بِكسْرِ الْحَاءِ وَضَمِّهَا مَعًا) ، وَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِحْتِبَاءُ
 بِالسَّيْفِ ، وَالْإِحْتِبَاءُ : شَدُّ الْيَدَيْنِ أَمَامَ الرُّكْبَيْنِ ، وَالْأَسْمُ الْحَبْوَةُ » .

(٣) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « أَيْ يَنْزِلُ مُنْزِلَةً هَذِهِ الْأَشْيَاءُ » .

(٤) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « الْمَدِيدُ : صَوْتُ الْحَمَامِ وَفَرْخِهَا ، وَيَحْتَمِلُ الْمَعْنَى : أَيْ تَدْعُو دَعَاءَ
 صَوْتِهَا » ؛ وَالْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ ٧٩ . (٥) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) ، ف : « عَنْ شَيْءٍ » ؛ وَلِذَلِكَ
 أَيْ يَحْمِلُ عَلَى الْإِلْتِذَازِ بِهِ ، وَيُقَالُ : لَذِذْتُ بِالشَّيْءِ ، وَلِذْذْتُهُ ، أَوْ وَجِدْتُهُ لَذِيذًا ، أَوْ عَدَدْتُهُ كَذَلِكَ » .

(٦) تَحْتَ هَذِهِ السَّكَاةِ فِي الْأَصْلِ : « مِنْ نَسْخَةِ الشَّجَرِيِّ » ، وَفِي نَسْخَةِ بَحَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ن :

الأسود بن يعقوب^(١) الإيادي :

وَلَقَدْ غَنَوْا فِيهَا بِأَنْعَمِ غُنْيَةٍ فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتٍ الْأَوْتَادِ^(٢)

وقول^(٣) الأعشى الذي أنشده أبو عبيد وهو :

وَكَُنْتُ أَمْرًا زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمُنَاحِ طَيَّوِيلَ التَّغَنِّ

- بطول المقام أشبه منه بالاستغناء ، لأن المقام يوصف بالطول ولا يوصف الاستغناء بذلك ،
فكان الأعشى أراد : إني كنت ملازماً لوطني ، مقيماً بين أهلي ، لا أسافر للاتّجاع
والطلب ؛ ويجري قوله هذا بجري قول حسان بن ثابت الأنصاري :

أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ^(٤)

- أراد بقوله : « حول قبر أبيهم » أنهم ملوك لا ينتجعون^(٥) ، ولا يفارقون محالهم
وأوطانهم ؛ فيكون معنى الخبر على هذا الوجه : مَنْ لَمْ يُقِمْ عَلَى الْقُرْآنِ ؛ فَلَا يَتَجَاوَزُهُ^(٦) .
إلى غيره ، ولا يتعداه إلى سواء ، ويتخذ مَنًى ومنزلاً ومقاماً فليس منا .

- فإن قيل : أليس قد بُعِدَ الْقُرْآنُ إِلَى السُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَسَاطِرُ أَدَلَّةِ الشَّرْعِ ؟ فَكَيْفَ
يُحْظَرُ عَلَيْنَا تَعْدِيهِ ؟ قلنا : ليس في ذلك تَعْدٍ لِلْقُرْآنِ ، لَأَنَّ الْقُرْآنَ دَالٌّ عَلَى وَجوبِ اتِّبَاعِ
السُّنَّةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَدَلَّةِ الشَّرْعِ ، فَمَنْ اعْتَمَدَ بَعْضُهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَحْكَامِ لَا يَكُونُ مُتَجَاوِزاً
لِلْقُرْآنِ ، وَلَا مُتَعَدِياً ؛ فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَيْسَ مِنَّا » فَقَدْ قِيلَ فِيهِ : إِنَّهُ لَا يَكُونُ عَلَى ١٥
أَخْلَاقِنَا ، وَاسْتَشْهَدَ بَيْتُ النَّابِغَةِ :

(١) في حاشيتي الأصل : « ويعفر (بضم الياء والفاء) ، ويعفر أيضا (بضم الياء وكسر الفاء) .

ويعفر (بضم الياء والفاء) ينصرف لزوال شبه الفعل عنه » .

(٢) البيت من قصيدة في المفضليات ٢١٧ ، وفي د، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) ، والمفضليات « عيشة » .

(٣) ت : « وبيت » . (٤) ديوانه : ٨٠ ، وأولاد جفنة : ملوك غسان .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : أي لا يحتاجون إلى الاتّجاع ؛ فهم مقيمون في مكانهم » .

(٦) حاشية ف : « ويتجاوز ويتخذ » ، وفي حاشية الأصل : « قال السيد : في هذا

الكلام اضطراب ، والصحيح : « فيتجاوز ويتعداه » ؛ إلا أن تكون « لا » زائدة ؛ والمعنى : من لم
يقم على القرآن بحيث لا يتجاوز إلى غيره ، ويتعداه إلى سواء ؛ ولم يتخذ معنى ، ويكون قوله « يتخذ »

مطلوفاً على « يقم » .

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا فَإِنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتُ مِنِّي^(١)

وقيل إنه أراد : ليس على ديننا ، وهذا الوجه لا يليق إلا بجوابنا الذي اخترناه ، وهو بعمد بجواب أبي غبيد الينق ، لأنه محال أن يخرج عن دين النبي صلى الله عليه وسلم من لم يحسن صوته بالقرآن ، ويرجع فيه ، أو من لم يتلذذ بتلاوته ويستحليها .

مَسْأَلَةٌ

[١٢] / اعلم أن أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ما ظنّه أصحاب الرؤية في قوله تعالى : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة ٢٢ - ٢٣] ، على وجوه معروفة ، لأنهم بينوا أن النظر ليس يفيد الرؤية ، ولا الرؤية من أحد محتملاته ، ودأبوا على أن النظر ينقسم إلى أقسام كثيرة ؛ منها تقيب الحديقة الصحيحة حيال^(٢) المرئي طلباً لرؤيته ؛ ومنها النظر الذي هو الانتظار ؛ ومنها النظر الذي هو التعطف والرحمة ؛ ومنها النظر الذي هو الفكر والتأمل ، وقالوا : إذا لم يكن في أقسام النظر الرؤية لم يكن للقوم بظاهرها تعلق^(٣) ، واحتجنا^(٤) جميعاً إلى طلب تأويل الآية من غير جهة الرؤية . وتأولها بعضهم على الانتظار للشواب ، وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفاً ، والمنتظر منه مذكوراً على عادة للعرب معروفة . وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية بالبصر ، وتحمل الآية على رؤية أهل الجنة لينعم الله تعالى عليهم ؛ على سبيل حذف المرئي في الحقيقة . وهذا كلام^(٥) مشروح في مواضعه ، وقد بينا ١٥ ما يورد عليه ، وما يجاب به عن الشبهة المعترضة في مواضع كثيرة .

وهنا وجه غريب في الآية حكى عن بعض المتأخرين^(٦) : لا يفتقر معتمده إلى العدول عن الظاهر ، أو إلى تقدير محذوف ، ولا يحتاج إلى منازعتهم في أن النظر يحتمل الرؤية ،

(١) ديوانه : ٧٩ . (٢) ت ، حاشية ف (من نسخة) : « في جهة المرئي » .

(٣) ف : « التعلق » . (٤) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « واحتاج جميعنا » .

(٥) ت ، ف : « وهذا الكلام » . (٦) في حاشيتي ت ، ف : « يعني به الصاحب بن

عباد رحمه الله » .

أو لا يحتملها ؛ بل يصح الاعتماد عليه ؛ سواء كان النظر المذكور في الآية هو الانتظار بالقلب ، أو ^(١) الرؤية بالعين ، وهو أن يحتمل قوله تعالى : ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ على أنه أراد به نعمة ربها ، لأن الآلاء النعم ، وفي واحدتها أربع لغات : ألا مثل قفاً ، وإلى مثل رمى ، وإلى مثل مى ، وإلى مثل حسى ؛ قال أعشى بكر بن وائل :

أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ الْمَرْآلَ وَلَا يَقْطَعُ رِحْمًا وَلَا يَخُونُ إِلَّا ^(٢)

أراد أنه لا يخون نعمة ، فأراد « يَأْتِي رَبِّهَا » نعمة ربها ، وأسقط التنوين للإضافة .

فإن قيل : فأى فرق بين هذا الوجه وبين تأويل مَنْ حمل الآية على أنه أريد بها ^(٣)

إلى ثواب ربها ناظرة ، بمعنى رائية لنعمه وثوابه ؟ قلنا : ذلك الوجه يفتقر إلى محذوف ، لأنه

إذا جمل « إلى » حرفاً / ولم يعلقها بالرب تعالى ، فلا بد من تقدير محذوف ، وفي الجواب [١٣]

الذي ذكرناه لا يفتقر إلى تقدير محذوف ، لأن « إلى » فيه اسم يتعلق به الرؤية ولا يحتاج ١٠ إلى تقدير غيره ^(٤) .

(١) ت . م . أم . (٢) ديوانه : ١٥٥ ، واللسان (إلى) وفي حاشيتي الأصل ، ف :

• أبيض : كريم ، والمزال كتابة عن فلة ذات اليد ، وخيانة النعمة أن يخل بها • . (٣) ف : م . به • .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : م الوجه الأول أحسن ، ويجارى كلام العرب أشبه ، وفي الفصاحة

أعرق ؛ وذلك أن وجه صاحب وإن كان له محل في العربية ؛ فإن إعمال اسم الفاعل فيما قبله على هذا الوجه مما يحوج الإنسان إليه مضائق الشعر ؛ والقرآن موضع فصاحة ، ومحل فصاحة ، فالأولى غير هذا الوجه ؛ والله أعلم • .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةِ

إِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَظَّنَّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلَ
الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس : ١٠٠] .

وظاهرُ هذا الكلام يدلُّ على أن الإيمان إنما كان لهم فعله بإذنه وأمره ، وليس هذا
مذهبكم ؛ وإن حُمِلَ الإِذْنُ هَاهُنَا عَلَى الإرادة اقتضى أَنَّ مَنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ الْإِيمَانُ لَمْ يَرُدَّهُ اللَّهُ
منه ، وهذا أيضا بخلاف قولكم . ثم جَعَلَ الرَّجْسَ الَّذِي هُوَ الْعَذَابُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ؛
وَمَنْ كَانَ فَاقِدًا عَقْلَهُ لَا يَكُونُ مُكَلَّفًا ، فكيف يستحقُّ العذاب ؟ وهذا بالضد من الخبر
المروى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُهَلَاءُ » .

الجواب ، يقال له في قوله تعالى : ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وجوه :

١٠ منها أن يكون الإِذْنُ الأمر ، ويكون معنى الكلام : إن الإيمان لا يقع إلا بعد أن يأذن الله
فيه ، ويأمر به ، ولا يكون معناه ما ظنَّه السائلُ من أنه لا يكون للفاعل فعله إلا بإذنه ،
ويجربى هذا مجرى قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران : ١٤٥] .
ومعلوم أن معنى قوله : ليس لها في هذه الآية هو ما ذكرناه ، وإن كان الأشبهُ في هذه
الآية التي فيها ذكرُ الموت أن يكون المرادُ بالإِذْنِ العلم .

ومنها أن يكون الإِذْنُ هو التوفيق ^(١) والتيسير والتسهيل ، ولا شبهة في أن الله يوفق
١٥ لفعل الإيمان ويلطف فيه ، ويسهل السبيل إليه .

ومنها أن يكون الإِذْنُ العلم من قولهم : أَذِنْتُ لَكَذَا وَكَذَا إِذَا مَمَعْتَهُ وَعَلِمْتَهُ ، وَآذَنْتُ
فَلَانًا بِكَذَا إِذَا أَعْلَمْتَهُ ؛ فتكون فائدة الآية الإخبار عن علمه تعالى بسائر الكائنات ، فإنه ممن

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « في هذه » .

لا يخفى عليه الخفيات . . وقد أنكر بعض مَنْ لا بصيرة له أن يكون الإذن (بكسر الألف وتسكين الذال) عبارة عن العلم ، وزعم أن الذى هو العلم الأذن (بالتحريك) ، واستشهد بقول الشاعر^(١) :

[١٢] / * إِنْ هَمَّى فِي سَمَاعٍ وَأَذَنْ *
ط

- وليس الأمر على ما توهمه هذا التوهم ، لأن الأذن هو المصدر ، والإذن هو اسم الفعل^(٢) ؛
• فيجربى تجزى الحذر فى أنه مصدر؛ والحذر (بالتسكين) الاسم على أنه لو لم يكن مسموعاً إلا الأذن (بالتحريك) لجاز التسكين ، مثل مثل ومثل وشبه وشبه ونظائر ذلك كثيرة .

ومنها : أن يكون الإذن العلم ، ومعناه إعلام الله المكلفين بفضل الإيمان وما يدعو إلى فعله ، ويكون معنى الآية : وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإعلام الله لها بما يبعثها على الإيمان ،
وما يدعوها إلى فعله .

فأما ظن السائل دخول الإرادة فى محتمل اللفظ فباطل ؛ لأن الإذن لا يحتمل الإرادة فى اللغة ، ولو احتملها أيضاً لم يجب ما توهمه ، لأنه إذا قال : إن الإيمان لا يقع^(٣) إلا وأنا مُريد له لم ينب أن يكون مُريداً لما لم يقع ، وليس فى صريح الكلام ولا دلالة^(٤) شىء من ذلك .

١٥

وأما قوله تعالى : ﴿ وَيَجْمَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ فلم يَمْنِ بذلك الناقص العقل ، وإنما أراد الذين لم يعقلوا ويعلموا^(٥) ما وجب عليهم علمه من معرفة الله خالقهم ، والاعتراف بنبوة رسله والانقياد إلى طاعتهم ، ووصفهم تعالى بأنهم لا يعقلون تشبيهاً ؛

(١) هو عدى بن زيد العبادى ؛ وقد تقدم البيت بهامه منسوبا إليه فى ص ٣٣ .

(٢) فى حاشيتي الأصل ، ف : « ومن هذا الباب الصرم ؛ فإنه مصدر صرم ، والصرم ؛ بالضم اسم ذلك الفعل الذى هو القلم ؛ لا المصدر » .

(٣) د ، ف ، حاشية ت (من نسخة) : « لم يقع » . (٤) ف ، حاشية ت (من نسخة) :

« ولا فى دليله » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « ولم يعلموا » .

كما قال تعالى: ﴿مِمَّنْ بُكِّمُ عَمِّي﴾ [نقرة: ١٨] ، وكما يصف أحدنا مَنْ لم يَفطنَ لبعض الأمور، أو لم يعلم ما هو مأمور بعلمه بالجنون وقد العقل .

فأما الحديثُ الَّذِي أوردَه السائلُ شاهداً له فقد قيل إنه عليه وآله السلام ^(١) لم يُردِّ بالبله ذوى الغفلة والنقص والجنون ، وإنما أراد البله عن الشر والقبیح ، ومما هم بُلها عن ذلك من حيث لا يستعملونه ولا يمتادونه ، لا من حيث فقدوا العلم به . ووجهُ تشبيه مَنْ هذه حاله بالأبله ظاهر ، فإنَّ الأبلهَ عن الشيء هو الَّذي لا يمرض له ولا يقصد إليه ، فإذا كان المتزَّه عن الشر مُعرضاً عنه ، هاجرا لفعله جاز أن يوصف بالبله للفائدة التي ذكرناها ؛ ويشهد بصحة هذا التأويل قول الشاعر :

وَقَدْ كَهَوْتُ بِطِفْلَةٍ مَبَادَةٍ بُلْهَاءُ تُطْلَعُنِي عَلَى أَسْرَارِهَا ^(٢)

[١٤] / أراد أنها بُلْهَاء عن الشر والريبة ؛ وإن كانت فِطْنَةً لغيرها ؛ وقال أبو النجهم المِجْلِيّ :
مِنْ كُلِّ عَجْزَاءٍ سَقُوطُ الْبَرْقِعِ ^(٣) بُلْهَاءُ لَمْ تُحْفَظْ وَلَمْ تُضَيَّعْ

أراد بالبلهَاء ما ذكرناه . فأما قوله : «سَقُوطُ الْبَرْقِعِ» فأراد أنها تُبرِّزُ وجهها ولا تستره ، ثقة ^(٤) بحسنه وإدلالاً بجهاله ^(٥) ، وقوله : «لَمْ تُحْفَظْ» أراد أن استقامة طرائقها تُفنى عن حفظها ، وأنها لعفاها ^(٦) وتزاهتها غير محتاجة إلى مسدّد وموقف ؛ وقوله : «لَمْ تُضَيَّعْ» أراد أنها لم تهملْ ١٥ في أغذيتها ^(٧) وتنعيمها وترفيها فتشقى ، ومثل قوله : «سَقُوطُ الْبَرْقِعِ» قول الشاعر ^(٨) :

(١) ت : « إن النبي صلى الله عليه وآله » ، ف : « إنه صلى الله عليه وآله » .

(٢) الأضداد ص ٢٦٢ ، واللسان (بله) — بلا عزو ، والطفلة : الناعمة ؛ وفي ت ، د ، ف :

« مباله » . (٣) اللسان (بله) .

(٤-١) حاشية ت (من نسخة) : « بحسنها وإدلالاً بجهالها » .

(٥) ش : « لعفاها » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « عف عفاً وعفاً وعفاة » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « الأولى في معنى لم تضيع أنها لا تخلو من خدم يختصون بها ؛ ليكون

هذا التضيع مطابقاً لتلك الحفظ » . وفي حاشية ت (من نسخة) : « في تغذيتها » .

(٧) هو عمر بن أبي ريعة ، والبيت في ديوانه ٣٣ .

فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا وَسَلَّمْتُ أَقْبَلَتْ وَجُوهَ زَاهَا الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَفَا (١)
ومثله أيضا :

بِهَا شَرَّقَ مِنْ زَغْفَرَانٍ وَعَنْبَرٍ أَطَارَتْ مِنَ الْحُسْنِ الرِّدَاءُ الْمُحِبَّاءُ (٢)
أى دمت به عنها ثقة بالجمال والكمال (٣) ، ومثله وهو مליح (٤) :

كَهَوْنًا بَمَنْجُولِ الْبَرَّاقِعِ حَقْبَةً فَمَا بَالُ دَهْرٍ لَزْنَا بِالْوَصَاوِسِ (٥)
أراد بمنجول البراقع اللاتي يوسعن عيون براقعن ثقة بحسنهن ، ومنه الطعنة النجلاء ،
والعين النجلاء ؛ ثم قال : ما بال دهرٍ أحوَجْنَا واضطرنا إلى القباح ، اللواتي يضيّقن عيون
براقعن لقبّحهن ، والوصاوس : هى النقَبُ الصّغار للبراقع ؛ ومما يشهد للمعنى الأول الذى
هو الوصف بالبكّة لا بمعنى الغفلة قول ابن الدُمينة :

بِمَالِي وَأَهْلِي مَنْ إِذَا عَرَضُوا لَهُ بَعْضُ الْأَذَى لَمْ يَذَرِ كَيْفَ يُجِيبُ (٦)
- ويروى بنفسى وأهلى -

وَلَمْ يَمْتَذِرْ عُذْرَ الْبَرَى وَلَمْ تَزَلْ بِهِ ضَعْفَةٌ (٧) حَتَّى يُقَالَ مُرِيبٌ (٨)
ومثله :

أَحِبُّ اللَّوَاتِي فِي صِبَاهُنَّ غِرَّةٌ وَفِيهِنَّ عَنْ أَزْوَاجِهِنَّ طِمَاحٌ (٩)

(١) فى الديوان : « أشرفت » وفى حاشية ت (من نسخة) : « أسفرت » ، وفى حاشية الأصل
(من نسخة) : « تتبرقعا » . (٢) البيت للشماخ ، ديوانه : ٢٩ . وفى حاشية الأصل ، ت ، ف :
« الشرق : أثر الطيب ؛ يقال : يده من الطيب شرقه . وشرقت الشمس : اصفرت من الغروب ؛ ومنه
أحر شرق : شددت الحرارة ، وشرق الثوب بالصبيغ ، ولحم شرق : لا دسم فيه » . والمخير : المنقش .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « ثقة بجهاها وكألفها » . (٤) فى نسخة بحاشيتي الأصل ، ت :
« حسن » . (٥) حاشية الأصل : « لزنا : أحوَجْنَا » . (٦) الشعر والشعراء ١٥٩ . وفى ت :
« بأهلى ومالى » . (٧) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « سكتة » .
(٨) مرّيب : أتى بريية . وفى حاشية الأصل . « أصل المذر أن تنقب ذنبا ، والبرى : لا ذنب له ؛
إلا أن تنصله قائم مقام العذر للمجرم ؛ فكأنه عذر مجازا » .

(٩) البيتان فى مصارع العشاق ٧ : ٣ ، وعزاهما إلى بعض الأعراب ، ورواية البيت الأول فيه :

أَحِبُّ اللَّوَاتِي هُنَّ مِنْ وَرَقِ الصَّبَا وَمِنْهُنَّ عَنْ أَزْوَاجِهِنَّ طِمَاحُ
وقال : طمّح يبصره ؛ إذا رى به ، وفى حاشية الأصل : « طمّاح : شماس » .

مُسِرَّاتٍ حُبٍّ مُظْهِرَاتٍ عِدَاوَةٍ تَرَاهُنَّ كَالْمَرَضَى وَهُنَّ صَحَاحٌ
ومثله :

يَكْتَبِينَ الْيَنْجُوجَ فِي كَبِدِ الْمَشَى تَى وَبِلَهْ أَخْلَامُهُنَّ وَسَامٌ^(١)

أما قوله : « يكتبين » فأخوذ من لفظ الكِبَاء ، وهو العود ، أراد يتبخرن به ، واليَنْجُوجُ
[١٤] هو / العود ، وفيه ست لغات : يَنْجُوج ، وَأَنْجُوج ، وَيَلَنْجُوج ، وَالنَّجُوج ، وَالنَّجَج ،
وَيَلَنْجَج .

فأما كَبِدِ الْمَشَى ، فهو ضَيْقَتُهُ^(٢) وشِدَّتُهُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي
كَبِدٍ ﴾ [البلد : ٤] ؛ وقد روى : « فِي كَبَةِ الْمَشَى » والمعنى متقارب ، لأن الكَبَةَ هي الصدمة
والجلمة ، مأخوذ من كَبَةٍ^(٣) الخيل ؛ وأما الْوَسَامُ فهنَّ^(٤) الحِسان من الوَسامة ، وهي الحُسن .
ويمكن أن يكونَ فِي الْبَلَهْ جواب آخر ، وهو أن يحْمَلَ عَلَى معنى الْبَلَهْ الذي هو الغفلة
والنقصان في الحقيقة ، ويكون معنى الخبر أن أكثر أهل الجنة الذين كانوا بُلَهًا في الدنيا ،
فعمدنا أن الله ينمُّ الأطفال في الجنة والمجانين والبهائم ، وإنما لم نجعلهم بُلَهًا في الجنة وإن
كان ما يَصِلُ إِلَيْهِمْ من النعيم على سبيل الْمَوْضِ أو التفضل^(٥) لا يفتقر إلى كمال العقل ، لأن
الخبر ورد بأن الأطفال والبهائم إذا دخلوا الْجَنَّةَ لم يدخلوها إلا وهم على أفضل الحالات
١٥ وأكملها ، ولهذا صرفنا الْبَلَهَ عنهم في الجنة ، ورددناه إلى أحوال الدنيا ، وإلا فالعقل لا يمنع
من ذلك كمنعه إياها في باب الثواب والعقاب .

(١) البيت لأبي دؤاد الإبادي ، وهو في الأصمعيات ٦٨ ، وفي حاشية الأصل : « أي عقولهن بله ،
وهن وسام ، وواحد الوسام وسيم » .

(٢) ت : « ضيقة » ، ش : « ضيقته » ، بكسر الصاد وفي حاشيتي ت ، ف : « الضيقة : الضر
والبؤس ؛ وهو الضيق أيضا » . (٤) في نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « فهي » .

(٤) حاشية الأصل : « وهو ازدحامهما » .

(٥) في نسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف : « فإن التفضل » . د : « والتفضل » .

تأويل آية أخرى

قال الله تعالى مخبراً عن يوم القيامة : ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ، وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّودٍ . يَوْمَ يَأْتِي لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ [هود : ١٠٣-١٠٥] . وقال في موضع آخر : ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات : ٣٥ ، ٣٦] . وفي موضع آخر : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصفات : ٢٧ ، والطور : ٢٥] .

وظاهر هذه الآيات ظاهر الاختلاف ، لأن بعضها يُنبئ^(١) عن أن النطق لا يقع منهم في ذلك اليوم ، ولا يؤذن لهم فيه ، وبعضها يُنبئ^(٢) عن خلافه . وقد قال قوم من المفسرين في تأويل^(٣) هذه الآيات : إن يوم القيامة يوم طويل ممتد ، فقد يجوز أن يُمنع النطق في بعضه ، ويؤذن لهم في بعض آخر^(٢) ؛ وهذا الجواب يُضَمَّف ، لأن الإشارة إلى يوم القيامة بطوله ، فكيف يجوز أن تجعل الحالات فيه مختلفة ؛ وعلى هذا التأويل يجب أن يكون قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ في بعضه ، والظاهر بخلاف ذلك .

والجواب السديد عن هذا أن يقال : إنما أراد الله تعالى / نفى النطق المسموع القبول [١٥] الذي ينتفعون به ، ويكون لهم في مثله عذر أو حجة ، ولم يَنْفِ النطق الذي ليست هذه حاله ، ويجرى هذا مجرى قولهم : خرس فلان عن حجته ، وحضرنا فلانا يُناظر فلانا فلم يقل شيئاً ، وإن كان الذي وُصِف بالخرس عن الحجة ، والذي نفى عنه القول قد تكلم بكلام كثير غزير ، إلا أنه من حيث لم يكن فيه حجة ، ولا به منفعة جاز إطلاق القول الذي حكيناه عليه ؛ ومثل هذا قول الشاعر^(٣) :

(١) ت : « تأويلات » . (٢) ف : « في موضع آخر » .

(٣) هو مسكين الدارمي ؛ وهو ربيعة بن عامر بن أثيف ؛ والبيتان في (معجم الأدباء ١١ : ١٣٢) .

وفي حاشية الأصل : « قبلهما » :

ما ضرَّ جاراً لي أجاورُهُ ألا يكون ليأبه يسترُ

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجْتُ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي الْخِذْرُ
وَيَصْمُ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِعِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقَرُّ^(١)

وقال الآخر :

لَقَدْ طَالَ كِتْمَانُكَ^(٢) حَتَّى كَأَنِّي بِرَدِّ جَوَابِ السَّائِلِ عَنْكَ أَعْجَمُ^(٣)

• وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف ، لأن التساؤل والتلاؤم لا حُجَّةَ فيه .. وأما قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ، فقد قيل : إنهم غيرُ مأمورين بالاعتذار ، فكيف يعتذرون ؟ ويحجب بحمل الإذن على الأمر ؛ وإنما لم يُؤْمَرُوا به من حيث كانت تلك الحال لا تكليف فيها ، والعباد ملجئون عند مشاهدة أحوالهم إلى الاعتراف والإقرار . وأحسن من هذا التأويل أن يحمل ﴿ يُؤْذَنُ ﴾ ، على معنى أنه لا يُسْتَمَعُ لهم ، ولا يُقْبَلُ عذرهم ، ١٠ والعلة في امتناع قبول عذرهم هي التي ذكرناها^(٤) .

(١) حاشية الأصل : « يريد به ؛ أي قوله « بينهما » جاره وجارته ؛ لأنه ذكر الجار قبل الجارة في قوله : ما ضر جاراً ... البيت » ، وفي حاشية ف : « بينهما ، أي بين الجار وبين من تخاطبه ؛ والكلام يدل على متخاطبين » . (٢) حاشية الأصل : « كتمان أمرك وعشقك » . (٣) في حاشيتي ت ، ف : « بعده » .

لَأَسْلَمَ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ وَتَسْلَمِي سَلِمْتَ وَهَلْ حَيٌّ عَلَى النَّاسِ يَسْلَمُ
(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ . وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ : التقدير : لا ينطقون بخلق ينفعهم ، ولا يعتذرون بغير ينفعهم ، فيكون يعتذرون داخلاً في حيز النفي ، ولا يمكن حمله على الإيجاب إلا إذا كان المعنى على أنهم ينطقون بخلق ينفعهم ؛ لأنه إن حمل على الظاهر كان في الكلام تناقض ؛ لأن التقدير إذاً : هذا يوم لا ينطقون فَيَعْتَذِرُونَ ؛ وهذا تناقض ، لأن الاعتذار نطق ، وإن شئت كان التقدير : لا ينطقون بحال ، ولا يعتذرون ؛ لأن هناك مواقف ؛ فيكون هذا في موقف ؛ ومثله فراءة الحسن والتقني : ﴿ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُونَ ﴾ ، فقوله : ﴿ يَمُوتُونَ ﴾ معطوف على ﴿ لَا يُقْضَى ﴾ أي لا يقضى عليهم فلا يموتون ؛ كذلك لا ينطقون ولا يؤذن لهم فَيَعْتَذِرُونَ ؛ أي فلا يعتذرون ؛ وهذا أحسن ، والله أعلم .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ الدَّهْرَ^(١) هُوَ اللَّهُ». وقد ذكر قومٌ في تأويل هذا الخبر أن المراد به لا تَسُبُّوا الدهرَ، فإنه لا فِعْلَ له، وإنَّ الله مصرفُه ومدبِّرُه، فحذف من الكلام ذكرَ المصروف والمدير وقال: «هو الدهر».

وفي هذا الخبر وجهٌ هو أحسنُ من ذلك الذي حكيناهُ، وهو أن المجددين، ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزلُ بهم من أفعال الله تعالى كالمرض والعافية، والجذب والخشب، والبقاء والفناء إلى الدهر، جهلاً منهم بالصانع جلَّتْ عظمتُه، ويدَّعون الدهرَ ويسبُّونه في كثيرٍ من الأحوال، من حيث اعتقدوا أنه الفاعلُ بهم / هذه الأفعال، [١٠]^ط فنهاهم النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ ذَلِكَ وقال لهم: لا تَسُبُّوا مَنْ فَعَلَ بِكُمْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ يَمُنُّ نَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ هُوَ الدَّهْرُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْفَاعِلُ لَهَا. وإنما قال: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ من حيث نَسَبُوا إلى الدهر أفعالَ الله؛ وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الأنبياء: ٢٤]. وقال لبيد:

فِي قُرُومٍ سَادَةٍ مِنْ قَوْمِهِ نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْهِمْ فَأَبْهَلَ^(٢)

أَي دَعَا عَلَيْهِمْ. وقال عمرو بن قُمَيْطَةَ^(٣):

كَأَنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ تَسْعِينَ^(٤) حِجَّةً خَلَمْتُ بِهَا عَنِّي عِذَارَ لِحْيَايَ^(٥)

عَلَى الرَّاحَتَيْنِ مَرَّةً وَعَلَى الْعَصَا أَنُوهُ ثَلَاثًا^(٦) بَعْدَهُنَّ قِيَامِي^{١٥}

رَمَتْنِي بَنَاتُ الدَّهْرِ^(٧) مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى فَكَيْفَ يَمُنُّ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَأْيِي

(١) كذا في الأصل، ج، د، ش. وفي ت، ف: «فإن الله هو الدهر».

(٢) ديوانه: ٨٠. وفي حاشية الأصل: «قروم: جمع قرم؛ وهو سيد وشريف وكريم؛ وأبْهَلَ: من المباهلة، أي تضرع وذل». (٣) الأبيات في المعبرين ٦٢، وحاشية البحري ٣٢١.

(٤) حاشية الأصل (من نسخة): «سبعين». (٥) في حاشيتي الأصل، ف: يقول:

«إن سمعت ترحلني لأضبط أمراً؛ فكأنني مخلوع العذار». والضمير في بها يعود إلى تدجين.

(٦) في حاشيتي الأصل، ف: «أي ثلاث دفعات».

(٧) في حاشيتي الأصل، ف: «بنات الدهر: بلاياه وحوادثه».

فَلَوْ أَنَّهَا نَبَلْ إِذَا لَا تَقِيْنَهَا وَلَكِنِّي أُرْمَى بِغَيْرِ مِهَامِ
 إِذَا مَا رَأَى النَّاسُ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ جَلِيداً حَدِيدَ الطَّرَفِ غَيْرَ كِهَامِ
 وَأُفْنَى وَمَا أُفْنَى مِنَ الدَّهْرِ لَيْلَةً وَلَمْ يُغْنِ مَا أُفْنَيْتُ سِلِكَ نِظَامِ^(١)
 وَأَهْلَكَ نَأْمِيسُ يَوْمَ وَلَيْلَةٍ وَنَأْمِيسُ عَامٍ بَعْدَ ذَلِكَ وَعَامِ
 ٥ وقال الأصمعي: ذمّ أعرابي رجلاً فقال: هو أكثر ذنباً من الدهر؛ وأنشد الفراء^(٢):

حَنَنْتُ حَارِيَّاتِ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَائِلٌ أَذْنُو لَصِيدِ^(٣)
 فَصِيرُ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقَيِّداً أَنِّي بِقَيْدِ
 وقال كثير^(٤):

وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ^(٥) رَمَى فِيهَا الزَّمَانُ فَشَلَّتْ
 ١٠ وقال آخر^(٦):

فَاسْتَأْنَرَ الدَّهْرُ الْقَدَاةَ بِهِمْ وَالدَّهْرُ يَرْمِينِي وَمَا أُرْمَى
 يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فَجَعَلْتَنَا بَسْرَانِ^(٧) وَوَقَرْتَ فِي الْعَظَمِ

أما قوله: وقرت في العظم، أراد به: اتخذت فيه وقراً، أو وقيرةً، والوقرُ هو الحفيرة
 [١٦] / العظيمة تكون في الصفا يستنقع فيها ماء المطر، والوقبُ أيضاً كذلك، والوقيرة أيضاً الحفيرة
 ١٥ إلا أنها دون الأولين في الكثرة.

وكل هؤلاء الذين روينا أشعارهم نسبوا أفعال الله التي لا يشاركه فيها غيره إلى الدهر، فحسن
 وجه التأويل الذي ذكرناه.

(١) في حاشيتي الأصل، ف: «أى لم يغن ما أفنيت من العمر بشي» حتى بخط «.

(٢) البستان في حماسة البحتري ٣٢٣. (٣) ت، ف: «حابل»:

(٤) أمالي الفاي ١: ١٠٩، من تائيته المشهورة. (٥) ف، حاشية ت (من نسخة): «وأخرى»

(٦) هو الأعشى، والبستان في ملحقات ديوانه ٢٥٨، وثانيهما في اللسان (وقر) وفي حاشية

الأصل: بعدهما:

وَسَلَبْتَنَا مَا لَسْتُ تُعْقِبُنَا يَا دَهْرُ مَا أَنْصَفْتَ فِي الْحُكْمِ

(٧) حاشية الأصل: «جمع السرى، ورجل سري، والقوم سراء».

مَسْأَلَةٌ

إِعلم أن المنافع التي عرّض الله تبارك وتعالى الأحياء لها ثلاث : منفعة تَفَضُّل ، ومنفعة عَوْض ، ومنفعة ثواب ، فأما المنفعة على سبيل التفضل فهي الواقعة ابتداءً من غير سبب استحقاق ، ولفاعلها أن يفعلها ، وله ألا يفعلها ، وأما منفعة العوض فهي المنفعة المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها ، وأما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق ، والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل ، المصاحبين له ؛ فكأن التفضل أصلٌ لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ما عداه ؛ لأنه لا سبيل للمتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حياً له شهوة^(١) ، والابتداء بمخلق الحياة والشهوة تفضل ، فقد صح^(٢) أنه لا سبيل إلى النفع بمنفعة العوض والثواب إلا بعد تقدم التفضل . فأما المنفعة بالثواب فهي الأصل للمنفعة بالعوض ؛ لأن الآلام وما جرى مجرى الآلام^(٣) مما يستحق به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يُفصى إلى الثواب ، ويستحق به لم يحسن فعلها ، وجرى عندنا مجرى الميت ، ولهذا نقول : إن الله تعالى لو لم يكلف أحداً من المكلفين ما كان يحسن منه أن يبتدىء بالآلام^(٤) ، وإن عوّض عليها .

والأحياء على ضروب فمنهم من عرّض للمنافع الثلاث . ومنهم من عرّض لاثنتين ، ومنهم من عرّض لواحدة ، والمكلف الممرض للثواب لا بد أن يكون منفوعاً بالتفضل من الوجه الذي قلنا ؛ لأنه إذا خلق حياً وفعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين ، فقد نفع بالتفضل ، وليس يجب فيمن هذه حاله أن يكون منفوعاً بالعوض ؛ لأنه لا يمتنع أن يخلو المكلف منّا من ألمٍ يُحدثه^(٥) الله به ؛ فلا يكون معرضاً للعوض ؛ فحقّ عرّض له فقد تكاملت فيه المنافع ؛ فصار / المكلف مقطوعاً على تعريضه لاثنتين من المنافع ؛ ومجوّزاً تكامل [١٦] الثلاث له ؛ فإما من ليس بمكلف فمقطوع فيه على إحدى المنافع ، وهي التفضل من حيث

(١) ش ، ومن نسخة بحاشية ت : « ذائهوة » . (٢) ش ، ومن نسخة بحاشية ت : « وضع » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « الجاري مجرى الآلام كنقص الأموال والأولاد » .

(٤) في حاشية ت (من نسخة) : « بالآلام » . (٥) ت « يبتدئ » .

خُلِقَ حَيًّا ، وَمُسَكَّنٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَنَافِعِ ، وَمَشْكُوكٌ فِي تَعْرِيفِهِ لِلْعَوَاضِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي بَيْنَا .
وكما قطعنا على إحدى المنافع فيه ، فنحن قاطعون أيضا على نفي التعريض للثواب عنه ، لفقد
ما يوصل^(١) إليه وهو التكليف ، ولا بد في كل حيٍّ محدث أن يكون معرضا لإحدى هذه
المنافع ، أو لجميها ؛ وإنما أوجبنا^(٢) ذلك من جهة حكمة القديم تعالى ؛ لامن جهة أنه
يستحيل^(٣) في نفسه ، وإنما قلنا إنه ليس يستحيل^(٤) ؛ لأن كونه حيا وعاقلا وذا شهوة وقدرة
ليس منفعة بنفسه ، وإنما يكون منفعة ونعمة إذا فعل تعريضا للنفع ؛ فأما إذا فعل
تعريضا للضرر أو لأوجه من الوجوه ، فإنه لا يكون نعمة ولا منفعة ، وأوجبناه من جهة
حكمة القديم تعالى ، لأنه إذا جُمِلَ الحيُّ بهذه الصفات ، فلا يخلو من أن يكون أراد بها نعمة
أو ضرر ، أو لم يرد بها شيئا ، فإن كان الأول فهو الذي أوجبناه ، وإن كان الثاني أو الثالث
فالقديم تعالى منزلة^(٥) عنهما ، لأن الثاني يجري مجرى الظلم ، والثالث هو العبث بعينه ، وقد
يشارك القديم تعالى في النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون ، ولا يصح أن يشاركوه
في النفع بالثواب ، لأن الصفة التي يستحق المكافئ لكونه عليها الثواب ، وهي كون الفعل
شاقا عليه لا يكون إلا من قبله تعالى ، وليس لأحد أن يظن فيمن يهدي إلى الدين ويرشد
إلى الإيمان ، وما يستحق به الثواب أنه معرض للثواب ، وذلك أن^(٦) المكافئ قد يكون
معرضا للثواب ، ويصح أن يستحقه من دون كل هداية وإرشاد يقع منّا ، ولولا الصفة التي
جمله الله تعالى عليها لم يصح^(٧) أن يستحقه ، فبان الفصل بين الأمرين ؛ على أن أحدنا
وإن نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للمعرض فهذه المنافع منسوبة إلى الله تعالى ، ومضافة
إليه من قبل أنه لولا نعمه ومنافعه لم تكن هذه منافع ولا نعمًا ؛ ألا ترى أنه لو لم يخلق
الحياة والشهوة لم يكن ما يوصل إليهما مما ذكرنا منفعة ولا نعمة ، ولو لم يخلق المشتهى
الملذوذ لم يكن سبيل لنا إلى النفع والإنعام ؛ فبان بهذه الجملة ما قصدناه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « يوصله » . (٢) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « وجب » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « مستحيل » ، وحاشية ف (من نسخة) : « يستحيل » .

(٤) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « منزلة » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « لأن » .

(٦) ساقطة من ت .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ فَقَالَ : مَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ مَهْلِكِ قَوْمِ فِرْعَوْنَ وَتَوْرِيثِهِ نَعْمَهُمْ : ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [الدخان : ٢٨ ، ٢٩] .

وكيف يجوز أن يُضيف البكاء إليهما ، وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما ؟ .

الجواب ، يقال له في هذه الآية وجوه أربعة من التأويل :

أولها أنه تعالى أراد أهل السماء والأرض فحذف كما حذف في قوله : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف : ٨٢] ؛ وفي قوله تعالى ﴿ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد : ٤] ؛ وأراد أهل القرية ، وأصحاب الحرب ، ويجرى ذلك مجرى قولهم : السخاء حاتم ، يريدون : السخاء سخاء حاتم ؛ قال الحطّيب^(١) :

وَشَرُّ النَّبَايَا مَيِّتٌ وَسَطٌ أَهْلُهُ كَهْلُكَ الْفَتَى قَدْ أَسْلَمَ الْحَيَّ حَاضِرُهُ^(٢) ١٠
أراد شر النبايا ميته^(٣) ميت ؛ وقال الآخر :

(١) البيت في طبقات الشعراء لابن سلام ص ٩٠ : ضمن أبيات أربعة للحطّيب لم تذكر في ديوانه . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قال السيد الإمام عليه السلام : طلبت هذا البيت في شعر الحطّيب فلم أجده فيه » .
(٢) في حواشي الأصل ، ت ، ف : « قوله : « شر النبايا » تقديره شر النبايا موت ميت فيما بين عشيرته ؛ كهلك ، هذا الفتى في حال أن أسلم الحي حاضر هذا الفتى ؛ أى أن حضاره أسلموا الحي ، ولم ينصروه ، ولم يمنعوا دمارهم » .

(٣) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « مية » .

قَلِيلٌ عَيْبُهُ وَالْعَيْبُ جَمٌّ وَلَكِنَّ الْفَنَى رَبٌّ غَفُورٌ^(١)

أراد : غَنَى رَبٌّ غَفُورٌ ؛ وقال ذو الرُّمَّة :

لَهُمْ مَجْلِسٌ صُحْبُ السَّبَالِ أَدَلَّةٌ سَوَاسِيَّةٌ أَحْرَارُهَا وَعَبِيدُهَا^(٢)

أراد أهل مجلس ، وأما قوله : « صُحْبُ السَّبَالِ » فإثما أراد به الأعداء ، والعربُ تصف

• الأعداء بذلك ، وإن لم يكونوا صُحْبُ الأَسْبَلَةِ ، وقوله : « سَوَاسِيَّةٌ » يريد أنهم مستوون متشابهون ؛ ولا يقال هذا إلا في الذم .

وثانيها أنه أراد تعالى المبالغة في وصف القوم بغيرِ القدر ، وسقوط المنزلة ؛ لأنَّ العرب

إذا أخبرت عن عَظَمِ المصائبِ بالهالك^(٣) قالت : كُسِفَتِ الشَّمْسُ لِفَقْدِهِ ، وَأَظْلَمَ الْقَمَرُ ، وَبَكَأ .

(١) البيت لمروة بن الورد ، وهو في ملحقات ديوانه : ١٩٨ ، وهو في شرح المقامات ١٩٢ : ٢ ، والبيان

٩٥ : ١ ، والمقد ٢١٢ : ١ ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قال . ولانا الإمام : كان السيد رضى الله عنه وهم

في معنى هذا البيت . ومعنى البيت : أن الشاعر وصف إنسانا بكثرة العيوب ؛ إلا أن ماله وغناه يسترانه عليه عيوبه ،

فكأنه قال : قليل عيبه ، يعنى يقل ظهور عيبه مع كثرة عيوبه ؛ إلا أن الذى يسترها عليه ؛ كأنه رب

غفور ستر للعيوب . ومعنى البيت على ما يوافق استشهاد السيد رضى الله عنه أنه يمدح إنسانا ويقول :

قليل عيب هذا الممدوح مع كثرة العيب في الناس ؛ ولكن الذى عما يجر المصائب هو غنى الله تعالى .

والأشبه بالبيت أن يكون هجوا ؛ كأنه يهجو إنسانا ويقول : يرى عيبه قليلا مع كثرة العيوب فيه ، والذى

يقل عيبه غناه كأنه رب غفور ، وأول القطعة :

ذَرِينِي لِلْفَنَى أَسْمَى فَإِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ شَرُّهُمْ الْفَقِيرُ

وَأَبْغَدُهُمْ وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِمْ وَإِنْ أَمْسَى لَهُ حَسْبٌ وَخَيْرُ

يَبَاعِدُهُ النَّسْدَى وَتَرْدَرِيهِ حَلِيلَتُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ

وَتَلْقَى ذَا الْفَنَى وَلَهُ جَلالٌ يَكادُ فَوَادٍ صَاحِبُهُ يَطِيرُ

قَلِيلٌ عَيْبُهُ

(٢) ديوانه ١٥٧ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « العرب إثما تسمى الأعداء صُحْبُ السَّبَالِ ؛ لأن

أعداءهم كانوا من الروم ؛ والروم صُحْبُ الأَسْبَلَةِ ، ثم اتسعوا فسموا كل عدو صُحْبُ السَّبَالِ ؛ وإن لم يكن

من الروم ، والغريب من هذا يصفون الأعداء بالزرق العيون . »

(٣) ف ، ت (من نسخة) : « بالهلك . »

الليل والنهار والسماء والأرض ، يريدون بذلك المبالغة في عظم الأمر وشمول ضرره ؛ قال جرير
برئي عمر بن عبد العزيز (١) :

(١) حاشية ف : • حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي قال : حدثنا عبد الله ابن أخت أبي الوزير
عن أبي محمد الشامي : كنت غلاماً في خلافة عمر بن عبد العزيز ؛ فلما أخذ عمر في رد الظالم غلظ ذلك على
أهل بيته ، وعلى جميع قريش ، فكتب إليهم عبد الرحمن بن الحكم بن هشام :

فَقُلْ لِهَشَامٍ وَالَّذِينَ تَجَمَّعُوا بِدَائِقَ مَوْتُوا لَا سَلَمَ يَدِ الدَّهْرِ
فَأَنْتُمْ أَخَذْتُمْ حَتَفَكُمْ بِأَكْفَكُمْ كَبَاحِثَةٍ عَنْ مَذْبَعٍ وَهِيَ لَا تَدْرِي
عَشِيَّةَ بَايَعْتُمْ إِمَامًا مُخَالَفًا لَهُ شَجَنٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْحِجْرِ

فأجابه بعض ولد مروان عن هشام بن عبد الملك :

لَنْ كَانَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ هُوَ الرَّدَى فَمَا أَنْتَ فِيهِ ذَا غَنَاءٍ وَلَا وَفَرٍ
فَأَنْتَ مِنَ الرَّيْشِ الدُّنَابِي وَلَمْ تَكُنْ مِنَ الْجَزَلَةِ الْأُولَى وَلَا وَسَطِ الظَّهْرِ
وَنَحْنُ كَفِينَاكَ الْأُمُورَ كَمَا كَفَى أَبُونَا أَبَاكَ الْأُمَرَ فِي سَائِلِ الدَّهْرِ

قال القاضي : قول عبد الرحمن بن عبد الحكم في شعره هذا : « بدائق » ، فلم يصرفه ، وفي صرفه
ونزك صرفه وجهان معروفان في كلام العرب ، والعرب تذكره ونؤثته ؛ فمن ذكره صرفه ؛ كما قال
الشاعر :

* بدائق وأين مني دابق *

ومن أنه لم يصره ؛ كما قال الآخر :

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ قَلَدُوا أُمُورَهُمْ بِدَائِقٍ إِذْ قِيلَ الْمَدْوُ قَرِيبُ

وقوله :

* كَبَاحِثَةٍ عَنْ حَتَفِهَا وَهِيَ لَا تَدْرِي *

هذا مثل يضرب للذي ينير بجهله ما يؤديه إلى هلاكه ، أو الإضرار به ، وأصله أن ناساً أخذوا شاة
ليست لهم ، فأرادوا أكلها فلم يجدوها ما يذبحونها به ؛ فهموا بتخليتها فاضطربت عليهم ، ولم تزل تنير الأرض
وتبعثرها بقوائمها ؛ فظهر لهم فيما انحرفته مديّة فذبحوها بها ، وصارت هذه القصة مثلاً سائراً . وقول
المرواني : « وأنت من الريش الدنابي » يقال : ذنب الفرس وغيره ، وذنابي الطائر ، وذنابي الوادي وذنابته ،
ومذنب النهر .

[١٧] الشَّمْسُ طَالَمَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبْكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ (١)

وقال يزيد بن مفرغ الحميري :

الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهَا وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ (٢) فِي النَّمَامَةِ (٣)

وهذا صنيعهم في وصف كل أمرٍ جلَّ خطبُه ، وعظمُ موقعه ؛ فيصفون النهار بالظلام ،

• وأن الكواكب طلعت نهاراً لفقد نور الشمس وضوئها ؛ قال النابغة :

تَبْدُو كَوَاكِبُهُ وَالشَّمْسُ طَالَمَةٌ لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ (٤)

وقال طرفة :

إِنْ تَتَوَلَّاهُ فَقَدْ تَمَنَّمَهُ وَتَرَبَّيَ النِّجْمَ يَجْرِي بِالظَّهْرِ (٥)

ومن هذا قولهم : لأرَبَيْكَ الكواكب بالنهار ، ومعناه أورد عليك ما يُظلم له في عينك

١٠ النهار ، فتظنه ليلاً ذا كواكب .

فأما بيت جرير فقد قيل في انتصاب النجوم والقمر (٦) وجوه ثلاثة : أحدها أنه أراد أن

الشمس طالمةٌ وليست مع طلوعها كاسفةٌ بنجوم الليل والقمر ، لأنَّ عظمَ الرزء قد سلبها

ضوءها ؛ فلم يناف طلوعها ظهور الكواكب . والوجه الثاني أن يكون انتصاب ذلك كما ينتصب

في قولهم : لا أكلمك الأبد ، والدهر ، وطوال المسند (٧) ، وما جرى مجرى ذلك ، فكأنه أخبر

(١) ديوانه ٣٠٤ .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « يضحك » .

(٣) البيت من قصيدة له مطلقها :

أَصْرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ أَمَامَةٍ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ رَامَةٍ

قال ابن قتيبة : « وهي أجود شعره » ؛ وممن في الأغاني ١٧ : ٥٤ - ٥٥ ، والخزانة ٢ : ٢١٣ -

٢١٤ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ .

(٤) ديوانه : ٧٢ .

(٥) ديوانه : ٦٥ . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقول : إن تتولاه هذه المرأة صبة نوالا

فقد تمنه أحياناً ، وتربى النجم ظهراً ؛ وهذا مثل للأمر الصعب » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « عظم الشيء » : معظمه ، وعظمه : كبره » .

(٧) حاشية الأصل : « المسند : الزمان ؛ يقال : لا أكله أبد المسند » .

بأن الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر القمر^(١)، والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم الليل باكين الشمس على هذا الرثي المفقود، فبكتهن؛ أي غلبتهن بالبكاء؛ كما تقول: باكاني عبدُ الله فبكيتهُ، وكأثرني فكثرتُهُ، أي غلبته وفصلتُ عليه.

ونالها أن يكون معنى الآية الأخبار عن أنه لا أحد أخذ بثأرهم ولا انتصر لهم، لأن العرب كانت لا تبكي على قتيل إلا بعد الأخذ بثأره، وقتل من كان بواء به من عشيرة القاتل، فكنتي تعالى بهذا اللفظ عن فقد الانتصار، والأخذ بالثأر؛ على مذهب القوم الذين خوطبوا بالقرآن.

ورابها أن يكون ذلك كناية عن أنه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء. ويوافق هذا التأويل ما روى عن ابن عباس رحمة الله عليه / في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَنَّهُمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ قيل له: أو تبكيان على أحد؟ فقال: نعم، مصلاة في الأرض، ومصعد عمله في السماء. وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ما من مؤمن إلا وله باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه»، ومعنى البكاء هاهنا الإخبار عن الاختلال بدمه كما يقال: بكى منزلُ فلان بدمه، قال ابن مقبل:

لَمَرُّ أَيْبِكَ لَقَدْ شَاقَنِي مَكَانَ حَزْنَتُ لَهُ أَوْ حَزْنُ

وقال مُزَاحِمُ الْعَقِيلِي:

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ أَجْلِهِمْ وَتَهَلَّلَتْ دُمُوعِي فَأَيَّ الْجَارِعِينَ الْيَوْمُ^(٢)
أُمْتَعِبَرًا يَبْكِي مِنَ الْهَوَنِ وَالْبَلَى وَآخَرَ يَبْكِي شَجْوَهُ وَيَشِيمُ^(٣)

(١) حاشية الأصل: «قال مولانا عليه السلام: أراد هذه الصورة: الشمس طالعة ليست بكاسفة؛ ولكنها مع ذلك تبكي عليك، وسبكي مدة طلوع النجوم والقمر».

(٢) ديوانه ١٥ - ١٦.

(٣) حاشية ف: «المتعب: الذي يأتي بالعبرة، وهو سين الطلب، و«متعبرا» بدل الجازعين. وبهم، أي يعبر هائما، قال الله تعالى: ﴿فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾».

فإذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله عن بوارهم مقامٌ صالح في الأرض ، ولا عمل كريم يُرفع إلى السماء جاز أن يقال : فما بكت عليهم السماء والأرض .

ويمكن في الآية وجه خامس ، وهو أن يكون البكاء فيها كنايةً عن المطر والسُّقيا ؛ لأن العرب تشبه المطر بالبكاء ، ويكون معنى الآية أن السماء لم تسقِ قبورهم ، ولم تجدْ عليهم بالقطر ؛ على مذهب العرب المعروف في ذلك ؛ لأنهم كانوا يستسقون السحائب لقبور من فقدوه من أعزائهم ، ويستنبتون لمواقع حفرهم الزَّهرَ والرياض ؛ قال النابغة :

فَلَا زَالَ قَبْرُ بَيْنَ ثُبْنَى وَجَاسِمٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَسْمَى طَلٌّ وَوَابِلٌ ^(١)
فَيَنْبِتَ حَوْذَانًا وَعَوْفًا مَنُورًا سَائِبُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قَالَ قَائِلٌ ^(٢)

وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ^(٣) ، ومسألة الله تعالى لهم الرضوان ، والفعل الذي أضيف إلى السماء وإن كان لا يجوز إضافته إلى الأرض — فقد يصح عطف الأرض على السماء بأن يقدر لها فعلٌ يصح نسبه إليها ، والعرب تفعل مثل هذا ؛ قال الشاعر :

يَأْلَيْتَ زَوْجَكَ فِي الْوَغَى مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمَحًا ^(٤)

(١) ديوانه ٦٦ . والرواية فيه :

سَقَى الْفَيْثُ قَبْرًا بَيْنَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ بِفَيْثٍ مِنَ الْوَسْمَى قَطْرٌ وَوَابِلٌ
وتبني وجاسم : موضوعان بالشام . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « الوسمي : أول المطر ، وهو الذي يأتي في الخريف ، والخريف عند العرب ربيع ، والربيع صيف ، والصيف قبط » .

(٢) حاشية ف : « فينبِت ، النصب في جواب التي ، والحوذان : نبت ، يقال له بالفارسية مشكك ، وعوف : نبت أبيض ، ومنورا : أخرج النور » .

وقال البعلبوسى شارح الديوان : « الحوذان والعوف نباتان ؛ إلا أن الحوذان أطيب رائحة ؛ وأنشد سيبويه هذا البيت بالرفع ؛ ولم يجعله جوابا ؛ أراد : وذلك ينبِت حوذانا ، أى ينبِت الحوذان على كل حال » .

(٣) حاشية الأصل : « قال : ولانا عليه السلام عن ابن الأعرابي : إن العرب إنما تستسقي القبور لأنها إذا سقيت وعم القطر أعشب المكان ؛ فحضره القوم للرعي ، وترحوا على الموتى » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « روى : « قد غدا متقلدا » ؛ وإذا روى « في الوغى » كان متقلدا » نصبا على الحال . وقوله : « في الوغى » خبر ليت » .

فمطف الرمح على السيف ، وإن كان الثقل لا يجوز فيه ، لكنه أراد حاملاً رمحاً ،
ومثل هذا يقدر في الآية ، فيقال : إنه تعالى أراد أن السماء لم تسق قبورهم ، وأن الأرض [١٨]
لم تعيب عليها (١) ؛ وكلُّ هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله تعالى ورضوانه .

تأويل خبر

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل
أدومها » (٢) وإن قل ؛ فعليكم من الأعمال بما تطيقون ؛ فإن الله لا يَمَلُّ حتى تمَلُّوا .
وفي وصفه (٣) - عليه السلام - الله تعالى بالليل وجوه أربعة :
أوّلها أنه أراد نفى المال عنه ، وأنه لا يَمَلُّ أبداً ، فملّته بما لا يقع على سبيل التبعيد
كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف ٤٠] .
وقال الشاعر :
فإنك سوف تحكم أو تنهى (٤) إذا ما شئت أو شاب الغراب (٥)

(١) د ، ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « عليهم » .
(٢) في حاشية الأصل ، ف : « كان في الأصل المقروء على المصنف « أدومها » [بضم الواو]
والمعروف أدومها [بفتح الواو] » .

(٣) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « في صفته » .

(٤) حاشية الأصل : « تنهى : تلج الخيوخة » .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « البيت للناطقة الديباني ، وقيل : »

فإن يك عامراً قد قال جهلاً فإن مطية الجهل الشباب

يهجو عامر بن الصقيل ، يقول : هو معذور فإنه شاب ، ثم قال : سوف تحكم إذا شئت ؛ أو لملك
لا تحكم أبداً ؛ حتى يشيب الغراب ، وذلك لا يكون أبداً ، وتحكم ، أي تصير حكيماً ، وفعل ، بضم العين :
يجيء ، لما يدخل على الإنسان فيصير كالطبع ؛ كقوله : سفه بسفه سفاهة ، ولم يكن سفيهاً فسفه . وتحكم
من حكم يحكم [بضم الكاف] حكمة ؛ إذا صار حكيماً .

وانظر الديوان : ١٤ - ١٥ .

أراد أنك لا تحكم أبداً . فإن قيل : ومن أين قلتم : إن ماعلقه به لا يقع حتى حكمتم بأنه أراد نقي المثل على سبيل التأييد ؟ قلنا : معلوم أن المثل لا يشمل البشر في جميع آراهم^(١) وأوطارهم ، وأنهم لا يعرفون من حرص ورغبة وأمل وطمع ، فلهذا جاز أن يعلق ما علم تعالى أنه لا يكون بمللهم .

• والوجه الثاني أن يكون المعنى أنه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له ، وتعرضوا عن سؤاله ، والرغبة في حاجتكم إلى جوده ؛ فسمى الفضلين مللاً ؛ وإن لم يكونا على الحقيقة كذلك ؛ على مذهب العرب في تسميتها الشيء باسم غيره إذا وافق معناه في بعض الوجوه ، قال عدى بن زيد العبادي :

ثُمَّ أَصْحَوْا لَعِبَ الدَّهْرِ بِهِمْ وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ يُودِي بِالرَّجَالِ^(٢)

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي :

سَأَلْتُ بِنَا حُجْرَةَ ابْنَ أُمِّ قَطَامٍ إِذْ ظَلَّتْ بِهِ السُّمُرُ الذَّوَابِلُ تَلْعَبُ^(٣)

فنسبها للأعب إلى الدهر والقنأ تشبيهاً ؛ وقال ذو الرمة :

وَأَبْيَضَ مَوْشِي الْقَمِيصِ نَصْبَتُهُ عَلَى خَصْرِ مِقْلَاتٍ سَفِيهِ جَدِيلِهَا^(٤)

فسمى اضطراب زمامها ، وشدة تحركه سفهاً ؛ لأن السفه في الأصل هو الطيش وسرعة

[١٩] الاضطراب / والحركة ، وإنما وصفت ناقته بالذكاء والنشاط . فأما قوله : « وأبيض مَوْشِي

القميص » فإنما عني به سيفه ، وقميصه : جفنه ، والمقالات : الناقة التي لا يمشي لها ولد .

والوجه الثالث أن يكون المعنى أنه تعالى لا يقطع عنكم فضله وإحسانه حتى تملأوا من

سؤاله ، ففعلهم ملل على الحقيقة ، وسمى فعله تعالى مللاً ، وليس بملل على الحقيقة للازدواج

(١) حاشية الأصل : « آراهم : جمع أرب ؛ وهو الحاجة » .

(٢) البيت في (الأغاني ٢ : ٣٣) ؛ وفي حاشية الأصل : « أودى ، إذا هلك » .

(٣) ديوانه : ٦ ؛ والرواية فيه : « السر النواهل » .

(٤) ديوانه ٥٣ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « الجدبل : زمام من الأديم » .

ومشكلة اللفظين^(١) في الصورة، وإن اختلفا في المعنى، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿مَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾؛ [البقرة: ١٩٤]، ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾؛ [الشورى: ٤٠]. ومثله قول الشاعر - وهو عمرو بن كلثوم التغلبي -

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهْلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا^(٢)

وإنما أراد المجازاة على الجهل، لأن العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتمدح به .

والوجه الرابع أن يكون الراوي وهمَ وغلط من الضم^(٣) إلى الفتح: وأن يكون قوله «يَمْلُ» بالضم لا بالفتح، وعلى هذا يكون له معنيان: أحدهما أنه لا يعاقبكم بالنار حتى تملوا عبادة^(٤) وتعرضوا عن طاعته، لأن الملة هي مشيئة الخبز؛ يقال: ملَّ الرجلُ الخُبْزَةَ^(٥) وغيرها يملُّها ملًّا إذا اشتواها في الملة . وقيل: إن الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماد؛ والمعنى الثاني أن يكون أراد أنه لا يسرع إلى عقابكم^(٦)، بل يحلم عنكم ويتأنى بكم^(٧) حتى تملُّوا حلمه، وتستمعوا عذابه، يركوبكم المحارم وتتأيمكم^(٧) في المآثم^(٨) .

(١) ت، وحاشية ف (من نسخة) : «اللفظين» . (٢) من المعلقة ص ٢٣٨ بصرح التبريزي .

(٣) في الأصل : « في الفتح إلى الضم » ، وفي ت ، د ، ف : « من الفتح إلى الضم » ، والتصويب

من حواشي الأصل ، ت ، ف . (٤) ت ، د ، ف : « من عبادة » .

(٥) الخبزة : المعجينة توضع في الملة حتى تنضج ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « الخبز » .

(٦) من نسخة بحاشية الأصل ، ت : « رفقاً بكم » . (٧) في حاشية الأصل ، ف :

« التتابع : التماهي في الشر ؛ يقال : تتابع في الخير ، وتتابع في الشر » .

(٨) حاشية ف : « قيل في هذا الخبر إن معناه أن الله لا يمل وإن تملوا ؛ ومثله قول الراجز :

نَحْنُ بَنِي ضَبَّةَ لَا نَفِرُ حَتَّى نَرَى جَاجِجًا تَخِرُ

يريد : لا نفر وإن خرت جاجنا ؛ أي لا نفر أصلاً . وقول الشاعر في بعض الروايات :

وَلَمْ تُشَارِكْ عِنْدِي بِمَدُّ غَانِيَةٍ لَا وَالَّذِي أَصْبَحَتْ عِنْدِي لَهُ نَعَمُ

حَتَّى أُمِرَ عَلَى الشُّقْرَاءِ مُعْتَسِفًا خَلَّ النِّقَا بِمَرْوَحٍ لِحْمِهِ زَيْمُ

فسر ذلك على أنه لم يشاركك لا وهو حتى أمر على الشقراء ، ولا يريد أنه إذا حل ذلك الموضع

شاركك غانية .

[قال المرتضى رضي الله عنه] : روى أنه قيل للفرزدق : هل حسدت أحدا على شيء من الشعر ؟ فقال : لا ، لم أحسد على شيء ، منه إلا ليلي الأخيلية في قولها ^(١) :

وَمُخْرِقٍ عَنْهُ الْقَمِيصُ نَحَالُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيًّا ^(٢)
حَتَّى إِذَا بَرَزَ اللُّوَاءُ رَأَيْتُهُ تَحْتَ اللُّوَاءِ عَلَى الْحَيْسِ زَعِيًّا ^(٣)
لَا تَقْرُبَنَّ الدَّهْرَ آلَ مُطَرِّفٍ لَا ظَالِمًا أَبَدًا وَلَا مَظْلُومًا ^(٤)
- ويروى : « إن ظالما أبدا وإن مظلوما » -

على أنني قد قلت :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطْلُبُ عَنْدهُمْ لَهَا رِوَاةٌ مِنْ جَذْبِهَا بِالْعَصَابِ ^(٥)
[١٩] / سَرَوْا وَيَضْطَبُّونَ اللَّيْلَ وَهِيَ تَلْفُهِمْ إِلَى شُعْبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ^(٦)
إِذَا أَبْصَرُوا نَارًا يَقُولُونَ كَيْتَبًا وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبٍ ^(٧)

وليس أبيات الفرزدق بدون أبيات ليلي ، بل هي أجزل ألقاظا ، وأشد أسرا ، إلا أن أبيات ليلي أطبع وأنصع ؛ وقد كانت الفرزدق مشهورا بالحسد على الشعر والاستكثار لتقليده والإفراط في استحسان مستحسنه .

== والبيان في الحماسة بشرح التبريزي ٣ : ١٣٣ ، من قصيدة لزياد بن حماد ؛ ويبنى بالشفراء فريسه . والاعتساف : الأخذ في السير على غير هداية ولا دراية . والحل : الطريق في الرمل ، والنقا : الرمل . والروح : النشيط ، والزم : المسكنز الأعم . (١) من أبيات في (الحماسة - بشرح التبريزي ٤ : ١٥٥ - ١٥٧) ؛ مطالعها :

يَأْتِيهَا السَّدْمُ الْمُلَوَّى رَأْسُهُ لِيَقُودَ مِنْ أَهْلِ الْحِجَارِ بَرِيًّا

(٢) حاشية (من نسخة) : « وسط البيوت » ، وهي رواية الحماسة .

(٣) م : « رفم اللواء » ، وهي رواية الحماسة . والحيس : الجيش ، سمي بذلك لأنه يكون خمس كتائب ، أو خمسة صفوف : المقدمة ، واليمنة ، والميسرة ، والقلب ، والداق .

(٤) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لا تقربون الدهر » ؛ وهي رواية الحماسة . وفي حاشية الأصل : « لا ظالما أبدا ؛ لأنهم لا يحتلون ظلمك ، ولا مظلوما لأنك لا تقدر أن تنصر منهم » .

(٥) ديوانه ١ : ٣٠ ، والترف : الثأر ، والعصائب : جمع عصاية ؛ وهي الهامة تصيب على الرأس .

(٦) حاشية الأصل : « الشعب : جمع شعبة ، أي جوانب الأكوار ، والأكوار : جمع كور ؛ وهو

الرحل » . (٧) حاشية ت (من نسخة) : « آنسوا نارا » . خصرت : بردت ، وغالب أبو الفرزدق .

وقد روى أن الكُمَيْت بن زيد الأسدي لما عرض على الفرزدق أبياتاً من قصيدته التي أولها :

أَتَصْرِمُ الْحَبْلَ حَبْلَ الْبَيْضِ أَمْ تَصْلُ وكيف والثَّيْبُ في فَوَدَيْكَ مُشْتَعِلُ
لَا عِبَاتَ لِقَوْسِ الْمَجْدِ أَسْهَمَهَا حيثُ الجُدودُ على الْأَحْسَابِ تَنْتَضِلُ^(١)
أَحْرَزْتَ مِنْ عَشْرِهَا نَسْماً وَوَاحِدَةً فَلَا أَعْمَى لَكَ مِنْ زَامٍ وَلَا شَلْلُ^(٢)
الشَّمْسُ أَذْنُكَ إِلَّا أَنَّهَا امْرَأَةٌ وَالبَدْرُ أَذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلُ^(٣)

حسده الفرزدق ، فقال له : أنت خطيب ، وإنما سلم له الخطابة ليخرجه عن أسلوب الشعر . ولما بهره من حسن الأبيات وأفرط بها إعجابها ، ولم يتمكن من دفع فضلها جملة عدل في وصفها إلى معنى الخطابة^(٤) .

- (١) في حاشيتي الأصل ، ف : عبات : هيأت ، والجدود ، جمع الجدد ؛ وهو البخت ، وتنتضل : تناضل وتراعى . (٢) في حاشيتي الأصل ، ف : يقال لرامي المصيب : لا عَمَى وَلَا شَلْلُ . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : يعني أن أباك البدر وأملك الشمس ، وإلا تقرير . (٤) حاشية ف : « حدث إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي عن عبد الله بن إسحاق بن سلام قال : أتى الكُمَيْت باب مجلس يزيد بن المهلب يندحه ، فصادف على ما به أربعين شاعراً ؛ فقال للأذن : استأذن لي على الأمير ؛ فاستأذن له عليه ، فأذن له ، فقال : كم رأيت بالباب من شاعر ؟ قال : أربعين شاعراً قال : فأنت جالب التمر إلى هجر ، فقال : إنهم جلبوا دقلاً ، وجلبت زاذاً ، فقال : هات زاذك ، فأندسه . »

هَلَّا سَأَلْتَ مَنَازِلَ بِالْأَبْرَقِ دَرَسَتْ وَكَيْفَ سَوَالُ مَنْ لَمْ يَنْطِقْ !
كَعِبَتْ بِهَا رِيحَانُ : رِيحٌ عَجَاجَةٌ بِالسَّافِيَاتِ مِنَ التُّرَابِ الْمَعْنَقِ
وَالهَيْفُ رَانِحَةٌ لَهَا يَنْتَحُهَا طَفَلُ الْمَشَى بِذِي حَنَانٍ شُرْقِ
تَصِلُ اللِّقَاحَ إِلَى النَّجَاحِ مَرَّةً لِحَفُوقِ كَوْكَبِهَا وَإِنْ لَمْ يَخْفِقِ
غَيْرُنَ عَهْدِكَ بِالْذِّيَارِ وَمَا بَكُنْ رَهْمَ الْحَوَادِثِ مِنْ جَدِيدِ يَخْلُقُ
إِلَّا خَوَالِدَ فِي الْحَلَةِ بَيْنَهَا كَالطَّيَّاسَانِ مِنَ الرَّمَادِ الْأَوْدَقِ
وَمُشَجَّعًا تَرَكَ الْوَلَانْدُ رَأْسَهُ مِثْلَ السَّوَالِكِ وَدَمْنَةً كَالْمُهْرَقِ =

وحسدُ الفرزدق على الشعر وإعجابه بجيده من أدل دليل على حسن نقده له وقوة بصيرته فيه ، وأنه كان يطرَبُ للجيد منه فضلَ طرب ، ويمجِبُ منه فضلَ عجب . ويدلّ أيضاً على إنصافه فيه ، وأنه مستقلٌّ للكثير الصادر من جهته ، فإن كثيراً من الناس قد يبلغ بهم الهوى في الإعجاب والاستحسان لما يظهر منهم في شعر أو فضل إلى أن يعموا عن محاسن غيرهم . فيستقلّوا منهم الكثير ، ويستصغروا الكبير .

ولآيات الفرزدق التي ذكرناها خبر مشهور متداول ، أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عبيدة عن يونس قال : دخل الفرزدق على سليمان^(١) بن عبد الملك وعنده نصيب الشاعر ، فقال له سليمان أنشدني ، فأنشده الأبيات التي تقدم ذكرها ، فأسود وجه سليمان وغاظه / فعله ، وكان يظن أنه ينشده [٢٠] مديحاً له ، فلما رأى نصيب ذلك قال : ألا أنشدك ؟ فأنشده :

= دارُ التي تركتك غيرَ ملومةٍ دَنِغاً فإن لم ترع قلبك فاشفق
قد كنت قبلُ تتوقُّ من هجرانِها فالיום إذ شحطَ المزارُ بها توقُّ
والحبُّ فيه حرارةٌ ومرارةٌ سائلٌ بذلك من تطمّم أوزقي
ماذاق بؤسَ معيشةٍ ونعيمها فيما مضى أحدٌ إذا لم يعشق
حتى بلغ إلى قوله :

مَنْ قَالَ بَتُّ أَخَا الْهَمُومِ وَمَنْ بَيْتُ غَرَضَ الْهَمُومِ وَنَعْيُ بَيْنِ يُورِّقُ
بَشَرْتُ نَفْسِي إِذْ رَأَيْتُكَ بِالْفَنَى وَوَقَّعْتُ حِينَ سَمِعْتُ قَوْلَكَ لِي تِقُ
فأمر بالخلع عليه حتى استغاث ؛ فقال : أذاك القوت ، ارفعوا عنه .

(١) حاشية ف : « قيل : بينا سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتى بحجر متقوش ، فطلب من يقرؤه ، فأتى بوهب بن منبه ؛ فقرأه فإذا فيه : ابن آدم إنك لو أبصرت قليل ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ، ولرغبت في الزيادة من عملك ؛ وانصرت عن حرصك وحيلك ؛ وإنما يلقاك غداً ندمك ، وقد زات بك قدمك ، وأسلك أهلك وحشمك ؛ فبان منك الولد الغريب ، ورفضك الوالد والنسب ؛ فلا أنت إلى دنياك عائد ، ولا في حياتك ذائد ، فاعمل أيوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة فبكي سليمان . »

أَقُولُ لِرَكْبٍ قَافِلِينَ لَقِيْتُهُمْ قَفَا ذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبٌ^(١)
 قَفُّوا خَبْرُونِي عَنْ سُلَيْمَانَ إِنِّي لِمَعْرُوفِهِ مِنْ أَهْلِ وَدَّانَ طَالِبٌ^(٢)
 فَمَاجُوا فَأَتْنُوهُ بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبَ^(٣)
 فقال له سليمان : أنت أشمر أهل جلدتك^(٤) ؛ وفي بعض الأخبار أن الفرزدق قال ذلك
 في نصيب حين سأله عنه سليمان .
 وروى أيضاً أنه لما أنشد نصيب أبياته قال له سليمان : أحسنت ، ووصله^(٥) ولم يصل الفرزدق
 فخرج الفرزدق وهو يقول :

(١) قفا ذات أوشال : خلف هذا الوضع ؛ والأوشال : جمع وشل ، بالتحريك ؛ وهو الماء القليل
 يتخلف من جبل أو صخر . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « في ديوانه : ذات أوشان ؛ بالتثنية » .
 وفي معجم ما استمعتم له لليكنزي : ٢١٢ : « ذات أوشال : موضع بين الحجاز والشام » وذكر البيت .
 وأراد بالمولى نفسه ؛ والقارب : طالب الماء ، ايلاً .

(٢) ودان ، بفتح الواو : قرية بين مكة والدينة ، قرية من الجعفة ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ت : « يعني
 أنا من أهل ودان ، وهي أرض للعرب » .
 (٣) وبعده :

فَقَالُوا تَرَكْنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ
 وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيٌّ فَمَالُهُ
 لَقُلْنَا لَهُ شَيْئًا وَلَكِنْ تَعَذَّرْتَ
 هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ
 يُطِيفُ بِهِ مِنْ طَالِبِي الْعُرْفِ رَاكِبٌ
 كَفَعْلِكَ أَوْ لِلْفِعْلِ مِنْكَ مُقَارِبٌ
 سِوَاكَ عَنِ الْمُسْتَشْفَعِينَ الْمَطَالِبِ
 وَلَا يُشَبِّهُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ الْكَوَاكِبُ

(٤) الخبر في (السكامل - بشرح المرصفي ٢ : ٢١٧ - ٢١٨ ، والشعر والشعراء ٣٧٢ - ٣٧٣ ،
 واللائلي ٢٩١ - ٢٩٢) ، والآيات في (البيان والتبيين ١ : ٨٣ ، وأمالى القالي ١ : ٩٤ ، ومعجم البلدان
 ٨ : ٤٠٥) ؛ ولكنه لم يذكر « ذات أوشال » في موضعها .

(٥) حاشية ف : « حدث محمد بن أحمد عن محمد بن عبد الله عن معاذ صاحب المروى قال : « دخلت
 مسجد الكوفة ، فرأيت رجلاً لم أر قط أني ثياباً منه ، ولا أشد سواداً ، فقلت له : من أنت ؟ فقال : أنا
 نصيب ، فقلت : أخبرني عنك وعن أصحابك ، فقال : جيل إمامنا ، وعمر أوصفنا لربات الجبال ، وكثير
 أبتكانا على الأطلال والدمع ، وقد قلت ما سمعت . قلت : فإن الناس يزعمون أنك لا تحسن أن تهجو ، قال :
 فأقروا لي أني أحسن المدح ؟ قلت : بلى ، قال : ولكني رأيت الناس رجلين : رجلاً لم أسأله فلا ينفى أن
 أهجو ، ورجلاً سأله فتنفى ، فكانت نفسي أحق بالهجا ؛ إذ سئلت لي أن أطلب منه » .

وَخَيْرُ الشُّعْرِ أَكْرَمُهُ رِجَالًا وَشَرُّ الشُّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ^(١)

ولا شبهة في أن أبيات الفرزدق مقدمة في الجزالة والرصانة على أبيات نصيب ؛ وإن كان نصيب قد غرّب^(٢) وأبدع في قوله :

* وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ *

• إلا أن أبيات نصيب وقعت موقعها ، ووردت في حال تليق بها ، وأبيات الفرزدق جاءت في غير وقتها وعلى غير وجهها ؛ فلهذا قُدمت أبيات نصيب .

والفرزدق مع تقدّمه في الشعر وبلوغه فيه إلى الذروة العليا ، والغاية القصوى شريف الآباء ، كريم البيت ، له ولآبائه مآثر لا تُدْفَع ، ومفاخر لا تُجحد . والفرزدق لقبٌ لُقّبَ به ، وليس باسمه ، وإنما لُقّبَ بذلك لجَهامة وجهه ، وغِلَظِه ؛ لأنّ الفرزدقة هي القطعة الضخمة ١٠ من العجين ، وقيل : إنها الخُبْزَةُ الغليظة التي يتخذ منها النساءُ الفَتُوتَ^(٣) ، واسمه هَمَامُ بْنُ غَالِبٍ ، وكُنيتُه أَبُو فِرَاسٍ ، وقيل إنّه كان يُكْنَى في شبابه بِأَبِي مَكِّيَّةٍ^(٤) وهي أَغْرَبُ كُنْيَتِهِ^(٥) .

وكان شيعيًّا^(٦) مائلا إلى بني هاشم ، ونَزَعَ في آخر عمره عما كان عليه من القذف^(٧)

(١) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « أشرفه غزولا » ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يعني أن نصيبا حبشي مملوك » . (٢) ل ، ونسخة في حاشيتي ت ، ف : « أغرب » .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « الفتوت والفتوت بمعنى » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان يثنى أبا مكية ، ومكية بنته ، وذكر ذلك في شعره فقال :

شَاهِدْ إِذَا مَا كُنْتَ ذَامِحِيَّةً بِدَارِي أُمِّهِ ضَبِيَّةً

صَمَحَمَحٍ مِثْلَ أَبِي مَكِّيَّةٍ

— الصمخمح : العظيم الرأس ، وأبو مكية يعني نفسه » .

(٥) ش : « أعرف كنيته » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « النسبة إلى الشيعة شيعي ، بكسرة صحبة على الشين ؛ كما تنسب إلى

الجزيرة جيزي ، والجزيرة عملة بمصر ؛ منها أبو الربيع الجيزي » .

(٧) حاشية ت (من نسخة) : « من القرف » ، والقرف : الرمي بالسوء .

والفسق، وراجع طريقة الدين، على أنه لم يكن في خلال^(١) فسقه منسايخاً من الدين جملة، ولا مُهملاً لأمره أصلاً.

ومما يشهد لذلك ما أخبرنا به علي بن محمد الكاتب عن أبي بكر محمد بن يحيى الصولي عن أبي حفص الفلاس عن عبد الله بن سوار/ عن معاوية بن عبد الكريم عن أبيه قال : [٢٠] دخلت على الفرزدق ، فجعلت أحادثه ، فسمعت صوت حديد يتقمع ، فتأملت الأمر ، فإذا هو مقيّد الرّجل^(٢) ، فسألته عن السبب في ذلك ، فقال : إني آليت على نفسي ألا أترع القيد من رجلي ، حتى أحفظ القرآن .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني أبو ذرّ القراطيسي قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدّثني الرّياشي عن الأصمعي عن سلام بن مسكين قال : قيل للفرزدق : علام تقذف المحصّنات ؟ فقال : والله ، لله أحبّ إليّ من عينيّ هاتين ، أفترأه يعذّبني بعدها^(٣) ! . ١٠

وروي أنه تعلّق بأستار الكعبة ، وعاهد الله على ترك الهجاء ، والقذف اللّذين كان ارتكبهما ، وقال :

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي وَإِنِّي كَيْنَ رِجَاحٍ قَائِمًا وَمَقَامٍ^(٤)

(١) حاشية ت (من نسخة) : « حال » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « الرجلين » .

(٣) حاشية ف : « ذكر المبرد في كتابه قال : دخل لبطة بن الفرزدق على أبيه وهو عبوس في سجن مالك بن النضر بن الجارود ، ومالك عامل على البصرة لحالد بن عبد الله القسري ، فقال له : يا أبت ؟ هذا عمر بن يزيد الأزدي ضرب ألف سوط ومات ، فشد على حمار ، فقال الفرزدق : كأنك والله بمثل هذا الحديث قد تحدثت به عن أبيك . والحسن إذ ذاك عبوس عنده . فقال له : يا أبا فراس ، فاعندك إن كان ذلك ؟ فقال : والله يا أبا سعيد ، لله أحبّ إليّ من سمعي وبصري ، ومن مالي وولدي ، ومن أهلي وعشيرتي ، أفترأه يحذاني ! فقال الحسن : كلا والله يا أبا فراس » .

وانظر الخبر في (الكامل - بشرح المصنعي ٢ : ٧٦ - ٧٧) .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « الرّجاج : الباب الملقى ، والباب العظيم أيضا فثما ، حال بما يدل عليه

لين . وفي ت ، د : « لائم » .

عَلَى حَلْفَةٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٍ ^(١)
 أَطْعَمْتُكَ يَا إِبْلِيسَ سَبْعِينَ حَجَّةً فَلَمَّا انْقَضَى عُمْرِي وَتَمَّ تَمَامِي ^(٢)
 فَرَزَعْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيَقَنْتُ أَنَّي مُلَاقِي لَأَيَّامِ الْخُتُوفِ حِمَامِي ^(٣)

وَرَوَى الصُّوَلِيُّ عَنْ الْحُسَيْنِ بْنِ الْفَيَاضِ عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ عِمْرَانَ قَالَ : جَاءَنِي الْفَرَزْدَقُ ،
 ٥ فَنَذَا كَرْنَا رَحْمَةَ اللَّهِ وَسَمَّيَهَا ؛ فَكَانَ أَوْثَقَنَا بِاللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَلَيْكَ هَذَا الرَّجَاءُ وَالْمَذْهَبُ
 وَأَنْتَ تَقْذِفُ الْمُحْصَنَاتِ ، وَتَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ ! فَقَالَ : أَتُرَوْنِي لَوْ أَذْنِبْتُ إِلَى أَبِي ، أَكُنَا بِقَذْفَانِي

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قَالَ مَوْلَانَا السَّيِّدُ : خَارِجًا ، تَقْدِيرُهُ : وَلَا يَخْرُجُ خُرُوجًا ؛ وَذَهَبَ
 عَيْسَى بْنُ عَمْرِو بْنِ أَنَسٍ فِي مَوْضِعِ الْخَالِ ؛ لِأَن قَوْلَهُ : لَا أَشْتُمُ نَصَبًا عَلَى الْخَالِ ؛ كَأَنَّهُ قَالَ : عَاهَدْتُ لَا شَأْنًا
 وَلَا خَارِجًا . وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ : تَقْدِيرُهُ : عَاهَدْتُ عَلَى أَنْ أَحْلِفَ لَا شَأْنًا وَلَا خَارِجًا ؛ وَهُوَ حَالٌ مِنَ التَّاءِ فِي
 عَاهَدْتُ ، أَوْ الْمَحْذُوفِ مِنَ الْمَصْدَرِ ؛ وَهُوَ الْفَاعِلُ . وَسَبْيُوهُ يَجْعَلُ لَا أَشْتُمُ جَوَابَ الْقِسْمِ ؛ وَلَا مَوْضِعَ لَهُ مِنَ
 الْإِعْرَابِ ، وَالْقِسْمُ عَاهَدْتُ . فَقَوْلُهُ : وَلَا خَارِجًا ، أَيْ لَا يَخْرُجُ خُرُوجًا ؛ وَهُوَ مَطْوُوفٌ عَلَى لَا أَشْتُمُ .
 وَفِي حَاشِيَةِ فَ أَيْضًا : « ذَكَرَ الْمُبَرِّدُ فِي كِتَابِهِ الْكَامِلِ فِي قَوْلِهِ :

* وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٍ *

لَمَّا وَضَعَ اسْمَ الْفَاعِلِ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ ، أَرَادَ : لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا ، وَلَا يَخْرُجُ خُرُوجًا مِنْ فِي زُورٍ كَلَامٍ ؛
 لِأَنَّهُ عَلَى هَذَا الْقِسْمِ ، وَالْمَصْدَرُ يَقَعُ فِي مَوْضِعِ اسْمِ الْفَاعِلِ ؛ يَقَالُ : مَا غُورَ ، أَيْ غَامَرَ ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
 ﴿ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ ؛ وَيَقَالُ : رَجُلٌ عَدِلَ ، أَيْ عَادَلَ ، فَعَلِيَ هَذَا جَاءَ الْمَصْدَرُ عَلَى فَاعِلٍ ؛ كَمَا
 جَاءَ اسْمُ الْفَاعِلِ عَلَى الْمَصْدَرِ ؛ يَقَالُ : قَمَ قَائِمًا ؛ فَيَوْضَعُ مَوْضِعَ قَوْلِكَ : قَمَ قِيَامًا ؛ قَالَ : وَكَانَ عَيْسَى بْنُ عَمْرِو
 يَقُولُ : إِنَّمَا قَوْلُهُ لَا أَشْتُمُ خَالًا ، فَأَرَادَ : عَاهَدْتُ رَبِّي فِي هَذِهِ الْحَالِ ، وَأَنَا غَيْرُ شَائِمٍ وَلَا خَارِجٍ مِنْ فِي ...
 وَلَمْ يَذْكُرِ الَّذِي عَاهَدَ عَلَيْهِ .

وَانْظُرْ (الْكَامِلُ - بِشَرْحِ اللَّسَنِ ٢ : ٨١ - ٨٣) .

(٢) د ، و من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تَسْمِينٌ » ، وَفِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « أَيْ بَلَّغْتَ
 غَايَتِي ؛ وَاسْمُ التَّيْمَامِ إِلَى التَّيْمَامِ تَرَدَّدَ عَلَى مَعْنَى التَّأْكِيدِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ : « لَجْنُ جَنُونِهَا » ، وَالْجُنُونُ لَا يَجْنُ ، وَإِنَّمَا الْمَرءُ
 يَجْنُ ؛ وَكَأَنَّ قَالَ :

جُنُونُكَ كَجُنُونٍ وَلَسْتَ بِوَاجِدٍ طَبِيبًا يُدَاوِي مِنْ جُنُونٍ جُنُونِي

(٣) ش ، ف : « فَرَزْتُ » ، وَالْأَيَّامُ فِي (دِيوَانِهِ ٢ : ٧٧٠) .

في تنوير ، وتطيب أنفسهما بذلك ؟ قلنا : لا ، بل كانا رَحمانك ، قال : فأنا والله برحمة ربّي أوثقُ مني برحمتيما .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم ^(١) قال حدثنا عبد الله بن أبي سميد ^(٢) الورّاق قال حدثني محمد بن محمد بن سليمان الطّفاوي ^(٣) قال : حدثني أبي عن جدي قال : شهدتُ الحسنَ البصريّ في جنازة النّوّار (امرأة الفرزدق) - وكان الفرزدق حاضراً - فقال له الحسن وهو عند القبر : يا أبا قراس ، ما أعددت لهذا الضّجع ؟ قال : شهادة أن لا إله إلا الله مذثمانون سنة ، فقال له الحسن : هذا العمودُ فأين الطّنْبُ ! . وفي رواية أخرى أنه قال له : نعيم ما أعددت ، ثم قال الفرزدق في الحال :

[٧١] / أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ - إِنْ لَمْ يُعَافِنِي - أَشَدَّ مِنَ الْمَوْتِ الْهَبَابَ وَأَضْيَقًا ^(٤)
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ عَنيفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا ^(٥)
لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى إِلَى النَّارِ مَخْلُولَ الْقِلَادَةِ أَزْرَقًا ^(٥)
يُقَادُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مُسْرَبَلًا سَرَايِلَ قَطْرَانٍ لِبَاسًا مُحَرَّقًا

قال : فرأيتُ الحسنَ يدخلُ بعضه في بعض ، ثم قال : حسبك . ويقال إن رجلاً رأى الفرزدق بعد موته في منامه ، فقال له ما فعل بك ربك ؟ فقال : عفا عني بتلك الأبيات ^(٦) .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « محمد بن محمد بن إبراهيم » .

(٢) د ، ونسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف : « سميد » .

(٣) حاشية الأصل : « الطّفاوي : منسوب إلى طفاوة ؟ وهم قوم » .

(٤) الأبيات في ديوانه ٢ : ٥٢٨ ، مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات ؟ وفي نسخة بمحاشي

الأصل ، ف ، ت : « أشد من القبر » ؟ وهي رواية الديوان .

(٥) ف : « مشدود القلائد » ، وهي رواية الديوان .

(٦) حاشية ف : « زعم بعض التميمية أن الفرزدق رثي في النوم فقيل له : ما صنع ربك ؟ فقال :

غفر لي ؟ قيل له : بأى شيء ؟ قال : بالكلمة التي نازعنيها الحسن البصري على شفير القبر » . وفيها أيضا :

« في السكامل ، كان الفرزدق يخرج من منزله فيرى بني تميم والمصاحف في حجورهم فيسرب ذلك ويمجّز له =

وأما ما يدلُّ على تشييعه وميله إلى بني هاشم ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني عمر بن داود الثماني قال حدثنا محمد بن زكريا^(١) الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال حدثنا أبو ليبيد قال : جاء السكيت إلى الفرزدق فقال : يا عم إني قد قلت قصيدة أريد أن أعرضها عليك ، فقال له : قل ، فأنشده :

* طَرِبْتُ وَمَاشَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ أَطْرَبُ *

فقال له الفرزدق : إلى مَنْ طَرِبْتَ ، تَكَلَّمْتَ أَثَمَكَ ! فقال :

* وَلَا لِعَبَايَ مَنَى وَذُو الشَّيْبِ يَلْمَبُ *

ولم تُلْهِني دَارٌ وَلَا رَسْمٌ مَثَرِلٍ وَلَمْ يَنْطَرِبْ بَنَانٌ مُخَضَّبٌ

وبقول : إليه فدى لكم أبي وأمي ! كذا والله كان آباؤكم ، قال : ونظر أبو هريرة الدوسي إلى الفرزدق فقال : مهما فعلت ففعلتك الناس عليه ، فلا تقنط من رحمة الله ، ثم نظر إلى قدميه فقال : إني أرى لك قدمين لطيفين ؛ فاتبع لهما موقفا صالحا يوم القيامة .
و (انظر الكامل — بصرح الرصني ٢ : ٧٩) .

(١) حواشي الأصل ، ف ، ت : « الغلابي : منسوب إلى غلاب ، اسم امرأة ؛ وكان شيعيا » . وفي حاشية ف أيضا : « حدث الغلابي عن محمد بن عبد الله عن علي بن محمد قال : قال أنوشروان ابزرجمهر لما أراد قتله : إني قاتلك ؛ فتكلم بشيء تذكر به ؛ فقال : أيها الملك ، إن الدنيا حديث حسن وقبيح ؛ فإذا استطعت أن تكون حديثا حسنا فكنه ، قال ابن عبد الله : وذكر هذا الكلام لابن عائشة فقال : صدق ، هو والله من قوله تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ، وأنشد ابن عائشة :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ النَّاسَ يَتَّخِذُ بَعْدَهُمْ أَحَادِيثَهُمْ وَالْمَرْءَ لَيْسَ بِخَالِدٍ
وقال أيضا :

وَإِذَا الْفَتَى لَاقَى الْحِمَامَ رَأَيْتَهُ لَوْ لَا الثَّنَاءُ كَانَتْ لَمْ يُولَدِ

وروى محمد بن زكريا الغلابي : كان مريد يكتي أبا إسحاق ، وكانت له نوادر ؛ فبينما هو ذات يوم جالس إذ جاءه أصحابه فقالوا : يا أبا إسحاق ، هل لك في الخروج بنا إلى العقيق ، وإلى قباء ، وإلى أحد ؛ ناحية قبور الشهداء ؛ فإن هذا يوم كاترى طيب ؛ فقال : اليوم يوم الأرباء ، ولست أبرح من منزلي ، فقالوا له : ماتسكروه من يوم الأرباء وفيه ولد يونس بن متى ؟ فقال : بآبي وأمي صلى الله عليه وآله ! وفيه النجمة الموث ، فقالوا : يوم نصر فيه يوم الأحزاب ، فقال : أجل ! ، ولستكن بعد إذ زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر .

فقال له : إلى من طربت ؟ فقال :

وَلَا أَنَا مِمَّنْ يَرْجُرُ الطَّيْرَ ؛ هَمَّهُ : أَصَاحَ غُرَابًا أَمْ تَعَرَّضَ ثَعْلَبٌ ^(١)

وَلَا السَّانِحَاتُ الْبَارِحَاتُ عَشِيَّةً أَمْ رَسَلِمُ الْقَرْنِ أَمْ مَرَّ أَعْصَبُ ^(٢)

وَلَكِنْ إِلَى أَهْلِ الْفَعَائِلِ وَالنَّحْيِ وَخَيْرِ بَنِي حَوَّاءَ ، وَالْخَيْرُ يُطْلَبُ

فقال له الفرزدق : هؤلاء بنو دارم ، فقال الكُمَيْت :

إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ الَّذِينَ بِحَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَأْتِي أَتَقَرَّبُ

فقال الفرزدق : هؤلاء بنو هاشم ، فقال الكُمَيْت :

بَنِي هَاشِمٍ رَهْطُ النَّبِيِّ فَإِنِّي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مِرَارًا وَأَعْصَبُ ^(٣)

فقال له الفرزدق : والله لو جُزَّتْهُمْ إِلَى سِوَاهُمْ لَذَهَبَ قَوْلُكَ بَاطِلًا .

[٢١]
ط

ومما يشهد لذلك ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثني ١٠
جدي يحيى بن الحسن العلوي قال حدثنا الحسين بن محمد بن طالب قال : حدثني غير واحد
من أهل الأدب أن علي بن الحسين عليهما السلام حجَّ فاستجهر ^(٤) الناس جماله ، وتشوَّفوا
له ، وجعلوا يقولون : مَنْ هذا ؟ فقال الفرزدق :

(١) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « في المتن ، قال المرتضى رضي الله عنه : يجب الوقوف

على الطير » ، ثم يبدأ « بهمه » ليعلم الغرض . والزجر هنا : التبين أو التشاؤم بالطير وغيره .

(٢) السانح من الطائر : مامر من مياسرك إلى مياسرك ، والبارح عكسه ، وكان العرب يتيامنون بالسانح ،

وينشأون بالبارح ، والأعصب : مكسور القرن ، وفي ت ، ف بعد هذا البيت : « فقال : إلى من طربت

لأُم لك ! فقال الكُمَيْت ... »

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « أعني بني هاشم ، أو إلى بني هاشم » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقال : جهرت الرجل واستجهرته ؛ إذا رأيت عظيم المرأة ، وما

أحسن جهر فلان ! أي ما يجتهر من هيئته وحسن منظره ؛ وقيل : اجتهر ؛ أي حملهم بجماله على أن يجهروه

عليه السلام ، أي يدركوا جهره » .

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كَلِمُهُ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءَ وَطَانَهُ وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ^(١)
إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَاتِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ
يَكَادُ يُنْسِكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ رَكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ^(٢)
يُنْفِى حَيَاءً وَيُنْفِى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ^(٣)
أَيُّ الْقَبَائِلِ لَيْسَتْ فِي رِقَابِهِمْ لِأَوْلِيَّةٍ هَذَا أَوْ لَهُ نِعَمُ
مَنْ يَعْرِفِ اللَّهَ يَعْرِفُ أَوْلِيَّةَ ذَا فَالَّذِينَ مِنْ بَيْتِ هَذَا نَالَهُ الْأُمَمُ^(٤)

(١) البطحاء: أرض مكة النبطية، والحل، بالكسر: خارج المواقيت من البلاد، والحرم: ما بين المواقيت المعروفة؛ وأراد بهما أهل الحل والحرم.
(٢) الحطيم: الجدار الذي عليه ميزاب السكبة، واتصب به عرفان على أنه مفعول له، أي يكاد ينسكه ركن الحطيم؛ لأنه عرف راحته، ويستلم، بمعنى يلمس الحجر الأسود.
(٢) حواشي الأصل، ت، ف: روى أبو الفرج في كتاب الأغاني السكبي هذا البيت: ينفي... وبينا آخر وهو:

بَكَفَّهُ خَيْرُ رَانَ رِيحَهَا عَبَقٌ مِنْ كَفِّ أَرْوَعٍ فِي عِرْنَيْنِهِ شَمَمٌ

للحزين المكناني، قال: مدح بهما الحزين عبد الله بن عبد الملك، وقد حج، وكان أبوه عبد الملك قد وصاه بالأعجب الحزين لحب لسانه، ووصفه له بهيئته، فدخل عليه وأشهد البيتين. قال أبو الفرج: والاس يروون هذين البيتين في أبيات الفرزدق التي مدح بها زين العابدين عليه السلام.
وقد ذكر أبو تمام في (الحاسة - بشرح التبريزي ٤-١٦٧-١٦٩) الأبيات منسوبة إلى الحزين اللبي. وانظر تفصيل الخبر وتحقيق نسبة الأبيات في (الأغاني ١٤: ٧٧-٧٤).

(٤) حاشية ف: وروى أنه كان عبد الملك بن مروان لما سمع هذا من الفرزدق قال له: «أو رافضى أيضاً أنت؟ فقال الفرزدق: إن كان حب آل محمد رفضاً فأنا هناك»، فقال عبد الملك: قل في مثل ماقلته فيه، وعلى أن أضعف عطاءك، فقال الفرزدق: وتحييني بأب مثل أبيه وأم مثل أمه؛ حتى أقول فيك مثل ماقلته فيه؛ أتقول هذا ولا تستحي من الله عز وجل! مر حتى تسقط اسمي من الديوان جملة، فأسقط عطاءه. فبلغ ذلك على بن الحسين عليهما السلام، فبعث إليه، فلما أراه قال: يا أبا فراس؛ خذ مني جميع ما أملكك، ولك الفضل بعد ذلك؛ وما كآؤك بعد؛ فقال: يا بن رسول الله، ماقلته فيك لرجاء متوبة؛ وإن نوابي على الله، وما أؤمله فيكم عند الله عز وجل أحب إلى من ملك عبد الملك؛ فقال: فكم كان عطاؤه الذي حرمة؟ قال: ألف ومائتان في السنة، فوزن له ثمانية وأربعين ألفاً، عطاء أربعين سنة، فأخذها والحرف.

وفي رواية الثعلابي أن هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك - أو الوليد - وهو حديث^(١) السنن، فأراد أن يستلم الحجر، فلم يتمكن من ذلك لتراحم الناس عليه، فجلس ينتظر خلوة؛ فأقبل على بن الحسين عليهما السلام، وعليه إزار ورداء، وهو من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم ريحاً، بين عينيه سجدادة، كأنها رُكبة عثر، فجعل يطوف بالبيت، فإذا بلغ الحجر تنحى الناس له حتى يستلمه، هيبة له وإجلالا. ففاظ ذلك هشاماً، فقال رجل من أهل الشام لهشام: مَنْ هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه - لتلا يرغب فيه أهل الشام. فقال الفرزدق - وكان هناك حاضراً - : لكني أعرفه، وذكر الأبيات، وهي أكثر مما رويناه؛ وإنما تركناها^(٢) لأنها معروفة.

قال: فعضب هشام، وأمر بحبس الفرزدق بعُصفان، بين مكة والمدينة، وبلغ ذلك على بن الحسين عليهما السلام، فبعث إلى الفرزدق بائني عشر ألف درهم وقال: اعذرنا يا أبا فراس، [٢٢] قلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر منها لو سلناك به، فردها الفرزدق وقال: يا بن رسول الله، ما فات الذي قلت إلا غفياً لله ورسوله، وما كنت لأرزأ^(٣) عليه شيئاً؛ فردها إليه وأقسم عليه في قبولها وقال له: قد رأى الله مكانك، وعلم نيتك، وشكر لك، ونحن أهل بيت إذا أنفدنا شيئاً لم نرجع فيه؛ فقبلها، وجعل الفرزدق يهجو هشاماً وهو في الحبس؛ فما هجاء به قوله:

تَحْبَسُنِي بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَاللَّيْلِ لَهَا رِقَابُ النَّاسِ يَهْوِي مَنِيْبُهَا^(٤)
يَقْلِبُ رَأْسًا لَمْ يَكُنْ رَأْسَ سَيِّدٍ وَعَيْنًا لَهُ حَوْلًا بِأَمْرِ غِيْبُهَا

(١) د، ف، حاشية ت (من نسخة) : « حدث السن » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « تركناها أكثرها » .

(٣) ت : « لأرزأه » . وفي حاشية ف : « يقال : مارزأته شيئاً : أي لم آخذ منه شيئاً » .

(٤) ديوانه ١ : ١١٠ . وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « يحبسي » . وحاشية ف (من نسخة) :

« قلوب لاس يهوي » : وهي رواية الديوان .

مَجْلِسِ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةِ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ فَقَالَ : مَا عِنْدَكُمْ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩] .
وَوَظَاهِرُ هَذِهِ الْآيَةِ يَقْتَضِي أَنَّهُ تَعَالَى مَا شَاءَ أَنْ يَكُونُوا أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنْ يَجْتَمِعُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْهُدَى ؛ وَهَذَا بِخِلَافِ مَا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ ؛ ثُمَّ قَالَ : ﴿وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ عَنِّي أَنَّهُ لِالْاِخْتِلَافِ خَلَقَهُمْ ، أَوِ لِلرَّحْمَةِ ؛ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَعْني الرَّحْمَةُ ؛ لِأَنَّ الْكُنْيَاةَ عَنِ الرَّحْمَةِ لَا تَكُونُ بِلَفْظَةِ «ذَلِكَ» ؛ وَلَوْ أَرَادَهَا لَقَالَ : وَلَتِلْكَ خَلَقَهُمْ ، فَلَمَّا قَالَ ﴿وَلَئِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كَانَ رَجُوعُهُ إِلَى الْاِخْتِلَافِ أَوَّلَى . وَلَيْسَ يَبْطُلُ حُلُّ الْآيَةِ عَلَى الْاِخْتِلَافِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ مَذْكُورًا فِيهَا ؛ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ أَيْضًا غَيْرُ مَذْكُورَةٍ فِيهَا ، وَإِذَا جَعَلْتُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ دَالًّا عَلَى الرَّحْمَةِ فَكَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ دَالٌّ عَلَى الْاِخْتِلَافِ ؛ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَةَ هِيَ رَقَّةُ الْقَلْبِ وَالشَّفَقَةُ ؛ وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَتَى تُمَدِّى بِهَا مَا ذَكَرْنَاهُ ، لَمْ يُعْنِ بِهَا إِلَّا الْعَفْوُ وَإِسْقَاطُ الضَّرَرِ ، وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ ^(١) عَنْ مُسْتَحَقَّةٍ ، وَهَذَا عَمَّا لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونُوا مَخْلُوقِينَ لَهُ عَلَى مَذْهَبِكُمْ ، لِأَنَّهُ لَوْ خَلَقَهُمُ لِلْعَفْوِ لِمَ احْسُنَ مِنْهُ عِقَابَ الْمُذْنِبِينَ وَمُؤَاخَذَةَ الْمُسْتَحْقِينَ .

الْجَوَابُ ، يَقَالُ لَهُ : أَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ فَإِنَّمَا عَنِّي بِهِ الْمَشِئَةُ الَّتِي يَنْضَمُّ [٢٢] إِلَيْهَا الْإِجَاءُ ، وَلَمْ يُعْنِ / الْمَشِئَةُ عَلَى سَبِيلِ الْاِخْتِيَارِ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ تَعَالَى أَنْ يُخَبِّرَنَا عَنْ قُدْرَتِهِ ، وَأَنَّهُ مِمَّنْ لَا يَفَالِبُ ، وَلَا يَعْصِي مَقْهُورًا ؛ مِنْ حَيْثُ كَانَ قَادِرًا عَلَى الْإِجَاءِ الْعَبِيدِ ، وَإِكْرَاهِهِمْ عَلَى مَا أَرَادَ مِنْهُمْ .

فَأَمَّا لَفْظَةُ «ذَلِكَ» فِي الْآيَةِ فَمُثْلُهَا عَلَى الرَّحْمَةِ أَوَّلَى مِنْ حَمَلِهَا عَلَى الْاِخْتِلَافِ ؛ لِذَلِكَ

المقل وشهادة اللفظ ، فأما دليل المقل فمن حيث علمنا أنه تعالى كره الاختلاف ، والذهاب عن الدين ، ونهى عنه ، وتوعد عليه ، فكيف يجوز أن يكون شائياً له ، ومجرباً^(١) بخلاف المباد إليه .

وأما شهادة اللفظ فلأن الرحمة أقرب إلى هذه الكناية من الاختلاف ، وحمل اللفظ على أقرب المذكورين إليها أولى في لسان العرب .

فأما ما طعن به السائل ، وتعلق به من تذكر الكناية ، وأن الكناية عن الرحمة لا تكون إلا مؤنثة فباطل ، لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي ، وإذا كُنِيَ عنها بلفظ التذكير كانت الكناية على المعنى ، لأن معناها هو الفضل والإنعام ؛ كما قالوا : سرّني كلمتك ، يريدون سرّني كلامك ، وقال الله تعالى : ﴿ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي ﴾ ؛ [الكهف : ٩٨] ؛ ولم يقل « هذه » ، وإنما أراد هذا فضل من ربي ؛ وقالت الخنساء :

فذلك يا هِنْدُ الرِّزْيَةُ فاعْلَمِي وَنِيرانُ حَرْبٍ حِينِ شَبَّ وَقَوْدُهَا^(٢)
أرادت الرِّزْءَ ؛ وقال امرؤ القيس :

بَرَّهْرَهَةَ رُوْدَةَ رَخْصَةَ كَخِرْعُوْبَةِ الْبَانَةِ الْمُنْفِطِرِ^(٣)

فقال : « المنفطر » ولم يقل المنفطرة ، لأنه ذهب إلى الفصن ؛ وقال الآخر :

هَرَبِيئاً لَسَعِدٍ مَا اقْتَضَى بَعْدَ وَقْعِي^(٤) بِنَاقَةِ سَعِدٍ وَالْعَشِيَّةُ بَارِدُ

فذكر الوصف : لأنه ذهب إلى العشي ؛ وقال الآخر :

قَامَتْ تُبَكِّيهِ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ^(٥)

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : • الإجراء يستعمل في المنسكرك المموم ؛ يقال : أجرى عليه إفعله ، ولا يقال إلا في الشر • .

(٢) ديوانها : ٩ •

(٣) ديوانه : ٨ • البرهرة : الرقيقة الجلد ، والرودة : الرخصة الناعمة ، والخرعوبة : المضطرب النفس ، والمنفطر : المنشق .

(٤) حاشيت (من نسخة) : • وقفني • .

(٥) البيتان في المقد : ٣ : ٢٥٩ ، و : ٥ : ٣٩٠ ؛ ونسبهما لأعرابية على قبر ابن لها يقال له عامر •

نَرَ كَتْنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ^(١) قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ

فقال: « ذا غربة » ولم يقل ذات غربة ، لأنه أراد شخصا ذا غربة ؛ وقال زياد الأعجم :

[٢٣] / إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّامَةَ ضُمْنَا قَبْرًا يَمْرَوُ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ^(٢)

فقال: « ضُمْنَا » ولم يقل ضُمْنَتَا ؛ قال الفراء: لأنه ذهب إلى أن السامحة والشجاعة مصدران ،

والعرب تقول : قِصَارَةُ الثَّوبِ يُمَجِّبُنِي ؛ لأن تأنيث المصادر يرجع إلى الفعل ، وهو مذكور .

وقال الفرزدق :

تَجُوبُ بِنَا الْفَلَاةَ إِلَى سَعِيدٍ إِذَا مَا الشَّاةُ فِي الْأَرْطَاةِ قَالَا^(٣)

فذكر الوصف ، لأنه أراد التيس ؛ فأما الأرطاة فهي واحدة الأرطى ، وهي^(٤) شجر

يَنْبُتُ فِي الرَّمْلِ تَسْتَظِلُ بِظِلَالِهِ الظُّبَاءُ مِنَ الْحَرِّ ، وتَأْوِي إِلَيْهِ ، قال الشماخ :

١٠ إِذَا الْأَرْطَى تَوَسَّدَ أُرْدِيهِ خُدُودُ جَوَازِي بِالرَّمْلِ عَيْنِ^(٥)

(١) في المخطوط : « في وحشة » .

(٢) اللآلئ ٩٢١ ؛ وبهذه :

فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْقِرْ بِهِ كَوْمَ الْجِلَادِ وَكُلَّ طَرْفٍ سَابِحٍ

وفي ت ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إن السامحة والشجاعة » .

(٣) ديوانه ٢ : ٦١٧ ، وروايته : « فروحت القلوب إلى سعيد » .

(٤) في نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « وهو » .

(٥) ديوانه ٩٢ ، وفي حاشيته ت (من نسخة) : « توسد أوردية » ، وفي حواشي الأصل ،

ت ، ف : « قبله » .

إِلَيْكَ بَعَثْتُ رَاحِلَتِي تَشْكِي هُزْأًا بَعْدَ مَقْحِدِهَا السَّامِينَ

إِذَا بَرَكْتَ عَلَى شَرْفٍ وَأَلْقَتْ عَسِيبَ جَرَانِهَا كَمَصَا الْهَجِينِ

إِذَا الْأَرْطَى

المقعد : أصل السنام ، والشرف : الجعد من الأرس ، وعسيب جراتها : صفعة العنق ، والهجين :

الراعي ، والجوازي : « التي اكتمت بالرطب عن الماء » ، وأردا الأرطى : الغداة والعشي ؛ وقال خالد بن

كاثوم : أبرداه : ظلام ؛ الظل بالغداة والعشي ؛ وقال ابن دريد : معناه أن البقرة تتوسد بالغداة

الأرطى الذي يلي المغرب ، فإذا دارت الشمس دارت معها إلى ناحية المشرق تتوسد الفصول التي عالت عنها

الشمس . والعين : جمع عيناة ؛ وهي الواسعة العين .

- وقوله: «قالا» من القِيلُولَة لامن القول، على أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ كما يدلّ على الرحمة يدلّ أيضاً على «أن يرّحم»، فإذا جعلنا الكناية بافظة «ذلك» عن أن يرّحم كان التذكير في موضعه؛ لأن الفعل مذكر، ويجوز أيضاً أن يكون قوله تعالى ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ كناية عن اجتماعهم على الإيمان، وكونهم فيه أمة واحدة؛ ولا محالة أنه لهذا خلقهم؛ ويطابق هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؛ [الذاريات: ٥٦].
- وقد قال قوم في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ معناه أنه لو شاء أن يدخلهم أجمعين الجنة، فيكونوا في وصول جيمهم إلى النعيم أمة واحدة، وأجرى هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾؛ [السجدة: ١٣]. في أنه أراد: هداها إلى طريق الجنة، فعلى هذا التأويل أيضاً يمكن أن ترجع لفظة «ذلك» إلى إدخالهم أجمعين إلى الجنة، لأنه إنما خلقهم للمصير إليها والوصول إلى نعيمها.
- فأما قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرَاوُنَّ مُخْتَلِفِينَ﴾ فمعناه الاختلاف في الدين والذهب عن الحق فيه بالهوى والشبهات.

- وذكر أبو مسلم ابن بحر في قوله: ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ وجهاً غريباً وهو أن يكون معناه أن خلف هؤلاء الكافرين يخلف سلفهم في الكفر، / لأنه سواء قولك: خاف بعضهم بعضاً، [٢٣] وقولك: اختلفوا^(١)، وسواء قولك: قتل بعضهم بعضاً، واقتتلوا؛ ومنه قولهم: لا أفعل كذا ما اختلف المصران والجديدان، أي جاء كل واحد منهما بعد الآخر.

- فأما الرحمة فليست رقة القلب كما ظنه السائل، لكنها فعل الذم والإحسان، يدلّ على ذلك أن مَنْ أحسن إلى غيره، وأنعم عليه يوصف بأنه رحيم به، وإن لم يعلم منه رقة قلب عليه، بل وصفهم بالرحمة مَنْ لا يعبدون منه رقة القلب أقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك؛ لأن مشقة النعمة والفضل والإحسان على مَنْ لا رقة عنده أكبر منها على الرقيق القلب، وقد علمنا أن مَنْ رقى قلبه لو امتنع من الإفضال والإحسان لم يوصف بالرحمة، وإذا أنعم

(١) حاشية الأصل: وسمى الاختلاف اختلافاً لأن الكلام يخلف بعضه بعضاً.

وُصِفَ بذلك ، فوجب أن يكون معناها ما ذكرناه ؛ على أنه لا يمتنع أن يكون معنى الرحمة في الأصل ما ذكرتم^(١) ، ثم انتقل بالتعارف إلى ما ذكرناه كمنظأره . وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه هُدًى ورحمة من حيث كان نعمة ، ولا يثنأى في القرآن ما ظنوه^(٢) ؛ وإنما وصفت رقة القلب بأنها رحمة ؛ لأنها مما تجاوزه الرحمة التي هي النعمة في الأكثر ، وتوجد عنده ، محلّ محلّ وصف الشهوة بأنها محبة لما كانت توجد عندها المحبة في الأكثر ؛ وليست الرحمة مختصةً بالعمو ؛ بل تستعمل في ضروب النعم ، وصنوف الإحسان ؛ ألا ترى أننا نصِّفُ المنعم على غيره ، المحسن إليه بالرحمة ، وإن لم يسقط عنه ضرراً ، ولا تجاوز له عن زلة ؛ وإنما سمي العفو عن الضرر وما جرى مجراه رحمةً من حيث كان نعمة ؛ لأن النعمة بإسقاط الضرر تجري مجرى النعمة بإيصال النفع ، فقد بان بهذه الجملة معنى الآية ، وبطلان ما ضمنه السائل ١٠ سؤاله .

فإن قيل : إذا كانت الرحمة هي النعمة ، وعندكم أن نعم الله تعالى شاملة للخلق أجمعين ، فأى معنى لاستثناء ﴿ مَنْ رَحِمَ ﴾ من جملة المختلفين إن كانت الرحمة هي النعمة ؟ وكيف يصح اختصاصها بقوم دون قوم وهي عندكم شاملة عامة ؟

قلنا : لا شبهة في أن نعم الله شاملة للخلق أجمعين ؛ غير أن في نعمه أيضاً ما يختص بها بعض العباد^(٣) ، إما لاستحقاق ، أو لسبب يقتضى الاختصاص / فإذا حملنا قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ﴾ على النعمة بالثواب ، فالاختصاص ظاهر ، لأن النعمة به لا تكون إلا مستحقة ، فمن استحق الثواب بأعماله وصل إلى هذه النعمة ، ومن لم يستحقه لم يصل إليها . وإن حملنا الرحمة في الآية على النعمة بالتوفيق للإيمان واللفظ الذى وقع بعده فعل الإيمان كانت هذه النعمة أيضاً مختصة ، لأنه تعالى إنما لم يُنعم على سائر المكلفين بها ؛ من حيث

(١) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : ما ذكر .

(٢) س : د فالوه .

(٣) ت : د الخلق .

لم يكن في معالومه تعالى أن لهم توفيقاً، وأن في الأفعال ما يختارون عنده الإيمان؛ فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم آخر لهم؛ كما أن شمول تلك النعم لا يمنع من اختصاص هذه .

تأويل خبر

روى أبو مسعود البدرى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستحي فاصنع ^(١) ما شئت » .
وفي هذا الخبر وجوه من التأويل ثلاثة :

أحدها أن يكون معناه : إذا عملت العمل لله جل وعز وأنت لا تستحي من الناظرين إليك ، ولا تتخوفهم ^(٢) أن ينسبوك فيه إلى الرياء صنعت ما شئت ، لأن فكرك فيهم ، ومراقبتك لهم يقطعانك عن استيفاء شروط عملك ، ويعلمانك من القيام بحدوده وحقوقه ؛ وإذا طرحت الفكر توفرت على استيفاء عملك .

والوجه الثاني أن من لم يستحي من المأثم والمغرم والفضائح صنع ما شاء ، والظاهر ^(٣) ظاهر أمر ، والمغرم معنى تغليظ وإنكار ؛ مثل قوله تعالى : ﴿ اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ ؛ [فصلت : ٤٠] ، وقوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ ؛ [الكهف : ٢٩] ؛ وهذا نهاية التغليظ والزجر والإخبار عن كبر ^(٤) الذنب في أطراح الحياء ؛ ويجرى مجرى قولهم : بعد أن فعل فلان كذا فليفعل ما يشاء ، وبعد أن أقدم على كذا فليقدم على ما شاء ؛ والمعنى المبالغة في عظم ما ارتكبه ، وقبح ^(٥) ما اقترفه .

والوجه الثالث أن يكون معنى الخبر إذا لم تفعل ما تستحي منه فافعل ما شئت ؛

(١) حاشية ت (من نسخة) : « فافعل » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « خاف وتخوف بمعنى » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « فالظاهر » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « عظم الذنب » .

(٥) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « وقبيح » .

فكان معنى (١) الخبر إذا لم تفعل قبيحاً فافعل ما شئت ، لأنه لا قبيح (٢) من ضروب القبايح إلا والحياة يصاحبه ، ومن شأن فاعله إذا قرّع به أن يستحي منه ، فمتى جانب [٧٤] الإنسان ما يستحي منه من أفعاله فقد جانب سائر القبايح ، وما عدا القبيح من الأفعال فهو حسن .

• ويحرى هذا بحرى خبر يروى فيما أظن عن نبينا عليه السلام أن رجلاً جاءه (٣) فاسترشده إلى خصلة يكون فيها جماع الخير ، فقال له عليه السلام : « أشرت عليك ألا تكذبنى ، ولن أسألك (٤) ما وراء ذلك » ، فبان على الرجل ترك الكذب خاصة ، والمماهة على اجتنابه دون سائر القبايح ، وشرط على نفسه ذلك ، فلما انصرف جعل كلما هم بقبيح يفكر (٥) ويقول : أرأيت لو سألتني عنه النبي صلى الله عليه وآله ما كنت قائلًا له ، لأننى إن صدقته افتضحت ، وإن كذبتة نقضت العهد بينى وبينه ؛ فكان ذلك سبباً لاجتنابه لسائر القبايح (٦) ، وهكذا معنى الخبر الذى تأولناه ؛ لأن فى اجتناب ما يستحي منه اجتناباً لسائر القبايح .

(١) م : « المعنى » . (٢) م : « لا ضرب » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « أناه » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « عما » .

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « يفكر » ؛ بإسكان الفاء وكسر الكاف .

(٦) حاشية ف : « قال السيد الإمام ضياء الدين : وفي رواية أخرى أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأسلم ثم قال : أنا وأخذ من الذنوب بما ظهر ، وأنا أستر بخلال أربع : الزنا والسرقه وشرب الخمر والكذب ؛ فأيتهن أحببت تركت ، قال : دع الكذب ؛ فلما نولى من عند النبي صلى الله عليه وآله هم بالزنا ؛ فقال : بسألت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فإن جعلت تقضت ما جعلت ، وإن أقررت حددت ، ثم هم بالسرقه ثم بهرب الخمر ؛ فتفكر فى مثل ذلك ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : يا رسول الله ، تركتهن أجمع . قال السيد : إنما كتبت هذه الرواية هاهنا ؛ لأن هذه مفصلة ، وتلك مجملة ، ولأنى رأيت السيد غير عمق فيما أورده » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ أَخَذَ

روى محمد بن الحنفية رحمة الله عليه عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان قد كثر على مارية القبطية أم إبراهيم في ابن عم لها قبطي كان يزورها ، ويختلف إليها ، فقال لي النبي صلى الله عليه وآله : « خذ هذا السيف وانطلق ، فإن وجدته عندها فاقتله » . قلت : يا رسول الله ، أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة^(١) المحمأة ، أمضى لما أمرتني ، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟ فقال لي النبي صلى الله عليه وآله : « بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب » . فأقبلت متوشحاً^(٢) بالسيف ، فوجدته عندها ، فاخترطت السيف ، فلما أقبلت نحوه عرف أني أريده ، فأتى نخلة فرقي إليها ، ثم رمى بنفسه على قفاه ، وشفر برجليه ، فإذا إنه أجب أمسح ، ماله مما للرجال قليل ولا كثير ، قال : ففعدت السيف ورجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته ، فقال : « الحمد لله الذي يصرف^(٣) عنا أهل البيت » .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علومه : في هذا الخبر أحكام وغريب ، ونحن نبدأ بأحكامه ، ثم نلونها بغريبه .

فأول ما فيه أن لقائل أن يقول : كيف يجوز أن يأمر الرسول عليه السلام بقتل رجل على التهمة^(٤) بغير بينة ولا ما يجري مجراها؟ والجواب عن ذلك أن القبطي جائز أن يكون من أهل العهد الذين أخذ عليهم أن تجرى فيهم^(٥) أحكام المسلمين ، وأن يكون الرسول عليه السلام تقدم إليه بالانتهاء عن الدخول إلى مارية ، فخاف وأقام على ذلك ، وهذا نقض للعهد ، وناقض

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : ه السكة : الحديد التي تكون على طرف آلة القدان ، والقدان آلة الأكرة . (٢) توشحت بالسيف : إذا تقادته .

(٣) حاشية ت من نسخة : ه صرف ، و د : ه صرف عنا الرجس أهل البيت ، و ط ، م :

ه صرف عنا الرجس أهل البيت . (٤) في حواشي الأصل ، ت ، ف : ه التهمة ؛ بالتحريك هو

الصحيح . (٥) حاشية ت (من نسخة) : ه عليهم .

المهد من أهل الكفر مؤذنٌ بالمحاربة ؛ والمؤذنُ بها مستحقٌ للقتل .

فأما قوله : « بل ^(١) الشاهد يرى مالا يرى الغائب ^(٢) » فإنما عني به رؤية العلم لرؤية البصر لأنه لا معنى في هذا الوضع لرؤية البصر ، فكأنه عليه وآله السلام قال : بل الشاهد يعلم ؛ ويصح له من وجه الرأي والتدبير مالا يصح للغائب ؛ ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال ، وإنما جاز منه عليه الصلاة والسلام أن يخير بين قتله والكف عنه ، ويقوض الأمر في ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام من حيث لم يكن قتله من الحدود والحقوق ، التي لا يجوز المغو عنها ، ولا يسع إلا إقامتها ، لأن ناقض المهد ممن إلى الإمام القائم بأمر ^(٣) المسلمين إذا قدر عليه قبل التوبة أن يقتله ، أو أن يمن عليه .

ومما فيه أيضا من الأحكام اقتضاؤه أن مجرد أمر الرسول صلى الله عليه وآله لا يقتضي الوجوب ، لأنه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته ولا استفهامه ؛ وفي حسنها ووقوعها موقعها دلالة ^(٤) على أنها لا تقتضي ذلك .

ومما فيه أيضا من الأحكام دلالتُه على أنه لا بأس بالنظر إلى عورة الرجل عند الأمر ينزل فلا يوجد من النظر إليها بدءا لحديث يقام ، أو لعقوبة تسقط ، لأن العلم بأنه أمسح أجب لم يكن إلا عن تأمل ونظر ، وإنما جاز التأمل والنظر لتبيين : هل هو ممن يكون منه ما قُرف به أولا ، والواجب على الإمام فيمن شهد عليه بالزنا ، وادّعى أنه مجبوب أن يأمر بالنظر إليه ، وتبيين أمره ، وبمثله أمر النبي صلى الله عليه وآله في قتل مقاتلة بن قريظة ، لأنه أمر أن ينظروا إلى مؤثر ، وكل من أشكل عليهم أمره ، فمن وجدوه قد أنبت قتلوه ، ولولا جواز النظر إلى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة الزنا ؛ لأن من رأى رجلا مع امرأة واقعا عليها متى لم يتأمل أمرهما حتى التأمل لم تصح شهادته ، ولهذا قال النبي

(١-١) حاشية ت (من نسخة) : « بل لا يرى الشاهد ما يرى الغائب » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بأمر » .

(٣) ط : « وفي حسنها ووقوعها دلالة .. » ، م : « وفي حسنها ووقوعها موقعها » .

صلى الله عليه وآله لسعد بن عباد ، وقد سأله عمن وجد مع امرأته رجلا ، أقتله ؟ / فقال [٢٠]
صلى الله عليه وآله : لا ، حتى يأتى بأربعة شهداء ، ولو لم يكن للشهداء إذا حضروا تعمّد النظر إلى
عورتيهما لإقامة الشهادة كان حضورهم كغيبتهم ، ولم تقم شهادة الزنا ؛ لأن من شرطها
مشاهدة العضو في العضو كالليل في السحابة .

فإن قيل : كيف جاز لأمر المؤمنين الكف عن القتل ، ومن أى جهة آثره لما وجده .
أجب ، وأى تأثير لكونه أجب فيما استحق به القتل وهو نقض العهد ؟ قلنا : إنه عليه
السلام لما فوض إليه الأمر في القتل والكف كان له أن يقتله على كل حال ، وإن وجده
أجب ؛ لأن كونه بهذه الصفة لا يخرج من نقض العهد ، وإنما آثر الكف الذى كان
إليه ، ومفوضاً إلى رأيه ، لإزالة التهمة والشك الواقعين في أمر مارية ، ولأنه أشفق من أن
يقتله ، فيتحقق الظن ويلحق بذلك العار ، فرأى عليه السلام أن الكف أولى لما ذكرناه . ١٠

فأما غريب الحديث ^(١) فقوله : « شفر ^(٢) برجليه » يريد فمهما ^(٣) ، وأصله في وصف الكلب
إذا رفع رجله للبول ، فأما نكاح الشغار ^(٤) - وقد قيل الشغار بالفتح - فهو أن يزوّج الرجل
من هو ولي لها من بنت أو أخت غير ، على أن يزوجه بنته أو أخته بغير مهر . وكان
أحد العرب في الجاهلية يقول للآخر : شاغرتني ؛ أى زوجني حتى أزوّجك ؛ وأظنه مأخوذاً
من الشفر الذى هو رفع الرجل ، لأن النكاح فيه معنى الشفر ، فسمى هذا العقد شغاراً ١٥
ومشاغرة ، لإفضائه في كل واحد من المزوجين ^(٥) إلى معنى الشفر ، وصار اسماً لهذا النكاح
كما قيل في الزنا سفاح ، لأن الزانيين يتساخنان الماء ، أى يسكبانه ، والماء هو النطفة ، ويمكن
أن يكون أيضاً المساء الذى يغتسلان به ، فكُنِيَ بذلك عن الزنا ^(٥) ثم صار اسماً له وعلماً
عليه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الخبر » . (٢-٣) حاشية ت (من نسخة) : « برجليه »

يريد فمهما . (٣) ت ، ف : « الشغار ، بالكسر » . (٤) ت ، ف : « المتزوجين » .

(٥) حاشية ف : « الزنا والزنا كلاهما صحيح » .

ومن الشَّعر الذي هو رُفَع الرجل قول زياد لابنة معاوية ، وكانت عند ابنه ، فافتخرت يوماً عليه ، وتطاولت ، فشكاها إلى أبيه زياد ، فدخل عليها بالدِّرة يضربها ، ويقول لها أشعراً وفخراً ! وأما قول الفرزدق :

شَعَارَةٌ تَقْدُ الفَصِيلَ بِرَجْلِهَا فَطَارَةٌ لِقَوَادِمِ الأَبْكَارِ^(١)

(٢٦) / فإنه من غريب شعره ، وفسره قال : معنى «شعارة» أنها ترفع رجلها للبول ، وقوله : «تَقْدُ الفَصِيلَ بِرَجْلِهَا» ، أي تركلته وتدفعه عن الدنوّ إلى الرضاع ، ليتوقّر الابن على الحلب ، وأراد «بتقدّه»^(٢) ، أي تبالغ في إيلاجه وضربه ، ومنه الموقوذة^(٣) ؛ فأما قوله : «فطاراة لقوادم الأَبْكَار» ، فالفطرُ هو الحلب بثلاث أصابع ، والقوادم هي الأخلاف ، وإنما خصّ الأَبْكَار بذلك ؛ لأنّ صغر أخلافها يمنع من حلبها ضمّاً^(٤) ، والضمُّ هو الحلب بالأصابع الأربع^(٥) ؛ فكأنه لا يمكن فيها لِقْصَر أخلافها إلا الفطر ؛ ومعنى البيت تعبيره نساء جرير بأنهنّ راعيات ، وذلك مما تُعَبِّرُ به المربّ النساء ؛ ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت :

كَمْ عَمَّ لَكَ يَا جَرِيرُ وَخَالَةً فدُعَاءَ قَدْ حَلَبْتُ عَلَى عِشَارِي^(٦)

كُنَّا نَحَازِرُ أَنْ تُضَيِّعَ لِقَاحَنَا وَلَهَا إِذَا سَمِعَتْ دُعَاءَ يَسَارِ^(٧)

ثم تلا ذلك بقوله : شعاراة ...

١٥ قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وعندي أن قوله «شعاراة» كناية عن رفع رجلها للزنا ، وهو أشبه بأن يكون مراده في هذا الموضع ، ألا ترى أنه قد وصفها بالوكلة ، وترك

(١) ديوانه ٣ : ٤٥٢ .

(٢) ف حاشية ث (من نسخة) : « تقد » .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « الموقوذة : الشاة التي يرميها الراعي بالمصا فتعوت » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « ضفا ؛ والضف هو الحلب » .

(٥) م : « الأربع كلها » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف . « القدح : اعوجاج في الزند ، وعلى تنعل بمعدنوف ، كأنه قال :

متخففة على ، أو قائمة على » ، والعشار : جمع عسراء ؛ وهي الناقة التي أُنِيَ عليها من وضعها عشرة أشهر » .

(٧) في حاشيتي الأصل ، ف : « القاح : جمع لفعة ؛ وهي الناقة الحديثة العهد بالتاج » .

حفظ اللقاح عند سماعها دعاء يسار ؛ ويسار اسم لراع ؛ فكأنه قد وصفها بالولاء إلى الزنا والإسراع إليه، وترك حفظ ما استخفظته من اللقاح ؛ فالأشبه أن يكون قوله : « شغارة » - مع كونه عقيب البيت الذي ذكرناه - محمولا على ما أشرنا إليه .

فأما قولهم : ذهبوا شغراً بغير فليس من هذا في شيء ، وإنما يراد به أنهم ذهبوا متفرقين متشتتين ، ومثله ذهبوا عباديد وعبايد ، وشمايل وشماير وأيادي^(١) سبا ؛ كل ذلك بمعنى واحد .

وأما قوله : « فإذا أنه أجب » ، فيمضى به المقطوع الذكر ؛ لأن الجب هو القطع ؛ ومنه بعير أجب إذا كان مقطوع السنن : وقد ظن بعض من تناول هذا الخبر أن الأمسح ههنا هو القليل لحم الألية ، كالأرضع والأرسح والأزل^(٢) ، وهذا غلط ، لأن الوصف بذلك لا معنى له في الخبر ، وإنما أراد تأكيده الوصف له بأنه / أجب ، والمبالغة فيه ، لأن قوله : « أمسح » يفيد أنه مصطلم^(٣) الذكر ، ويزيد على معنى أجب زيادة ظاهرة .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني القاسم بن الحسين الوراق قال حدثنا سليمان ابن داود الطوسي قال حدثنا سوار بن عبد الله القاضي عن الأصمعي قال : دخلت على

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « أيادي ، يجوز أن تكون نصباً على الحال ، وعلى المصدر أيضاً ؛ فإذا كان حالا كان التقدير : تفرقوا أمثال أيادي سبا ، وإذا كان مصدراً فالتقدير : تفرقوا تفرق أولاد سبا . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف أيضاً : « يقال تفرقوا أيادي سبا ، وفي معناه قولان : أحدهما أنه سباً بن شجب ، والأيادي : الأولاد ، وفيه لأنه من السبي ، ووزنه فعل ؛ وحيث يصرف ، ولما صار الأولاد أيادي ؛ لأنه يستعان بهم كما يستعان بالأيادي ، والأيادي جمع الجمع ، بدوأيدي وأياد » .

(٢) حاشية ف : « الأرضع والأرسح والأزل : قليل لحم الورك » .

(٣) حاشية ف : « مصطلم : مقطوع الذكر » .

الرشيد^(١) في الليل ، فكذا كرنا أحوال القمر ، فقلت : العرب تقول للقمر إذا كان ابن ليلة : ما أنت ابن ليلة^(٢) ؟ قال : رضاعٌ سُخَيْلَةٌ ، حلٌّ أَهْلُهَا بِرُمَيْلَةٍ . قيل له : ما أنت^(٣) ابن ليلتين ؟ قال : حديثُ أُمْتَيْنِ ، بكذبٍ وَمَيْنِ . قيل له : ما أنت ابن ثلاث ؟ قال : قليل اللباث - وقيل أيضاً : حديثُ فتياتٍ ، غيرِ جِدٍّ ، وتلفات - قيل له : فما أنت ابن أربع ؟ قال : عتمةُ أم رُبْع - وقيل : عتمةُ أم الرُّبْع^(٤) - غير جائع ولا مُرَضِع . قيل له : فما أنت^(٥) ابن خمس ؟ قال : عشاءٌ خَلِيفَاتُ قُصَى - ويقال : حديثُ وأنس ، ويقال : سرٌّ ومَسٌّ^(٦) - قيل له : ما أنت^(٧) ابن ست ؟ قال سرٌّ وبِتٌ - وقيل : تحدثت^(٨) وبِتٌ - قيل له : ما أنت^(٩) ابن

(١) حاشية ف : « حدث عبيد الله بن محمد التيمي قال : أراد الرشيد سفراً ، وأمر الناس أن يتأهبوا ذلك ، وأعلمهم أنه خارج بعد الأسبوع ؛ فضى الأسبوع ولم يخرج ، فاجتمعوا إلى المأمون يسألونه أن يستعلم ذلك ؛ ولم يكن الرشيد يعلم أن المأمون يقول الشعر ؛ فكتب إليه المأمون :

يَا خَيْرَ مَنْ خَبَتِ الْمَطِيُّ بِهِ وَمَنْ تَقَدَّى بِسِرِّهِ فَرَسُ
هَلْ غَايَةٌ فِي الْمَسِيرِ نَعْرِفُهَا أَمْ أَمْرُنَا فِي الْمَسِيرِ مُلْتَبِسُ
مَا عَلِمُ هَذَا إِلَّا إِلَى مَلِكٍ مِنْ نُورِهِ فِي الظَّلَامِ يُقْتَبَسُ
إِنْ سِرَّتْ سَارَ الرَّشَادُ مُتَّبِعًا وَإِنْ تَقَفَ بِالرَّشَادِ يُحْتَبَسُ

فقرأها الرشيد وسرَّ بها ، ووقع فيها : يا بني ، ما أنت والشعر ! أما علمت أن الشعر أرفع حالات الدنيا ، وأقل حالات السرى ! والمسبر إلى ثلاث إن شاء الله .

— قول المأمون في شعره : « ومن تقدى بسِرِّه فرس » ، تقدى أى استمر ؛ كما قال ابن قيس الرقيات :
تَقَدَّتْ بِي الشَّهْبَاءُ نَحْوَ ابْنِ جَعْفَرٍ سِوَاةً عَلَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
أى استمرت وجرت فاصدة إليك .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أى استغفمك عن نفسك في حال كونك ابن ليلة » .

(٣) ط ، م : « فأنت » . (٤) د ، حاشية ف (من نسخة) : « أم ربيع » .

(٥) ت ، د : « ما أنت » .

(٦) في حاشيتي ت ، ف : « مس ، أى ليكن سبرك مساءً للضوء » .

(٧) ط ، م : « فأنت » .

(٨) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « حدث » .

(٩) د ، ب ، ف : « قيل : ما أنت » . ط ، م : « قيل فأنت » .

- سبع؟ قال دَلَجَةٌ^(١) ضَبْع^(٢) - وقيل هُدَى لأنس^(٣) ذى الجمع ، وقيل : حديث جمع ، وقيل :
يُضْفَرُ فِي النَّسْعِ^(٤) ، وقيل : يُلْتَقَطُ فِي الْجَزْع - قيل : ما أنت ابن ثمان؟ قال : قرأ إضحيان^(٥) .
قيل : له : ما أنت ابن سمع ؟ قال منقطع النسع - وقيل يُلْتَقَطُ فِي الْجَزْع ، وقيل :
الودع^(٦) ، وقيل عَشِيَّةُ أَهْلِ جَمْع - قيل له : ما أنت ابن عشر ؟ قال : ثلث الشهر ،
- وقيل : مخنق الفجر ، وقيل : أوذيك إلى الفجر ، وقيل : أبادر الفجر - قيل له : ما أنت
ابن إحدى عشرة^(٧) ؟ قال : أطلع عشاء ، وأرى بُكْرَةً - وقيل : أغيبُ بِسُحْرَةً - قيل :
له ما أنت ابن اثنتي عشرة؟ قال : مؤنق للبشر^(٨) ، بالبدو والحضر . قيل : ما أنت ابن ثلاث
عشرة؟ قال : قرأ باهر ، يَعْنَى لَهُ النَّاطِرُ ؛ قيل له : ما أنت ابن أربع عشرة ؟ قال : مُقْتَبِلُ
الشَّباب ، أَضْيَى مُدْجِنَاتِ^(٩) السَّحَاب - وقيل مُضَيٌّ^(١٠) للسحاب - قيل له : ما أنت ابن
خمس عشرة ؟ قال : تمَّ الشَّباب ، وانتصف الحِساب .

١٠

- (١) س : « بضم الدال » ، ت : « بضم الدال وفتحها معا » .
(٢) في نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « الضبع » .
(٣) ج ، س : « لأنس ذى الجمع » ، بتوين السين .
(٤) التسع : سير مضفور مثل الأعنة .
(٥) ت ، س : « قرأ إضحيان » ، بالإضافة ؛ وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « قرأ إضحيان » ،
بضم الهززة . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قرأ إضحيان وليلة إضحيانة ، بالكسر ؛ هو المعروف
الصحيح » .
(٦) الودع : خرز أبيض يخرج من البحر ؛ معروف .
(٧) في حاشيتي ت ، ف : « يقال : إن ما بعد العشر موضوع لم يرو عن قدماء العرب » .
(٨) في نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « مؤنق البشر » .
(٩) حاشية ف : « أضى » مدجئات السحاب ؛ التقدير : السحاب المدجئات ؛ وهذا من باب ما يقال
له إضافة الصفة إلى الموصوف في الظاهر ؛ كقول : مررت بحسان النساء ، وجسام الرجال ؛ أي النساء الحسنات
والرجال الجسام » .
(١٠) ت ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مضى » السحاب » .

قيل له: ما أنت ^(١) ابن ست عشرة؟ قال: ناقص ^(٢) الخلق، بالغرب والشرق. قيل له: ما أنت ابن سبع عشرة؟ قال: أمكنت المتغفر القفرة ^(٣). قيل له: ما أنت ابن ثمان عشرة ^(٤)؟ قال: قليل البقاء، سريع الفناء. قيل له: ما أنت ابن تسع عشرة؟ قال: بطل. ^[٢٧] الطلوع / بين الخشوع. قيل: ما أنت ابن عشرين؟ قال: أطلع بسخرة، وأضيء بالبهرة ^(٥) - وقيل: ثم أهجر ^(٦) بالبهرة - قيل: ما أنت ابن إحدى وعشرين؟ قال: كالقبس؛ يرى بالنفس. قيل: ما أنت ابن اثنين وعشرين؟ قال: لا أطلع إلا ريشا أرى. قيل: ما أنت ابن ثلاث وعشرين، قال: أطلع في قنمة، ولا أجلو الظلمة. قيل له: ما أنت ابن أربع وعشرين؟ قال: لا قر ولا هلال. قيل: ما أنت ابن خمس وعشرين؟ قال: دنا الأجل، وانقطع الأمل. قيل: ما أنت ابن ست وعشرين؟ قال: دنا مادنا؛ فلا يرى مني إلا شفا. قيل: ما أنت ابن سبع وعشرين؟ قال: أطلع بكرأ، ولا أرى ظهرا. قيل: ما أنت ابن ثمان وعشرين؟ قال: أسبق شعاع الشمس. قيل: ما أنت ابن تسع وعشرين؟ قال: ضئيل صغير، فلا يراني إلا البصير. قيل: ما أنت ابن ثلاثين؟ قال: هلال مستنير ^(٧).

قال الأصمعي: ثم قلت للرشيدي: يقال إنه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال إلا عاقل،

(١) ت، ف: «قيل ما أنت». (٢) م: «ناقص الخلق».

(٣) حاشية ف (من نسخة): «الفقرة».

(٤) في نسخة حاشيتي الأصل، ف: «ثمان عشرة».

(٥) في حاشيتي الأصل، ف: «البهرة: نصف الليل؛ يقال ابهار الليل؛ إذا انصف، وبهرة كل شيء وسطه». م: «البهرة البهرة: الوسط من كل شيء»، وكأنه إشارة إلى نصف النهار؛ ويبدل عليه ذكر التهجير؛ والله أعلم.

(٦) في حاشيتي الأصل، ف: «معنى قوله: «أهجر بالبهرة»، أي أطلع نصف الليل، واستعمل الهجير؛ وهو نصف النهار في الليل استعارة».

(٧) ف، وحاشية ت (من نسخة): «مستسر»، وفي نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «مستسر»، وفي حاشية ف: «مستسر، من السرار؛ وهو آخر الشهر». وفي حاشية الأصل أيضا (من نسخة): «مستبين».

فقال : خذه عليّ ، قلت : هاتِ ، فأعاده حتى بلغ : « قيل له : ما أنت ابن ثمان ؟ قال : قرأ أضحيان » .

- أما قوله : « رَضاع سُخَيْلَة » أراد تصغير سَخْلَة ، والمعنى أن القمر يبقى بقدر ما ينزل قوم ، فتضع شائهم سَخْلَة ، ثم تُرَضِعُها ويرتحلون ، فبقاؤه بالأفق بمقدار هذا الزمان . وقوله : « حَلَّ أَهْلُهَا بِرُمَيْلَة » . أظن أن المعنى فيه الإخبار عن قلة اللَّبَاث وسرعة الانتقال ؛ لأن الرَّمْلَ ليس بمنزل مقام للقوم ؛ لأنهم كانوا يختارون في منازلهم جَلَدًا^(١) الأرض وهَضْبَهَا والأما كن التي لا تستولى السيول عليها ، فخص الرُمَيْلَة لهذا المعنى . وقوله « حديثُ أُمْتَيْنِ ، بكذبٍ وَمَيْنِ » يريد أن بقاءه قليل بمقدار ما تلقى الأمةُ الأمةَ ، فكذب لها حديثاً ثم تفترقان . وقوله : « حديث فتياتٍ ، غير جدٍّ مؤلفات » ، أراد أنه يبقى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميعاد ، فتحادثن ساعة ثم انصرفن غير مؤلفات . وقوله « عَتَمَة أُم رُبْع »^(٢) ، يقال : عَتَمَتْ إبْلَه ١٠ إذا تأخرت من العشاء ، ومن هذا سميت صلاة العَتَمَة ؛ لأنها آخر الوقت في العشاء ، وقوله « أُم رُبْع » يعني الناقة ، وهو تأخير حلبها ؛ يريد أن بقاءه بمقدار ما تُحَلَبُ^(٣) ناقة لها ولد ولدته في أول الربيع ؛ وهو أول النَّتَاج ، والولد في هذا الوقت يُسَمَّى رُبْعاً ، إذا كان ذكراً ، [٢٧] فإن كان أنثى قيل رُبْعَة ، فإن كان في آخر النَّتَاج قيل هُبْع للذكر وللأنثى هُبْعَة . وقوله : « عِشَاء خَلِيفَاتٍ قُمْس » ؛ فالخَلِيفَاتُ اللواتي قد استبان حلبن ، وأحدها خَلِيفَة ، وهي الخاض ؛ ولا واحد للمخاض من لفظها^(٤) ، وإعاقال : « عِشَاء خَلِيفَات » ؛ لأنها لا تُنْشَى إلى أن يفيب القمر في هذه الليلة ، والقُمْسُ الداخلة الظَّهر الخارجة البطن . وقوله : « سِرُّ وَبَتْ » يريد أنه لا يبقى إلا بقدر^(٥) ما يبيت الإنسان ثم يسير^(٦) ، يريد أنه يبقى بقدر ما يسير الإنسان ثم يبيت ،

(١) الجلد من الأرض : الصلب المستوي .

(٢) ط ، م : « أُم الربيع » . (٣) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « حلب ناقة » .

(٤) كذا في ش ، وفي ج : « لفظه » .

(٥-٦) من نسخة بحاشيتي الأصل ، في « ما يسير الإنسان ثم يبيت »

فقلب المعنى لأنه يسير في الضوء .

وقوله : « قرأ إضحيان » ؛ أى ضاحٍ وبارز ، ويقال : « قرأ إضحيان » بالتنوين فيهما
جميعاً ، و « قرأ إضحيان » بالإضافة ، ومنه قيل : ليلة إضحيانة ، إذا كانت نقيّة البياض .
وقوله : « منقطع الشُّع » ، أراد أنه يبقى بقدر ما تبقى شمع من قدرٍ يمشى به حتى ينقطع .
• وقوله : « يلتقط في الجزع » ، أى أنه مضى أبلج ، لو انقطعت مخنقة فتاة فيها شذورٌ
مفصلة يجزّع ماضع منها شيء لضيائه ونقائه . وقوله : « أضيء بالهجرة » ، يعنى به وسط
الليل ، لأن هجرة الشيء وسطه . وقوله : « أمكنت المقتفر القفرة » ؛ فالمقتفر الذى يتبع
الآثار ، ومقتفراته مواضعه التى يقصدها (١) .

(١) في نسخة بمحاشني الأصل ، ت : « وفقرته : موضعه الذى يقصده » .

مَجَالِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ [الإسراء: ٧٢] فقال: كيف يجوز أن يكونوا في الآخرة عمياً ، وقد تظاهر الخبر عن الرسول عليه وآله السلام بأن الخلق يُحْشَرُونَ كما بُدِّثُوا سألين من الآفات والمآهات ، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾؛ [الأعراف: ٢٩]، وقال عز وجل: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾؛ [الأنبياء: ١٠٤]، وقال جل وعلا: ﴿فَبَصَّرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدًا﴾؛ [ذ: ٢٢] .
الجواب ، يقال في هذه الآية أربعة أجوبة^(١):

أحدها أن يكون العمى الأول إنما هو عن تأمل الآيات ، والنظر في الدلالات والمعبر التي أراها الله المكلفين في أنفسهم وفيما يشاهدون ، ويكون العمى الثاني هو عن الإيمان بالآخرة ، والإقرار / بما يُجَازَى به المكلفون فيها من ثواب أو عقاب ، وقد قال قوم: [٧٨] إن الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ [الإسراء: ٦٦] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾؛ [الإسراء: ٧٠]، ثم قال بعد ذلك: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ يعني^(٢) في هذه النعم ، وعن هذه المعبر ، فهو في الآخرة أعمى ؛ أي هو عما غُيِبَ عنه من أمر الآخرة أعمى ، ويكون قوله: ﴿فِي هَذِهِ﴾ كناية عن النعم .
لأن الدنيا يقال: إن ابن عباس رحمه الله عليه سأله سائل عن هذه الآية فقال له: اتل ما قبلها، ونبّه على التأويل الذي ذكرناه .

(١) م : د أوجه . (٢) د ، ف ، حاشية ت (من نسخة) : د يعني عن هذه النعم .

والجواب الثاني: ﴿مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ﴾ بمعنى الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ عن الإيمان بالله والمعرفة بما أوجب عليه المعرفة به ؛ فهو في الآخرة أعمى عن الجنة والثواب ؛ بمعنى أنه لا يُهْتَدَى إلى طريقيهما^(١) ، ولا يوصل إليهما ، أو عن الحجّة^(٢) إذا سئل^(٣) ووُوقِفَ ، ومعلوم أن مَنْ ضلّ عن معرفة الله تعالى والإيمان به يكون في القيامة منقطع الحجّة ، مفقود المعاذير .

والجواب الثالث: أن يكون العمى الأول عن المعرفة والإيمان ، والثاني بمعنى المبالغة في الإخبار عن عِظَم ما يناله^(٤) هؤلاء الكفار الجهال من الخوف والنم والحزن الذي أزاله الله عن المؤمنين العارفين بقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ؛ [يونس : ٦٢] ، ومن عادة العرب أن تُسمّى مَنْ اشتدَّ همُّه وقوى حزنه أعمى سخين العين ، ويصفون السرور بأنه قرير^(٥) العين ، قال الله تعالى : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ؛ [السجدة : ١٧] .

والجواب الرابع: أن العمى الأول يكون^(٦) عن الإيمان ، والثاني هو الآفة في العين على سبيل العقوبة ؛ كما قال الله تعالى : ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ . قَالَ رَبُّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ؛ [طه : ١٢٤ - ١٢٦] . ومن يُجيب بهذا الجواب يتأول قوله تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ على أن المعنى / فيه الإخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الإعادة ؛ كما أنها معدومة في الابتداء ، ويجمل ذلك نظيرا لقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ^(٧) عَلَيْهِ﴾ ؛ [الروم : ٢٧] ، ويتأول قوله تعالى ﴿فَبَصَّرُكَ الْيَوْمَ حَبِيدٌ﴾ على أن معناه الإخبار عن قوة المعرفة ، وأن الجاهل بالله في الدنيا يكون عارفا به في الآخرة ؛ والعرب

(١) ت ، ف : « طريقهما » . (٢) ت ، ف : « يفقد الحجّة » . حاشية الأصل من نسخة :

« لفقد الحجّة » . (٣) ت ، حاشية ف (من نسخة) : « سئل ووُوقِفَ » .

(٤) في نسخة بمحاشيتي ت ، ف : « ما ينال » . (٥) ت ، د ، ف : « أنه » .

(٦) ساقطة من ف . (٧) حاشية ف : « أهون هاهنا بمعنى الهين ، وإن حمل على المبالغة فهو

على مجاز كلام العرب » .

تقول : فلان بصير بهذا الأمر ؛ وزيد أبصر بكذا من عمرو ، ولا يريدون إِبصارَ العين ، بل العلمَ والمعرفة ؛ ويشهد بهذا التأويل قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ ، أى : كنت غافلاً عما أنت الآن عارف به ، فلما أن كشفنا عنك الغطاء بأن أعلنناك وفعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت .

فأما الخبر الذى تدعى روايته فهو خبر واحد ، ولا حجة^(١) فى مثله ؛ وإذا عرف لفظه • ربما أمكن تأوله على مايطابق هذا الجواب ، ومن^(٢) ذهب إلى الأجوبة الأول يجعل العمى الأول والثانى معاً غير الآفة فى العين ، فإن عورض بقوله تعالى : ﴿ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾^(٣) تأوله على العمى عن الثواب أو عن الحجة ، وقال فى قوله تعالى : ﴿ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ إن معناه : كنت بصيراً فى اعتقادى وظنى ، من حيث كنت أرجو الهداية إلى الثواب وطريق الجنة .

والمحصل من هذه الجملة أنه لا يجوز أن يراد بالعمى الأول والثانى جميعاً الآفة فى العين ؛ لأنه يؤدى إلى أن كلَّ مَنْ كان مثوف^(٤) البصر فى الدنيا ؛ من مؤمن وكافر وطائع وعاصٍ يكون كذلك فى الآخرة ، وهذا باطل ويمثله يبطل أن يراد بلفظة ﴿ أَعْمَى ﴾ الثانية المبالغة بمعنى أفضل من فلان ، ويبطله أيضاً أن العمى الذى هو الخِلقة لا يُتعمَّب منه بلفظة «أفعل» وإنما يقال : ما أشدَّ عماء ! ولا يجوز أن يراد بالعمى الأول العين^(٥) والثانى العمى عن الثواب • والجنة أو الحجة ، لأننا نعلم أن فيمن^(٦) عميت عينه فى الدنيا مَنْ يستحق الثواب ، ويوصل إليه ، ولا يجوز أن يراد بالأول والثانى العمى عن المعرفة والإيمان ، لا على طريقة^(٧) المبالغة والتعجب / ولا على غير ذلك ؛ لأننا نعلم أن الجهال بالله تعالى ، المعرضين فى الدنيا عن معرفته [٢٩]

(١) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « واحد لاحجة » . (٢) فى نسخة بحاشيتى ت ،

ف : « يذهب » . (٣) فى حاشيتى ت ، ف : « روى نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وآله : يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة . وفى حديث آخر : غرلاً ؛ والأغزل : الأسكاف ؛ ورواه غيره : أن ناسى القرآن يحشر يوم القيامة أعمى » . (٤) المثوف : الذى أصابه

الآفة ، وفى م : « مكفوف » . (٥) ف ، ومن نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « عمى العين »

(٦) ت ، حاشية ف (من نسخة) : « ممن » . (٧) حاشية ت (من نسخة) : « طريق » .

لا يجوز أن يكونوا في الآخرة كذلك ؛ فضلا أن يكونوا على أبلغ من هذه الحالة لأن المعارف في الآخرة ضرورية ، يشترك فيها جميع الناس ، فلم يبق بعد الذي أبطلناه إلا ما دخل في الأجوبة . وعلى الأجوبة الثلاثة الأول إذا أريد بأعمى الثانية المبالة والتعجب كان في موضعه ؛ لأن عمى القلب وضلاله يتمتع به منه بلفظة « أعمى » وإن لم يجز ذلك في عمى الجارحة .

ولن أجاب بالجواب الرابع ألا يجعل قوله تعالى : ﴿ فَهَوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ لفظه تعجب ، بل يجعله إخباراً عن عماء من غير تعجب ، وإن عطف عليه بقوله تعالى : ﴿ وَاضِلٌ سَبِيلًا ﴾ ويكون تقدير الكلام : وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَهُوَ اضِلٌ سَبِيلًا^(١) .

- ١٠ فإن قيل : ولم أنكرتم التعجب من الخلق بلفظة « أعمى » ؟ . قلنا : قد قال النحويون في ذلك : إن الألوان والعيوب لا يتمتع بها بلفظ التعجب وإنما يعدل فيها إلى أشد وأظهر وما جرى مجراها ؛ قالوا : لأن العيوب والألوان قد ضارعت الأسماء ، وصارت خلقة كاليد والرجل ونحو ذلك ؛ فلا يقال : ما أسوده وما أعوره ، كما لا يقال : ما أيده^(٢) وما أرجله ؛ ويقال : ما أشد سواده ؛ كما يقال : ما أشد يده ورجله ! واعتلوا بعملة أخرى ، قالوا : إن الفعل من الألوان والعيوب على « افعل » و « افعل » ، نحو احمر وأعور واحول واحوال ، والتعجب لا يدخل فيها^(٣) زاد على ثلاثة أحرف من الأفعال ؛ ألا ترى أنه لا يدخل في انطلق واستخرج ودخرج زيادته على ثلاثة أحرف^(٤) ؟

(١) حاشية ت ، ف : « لو ذكر رحمه الله المبالة في الموضعين لكان صوابا ، لأن أعمى في التعجب فعل ؛ وهو هاهنا اسم كالمبالغة ؛ أولاترى أنا نقول في التعجب « ما أحسن » والتقدير : شيء أحسنه » .
(٢) في حاشية ت ، ف : « إنما يبنى التعجب من الأفعال دون الأسماء واليد والرجل أسماء » .
(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « على ما زاد » ،

(٤) حاشية ف : « إنما امتنعت صورة التعجب في الرباعي ؛ لأن فعل التعجب يكون أبداً أربعة أحرف ؛ أحدها الب النقل والثاني الفعل ؛ فإذا أدخلت على الرباعي لم يكن بد من طرح أحد الحروف ، ولا يمكن ذلك لأن كلها أصول فاعها ؛ إذ التعجب يختص الثلاثي فحسب » .

فإن قيل لهم فقد قالوا : عورث عينه وحولت ، قالوا : هذا منقول من «أفعل» وهو في الحكم زائد على ثلاثة أحرف، يدل على ذلك صحة الواو فيه ؛ كما صحت في أسود وأبيض ولولا أنه منقول منه لاعتلت الواو، فقلت : عارت وحالت ، كما قيل : خاف وهاب.

وحكى عن الفراء في ذلك جوابان : أحدهما أن «أفعل» في التمجيد فيه زيادة على وصف قبله إذا قال القائل أفضل وأجل ، فهو أزيد في الوصف من جميل وفاضل ، فلم يقولوا : ما أبيض •
زيداً ! لتلايسقط / التزيد^(١) ، ولا يكون قبل أبيض وصف يزيد أبيض عليه ، يخالف لفظه [٢٩]
لفظه ؛ كما خالف أفضل وأجل فاضلاً وجيلاً ، فلما فاتهم في أبيض وأحمر علم التزيد^(٢) أدخلوا عليه ما تبين الزيادة فيه ، وقالوا : ما أظهر حمرة زيد : وما أشد سواد عمرو ! لأن «أظهر» زيد على ظاهر ، و«أشد» زيد على شديد^(٣) .

والجواب الآخر أن التمجيد مبني على زيادة فصلح أن بتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهي ، فقالوا : ما أعلم زيداً ! ليدلوا على زيادة علمه ؛ لأنهم في قولهم : عالم وعليم لم يبلغوا في التناهي مبلغ «أعلم» ، ولم يقولوا : ما أبيض زيداً ! لأن البياض لا تأتي^(٤) منه زيادة بعد نقص ، فمدلوا إلى التمجيد بأشد وأبين وما جرى مجراها ، وهذا الجواب ليس بسديد ؛ لأن الألوان قد تتأتى فيها الزيادة بعد نقص ، وقد تدخل فيها المفاضلة ، ألا ترى أن ما حله قليل أجزاء البياض يكون أقص حالا في البياض مما حله الكثير من الأجزاء !

١٥ والجواب الأول الذي حكيناه عن الفراء أصوب ، وإن كان ما قدمناه عن البصريين هو المعتمد^(٥) وقد أنشد بعضهم معترضاً على ما ذكرناه قول الشاعر :

(١) في نسخة بحاشيتي ت ، ف : « التزايد » . (٢) حاشيتي ت (من نسخة) : « التزيد » .
(٣) في حاشيتي ت ، ف : « متقرر في علم الأصول أن السواد لا يكون أزيد في كونه سواداً من سواد آخر ؛ وإنما تتكاثر الأجزاء ، فيقال : هذا أشد سواد من ذلك » .

(٤) في نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « لا تأتي » .
(٥) حاشية ف : « قال ابن الشجري : هذان الوجهان متقاربان ، والسيد يفضل الأول ، ولا أدرى ما بينهما ، إلا أن الأول اعتبار باللفظ والثاني اعتبار بالمعنى » ، وفي حاشية ت : « الجواب الأول مشتمل على تنقيل المبالغة في أبيض ، والملة ألا يسقط التزيد » ، والجواب الثاني مشتمل على طرف من ذلك الجواب ؛ إلا أنه يقول إنما لا يقال أبيض على طريق المبالغة ؛ لأن التزايد في البياض لا يتأتى » .

بِأَيْتِي مِثْلِكَ فِي الْبَيَاضِ أَيْضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضٍ^(١)
وَأَنشَدُوا أَيْضًا قَوْلَ الشَّاعِرِ^(٢) :

أَمَّا الْمُلُوكُ فَأَنْتَ الْيَوْمَ الْأُمَمُ لَوْمًا وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالٌ طَبَّاحٌ
فَأَمَّا الْبَيْتُ الْأَوَّلُ فَإِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدَ حَمَلَهُ عَلَى الشَّنُودِ ، وَقَالَ : إِنَّ الشَّاذَّ النَّادِرَ لَا يَطْمَنُ
• فِي الْمَمُولِ عَلَيْهِ ، وَالْمُتَّفِقِ عَلَى سَجَّتِهِ ، وَيَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُقَالَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مِثْلُ ذَلِكَ ، وَقَدْ
قِيلَ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي إِنَّ أَيْضُ فِيهِ لَيْسَ هُوَ الَّذِي لِلْمُفَاضِلَةِ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَضِلُّ الَّذِي مَوْتُهُ فَضْلُهُ ،
كَقَوْلِكَ أَيْضُ وَبَيْضُهُ ؛ وَيَجْرِي ذَلِكَ تَجْرِي قَوْلِهِمْ هُوَ حَسَنٌ^(٣) الْقَوْمُ وَجَهًا ، وَشَرِيفُهُمْ^(٤)
خُلُقًا ؛ فَكَأَنَّ الشَّاعِرَ قَالَ :^(٥) وَمِيبِضُهُمْ ، فَلَمَّا أَضَافَهُ انْتَصَبَ مَا بَعْدَهُ لِنِطَامِ الْأَسْمَاءِ ، وَهَذَا
أَحْسَنُ مِنْ حَمَلِهِ عَلَى الشَّنُودِ^(٦) .

١٠ ويمكن فيه وجه آخر وهو أن أبيض في البيت وإن كان في الظاهر عبارة عن اللون
[٣٠] فهو في المعنى / كناية عن اللوم والبخل ، فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ،

(١) البيت في اللسان (بيض) ، وروايته فيه :

جَارِيَةٌ فِي دِرْعِهَا الْفَضْفَاضِ أَيْبِضُ مِنْ أُخْتِ بَنِي إِبَاضِ

وفي حاشية ف : « أبيض ، بالرفع على تقدير : أنت أبيض ، وبالفتح على أنه حال من أنا أو أنت .
والنص : اسم رجل » .

(٢) في حاشيتي ت : « قال السيد المرتضى رضي الله عنه : هو لحرفة ؛ وإنما أراد ذمه بقلة الفرى
في بيته ، فطباخه نقي الثوب » .

والبيت في ديوانه : ١٥ ، وروايته فيه :

إِنْ قُلْتَ نَصْرٌ فَنَصْرٌ كَانَ شَرِّ قَتَى قَدَمًا وَأَبْيَضُهُمْ سِرْبَالٌ طَبَّاحٌ

وهو أيضا في اللسان (بيض) ، وروايته فيه :

إِذَا الرِّجَالُ اسْتَوَوْا وَاسْتَدَّ أَكْثَرُهُمْ فَأَنْتَ أَيْبِضُهُمْ سِرْبَالٌ طَبَّاحٌ

(٣-٤) حاشية ت (من نسخة) : « هو أحسن القوم وجها وأشرفهم خلقا » .

(٤) حاشية ف : « مبيضهم ؛ أي أبيضهم ، لا بمعنى المبالغة » .

(٥) حاشية ف : « تحقيق ما قدره السيد أن يكون أبيضهم سربال طباخ » ليس معناه التعجب ،
واللحن مبيضهم سربال طباخ ، ويؤول المعنى إلى أن سربال طباخه أبيض لحسب ولا يعني أنه أشد بياضا من
سربال غيره » .

ولو أراد بأيضهم بياض الثوب ونقاءه على الحقيقة لما جاز أن يتمجب بلفظة «أفمل» ، فالذى جَوَزَ تمجبه بهذه اللفظة ماذكرناه .

فأما قول المتنبي :

ابْعُدْ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ^(١)

- فقد قيل فيه إن قوله : «لأنت أسود في عيني» كلام تام ، ثم قال : «من الظلم» أى من جملة الظلم ؛ كما يقال : حرٌّ من أحرار^(٢) ، ولثيم من لثام ؛ أى من مجلّتهم ، وقال الشاعر^(٣) :
- وَأَبْيَضُ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بَدَأَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَسَا كَرُهُ
- كأنه قال : وأبيض كائن من ماء الحديد ، وقوله : «من ماء الحديد» وصف لأبيض ، وليس يتصل به كاتصال «من» بأفضل في قولك : هو أفضل من زيد ، ولفظة «من» فى بيت المتنبي مرفوعة الموضع ، لأنها وصف لأسود ؛ وإذا أريد المفاضلة والتمجب كانت منصوبة ١٠ الموضع بأسود^(٤) كما تقول زيد خير منك ، فنك في موضع نصب بخير ، كأنه قال : قد خارك بخيرك ، أى فضلك فى الخير ؛ وهذا التأويل المذكور فى بيت المتنبي يمكن أن يقال فى قول الشاعر :

* أبيضُ من أختِ بنى إِباضِ *

- ويحمل على أنه أراد من مجلتها ومن قومها ، ولم يرد التعجب وتأوّل على هذا الوجه أولى ١٥ من سمّاه على الشذوذ ، فأما قول المتنبي :

* ابْعُدْ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ *

(١) ديوانه ٤ : ٣٥ ؛ وهو يخاطب الشيب ، وقيل

ضَيْفٌ أَلَمَ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحَقِّشٍ وَالسَّيْفُ أَصْدَقُ فِعْلًا مِنْهُ بِاللَّعَمِ

(٢) نر ، ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « حر من الأحرار ولثيم من اللثام » .

(٣) البيت فى شرح العكبرى لبيت المتنبي ، أورده من غير عزو .

(٤) حاشية ف : « إذا قلت زيد أضرب من عمرو كان الجار مع المجرور فى موضع النصب على المجرور

من حال الجار والمجرور ؛ لأنه على تقدير : غالب زيد عمرا فى الضرب فعليه ؛ فيكون إذا « من عمرو » فى موضع النصب ؛ لأنه فى معنى المفعول على ما ذكرنا » .

فالمعنى الظاهر للناس فيه أنه أراد : لا ضياء له ولا نور ولا إشراق ، من حيث كان
حلوله عزنا مؤذنا بتقضى الأجل ؛ وهذا لعمري معنى ظاهر ؛ إلا أنه يمكن فيه معنى آخر ؛
وهو أنه يريد إنك بياض لا لون بعده ، لأن البياض آخر ألوان الشعر ، فجعل قوله :
« لا بياض له » بمنزلة قوله : لا لون بعده ، وإنما سوغ ذلك له أن البياض هو الآتى بعد
السواد ، فلما نفي أن يكون للشيب بياض كان نفياً لأن يكون بعده لون .

وقد اختلف القراء في فتح الميم وكسرها من قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ ﴾
[٣٠] / فهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ ، فقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو بفتح الميمين معا ، وقرأ عاصم
في رواية أبي بكر وحمة والكسائي بكسر الميم فيهما معا^(١) ، وفي رواية حفص عن عاصم :
لا يكسرها ، وكسر أبو عمرو الأولى وفتح الأخيرة : ولكل وجه ، أما مَنْ ترك إمالة الجميع ؛
فإن قوله حسن ، لأن كثيراً من العرب لا يميلون هذه الفتحة ، وأما مَنْ أمال الجميع فوجه
قوله أن ينحو بالالف نحو الياء ، اعلم أنها تنقلب إلى الياء^(٢) ، وأما قراءة أبي عمرو بإمالة الأولى
وفتح الثانية فوجه قوله أنه جعل الثانية أفعل من كذا مثل أفضل من فلان ، وإذا جعلها
كذلك لم تقع الالف في آخر الكلمة ؛ لأن آخرها إنما هو من كذا ، وإنما تحسن الإمالة في
الأواخر ، وقد حذف من « أفعل » الذي هو للتفضيل الجار والمجرور جميعا ، وهما رادان في المعنى
مع الحذف ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه : ٧] ؛ المعنى
وأخفى من السر ، فكذلك قوله تعالى : ﴿ فهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى ﴾ ، أى أعمى منه في الدنيا ،
أو أعمى من غيره ، ويقوى هذه الطريقة ما عطف عليه من قوله تعالى : ﴿ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ،
فكما أن هذا لا يكون إلا على « أفعل من كذا » كذلك المعطوف عليه .

(١) ت ، ونسخة بحاشيتي ت ، ف : « جيما » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « على هذا الوجه لا تعيل بحال ؛ إلا إذا كانت الكلمة من بنات
الياء ؛ فأما إذا لم تكن من بنات الياء فلا تعيل ، والأعمى أصله عمى ، فهو إذاً من بنات الياء » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « تَقَى ، الأرضُ أفلادَ كَبِيدِها مثلَ الأسطُوان من الذَّهَبِ والفضة ، فيجىءُ القاتِلُ فيقولُ في مثلِ هذا : قَتَلْتُ ، ويجىءُ القاطعُ الرَّحِمِ ^(١) فيقولُ في مثلِ هذا : قَطَعْتُ رَحِمِي ، ويجىءُ السارقُ فيقولُ في مثلِ هذا : قُطِعَتْ يَدِي ، ثم يتركونه ولا يأخذون منه شيئاً » .

- معنى « تَقَى » أي تخرج مافيها من الذهب والفضة ، وذلك من علامات قُرْبِ الساعة ، وقوله : « تَقَى » تشبيه واستعارة من حيث كان إخراجاً وإظهاراً ؛ وكذلك تسميته ^(٢) مافي الأرض من الكنوز « كَبِيداً » تشبيهاً ^(٣) بالكبد التي في بطن البعير وغيره ؛ وللعرب في هذا مذهب معروف ؛ قال مُرَّة بن مُحَكَّان ^(٤) السَّعْدِيُّ يصف قِدْراً نصَّبها للأضياف :
- لَهَا أَزِيرٌ يُزِيلُ اللَّحْمَ أَزْمَلُهُ عَنِ الْعِظَامِ إِذَا مَا اسْتَحْمَشَتْ غَضَباً ^(٥)
تَرْمِي الصَّلَاةَ بِنَبِيلٍ غَيْرِ طَائِشَةٍ وَفَقاً إِذَا آنَسَتْ مِنْ نَحْتِهَا كَلْباً ^(٦) [٣١]
- فوصفها بالغضب تشبيهاً واستعارة ، فأما الأزيرُ فهو الفليان ، والعرب تقول : لجوفه أزيرٌ مثل أزيرِ الرجل ، والأزْمَلُ : الصوت ، واستحْمَشَتْ ، أي غَضِبَتْ ؛ يقال : حَمَشَهُ أي أغضبه ، وقال النابغة الجعدي في معنى الاستعارة :

(١) ف ، ونسخة بمحاشي الأصل ، ت : « لرحم » .

(٢) د ، وحاشية ت (من نسخة) : « تسمية » .

(٣) ن ، ونسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف : « تشبيه » .

(٤) ضبط بالفلم في ت بفتح الميم ، وفي ف بالفتح والكسر معا .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « استحْمَشَتْ » ، بالبناء للمجهول وفي حاشيتي ت ، ف « أحشت

الرجل وحشته ؛ أي أغضبه فاحتمش واستحش ، والحشة الاسم كالحشمة ؛ واحتمش الديكان : افتلا » . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قبله » :

نَصَبْتُ قِدْرِي لَهُمْ وَالْأَرْضُ قَدْ لَبَسَتْ مِنَ الصَّقِيعِ مُلَاءٌ جِدَّةٌ قُشْباً

— ملأ : جمع ملأة ، قشبا : جمع قشيب ؛ وهو الجديد » .

(٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « الصلاة : جمع صال . غير طائشة : غير مضطربة . وفقاً ، أي رمياً وفقاً ؛ شبه

ما ترمى به النار من نقياتها بالنبل ؛ أي كلما اشتدت النار تحت القدر اشتد عليها بقدر اشتداد النار تحتها » .

سَأَلْتَنِي عَنْ أَنَاسٍ هَلَكُوا شَرِبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَأَكَلُوا^(١)

فوصف الدهر بالأكل والشرب تشبيها واستعارة . وقال قوم : معنى البيت شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا .

واختلف أهل اللغة في الأفلاد ، فقال يعقوب بن السكيت : الفلذ لا يكون إلا للبعير ، وهو قطعة من كبده^(٢) ، ولا يقال فلذ الشاة ، ولا فلذ البقرة ، ويقال : أعطني فلذاً من الكبد ، وفلذة من الكبد ، قال أعشى باهلة :

تَكْفِيهِ حَزَّةٌ فَلِذَاً إِنَّمَا رِيحُهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شُرْبُهُ الْفَمَرُ^(٣)

الفمر : القدح الصغير ؛ وقال يعقوب : ولا يقال : أعطني حَزَّةً من سنام ولا من لحم ، وإنما الحَزَّةُ في الكبد خاصة ؛ فإذا أرادوا ذلك من السنام واللحم قالوا : أعطني^(٤) حَذِيَّةً من لحم ؛ وهي القطعة الصغيرة ، وفِلْقَةٌ من سنام ، وقال الطوسي^(٥) عن أبي عبيد عن الأصمعي قال : يقال : أعطني حَذِيَّةً^(٦) من لحم ، وحَزَّةً من لحم ؛ إذا كانت مقطوعة طولا ، فإذا كانت مجتمعة قلت : أعطني بَضْعَةً من لحم ، وهَبْرَةً من لحم ، ووَذْرَةً من لحم .

ومثل هذا الحديث قوله : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ [الزلزال : ٢] . معناه أخرجت ما فيها من الكنوز ، وقال قوم : عني به الموتى ، وأنها أخرجت موتاتها ، فسمى

(١) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « بأناس » .

(٢) حاشية الأصل : « ذكر ابن السكيت : الفلذ كبد البعير خاصة ؛ وليس بقطعة من الكبد ؛ وكذا ذكره ابن السكيت » . (٣) من قصيدة له يرثي بها المنتصر بن وهب الوائلي ، أولها :

إِنِّي أَتَيْتُ بِشَيْءٍ لَا أَسْرُ بِهِ مِنْ عُلُوِّ لَاعِجٍ فِيهِ وَلَا سَخَرُ

وهي في (أمال الزبيدي ١٣ - ١٨ ، وجهرة الشعر ٢٨٠ - ٢٨٣ ، والأصمعيات ٣٢ ، ٣٥ ، والكامل - بشرح الرصني ٨ : ٢١١ - ٢١٢) ويذكرها المؤلف فيها بعد .

(٤) ت ، س : « حذية » ؛ بضم الحاء وكسر ها .

(٥) حاشية ت : « أبو الحسن علي بن عبد الله الطوسي » .

(٦) كذا ضبط بالقلم في الأصل ، ت ، ف ، وفي الحواشي : « المعروف : الحذية ، بالكسر ؛ وهي القطعة من اللحم على الطول ، والحذوة (مثلثة الحاء) : العطية » .

تعالى الموتى ثَقَلًا^(١) تشبيهها بالحمل الذي يكون في البطن ، لأن الحمل يسمى ثَقَلًا ، قال تعالى :
﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ ﴾ [الأعراف : ١٨٩] . والعرب تقول : إن للسيد الشجاع ثَقَلًا على
الأرض ، فإذا مات سقط عنها بموته ثَقُلَ ، قالت الخنساء : تَرِنِي أَخَاهَا صَخْرًا :

أُبَعِدَ ابْنِ عَمْرٍو مِنْ آلِ الشَّرِبِ دَحَلَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا^(٢)

معناه أنه لما مات حلَّ عنها بموته ثَقُلَ لسُودَدَه^(٣) وشرفه ، وقال قوم : معنى « دَحَلَتْ » [٣١]
زَيَّنَتْ مَوْنَاهَا بِهِ ، وهو مأخوذ من الحَلِيَّةِ ؛ وقال الشَّمرُ دَلَّ الْيَرْبُوعِيَّ يَرْتِي أَخَاهُ :
وَحَلَّتْ بِهِ أَثْقَالَهَا الْأَرْضُ وَأَنْتَهَى لِمَشْوَاهُ مِنْهَا وَهُوَ عَفٌّ شَمَائِلُهُ^(٤)

وروى هشام بن المنذر^(٥) قال : قال زهير بن أبي سلمى المُرْنِيَّ يَتَقَاتِمُ أَكْدَى ، ومَرَّ
به النابغة الذُّبيانيَّ فقال له : يَا أَبَا أُمَامَةَ ، أَجِزْ ، قال : ماذا ؟ قال :

تَزَالُ الْأَرْضُ إِمَامًا تَخِفُّ وَتَحْيَا مَخَاحِيَتَ بِهَا ثَقِيلًا^(٦)
نَزَلَتْ بِمُسْتَقَرِّ الْعِزِّ مِنْهَا

فإذا قال ؟ فَأَكْدَى والله النابغة أيضا ، وأقبل كعب بن زهير وهو غلام ، فقال له

(١) في نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « أَثْقَالًا » .

(٢) ديوانها ٢٠١ .

(٣) ت ، ج ، ف : « يَسُودَدُهُ » .

(٤) البيت من قصيدة مذكورة (في أمالي يزيدى ٣٢ - ٣٤ ، والأعاني ١٢ : ١١٣ - ١١٤ ،

وأبيات منها في ابن أبي الحديد ٤ : ٣٨٣ ، وحلاسة ابن الشجري ٨٣) وفي حاشيتي الأصل ، ف :
شَمَائِلُهُ : أخلاقه ، والواحد شَمَال ، بالكسر ، قال الشاعر :

* وَمَا لَوْ مِى أَخِي مِنْ شَمَائِلِيَا *

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « نسخة ابن قدامة : وروى أبو المنذر همام بن محمد بن السائب قال قال

زهير » . والذي في الأصل يوافق ش ، س . وفي م : « أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب » .

(٦) ت ، د ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « تَرَاك » ، وفي حاشيتي الأصل ، ت : « يقول :

إِنْ مَتَّ صَارَتِ الْأَرْضُ خَفِيفَةً بِمَوْنِكَ ، وَإِنْ تَحْيَا بِقَبِيَّتِ ثَقِيلَةً » .

أبوه : أجز يا بُني ، فقال : ماذا ؟ فأنشده البيت الأول ، ومن الثاني قوله : « سَتَقَرُّ المَرْ
منها » ؛ فقال كعب :

* فَمَنْعُ جَانِبَيْهَا أَنْ يَزُولَا *

قال زهير : أنت والله ابني .

• وإنما خص الكبد من بين ما يشتمل عليه البطن ، لأنه من أطياب الجزور ، والعرب
تهول : أطياب الجزور : السنام ، والينحاء^(١) ، والكبد .

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى ، أدام الله علوه : وإني لأستحسن قول الحنساء^(٢) ،
وقد قيل لها : ما مدحت أخاك حتى هجنت^(٣) أباك ، فقالت :

جَارِي أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَهُمَا يَتَمَاوَرَانِ مَلَاءَةَ الْحُضْرِ^(٤)
حَتَّى إِذَا نَزَّتِ الْقُلُوبُ وَقَدْ لَزَّتْ هُنَاكَ الْمَذْرُ بِالْمَذْرِ^(٥)
وَعَلَا هُتَافُ النَّاسِ : أَيُّهَمَا ؟ قَالَ الْمُجِيبُ هُنَاكَ : لَا أُدْرِي
بَرَزَتْ صَفِيحَةُ وَجْهِهِ وَالِدِهِ وَمَضَى عَلَى غُلُوبَانِهِ يَجْرِي
أَوَّلَى فَأَوَّلَى أَنْ يُسَاوِيَهُ لَوْلَا جَلَالُ السَّنِّ وَالْكُبَرِ
وَهُمَا كَأَنَّهُمَا وَقَدْ بَرَزَا مَقَرَّانِ قَدْ حَطَّآ إِلَى وَكْرِ

١٠

(١) اللحاء : وسط الظهر ؛ ما بين الكاهل إلى المعز .

(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كانت الحنساء كثيرة المدح لأخيها ، فقبل لها : قد فضلته على
أبيك ، فقالت هذه الأبيات » . وهي في (زهر الآداب ، ٤ : ٦٧ وحاسة ابن العجري ١٠٤ ، والبيت
الأول في خزنة الأدب ٣ : ٢٧٧) .

(٣) ف ، ونسخة بحاشيتي ت ، الأصل : « هجوت » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف :
« وروى : ما أبنت أخاك حتى هجنت أباك » .

(٤) في حاشيتي الأصل ، ف : « باري أباه ، نعى أخاه ، ويتماوران : يتداولان ، والحضر العدو » .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « نزت : ارتفعت ، ولزت : لصقت ، يعني : حتى تحرك قلوب النظارة ،
والمذر : جم المذار ؛ يعني عذارى فرسيهما في التسابق ؛ وهو استعارة » .

ويقال : إنه قيل لأبي عبيدة : ليس هذه الأبيات في مجموع شعر الخنساء ، فقال أبو عبيدة : العامة أسقط من أن يُجاد عليها بمثل ذلك .

ولعمري إنها قد بلغت في مدح أخيها من غير إزراء على أبيها / النهاية ، لأنها جعلت [٣٢] تقدّم أبيه له عن قدرة منه على المساواة ، وعن غير تقصير منه ، وإنما ^(١) أفرّج له عن السبق معرفة بحقه ، وتسلياً لكبره وسنه ، وكأن الخنساء نظرت في هذا المعنى إلى قول زهير •
يصف حمار وحش ^(٢) :

فَشَجَّ بِهَا الْأَمَازِزَ فَهَوَى نَهْوَى هَوَى ^(٣) الدَّلَوِ أَسْلَمَهَا الرِّشَاءَ ^(٤)
فَلَيْسَ لِحَاقِهِ كَلْحَاقِ الْإِلْفِ وَلَا كَنَجَائِهَا مِنْهُ نَجَاءَ ^(٥)
يُقَدِّمُهُ إِذَا اخْتَفَلَتْ عَلَيْهَا تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَاةُ ^(٦)

ويشبه أن يكون السكيت أخذ من الخنساء قوله في مخلد بن يزيد بن المهلب :
١٠ ما إن أرى كأبيك أدرك شأوه أحدٌ ومثلك طالباً لم يُلْحَقْ
تَجَاذِبَانِ ؛ لَهُ فَضِيلَةٌ سِنَّهُ وَتَلَوْتَ بَعْدَ مُصَلِّيٍّ لَمْ تُسَبِّقْ ^(٧)

(١) ت : « ولأنه » . (٢) الأبيات في ديوانه : ٦٧ - ٦٩ . (٣) ضبطت في ت بضم الهاء وفتحها معاً . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أي شج الحمار بالأذن الأماز ، أي علا الأماز بهن ، والأماز : الأرض الصلبة ، وكذلك المعزاء ، والهوى : السقوط إلى أسفل ، وكذلك الهوى في السير . وبعد هوى من الليل ؛ أي هزيع ؛ وقيل : الهوى [بالضم] الارتفاع » .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « يقول : ليس يلحق شيء في السرعة كما يلحق الحمار في سرعته ، والمراد بالإلف صاحبه . ولا كنجائها ؛ أي ليس شيء ينجو كنجائها ، أي ليس شيء ينجو كنجاء الاثنان ؛ أي لا يهرب حارب كهربها ، ولا يلحق لاحق كالخوفا » .

(٦) اختفلت : اجتهدت ونأهت ؛ ورواية الديوان :

يُفَضِّلُهُ إِذَا اجْتَهَدَتْ عَلَيْهِ تَمَامُ السَّنِّ مِنْهُ وَالذِّكَاةُ

(٧) د ، ش ، ونسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تجاذبان » ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قوله تجاذبان ، في موضع الحال من قوله : « ما إن أرى كأبيك » ، ومثلك ، أي ما رأيت مثلك ومثل أبيك في حال مجاذبتهم ومجاراتهم في الجهد والصرف . وقوله : « له فضيلة سنه » جملة مستأنفة من مبتدأ وخبر ؛ المعنى يقول : إن سبقك أبوك فلا غرو ، فإنه لم يسبق قط ، وإن سبقته فأنت جدير بالسبق » .

إِنْ تَنَزَّعَا وَلَهُ فَضِيلَةٌ سَبَقَهُ فَبِمَثَلِ شَأْنِ أَيْكَ لَمْ يُتَعَلَّقِ
وَلَنْ لَحَقَّتْ بِهِ عَلَى مَا قَدْ مَضَى مِنْ بَعْدِ غَايَتِهِ فَأُخْجِرَ وَأُخْلِقِ

ويشبه هذا المعنى قول المؤمل بن أميل الكوفي الحارثي يمدح المهدي في حياة المنصور:

لَنْ تُفْتَ الْمُلُوكُ وَقَدْ تَوَافَوْا إِلَيْكَ مِنَ الشُّهُولَةِ وَالْوُغُورِ^(١)
لَقَدْ فَاتَ الْمُلُوكَ أَبُوكَ حَتَّى بَقُوا مِنْ بَيْنِ كَابٍ أَوْ حَسِيرِ^(٢)
وَرَجَسَتْ وَرَأَاهُ تَجْرِي حَيْثَا وَمَا بِكَ حَيْثُ تَجْرِي مِنْ فَتُورِ

(١) خبر هذه الأبيات في أمالي الزجاجي : ٦٠ - ٦٢ : « وفد المؤمل بن أميل على المهدي بالري فامتدحه ، فأمر له بمئزر من ألف درهم ؛ فارتحل الخبر بالمنصور ؛ فكتب إليه يعذله ويقول : إنما كانت سبيلك أن تأمر الشاعر بعد أن يقوم ببابك سنة بأربعة آلاف درهم ؛ وكتب إلى كاتبه بإنفاذ الشاعر إليه ، فسأل عنه فقبل له ؛ قد شفى إلى مدينة السلام ، فكتب إلى المنصور بخبره ، فأخذ المنصور قائدا من قواده إلى الثهروان بتصفح وجوه الناس ؛ حتى وقم بيده المؤمل ، فألقى به المنصور ، فقال له : أتيت غلاماً غراً فعدته ! قال : نعم يا أمير المؤمنين ! أتيت غلاماً غراً كريماً فعدته فأنخدع لي ؛ فكان ذلك أعجبه ، فقال له : أنشدني ما قلت فيه ؛ فأنشده :

هُوَ الْمَهْدِيُّ إِلَّا أَنْ فِيهِ مَشَابَهَ صُورَةِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
تَشَابَهَ ذَا وَذَا فَهُمَا إِذَا مَا أَنَارَا مُشْكِلَانِ عَلَى الْبَصِيرِ
فَهَذَا فِي الظَّلَامِ سِرَاجُ نَارٍ وَهَذَا فِي النَّهَارِ سِرَاجُ نَوْرٍ
وَلَكِنْ فَضَّلَ الرَّحْمَنُ هَذَا عَلَى ذَا الْمَنَابِرِ وَالسَّرِيرِ
وَبِالْمُلْكِ الْعَزِيزِ قَدْ أَمِيرٌ وَمَاذَا بِالْأَمِيرِ وَلَا الْوَزِيرِ
وَنَقَصَ الشَّهْرَ يُحْمَدُ ذَا وَهَذَا مُنِيرٌ عِنْدَ نُقْصَانِ الشُّهُورِ
فِيَا بْنَ خَلِيفَةِ اللَّهِ الْمَصْفَى بِهِ تَعْلَى مُفَاخَرَةُ الْفُخُورِ
لَنْ تُفْتَ الْمُلُوكُ

فقال : أحسنت ، وليكن لايساوي عشرين ألف درهم ، ثم قال : أين المال ؟ فقال : ها هو ذا ، قال ياربيع : أعطه منه أربعة آلاف درهم ، وخذ الباقي ، ففعل ؛ فلما صارت الخلافة إلى المهدي رفع المؤمل إليه يذكر قصته ، فضحك ، وأمر برد المال إليه ، فرد .

(٢) السكابي : المتغير اللون ، والحسير : المعبي .

فَقَالَ النَّاسُ مَا مِنْ ذِي إِلا بِمَنْزِلَةِ الْخَلِيقِ مِنَ الْجَدِيرِ^(١)
فَإِنْ سَبَقَ الْكَبِيرُ فَأَهْلُ سَبَقِ لَهُ فَضْلُ الْكَبِيرِ عَلَى الصَّغِيرِ
وَإِنْ بَلَغَ الصَّغِيرُ مَدَى كَبِيرِ فَقَدْ خُلِقَ الصَّغِيرُ مِنَ الْكَبِيرِ

ومن هذا المعنى قول الشاعر :

جِيَادٌ جَرَتْ فِي حَنِيَّةٍ فَتَفَاضَلَتْ عَلَى قَدَرِ الْأَسْنَانِ وَالْعِرْقِ وَاحِدُ^(٢)

ومأله بهذا المعنى بعضُ الشُّبُه ، وإن لم يُذكر فيه السُّن وتفضيل الكبير قول زهير :

هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَأْخُذُ بِشَأْوِهِمَا / عَلَى تَكَالِيفِهِ فَمِثْلُهُ لَحِقًا^(٣)

[٣٢]
ظ

أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَلٍ فَمِثْلُ مَا قَدَّمَا مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

وروى أنه عُرِضَتْ عَلَى جَعْفَرِ^(٤) بَنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدِ الْبَرَمَكِيِّ جَارِيَةٌ شَاعِرَةٌ ، فَأَرَادَ أَنْ يَبْلُوهَا

فَقَالَ لَهَا : قُولِي فِي مَعْنَى «يَتَى» زَهِيرُ الَّذِينَ ذَكَرْنَاها ، فَقَالَتْ :

(١) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « أَى لَمْ يَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَيْكَ مِنَ الْفَرْقِ وَالْفَاوِتِ لِأَمْثَلِ مَا بَيْنَ الْخَالِيقِ وَالْجَدِيرِ ، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ » .

(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « أَى عَلَى الْكَبَرِ وَالطَّمَعِ فِي السُّنِّ . وَالْعِرْقُ : الْأَصْلُ » .

(٣) الْبَيْتَانِ فِي دِيْوَانِهِ : ٥١ - ٥٢ ؟ وَقَبْلَهُمَا :

يَطْلُبُ شَأْوُ امْرَأَتَيْنِ قَدَّمَا حَسَنًا نَالَا الْمُلُوكَ وَبَدَأَ هَذِهِ السُّوْقَا

وَالشَّأْوُ : الْغَايَةُ ، وَأَرَادَ بِالْمُرَأَيْنِ أَبَاهُ وَجَدَهُ .

(٤) حَاشِيَةُ ف : قِيلَ : لَمَّا قَتَلَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى وَصَلَبَ بِيَابَ الْجَسْرِ ، رَأَسَهُ فِي نَاحِيَةٍ ، وَجَسَدَهُ فِي

نَاحِيَةٍ مَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ عَلَى حِمَارٍ غَارِهِ ، فَوَقَفَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ نَظَرَتْ إِلَى النَّاسِ فَقَالَتْ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ : وَاللَّهِ لَأَنْ مَرَرْتُ الْيَوْمَ آيَةً ؟ لَقَدْ كُنْتُ فِي الْمَسْكَرِ غَايَةً ؟ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ السَّيْفَ خَالِطَ جَعْفَرًا وَنَادَى مُنَادٍ لِلْخَلِيفَةِ فِي يَحْيَى

بَكَيْتُ عَلَى يَحْيَى وَأَيَقُنْتُ أَنَّهَا قُصَارَى الْفَتَى يَوْمًا مَفَارِقَةُ الدُّنْيَا

وَمَا هِيَ إِلَّا دَوْلَةٌ بَعْدَ دَوْلَةٍ تُخَوِّلُ ذَا نَعْمَى وَتُعْقِبُ ذَا بَلْوَى

إِذَا أَنْزَلَتْ هَذَا مَنْزِلَ رِفْعَةٍ مِنَ الْمَلِكِ حَطَّتْ ذَا إِلَى غَايَةِ سُفْلَى

ثُمَّ حَرَكْتَ الْحِمَارَ ؟ فَكَأَنَّهَا كَانَتْ رَجُلًا لَمْ تَعْرِفْ » .

بَلَّغْتَ - أَوْ كَذَبْتَ - بِحَيِّ أَوْ لَحِثْتَ بِهِ فَنِلْتُمَا خَالِدًا فِي شَأْوٍ مُسْتَبَقٍ
لَكِنَّ مَفْصًى وَتَلَا بِحَيِّ فَأَنْتَ لَهُ تَالِي تَعَلَّيْتُ دُونَ الرَّكْضِ بِالْعَنْقِ^(١)

ومن أحسن ما قيل في المساواة والمقاربة - وهو داخل في هذا المعنى، مناسب له - قول عباد
ابن شبل :

• إذا اخْتَرْتِ مِنْ قَوْمٍ خِيَارَ خِيَارِهِمْ فَكُلُّ بَنِي عَبْدِ الْمَدَانِ خِيَارُ
جَرَّوَا بَعْنَانٍ وَاحِدٍ فَضْلُ بَيْنِهِمْ بَأْنُ قِيلَ قَدْ فَاتَ الْعِذَارَ عِذَارُ^(٢)
وقول الكميت بن زيد :

مُصَلِّ أَبَاهُ لَهُ سَابِقٌ بَأْنُ قِيلَ فَاتَ الْعِذَارَ الْمِذَارُ^(٣)
ومثله قول المتأني - وهو ملبح^(٤) جداً :

١٠ كما تَقَافُ جُرْدٌ فِي أَعْنَتِهَا سَبَقًا بِأَذَانِهَا مَرًّا وَبِالْمَذَرِ^(٥)
وأول من سبق إلى هذا المعنى زهير في قوله يصف مطايرة البازي القطة^(٦) ومقاربته لها :
دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ قَدَرُهُمَا عِنْدَ الذَّنَابِ فَلَاقَتْ وَلَا دَرَكُ^(٧)
وقد لاحظ أبو نواس هذا المعنى في قوله يمدح الفضل بن الربيع ، ويذكر مقاربته لأبيه
في الفضل^(٨) والسودد :

(١) ش ، وحاشية ت (من نسخة) : • تعلل • . وفي حاشيتي الأصل ، ف : • العنق دون
الركض ، أي أنك تتعلل بالعنق إبقاء وحشة لأبيك وجدك ، ولوسرت ركضاً لسبقتهما • .

(٢) العذار من اللجام : ما سال على خد الفرس .

(٣) المصلي : التأني من خيول السبق .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : • حسن • .

(٥) ج ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : • تقاذف • ، بفتح الفاء . وفي حاشيتي الأصل ، ف :
• تقاذف ، أي تتسابق في عنان واحد ، على حد واحد ؛ لأن سبق إحداها على الأخرى إلا بأذن أو بئان • .
وفرس أجرد ؛ قصير الشعر رقيقه .

(٦) د ، حاشية ت (من نسخة) : • للقطة • .

(٧) ديوانه : ١٧٤ ، الذنابي : الذنب ، وفي حاشيتي ت ، ف : • عند الذنابي مستأنف ، أي
الصقر عند ذنابي القطة • . (٨) ف ، ونسخة بحاشية ت : • والمجد • .

نَمْ جَرَى الْفَضْلُ فَانْتَنَى قُدُمًا دُونَ مَدَاهُ مِنْ غَيْرِ تَرْهِيْقٍ^(١)
فَقِيلَ رَاشَا سَهْمًا يُرَادُ بِهِ الـ غَايَةُ وَالنَّصْلُ سَابِقُ الْفُوقِ^(٢)

ويشاكل ذلك قولُ البحتري في ابن أبي سعيد الثغري :

جَدُّ كَجَدِّ أَبِي سَمِيدٍ إِنَّهُ تَرَكَ السَّمَكَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرِفِ^(٣)
قَاسَمَتَهُ أَخْلَاقَهُ وَهِيَ الرَّدَى لِلْمُعْتَدِي، وَهِيَ النَّدَى لِلْمُعْتَنَى
/ فَإِذَا جَرَى مِنْ غَايَةٍ وَجَرَبَتْ مِنْ أُخْرَى التَّقَى شَأْوَاكُمَا فِي النَّصَبِ

ويشبهه أيضاً قوله :

وَإِذَا رَأَيْتَ شَمَائِلَ ابْنِي صَاعِدٍ أَدَّتْ إِلَيْكَ شَمَائِلَ ابْنِي مُغْلَدٍ^(٤)
كَالْفَرَقْدَيْنِ إِذَا تَأَمَّلَ نَاطِرٌ لَمْ يَنْعَلِ مَوْضِعُ فَرَقْدٍ عَنْ فَرَقْدٍ

فأما قول الخنساء: «يتعاوران مُلَاةُ الْخُضَرِ»، فهي تعني بالملاة الغبار، وإن عدي بن
الرَّقَاعَ كَأَنَّهُ نَظَرَ إِلَيْهَا فِي قَوْلِهِ يَصِفُ حِمَارًا وَأَنَا نَا :
يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الْغُبَارِ مُلَاةٌ بَيْضَاءُ مُحْدَثَةٌ هُمَا نَسَجَاهَا^(٥)

(١) ديوانه: ٩١، وفي حاشيتي الأصل، ت: «أى من غير مدانة أولحوق».

(٢) راس السهم: وضع عليه الريش، والنصل: حديدة السهم، والفوق: موضع الوتر من

السهم.

(٣) ديوانه ٢: ١٢٢، وفي حاشيتي الأصل، ف: «أى جد كجد أبى سعيد المذكور، أى جعل

السماك غير عال؟ كأنه قد علاه وفاقه».

(٤) في حاشيتي الأصل، ف: «يسوى بين ابني صاعد وابني مغلد»، والبيتان في ديوانه ١:

١٧٣، وروايته: «... شمائل ابن محمد».

(٥) البيتان من قصيدته التي مطلعها:

مَا هَاجَ شَوْقُكَ مِنْ مَعَانِي دِمْنَةٍ وَمَنَازِلِ شَمَفِ الْفُؤَادِ بِلَاهَا

وهي في الطرائف الأدبية: ٩٢-٩٧، والبيتان في (معاني المسكوى ٢: ٣١، وحاسة ابن الشجري:

٢٧٦-٢٧٧، ومجمع المرزباني ٢٥٣، وشرح المختار من شعر بشار ٣١٧، وزهر الآداب ٤: ٦٨.

وبمجموعة الداني: ٢٠٣). ويتعاوران؟ أى تصير الغبرة للعبير مرة، واللاتان مرة.

تُطَوَّى إِذَا وَطِئًا مَكَانًا جَاسِيًا وَإِذَا السَّنَابِكُ أُمْسِهَلَتْ نَشَرَاهَا^(١)

وهذا المعنى ، وإن كان هو معنى الخنساء ، بعينه فقد زاد في استيفائه عليها زيادة ظاهرة ، صار من أجلها بالمعنى أحقَّ منها . وقد ابتداء بهذا المعنى رجلٌ من بني عُقِيل فقال من قصيدة^(٢) :

• يُشِيرَانِ مِنْ نَسْجِ الثَّرَابِ عَلَيْهِمَا قَمِيصَيْنِ أَسْمَالًا وَيَرْتَدِيَانِ



(١) الجاسي : الغليظ من الأرض ، وأسهمت : صارت إلى سهولة الأرض .

(٢) أبيات منها في الخزانة ٣ : ٢٧٦ ، منسوبة إلى ابن مقبل ، وفي زهر الآداب ٤ : ٦٨ منسوبة لأعرابي من بني عقيل .

وقبله :

قِفَارٌ مَرُورَةٌ يَحَارُ بِهَا الْقَطَا وَيُضْحِي بِهَا الْجَأْبَانِ يَفْتَرِقَانِ

المرورة : المغارة التي لاشي فيها ، والجأبان : مثنى جأب ؛ وهو الحمار الغليظ من حمر الوحش ، وأراد الجأبين الذكر والأنثى .

مَجِيشٌ آخِرٌ تَأْوِيلُ آيَةٍ *

إن سأل سائل عن قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَجَاءَهُ عَلَى قَيْصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف ١٨] . فقال : كيف وصف الدم بأنه كذب ، والكذب من صفات الأقوال لا من صفات الأجسام ؟ وأى معنى لوصفه الصبر بأنه جميل ؟ ومعلوم أن صبر يعقوب عليه السلام على فقد ابنه يوسف لا يكون إلا جميلاً ؟ ولم يرتفع الصبر ؟ وما المقضى لرفعه ؟

والجواب ، يقال له : أما ﴿ كَذِبٍ ﴾ فمعناه أنه مكذوب فيه وعليه ، مثل قولهم : هذا ماء سكب وشراب صب ؛ يريدون مصبوا ومسكوبا ؛ ومثله : ماء غور ، ورجل صوم ، وامرأة نوح ^(١) ، قال الشاعر :

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ مُقَلَّدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا ^(٢)

أراد بقوله : « نَوْحًا » أى نائحة عليهم ، ومثله : ما لفلان معقول ؛ يريدون عقلا ، ١٠ وما له على هذا الأمر مجلود ، يريدون جلدا ^(٣) ، قال الشاعر :

* ورد هذا العنوان في ت ، ف ، ولم يرد في سائر الأصول .

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « الوصف بالمصدر يفيد قوة ذلك الفعل ؛ كقولهم : رجل صوم ؛ يعنى أنه لكثرة صومه كأنه صار بكليته صوما ، ومن ذلك : ماء سكب وصب » .
(٢) صفونا : جمع صافن ؛ والصافن من الخيل : القائم على ثلاث قوائم ، وقد أقام الراكب على طرف الحافر ، والبيت لعمر بن كلثوم ، من المعلقة ، وروايته فيها :

تَرَكَنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مُقَلَّدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا

(وانظر المعلقات - بشرح التبريزي : ٢١٧) .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « بين السيد رضى الله عنه أنه كما يكون بمعنى المفعول ؛ فقد يكون المفعول بمعنى المصدر ؛ وعما متداخلان في هذا المعنى ؛ فإذا كان المفعول بلفظ المصدر فلأن المفعول الحقيقي هو المصدر ، ألا ترى أنك إذا قلت : ضربت زيدا ففعلك على الحقيقة هو الضرب لازيدا ، وإذا جاء المصدر بمعنى الفاعل فلأنه سبب له ؛ والفعل له طرفان : أحدهما إلى المفعول ، والآخر إلى الفاعل » .

[٢٢]
ظ

/ حَتَّى إِذَا لَمْ يَنْزُكُوا لِعِظَامِهِ لَحْمًا وَلَا لِفُؤَادِهِ مَثْقُولًا
وَأَنشَدَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ :

قَدْ وَالَّذِي سَمَكَ السَّمَاءُ بِقَدَرِهِ يُبْلِغُ الْعَزَاءُ وَأَذْرِكُ الْمَجْلُودُ

وقال الفرّاء وغيره : يجوز في النحو : « بدم كذباً » بالنصب على المصدر ؛ لأنَّ
• ﴿ جَاءُوا ﴾ فيه معنى كذبوا كذباً ، كما قال تعالى : ﴿ وَالْمَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴾ [العاديات : ١]
فتنصب ضَبْحًا^(١) على المصدر ؛ لأنَّ العاديات بمعنى الضابحات ، وإنما كان دماً مكذوباً فيه ؛
لأنَّ إخوة يوسف^(٢) ذبحوا سَخْلَةً ، ولطخوا قَيْصَ يوسف بدمها ، وجاءوا أباهم بالقميص ،
وآذعوا أكل الذئب له ، فقال لهم يعقوب^(٣) : يَا بَنِيَّ ، لَقَدْ كَانَ هَذَا الذَّئْبُ رَفِيقًا حِينَ
أَكَلَ ابْنِي ، وَلَمْ يُخَرِّقْ قَيْصَهُ ؛ قَالُوا : بَلْ قَتَلَهُ اللَّصُوصُ ، قَالَ : فَكَيْفَ قَتَلُوهُ وَتَرَكَوا
قَيْصَهُ ، وَهَمُّ إِلَى قَيْصِهِ أَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَى قَتْلِهِ ! . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ كَانَ فِي قَيْصِ يَوْسُفَ ثَلَاثُ
آيَاتٍ : حِينَ قُدَّ قَيْصُهُ مِنْ دُبُرٍ ، وَحِينَ أُلْقِيَ عَلَى وَجْهِ أَبِيهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ، وَحِينَ جَاءُوا عَلَيْهِ
بِدم كَذِبٍ ؛ فَتَنَبَّهَ أَبُوهَ عَلَى أَنَّ الذَّئْبَ لَوْ أَكَلَهُ لَخَرَّقَ قَيْصَهُ^(٤) .

وأما وصف الصبر بأنه جميل ، فَلِأَنَّ الصَّبْرَ قَدْ يَكُونُ جَمِيلًا وَغَيْرَ جَمِيلٍ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ جَمِيلًا
إِذَا قُصِدَ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ ، وَفُعِلَ لِلْوَجْهِ الَّذِي وَجِبَ ، فَلَمَّا كَانَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَاقِفًا عَلَى الْوَجْهِ
١٥ الْحَمْدُ صَحَّ وَصْفُهُ بِذَلِكَ . وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَرَادَ صَبْرًا لَا شَكْوَى فِيهِ وَلَا جَزَعٌ ، وَلَوْ لَمْ يَصِفْهُ
بِذَلِكَ لَظَنَّ مُصَاحِبَةُ الشَّكْوَى أَوْ الْجَزَعُ لَهُ . وَأَمَّا ارْتِفَاعُ قَوْلِهِ : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾ فَقَدْ قِيلَ
إِنَّ الْمَعْنَى : فَشَأْنِي صَبْرٌ جَمِيلٌ ، أَوْ الَّذِي أَعْتَقَدُهُ صَبْرٌ جَمِيلٌ^(٥) . وَقَالَ قَطْرِبُ : مَعْنَاهُ فَصَبْرِي
صَبْرٌ جَمِيلٌ ؛ وَأَنشَدُوا :

(١) الضبح : صوت يسمع من جوف الفرس حال العدو . (٢) ت : « يوسف عليه السلام » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « قال السيد المرتضى رضى الله عنه : وقد قرئ : ﴿ بَدَمٍ كَذِبٍ ﴾ وهو

الدم المسفوح » . (٤) في حاشيتي ت ، ف : « يجوز أن يكون « صبر » مبتدأ وخبره محذوف ،

ويحتمل أن يكون « صبر » مبتدأ و « جميل » خبره » ، وفي حاشية ف أيضا : « وهو وإن كان نكرة يقوم

مقام المعرفة ؛ وذلك أن أى صبر كان فهو المراد » .

شَكَا إِلَى جَمَلٍ طَوَّلَ الشَّرَى يَا جَمَلِي لَيْسَ إِلَيَّ الشُّتْكَى
الدَّرْهَانِ كَلَّفَانِي مَا تَرَى ^(١) صَبْرٌ جَمِيلٌ فَكِلَانَا مُبْتَلَى

معناه : فليكن منك صبر جميل . وقد رُوي أن في قراءة أبي : ﴿ فَصَبْرًا جَمِيلًا ﴾
بالنصب ، وذلك يكون على الإغراء ^(٢) ، والمعنى فاصبري يا نفس صبراً جميلاً ، قال ذو الرُّمة :
أَلَا إِنَّمَا مَيَّ - فَصَبْرًا - بَلِيَّةٌ وَقَدْ يُبْتَلَى الْخُرُّ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ ^(٣) ٥
وقال الآخر :

أَبَى اللَّهُ أَنْ تَبْقَى لِحَى بَشَاشَةٍ فَصَبْرًا عَلَى مَا شَاءَ اللَّهُ لِي صَبْرًا

تَأْوِيلُ خَبَرِ

في الحديث أن قيسَ بن عاصم قال : أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وآله فقال : « هذا [٢٤]
سَيِّدُ أَهْلِ الْوَبَرِ » ؟ فقلت : يا رسول الله ، ما المالُ الذي ليست على فيه تَبَعَةٌ من طالب
ولا ضيف ؟ فقال عليه السلام : « نِعَمَ الْمَالُ أَرْبَعُونَ ، وَالسُّكَّرُ مِائَتُونَ ، وَوَيْلٌ لِأَصْحَابِ ١٠
الْمَنِينِ ! إِلَّا مَنْ أُعْطِيَ الْكَرِيمَةَ ، وَمَنْحَ الْغَزِيرَةِ ^(١) ، وَنَحَرَ السَّمِينَةِ ، فَأَكَلَ وَأَطْعَمَ الْقَانِعَ
وَالْمُعْتَرَّ - وفي رواية أخرى : « إِلَّا مَنْ أُعْطِيَ مِنْ رِسْلِهَا ، وَأَطْرَقَ غُلْمُهَا ، وَأَفْقَرَ ظَهْرُهَا ،
وَمَنْحَ غَزِيرَتِهَا ، وَأَطْعَمَ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ » ؟ قلت : يا رسول الله : ما أكرمَ هذه الأخلاق وأحسنها !
إنه لَا يُحِلُّ بِالْوَادِي الَّذِي فِيهِ إِلَّا مِنْ كَثَرَتِهَا . فقال : « فَكَيْفَ ^(٥) تَصْنَعُ فِي الْمَغْظِيَةِ ^(٦) ؟
قلت : أُعْطِيَ الْبُسْكَرَ ، وَأُعْطِيَ النَّابَ . قال : « فَكَيْفَ تَصْنَعُ فِي الْمَنْحَةِ ؟ » ، قلت : إِنِّي ١٥
لَأَمْنَحُ الْمَائَةَ . قال : « فَكَيْفَ ^(٥) تَمْلِكُ الطَّرْوَقةَ ؟ » ، قلت : يَغْدُو النَّاسُ بِإِبِلِهِمْ فَلَا يُوْرَعُ

(١) هذا البيت ورد في ت ، وحاشية ف .

(٢) حاشية ف : « معنى الإغراء أن يغريه الغائل باتِّزام الذي أشار إليه ؛ كقولهم : عليك به » .

(٣) ديوانه : ٢٢٥ . (٤) الغزيرة كثيرة اللبن .

(٥) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « كيف » .

(٦) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) « المغطية » .

رجل عن جمل يخطمه^(١) فيمسكه ما بدا له، حتى يكون هو الذي يرده. وفي الرواية الأخرى قال: « فكيف تصنع في الإطراق ؟ »، قلت: يغدو الناس فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به . قال: « فكيف تصنع في الإفقار؟ »، قلت: إني لأقصرُ الناب المديرة والضرع^(٢) الصغيرة، قال: « فكيف تصنع في المنيحة؟ »، قلت: إني لأمنح في السنة المائة، قال: « فمالك أحب إليك أم مال مواليك ؟ »^(٣)، قلت: لا، بل مالي، قال: « فإن مالك ما أكلت فأفنيته، وأعطيته فأمضيت » . وفي الرواية الأخرى: « ولبست فأبلت، وسائر مواليك »، قلت: لا جرم ! والله لئن رجعت لأقآن عددها . فلما حضره الموت جمع بنيه فقال: يا بني خذوا عني، فإنكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني، لا تنوحوا علي فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يُنح عليه، وقد سمعته ينهى عن النياحة، وكفّنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها، وسودّوا أكابركم، فإنكم إذا سودّتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة، وإذا سودّتم أصاغركم هان أكابركم على الناس، وزهّدوا فيكم، وأصلحوا من^(٤) عيشكم؛ فإن فيه غنى عن طلب إلى الناس، وإياكم والمسألة؛ فإنها آخر^(٥) كسب المرء، وإذا دفنتموني فأخفّوا قبري عن بكر بن وائل، فقد كانت بيننا مخاشات في الجاهلية، فلا [٣٤] آمن سقيماً منهم أن يأتي / أمراً يدخل عليكم عيباً^(٦) في أبيكم^(٧) .

(١) ت، وحاشية ف (من نسخة) : « يخطمه » .

(٢) رواية ابن الأثير في النهاية (ضرع) : إني لأقصر البكر الضرع، والناب المدبر، أي أعيرها للركوب؛ يعني الجمل الضعيف، والناقة الهرمة .

(٣) حاشية ف : « المولى من يليك ؟ من ابن العم والمعتق ؟ ويليكَ ؟ أي يقرئك، وأصل المولى القرى .

(٤) م : « وأصلحوا عيشكم »، وحاشية ف (من نسخة) : « وأصلحوا من أمر عيشكم » .

(٥) ف، ونسخة بمحاشيتي الأصل، ت « أخس » .

(٦) من نسخة بمحاشيتي ت، ف : « عيباً » .

(٧) الخبر بهذه الرواية في (الفائق ٣ : ١٣٠)، وفي رواية أخرى فيه أيضاً : « وإذا مات فقبوا قبري من بكر بن وائل، فإنني كنت أناوشهم في الجاهلية - وروى : أناوشهم - وروى أغاوشهم » .

فأما قوله : « الكُثْرُ سِتُون » فعناه الكثير ، تقول العرب : نسأل الله الكُثْرَ ، ونعوذ به من القُلِّ ؛ أى نسأله الكثير ، ونعوذ به من القليل ؛ وقال الشاعر :

فإنَّ الكُثْرَ أَعْيَانِي قَدِيمًا ولمْ أَقْتِرْ لَدُنَّ أَنِّي غُلَامٌ^(١)

وقال الآخر :

- وقَدْ يَقْصُرُ الْقُلُّ الْفَتَى دُونَ هَمٍّ وقدْ كَانَ لَوْلَا الْقُلُّ طَلَّاعَ أَنْجِدٍ^(٢)
- والكريمة ، يعنى بها كرائم ماله . و« أَمْنَحُ الْغَزِيرَةَ » ، أى أعطيها مَنْ يَحْلِبُهَا ويردها ، ومن ذلك الحديث : « الْعَارِيَةُ مُوَدَّاةٌ ، وَالْمِنْحَةُ^(٣) مُرْدُودَةٌ ، وَالزَّعِيمُ^(٤) غَارِمٌ ، وَالذَّيْنُ مَقْضَى^(٥) » فالمنحة الناقة أو الشاة يدفعها الرجل إلى مَنْ يَحْلِبُهَا وينتفع بلبنها ثم يردّها عليه ، والزعيم : الكفيل ، ويقال له أيضا القبيل^(٥) والصَّيِّرُ والحَمِيلُ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴾ [يوسف : ٧٢] ، قال الشاعر :

فَلَسْتُ بِأَمِيرٍ فِيهَا بِسَلَمٍ وَلَكِنِّي عَلَى نَفْسِي زَعِيمٌ^(٦)

وقال آخر :

قُلْتُ كَفَى لَكَ رَهْنٌ بِالرَّضَا فَارْزُعْنِي يَا هِنْدُ قَالَتْ قَدْ وَجِبُ^(٧)

معناه اكفلى ، ويروى : « فاقبلى » ، من القبيل الذى هو الكفيل أيضا .

(١) البيت فى اللسان (كثر) ، ونسبه إلى رجل من ربيعة ، وفى حاشيتى ت ، ف : « أى لما كن قبل مكثرا ولا مقثرا ، يصف حاله بالوسط ، والإفطار : الفقر » .

(٢) البيت فى اللسان (قلل) ، ونسبه إلى خالد بن علقمة الدارمى ، وأشد قبله :

وَيْلٌ أُمَّ لَذَاتِ الشَّبَابِ مَعِيشُهُ مَعَ الْكُثْرِ يُعْطَاهُ الْفَتَى الْمُتَلَفُ النَّدَى

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « المنحة » ، وهى والمنحة بمعنى .

(٤-٥) حاشية ت (من نسخة) : « والدين . قضى ، والزعيم غارم » .

(٥) القبيل : الكفيل والعريف ، وقد قبل يقبل قبالة ؛ أى يكفل .

(٦) حاشية ف : « معناه لا أملك إلا نفسى » .

(٧) البيت لعمر بن أبى ربيعة ؛ وهو فى ديوانه ٣٧٨ ، وفى حاشية ف : « أى ضمنت وحلفت على نفسى ألا أجاوز رضاك ، فاقبلى مثله » .

وقال الفراء : القانع هو الذي يأتيك فيسألك ؛ فإن أعطته قبل ، والمتر : الذي يجلس عند الذبيحة ، ويمسك عن السؤال ، كأنه يُعرض في المسألة ولا يصرح بها ، يقال قنع الرجل قناعة إذا رضى ، وقنع قنوعاً إذا سأل .

فأما قوله : « لا جرم » فقال قوم : معنى جرم كسب ، وقالوا في قوله تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ ﴾ [النحل : ٦٢] ، أن « لا » رد على الكفار ، ثم ابتداء فقال : ﴿ جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارُ ﴾ بمعنى كسب قولهم أن لهم النار ، وقال الشاعر :

نَصَبْنَا رَأْسَهُ فِي رَأْسِ رَجْدَعٍ بِمَا جَرَمَتْ يَدَاهُ وَمَا اعْتَدَيْنَا^(١)

أى : بما كسبت . وقال آخرون : معنى « جرم » حق ، وتناول الآية بمعنى حقق قولهم أن لهم النار ؛ وأنشدوا :

١٠ وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا غَيْثَةَ طَعْنَةً جَرَمْتُ فَرَازَةَ بَعْدَهَا أَنْ يَنْضَبُوا^(٢)

أراد : حققت فَرَازَةَ ، وروى الفراء « فزارة » ، بالنصب على معنى كسبت^(٣) الطعنة [٣٠] فزارة النضب / ، وقال الفراء : لا جرم في الأصل مثل لا بُدَّ ، ولا محالة ، ثم استعملته العرب في معنى حقاً ، وجاءت فيه بجواب الأيمان ، فقالوا : لا جرم لأقومن ؛ كما قالوا : والله لأقومن ، وفيها لغات ، يقال : لا جرم ، ولا جُرم ، بضم الجيم وتسكين الراء ، ولا جَر ، بحذف الميم ، ولا ذا جَرَم ؛ قال الشاعر :

إِنَّ كِلَابًا وَالِدِي لَا ذَا جَرَمٍ^(٤) لِأَهْدِرَنَّ الْيَوْمَ هَذَرَآ فِي النَّعَمِ^(٥)

* هَذَرَ الْمُعْنَى^(٥) ذِي الشَّقَاشِقِ اللَّهُمَّ^(٦) *

(١) البيت في اللسان (جرم) ، ونسبه إلى أبي أسامة بن الضريبة . (٢) د : « أ كسبت » .

(٣) البيت في اللسان (جرم) من غير عزو . (٤) لأهدرن : لأصوتن ؛ من الهدير ، وهو

تردد صوت البعير في حنجرته . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « المفنى » .

(٦) حواشي الأصل ، ت ، ف : المعنى : الذي يدخل النعمة من الإبل ؛ وهى الحظيرة ؛ وذلك أن الفعل

القيم إذا حاج حبس حتى لا يضرب في النوق السكرام ، ومنه قول الوليد بن عتبة :

قَطَعْتُ الدَّهْرَ كَالسَّدِيمِ الْمُعْنَى تَهْدَرُ فِي دِمَشْقَ فَلَ تَرِيمُ =

والناب : الناقة المهرمة ، وجمعها نيب ، ومثلها الشارف ، قال الشاعر :
 لَا أَفْتَأُ الدَّهْرَ أَبْكِيهِمْ بِأَرْبَعَةٍ مَا اجْتَرَّتِ النَّيْبُ أَوْحَنْتُ إِلَى بَلَدٍ ^(١)
 ويقال للبعير أيضا إذا كبر عودًا ، وللاُنثى عودة ، قال الشاعر :
 عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ مِنَ الْقُدَمِ الْأَوَّلِ يَمُوتُ بِالْتَّرَكِّ وَيَحْيَا بِالْعَمَلِ ^(٢)
 وهذا من أبيات المعاني ، ومعناه بعير عود على طريق متقادم ، وسُمي الطريق بأنه •
 عود لتقادمه تشبها بالبعير ، وقوله :

• يموت بالترك ويحيا بالعمل •

أراد أنه إذ سلك وطريق ظهرت أعلامه ، ووضعت طرقه ، واهتدى سالكه لسلوكه ،
 ولم يضل عن قصده ، فكان هذا كالحياة له ، وإذا لم يسلك طمست آثاره ، وامّحت ^(٣)
 معالاه ، فلم يهتد فيه راكب لقصد ، وكان ذلك كاللوت له .

فأما « الخُمَاشَات » فهي الجنائيات والجراحات ، قال ذو الرمة يذكر الحمار والأتُن :
 رَبَاعٍ لَهَا مَذْ أَوْرَقَ الْعُودُ عِنْدَهُ خُمَاشَاتُ دَخَلَ مَا يَرَادُ امْتِثَالُهَا ^(٤)

== وأصله « المعن » ؛ فقلت إحدى النونات ياء ، كقولك : فنيت ، وفي التنزيل : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ ، والشقاشق : جمع شقةفة ؛ وهي كالرئة تخرج من فم البعير إذا هاج واغتم ، والاهم : الذي يلثم
 كل شيء ؛ أي يبتلع ، وفرس لم : سريع ؛ كأنه يلثم الأرض .
 (١) في حاشيتي الأصل ، ف : لا أفتأ ؛ أي لأزال أبكيهم بأربعة ؛ أي بأربعة شئون ؛ وهي
 مجارى الدمع من الدماغ ؛ ومثله قول الآخر :

• جُودِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى الْجِرَاحِ •

وقيل بأربعة آمان من موق العين ، واجترت : إذا أكلت الجرّة . والجرة : ما يخرج البعير من
 بطنه ليلطمه .

(٢) البتان في اللسان (عود) ، ونسبها إلى بشر بن النمسكت .

(٣) من نسخة بحاشيتي ت ، ف : « أنهجت » ؛ أي بليت .

(٤) ديوانه : ٣٣ ؛ وفي حاشيتي ت ، ف : « الرباع من الفم ماله أربع سنين ، ومن الحافر ماله

خمس سنين ، ومن الحف ماله سبع سنين والجمع ربع ، وقد أربع » .

يريد بقوله : « ما يراد امتثالها » ، أى ما يراد اقتصاصها ، يقال : أمثلتنى من هذا الرجل ، وأقيدنى وأقصدنى بمعنى واحد .

فأما قوله : « لا بورع » ، أى لا يحبس ، ولا يمنع ، يقال ورعت الرجل توريعا إذا منعتهُ وكففته ، والورع هو المتحرج ^(١) المانع نفسه مما تدعوه إليه ، يقال ورع ورعا ورعة ؛ قال لبيد :

أَكَلْتُ يَوْمَ هَامَتِي مَقْرَعَةً ^(٢) لَا يَنْسَعُ الْفِتْيَانُ مِنْ حُسْنِ الرَّعَةِ ^(٣)

ويقال : ما ورع أن فعل كذا وكذا ، أى ما كذب ^(٤) ، فأما الورع بالفتح فهو الجبان .

[٣٥] وأما الطروقة / فهي التى قد حان لها أن تطرق ، وهى الحقيقة . وقوله فى الرواية الأخرى « إلا من أعطى من رسلها » فالرسل اللبى . والإفقار : هو أن يركبها الناس ، ويحملهم على ظهورها ، مأخوذ من فقر الظهر ، والإطراق : للفحول هو أن يبذلها لمن يُنْزِيها على إناث إبله . وذكر الإطراق فى هذه الرواية أحب إلى من الطروقة لأنه قد تقدم من قوله : « إنه يعطى التاب والبكر والضرع والمائة » فلا معنى لإعادة ذكر الطروقة . وقوله فى الجواب « يغدو الناس فلا بورع رجل » عن جمل يخطمه فيمسكه قائدا له ^(٥) ثم يرده « لا يحتمل غير الإطراق ، ولا يليق بمعنى الطروقة .

١٥ وكان قيس بن عاصم شريفاً فى قومه ، حليماً ويكنى أبا على ، وكان الأحنف بن قيس يقول :

(١) ت : « هو الرجل المتحرج » .

(٢) من أرجوزة فى ديوانه ٧-٨ ، وفى حاشيتى الأصل ، ف : « المعنى : أكل يوم أحارب وألبس الغفر حتى ذهب شعر مقدم رأسى ، والأقزع : الأصلح ؛ إلا أن الأقزع الذى أدى صلعه إلى وسط رأسه » .

(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « يمكن أن يكون المعنى إن هامته المقزعة التى قزعته أعداؤه تركت الفتيان من قبيلته على حسن الرعة والتحرج . وهذا الحديث خارج عن جرج النظم » .

(٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « قوله : ما كذب [بالتخفيف] أى ما لبث أن فعل كذا ، وما كذب [بالتشديد] ، أى ما جبن ، وحمل فلان فما كذب [بالتشديد] أيضا ، أى صدق الجملة فى الحرب » .

(٥) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل من نسخة : « ما بداله » .

إِنَّمَا تَعْلَمْتُ الْحَلَمَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ ؛ أَنِّي بِقَاتِلِ ابْنِهِ فَقَالَ : رَعَيْتُمُ الْفَتَى ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ :
يَا بُنَيَّ لَقَدْ نَقَصْتَ عَدَدَكَ ، وَأَوْهَنْتَ رُكْنَكَ ، وَفَقَتَ فِي عَضْدِكَ ، وَأَشْمَتَ عَدُوَّكَ ، وَأَسَأْتَ
بِقَوْمِكَ ؛ خَلَّوْا سَبِيلَهُ ؛ وَمَا خَلَّ حُبُّوتُهُ ، وَلَا تَغَيَّرَ وَجْهُهُ .

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : قِيلَ لِقَيْسٍ : بِمَاذَا سُدَّتْ ؟ فَقَالَ بِثَلَاثٍ : بِذَلِّ النَّدَى ، وَكَفِّ
الْأَذَى ، وَنَصْرِ الْمَوْلَى .

وَذَكَرَ الْمَدَائِنِيُّ قَالَ : كَانَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ يَقُولُ لِبْنِهِ : يَا كَمُ وَالْبُنَى ، فَسَابَنِي ^(١)
قَوْمٌ قَطَّ إِلَّا قَتَلُوا وَذَلُّوا . وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْ بَنِيهِ يَطْلِعُهُ بِمَعْضٍ قَوْمِهِ فَيَنْهَى إِخْوَتَهُ أَنْ
يَنْصَرُّوهُ .

وَقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ هُوَ الَّذِي حَفَزَ الْخَوْفَزَانَ ^(٢) بَنِي شَرِيكِ الشَّيْبَانِيِّ بِطَعْنَةٍ فِي يَوْمِ جَدُودٍ ^(٣) ،
خَسَمَى الْحَارِثُ الْخَوْفَزَانَ ؛ وَقَالَ سَوَّارُ بْنُ حَيَّانَ ^(٤) الْمِنْقَرِيُّ ^(٥) :

وَنَحْنُ حَفَزْنَا الْخَوْفَزَانَ بِطَعْنَةٍ سَقَّتْهُ نَجِيعًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ أَشْكَالًا ^(٦)
وَحُمْرَانَ قَسَرَا أَنْزَلَتْهُ رِمَاحُنَا فَمَالَجَ غُلًّا فِي ذِرَاعَيْهِ مُثْقَلًا ^(٧)

(١) ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « فَإِنَّهُ مَا بَعَثَ » . (٢) حفزه ، أى طعنه من خلفه ، وفي اللسان
عن التهذيب أن الخوفزان لقب لجرار من جراري العرب ؛ وكانت العرب تقول للرجل إذا قاد ألفا جراراً .
(٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « جدود : موضع فيه ماء يسمى بالكلاب ، وكانت فيه واحة مرتين ؛
ويقال للكلاب الأول يوم جدود ؛ وهو لتغلب على بكر بن وائل » .

() وانظر خبر يوم جدود في المقدم : ١٩٩ - ٢٠١ ، وابن الأثير ١ : ٣٧٢ .

(٤) كذا ضبط بالقلم في جميع الأصول ، وضبطه ابن السيد في الافتصاب ص ١٣٩ : « بحاء مكسورة
غير معجمة وباء معجمة بواحدة » ، والبيتان في (الأغاني ١٢ : ١٢٧ ، وابن الأثير ١ : ٣٧٢ ، والآل
٢٥٦ ، واللسان - حفز ، شكل) .

(٥) م : « ... المنقري في ذلك » .

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصول ، ف : « كسبه نجيعاً » ، والشكاة : حمرة يخالطها بياض ؛ وبسمى الدم
أشكالاً للحمرة والبياس المختلطتين فيه .

(٧) من نسخة بحاشيتي الأصول ، ت : « مقللاً » ؛ وهو حمران بن عمرو بن بشر بن عمرو ؛ وكان على
شيبان وذهل والهازم ؛ حينما خرجوا لقتال بني يربوع .

وفي يوم جَدُود يقول قيس بن عاصم :
 جَزَى اللهُ بَرَبُوعًا بِأَسْوَأِ سَعِيهَا
 إِذَا ذُكِرَتْ فِي النَّائِبَاتِ أُمُورُهَا ^(١)
 وَيَوْمَ جَدُودٍ قَدْ فَضَحْتُمْ ذِمَارَكُمْ
 وَسَلَّمْتُمْ وَالْخَيْلُ تَدْمِي نُحُورُهَا
 / سَتَحْطِمُ سَعْدٌ وَالرُّبَابُ أُنُوفَكُمْ
 كَمَا حَزَّ فِي أَنْفِ الْقَضِيبِ جَرِيرُهَا
 - القَضِيبُ : الناقة المقتضبة الصعبة ؛ وفي قيس يقول عبدة بن الطبيب :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ
 وَسَلَامُ امْرِئٍ جَلَّلَتْهُ مِنْكَ نِعْمَةٌ ^(٢)
 إِذَا زَارَ عَنْ شَخْطٍ بِلَادَكَ سَلَمًا
 فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هَلَكٌ وَاحِدٌ
 وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ نَهْدَمًا ^(٣)
 وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَخَّمًا ^(٤)

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : ذاكرني بعض الأصدقاء بقول أبي ذؤيب
 الجمحي وهو يعني ناقته :

(١) الأبيات في (الأغاني ١٢ : ١٤٧) .

(٢) الأبيات في (الأغاني ١٢ : ١٤٨ ، والحامسة - بشرح التبريزي ٢ : ٢٨٦-٢٨٧) .

(٣) رواية التبريزي :

* نَحِيَّةٌ مَنْ غَادَرَتْهُ غَرَضُ الرَّدَى *

(٤) قال التبريزي في شرحه لهذا البيت : « يجوز أن يروى « هلك » بالنصب وبالرفع ؛ فإذا نصبته
 كان هلكه في موضع البدل من قيس ، وهلك ينتصب على أنه خير كان ؛ كأنه قال : فما كان هلك قيس
 هلك واحد من الناس ؛ بل مات لموته خلق كثير ؛ وإذا رفعته كان هلكه في موضع البدل وهلك واحد
 في موضع الخبر ، والجملة في موضع النصب على أنه خير كان ، وبشبه هذا البيت قول امرئ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تُسَاقِطُ أَنْفُسًا

إذا رويت « تساقط » بضم التاء .

وَأَبْرَزْتُهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ عِنْدَمَا أَصَاتَ النَّادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمًا^(١)
وسألني إجازة هذا البيت بأبيات تنضم إليه وأجمل الكناية فيه كأنها كناية عن امرأة
لا عن ناقة، فقلت في الحال :

فطِيبَ مَسْرَاهَا الْقَامُ وَضَوَاتُ^(٢) يَأْشُرَاقِهَا بَيْنَ الْحَطِيمِ وَزَمْزَمًا^(٣)
فِيَارِبُ إِنِّ لَقَيْتَ وَجْهًا نَجِيَّةً فَحَيُّ وَجُوهًا بِالْدِّينَةِ سُهْمًا^(٤)
تَجَافَيْنَ عَنْ مَسِّ الدَّهَانِ وَطَالَا عَصَمَنَ عَنِ الْحِنَاءِ كَفًّا وَمِعْصَمًا^(٥)
وَكَمْ مِنْ جَلِيدٍ لَا يُخَامِرُهُ الْهَوَى شَنَّ عَلَيْهِ الْوَجْدَ حَتَّى تَنَبَّأَ^(٦)
أَهَانَهُ لَهْنُ النَّفْسِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ وَأَتَقَى إِلَيْهِنَّ الْحَدِيثَ الْمُكْتَمَا^(٧)
تَسَفَّهَتْ لَمَّا أَنْ مَرَرْتَ بِدَارِهَا وَعُوجِلْتَ دُونَ الْحِلْمِ أَنْ تَتَعَلَّمَا^(٨)

(١) أصات: نادى، وأعتم: دخل في العتمة؛ والبيت من أصددة جيدة؛ ذكر منها أبو الفرج هذه
الآيات :

أَلَا عَلِقَ الْقَلْبُ النَّيْمَ كُنْثَمًا لَجَاجًا وَلَمْ يَلْزَمْ مِنَ الْحَبِّ مَلْزَمًا
خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَمَا أَصَاتَ النَّادِي بِالصَّلَاةِ فَأَعْتَمًا
فَمَا نَامَ مِنْ رَاحٍ وَلَا ارْتَدَّ سَائِرُ مِنَ الْحَيِّ حَتَّى جَاوَزْتُ بِي يَلَمَلَمًا
وَمَرْتُ بِبَطْنِ الْبَيْتِ شَهْوَى كَأَنَّمَا تَبَادَرُ بِالْإِدْلَاجِ نَهْبًا مُقَسَّمًا
وَجَازَتْ عَلَى الْبَرْدَاءِ وَاللَّيْلِ كَاسِرُ جَنَاحَيْنِ بِالْبَرْدَاءِ وَرَدًّا وَأَذَمَّا
فَمَا ذَرَقَ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ يُعْلِيْبَ نَحْلًا مُشْرِفًا أَوْ مَخْفِيًا
وَمَرْتُ عَلَى أَشْطَانِ رَوْنَقٍ بِالْمُنْحَا فَا خَزَرَتْ لِلْمَاءِ عَيْنَا وَلَا فَمَا
وَمَا شَرِبْتُ حَتَّى ثَنَيْتُ زِمَامَهَا وَخِفْتُ عَلَيْهَا أَنْ تَخِرَ وَنُكَلَّمَا
فَقُلْتُ لَهَا قَدْ بَنَيْتِ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ وَأَصْبَحَ وَادِي الْبِرِّكَ غَيْثًا مُدِيمًا

(واظظر الأغاني ٦ : ١٦٣ ، ومعجم البلدان ٦ : ٢١٧-٢١٣ ، والشعر والشعراء ٥٩٧) .

(٢) من نسخة بمحوثي الأصل ، ت ، ف : « فطِيبَ رَهَاها » . وضوات : أضاءت .

(٣) سُهْمًا : جمع ساهم ؛ وهو المتغير الوجه . (٤) شَنَّ : سبى . (٥) م : « وقتت بدارها » .

فَمَجَّتْ تَقْرَى دَارِسًا مُتَنَكِّرًا وَتَسْأَلُ مَصْرُوفًا عَنِ النُّطْقِ أَعْجَمًا^(١)
وَبِوَمٍ وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَكَلْنَا يَمْدُ طَبِيعِ الشَّوْقِ مَنْ كَانَ أَحْزَمًا
نُصِرْتُ بَقَلْبٍ لَا يُعْنَفُ فِي الْهَوَى وَعَيْنِ مَتَى اسْتَمَطَرَتْ نَبْهَا قَطَرَتْ دَمًا^(٢)

وكان أبو دَهَبٍ^(٣) من شعراء قريش ، ومن جمع إلى الطبع التجويد ، واسمه وهب بن زَمْعَةَ بن أُسَيْدٍ^(٤) / بن أَحْيَةَ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جَحْجَح ، واسمه تيم [٣٦] ابن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤي بن غالب ، وكان اسم جَحْجَح تيمًا ، واسم أخيه زيدًا ؛ وهما ابنا عمرو بن هُصَيْص ، فاستبقا إلى غاية ، فمضى تيمٌ عن الغاية ، فقليل جَحْجَح تيمٌ فسمى جَحْجَح ، ووقف عليها زيد قليل سَمَمٌ^(٥) زيدٌ ، فسمى سَمَمًا^(٦) ؛ فأما كُنْيَتُهُ فهي مشتقة من الدَّهْبَةِ ، وهي المشى الثقيل ، يقال دَهَبِلَ الرجل دَهْبَلَةً إذا مشى ثقيلًا .

١٠ أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى الرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال : حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال حدثنا عبد الله بن شبيب قال : قيل لأبي عمرو بن العلاء ما يعجبك من شعر أبي دَهَبٍ الجَحْجَحِيّ ؟ فقال قوله :

يَا عَمْرَ حُمٌّ فِرَاقُكُمْ عَمْرًا وَعَزَمْتُ مِنَّا النَّأْيَ وَالْمَهْجَرَ^(٧)
يَا عَمْرَ شَيْخُكَ وَهُوَ ذُو شَرَفٍ يَرْعَى الدَّمَارَ وَيُكْرِمُ الصَّهْرَ^(٨)
وَاللَّهُ مَا أَحْبَبْتُ مُحِبَّكُمْ لَا تَبِيًّا خُلِقْتُ وَلَا بِكْرًا^(٩)

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : تقرأ : وتنبع ؛ أراد تقرأ ؛ وهو تفعل من قولك : قروت الأرض والسمي ؛ إذا نقيته . (٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « مطرت دما » . (٣) وانظر ترجمة أبي دَهَبٍ في (الشعر والشعراء ٥٩٦-٥٩٩ ، والاشتقاق ٨١ ، والمؤلف والمختلف للآمدي ١١٧ ، والأغانى ٦ : ١٤٩-١٦٥) .

(٤) في م : « أُسَيْد » ، بفتح الهزلة وكسر السين . (٥) « سَمَم » ، بالفتح : تغير وجهه ، وسَمَم ، بالبناء للمجهول : غلب ؛ وضبط في ت : بهما معا . (٦) حاشية ف : سَمَم : « قبيلة من باهلة ، ومن قريش أيضا » . (٧) الأبيات في (الأغانى ٦ : ١٥٣) ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) « وعزمت مني » . (٨) شيخك ؛ يسن أباه (٩) حاشية ف : « تقدير البيت : ما أحببت تيمًا ولا بكرا كعبي لإياكم » .

إِنْ كَانَ هَذَا السَّحَرُ مِنْكَ فَلَا
إِحْدَى بَنِي أَوْدٍ كَافَتْ بِهَا
وَتَرَى لَهَا دَلَالًا إِذَا نَطَقَتْ
كَتَسَاقُطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنْ
وَمَقَالَةٍ فِيكُمْ عَرَكَتُ لَهَا
وَمُرِيدُ سِرِّكُمْ عَدَلْتُ بِهِ
قَالَتْ يُقِيمُ لَنَا لِنَجْزِيهِ
مَا إِنْ أَقِيمُ لِحَاجَةٍ عَرَضَتْ
وَإِذَا هَمَمْتُ بِرَحْلَةٍ جَزَعَتْ
إِنِّي لَا رُضَى مَا رَضَيْتُ بِهِ
/وروى أبو عمرو الشيباني لأبي ذؤيب:
يَالَيْتَ مَنْ يَمْنَعُ الْمَعْرُوفَ يُمْنَعُهُ
وَلَيْتَ رِزْقَ رِجَالٍ مِثْلُ نَائِلِهِمْ
- وروى : «ضيق كضيق ووسع كالذي اتسعوا» .

حَتَّى يَذُوقَ رِجَالٌ غِيبًا مَا صَنَعُوا^(٥)
قُوَّةَ كَقُوَّةِ وَوُسْعٍ كَالَّذِي وَسِعُوا^(٦)
- وروى : «ضيق كضيق ووسع كالذي اتسعوا» .

وَلَيْتَ لِلنَّاسِ خَطَاً فِي وُجُوهِهِمْ
وَلَيْتَ ذَا الْفُحْشِ لَاقَى فَاحِشًا أَبَدًا
تَبِينُ أَخْلَاقَهُمْ فِيهِ إِذَا اجْتَمَعُوا^(٥)
وَوَافَقَ الْحِلْمُ أَهْلَ الْحِلْمِ فَاتَدَعُوا^(٦)

(١) الإرعاء : الإيقاع ؛ كذا ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي أسرارها ماثلة إليها » .

(٣) الأقناء : جمع قنوا ؛ وهو غصن الخلل .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « نقرأ ؛ أي قنبلا ؛ وهو صوت يسمع من وقع الإبهام على

الوسعنى ؛ يقال : ما أعطاه اقرا واقرة ؛ أي شيئا ؛ ولا يستعمل إلا في النفي » .

(٥) الأبيات في المؤلف والمختلف ١١٧ .

(٦) حاشية ف : « يجوز أن يكون « قوت » خبر المبتدأ ؛ أي هو قوت ؛ ويجوز أن يكون بدلا

من مثل نائلهم » .

(٧) حاشية ف : « فأتدعوا : فاستراحوا » .

ولأبي دَهْبَلٍ في قتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما :

تَبَيَّتُ النَّشَاوِي مِنْ أُمِّيَّةٍ نُومًا وبالطَّفِّ قَتَلَى مَا يَنَامُ حَمِيمُهَا^(١)
وما ضَيَّعَ الْإِسْلَامَ إِلَّا عِدَايَةً تَأَمَّرَ نَوَكَاهَا وَدَامَ نَعِيمُهَا^(٢)
وَصَارَتْ قَنَاطَةُ الدِّينِ فِي كَفِّ ظَالِمٍ إِذَا مَالَ مِنْهَا جَانِبٌ لَا يُقِيمُهَا

٥ وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال :
رَوَى أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ لِأَبِي دَهْبَلٍ قَالَ - وَيُقَالُ إِنَّهَا لِلْمَجْنُونِ :

الزُّكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِوَى كَلِيلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ^(٣)
هَبُونِي إِمْرَأَ مِنْكُمْ أَضَلَّ بِمِيرَهُ لَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الدَّمَامَ كَبِيرُ
وَلَصَاحِبُ الْمَثْرُوكِ أَعْظَمُ حُرْمَةً عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بِمِيرُ^(٤)
عَفَا اللَّهُ عَنْ لَيْلَى الْفِدَاةَ فَأَبَاهَا إِذَا وَلَّيْتُ حَكَمًا عَلَى تَجُورُ ١٠

وروى أبو عمرو الشيباني لأبي دَهْبَلٍ - وقد رواه أبو تمام في الحماسة له^(٥) :

أَقُولُ وَالرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ تَحَامُّعُهُمْ وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ النَّشْوَةِ السَّهَرُ^(٦)
يَالَيْتَ أَنِّي بَأَثَوَا بِي وَرَاحَتِي عَبْدٌ لِأَهْلِكَ طُولَ الدَّهْرِ مُؤْتَجِرُ^(٧)
إِنْ كَانَ ذَا قَدَرٍ يُعْطِيكَ نَافِلَةً مِنَّا وَيَحْرِمُنَا مَا أَنْصَفَ الْقَدَرُ!^(٨)

(١) الأبيات في (الأغاني ٦ : ١٦٢ ، ومعجم البلدان ٦ : ٥٢) ، والطف : أرض في ضاحية السكوفة ، كان فيها مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، وحميمها : أفرباؤها .

(٢) في الأغاني ومعجم البلدان : « وما أفسد الإسلام ... » .

(٣) الأبيات في الأغاني (٦ : ١٦٤ ، وديوان الحماسة - بشرح النبريزي ٣ : ٢٧٢-٢٧٣) .

(٤) حاشية ف : « أضللت بعيري إذا شذ عنك وذهب ، وضللت الطريق إذا شذت عنه وذهبت » .

(٥) الحماسة - بشرح النبريزي ٣ : ٢٩٦-٢٩٧ . (٦) الحماسة : « كأس النشوة » .

(٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « هذا الشهر مؤتجر » ، وهي رواية الحماسة .

(٨) وورد بعد هذا البيت في الحماسة :

جَنِيَّةٌ أَوْ لَهَا جَنٌّ يَعْلَمُهَا رَمَى الْقُلُوبَ بِقَوْسٍ مَالَهَا وَتَرَّ

وأخبرنا المرزبان قال أخبرني محمد بن يحيى الصولى قال : مثل قول أبي ذؤيب :
 [٢٨] ولو تركونا لأهدى الله أمرهم فلم ينجحوا قولاً من الشر ينسج^(١)
 لأوشك صرف الدهر تفريق بيننا وهل يستقيم الدهر والدهر أعوج !
 قول المعجّاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره، وتمنى موته :
 لما رآنى أرعشت أطرافى^(٢) استعجل الدهر وفيه كاف
 يخترم الإلف عن الألف

قال ومثله :

عدمت ابن عم لا يزال كأنه وإن لم أثره منطوي على وتر
 يمين على الدهر والدهر مكتف وإن استعنه لا يمينى على الدهر
 قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه ومثل الجميع قول أبي أحمد عبید الله بن عبد الله ١٠

ابن طاهر :

إلى كم يكون العتب في كل ساعة وكم لا تملن القطيعة والهجرة
 رؤيدك إن الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا

(١) من قصيدة في (الأغاني ٦ : ١٥١-١٥٢ ، والشعر والشعراء ٥٩٨-٥٩٩) ، مطلعها :

تطاول هذا الليل ما يتباج وأعيت غواشي الهم ما تتفرج

(٢) ديوانه : ٣٩ .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةٍ *

إن سأل سائل فقال : ما وجه التكرار في سورة الكافرين ، وما الذي حسن إعادة النفي لكونه عابداً ما يعبدون ؛ وكونهم عابدين ما يعبد ، وذكر ذلك مرة واحدة يُغني . وما وجه التكرار أيضاً في سورة الرحمن لقوله تعالى : ﴿ قَبَائِرُ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ؛ [سورة الرحمن] ، الجواب ، يقال له : قد ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرين وجهها ، وهو أن قال : القرآن لم ينزل دفعة واحدة ؛ وإنما كان نزوله شيئاً بعد شيء ، والأمر في ذلك ظاهر ، فكان المشركين أتوا النبي صلى الله عليه وآله فقالوا له : استسلم^(١) بعض أصنامنا حتى تؤمن بك ؛ ونصدق بنبوتك ، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم : ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ، ثم غبروا مدة من الزمان وجاءوه / فقالوا له : اعبد بعض آلهتنا ، واستسلم بعض أصنامنا يوماً أو شهراً أو حولاً ، لنفعل مثل ذلك بإلهك ، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ؛ أي إن كنتم لا تعبدون إلهي إلا بهذا الشرط فإنكم لا تعبدونه أبداً .

وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال : إنه يقتضي شرطاً وحذفاً لا يدل عليه ظاهر الكلام ، وهو شرطه في قوله : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ ؛ وإذا كان ما نفاء عن نفسه من عبادته ما يعبدون مطلقاً غير مشروط ، فكذلك ما عطفه عليه . وهذا الطعن غير صحيح ، لأنه لا يمتنع إثبات شرط بدليل ، وإن لم يكن في ظاهر الكلام ، ولا يمتنع عطف الشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة .

وعن هذا السؤال ثلاثة أجوبة ؛ كل واحد منها أوضح مما ذكره ابن قتيبة .

* لم يذكر في الأصل ، وأثبتته عن ت .

(١) حاشية ف : « من استلام الحجر ، وهو التسليم ، ويقال : استلام الحجر ، والأصل ترك الهمز ، لأنه من السلة ؛ وهي الحجر ؛ إلا أن استلام الحجر جرى في كلامهم مهوراً » .

أولها ما حكى عن أبي العباس ثعلب أنه قال: إنما حَسُنَ التكرار؛ لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت الأخرى، وتلخيص الكلام: قل: يأيها الكافرون: لا أعبد ما تعبدون الساعة وفي هذه الحال، ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضا، فاختلفت الفعلان منه ومنهم بالحال، وقال من بعد: ولا أنا عابد ما عبدتم في المستقبل، ولا أنتم عابدون ما أعبد فيها تستقبلون، فاختلف^(١) المعاني وحسن التكرار لاختلافها، ويجب أن تكون السورة على هذا الجواب^(٢) مختصة بمن العلوم من حاله^(٣) أنه لا يؤمن. وقد ذكر مقاتل وغيره أنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين، ولم يؤمن من الذين نزلت فيهم أحد؛ والمستهزئون هم: العاص ابن وائل السهمي، والوليد بن المغيرة، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، وعدى ابن قيس.

والجواب الثاني وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد؛ كقول الحبيب مؤكداً: ١٠
بلى بلى، والمتنع مؤكداً: لا لا؛ ومثله قول الله تعالى: ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ [التكاثر: ٢، ٣]، وأنشد الفراء:

وكانن وكم عندي لهم من صنيعه
أيادي تنوها على وأوجبوا
وأنشد أيضاً:

كم نعمة كانت لكم كم كم وكم

١٥

وقال آخر:

/ نفع الغراب بين لبني غدوة كم كم وكم يفرأق لبني ينفع^(٤)

[٣٨] ط

وقال آخر:

(١) ط: «فاختلفت المعاني».

(٢) ساقطة من ط، م.

(٣) ساقطة من ت، م.

أَرَدْتُ لِنَفْسِي بَعْضَ الْأُمُورِ فَأَوَّلِي لِنَفْسِي أَوَّلِي لَهَا! (١)

والجواب الثالث - وهو أغربها - أنني لا أعبد الأصنام التي تعبدونها ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ؛ أي : أنتم غير عابدين الله الذي أنا عابده إذ أشركتكم به ، واتخذتم الأصنام وغيرها معبودة من دونه أو معه ، وإنما يكون يكون عابداً له مَنْ أخلص له العبادة دون غيره ، وأفرده بها ؛ وقوله : ﴿ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴾ ؛ أي لست أعبد عبادتكم ، ومافى قوله : ﴿ مَّا عَبَدْتُمْ ﴾ في موضع المصدر كما قال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَّاهَا : وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ ؛ [الشمس : ٦ ، ٧] ، أراد : وطَّحَّاهُ إياها وتسويته لها ، وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ ؛ [غافر : ٧٠] ، يريد : بفرحكم ومرحكم ؛ قال الشاعر :

يَا رَبِّعَ سَلَامَةٍ بِالْمُنْحَنِ بِخَيْفِ سَلْعٍ جَادَكَ الْوَايِلُ (٢)

إِنْ تُنْسِرَ وَخَشَا فَمَا قَدْ تَرَى وَأَنْتَ مَمْمُورٌ بِهَا أَهْلُ (٣)

أراد فبرؤيتك معموراً أهلاً ، ومعنى قوله : ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴾ ، أي لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه ، فلم يتكرر الكلام إلا لاختلاف المعاني .

وتلخيص ذلك أن النبي صلى الله عليه وآله قال للكفار لا أعبد آلهتكم ، وَمَنْ تَدْعُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، ولا أنتم عابدون إلهي ، فإن زعمتم أنكم عابدون إلهي فأنتم كاذبون ، إذ كنتم من غير الجهة التي أمركم بها تعبدونه ، فأنا لا أعبد مثل عبادتكم ، ولا أنتم ما دمت على ما أنتم عليه تعبدون مثل عبادتي .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أولى لك : كلمة تحذير ، قال الأصمعي : معناه فأربك ما تسكره ، والولي : القرب ، وقد وليه يليه . وقال نعلب : أصبح ما ذكر في « أولى » قول الأصمعي ، وقد قيل فيه غير ذلك ، وكان محمد بن الحنفية عليه السلام إذا مات جاره يقول : أولى لي ! كدت أكون السواد المحترم . »

(٢) المعنى : حيث يتجنى السبل ؛ أي يميل . والخيف : ما انحدر عن الجبل وارتفع عن السبل ، وبه سمى خيف منى . وسنم : يطلق على جملة مواضع في ديار باهلة وأسد .

(٣) وخشا : خالبا ، وبما ترى ؛ أي بما كنت قد ترى ، وآهل : ذرأه ؛ وفي حاشية ف : « وأنت معمور بها ، يجوز أن يتعلق « بها » بممور وبآهل جميعا . وفي د ، م : « به آهل » .

فإن قيل : أما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه ، فما الوجهُ في اختلاف العبادة ؟ قلنا : إنه صلى الله عليه وآله كان يعبد مَنْ يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئاً ، وهم يشركون ، فاختلقت عبادتهما^(١) ، ولأنه أيضاً كان يتقرب إلى معبوده بالأفعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة ، وهم لا يفعلون تلك الأفعال ، ويتقربون بأفعال غيرها ، يعتقدون جهلاً أنها عبادة وقربة .

و [٢٩] / فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ ، وظاهر هذا الكلام يقتضى إباحتهم المقام على أديانهم ؟ قلنا في هذا ثلاثة أجوبة : أولها أن ظاهر الكلام وإن كان ظاهره إباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر ؛ كما قال تعالى : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ ؛ [فصلت : ٤٠] . وثانيها أنه أراد لكم جزاء دينكم ، ولي جزاء ديني ، فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ، وثالثها أنه أراد لكم جزاؤكم ولي جزائي ؛ لأن نفس الدين هو الجزاء ؛ ١٠ قال الشاعر :

إِذَا مَا لَقُونَا لَقِينَاهُمْ وَدَنَاهُمْ مِثْلَ مَا يُقْرِضُونَا

فأما التكرار في سورة الرحمن فإنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة الممددة ، فكما ذكر نعمة أنعم بها قرّر عليها^(٢) ، ووثّق على التكذيب بها ؛ كما يقول الرجل لغيره : ألم أحسن إليك بأن خولتكَ الأموال ! ألم أحسن إليك بأن خلصتكَ من المكاره ! ألم أحسن إليك ١٥ بأن فعلت بك كذا وكذا ! فيحسن منه التكرير^(٣) لاختلاف ما يقرره به ، وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم ، قال مهامل بن ربيعة يرثي أخاه كليلاً^(٤) :

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « عبادتهما » .

(٢) ت ، ف : « بها » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « التكرار » .

(٤) من قصيدة مشهورة ، مضامها :

أَلَيْتُنَا بِذِي حُسْمٍ أَيْبَرِي إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلَا تَحْجُورِي

وهي في (أمالي القالي ٢ : ١٢٩-١٣٣) وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قبل هذا البيت :

وَهَمَّامُ بْنُ مُرَّةٍ قَدْ تَرَكَنَا عَلَيْهِ الْقَشَمَانِ مِنَ النُّورِ

على أن ليس عدلاً من كليب إذا طرد^(١) اليتيم عن الجزور^(٢)
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا ماضيم جيران المجير
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا رجف العضاء من الدبور^(٣)
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا خرّجت نخبأة الحدود
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما أعلنت نجوى الأمور
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا خيف الخوف من الثغور
 على أن ليس عدلاً من كليب غداة تلا تل الأمر الكبير^(٤)
 على أن ليس عدلاً من كليب إذا ما خام جار المستجير^(٥)

وقالت ليلي الأخيلية ترثي توبة بن الحخير :

[٣٩] / لنعم الفتى يا توب كنت إذا التقت صدور الأعالى واستشال الأسافل^(٦)
 ونعم الفتى يا توب كنت ولم تكن لتسبق يوماً كنت فيه تحاول^(٧)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : اللثيم .

وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قال مهمل في هذه القطعة قبل هذا البيت ترتيب أخيه ؛ وهو الذي ثارت لأجله حرب البسوس ؛ وكان سبب تلك الحرب أن كليباً رمى ضرع ناقة البسوس ، فانتظم ضرعها ، فقتل كليب ، وبقيت الحرب فيهم أربعين سنة ، وكان في أواخر تلك الحروب يوم التحالف ، وعلى أن ليس عدلاً ؛ يعني : ليس همام عدلاً من كليب ؛ ويقال : عندى غلام عدل غلامك [بكسر العين] وهذا المال عدل غلامك [بالفتح] ؛ أي قيمته ؛ قال الفراء : العدل [بالفتح] : ما عادل الشيء من غير جنسه ، والعدل [بالكسر] المثل . (٢) رجف : تحرك حركة شديدة ، والعضاء : كل شجر له شوك ؛ وفي حاشية الأصل : « أي كان الزمان شتاء . »

(٣) التلاتل : الشدائد ، وفي ت ، ف : « بلابل » ، وفي الأصل ذكر الوجهان معاً ، وفي الحاشية : « البلابل : الفتن ، والتلاتل : الشدائد ، وفي شرحه بالناء . »

(٤) خام : جبن ، وفي نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « خار . »

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « في ديوانها : « الموالى » ، وهي رواية ف أيضاً .

(٦) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « تحاول » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « في نسخة شرحها :

ونعم الفتى يا توب كنت قديمة على الخيل تمريها ونعم المنازل وقديمة ؛ أي مدة قديمة ، ويجوز أن تكون قديمة بمعنى مقدمة . وتمريها ، نحلها الجرية .

وَنِعْمَ الْفَتَى يَاتُوبَ كُنْتَ لِخَائِفٍ
وَنِعْمَ الْفَتَى يَاتُوبَ جَارًا وَسَاحِبًا
لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ
[لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ
لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ
لَعَمْرِي لَأَنْتَ الْمَرْءُ أَبْكِي لِفَقْدِهِ
أَبَى لَكَ ذَمَّ النَّاسِ يَاتُوبَ كُلَّمَا
أَبَى لَكَ ذَمَّ النَّاسِ يَاتُوبَ كُلَّمَا
فَلَا يُبْعِدُنَكَ اللَّهُ يَاتُوبَ إِنَّمَا
وَلَا يُبْعِدُنَكَ اللَّهُ يَاتُوبَ إِنَّمَا
وَلَا يُبْعِدُنَكَ اللَّهُ يَاتُوبَ وَالتَّقَى

أَتَاكَ لَكِي يُنْحَمِي وَنِعْمَ الْمَجَازِلُ^(١)
وَنِعْمَ الْفَتَى يَاتُوبَ حِينَ تَفَاضِلُ^(٢)
بِحِدَّةٍ وَلَوْ لَأَمْتُ عَلَيْهِ الْمَوَازِلُ
وَبِكُثْرَتِهِ تَسْهِيْدِي لَهُ لَا أَوَائِلُ^(٣)
وَلَوْ لَأَمَّ فِيهِ نَاقِصُ الرَّائِي جَاهِلُ^(٤) ٥
إِذَا كَثُرَتْ بِالْمُلْحَمِينَ التَّلَائِلُ^(٥)
ذُكِرَتْ أُمُورٌ مُحْكَمَاتٌ كَوَامِلُ
ذُكِرَتْ سَمَاحٌ حِينَ تَأْوَى الْأَرَامِلُ
لَقِيتَ حِمَامَ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ عَاجِلُ
كَذَلِكَ الْمَنَآيَا عَاجِلَاتٌ وَآجِلُ ١٠
عَلَيْكَ الْغَوَادِي الْمُدِجَنَاتُ الْمَوَاطِلُ^(٦)

فخرجت في هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف المعاني التي عددناها على نحو ما ذكرناه^(٧).

- (١) كذا في الأصل ، ف ؛ وفي ت : « المحامل » ، وفي حاشيتها : « المحامل ؛ من المحالة ؛ وهي الدية » .
- (٢) ف ، وحاشية ت (من نسخة) : « تناضل » ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تقايل » .
- (٣) زيادة من م وحاشية ط ، ف .
- (٤) م : « ناقص العقل » .
- (٥) ت : « البلائل » ، وفي حاشية ف : « الملحمة : الذي أشرف على القتل ؛ فكأنه جعل لها ، والتلائل : جمع تلة ، وهي مضاعف من الرابع ، يقال : تلة وتلائل ؛ كما يقال : كبة وكبيكة ؛ قال تعالى : ﴿ فَكُتِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْمَوُتُونَ ﴾ ، والتلائل : الأمور العظام » .
- (٦) المدججات : السحاب المظلمة ، والمطلان : تنايع المطر والدمع .
- (٧) حاشية ف : « في الجائيس والأيس : من أعجب ما روى في قصتهما أن ليلى الأخبيلة بعد موت توبة تزوجت ، ثم إن زوجها بعد ذلك مرّ بقبر توبة ولبى معه ، فقال لها : يا ليلى ؛ هل تعرفين هذا القبر ؟ فقالت : لا ، فقال : هذا قبر توبة فسلمى عليه ، فقالت : امض لأشأنك ؛ فأترى من توبة وقد بليت عظامه ؟ =

وقال الحارث بن عباد :

قَرَّبَا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبُ وَاثِلٍ عَنِ حِبَالِ^(١)

ثم كرر قوله : «قربا مربط النعامة» في أبيات كثيرة من القصيدة للمعنى الذي ذكرناه.

وقالت ابنة عم للنعمان بن بشير ترى زوجها :

وحدثنى أصحابه أَنَّ مَالِكَا أَقَامَ وَنَادَى صَحْبَهُ بِرَحِيلِ

وحدثنى أصحابه أَنَّ مَالِكَا ضَرُوبٌ بَنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ نَكُولِ

وحدثنى أصحابه أَنَّ مَالِكَا جَوَادٌ بِمَا فِي الرَّحْلِ غَيْرُ بَحِيلِ

وحدثنى أصحابه أَنَّ مَالِكَا خَفِيفٌ عَلَى الْحُدَاثِ غَيْرُ ثَقِيلِ

/ وحدثنى أصحابه أَنَّ مَالِكَا صَرُومٌ كَمَا ضَى الشَّفَرَتَيْنِ مَقِيلِ

[٤٠]

وهذا المعنى أكثر من أن نحصىه . وهذا هو الجواب عن التكرار في سورة الرسائل

بقوله تعالى : ﴿ وَبَلِّغْهُمْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

== قال : أريد تسكذيته ؛ أليس هو الذي يقول :

وَلَوْ أَنَّ لَيَالِي الْأَخْيَلِيَّةِ سَلَمَتْ عَلَى وَدُونِي نُرْبَةً وَصَفَائِحُ

لَسَلَمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْزَقَا إِلَيْهَا صَدْدِي مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ

فوافقه ، لا برحت أو تسلمى عليه ؛ فقالت : «السلام عليك يا نوبة وورعك الله ، وبارك لك فيما صرت إليه ؛ فإذا طائر قد خرج من القبر حتى ضرب صدرها ، فشبهت شهقة فانت ، فدفنت إلى جانب قبره ، فنبئت على قبره شجرة ، وعلى قبرها شجرة ، فطالنا والفتنا » .

(١) مربط ؛ ضبطت بالنظم في الأصل ، بالفتح والكسر معا ، وفي حاشية ف : « ما كان على فعل يفعل ، بالضم فالمصدر والوضع منه يفعل بالفتح ، وما كان على فعل يفعل بالكسر فالمصدر يفعل ، بالفتح ، والوضع يفعل ، بالكسر ، وما كان على فعل بالفتح فسكلاهما فيه بالفتح » . وفي حاشية الأصل : « الحبال : ألا تحمل الناقة أو الفرس ؛ يعني أن الحرب لقت بعد أن كانت لا تحمل » .

وقد ورد هذا البيت في (أمالي القال ٣ : ٢٦) ، وبهذه :

لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَائِهَا عِلْمَ اللَّهِ وَأَنَا بِمَحَرِّهَا الْيَوْمَ صَالٍ

قربا مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي إِنْ يَبْسَعُ الْكِرَامَ بِالشَّعْرِ غَالٍ

فإن قيل: إذا كان الذي حسن التكرار في سورة الرحمن ما عدّده من الآله ، ونعمه فقد عدّ في جملة ذلك ما ليس بنعمة، وهو قوله: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾ [آية: ٣٥]، وقوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ﴾^(١) [آية: ٤٣، ٤٤]، فكيف يحسن أن يقول بعقب هذا: ﴿قَبَائِلُ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ وليس هذا من الآلاء والنعم؟ قلنا: الوجه في ذلك أن فعل العقاب وإن لم يكن نعمة فذكره ووصفه والإنذار به من أكبر النعم، لأن في ذلك زجراً عما يستحق به العقاب وبُعْثاً على ما يستحق به الثواب، فإنما أشار بقوله تعالى: ﴿قَبَائِلُ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، بعد ذكر جهنم والمذاب فيها إلى نعمته بوصفها والإنذار بعقابها، وهذا مما لا شبهة^(٢) في كونه نعمة.

فصل

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى ذو المجددين أدام الله علوه: وكما أنه كان في الجاهلية وقبل الإسلام وفي ابتدائه قوم يقولون بالدهر، وينفون الصانع، وآخرون مشركون يعبدون غير خالقهم، ويستنزلون الرزق من غير رازقهم أخبر الله تعالى عنهم في كتابه، وضرب لهم الأمثال، وكرّر عليهم البينات والأعلام، فقد نشأ بعد هؤلاء جماعة ممن يتستر بإظهار الإسلام ويحقن بإظهار شعاره والدخول في جملة أهله دمه وماله زنادقة ملحدون، وكفار مشركون؛ فمنهم^(٣) عزّ الإسلام عن المظاهرة والمجاهرة، وألجأهم خوف القتل إلى المسارة؛ وبلية هؤلاء على الإسلام وأهله أعظم وأغلظ، لأنهم يُدْغِلون في الدين، ويموّهون على المستضعفين، بجأشٍ رابط، ورأى جامع؛ فعُمل من قدامين الوحشة، ووُثق بالأنسة، بما يظهره^(٤) من لباس الدين، الذي هو منه على الحقيقة عارٍ، وبأثوابه غير متوار، كما يحكى أن عبد الكريم بن أبي العوجاء، قال لما قبض عليه محمد بن سليمان، وهو والي الكوفة من قبل

(١) حاشية ف: «الحميم: الماء الحار»، والآتي: الذي بلغ نهايته.

(٢) ش: «وهذا لا شبهة». (٣) ش: «فمنهم». (٤) ش: «فيما يظهره».

[٤٠] المنصور، وأحضره / للقتل، وأيقن بمفارقة الحياة^(١)؛ لئن قتلتهموني لقد وضعت في أحاديثكم أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة^(٢).

والمشهورون من هؤلاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك، والحمادون: حماد الراوية، وحماد ابن الزبرقان، وحماد عجرد؛ وعبد الله بن المقفع، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، وبشار بن بُرد، ومطيع بن إياس، ويحيى بن زياد الحارثي، وصالح بن عبد القدوس الأزدي، وعلي بن خليل الشيباني، وغير هؤلاء ممن لم نذكره؛ وهم وإن كان عددهم كثيراً فقد أقلمهم الله وأذلهم^(٣) بما شهدت به دلائله الواضحة، وحججه اللامحة على عقولهم من الضعف، وآرائهم من الشُّخف.

ونحن نذكر من أخبار كل واحد ممن ذكرناه وتهمة في دينه بُذنت^(٤)، ونومى فيها ١٠ إلى جملة^(٥). والذي دعانا إلى التشاغل بذلك - وإن كانت عنايتنا بغيره أقوى - مسألة مَنْ نرى إجابته، ونؤثر موافقته، فتكفنا له ومن أجله، مع أنه غير خالٍ من فائدة ينفعُ عليها، ويُتأدب بروايتها وحفظها.

أما الوليد^(٦) فكان مشهوراً بالإلحاد، متظاهراً بالعناد، غير محتشم في أطراح الدين أحداً،

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الدنيا » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « موضوعة » .

(٣) فت ، د : « وأذلهم وأردلهم » .

(٤) بُذنت ، بفتح النون وضمتها . (٥) فت ، د : « جملة كافية » .

(٦) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ؛ ويكنى أبا العباس ،

قتله يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان المتولى لذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، وكانت ولايته

الملعونة سنة وشهرين ونصفاً وعشرين ليلة ، وقتل وقد بلغ من السن اثنين وأربعين سنة ، وقتل معه ولده

الحكم وعثمان ، وكان يقال لهما الجملان » . وانظر أخبار الوليد في (الأغاني ٦ : ٩٨ - ١٣٧ ،

والنقد ٤ : ٤٥٢ - ٤٦٣) .

ولا مراقب فيه بشراً ؛ وفي الحديث أنه وَلِدَ لأخى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله غلام فسموه الوليد ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : «سميتموه بأسماء فراعنتكم ! ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد ، لهو شرٌّ على هذه الأمة من فرعون على قومه» . قال الأوزاعي : فسألت الزُّهرى عنه فقال : إن استُخلف الوليد بن يزيد ، وإلا هو الوليد بن عبد الملك .

- أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني محمد بن إبراهيم قال : حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال : كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد عزم على أن يبنى فوق البيت الحرام قبة يشرب عليها الخمر ، ويشرف على الطواف ، فقال بعض الحجبة^(١) : لقد رأيتُ الجوسى البناء فوق الكعبة ؛ وهو يقدر مواضع أركان القبة ، فلم تمس^(٢) تلك الليلة حتى وافى الخبر بقتل الوليد .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرني عبد الله بن يحيى السكري / عن أبي إسحاق [١١] الطَّلحي قال أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبي العالية عن بعض أهل العلم قال : قال يزيد بن الوليد - وهو الملقب بالناقص^(٣) لما ولى : نشدتُ الله رجلاً سمع شيئاً من الوليد إلا أخبر به ! فقام ثور بن يزيد فقال : أشهد لسمعتُه^(٤) وهو يقول :

استقياني وابنَ حَرْبٍ واسترانا يَازارِ
واترُكا مَنْ طَلَبَ الجَنَّةَ يَسْمَى في خَسَارِ
سأسوسُ الناسَ حتى يَرُكَّبوا دينَ الحِمارِ^(٥)

وأخبرنا المرزباني قال : أخبرني أحمد بن خالد النخاس قال : حدثنا محمد بن مكحول قال :

(١) حاشية ت (من نسخة) : « بعض الطواف » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « فلم تمس » .

(٣) ش : « الملقب بالناقص » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « قيل له الناقص لأنه كان قصراً أعطيتهم » .

(٤) ش : « لقد سمعته » .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي حتى يثرو بعضهم على بعض كما تتنازى الحمير » .

نشر الوليد بن يزيد يوماً المصحف ، وكان خطه كأنه أصابع ، وجعل يرميه بالسهم وهو يقول ^(١) :

نَذْكُرُنِي الْحِسَابَ وَأَنْتَ أَذْرِي أَحَقًّا مَا تَقُولُ مِنَ الْحِسَابِ
فَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي طَمَاحِي وَقُلْ لِلَّهِ يَمْنَعُنِي شَرَابِي

• قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه : وبله من هذه الجرأة على الله وبلا طويلاً ! وما أقدر الله أن يمنعه طعامه وشرابه وحياته ! وما أولاء اللعين بأليم العذاب وشديد العقاب ! لولا ما تيم به المحنة ، وينتظم به التكليف ؛ من تأخير المستحق من الثواب والعقاب ، وتبعيدها من أحوال الطاعات والمعاصي .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني أحمد بن كامل قال : كان الوليد بن يزيد زنديقاً ١٠ وإنه فتح ^(٢) المصحف يوماً فرأى فيه : ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ ؛ [إبراهيم : ١٥] ، فاتخذ المصحف غرضاً ورماه بالنبل حتى مزقه ؛ وهو يقول :

أَتُوْعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فَمَا أَنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدٌ
فَإِنْ لَأَقِيَنَّ رَبِّيكَ يَوْمَ حُشْرِ فَقُلْ يَا رَبِّ خَرَّقَنِي الْوَلِيدُ ^(٣)

(١) ت : « وهو يقول » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « افتتح » .

(٣) حاشية ف : « أخبر أبو حاتم عن العتيبي قال : كان الوليد بن يزيد قد نظر إلى جارية من أهيا النساء يقال لها : سفري ، فجن بها ، وحمل يرأسها وتأنى عليه ؛ حتى بلغه أن عبداً للنصارى قد قرب ، وأنها ستخرج فيه ، وكان في موضع العيد ببستان حسن ، وكان النساء يدخلنه ، فصاح الوليد صاحب البستان أن يدخله فينظر إليها ؛ فإياه ، وحضر الوليد وقد تقشف وغير حاجته ، ودخلت سفري البستان ، فجعلت تمشي حتى انتهت إليه ، فقالت لصاحب البستان : من هذا ؟ قل لها : رجل مصاب ، فجعلت تمأزحه وتضحكه حتى اشتد من النظر إليها ومن حديثها ؛ فقيل لها : ويلك ! أنتدريين من ذلك الرجل ؟ قالت : لا ، =

وأما حماد الراوية فكان مُنْسلِخاً من الدين ، زارياً على أهله ، مُدْمِناً لشرب الخمر وارْتِكاب الفجور .

وقال عمرو بن بحر الجاحظ : كان مُنْقِذُ بن زياد الهلالي ، ومطيع بن إلياس ، ويحيى بن زياد ، وحفص بن أبي وَدَّة^(١) ، وقاسم بن زُنْقُطَة ، وابن المقفع ، ويونس بن أبي فروة ، وحماد مجرد / وعلى بن الحليل ، وحماد بن أبي ليلى الراوية ، وحماد بن الرُّبْرُقَان ، ووالبة بن [٤١] ط الحَبَاب ، ومُحَارَة بن حمزة بن ميمون ، ويزيد بن الفيض ، وجميل بن محفوظ المهلبى ، وبشار ابن بُرْد المرَعَث ، وأبان اللّاحقى ؛ يجتمعون على الشُّرب وقول الشعر ، ويهجو بعضهم بعضاً ، وكلُّ منهم مُتَّهَمٌ في دينه^(٢) .

== غفيل لها: الوليد بن يزيد ؛ وإنما غُفِلَ حتى ينظر إليك ؛ فجئت بعد ذلك ، وكانت عليه أعر منه عليها ، فقال الوليد فى ذلك :

أضحى فؤادك يا ولیدُ عميداً	صَباً قديماً للحسان صَبُوداً
من حُبِّ واضحة المَوارض طَفلةٍ	برزتُ لنا نحو الكنيسة عيدا
مازلتُ أرمقها بعينى وأمقِر	حتى بَصُرْتُ بها تُقْبِلُ عوداً
عود الصَّليبِ ، فويحَ نفسى مَنْ رأى	منكم صليبا مثله مَعْبُوداً !
فسألتُ ربِّي أنْ أكونَ مكانه	وأكونَ فى لَهَبِ الجَحِيمِ وَقُوداً

قال القاضى : لم يبلغ مدرك الشبانى هذا الحد من الخلاعة ؛ إذ قال فى عمرو النصرانى :

يا لَيْقَنى كُنْتُ لَهُ صليبا	فكنتُ معه أبداً قريبا
أبصرُ حُسْنا وأتمُّ طيباً	لا واشياً أخشى ولا رَقيباً

فلما ظهر أمره وعلمه الناس قال :

ألا حَبَّذا سَفَرى وإن قيل إننى	كَلِفتُ بنُصْرانيَّةَ تَشْرِبُ الخمرَ
يهونُ علىَّ أنْ تظلَّ نهارها	إلى اللَّيْلِ لا أُولَى نُصْلَى ولا عَصْرَا

(١) ش : « وَدَّة » ، بفتح الواو ، وضبط فى الأصل بالفتح والضم معا .

(٢) حاشية ف : « حدث أبو الحسن بن راهويه قال : صلى يحيى بن عمار الكاتب - وكان فى مجلس فيه أبو نواس ، ووالبة بن الحباب ، وعلى بن الحليل ، والحسين بن الحليع - صلاة ، فقرأ فيها ==

وعمل يونس بن أبي فرّوة كتاباً في مثالب العرب وعيوب الإسلام بزعمه، وصار به إلى ملك الروم ، فأخذ منه مالا . وقال أحمد بن يحيى النحوى قال رجل يهجو حمّاد الراوية :

نِعْمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَبَقِيمُ وَقْتِ صَلَاتِهِ حَمَّادُ
بَسَطَتْ مَشَافِرُهُ الشَّمُولُ فَأَنَفَهُ مِثْلُ الْقَدُومِ يَسْنُهَا الْحَدَّادُ
وَابْيَضَّ مِنْ شُرْبِ الْمُدَامَةِ وَجْهُهُ فَبَيَاضُهُ يَوْمَ الْحِسَابِ سَوَادُ
لَا يُعْجِبُنِكَ بَزُّهُ وَلِسَانُهُ إِنْ الْمَجُوسَ يُرَى لَهَا أَسْبَادُ^(١)

وكان حمّاد مشهوراً بالكذب في الرواية وعمل الشعر ، وإضافته إلى الشعراء المتقدمين ودسته في أشعارهم ؛ حتى إن كثيراً من الرواة قالوا : قد أفسد حمّاد الشعر ، لأنه كان رجلاً يقدر على صنفته فيدس في شعر كل رجل منهم^(٢) ما يشاكل طريقته ، فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم ؛ وهذا الفعل منه ، وإن لم يكن دالاً على الإلحاد فهو فسق وتهاون بالكذب في الرواية^(٣).

وأما حمّاد بن الزُّبرقان فهذه طريقته في التخرُّم^(٤) والتهتك ؛ أخبرنا أبو الحسن على

= (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فغلط ، فلما سلم ، فقال أبو نواس :

أَكْثَرَ يَخْبِي غَلْطًا فِي «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»

فقال والبة :

قَامَ طَوِيلًا سَاكِتًا حَتَّى إِذَا أَعْيَا سَجَدَ

فقال على بن الحليل :

يَزُجِرُ فِي مِخْرَابِهِ زَجِيرَ حُبْلَى لِلْوَلَدِ

فقال الحسين بن الخليم :

كَأَنَّمَا لِسَانُهُ شَدَّ بِحَبْلِ مَنْ مَسَدَ

(١) حاشية الأصل : « جمع سبد ؛ وهو المال ، وهما اكناية عن الثياب واللباس » . (٢) ساقطة من م . (٣) توفي حمّاد الراوية سنة ١٥٥ . (وانظر ترجمته في ابن خلسكان ١ : ١٦٤-١٦٥) . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « الفجور » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « التخرم : التهتك ، وهو أيضا التدين بدين الحرمة ؛ وهم أهل التناسخ » .

ابن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دُرَيْد قال أخبرنا الأشعثاني قال : دعا حماد بن الزُّبَيْرَ ^(١) أبا القول النَّهْشَلِيَّ إلى منزله وكانا يتقارضان ^(٢) ، فأنهره أبو القول ، فلم يزل الفضل به حتى أجابه ، وانطلق معه ، فلما رجع إلى الفضل قال : ما صنعت أنت وحماد ؟ قال : اصطللحنا على ألا أمره بالصلاة ، ولا يدعوني إلى شرب الخمر ، وأنشد الفضل قوله :

* نَعِمَ الْفَتَى لَوْ كَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ *

وذكر الأبيات التي تقدمت في الرواية الأخرى منسوبة إلى هجاء حماد الراوية .

فأما حماد عَجْرَد فشهرته في الضلالة / كشهرة الحمّادين ، وكان يُرْمَى مع ذلك بالقُتْنِيَّةِ ، [٤٢]
أخبرنا أبو مُبَيِّد الله المَرْزَبَانِيّ قال حدثني عليّ بن عبد الله الفارسيّ قال أخبرني أبي قال حدثني
ابن مَهْرُويَه ^(٣) قال حدثني عليّ بن عبد الله بن سعد قال حدثني السريّ بن الصباح الكوفيّ
قال : دخلت على بشار بالبصرة ، فقال لي : يا أبا عليّ ، أما إنّي قد أوجعتُ صاحبكم ،
وبلغت منه - يعني حماد عَجْرَد - فقلت : بماذا يا أبا مُعَاذٍ ؟ فقال : بقولي فيه :

يَا بْنَ نَهْيَا رَأْسُ عَلَى ثَقِيلٍ واحتمالُ الرَّأْسَيْنِ خَطْبٌ جَلِيلُ
فَادْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبِّيْنِ فَإِنِّي بِوَاحِدٍ مَشْغُولُ

فقلت لِمَ ^(٤) أدعُه في عَمَاءٍ ؟ ثم قلت له : قد بلغ حماداً هذا الشعر ، وهو يرّويه على خلاف

هذا قال : فما يقول ؟ قلت يقول :

فَادْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبِّيْنِ فَإِنِّي عَنْ وَاحِدٍ مَشْغُولُ
قال فلما سمعه أطرق وقال : أحسنَ والله ابنُ الفاعلة ! ثم قال : إنني لأحتشمك ، فلا تُنشدُ
أحدًا هذين البيتين ؟ وكان إذا سئل عنهما بعد ذلك قال : ما هالي !

(١) انظر ترجمته ومراجعها في (إنباء الرواة ١ : ٣٣٠-٣٣٢) . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف :

« يتقارضان : يتجازيان ؟ ويقال ذلك في الخير والشر جميعا ، أي يقرض بعضهم بعضا الهجاء » .

(٣) س : « مهرويه » ، بفتح الميم وسكون الميم ، وضم الراء ، وبعدها واو ساكنة وياء مفتوحة .

(٤) م : « لن أدعه » .

وأخبرنا المَرْزُبَانِيَّ قَالَ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ عَنْ عَمِّهِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ عَنْ عَمْرِ بْنِ شَبَّةٍ قَالَ حَدَّثَنِي خَلَّادُ الْأَرْقَطُ قَالَ قَالَ بَشَارٌ: بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَحَمَادٌ يُنْشِدُ الشَّعْرَ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى الْقَارِي فَقَالَ حَمَادٌ: عَلَامَ تَجْتَمِعُونَ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَقُولُ^(١) أَحْسَنَ مِمَّا يَقُولُ! فَفَقَّتَهُ النَّاسُ عَلَى هَذَا.

• وروى ابن شَبَّةٍ عن أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: كَانَ حَمَادٌ عَجْرَدٌ يُعَيِّرُ بَشَارًا بِالْقَبِيحِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ عَظِيمَ الْجِسْمِ، مَجْدُورًا، طَوِيلًا، جَاظِظَ الْعَيْنَيْنِ، قَدْ تَفَشَّاهَا لَحْمٌ أَحْمَرٌ؛ فَلَمَّا قَالَ حَمَادٌ فِيهِ:

وَاللَّهِ مَا الْخِزْرِ فِي نَدْنِهِ بَرُبِّهِ فِي النَّتَنِ أَوْ خُمْسِهِ
بَلْ رِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِهِ وَمَسَّهُ الْبَيْنُ مِنْ مَسِّهِ
وَوَجْهُهُ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ وَنَفْسُهُ أَفْضَلُ مِنْ نَفْسِهِ
وَعُودُهُ أَكْرَمُ مِنْ عُودِهِ وَجِسْمُهُ أَكْرَمُ مِنْ جِسْمِهِ

١٠

[٤٢]
ظ

/ فَقَالَ بَشَارٌ: وَيْلَى عَلَى الزَّنْدِيقِ! لَقَدْ نَفَثَ بِمَا فِي صَدْرِهِ، قِيلَ: وَكَيْفَ ذَاكَ؟ قَالَ: مَا أَرَادَ الزَّنْدِيقُ إِلَّا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾؛ [البين: ٤]، فَأَخْرَجَ الْجَحُودَ بِهَا مَخْرَجَ هِجَائِيٍّ، وَهَذَا خَبَثٌ مِنْ بَشَارٍ وَتَغْلُغْلُ شَدِيدٌ لَطِيفٌ.

وأول من جعل نقي الإلحاد تأكيذاً للوصف به، وأخرج ذلك مخرج المبالغة مُسَاوِرٌ ١٥ الوراق في حماد عجرد فقال:

لَوْ أَنَّ مَانِي وَدَيْصَانًا وَعُصْبَتَهُمُ جَاءُوا إِلَيْكَ لَمَّا قُلْنَاكَ زَيْنْدِيقُ
أَنْتَ الْعِبَادَةُ وَالتَّوْحِيدُ مُذْ خُلِقَا وَذَا الزَّنْدُوقُ نِيرَانُ مَخَارِيقِ^(٢)

فَأَمَّا ابْنُ الْمَقْفَعِ^(٣) فَإِنَّ جَمْفَرَ بْنَ سُلَيْمَانَ رَوَى عَنِ الْمُهْدِيِّ أَنَّهُ قَالَ: مَا وَجَدْتُ كِتَابَ

(١) ش: «لَا أَقُولُ». (٢) توفي حماد عجرد سنة ١٦١؛ (وانظر ترجمته في ابن خلدون ١٦٥: ١٦٦) حاشية ف: «هو الذي يقول:

قَدْ سَلِمَ السَّاكِتُ الصَّمُوتُ كَلَامُ رَاغِي الْكَلَامِ قَوْتُ
لَا تُفْشِ سِرًّا إِلَى جِدَارٍ فَرَبَّمَا كُنْتُ الْبُيُوتُ
وَأَعْجَبًا لِمَرَى ضَحُوكِ! مُسْتَيْقِنٌ أَنَّهُ يَمُوتُ

زَنْدَقَةٌ قَطْ إِلَّا وَأَصْلُهُ ابْنُ الْمُقَفِّعِ . رَوَى ابْنُ شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ ابْنَ الْمُقَفِّعِ وَقَدْ مَرَّ بِبَيْتِ نَارِ الْمُجُوسِ ^(١) بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ ، فَلَمَحَهُ وَتَمَثَّلَ :

يَا بَيْتَ عَانِكَ الَّذِي أُنْزِلُ حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفُؤَادُ مَوْكِلُ ^(٢)
إِنِّي لَأَمْنَعُكَ الصُّدُودَ وَإِنِّي قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لَأُمِيلُ ^(٣)

وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَمَلَبُ قَالَ : قَالَ ابْنُ الْمُقَفِّعِ يَرْتَضِي يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ - وَقَالَ الْأَخْفَشُ : هـ
وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَرْتَضِي بِهَا ابْنَ أَبِي الْمُوْجَاءِ :

رُزِقْنَا أَبَا عَمْرٍو وَلَا حَيَّ مِثْلُهُ فَلَهُ رَبُّ الْحَادِثَاتِ يَمُنْ وَقَعُ !
فَإِنْ تَكُ قَدْ فَارَقْتَنَا وَتَرَ كَتَمَنَا ذَوِي خَلَّةٍ مَا فِي أَنْسَادٍ لَهَا طَمَعُ
لَقَدْ جَرَّ نَفْعًا فَقَدْ نَأَى لَكَ أَنْتَا أَمِنَّا عَلَى كُلِّ الرِّزَايَا مِنَ الْجَزَعِ

قَالَ ثَمَلَبُ : الْبَيْتُ الْآخِرُ يَدُلُّ عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِي أَنَّ الْخَيْرَ مَمْزُوجٌ بِالْشَّرِّ ، وَالشَّرُّ مَمْزُوجٌ بِالْخَيْرِ .

وَأَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّكَّابُ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَمَلِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي الْمَغِيرَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُهَلَّبِيُّ مِنْ حَفَظِهِ قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ خِدَاشٍ قَالَ : كَانَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى

(١) ش : هـ نَارُ الْمُجُوسِ .

(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : هـ هَذَا الْبَيْتَانِ لِلْأَحْوَسِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَاصِمِ بْنِ أَبِي الْأَفْوَاحِ حَمِي الدَّيْرِ ، وَكَانَ حَمِي الدَّيْرِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَبَى ذَاتَ يَوْمٍ بَلَاءَ حَسَنًا فَانْطَفَعُوا الْمُشْرِكُونَ عَلَيْهِ ، وَلَمَّا قُتِلَ أَرَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَحْتَلُوا بِجَنَّتِهِ ، وَكَانَ قَبْلَ الْحَارِثَةِ ، قَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ احْفَظْ جَنَّتِي مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، فَلَمَّا قُتِلَ رَجَعَ اللَّهُ بَعَثَ اللَّهُ جَمَاعَةً مِنَ النَّعْلِ ، فَلَمْ تَزَلْ عِنْدَهُ تَحْمِيهِ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، فَجَاءَ سَبِيلُ فَاحْتَمَلَهُ ، فَلَمْ يَرِ الْمُشْرِكُونَ جَنَّتَهُ .

وَالْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ بِمَدْحِ فِيهِمَا عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؟ وَهِيَ فِي (الْأَغْنَى ١٨ : ١٩٦-١٩٧) وَأُيُوتٌ مِنْهَا فِي الْخَزَانَةِ (١ : ٢٤٨) ؟ وَهِيَ عَانِكَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَمَارِةٍ . وَأُنْزِلُ : أَتَجَنَّبُ وَأَكُونُ بِمَنْزِلِ ، وَالْعِدَا : جَمْعُ عَدُوٍّ ؛ يُقَالُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ .

(٣) أَمْنَعُكَ : أَعْطَيْكَ ؛ وَالْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ السَّكَّابِيَةِ ، عَلَى أَنَّ هـ قَسَمًا هـ تَأْكِيدٌ لِلْقِسْمِ الْمَقْهُومِ مِنْ

قَوْلِهِ : هـ إِنِّي لَأَمْنَعُكَ الصُّدُودَ .

عبد الله بن المقفع ، وكان ابن المقفع يحب ذلك ، فجمعهما عباد بن عباد المهلبى فتحدثا ثلاثة أيام ولياليهن ، فقبل للخليل : كيف رأيت عبد الله ؟ قال : ما رأيت مثله ، وعلمه أكبر [٣] من عقله ، / وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : ما رأيت مثله ، وعقله أكبر من علمه . قال المنيرة : فصدقا ، أدّى ^(١) عقل الخليل الخليل إلى أن مات أزهد الناس ، وجهل ابن المقفع أداه إلى أن كتب أمانا لعبد الله بن علي فقال فيه : ومتى غدر أمير المؤمنين بعمة عبد الله فساؤه طوالق ؛ ودوابه حبس ^(٢) ، وعبيده أحرار ، والمسلمون في حل من بيعته . فاشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة أمر البيعة ، وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلبى وهو أمير البصرة من قبله بقتله ، فقتله .

وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيد الكلام ، فصيح العبارة ، له حكم وأمثال مستفادة ؛ ١٠ من ذلك ما روى من أن يحيى بن زياد الحارثى كتب إليه يلتمس معاودة الإخاء والاجتماع على المودة والصفاء ، فأخّر جوابه ، فكتب إليه كتابا آخر يستتر فيه ، فكتب إليه عبد الله : إن الإخاء رِقٌّ ؛ فكرهت أن أملكك رِقِّي قبل أن أعرف حُسن ملكيتك . وكان يقول : « ذلّ نفسك بالصبر على الجار السوء ، والعشير السوء ، والجليس السوء ، فإن ذلك لا يكاد يُخطئك » .

وكان يقول : « إذا نزل بك أمرٌ مهمٌّ فانظر ؛ فإن كان مما له حيلة فلا تعجز ، وإن كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع » . ١٥

ودعاه عيسى بن علي إلى النداء فقال : « أعز الله الأمير ! لست يوى للكرام أكبلا » ، قال : ولم ؟ قال : « لأنى مزكوم والزكمة قبيحة الجوار ، مانعة من عشرة الأحرار » . وكتب إلى بعض إخوانه : « أما بعد ، فتعلم العلم ممن هو أعلم به منك ، وعلمه من »

(١-١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فإن عقل الخليل أداه إلى أن مات أزهد الناس » .

(٢) الحبس ، بالضم : ما وقف ؛ وهو جمع الحبس ؛ وفي الحديث : « ذلك حبس في سبيل الله » ، أى موقوف على العزاة ، يركبونه في الجهاد .

أنت أعلمُ به منه ، فإنك إذا فعلتَ ذلكَ عَلِمْتَ ما جَهِلْتَ ، وحفظتَ ما عَلِمْتَ .
وقال لبعض الكتاب : « إياك والتَّبَعِ لَوْ خَشِيَ الكلام طمعاً في نَيْلِ البلاغة ، فإن ذلك هو الميُّ الأكبر » .

وقال لآخر : « عليك بما سَهَلَ من الألفاظ ؛ مع التجنُّب لألفاظ السَّفَلَة » .

وقيل له : ما البلاغة ؟ فقال : « التي إذا سمعها الجاهلُ ظنَّ أنه يُحَسِّنُ مثلها » .

وقال : « لا تَحَدِّثْ مَنْ يَخَافُ تَكْذِيبَهُ ، ولا تَسْأَلْ مَنْ يَخَافُ مَنَعَهُ ، ولا تَعِدْ بِمَا لا تَقْدِرُ عَلَى^(١) إِنْجَازِهِ ، ولا تَضْمَنْ ما لا تَثِقُ بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ ، ولا تَرْجُ ما تُعْتَفُّ بِرَجَائِهِ ، ولا تُقَدِّمُ^(٢) عَلَى ما يَخَافُ الْعَجْزُ عَنْهُ » .

وقال لبعض إخوانه / : « إذا صاحبتَ مِلْكَ فاعلم أَنَّهُمْ قد يُدْسَبُونَ إلى قلةِ الوفاء ، [٤٣]
فلا تُشْعِرَنَّ قَلْبَكَ استِبطاءَهُ ، فإنه لم يَشْعِرْ أَحَدٌ قَلْبَهُ إِلَّا ظَهَرَ عَلَى لِسَانِهِ إِنْ كَانَ سَخِيفاً^(٣) » ، ١٠
وعلى وجهه إِنْ كَانَ حَلِماً » .

وكان يقول : « إِنْ مِمَّا سَخَى بِنَفْسِ الْعَالَمِ عَنِ الدُّنْيَا عِلْمُهُ بِأَنَّ الْأَرْزَاقَ لَمْ تُقَسَّمْ فِيهَا عَلَى قَدْرِ الْأَخْطَارِ »^(٤) .

فأما ابن أبي العَوَّاء فقد ذكرنا ما رَوَى مِنْ اعترافِهِ بِدَسِّهِ فِي أَحَادِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَحَادِيثَ مَكْذُوبَةٍ . وَرَوَى أَنَّهُ رَأَى عِدْلاً قَدْ كُتِبَ عَلَيْهِ آيَةُ الْكَرْسِيِّ فَقَالَ لِمَ صَاحِبِهِ : ١٥
لَمْ كُتِبَتْ هَذَا عَلَيْهِ ؟ فَقَالَ : لَنَلَا يُسْرِقُ ، فَقَالَ : قَدْ رَأَيْنَا مُصَحِّفًا سَرِقًا !
وَلِبَشَائِرِهِ فِيهِ :

قُلْ لِمَعْبُدِ الْكَرِيمِ يابْنَ أَبِي الْعَوَّاءِ جَاءَ بَغْتِ الْإِسْلَامَ بِالْكَفْرِ مُوقاً^(٥)

(١) ش : « ولا تعد ما لا تقدر عليه » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا تقدم » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « سفيها » . (٤) توفي ابن المفع سنة ١٤٢ ، وانظر ترجمته وأخباره في كتاب أمراء البيان (١ : ٩٩-١٢٩)

(٥) الآيات في الأغاني (٣ : ٢٥) ، والموق : الحق في غياوة .

لَا تُصَلِّي وَلَا تَصُومُ فَإِنْ شِئْتَ فَهَمْزُ النَّهَارِ صَوْنًا رَقِيقًا^(١)
لَا تُبَالِي إِذَا أَصَبْتَ مِنَ الْخَمِّ رِ عَتِيقًا إِلَّا تَكُونُ عَتِيقًا
لَيْتَ شِعْرِي غَدَاةً حُلَيْتَ فِي الْجَنَّةِ رِ حَنِيفًا حُلَيْتَ أُمِّ زَنْدِيقًا^(٢)

فَأَمَّا بَشَارُ بْنُ بُرْدٍ فَرَوَى الْمَازِنِيَّ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِبَشَارٍ : أَتَاكَ كُلُّ اللَّحْمِ وَهُوَ مُبَايِنٌ
لِدِيَانَتِكَ؟ - يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ تَنَبَّأَ^(٣) - فَقَالَ بَشَارٌ : إِنَّ هَذَا اللَّحْمَ يَدْفَعُ عَنِّي شَرَّ هَذِهِ
الظَّلْمَةِ .

قَالَ الْمَرْدُ : وَيُرْوَى أَنَّ بَشَارًا كَانَ يَتَعْصَبُ لِلنَّارِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَصُوبُ رَأْيَ إِبْلِيسَ
فِي الْامْتِنَاعِ عَنِ السَّجُودِ ، وَرَوَى لَهُ :

النَّارُ مُشْرِقَةٌ وَالْأَرْضُ مُظْلِمَةٌ وَالنَّارُ مَعْبُودَةٌ مِثْلُ مَا كَانَتِ النَّارُ

وَرَوَى بَعْضُ أَصْحَابِهِ قَالَ : كُنَّا إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ نَقُومُ إِلَيْهَا ، وَيَقْعِدُ بَشَارٌ ، فَتَجْمَلُ
حَوْلَ ثِيَابِهِ^(٤) تَرَابًا ؛ لِنَنْظُرَ : هَلْ يَصَلِّي ، فَتَعُودُ وَالتَّرَابُ بِحَالِهِ وَلَمْ يَقُمْ إِلَى الصَّلَاةِ .

أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَارَسِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبِي
قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ مَهْرُوبٍ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَلَادٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كُنْتُ أَكَلَمُ بَشَارًا وَأَرَدْتُ
عَلَيْهِ سُوءَ مَذْهَبِهِ بِمِثْلِهِ إِلَى الْإِلْحَادِ ، فَكَانَ يَقُولُ : لَا أَعْرِفُ إِلَّا مَا عَايَنْتُ أَوْ عَايَنَهُ مُعَايِنٌ ؛
وَكَانَ الْكَلَامُ يَطُولُ بَيْنَنَا ، فَقَالَ لِي : مَا أَظُنُّ الْأَمْرَ^(٥) يَا أَبَا مَخْلَدٍ إِلَّا كَمَا يُقَالُ : إِنَّهُ خَذْلَانٌ ؛
وَلِذَلِكَ أَقُولُ :

(١) : ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : ر رقيقا .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : ر المحلى : العارض ، للجيش ، أى أن العارض إذا كتب اسمه كتبه مسلما أو زنديقا .

(٣) التنويه : فرقة من الكفرة تزعم بابتنائية الإله ؛ إله للخير وهو النور ، وإله للشر وهو الظلمة ، وانظر (الملل والنحل للشهرستاني ١٤٣ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ١ : ١٩٨-١٩٩) .

(٤) : ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) « حوالى ثوبه » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « ما أظن ما الأمر ... » .

[٤٤] طِبِيتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُخْبِرٍ هَوَايَ وَلَوْ خَيْرْتُ كُنْتُ الْمُهَذَّبَا
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى وَلَمْ أُرِدْ وَغُيِّبَ عَنِّي أَنْ أُنَالَ الْمُغَيَّبَا
وَأَصْرَفَ عَنْ قَصْدِي وَعِلْمِي مُبْصِرٌ فَأُمْسِي وَمَا أَعْقَبْتُ إِلَّا التَّعَجُّبَا

قال الجاحظ : كان بشار صديقاً لواصل بن عطاء الغزّال قبل أن يُظهر مذاهبه المكروهة ، وكان بشار مدح واصل بن عطاء ، وذكر خطبته التي نزع منها الرأى^(١) ، وكانت على البديهة فقال :

تَكَلَّفَ الْقَوْلَ وَالْأَقْوَامُ قَدْ حَقَلُوا وَحَبَرُوا خُطْبًا نَاهِيكَ مِنْ خُطْبٍ !
قَامَ مُرْتَجِلًا تَغْلِي بَدَاهَتَهُ كَمَرَجَلِ التَّيْنِ لَمَّا حُبَّ بِاللَّهَبِ^(٢)
وَجَانِبَ الرِّاءِ لَمْ يَشْمُرْ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَ التَّصَفُّحِ وَالْإِفْرَاقِ فِي الطَّلَبِ

ومثل ذلك قول بعضهم في واصل بن عطاء :

وَيَجْعَلُ الْبِرَّ قَهْنًا فِي تَكَلُّمِهِ وَجَانِبَ الرِّاءِ حَتَّى احْتَالَ لِلشَّعْرِ
وَلَمْ يَقُلْ مَطَرًا وَالْقَوْلُ يُجْلُهُ فَمَاذَ بِالْغَيْثِ إِشْفَاقًا مِنَ الْمَطَرِ

فلما أظهر بشار مذاهبه هتف^(٣) به واصل ، وقام بذكره وتكفيره وقعد ، فقال بشار فيه :

١٥ مَالِي أَشَايِعُ غَزًّا لَا لَهُ عُتْقُ كِنِيقِ الدَّوِّ إِنْ وَلَّى وَإِنْ مَثَلًا^(٤)
عُنُقَ الزَّرَافَةِ مَا بَالِي وَبَالِكُمْ تُكْفَرُونَ رَجَالًا أَكْفَرُوا رَجُلًا^(٥)

(١) نشرها الأستاذ عبد السلام هارون في المجموعة الثانية من نوادر المخطوطات .

(٢) حاشية الأصل : (من نسخة) : « فقال مرتجلا » ؛ والقين في الأصل : الحداد ؛ ثم قيل لاسكل عامل بالنار : قين ، وأراد بالقين هاهنا الصباغ .

(٣) هتف به : فضحه ، والهناف في الأصل الصباح .

(٤) الكنيق بكسر النونين : ذكر النعام ، والدو والدوية والداوية : الفلاة .

(٥) حواشي الأصل : ت ، ف : « عنق » ، نصب على الهمزة ؛ شبه واصلًا بالزرافة ، والزرافة : الحيوان

المعروف ، وعنقه أصحابه ؛ يقال : هم إليه عنق ؛ أي متتابعون .

فلما تتابع على واصل ما يشهد بإلحاده قال عند ذلك : أما لهذا الأعمى الملاحِد ! أما لهذا
 المشنَّف المكتَنى ^(١) بأبي معاذٍ مَنْ يقتله ! أما والله لولا أَنَّ الغيلة سَجِيَّةٌ من سجايا الغالية
 لدسستُ إليه من يَمِجْ بطنه في جوف منزله على مَضْجَعه ، أو في يوم حَفْلِهِ ، ثم كان لا يتولَّى
 ذلك إِلَّا عُقَيْلِيَّ أو سَدُوسِيَّ ، فعُدل واصل بن عطاء من الضَّرير إلى الأعمى ، ومن الكافر
 إلى الملاحِد ، ومن المرعَث إلى المشنَّف ، ومن بشار إلى أبي معاذ ، ومن الفراش إلى المضجَع
 وزاد قوم فقالوا : ومن أرسلتُ إلى دسست ، ومن يقر إلى يَمِج ، ومن داره إلى منزله ،
 [٤٤ ط] ومن المغيرة ^(٢) إلى الغالية / ، والأول أشبه بأن يكون مقصوداً ، وما ذَكَرْتُ ^(٣) ثانياً قد
 يتفق استعماله من غير عدول عن استعمال الرأى .

فأما قوله : « لا يتولَّى ذلك إِلَّا عُقَيْلِيَّ ^(٤) أو سَدُوسِيَّ » : فلأن بشاراً كان مولى لهم ،
 ١٠ وذكره بنى سدوس لأن بشاراً كان ينزل فيهم . فأما لقبُ بشار بالمرعَث فقد قيل فيه ثلاثة
 أقوال : أحدها أنه لقب بذلك لبيت قاله وهو :

قَالَ رِيمٌ مُرْعَثٌ فَاتَرُ الطَّرْفِ وَالنَّظَرَ
 لَسْتُ وَاللَّهِ قَاتِلِي ^(٥) قُلْتُ أَوْ يَغْلِبُ الْقَدَرُ

والقول الثاني أنه كان لبشار ثوبٌ له جَبِيان : أحدهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ،
 ١٥ فكان إذا أراد كُبسه يَضُمُّه عليه ضُمًّا ، من غير أن يدخل رأسه فيه ، فشبه استرسال الجبيين
 وتدلّيهما بالرَّعَاث ، وهى القِرْطَة ، فليل : المرعَث ، وقال أبو عبيدة : إنما سُمِّيَ المرعَث لأنه
 كان يلبس في صباه رِعَاثًا ، وهذا هو القول الثالث .

وكان بشار مقدما في الشعر جداً حتى إن كثيراً من الرواة يُلَحِّقُه بمن تقدّم عصره عليه

(١) ت ، د ، حاشية الأصل (من نسخة) : « المكتنى » .

(٢) للمغيرة : فرقة من غلاة الشيعة ، أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي ، وكان مولى لخالد بن عبد الله

القسرى ، وادعى النبوة لنفسه . (وانظر مفاتيح العلوم ٢٠ ، والفرق بين الفرق ٢٢٩) .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وما ذكر » .

(٤-٤) ساقط من م .

(٥) ت ، ج ، ش : « نائل » .

من المجودين . وأخبرنا الرزباني عن محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسين
اليشكري^(١) قال : قيل لأبي حاتم : من أشعر الناس ؟ قال الذي يقول :

ولها مني كُفْرُ الأفاقي وحديث كالوثنى وثنى البرود
نزلت في السواد من حبة القل ب ونالت زيادة المستريد
عندها الصبر عن لقائي وعندى زفرت يا كنان صبر الجليد

— يعني بشاراً ؟ قال : وكان يقدمه على جميع الناس ، ولما قال بشار :

بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود^(٢)
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزرق والعود^(٣)
فبلغ ذلك المهدي فوجد عليه ، وكان ذلك سبب قتله^(٤) .

(١) من نسخة محاشيت ، ف : محمد الحسن السكري .

(٢) هو أبو عبد الله يعقوب بن داود وزير المهدي ، (وانظر أخباره وتفصيل أسباب قتله ، في

الفخرى ١٦٠-١٦٣) . (٣) ت ، ج ، د ، ف : « الناي والعود » .

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان حماد مجرد قال في بشار :

له مقلّة عمياء واست بصيرة إلى الأبر من تحت الثياب تشير

فقال بشار : — وكتب بها إلى العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان حماد يعلم ولده :

يا أبا الفضل لا تنم وقع الذئب في الغم
إن حماد عجزد إن رأى سوءة هجم
بين فخذيه حرّبة في غلاف من الأدم
كلما غبت ساعة بجمج الميم بالقلم

فقال العباس : مالي ولبشار ! اصرفوا حماداً عني ، فقال حماد : لقد فرق بيني وبين رزقي بشمره ،
وسوف أفرق بينه وبين حياته بشمر أقوله ، فقال :

بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزرق والعود
ونسبها إلى بشار ، فبلغ ذلك المهدي فقتله « وكان مقتل بشار سنة ١٦٧ » . (وانظر ترجمته ومراجعتها
في الشعر والشعراء : ٧٣٣-٧٣٦) .

مَجْلِسُ آخِر

فَأَمَّا مَطِيعُ بْنُ إِيَّاسَ الْكِنَانِيُّ^(١) فَأَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزُبَانِيُّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ هَارُونَ [٤٠] عَنْ عَمِّهِ يَحْيَى بْنِ / عَلِيٍّ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْمَدَنِيِّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ السَّكَّاتِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبِي قَالَ: رَأَيْتُ بِنْتَ مَطِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ قَدْ أَتَتْ بِهَا فِي أَوَّلِ أَيَّامِ الرَّشِيدِ، فَأَقْرَتِ بِالزَّانِدَةِ وَقَرَأَتْهَا وَتَابَتْ، وَقَالَتْ: هَذَا شَيْءٌ عَلَّمَنِيهِ أَبِي، فَقَبِلَ الرَّشِيدُ تَوْبَتَهَا، وَرَدَّهَا إِلَى أَهْلِهَا.

• وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ الْجَرَّاحِ فِي أَخْبَارِ مَطِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ يَرْمَى بِالزَّانِدَةِ، وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَحَاطَ بِهِ أَهْلُ بَيْتِهِ، فَأَقْبَلُوا يَقُولُونَ لَهُ: قُلْ يَا مَطِيعُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَا يَقُولُ حَتَّى إِذَا صَارَتْ نَفْسُهُ فِي^(٢) ثَغْرَتِهِ كَرَّتْ نَفْسُ^(٣)، ثُمَّ أَهْوَى إِلَى الْكَلَامِ، فَقَالُوا لَهُ: قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَتَكَلَّمَ كَلَامًا ضَمِيمًا فَتَسَمَّعُوا لَهُ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ:

كَلَفَ نَفْسِي عَلَى الزَّمَانِ وَفِي أَيِّ زَمَانٍ دَهْتَنِي الْأَزْمَانُ
حِينَ جَاءَ الرَّبِيعُ وَاسْتَقْبَلَ الصَّيْفُ^(٤) وَطَابَ الطَّلَاءُ وَالرَّيْحَانُ^(٥)
قَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ: وَهَذَا الْحَدِيثُ يَرْوِيهِ^(٦) الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ لِيَحْيَى بْنِ زِيَادٍ.

فَأَمَّا يَحْيَى بْنُ زِيَادٍ الْحَارِثِيُّ^(٧) فَهُوَ يَحْيَى بْنُ زِيَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ

(١) انظر مطيع بن إياس وأخباره في (الأغاني ١٢-٧٥-١٠٥).

(٢-٣) ت، د، ف: «ثغرتة نفس»، ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «في ثغرة نحره».

تنفس. ط: «في ثغراته نفس».

(٣) الطلاء: الخمر.

(٤) حاشية ت (من نسخة): «رواه».

(٥) انظر يحيى بن زياد في (معجم الشعراء للمرزباني ٤٩٧-٤٩٨).

ابن الديان الحارثي الكوفي . وزيد بن عبيد الله هو خال أبي العباس السفاح ، ويكنى يحيى
أبا الفضل ، وكان يُعرف بالزُّنديق : وكانوا إذا وصفوا إنسانا بالطَّرْف قالوا : هو أطرف من
الزُّنديق - يعنون يحيى - لأنه كان ظريفاً ، وهذا المعنى قصده أبو نواس بقوله :

* نَبِيه مُغْنٍ وَظَرْفُ زَنْدِيقٍ *^(١)

قال الصولي : وإنما قال ذلك لأن الزُّنديق لا يَرعُ عن شيء^(٢) ولا يمتنع مِمَّنْ يَدْعَى^(٣)
إليه ، فنسبه إلى الطَّرْف لمساعدته على كل شيء ، وقلة خلافه .

وروى أنه قيل ليحيى بن زياد - وهو يجود بنفسه - قل : لا إله إلا الله ، فقال :

* لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْغُبُطُ وَالْجَلَّاجُ *^(٤)

ثم أغشى عليه ، فلما أفاق أعيد عليه القول فقال :

* وَبَازِلٌ تَغْلِي بِهِ الْمَرَّاجِلُ *^(٥)

١٠

وروى محمد بن يزيد قال : قال مطيع بن إلياس يرثي يحيى بن زياد - وكانا جميعاً مرميتين
بالخروج عن الملة :

يَا أَهْلَ بَكْوَا لِقَابِي الْقَرَحِ وَلِلذُّمِوعِ الْهَوَامِلِ السُّفْحِ^(٦)
رَاحُوا بِيَحْضِي إِلَى مُغَيِّبَةٍ فِي الْقَبْرِ بَيْنَ التُّرَابِ وَالصُّفْحِ^(٧)

(١) ديوانه : ٨٩ ، صدره :

* وَصَيْفُ كَأْسٍ مُحَدِّثُهُ مَلِكٌ *

(٢) في حاشيتي ت ، ف : « يقال : ورع برع ورعاً ، ورعة ، فهو ورع ؛ أي تقى » .

(٣) م : « لا بدع شيئاً » .

(٤) ت ، ش ، ف : « والخالل » ، د : « القرط والخالل » . والغبط : الرجل ؛ وهو للنساء

يشد على اليهودج . وفي حاشيتي الأصل : « الغبط : قنب يأخذ جميع ظهير البعير » .

(٥) البازل : البعير إذا كان في الناحية ؛ سمي بذلك لأنه يبرز نابه ؛ أي ينشق .

(٦) ت ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « السواكب » .

(٧) الصفح : جمر صفيحة ؛ وهي الحجارة الدراض .

[٤٠]
ظ

راحوا بيحسبي ولو تساعدني إلا / أقدارُ لم يبتكر ولم يرح^(١)
يا خيرَ مَنْ يحسنُ البُكاله السـيومَ وَمَنْ كَانَ آمِنًا لِلْمَدَحِ
قد ظفِرَ الحزنُ بالشُرورِ وقد / أدبَل مَكْرُوهنا مِنَ الفَرَحِ
ولطبع يريته :

انظرُ إلى الموتِ كيفَ بادِههُ / والموتُ مُقدّامةٌ على البَهِمِ^(٢)
لو قد تدبّرتَ ما صنّعتَ به / قرّعتَ سِنًا عليه مِنْ نَدَمِ
فأذهبَ بمنّ شئتَ إذ ذهبَت به / ما بعدَ يحى للرزاءِ مِنَ أَلَمِ

وأما صالح بن عبد القدوس فكان متظاهرا بمذاهب الثنوية ، ويقال إن أبا الهذيل
الغلاف ناظره فقطعه ، ثم قال له : على أي شيء تعزم يا صالح ؟ فقال : أستخير الله وأقول
١٠ بالاثنين ، فقال أبو الهذيل : فأيهما استخرت لا أم لك !!

وروي أن أبا الهذيل ناظره في مسألة مشهورة في الامتزاج الذي ادّعوه بين النور والظلمة
فأقام عليه الحجة فانقطع ، وأنشأ يقول :

أبا الهذيل هداك الله يا رجلُ / فأنتَ حقاً لعمري مُعْضِلٌ جَدِلُ

وروي أنه روى يصلي صلاة تامة الركوع والسجود ، ف قيل له : ماهذا ومذهبك

١٥ معروف ! قال : سنة البلد ، وعادة الجسد ، وسلامة الأهل والولد .

ويقال إنه لما أراد المهدي قتله على الزندقة دحا إليه بكتاب وقال له : اقرأ هذا ، قال :
وما هو ؟ قال : كتاب الزندقة ، قال صالح : أوتعرفه أنت يا أمير المؤمنين إذا قرأته ؟ قال :
لا ، قال : أفقتلني على ما لا تعرف ! قال : فإني أعرفه ، قال صالح : فقد عرفته ولست بزنديق ؛
وكذلك أقرؤه ولست بزنديق .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « لم يبتكر ولم يرح » .

(٢) البهم : جمع بهمة ؛ وهو الشجاع .

وذكر محمد بن يزيد البرد قال : ذكر بعض الرواة أن صالحاً لما نوظر فيما قُذِف به من الزندقة بحضرة المهدي قال له المهدي : ألسنت القاتل في حفظك ما أنت عليه :

رُبَّ مِيرٍ كَتَمْتُهُ فَكَأَنِّي أَخْرَسٌ أَوْ تَمِيَّ لِسَانِي خَبِلُ
/ولو أني أبديتُ للنَّاسِ عِلْمِي لَمْ يَكُنْ لِي فِي غَيْرِ حَبْسِي أَكْلُ
[٤٦] قال صالح : فإني أتوب وأرجع ، فقال له المهدي : هيهات ! ألسنت القاتل :

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ اخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارَى فِي ثَرَى رَقْمِهِ
إِذَا ارْعَوَى عَاوَدَهُ جَهْلُهُ (١) كَذَى الضَّنَى عَادَ إِلَى نُكْسِهِ (٢)

ثم قدم قَتيل ، ويقال إنه سلبه على الجسر ببغداد .

ومن شعره (٣) وهو في الحبس :

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فَلَسْنَا بِنَ الْأَحْيَاءِ فِيهَا وَلَا الْمَوْتَى
إِذَا دَخَلَ السَّجَّانُ يَوْمًا لِحَاجَةٍ عَجَبْنَا وَقُلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا
وَنَفْرَحُ بِالرُّوْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الْحَدِيثُ عَنِ الرُّوْيَا (٤)

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « عاد إلى جهله » .

(٢) حاشية الأصل : « عاد إلى نكسه ؛ أي عاد إلى غيه رجوع الناقه من المرض » .

(٣) وردت هذه الفعلوعة في إنباه الرواة ١ : ٦٢ ، ومعجم الأدباء ٣ : ١٥٥ ، منسوبة إلى صالح ابن عبد القدوس ، وفي المحاسن والأضداد ٤٥-٤٦ منسوبة إلى عبد الله بن معاوية ، وفي عبون الأخبار ١ : ٨١-٨٢ ، من غير عزو ، وورد منها البيت الأول والثاني في رسالة الففران ١٤٢ منسوبين لولد صالح ، وفي مقدمة التزويجات : ٢٧ منسوبين لرجل كان في السجن على عهد ملوك بني العباس ، يقال إنه من ولد صالح بن عبد القدوس ، ومطلعا :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو إِنَّهُ مَوْضِعُ الشَّكْوَى وَفِي يَدِهِ كَشْفُ الْمَضَرَّةِ وَالْبَلْوَى

(٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هذا المعنى الألف المكيرو وإن كان قريب اللفظ :

وَأَعْلَمُ فِي الْمَنَامِ بِكُلِّ خَيْرٍ فَأَصْبِيحُ لَا أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي

وإن أبصرتُ شراً في منامي لَقِيتُ الشَّرَّ مِنْ قَبْلِ الْأَذَانِ

فَإِنْ حَسُنْتَ لَمْ تَأْتِ عَجَلَى وَأَبْطَأَتْ
طَوَى دُونَنَا الْأَخْبَارَ سَجْنُ مُنْعَعٍ
قَبْرَنَا وَلَمْ نُدْفَنْ فَحَنُّ يَمْعَزِلُ
أَلَا أَحَدٌ يَأْوِي لِأَهْلِ مَحَلَّةٍ
وَإِنْ قَبُحَتْ لَمْ تَحْتَبِسْ وَأَتَتْ عَجَلَى
لَهُ حَارِسٌ تَهْدَا الْعُيُونُ وَلَا يَهْدَا
مَنْ النَّاسِ لَا تُخْشَى، فَتُغْشَى وَلَا تُغْشَى
مُقِيمِينَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ فَارَقُوا الدُّنْيَا

• قال سيدنا الشريف المرتضى ذو المجددين أدام الله غلوه : وأظن أن ابن الجهم لاحظ قول صالح : « فَنُغْشَى وَلَا تُغْشَى »^(١) في قوله يصف الحبس :
يَنْتُ يُجَدِّدُ لِلْكَرِيمِ كَرَامَةً وَبُرَارُ فَيَدٍ وَلَا يَزُورُ وَيُخَفِّدُ^(٢)

وأما علي بن الخليل فذكر محمد بن داود قال : كان علي بن الخليل - وهو مولى يزيد بن مزيد الشيباني ، ويكنى أبا الحسن ، وهو كوفي - متهمًا بالزندقة ، فطلبه الرشيد عند قتله الزنادقة ، فاستتر طوبلا ، ثم قصد الرقة^(٣) وبها الرشيد ، فمدحه ومدح الفضل بن الربيع .

وروي^(٤) أنه لما قدم الرشيد للعظام بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة ، حسن الخضاب ، معه قصيدة ، فأشار بها ، فأمر الرشيد بأخذها منه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحسن قراءة لها من غيري ، / فأذن لي في قراءتها ، ففعل ، فقال : إني شيخ كبير ، ولا آمن

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « حمله السيد رضي الله عنه على أن قوله : « فَنُغْشَى ... » كلام مستأنف ، وأن الغشيان واقع ، والبيت الذي ذكر أنه انظر إليه يدل على ذلك ؛ ومراد الشاعر غير هذا . ورواية أسلم : وهو أن يكون « نُغْشَى » منصوبا بإضمار أن بعد الغاء التي تجيء بعد التثنية ، ويكون غشيان الناس لإيماهم متفيا .

(٢) يخفد : يخدم ، وفي م : « يحمي » ، والبيت من قصيدة قالها في الحبس حين حبسه التوكل :
وهي في ديوانه سر ٤ ، والمحسن والأنداد ٤٣ ، وأولها :

قَالَتْ حُبْسِي فَقُلْتُ لَيْسَ بِضَائِرِي حَبْسِي وَأَيُّ مُهَنْدٍ لَا يُعْمَدُ

(٣) الرقة : مدينة مشهورة على الجانب الأيسر للفرات بولاية حلب ؛ وهي وطن ربيعة الرقي الشاعر

المشهور .

(٤) الخبر في (الأغاني ١٣ : ١٤-١٤) .

الاضطراب إذا قت ، فإن رأيت أن تأذن لي في الجلوس فقلت ، فقال : اجلس ، فجلس ،
ثم أنشأ يقول :

- يا خيرَ مَنْ وَخَدَتْ بِأَرْحُلِهِ نَجَبُ الرِّكَابِ بِمَهْمَةٍ جَلِيسِ^(١)
تَطْوِي السَّبَاسِبَ فِي أَرْمَتِهَا طَى التُّجَارِ عَمَائِمَ الْبَرَسِ^(٢)
لَمَّا رَأَتْكَ الشَّمْسُ طَالِمَةً سَجَدَتْ لَوَجْهِكَ طَلْعَةُ الشَّمْسِ
خَيْرُ الْخَلَائِفِ^(٣) أَنْتَ كُلَّهُمْ فِي يَوْمِكَ الْمَاضِي وَفِي أَمْسِ
وَكَذَلِكَ لَا تَنْفَكُ خَيْرَهُمْ تُنْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ مَا تُنْسِي
مِنْ غَضَبٍ طَابَتْ أَرْوَمَتُهَا أَهْلَ الْعَفَافِ وَمُنْتَهَى الْقُدْسِ
فَوْقَ النُّجُومِ فُرُوعُ نَبْعِهِمْ وَمَعَ الْحَضِيضِ مَنَابِتُ الْفُرْسِ
إِنِّي رَحَلْتُ إِلَيْكَ مِنْ فَزَعٍ كَانَ التَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تَرْمِي
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّنِي رَجُلٌ أَصْبُو إِلَى بَقَرٍ مِنَ الْإِنْسِ
بَقَرٍ أَوَانِسَ لَا قُرُونَ لَهَا يَفْتُنَانِ بِالتَّطَوُّلِ وَالْحَبْسِ
وَأَجَازِبُ الْفِثْيَانِ بَيْنَهُمْ صَهْبَاءَ مِثْلَ حُجَاجَةِ الْوَرَسِ
لِلْمَاءِ فِي حَافَاتِهَا حَبَبٌ نَظْمٌ كَطَلَى صَحَائِفِ الْفُرْسِ^(٤)
وَاللَّهُ يَعْلَمُ فِي بَيْتِهِ مَا إِنْ أَضَعْتُ إِقَامَةَ الْخَمْسِ

فقال له هارون : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : علي بن الخليل الذي يقال إنه زنديق ، قال : أَنْتَ
آمِن ، وكتب إلى محدثيه ألا يمرض له .

ومن تركنا ذكره من هؤلاء أكثر ممن ذكرناه ، وإنما اعتمدنا من كان بهذه البلية

(١) وخدت : أسرع ، ونجب : جمع نجيب ، وهو وصف للنافاة الخفيفة السريعة ، والمهمة : البلد
الغمر ، والجلس : الغليظ من الأرض .

(٢) السباسب : جمع سبب ؛ وهي الفلاة ، والتجار : جمع تجر ، وتجر : جمع تاجر ؛ كفولهم :
صاحب وصعب وصحاب ، والبس : القطن .

(٣) م : الخلائق .

(٤) حاشية الأصل : « ذكر سر : الحباب طرائق الماء ، والحجب ما يملو المائعات من النفاخات » .

أشهر ، وأمره فيها أظهر ، وأوردنا مع ذلك قليلا من كثير ، وجملة من تفصيل .

وإذ قد ذكرنا جملة من أخبار أهل الضلالة ، والنقادين للجهالة ، حسب ما سئلنا ، فنحن ننبهها بشيء من أخبار أهل التوحيد والعدل ، وملح حكاياتهم ، ومستحسن ألفاظهم ، [٤٧] ليعلم الفرق بين من ربح / بيعته ، وبين من خسر صفقته ، فقد سئلنا أيضا ذلك .

٥ اعلم أن أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - وخطبه ، فإنها تتضمن من ذلك مالا زيادة عليه ، ولا غاية وراءه ، ومن تأمل المأثور في ذلك من كلامه علم أن جميع ما أسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه ، إنما هو تفصيل لتلك الجمل ، وشرح لتلك الأصول ، وروى عن الأئمة من أبنائه عليهم السلام من ذلك ما يكاد لا يحاط به كثرة ، ومن أحب الوقوف عليه ، وطلبه من مظانه أصاب منه الكثير الفزير ، الذي ١٠ في بعضه شفاء للصدور السقيمة ، ونتاج للعقول العقيمة ؛ ونحن نقدم على ما يريد ذكره شيئا مما روى عنهم في هذا الباب .

فمن ذلك ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام ^(١) وهو يصف الله تعالى : « بمضادته ^(٢) بين الأشياء علم أن لا ضد له ، وبمقارنته بين الأمور علم أن لا قرين له ، ضاد النور بالظلمة ، والخشونة باللين ، واليبوسة بالبلل ، والصرد ^(٣) بالحرور ؛ مؤلف بين متعادياتها ^(٤) ، مفرق بين متدانياتها » . ١٥

(١) ت : « ... عليه السلام أنه قال وهو يصف ... » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « أي ينصب المضادة بين الضدين يستدل على أن لا ضد له ؛ لأن من يقدر على ذلك لا بد أن يكون متوحداً بصفات الجلال ، التي تحيل أن يكون للموصوف بها ضد » .

(٣) في حاشيتي ت ، ف : « الصرد : البرد ؛ وهو فارسي معرب ، يقال : يوم صرد وصردي [بكون الراء وفتحها] ، وصردي الرجل [بكسر الراء] يصردي صردا [بفتحها] » .

(٤) ف ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « متباعداتها » .

وروى عنه عليه السلام أنه سئل : بِمَ عَرَفْتَ رَبِّكَ ؟ فقال : بِمَا عَرَفَنِي بِهِ ، قيل : وكيف عَرَفَكَ ؟ فقال : «لَا تُشَبِّهُهُ صُورَةً ، وَلَا يُحَسِّنُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسَ ، وَلَا يُقَاسُ بِقِيَاسِ النَّاسِ» . وقيل له عليه السلام : كيف يحاسب الله الخلق ؟ فقال : كما يرزقهم ، فقيل : كيف يحاسبهم ولا يروونه ؟ فقال : كما يرزقهم ولا يروونه .

وسأله رجل فقال : أين كان ربُّك قبل أن يخلقَ السماء والأرض ؟ فقال عليه السلام : هـ
أين سؤالٌ عن مكان ، وكان الله ولا مكان .

وروى عن أبي عبد الله الصادق ^(١) عليه السلام أنه سأله محمد الحليّ فقال له : هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه ؟ قال : نعم رآه بقلبه ، فأما ربُّنا جلَّ جلاله فلا تدركه أبصارُ الناظرين ، ولا تحيط به أسماعُ السامعين .

وروى صفوان بن يحيى قال : دخل أبو قرّة المحدث على أبي الحسن الرضا ^(٢) عليه السلام .
فأله ^(٣) عن أشياء من الحلال والحرام والأحكام والفرائض ، حتى بلغ إلى التوحيد ، فقال له أبو قرّة : إنا رؤينا أن الله تعالى قسم الكلام والرؤية ، فقسم لموسى الكلام ، ولحمد صلى الله عليه وآله الرؤية ، فقال الرضا عليه السلام : فمن المبلغ عن الله تعالى إلى المقامين : الجن والإنس أنه لا تدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علماء ، وليس كمثله شيء ؟ أليس محمد عليه السلام نبياً صادقاً ؟ قال : بلى ، قال : فكيف يحيى رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله تعالى يدعوهم إليه بأمره ، ويقول : لا تدركه الأبصار ، ولا يحيطون به علماء ، وليس كمثله شيء ، ثم يقول :

(١) هو الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، ولدت بالبصرة سنة ٨٠ ، وروى عن أبيه وجده القاسم وطبقتهما ، وقد ألفت تلميذه جابر بن حيان الموفى كتاباً في ألف ورقة يتضمن رسائله ؛ وتوفي سنة ١٤٨ ، ودفن بالبقيع ؛ (شذرات الذهب ١ : ٢٢٠) .

(٢) هو الإمام أبو الحسن علي الرضا بن موسى السكاظم بن جعفر الصادق ، ثامن الأئمة الاثني عشر ، توفي بطوس سنة ٢٠٤ ، وصلى عليه المؤمنون ؛ ودفن بجانب الرشيد . (شذرات الذهب ٢ : ٦) . (٣) حاشية ت (من نسخة) : «فساء له» .

سأراه بعيني وأحيط به علماً ؛ أما تستحيون ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي عن الله تعالى بشيء ، ثم يأتي بخلافه من وجه آخر ! قال أبو قرّة : فإنه يقول : ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴾ [النجم : ١٢ ، ١٣] ، فقال عليه السلام : ما بعد هذه الآية يدل على ما رأى ؛ حيث يقول : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم : ١١] ، يقول ما كذب فؤاد محمد ما رأت عيناه ، ثم أخبر بما رأى ، فقال : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ [النجم : ١٨] ، وآيات الله غير الله ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ [منه : ١١٠] ، فإذا رآته الأبصار فقد أحاط به العلم . فقال أبو قرّة : فأنا كاذب بالرؤية ؟ فقال الرضا عليه السلام : إذن القرآن كذبها ، وما أجمع عليه المسلمون أنه لا يحاط به علماً ، ولا تدركه الأبصار ، وليس كمثلته شيء .

١٠ وأتى أعرابي أبا جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام^(١) فقال له : هل رأيت ربك حين^(٢) عبدته ؟ فقال : لم أكن لأعبد شيئاً لم أره ، فقال : كيف رأيته ؟ فقال : لم تره الأبصار بعشاهدة العيان ، بل رآته القلوب بحقائق الإيمان ؛ لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، معروف بالآيات ، منموت بالعلامات ، لا يجور في قضيته ؛ هو الله الذي لا إله إلا هو . فقال الأعرابي : الله أعلم حيث يجعل رسالته !

١٥ وروى أن شيخاً حضر صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : أخبرنا يا أمير المؤمنين [٤٧] عن مسيرنا إلى الشام ، أكان بقضاء من الله تعالى وقدر ؟ قال له : / نعم يا أخا أهل الشام ، والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، ما وطننا موطناً ، ولا هبطنا وادياً ، ولا علونا تلعة إلا بقضاء من الله وقدر ، فقال الشامي : عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين ، وما أظن أن لي أجراً في سمي إذ كان الله قضاءً عليّ وقدره ! فقال له عليه السلام : إن الله قد أعظم

(١) هو الإمام أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ؛ أحد الأئمة الاثني عشر ؛ توفي ببغداد سنة ٢٢٠ هـ (شذرات الذهب ٢ : ٤٨) .
(٢) ش : و حتى .

لَكُمْ الْأَجْرَ عَلَى مَسِيرِكُمْ وَأَنْتُمْ سَائِرُونَ ، وَعَلَى مَقَامِكُمْ وَأَنْتُمْ مَقِيمُونَ ، وَلَمْ تَكُونُوا فِي شَيْءٍ
مِنْ حَالَاتِكُمْ مَكْرَهِينَ ، وَلَا إِلَيْهَا مُضْطَرِينَ ، وَلَا عَلَيْهَا مُجْبَرِينَ .

فَقَالَ الشَّامِيُّ : وَكَيْفَ ذَلِكَ وَالْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ سَاقَاتَانِ ، وَعَنْهُمَا كَانَ مَسِيرُنَا وَانْصِرَافُنَا ؟
فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَا أَخَا أَهْلِ الشَّامِ ، لِمَلِكٍ ظَنَنْتَ قَضَاءَ لَازِمًا ، وَقَدَرًا حَتْمًا ؛
لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لَبُطِلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ ، وَالْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ وَالنَّهْيُ ،
وَمَا كَانَ الْحَسَنُ أَوْلَى بِثَوَابِ الْإِحْسَانِ مِنَ السَّيِّئِ ، وَالسَّيِّئُ أَوْلَى بِعِقَابِ الذَّنْبِ مِنَ الْحَسَنِ ؛
تِلْكَ مَقَالَةُ عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ ، وَحِزْبِ الشَّيْطَانِ ، وَخُصَمَاءِ الرَّحْمَنِ ، وَشُهَدَاءِ الزُّورِ ، وَقَدَرِيَّةُ هَذِهِ
الْأُمَّةِ وَمُجْبِسُهَا ؛ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيرًا ، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا ، وَكَأَفَّ يَسِيرًا ، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ
كَثِيرًا ، وَلَمْ يُطْعَمْ مَكْرَهَا ، وَلَمْ يُعْصَ مَقْلُوبُهَا ، وَلَمْ يَكْلَفْ عَسِيرًا ، وَلَمْ يُرْسَلِ الْأَنْبِيَاءُ لَعِبًا ،
وَلَمْ يُنْزَلِ السُّكُتُ إِلَى عِبَادِهِ عِبَثًا ، وَلَا خُلِقَ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ؛ ذَلِكَ ظَنُّ
الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ !

قَالَ الشَّامِيُّ : فَمَا الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ الَّذِي كَانَ مَسِيرَنَا بِهِمَا وَعَنْهُمَا ؟ قَالَ : الْأَمْرُ مِنَ اللَّهِ
بِذَلِكَ وَالْحُكْمُ ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ [الْأَحْزَابُ : ٣٨] ، فَقَامَ الشَّامِيُّ
فَرِحًا مَسْرُورًا لِمَا سَمِعَ هَذَا الْقَالَ ، وَقَالَ : فَرَجَتْ عَنِّي فَرَجَ اللَّهِ عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بَطَاعَتَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ مِنَ الرَّحْمَنِ غُفْرَانًا ^(١)
أَوْضَحْتَ مِنْ أَمْرِنَا ^(٢) مَا كَانَ مُتَعَبِّسًا جَزَاكَ رَبُّكَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا ^(٣)

وَرَوَى أَنَّ أَبَا حَنِيفَةَ النُّعْمَانَ بْنَ ثَابِتٍ قَالَ : دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ ، فَرَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ [جَعْفَرَ
ابْنَ هَلِيٍّ] ^(٤) عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، وَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ ، فَرَأَيْتُ ^(٥) ابْنَهُ مُوسَى ^(٦) عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) حاشية ف : * في رواية * يَوْمَ النُّشُورِ مِنَ الرَّحْمَنِ رِضْوَانًا * .

(٢) من نسخة بخطي الأصل ، ف : * أَوْضَحْتَ مِنْ دِينِنَا * .

(٣) حاشية ف : * في رواية : * جَزَاكَ رَبُّكَ عَنَّا فِيهِ إِحْسَانًا * .

(٤) تكملة من ت . (٥) ت ، ش : * فَأَتَيْتُ * .

(٦) هو المعروف بموسى الكاظم ، أحد الأئمة الاثني عشر ؛ توفي سنة ١٨٣ هـ (شذرات الذهب ١ : ٣٠٤)

[٤٨] في دِهْلِيْزِهِ، قَاعِدًا فِي مَكْتَبِهِ، / وَهُوَ صَغِيرُ السِّنِّ فَقُلْتُ لَهُ : أَيْنَ يُحَدِّثُ ^(١) الْغَرِيبَ إِذَا كَانَ ^(٢) عِنْدَكُمْ وَأَرَادَ ذَلِكَ ؟ فَنَظَرَ إِلَىَّ ثُمَّ قَالَ : يَتَجَسَّبُ شَطْلُوطُ الْأَشْهَارِ ، وَمَسَاقِطُ ^(٣) الثَّمَارِ ، وَأَفْنِيَّةُ الدُّوَرِ ، وَالطَّرِيقُ النَّافِذَةُ ، وَالْمَسَاجِدُ ، وَيَضَعُ وَيَرْفَعُ بَعْدَ ذَلِكَ حَيْثُ شَاءَ . قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذَا الْقَوْلَ نَبَّلَ فِي عَيْنِي ، وَعَظُمَ فِي قَلْبِي . فَقُلْتُ لَهُ : جُمِعَتْ فِدَاكَ ! فَمَعْنَى الْمَعْصِيَةِ ؟ فَنَظَرَ إِلَىَّ ثُمَّ قَالَ : اجْلِسْ حَتَّى أَخْبِرَكَ ، فَجَلَسْتُ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمَعْصِيَةَ لَا بَدَأَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْعَبْدِ أَوْ مِنْ رَبِّهِ ، أَوْ مِنْهُمَا جَمِيعًا ؛ فَإِنْ كَانَتْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ أَعْدِلُ وَأَنْصَفُ مِنْ أَنْ يَظْلِمَ عَبْدَهُ ، وَيَأْخُذَهُ بِمَا لَمْ يَفْعَلْهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْهُمَا فَهُوَ شَرِيكُهُ ؛ وَالْقَوِيُّ أَوْلَى بِالْإِنصَافِ عَبْدُهُ الضَّعِيفُ ، وَإِنْ كَانَتْ مِنَ الْعَبْدِ وَحْدَهُ فَعَلِيهِ وَقَعَ الْأَمْرُ ، وَإِلَيْهِ تَوَجَّهَ النَّهْيُ ، وَلَهُ حَقُّ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَوُجِبَتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، قَالَ : فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ قُلْتُ : ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ ؛ [آل عمران : ٣٤] .

١٠ . وَقَدْ نَظَّمْتُ هَذَا الْمَعْنَى شِعْرًا قَقِيلًا :

لَمْ تَخْلُ أَعْمَالُنَا اللَّاتِي نَذَمُ لَهَا	إِخْدَى ثَلَاثَ خِلَالٍ حِينَ نَأْتِيهَا
إِنَّمَا تَفَرَّدَ بَارِيْنَا بِصَنَعَتِهَا	فَبَقُطُ اللَّوْمِ عَنَّا حِينَ نُنْشِئُهَا
أَوْ كَانَ يَشْرِكُنَا فِيهَا فَيَكْثُرُ حَقُّهُ	مَا سَوْفَ يَكْثُرُنَا مِنْ لَائِمٍ فِيهَا
أَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْإِلَهِ فِي جَنَائِبِهَا	ذَنْبٌ فَمَا الذَّنْبُ إِلَّا ذَنْبُ جَانِبِهَا ^(١)

١٥ . وَأَحَدُ مَنْ تَظَاهَرَ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِالْقَوْلِ بِالْعَدْلِ ، الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ ، وَاسْمُ أَبِيهِ يَسَارٌ ، مِنْ أَهْلِ مَيْسَانَ ، مَوْلَى أَلْبَعْضِ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَ اسْمُ أُمِّهِ خَيْرَةَ ، مَمْلُوكَةً لِأُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَيُقَالُ إِنَّ أُمَّ سَلَمَةَ كَانَتْ تَأْخُذُ الْحَسَنَ إِذَا بَكَى فَتَسْكُتُهُ بِشِدِّهَا ،

(١) حَاشِيَةٌ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : * يَضَعُ * .

(٢) م : * الرَّجُلُ * .

(٣) حَاشِيَةٌ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : * وَمَسَاقِطُ * .

(٤) فِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : * زِيَادَةٌ فِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ :

سَيَعْلَمُونَ إِذَا الْمِيزَانُ شَالَ رَبِّهِمْ أَهْمُ جَنَوَهَا أَمْ الرَّحْمَنُ جَانِبَهَا

— مِنَ الْجَنَى — * .

فكان يَدِرُّ عليه ، فيقال إن الحكمة التي أوتِيها الحسن من ذلك ، وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة .

فمن تصريحه بالمدل ما رواه علي بن الجعد^(١) قال : سمعت الحسن يقول : مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَعَاصِيَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَسْوُودًا وَجْهَهُ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۖ ﴾ [الزمر : ٦٠] . وقال داود بن أبي هند : سمعت الحسن يقول : كلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءِ وَقَدَرٍ^(٢) إِلَّا الْمَعَاصِيَ .

[٤٨]
ط

وكان الحسن بارع الفصاحة ، بليغ المواعظ ، كثير العلم . وجميع كلامه في الوعظ ودم الدنيا أو جلّه مأخوذ لفظاً ومعنى ، أو معنًى دون لفظ ؛ من كلام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام ، فهو القدوة والغاية^(٣) .

فمن ذلك قوله عليه السلام : « شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا مَأْخُوذٌ مِنَ الْآخِرِ ، أَحَدُهُمَا أَكْثَرُ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا ، وَالْآخِرُ أَقَلُّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا : الْعَيْرُ وَالْإِعْتِبَارُ » .

وقوله عليه السلام : « مَثَلُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، مَثَلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، مَتَى أَزْدَدْتَ مِنْ أَحَدِهِمَا قَرِيبًا ، أَزْدَدْتَ مِنَ الْآخِرِ بُعْدًا » .

وقوله : « شَتَانِ بَيْنَ عَمَلَيْنِ : عَمَلٍ تَذْهَبُ لِدَنَّتُهُ ، وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مُؤَنَّتُهُ وَبَقِيَ أَجْرُهُ » .

١٥

وقوله في وصف الدنيا : « مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ ، فِي حِلَالِهَا حِسَابٌ ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ ، مَنْ صَحَّ فِيهَا أَمِنْ^(٤) ، وَمَنْ فَرَّطَ فِيهَا نَدَمٌ ، وَمَنْ اسْتَغْنَى

(١) حواشي الأصل ، ت ، د : « علي بن الجعد لم يلق الحسن ؛ فإن علياً مات سنة ثلاثين ومائتين ، والحسن مات سنة عشر ومائة ، وولد علي بن الجعد سنة أربعين وثلاثين ومائة . قال الفقيه : علي بن الجعد مولى أم سلمة المخزومية ، امرأة أبي العباس أمير المؤمنين ، وولد سنة ست وثلاثين ومائة ، ومات ببغداد سنة ثلاثين ومائتين ، وفيها مات عبد الله بن طاهر » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بقضاء الله وقدره » (٣) ت : « فهو في ذلك القدوة والغاية » .

(٤) حاشية ف : « قوله : من صح فيها آمن ، يعني أن الإنسان إذا صح جسمه أمن الأهوال الدنيوية والأخروية ، وإذا مرض ندم على التقصير » .

فيها فتن ، ومن افتقر فيها حزن .

وقوله في كلام له : « فأيها الذآم للدنيا ، والمعتل^(١) بغرورها ، متى استقدمت^(٢) إليك ؟ بل متى غرنتك ؟ أمضاجع آباءك من الثرى ؟ أم بمنازل أمهاتك من البلى ؟ كم مرصت بكفئك ؟ وكم عاجلت بيدبك ؟ تبتنى لهم الشفاء ، وتستوصف لهم الأطباء ؛ مثلت لك بهم الدنيا نفسك ، وبمصرعهم مصرعك . »

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وهذا باب إن واجناه اغترفنا من ثبج^(٣) بحر زاخر ، أو شوبوب^(٤) غمام ماطر ؛ وكل قول في هذا الباب لقائل إذا أضيف إليه ، أو قويس به كان كإضافة القطرة إلى الغمرة^(٥) ، أو الحصاة إلى الحرة^(٦) ، وإنما أشرنا إليه إشارة ، وأومأنا إليه إيماء ، ثم نعود إلى ما كنا فيه .

١٠ روى أن أعرابياً سمع كلام الحسن البصري فقال : المؤمن فصيح إذا لفظ ، نصيح إذا وعظ .

وروى أن الحسن تلا يوماً : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ [الأحزاب : ٧٢] ، ثم قال : « إن قومًا غدوا في المطارف^(٧) العتاق ، والمهائم الرقاق ، يطلبون الإمارات ، ويضيمون الأمانات ، يتعرضون للبلاء وهم منه في عافية ؛ حتى إذا أخافوا من فوقهم من أهل المفة ، وظلموا من تحتمهم من أهل الذمة أهزلوا^(٨) دينهم ، وأسمنوا براذيلهم ، ووسعوا دورهم ، وضيقوا قبورهم ؛ ألم ترهم قد جددوا / الثياب ،

(١) ت ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « المفتر » .

(٢) حاشية الأصل : « قوله عليه السلام استقدمت ، أى فعلت سلام عليه » .

(٣) ثبج البحر : وسطه أو مظلمه . (٤) الشوبوب : الدفعة من المطر .

(٥) الغمرة : الماء الكثير الذي يغمر من خاض فيه .

(٦) الحرة : أرض سوداء ذات حصى .

(٧) المطارف : جم مطرف ؛ وهو كساء من خز ذو أعلام .

(٨) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « هزلوا » .

وَأَخْلَقُوا الدِّينَ ، يَتَكَبَّرُ أَحَدُهُمْ عَلَى شِمَالِهِ ، فَيَأْكُلُ مِنْ غَيْرِ مَالِهِ ؛ طَعَامُهُ غَضَبٌ ، وَخَدْمُهُ سُخْرَةٌ ؛ يَدْعُو بِحُلُورٍ بَعْدَ حَامِضٍ ، وَبِحَارٍ بَعْدَ بَارِدٍ ، وَرَطْبٍ ^(١) بَعْدَ يَابِسٍ ؛ حَتَّى إِذَا أَخَذَتْهُ الْكِظَّةُ ، تَجَشَّأَ مِنَ الْبَشَمِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا جَارِيَّةُ ، هَاتِي حَاطُومًا (يَعْنِي هَاضُومًا) يَهْضِمُ الطَّعَامَ ؛ يَا أَحْيَمِي ! لَا وَاللَّهِ لَنُتَهَضِّمَ إِلَّا دِينَكَ ، أَيْنَ جَارُكَ ! أَيْنَ يَتِيمُكَ ! أَيْنَ مَسْكِينُكَ ! أَيْنَ مَا أَوْصَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ ! » .

وَذَكَرَ يَوْمًا الْحِجَابَ فَقَالَ : « أَتَانَا أُعْتِمِشُ أُخْفِيشُ » ، لَهُ مُجِيبَةٌ يَرْجُلُهَا ، وَأَخْرَجَ إِلَيْنَا بَنَانًا قِصَارًا ، وَاللَّهُ مَا عَرِقَ فِيهَا عَنَانٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ : يَا عَمُونِي ، فَبَايَعْنَاهُ ، ثُمَّ رَقِيَ هَذِهِ الْأَعْوَادَ يَنْظُرُ إِلَيْنَا بِالتَّصْغِيرِ ، وَنَنْظُرُ إِلَيْهِ بِالتَّعْظِيمِ ؛ يَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَيْنَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُرْتَكِبُهُ .

وَرَوَى عَيْسَى بْنُ عَمْرِو قَالَ : قَالَ الْحَسَنُ : « إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ طَلْعَةٌ ^(٢) فَاقْدَعُوهَا ، فَإِنَّكُمْ إِنْ تُطِيعُوهَا تَنْزِعُ بِكُمْ إِلَى شَرٍّ غَايَةٍ ، وَحَادِثُوا هَذِهِ النُّفُوسَ ، فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ » . قَالَ عَيْسَى بْنُ عَمْرِو : فَحَدَّثْتُ بِذَلِكَ أَبَا عَمْرٍو بْنَ الْعَلَاءِ ، فَمَجِيبٌ مِنْ فَصَاحَتِهِ .

وَكَانَ يَقُولُ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ : « مَا يَشَاءُ أَنْ رَى أَحَدَهُمْ أَبْيَضَ بَضًّا ، يَمْلُخُ فِي الْبَاطِلِ مَلَخًا ، يَنْفَضُ مِذْرَوِيهِ وَيَقُولُ : هَإِنْدَا فَاغْرِفُونِي » .

قَالَ : فَالْبُضُّ ، هُوَ الرَّخْصُ اللَّاحِمُ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْبَيَاضِ عَلَى مَا يَظُنُّهُ قَوْمٌ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَكُونُ الرَّخْصَةُ مَعَ الْأُذْمَةِ . وَأَمَّا قَوْلُهُ « يَمْلُخُ » فَإِنَّ الْمَلَخَ هُوَ التَّثْنِيُّ وَالتَّكْثِيرُ ، يَقَالُ مَلَخَ الْفَرَسَ إِذَا لَبَّ ^(٣) ؛ قَالَ رُوَيْبَةُ يَصِفُ الْحِمَارَ :

* مُعْتَرِمُ التَّجْلِيحِ مَلَاخُ الْمَلَقِ ^(٤) *

(١) ف ، و نسخة بحاشيتي ت ، ف : « ورطب » .

(٢) الطلعة : الكثيرة التطلع إلى الشيء ؛ أي أنها كثيرة الميل إلى هواها تشبهه حتى تهلك صاحبها ، قال في اللسان : « وبعضهم يرويه بفتح الطاء وكسر اللام ، وهو بمعناه ، والمعروف الأول » .

(٣) في اللسان (ملخ) وحاشيتي ت ، ف : « يملخ في الباطل ملخا ؛ أي يمر فيه مرا سريعا » .

(٤) الاعتزام : اللص على جهة واحدة ، والتجليح : شدة الإقدام ، والملاق : ما استوى من الأرض . =

والمذروان^(١) : فرعا الأليتين : قال عنتره :

أَحُولِي^(٢) تَنْفُضُ اسْتُكَ مِذْرَوِيَهَا لِتَقْتُلَنِي فَمَا نَذَا عُمَارَا

هذا قول أبي عبيد ؛ وقال ابن قتيبة ردًا عليه : ليس المذروان فرعى الأليتين حسب ؛ بل هما الجانبان من كل شيء ؛ تقول العرب : جاء فلان يضرب أصدره ، ويضرب عطفه ، وينفض مذرويه ، وهما منكباه . وذَكَرَ أنه سمع رجلا من فصحاء العرب يقول : قَنَّعَ الشيب مذرويه ، يريد جانبي رأسه ، وهما فوداه ، وإنما سمي بذلك ، لأنهما يذريان ؛ أى

== وفي حواشى الأصل ، ت ، ف : وقوله :

* إِذَا تَتَلَّاهُنَّ صَلَّصَالُ الصَّمَقِ *

— أى تلا الحمار الأذن ، والصلصال : الصوت ، واصمق : شدة الصوت ؛ وعمار صمق : شديد الصوت ؛ وبعده :

* يَرْمِي الْعَجَلَامِيدَ بِجُلْمُودٍ مَدَقِ *

والبيت من أرجوزته التى مطلعها :

* وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِيِ الْمَحْتَرَقِ *

وهى فى (ديوانه ١٠٤-١٠٨) ، وأبيات منها مشروحة فى (الخزائن ١ : ٣٨-٤١) .

(١) حاشية ف : « قوله المذروان ؛ أى أطراف الأليتين ، وليس بمنى على واحد هو مذرى ، خلافا لما يقوله أبو عبيد ؛ إذ لو كان ذلك كذلك لكان مذران ؛ لأن الواو إذا وقعت رابعة فصلا لما قبلت بها قياسا على ما فى الأتري إلى المذرى الذى يعزبه الطعام إذ انثى يقال « مذران » ؛ فقوله : « مذروان » أى أطراف الأليتين ، كذا ورد عنهم فى صورة التثنية ، وإن لم يكن تثنية لواحد مذكور . »

(٢) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « أنحوى » ، وهو مخاطب عمارة بن زياد العيسى وكان يلقب أنه يقول لغومه : « ذاك أكثرتم ذكر هذا العبد ؛ وددت أنى لقيته خاليا حتى يعلم أنه عبد ؛ وبعده :

مَسَى مَا تَلَقَّنِي قَرْدَيْنِ تَرَجُفُ رَوَافِ أَلْيَتِكَ وَتُسْتَطَارَا

والرواف أعلى الأليتين ؛ والبيتان من قطعة فى (حاشية ابن الجرى : ٨ ، واللال ٤٨٣ ، والخزانة

يَشِيْبَان ، وَالدَّرَى وَالدَّرْوَةُ^(١) الشَّيْبُ ، قَالَ : وَهَذَا أَصْلُ الْحَرْفِ ، ثُمَّ اسْتَعْبِرَ لِلْمُنْكَبِنِ ،
وَالْأَلْيَتَيْنِ ، وَالطَّرْفَيْنِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، قَالَ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِذٍ الْهَذَلِيُّ بِذِكْرِ قَوْسًا :

عَلَى عَجَسٍ هَتَّافَةٍ الْمَذْرُوءِ سَنَ زَوْرَاءَ مُضْجَعَةٍ فِي الشَّمَالِ^(٢)

أَرَادَ قَوْسًا يَنْبِضُ^(٣) طَرَفَاهَا . قَالَ : فَلَا مَعْنَى لَوْصَفِ الرَّجُلِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْحَسَنُ بِأَنَّهُ

يَحْرُكُ أَلْيَتَيْهِ ؛ وَلَا مِنْ شَأْنٍ مِنْ يَبْذُخُ^(٤) وَبَقِيَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَقُولُ : هَذَا فَاغْرَفُونِي أَنْ يَحْرُكَ
أَلْيَتَيْهِ ؛ وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنَّهُ يَضْرِبُ عِطْفَيْهِ ، وَهَذَا مِمَّا يَوْصَفُ بِهِ الرِّيحُ الْمُخْتَالُ ، وَبِمَا قَالُوا : جَاءَنَا
يَنْفُضُ مَذْرُوءِيهِ ، إِذَا تَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ ، لِأَنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ وَحَرَّكَ رَأْسَهُ نَفَضَ قُرُونَهُ فَوَدَّيَهُ ، وَهِيَ
مِذْرَوَاهُ .

قَالَ سَيِّدُنَا الشَّرِيفُ الْأَجَلُ الْمُرْتَضَى أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ : لَيْسَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ بِيَمِيدٍ ،

لِأَنَّهُ مِنْ شَأْنِ الْمُخْتَالِ الَّذِي يُزْهِمُ بِنَفْسِهِ أَنْ يَهْتَزَّ وَيَتَشَتَّى ، فَتَتَحَرَّكُ أَعْطَافُهُ وَأَعْضَاؤُهُ ؛ وَمِذْرَوَاهُ ١٠
مِنْ جِلَّةٍ مَا يَهْتَزُّ وَيَتَحَرَّكُ ، لِأَنَّهُمَا بَارِزَانِ مِنْ جِسْمِهِ ، فَيُظْهِرُ فِيهِمَا الْاهْتِرَازَ ، وَإِنَّمَا خُصَّ
الْمِذْرَوَانِ^(٥) بِالذِّكْرِ مَعَ أَنْ غَيْرَهُمَا يَتَحَرَّكُ أَيْضًا ، عَلَى طَرِيقِ التَّقْبِيحِ عَلَى هَذَا الْمُخْتَالِ وَالتَّهْجِينِ
لِفَعْلِهِ . وَقَوْلُ ابْنِ قَتِيْبَةَ لَيْسَ مِنْ شَأْنٍ مَنْ يَبْذُخُ أَنْ يَحْرُكَ أَلْيَتَيْهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، لِأَنَّ الْأَغْلَبَ
مِنْ شَأْنِ الْمُخْتَالِ الْبِذَاحُ الْاهْتِرَازُ وَتَحْرِيكُ الْأَعْطَافِ ؛ عَلَى أَنَّ هَذَا يُلْزِمُهُ فِيمَا قَالَهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ

(١) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : الْعَجَبُ مِنْ ابْنِ قَتِيْبَةَ كَيْفَ خَلَطَ الْمَهْمُوزَ بِالْمَعْتَلِ ، وَإِنَّمَا هُوَ الدَّرَاءُ
بِالْهَمْزِ شَيْبُ مَقْدَمِ الرَّأْسِ ، وَقَدْ ذَرَى بِذَرَاءٍ ، وَرَجُلٌ أَذْرَأُ وَامْرَأَةٌ ذَرَاءٌ ؛ وَهِيَ الذَّرْمَةُ ، وَأَنْجَبَ مِنْ ذَلِكَ
أَنَّهُ ذَكَرَهُ فِي إِصْلَاحِ غَلَطِ أَبِي عُبَيْدٍ . وَفِي حَاشِيَةِ فٍ أَيْضًا : الدَّرَاءُ : هُوَ شَيْبُ مَقْدَمِ الرَّأْسِ ؛ وَهُوَ
مَهْمُوزٌ لَا غَيْرَ ، وَأَصْلُ الْمَذْرُوءِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرُو الرِّيحِ ، وَقَدْ صَحَّ أَنَّهُ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الشَّيْبِ كَانَ
ذَرَاءً ، مَهْمُوزًا ، فَلَوْ كَانَ مِنَ الذَّرْمَةِ الَّتِي هِيَ الشَّيْبُ لَسَكَانَ مَذْرَأَيْنِ .

(٢) دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ ٢ : ١٨٥ . وَالْعَجَسُ : مَقْبِضُ الْقَوْسِ ، وَهَتَّافَةُ الْمَذْرُوءِ ؛ أَيْ لَطَارِفُهَا صَوْتٌ

نَبِضٌ ، وَزَوْرَاءُ : مَوْجَةٌ .

(٣) الْإِنْبَاسُ : التَّصْوِيتُ .

(٤) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ لِسَخَةٍ) : يَبْذُخُ .

(٥) ش : خُصَّ الْمَذْرُوءَيْنِ .

من شأن كل متوعد أن يحرك رأسه ، وينفض مذكرويه ؛ فإذا قال : إن ذلك في الأكثر قبل له مثله .

وكان الحسن يقول : « يا ابن آدم ، جمعاً جمعاً ، سرطاً سرطاً^(١) ، جمعاً في وعاء ، وشداً في وكاء ، وركوب الذئول ، وأبس اللين ؛ حتى قبل مات ، فأفضى والله إلى الآخرة ، فطال حسابه » .

وكان يقول : « مسكين^(٢) ابن آدم ، مكتوم الأجل ، مكنون العيال ؛ أسير جوع ، صريع شبع ، إن من تؤلمه البقة ، وتقتله الشرقة ، لبأدى الضعف ، فريسة الخنف » .
وكان يقول : « ما أطال أحد الأمل ، إلا أساء العمل » .

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز : « أما بعد ، فإن طول البقاء إلى فناء ، نخذ من فنائك الذي لا يبقى ، لبنائك الذي لا يفنى ، والسلام » .

وكان يقول : « إذا رأيت رجلاً ينافس في الدنيا فنافس في الآخرة » . وسأله رجل : ما حالك ؟ فقال : بأشد حال ، ما حال من أصبح وأمسى ينتظر الموت ، ولا يدري ما يفعل الله به !! .

[٥٠] / وكان يقول : « يا ابن آدم ، بسطت لك صحيفة ، ووكل بك ملكان كريمان ، يكتبان عملك ١٥ فأمل ما شئت ، وأكثر وأقل » . وفي خبر آخر : « ووكل بك ملكان كريمان ، ريقك مدادهما ، ولسانك قلمهما » .

روى أبو بكر الهذلي قال : لما وفد^(٣) عمر بن هبيرة والياً على العراق نزل واسطاً ، فبعث

(١) السرط : الباع .

(٢) حواشي الأصل ، ت . ف : يجوز : « مسكين ابن آدم » ، ويكون قد حذف التنوين لانهاء الساكنين ؛ من باب قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ ، وقول الشاعر :

عمرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ورجالُ مَكَّةَ مَسْنِتُونَ عِجَافُ

(٣) من نسخة بحاشي الأصل ، ت : « قدم » .

إلى الشعبي وإلى الحسن البصري ، فقال لهما : إن يزيد بن عبد الملك عهداً أخذ الله ميثاقه ، وانتجبه خلافته ، وقد أخذ بنواصينا ، وأعطيناه عهدونا ومواريقنا وصفقة أيدينا ، فوجب علينا السمع والطاعة ، وإنه بعثني إلى عرافكم غير سائل إياه ، إلا أنه لا يزال يبعث إلينا في القوم يقتلهم ، وفي الضياع يقبضها ، أو في الدور يهدمها ، فنوليه من ذلك ما ولّاه الله ، فما تريان ؟
فأما الشعبي فقال قولاً فيه بعض اللين : وأما الحسن فإنه قال له : يا عمر ، إني أنهارك عن
الله أن تتعرض له ، فإن الله مانعك من يزيد ، ولا يمنعك يزيد من الله ؛ إنه يوشك أن ينزل
إليك^(١) ملك من السماء ، فيستترلك من سريرك ، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق
قبرك ؛ ثم لا يوسمه عليك إلا عملك ، إن هذا السلطان إنما جعل ناصراً لدين الله ، فلا تركبوا
دين الله وعباد الله بسلطان الله تذلّونهم به ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق جل وعز .
وذكر عن الشعبي أنه قال : كان والله الحسن أكرمنا عليه .

١٠

وروى أبو بكر بن عياش قال : قال مسلمة بن عبد الملك للحسن : عظمي فقال : إذا
زلت عن المنبر فاعمل بما تكلمت به ، فقال : عظمي ، فقال : أوليت قط ؟ فقال : نعم ، قال :
فما كنت تحب أن يؤتى إليك فإنه إلى من وليته .

وعن ثابت البناني قال : قال رجل للحسن : آخذ عطائي أم أدعه حتى آخذه من حسناتهم

يوم القيامة ؟ فقال له : قم ويحك خذ عطاءك ؛ فإن القوم مغاليس من الحسنات يوم القيامة .

١٥

وولد للحسن غلام ، فهناه بعض أصحابه ، فقال الحسن : « نحمد الله على هيبته ، ونستزیده من
نعمه ، ولا مرحبا بمن إن كنت غنياً أذهلني ، وإن كنت فقيراً أتعبني ؛ لا أرضى بسعيي
له سمياً ، ولا بكدي له في الحياة كدّاً ، أشفق عليه من الناقة بعد وفاتي ، وأنا في حال
لا يصل إلى / من همه حزن ، ولا من فرحه سرور » .

[٥٠]
ظ

وكان الحسن يقول : « لو لم يكن من شؤم الشراب إلا أنه جاء إلى أحب خلق الله إلى الله
فأفسده ، لكان ينبغي للعاقل أن يتركه » - يعني العقل .

وعزى جارا له يهودياً فقال : « جزاك الله عن مصيبتك بأعظم ما جازى به أحدا من أهل مِلَّتِكَ » . وهذا تخاؤص منه مليس ، لأنه لم يدع له بالثواب الذى لا يستحقه الكفار ، وأراد بالجزاء العوض الذى يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب .

وكان الحسن يقول : « ليس للفاسق العِلْمُ بالفسق غيبة ، ولا لأهل الأهواء والبدع غيبة ، ولا للسلطان الجائر غيبة » .

وقال فى قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ قال العلم ، ﴿ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ ؛ [البقرة : ٢٠١] قال : الجنة .

وخرج الحسن فى جنازة معها نوائح ، فقال له رجل : أما ترى يا أباسعيد هذا ؟ وهم الرجل بالرجوع ، فقال له الحسن : إن كنت كلما رأيت قبيحاً تركت له حسناً أسرع ذلك فى دينك .
١٠ وذكر عند الدنيا فقال :

أحلامٌ نومٍ أو كِظْلٍ زائلٍ إِنَّ اللَّيْبَ يَمثلُهَا لَا يُخَدَعُ
وكان يتمثل :

اليومَ عِنْدَكَ دَلُّهَا وَحَدِيثُهَا وَغَدًا لَغَيْرِكَ كَفُّهَا وَالْمِعْصَمُ^(١)

وعن أبى عبيدة قال : لما فرغ الحجاج من خضراء^(٢) واسط نادى فى الناس أن يخرجوا
١٥ فيدعوا له بالبركة ، فخرج الناس ، وخرج الحسن ، فاجتمع عليه الناس ، فخاف أهل الشام على نفسه أن يقتلوه ، فرجع وهو يقول : قد نظرنا يا أخبت الأخبثين ، وأفسق الفاسقين ،

(١) حاشية ب : « قبله :

لَا تَأْمَنُ أَثَى حَيَاتِكَ وَاعْلَمْنِ أَنْ النِّسَاءَ وَمَا لهنَّ مُقَسَّمُ

وبعده :

كالبيت يُصْبِحُ خَالِيًا مِنْ أَهْلِهِ وَيَحُلُّ بَعْدَكَ فِيهِ مَنْ لَا تَعْلَمُ

(٢) حاشية الأمل : « خضراء واسط : بنية كان ابتناها الحجاج » ، وفى م : « قصر واسط » .

فأما أهل السماء فقتلوك ، وأما أهل الأرض ففروا ، ثم قال : أَيْ اللهُ تعالى للميثاق الذي أخذته على أهل العلم كَيْبِيئَةً للناس ولا يكتمونه . ثم انصرف وبلغ الحجاج ذلك فقال : يا أهل الشام وهم حوله : آله (١) لِيَقُومَنَّ (٢) غَيْبٌ من عبيد أهل البصرة ، ويتكلم في بما يتكلم ، ولا يكون عند أحد منكم تغيير ولا نكير ! قالوا : وَمَنْ ذاك أصاحك الله ! اسقنا دمه ، فقال : على به ، وأمر بالنطع والسيف فأحضرا ، ووجه إليه ، فلما دنا الحسن من الباب ، هـ حرك شفتيه والحاجب ينظر إليه ، فلما دخل قال له الحجاج : هاهنا ، وأجلسه قريبا من فرشه ، وقال له : ما تقول في علي وعثمان ؟ قال : أقول قول مَنْ هو خير مني عند مَنْ هو شرٌّ منك ، قال موسى عليه السلام لفرعون إذ قال له : ﴿ مَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى . قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَحِلُّ رَّبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [ص : ٥١ - ٥٢] ؛ عَلِمُ علي وعثمان عند الله تعالى ، فقال له الحجاج : أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ، ثم دعا بغالية فغلب بها لحيته ، فلما خرج ١٠ الحسن أتبعه الحاجب ، فقال : يا أبا سعيد ، لقد دعاك لغير ما فعل بك ، ولقد أحضر السيف والنطع ، فلما أقبلت رأيتك قد حركت شفتيك بشيء ، فما قلت ؟ قال : قلت يا مُعَدَّتِي عند كُرْبَتِي ، ويا صاحبي عند شِدَّتِي ، ويا وليَّ نِعْمَتِي ، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب أرزقني مودته ، واصرف عني أذاه ومعرته ؛ ففعل ربي عز وجل ذلك .

١٥

وكان الحسن يقول : ما زال النفاق مقموعا حتى نَعَمَ هذا عمامة ؛ وَقُلْدَ سيفًا .
- يعني الحجاج .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : هـ هم كثيرا ما يتصرفون في القسم ؛ وذلك لكثرة تردده في كلامهم فتارة يحذفون الفعل ، كقولك بالله ، وأخرى يحذفون خبر المبتدأ ، كقولك لعمرى ، وتارة يحذفون حرف القسم من غير عوض ، كقولك : الله لأفعلن ؛ بالنصب ، والله لأفعلن بالجر ، وتارة يحذف الحرف عن عوض ، كقولك آله ، وعالله .

(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : هـ لا بد من النون في صحبة اللام في جواب القسم ؛ وحذفها ضيف ؛ ومع ضعفه جائز ؛ كقولك : والله ليقوم زيد ، والفصيح بالنون ؛ وإنما تحرى ذلك فيه لأن الغرض بالقسم التوكيد ؛ فينبى أن يكون مؤكدا .

وروى أبو بكر الهذلي أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، إن الشيعة تزعم أنك تبغض علياً عليه السلام، فأكتب ليكي طويلاً، ثم رفع رأسه فقال: لقد فارقكم بالأمس رجل كان سهماً من مراي ربنا عز وجل على عدوه، رباني هذه الأمة، ذو شرفها وفضلها، وذو قرابة من النبي صلى الله عليه وآله قريبة، لم يكن بالنومة عن أمر الله، ولا بالناقل عن حق الله، ولا بالسروقة من مال الله، أعطى القرآن عزاءه فيما له وعليه، فأشرف منها على رياض موقنة، وأعلام بينة، ذلك ابن أبي طالب يا كعم! وكان الحسن إذا أراد أن يحدث في زمن بني أمية عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال أبو زينب.

وشهد الحسن جنازة فقال: إن أمراً هذا^(١) آخره لينبئني أن يزهد فيه، وإن أمراً هذا أوله لينبئني أن يحذر منه^(٢). وعن حميد الطويل قال: خطب رجل إلى الحسن ابنته، وكنت السفير بينهما - فرضيه، وأراد أن يزوجه فأنبت عليه ذات يوم وقلت: وأزيدك يا أبا سعيد، إن له خمسين ألفاً، قال: أقلت له خمسون ألفاً! ما اجتمعت من حلال - قلت: يا أبا سعيد، إنه والله ما علمت لو رع مسلم، فقال: إن كان جمعها من حلال، لقد ضن بها عن حق! لا يجري بيني وبينه صهر أبداً.

وقيل لعل بن الحسين عليهما السلام: قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك كيف هلك، وإنما العجب ممن نجا كيف نجا! فقال عليه السلام: أنا أقول: ليس العجب ممن نجا كيف نجا؛ إنما العجب ممن هلك كيف هلك مع سعة رحمة الله!

وأتى عليه السلام يوماً الحسن البصري وهو يقص عند الجيحر فقال: أترضى يا حسن نفسك للموت؟ قال: لا، قال: فعملك للحساب؟ قال: لا؛ قال: فم دار للعمل غير هذه الدار؟ قال: لا، قال: فله في أرضه معاذ غير هذا البيت؟ قال: لا، قال: فلم تشغل الناس عن التطواف^(٣).

(١-١) م: «إن أمراً هذا أوله لينبئني أن يحذر منه»، وإن أمراً هذا آخره لينبئني أن يزهد فيه. «
(٢) كذا في الأصل، ت، ج، ش، ف، وفي نسخة بخطي ت، ف: «الطواف».
وكانت وفاة الحسن البصري سنة ١١٠ هـ (وانظر ترجمته في ابن خلكان ١: ١٢٨-١٢٩).

مَجْلِسُ آخِر

وَمَنْ تَظَاهَرَ بِالْعَدْلِ وَاشْتَهَرَ بِهِ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءِ الْغَزَّالِ ، وَيَكْنَى أبا حُذَيْفَةَ ، وَقِيلَ :
إِنَّهُ مَوْلَى بَنِي ضَبَّةَ ، وَقِيلَ : مَوْلَى بَنِي مَخْزُومَ ، وَقِيلَ : مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ .

وَرَوَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ غَزَّالًا ، وَإِنَّمَا لَقَّبَ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَكْثُرُ الْجُلُوسَ فِي الْغَزَّالِينَ ،
وَقِيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ فِي الْغَزَّالِينَ عِنْدَ رَضِيعٍ لَهُ يَعْرِفُ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْغَزَّالِ . وَذَكَرَ الْمُبَرِّدُ :
أَنَّ^(١) وَاصِلًا كَانَ يَلْزِمُ الْغَزَّالِينَ ، لِيَعْرِفَ التَّعَفُّفَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، فَيَصْرِفَ صَدَقَتَهُ إِلَيْهِنَّ^(٢) ،
وَلَقَّبَ بِذَلِكَ كَمَا لَقَّبَ أَبُو سُلَيْمَةَ حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ بِالْخَلَّالِ ، وَهُوَ وَزِيرُ أَبِي الْعَبَّاسِ^(٣) السَّفَّاحِ ،
وَلَمْ يَكُنْ خَلَّالًا ، وَإِنَّمَا كَانَ مَنَازِلَهُ بِالْكُوفَةِ بِقَرَبِ الْخَلَّالِينَ ، وَكَانَ يَجْلِسُ عِنْدَهُمْ فَسَمِيَ خَلَّالًا ،
وَمِثْلُهُ أَبُو عَلِيٍّ الْحَرَمَازِيُّ^(٤) ، وَهُوَ مَوْلَى لَبْنَى هَاشِمٍ ، وَإِنَّمَا لَقَّبَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ فِي
بَنِي الْحَرَمَازِ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ الْخُوَزِيِّ ، وَلَيْسَ بِخُوَزِيٍّ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَنْزِلُ^(٥) بِمَكَّةَ
بِشُعْبِ الْخُوَزِ ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْقَبْرِيُّ ، لِأَنَّهُ نَزَلَ^(٦) الْقَابِرَ .

١٠

وَكَانَ وَاصِلٌ أَتَمَّ فِي الرَّأْيِ ، قَبِيحُ اللَّشَعَةِ ؛^(٧) فَكَانَ يَخْلُصُ مِنْ كَلَامِهِ الرَّأْيَ^(٨) ، يَمْدِلُ
عَنْهَا فِي سَائِرِ مَحَاوِرَاتِهِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ بَشَارِ بْنِ بَرْدٍ^(٩) .

(١) انظر السكامل بشرح المرفعي ٧ : ١١٤ . (٢) في السكامل : « فيجعل صدقه لمن » .

(٣) حواشي الأصول ، ت ، ف : « أبو سُلَيْمَةَ حَفْصُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْخَلَّالُ هُوَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ :

إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ أَوْدَى فَمَنْ يَشْنَأَكَ كَانَ وَزِيرًا

إِنَّ السَّلَامَةَ قَدْ تَبَيَّنُ وَرَبَّمَا كَانَ الْمُرُورُ بِمَا كَرِهَتْ جَدِيرًا

وَكَانَ يَمِيلُ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . » وانظر أخباره في المعري : ١٢٣ .

(٤) هُوَ أَبُو عَلِيٍّ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَرَمَازِيُّ ؛ أَعْرَابِيٌّ رَاوِيٌّ ، وَكَانَ أَيْضًا شَاعِرًا ، وَالْحَرَمَازُ : أَبُو حَيٍّ

مِنْ تَمِّمْ ؛ وَهُوَ الْحَارِثُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ تَمِّمْ ؛ (وانظر الفهرست : ٤٨) .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « ينزله » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « ينزل بالمعابر » .

(٧-٨) حاشية ت (من نسخة) : « فكان يخلص من كلامه من الرأي » .

(٩) انظر من ١٣٩-١٤٠ من هذا الجزء .

وذكر أبو الحسن البرذعي التكلم أن إنساناً سأل عمرو بن عُبيد أو غيره عن شيء في القدر بحضرة واصل بن عطاء ، فتكلم السائل بشيء أغضب عمرًا ، فأجابه عمرو بجواب لم يرضه واصل ، فقال له واصل : إياك وأجوبة الغضب فإنها مندمة ، والشيطان يكون معها ، [٥٢] وله في تضاعيفها همزة (١) ، وقد أوجب الله جلّ وعزّ على نبيه / عليه السلام أن يستعبد من همزات الشيطان ، وأن يكونوا معه بقوله : ﴿ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ ؛ [المؤمنون : ٩٧] ؛ إلى خاتمة الآية ، (٢) «وقلما شاهدتُ أحدًا أجاب فتثبت في جوابه» (٣) ، «وما يُطلق به لسانه» (٤) فلحقه لوم .

قال البرذعي : انظر إلى واصل كيف كلم عمرًا ، فأخرج الرأى من كلامه ، فقال في موضع « والشيطان يحضرها » : « يكون معها » . وقال : « قد أوجب الله على نبيه » ، ولم يقل : « أمره » . وقال : « وأن يكونوا معه » بدلًا من قوله . « ويحضره » ثم قال : « إلى خاتمة الآية » ولم يقل : « إلى آخر الآية » .

قال سيدنا الشريف المرتضى أيده الله : ومما لم يذكره البرذعي أنه عدل عن افتتاح الآية من أجل الرأى أيضًا ، لأن أولها : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴾ ؛ ولولا قصده إلى المدول لكان ذكرها واجبًا من ابتدائها (٥) ؛ لاسيما وفي ابتدائها تعليم وتوقيف على كيفية ١٥ دوائه والاستعاذة به .

وقيل إن رجلا قال له : كيف تقول أسرج الفرس ؟ قال : ألبس الجواد . وقال له آخر : كيف تقول : ركب فرسه ، وجرّ رمح ، قال : استوى على جواده ، وسحب عامله .

وذكر أبو الحسين الخياط أن واصلًا كان من أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وآله ، ٢٠ ومولده سنة ثمانين ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « همز الشيطان وسوسته وغلبته على العقل » .

(٢-٢) نسخة بمحاشية ت : « وقلما شاهدتُ أحدًا أجاب فتثبت في جوابه » .

(٣-٣) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « وما يُطلق به لسانه » .

(٤) ت : « من حيث ابتدأ بها » .

وكان واصل ممن لقي أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وصحبه ، وأخذ عنه ، وقال قوم : إنه لقي أباه محمداً عليه السلام ، وذلك غلط ؛ لأن محمداً توفي سنة ثمانين أو إحدى وثمانين ، وواصل ولد في سنة ثمانين .

وواصل هو أول من أظهر المنزلة بين المنزلتين ؛ لأن الناس كانوا في أسماء أهل الكبار من أهل الصلاة على أقوال ؛ كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك ، والمرجئة تسميهم بالإيمان ، وكان الحسن وأصحابه يسمونهم بالنفاق ، فأظهر واصل القول بأنهم فساق غير مؤمنين ، ولا كفار ، ولا منافقين .

وكان عمرو بن عبيد من أصحاب الحسن وتلاميذه ، فجموع بينه وبين واصل ليناظره فيما أظهر من القول بالمنزلة بين المنزلتين ، فلما ووقفوا على الاجتماع ذكر أن واصل أقبل ومعه جماعة من أصحابه إلى حقة الحسن ، وفيها عمرو بن عبيد جالس ، فلما نظر إلى واصل ، وكان في عنقه [٥٢] طول واعوجاج قال : أرى عنقاً لا يفليح صاحبها ! فسمع ذلك واصل فلما سلم عليه قال له : يا بن أخي ، إن من عاب الصنعة عاب الصانع ، للتعاق الذي بين الصانع والمصنوع ^(١) ؛ فقال له عمرو بن عبيد : يا أبا حذيفة ، قد وعظت فأحسنت ، ولن أعود إلى مثل الذي كان مني . وجلس واصل في الحلقة ، وسئل أن يكلم عمرأ فقال واصل لعمرو : لِمَ قُتِلَ إِنْ مَنْ أُنِيَ كبيرةً من أهل الصلاة استحق اسم النفاق ؟ فقال عمرو : يقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [النور : ٤] ، ثم قال في موضع آخر : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [التوبة : ٦٧] ، فكان كل فاسق منافقاً ؛ إذ كانت ألف ولام المعرفة موجودتين في الفاسق ؛ فقال له واصل : أليس قد وجدت الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة : ٤٥] ، وأجمع أهل العلم على أن صاحباً

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : بين الصنعة والصانع . ومن نسخة بحاشية ت أيضا :

• بين الصنعة والصانع • .

الكبيرة يستحق اسم ظالم ؛ كما يستحق اسم فاسق ؛ فالأ كُفِّرَتْ صاحب الكبيرة من أهل الصلاة بقول الله تعالى : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٥٤] ، فعرِّفْ بألف ولا م التعريف اللتين في قوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، كما قال في القاذف : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ، فسميته منافقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ ! فأمسك عمرو ، ثم قال له واصل : يا أبا عثمان ؛ أيما أولى أن يُستعمل في أسماء المحدثين من أمتنا؟ ما اتفق عليه أهل الفرق من أهل القبلة ، أو ما اختلف فيه؟ فقال عمرو : بل ما اتفقوا عليه أولى ، فقال له واصل : ألسنت تجدُّ أهل الفرق على اختلافهم يسمون صاحب الكبيرة فاسقاً ، ويختلفون فيما عدا ذلك من أسمائه ؛ لأن الخوارج تسميه مشركاً فاسقاً ، والشيعة تسميه كافر نعمة فاسقاً - قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : يعنى بالشيعة الزيدية^(١) - والحسن يسميه منافقاً فاسقاً ، والمرجئة^(٢) تسميه مؤمناً فاسقاً ؟ فاجتمعوا على تسميته بالفسق ، واختلفوا فيما عدا ذلك من أسمائه ، فالواجب أن يُسمى بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفسق ؛ لاتفاق المختلفين عليه ، ولا يسمى بما عدا ذلك من الأسماء التي اختلف فيها ، فيكون صاحب الكبيرة / فاسقاً ، ولا يقال فيه إنه مؤمن ولا منافق ، ولا مشرك ولا كافر نعمة^(٣) ، فهذا أشبه بأهل الدين .

١٥ فقال له عمرو بن عبيد : ما بيني وبين الحق عداوة ، والقول قولك ، فليشهد على من حضر أني تارك المذهب الذي كنت أذهب إليه ؛ من نفاق صاحب الكبيرة من أهل الصلاة ،

(١) الزيدية : ثلاث فرق ؛ الجارودية والديلمانية ، والإبرية ؛ يجمعها القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ في أيام خروجه في زمان هشام بن عبد الملك ؛ (وانظر الفرق بين الفرق : ١٦ ، والمثل والنحل للشهرستاني ٨٧ ، ومفاتيح العلوم ٢١) .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : المرجئة في القدم غير الذين لا يؤيدون العقاب ؛ بل هم الذين كان يؤخرون علياً عليه السلام عن غيره من الصغابة ؛ والإرجاء : التأخير .

وانظر (الفرق بين الفرق ١٩ ، والمثل والنحل للشهرستاني ٧٨ ، ومفاتيح العلوم ٢٠ ، وكشاف اصطلاحات الفنون ٥٧٨) .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « ولا كافر » .

قائلٌ بقول أبي حذيفة في ذلك ، وأنى قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب . فاستحسن الناس هذا من عمرو .

وقيل إن اسم الاعتزال إنما اختصت به ^(١) هذه الفرقة لاعتزالهم مذهب الحسن بن أبي الحسن في تسمية مُركب الكبيرة من أهل الصلاة بالنفاق ؛ وحكى غير ذلك .

- وقيل إن قتادة بدموت الحسن البصري كان جلس بحجسه ، وكان هو وعمرو بن عبيد • جميعاً رئيسين متقدمين ^(٢) في أصحاب الحسن ، فجرت بينهما نفرة ، فاعتزل عمرو مجلس قتادة ، واجتمع عليه جماعة من أصحاب الحسن ، فكان قتادة إذا جلس بحجسه سأل عن عمرو وأصحابه فيقول : ما فعلت المعتزلة ؟ فسموا بذلك .

- قال سيدنا الشريف المرتضى ذوالمجددين أدام الله علوه : أما ما أئزمه واصل بن عطاء ^(٣) لعمرو بن عبيد أولاً فسيدي لازم ^(٤) ، وأما ما كآمه به ثانياً فنير واجب ولا لازم ؛ لأن الإجماع وإن لم يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق أو غيره من الأسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع أن يسمّى بذلك لدليل غير الإجماع ، ووجود الإجماع في الشيء وإن كان دليلاً على صحته ، فليس فقدّه دليلاً على فساده ؛ وواصل إنما أئزم عمراً أن يدل عن التسمية بالنفاق للاختلاف فيه ، ويقتصر على التسمية بالفسق للاتفاق عليه ، وهذا باطل ، ولو لزم ما ذكره للزيمه أن يقال : قد اتفق أهل الصلاة على استحقاق صاحب الكبيرة من أهل القبلة الذم ^(٥) والعقاب ، ولم يتفقوا على استحقاقه التخليد في العقاب ، أو نقول إنهم اجمعوا على استحقاقه العقاب ، ولم يجمعوا على فعل المستحق به ، فيجب القول بما اتفقوا عليه ، ونفى ما اختلفوا فيه . فإذا قيل استحقاقه ^(٥) للتخلود ، أو فعل المستحق به من العقاب ، وإن لم يجمعوا عليه ،

(١) ت : • إنما اختص • . (٢) حاشية ت (من نسخة) : • مقدمين • .

(٣) من نسخة بحوالى الأصل ، ت : ف : • عمرو بن عبيد • .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : • واجب • .

(٥) حاشية ت ١ (من نسخة) : • استحقاق التخلود • .

[٥٣] فقد علم بدليل غير الإجماع؛ قيل له مثل ذلك فيما عول عليه ، وبطل على كل حال أن يكون الاختلاف في القول دليلاً على وجوب الامتناع منه ، وهذا يستقضى بمسائل كثيرة ذكرها يطول .

على أن المقدمة التي قدمها لا تشبه ما ألزم عليها ، لأن الإجماع أولى من الاختلاف فيما يتعارض ويتقابل ، والإجماع والاختلاف في الموضع الذي كلم عليه واصل عمرًا في مكانين ؛ لأن الإجماع هو على تسميته بالقسق ، والاختلاف هو في تسميته بما عداه من الأسماء ، فلا تعارض بينهما ؛ وله أن يأخذ بالإجماع في موضعه ، ويعول فيما الاختلاف فيه على دلالة غير الإجماع ، لأن فقد الإجماع من القول لا يوجب بطلانه .

وحكى أن واصلًا كان يقول : أراد الله من العباد أن يعرفوه ثم يعملوا ، ثم يعلموا ، قال الله تعالى : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾ ، فعرفه نفسه ، ثم قال : ﴿ اخْلُغْ ثَمَلِيكَ ﴾ ؛ [منه : ١٢] ، فبعد أن عرفه نفسه أمره بالعمل . قال : والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ — يعني صدقوا — ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ . وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ . ﴾ علموا وعملوا وعلموا .

وروى المبرّد قال : حدثت أن واصل بن عطاء أقبل في رُفْقَةٍ فَأَحْسَوْا بِالْخَوَارِجِ ، وكانوا قد أشرفوا على العطب ، فقال واصل لأهل الرُفْقَةِ : إنَّ هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم ، فقالوا : شأنك ، فقال الخوارج له : ما أنت وأصحابك ؟ قال : مشركون مستجبرون ليسمعوا كلام الله ، وقيموا حدوده ، فقالوا : قد أجرناكم ؛ قال : فعلمونا أحكامه ، فاجعلوا يعلمونه أحكامهم ، وجعل يقول : قد قبلت أنا ومن معي ، قالوا : فامضوا مصاحبين فإنكم إخواننا ؛ قال لهم : ليس ذلك لكم ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ ؛ [انبوبة : ١] ، فأبلغونا مأمننا ، فساروا بأجمعهم حتى بلغوا الأمان ^(١) .

وحكى أن محمداً وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا تمتن دعاهما^(١) واصل إلى القول بالعدل ، فاستجابا له ، وذلك لما حجَّ واصل ، ودعا الناس بمكة والمدينة^(٢) .

وحكى أبو القاسم الباخي أن عبد الله قال لابنه محمد : كلَّ خصالك محموداً بانيء إلا قولك بالقدر ، قال : يا أبة ، أفنسى ؟ أقدر على تركه / ^(٣) «أولا أقدر على تركه» ؟ فورد الكلام على رجل [٥٤] عاقل فقال : لا عانتك عليه أبداً . قال أبو القاسم : يقول إن كنت أقدر على تركه فهو قولي ، وإن كنت لا أقدر فلم تُعانتني على شيء ، لا أقدر عليه .

فأما عمرو بن عبيد فيكنى أبا عثمان ، مولى لبني العدوية ، من بني تميم ، قال الجاحظ : هو عمرو بن عبيد بن باب . وباب نفسه من سبى كابل ؛ من سبى عبد الرحمن بن سمرة ، وكان باب مولى لبني العدوية قال : وكان أبوه عبيد شرطياً ، وكان عمرو مترهداً ، فكانا إذا اجتازا معاً على الناس قالوا : هذا شرُّ الناس أبو خير الناس ، فيقول عبيد : صدقتم ؟ هذا إبراهيم ، وأنا تارخ .

قال علي بن الجعد : وهو عبيد بن باب ، وكان يواها للحسك بن أيوب ، قال : وكان باب مكارياً ، له دكان معروف يقال له دكان باب ، وكان فارسياً ، وللغزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره لشهرته وفحش فيه .

وذكر أبو الحسين الخطاط أن مولد عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء جميعاً في سنة ثمانين ، ١٥ قال : ومات عمرو بن عبيد في سنة مائة وأربع وأربعين ؛ وهو ابن أربع وستين سنة .

روى أن عمراً استأذن على المنصور ، فدخل عليه الربيع^(٤) فقال له : بالباب رجل

(١) حاشية ت (من نسخة) : « تمتن دعاهم » .

(٢) وانظر ترجمة واصل في (معجم الأدباء ١٩ : ٢٤٦-٢٤٧ ، وابن خلكان ٣ : ١٧٠ ،

وفوات الوفيات ٣ : ٣٩٥-٣٩٦ ، ولبيان الميزان ٦ : ٢١٤-٢١٥ ، وعيون التواريخ وشذرات الذهب - وفيات سنة ١٤١) . (٣-٣) ساقط من م .

(٤) هو الربيع بن يونس بن محمد ، حاجب أبي جعفر المنصور ، ووزيره بعد أبي أيوب المدرياني .

توفي سنة ١٧٠ ، (وانظر ترجمته وأخباره في ابن خلكان ١ : ١٨٥-١٨٦) .

قال: إني عمرو بن عبيد، وكانت على المنصور جبة يمانية مخمقة^(١)؛ فقال: ويلك يا ربيع! عمرو بالباب؟ قال: نعم، قال: هات لي قيصاً أبيض، فأناه به، فألقاه عليه، ثم قال: دُر من خلقي؛ فقط الجبة وازرُرْ على قال الربيع: ولم أكن أرى أحداً يوقرُه المنصور حتى رأيت عمرو بن عبيد. فدخل عليه رجل آدمٌ مربوع الكدنة^(٢)، بين عينيه أثر السجود، حسن الأدب، حسن اللسان؛ كأنه لم يزل مع الملوك في توقيره للخليفة، وإعظامه إياه، قال: فسلم، فاجتذبه المنصور ليجلس معه فأبى، وطرح نفسه بين يديه، فسأله واحتفى^(٣) به، فلما أراد عمرو القيام قال له: عِثْنِي يا أبا عثمان وأوجز، قال له: إن ما في يدك لست بوارثه عن أحد، وإنما هو شئ، صار إليك، وقد كان في يد غيرك قبلك، ولو دام لك لبقى في يد الأول، والسلام. وروى الأصمعي قال: قال مطر الوراق لعمر بن عبيد: إني لأرحمك مما يقول الناس فيك، فقال عمرو: أسمعني^(٤) أقول فيهم شيئاً؟ قال: لا، قال: فإياهم فارحم!

[٥٤] / وقال خالد بن صفوان لعمر بن عبيد: لم لا تأخذ مني فتقضي ديننا إن كان عليك، وتصل رحمتك؟ فقال له عمرو: أما دين فليس علي، وأما صلةٌ رَحِمِي فلا يجب علي، وليس عندي. قال: فما يمنعك أن تأخذ مني؟ قال: يمنعني أنه لم يأخذ أحدٌ من أحد شيئاً إلاً ذلَّ له، وأنا والله أكره أن أذلَّ لك.

ويقال إن ابن لحيمة أتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام، فسلم عليه، وجلس إليه، وقال له يا أبا عثمان ما تقول في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَأَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]؟ فقال: ذلك في محبة القلوب التي لا يستطيعها العبد ولم يكلفها^(٥)، فأما المدل بينهن في القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو مطبق لذلك، وقد كافه بقوله

(١) حاشية الأصل: «مخمقة»، يعني أن نسبها إلى اليمن صحيحة. وفي م: «مخمقة».

(٢) الكدنة: غلظ اللحم على الجسم.

(٣) حاشية ت (من نسخة): «وأحى به».

(٤) ت: «أسمعني». (٥) ت: «ولا تكلفها».

تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ فيما تطبقون ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَانَقَةِ﴾ ؛ بمنزلة مَنْ ليست
أيمًا ، ولا ذات زوج . فقال ابن كهيعة: هذا والله هو الحق .

ويقال إن عمرو بن عبيد أتى يونس بن عبيد يمزّيه عن ابن له ، فقال له : إن أباك كان
أصلك ، وإن ابنتك كان فرعك ، وإن امرأ ذهب أصله وفرعه لحرى أن يقلّ بقاؤه . وقيل
إن عبد الله بن عبد الأعلى أخذ هذا المعنى فقال :

صَحْبَتُكَ قَبْلَ الرُّوحِ إِذَا أَنَا نُطْفَةٌ تُصَانُ فَمَا يَبْدُو لَعَيْنٍ مَصُونُهَا
أَرَى الْمَرْءَ دَيْنًا لِلْمَخَايَا وَمَالَهَا مِطَالٌ إِذَا حَلَّتْ بِنَفْسٍ دُيُونُهَا
فَإِذَا بَقَاءُ الْفَرَعِ مِنْ بَعْدِ أَصْلِهِ سَتَأْتِي الَّذِي لَأَقَى الْأُصُولَ غُصُونُهَا
وأول من سبق إلى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله :

فَبَعْضَ الْأَوَّامِ عَاذَلْتِي فَأَنِي سَتَغْنِيَنِي التَّجَارِبُ وَانْتِسَابِي^(١)
إِلَى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجْتِ عُرُوقِي وَهَذَا الْمَوْتُ يَسْلُبُنِي شَبَابِي
وأخذ ذلك لبيد في قوله :

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَصْدُقْكَ نَفْسُكَ فَاتَّسِبْ لَمَلِكَ تَهْدِيكَ الْقُرُونُ الْأَوَائِلُ^(٢)
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ وَالِدَا وَدُونَ مَعِدٍ فَلِزَعِكَ الْعَوَائِلُ^(٣)
/ وأخذه أيضًا في قوله :

نَوَدُّ ابْنَتَايَ أَنْ يَعْيشَ أَبُوهُمَا وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رَابِعَةِ أَوْ مَضْرَأِ^(٤)
ونظر إليه محمود الوارق وإبراهيم بن العباس الصولي ؛ أما محمود ففي قوله :
إِذَا مَا اتَّسَبَتْ إِلَى آدَمِ فَأَمْ يَكُ يَتَنَكُّمَا مِنْ أَبِ
وَجَارَتْ سِنُوكُ بِكَ الْأَرْبَعِينَ وَصِرْتَ إِلَى الْجَانِبِ الْأَجْنَبِ

(١) ديوانه : ١٣٣ . (٢) ديوانه : ٨٨ .

(٣) حاشية الأصل : . وجد بخط ابن السكيت رحمه الله : فلتزعك ، ولتزعك (بضم الزاي في الثانية
وفتحها في الأولى) ؛ وهو من زاع يزوع بمعنى وزع ، وفتزعك من الروع ، ووزع من السكف .

(٤) ديوانه : ١ : ٢٨ .

وَدَبَ الْبَيَاضُ خِلَالَ السَّوَادِ فَأَصْبَحَتْ فِي شَيْءٍ الْأَنْهَبِ
وَكَيْفَ تُوْمَلُ طُولَ الْحَيَاةِ إِذَا كَانَ حِلْمُكَ لَمْ يَعْزُبِ
وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فِي قَوْلِهِ :

نَعَى نَفْسِي إِلَى أَبِي وَخَبَّرَ أَيْنَ مُنْقَلَبِي ^(١)
لَمَوْعِظَةٍ رَأَاهَا فِي أَبِيهِ كَمَا رَأَيْتُ أَبِي

وَكُنْ أَبَا نَوَاسٍ لِحَظِ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَابْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي الْهَالِكِينَ عَرِيقُ ^(٢)
إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

مَجْلِسُ آخِر

قال: رَوَى أَن عُمَرُو بْن عُبَيْدٍ دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَقَالَ لَهُ :
 إِنَّ اللَّهَ تَعَبَّدَكَ فِي حَالِ الصِّحَّةِ بِالْعَمَلِ بِجَوَارِحِكَ وَقَلْبِكَ ، وَوَضَعَ عَنْكَ فِي هَذِهِ الْحَالِ عَمَلَ
 الْجَوَارِحِ ، وَلَمْ يَكْلَفْكَ إِلَّا الْعَمَلَ بِقَلْبِكَ ، فَأَعْطَاهُ بِقَلْبِكَ مَا يَحِبُّ لَهُ عَلَيْكَ .
 وَرَوَى أَن قَوْمًا اجْتَمَعُوا إِلَى عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ ، فَتَذَاكَرُوا السَّخَاءَ فَأَكْثَرُوا فِي وَصْفِهِ ،
 وَعَمَرُو سَاكِتًا ، فَسَأَلُوهُ عَمَّا عِنْدَهُ فَقَالَ : مَا أَصْبَحْتُ صَفْتَهُ ؛ إِنَّ السَّخِيَّ مَنْ جَادَ بِمَالِهِ تَبَرُّعًا ،
 وَكَفَّ عَنْ أُمُوالِ النَّاسِ تَوَرُّعًا .

وَذَكَرَ إِسْحَاقُ بْنُ الْفَضْلِ الْهَاشِمِيُّ قَالَ : إِنِّي لَمَلَيْ بَابَ النَّصُورِ يَوْمًا ، وَإِلَى جَنْبِي
 عُمارَةُ^(١) بْنُ حَمْزَةَ ، إِذْ طَلَعَ عَمَرُو بْنُ عُبَيْدٍ عَلَى حِمَارٍ ، فَنَزَلَ عَنْ حِمَارِهِ ، ثُمَّ دَفَعَ^(٢) الْبِساطَ
 بِرِجْلِهِ وَجَلَسَ دُونَهُ ، فَالْتَفَتَ إِلَى عُمارَةَ فَقَالَ : لَا تَزَالُ / بَصُرْتَ كُمْ تَرْمِينَا مِنْهَا بِأَحَقِّ ؛ [٥٦]
 فَمَا فَصَّلَ كَلَامَهُ مِنْ فِيهِ حَتَّى خَرَجَ الرَّبِيعُ وَهُوَ يَقُولُ : أَبُو عُمَانَ عَمَرُو بْنُ عُبَيْدٍ ! قَالَ : ١٠
 فَوَاللَّهِ مَا دَلَّ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى أُرْسِدَ إِلَيْهِ ، فَأَتَكَأَهُ^(٣) يَدَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أُجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 جُعِلَتْ فِدَاكَ ! فَمَرَّ مَتَوَكَّنًا^(٤) عَلَيْهِ ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى عُمارَةَ فَقَالَ : إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي اسْتَحْمَقَتْ^(٥)

(١) هو عمارَةُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ مَيْمُونٍ ، مِنْ وَلَدِ عَكْرَمَةَ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ؛ أَحَدُ الْكُتَّابِ
 الْبُلْغَاءِ ، وَكَانَ سَخِيًّا جَوَادًا ، وَلَهُ أَخْبَارٌ مَأْثُورَةٌ فِي الْكُرَمِ وَالْجُودِ وَالْتِبَةِ ، قُلْدَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ السَّفَّاحُ ضِياعَ
 آلِ مَرْوَانَ ، وَقُلْدَهُ أَبُو جَعْفَرٍ النَّصُورُ دِيوانَ خِراجِ الْبَصْرَةِ وَنَوَاحِيهَا . (وَانْظُرْ تَرْجَمَتَهُ وَأَخْبَارَهُ فِي كِتَابِ
 الْوُزَرَاءِ وَالْكِتَابِ لِجَهْشِيَارِي : ٩٠ ، ١١٠ ، ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٤٧ ، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ ١٢ : ٢٨٠ - ٢٨٠) .

(٢) ش ، وَحَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : « رَفَعَ » .
 (٣) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « أَتَكَأَهُ يَدَهُ » ؛ كَأَنَّهُ جَعَلَهُ مَتَكَأً عَلَيْهَا ، وَأَصْلُ التَّاءِ فِي هَذِهِ
 الْكَلِمَةِ بِالْوَاوِ ؛ يَقَالُ : أَوْكَأْتُ فَلَانًا إِذَا جَعَلْتُ لَهُ مَتَكَأً .
 (٤) مِنْ نَسْخَةٍ بِحَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « مَتَكَأَهُ » .
 (٥) ف ، وَحَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : « اسْتَحْمَقَتْ » .

قد أدخل وتركنا ، فقال : كثيراً ما يكون ذلك ، فأطال اللبث ، ثم خرج الربيع وهو متوكئ عليه ، والربيع يقول : يا غلام ، حمار أبي عثمان ، فما برح حتى أتى بالحمار ، فأقره على سرجه ؛ وضم إليه نشر^(١) ثوبه ، واستودعه الله .

فأقبل عمارة على الربيع فقال : لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعلتموه بولي عهدكم لقضيتم ذمامه . قال : فما غاب عنك مما فعل به أكثر وأعجب ، قال عمارة : فإن اتسع لك الحديث فحدثنا .

فقال الربيع : ما هو إلا أن سمع الخليفة بمكانه ، فما أمهل حتى أمر بمجلس فقريش لبوداً ، ثم انتقل إليه والمهدي معه عليه سواده وسيفه ؛ ثم أذن له ، فلما دخل عليه سلم بالخلافة ، فرد عليه وما زال يُذنيه حتى أتكأه فخذله وتحفّى به ، ثم سأله عن نفسه وعن عياله ، يُسميهم رجلاً رجلاً ، وامرأة امرأة ، ثم قال : يا أبا عثمان ، عطفنا فقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم^(٢) بسم الله الرحمن الرحيم^(٣) : ﴿ وَالْفَجْرِ . وَلَيَالٍ عَشْرٍ . وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴾ ؛ [الفجر : ١-٣] ، ومرّ فيها إلى آخرها ، وقال : إن ربك يا جعفر بالمرصاد ، قال : فبكى بكاء شديداً ؛ كأنه لم يسمع تلك الآيات إلا تلك الساعة ، ثم قال : زدني ، فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك منه ببعضها ، واعلم أن هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد من كان قبلك ، ثم أفضى إليك ، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك ، وإني أحذرك ليلة تمخض^(٤) صبيحتها عن يوم القيامة . قال : فبكى أشد من بكائه الأول حتى رجف جنباه .

وفي رواية أخرى أنه لما انتهى إلى آخر السورة قال : إن ربك بالمرصاد لمن عمل مثل عملهم ، أن يُنزل به مثل منازلهم ، فأتى الله ، فإن من وراء بابك نيراناً تأجج من الجور ،

(١) النشر ، بالتحريك : المنشر من كل شيء .

(٢-٣) ساقط من ط ، ف ، م .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « تمخض » .

ما يُعمل فيها بكتاب الله ولا بسنة رسول الله^(١) . فقال : يا أبا عثمان ؛ إنا لنكتب إليهم في الطوامير^(٢) ، / نأمرهم بالعمل بالكتاب والسنة ، فإن لم يفعلوا فما عسى أن نصنع ! فقال له : [٥٦]
مثل أذن الفأرة يُجزّيك من الطوامير ، آله تكتب إليهم في حاجة نفسك فينفذونها ، ونكتب إليهم في حاجة الله فلا ينفذونها ؛ إنك والله لو لم ترض من عمالك إلا بالعدل إذا لتقرب إليك به مَنْ لا نية له فيه .

قال سيدنا أدام الله علوه : رجعنا إلى نسق الحديث ، فقال له سليمان بن جبالد : رفقاً بأمير المؤمنين ، فقد أتمبته منذ اليوم ، فقال له : بمثلك ضاع الامر وانتشر ، لا أبالك ! وماذا خفت على أمير المؤمنين أن بكى من خشية الله ! .

وفي رواية أخرى أن سليمان بن جبالد لما قال له ذلك رفع عمرو رأسه فقال له : من أنت ؟ فقال أبو جعفر : أو لا تعرفه يا أبا عثمان ؟ قال : لا ، ولا أبالي ألا أعرفه ! فقال : هذا أخوك سليمان بن جبالد ، فقال : هذا أخو الشيطان ، وبلك يابن أم جبالد ! خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين ، ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصيحتة ! يا أمير المؤمنين ؛ إن هؤلاء اتخذوك سلماً لشهواتهم ، فأنت كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب ، فأنق الله فإنك ميت وحدك ، ومحاسب وحدك ، ومبعوث وحدك ، ولن يغني عنك هؤلاء من ربك شيئاً ! فقال له المنصور : يا أبا عثمان ؛ أعنى بأصحابك أستمين بهم ، فقال له : أظهر الحق يتبعك أهله ، قال : بلغني أن محمد بن عبد الله ابن الحسن^(٣) كتب إليك كتاباً ، قال : قد جاءني كتاب يشبه أن يكون كتابه ، قال : فبماذا أجبتة ؟ قال : أو لست قد عرفت رأيي في السيف أيام كنت تختلف إلينا ؟ وإني لا أراه ، قال : أجل ! ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي ! قال : لئن كذبتك تقية لأحلفن لك تقية ، قال له : أنت الصادق البار ، وقد أمرت لك بمشرة آلاف درهم ، تستعين بها على زمانك ؛

(١) م : « رسوله » . (٢) الطوامير : جمع طومار ؛ وهو الصحيفة .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ؛ الملقب بالنفس الزكية ؛ وكان من أفضل أهل بيته ؛ علما وفقها وشجاعة وجودا ؛ قتله أبو جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ (وانظر ترجمته وأخباره في مقاتل الطالبين ٢٣٢-٢٩٩) .

فقال : لا حاجة لي فيها ، قال المنصور والله لتأخذتها ، قال : والله لا أخذتها ، فقال له المهدي :
يخلف أمير المؤمنين ويخلف ! فترك المهدي وأقبل على المنصور وقال : من هذا الفتى ؟ فقال :
هذا ابني محمد ، وهو المهدي وهو ولي العهد ، فقال : ^(١) والله لقد سميتك أسماً ما استحقها
بعمل ^(٢) ، وألبسته كبوساً ما هو من كبوس الأبرار / ولقد مهدت له أمراً أمتع ما يكون به
أشغل ^(٣) ما تكون عنه ! ثم التفت إلى المهدي فقال : نعم يا بن أخي ، إذا حلف أبوك حلف
عمك ؛ لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك ؛ قال المنصور : يا أبا عثمان ، هل من حاجة ؟
قال : نعم ، قال ما هي ؟ قال : ألا تبعث إليّ حتى آتيك ؟ قال : إذا ^(٤) لا نلتقي ، قال : عن
حاجتي سألتني ، ثم ودعه ونهض ؛ فلما ولى أتبعه بعصره وأنشأ يقول :
كُلُّكُمْ طَالِبٌ صَيْدٌ كُلُّكُمْ مَاشٍ رُوَيْدٌ ^(٥)
غَيْرَ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ

١٠

وروي أن هشام بن الحكم قدم البصرة فأتى حلقة عمرو بن عبيد فجلس فيها وعمرو
لا يعرفه ، فقال لعمرو : أليس قد جمل الله لك عينين ؟ قال : بلى ، قال : ولم ؟ قال : لأنظر
بهما في ملكوت السموات والأرض فأعتبر ، قال : وجعل لك فماً ؟ قال : نعم ، قال : ولم ؟
قال : لأذوق الطعوم ^(٥) ، وأجيب الداعي ؛ ثم عدّد عليه الحواس كلها ، ثم قال : وجعل
لك قلباً ؟ قال : نعم : قال : ولم ؟ قال : لتؤدي إليه الحواس ما أدركته ، فيميز بينها ، قال :

١٥

(١-١) ت : « والله لقد سميتك اسماً ما استحقه بعمل » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « قوله : « أمتع » مبتدأ ، و « أشغل » نصب على الحال ؛ وهو
ساد مسد خبر المبتدأ كقولك : أخطب ما يكون الأمير قائماً » .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ت : « إذا انصب » إذا لم يكن الفعل الذي بعدها معتمداً على ما قبلها ؛ يقول
لك الغائل : أنا أكرمك ؛ فنقول : إذا أحبك ؛ فإن قلت : أنا إذا أحبك رفعت ؛ لاعتماد على الابتداء الذي
هو أنا ؛ وكذلك : إن تكرمني [بالجزم] إذا أكرمك ، وإذا وقعت على فعل الحال أنليت أيضاً ؛ تقول
لمن يتحدث بحديث : إذا أظنك كاذباً ؛ فتخبر عن حال الظن » .

(٤) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « يمضي رويد » .

(٥) حاشية ت (من نسخة) : « الطعوم » .

فَأَنْتَ لَمْ يَرْضَ لَكَ رَبُّكَ تَعَالَى إِذْ خَلَقَ لَكَ خَمْسَ حَوَاسٍ حَتَّى جَمَلَ لَهَا إِمَامًا تَرْجِعُ إِلَيْهِ ؛
أَتَرْضَى ^(١) لِهَذَا الْخَلْقِ الَّذِينَ ^(٢) جَسَّاهُمْ الْعَالَمُ إِلَّا يَجْمَلُ لَهُمْ إِمَامًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ لَهُ عَمْرُو :
ارْتَفِعْ حَتَّى نَنْظُرَ فِي مَسْأَلَتِكَ ، وَعَرَفَهُ ؛ ثُمَّ دَارَ هِشَامُ فِي حَقِّ الْبَصْرَةِ فَمَا أَمْسَى حَتَّى
اِخْتَلَفُوا .

وروى أبو عبيدة قال : دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس
بالبصرة فقال له سليمان : أخبرني عن صاحبك - يعني الحسن - حين يزعم أن علياً عليه
السلام قال : « إني وددت أني كنت آكل الحشَفَ بالمدينة ولم أشهد مشهدي هذا » يعني :
يوم صفين ، فقال له عمرو بن عبيد : لم يقل هذا ؛ لأنه ظن أن أمير المؤمنين عليه السلام شك ،
ولكنه يقول : ودَّ أنه كان يأكل الحشَفَ بالمدينة ، ولم تكن هذه الفتنة ؛ فقال : فقوله في
عبد الله بن العباس : « يُفْتِنَانَا فِي الْقُعْمَةِ وَالْقُعْمِيَّةِ ، وَطَارَ بِأَمْوَالِنَا فِي لَيْلَةٍ » ؟ فقال له : وكيف
يقول هذا ، وابن عباس راحة الله عليهما لم يفارق علياً حتى قُتِلَ وشهد صلح الحسن ؟ وأي مال
يجتمع في بيت المال بالبصرة مع حاجة علي عليه السلام إلى الأموال / وهو يفرغ بيت مال [٥٧]
الكوفة في كل خميس ويرشهُ ؟ قالوا : إنه كان يقيّل فيه ، فكيف يترك المال يجتمع بالبصرة ؟
وهذا باطل .

قال الجاحظ : نازع رجل عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو : إن الله تعالى قال في كتابه
ما يزيل الشكَّ عن قلوب المؤمنين في القضاء والقدر قال تعالى : ﴿ فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢ - ٩٣] ، ولم يقل : لنسألهم عما قضيت عليهم أو قدرته
فيهم ، أو أردته منهم ، أو شئته لهم ؛ وليس بعد هذا الأمر إلا الإقرار بالعدل أو السكوت عن
الجور الذي لا يجوز على الله تعالى .

(١) ت : « فكيف يرضى ... » . (٢) ت : « والذي »

قال خلاد الأرقط : حدثني زميل عمرو بن عبيد قال : سمعته في الليلة التي مات^(١) فيها يقول : اللهم إن كنت تعلم أنه لم يمرض لي أمران قط ؛ أحدهما لك فيه رضا ، والآخر لي فيه هوى إلا قدمت رضاك على هوى فاغفر لي .

ومر أبو جعفر النصور على قبره بمرّان - وهو موضع على ليال من مكة على طريق البصرة -

فأنشأ يقول :

صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْكَ مِنْ مَّتَوَسِّدٍ قَبْرًا مَرَرْتُ بِهِ عَلَى مَرَّانٍ
قَبْرًا تَضْمَنَ مُؤْمِنًا مُتَخَشِّمًا عَبْدَ إِلَهَةٍ وَدَانَ بِالْفُرْقَانِ^(٢)
وَإِذَا الرِّجَالُ تَنَازَعُوا فِي شُبُهَةٍ فَصَلَ الْخِطَابَ بِحِكْمَةٍ وَبَيَانٍ
فَلَوْ أَنَّ هَذَا الدَّهْرَ أَتَقَى صَالِحًا أَبَقَى لَنَا عَمْرًا أَبَا عُثْمَانَ

١٠ فأما أبو الهذيل العلاف فهو محمد بن الهذيل بن عبيد^(٣) الله بن مكحول العبدي وقال أبو القاسم البلخي : هو من موالى عبد القيس ، وولد في سنة أربع وثلاثين ومائة ، وقال أبو الحسين الخياط : ولد سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وقيل : إنه توفي في أول أيام التوكل سنة خمس وثلاثين ومائتين وسنة مائة سنة .

قال البرذعي : لحق أبا الهذيل في آخر عمره خرف ؛ إلا أنه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام^(٤) بحجته ، وكف بصره قبل وفاته ؛ وأخذ أبو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل صاحب واصل بن عطاء .

[٥٧] وقيل إن أبا الهذيل في حديثه بلّنه أن / رجلا يهودياً قدم البصرة ، وقطع جماعة من متكلميها ، فقال لعمه : يا عم ، امض بي إلى هذا اليهودي حتى أكلمه ، فقال له عمه : يا بني ،

(١) توفي عمرو بن عبيد سنة ١٤٤ ، وانظر ترجمته أيضا في (ابن خلكان ١ : ٣٨٤-٣٨٥ ، والعارف ٢١٢ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ١٦٦-١٨٨) .

(٢) من نسخة بمحاشي الأصل ، ت : « بالقرآن » .

(٣) ت : « ابن عبد الله » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « ولا القيام » .

كيف نكلمه وقد عرفت خبره ، وأنه قطع مشايخ المتكلمين ! فقال : لا بد من أن تمضى بي إليه ، فمضى به قال : فوجدته يقرّر الناس على نبوة موسى عليه السلام ، فإذا اعترفوا له بها قال : نحن على ما اتفقنا عليه إلى أن نجتمع على ما ندعونه ؛ فتقدمت إليه ، فقلت : أسألك أم تسألني ؟ فقال : بل أسألك ، فقلت : ذاك إليك ، فقال لي : أتعترف بأن موسى نبي صادق ، أم تنكر ذلك فتخالف صاحبك ؟ فقلت له : إن كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشر بنبيي عليه السلام ، وشهد بنبوته ، وصدقه فهو نبي صادق ، وإن كان غير من وصفت ؛ فذلك شيطان لأعترف بنبوته ؛ فورد عليه ما لم يكن في حسابه . ثم قال لي : أنقول إن التوراة حق ؟ فقلت : هذه المسألة تجري بحري الأولى ، إن كانت هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن البشارة بنبيي عليه السلام فتلك حق ، وإن لم تكن كذلك فليست بحق ، ولا أقر بها . فبُهِتَ وأفحِمَ ولم يدُر ما يقول ، ثم قال لي : أحتاج أن أقول لك شيئاً بيني وبينك ، فظننت أنه يقول شيئاً من الخير ، فتقدمت إليه فسارّني فقال لي : أمك كذا وكذا ، وأم من علمك لا يكني ، وقدّر أني أثب به ، فيقول : وثبوا بي ، وشغبوا عليّ ، فأقبلتُ على من كان في المجلس فقلت : أعزكم الله ! ألسم قد وقفتم على سؤاله ^(١) إياي ، وعلى جوابي إياه ؟ قالوا : بلى ! قلت : أفليس عليه أن يرُدّ جوابي أيضاً ؟ قالوا : بلى ، قلت لهم : فإنه لما سارّني شتمني بالشم الذي يوجب الحدّ ، وشتم من علمني ، وإنما قدّر أنني أثب عليه ، فبدّعي أنا واثبناه ، ١٥ وشغبنا عليه ، وقد عرفتمكم شأنه بعد الانقطاع ، فانصروني ، فأخذته الأيدي من كل جهة ، فخرج هارباً من البصرة .

وعن أبي العيناء قال : قال لي أبو الهذيل : ما معنى الحُسف ؟ فقلت : أن تنقلب الأرض ؛ أعلاها أسفلها ، فقال : إلا يكن هذا اليوم بالأرض فإنه لبي الناس .

وقال أبو الهذيل : قال لي المذّل بن غيلان العبدى ، وكان من سادات عبد القيس ، ٢٠ وكان يجتمع إليه أهل النظار : يا أبا الهذيل ، إن في نفسي شيئاً من قول القوم في الاستطاعة ،

[٥٨] فبين لي / ما يذهب بالريب عني ، فقال : خبرني عن قول الله تعالى : ﴿ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ؛ [التوبة: ١٢] ، هل يخلو من أن يكون أكذبهم لأنهم مستطيعون الخروج ^(١) وهم تاركون له ، فاستطاعة الخروج فيهم وليس يخرجون ، فقال : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي هم يستطيعون الخروج ^(٢) وهم يكذبون فيقولون : لسنا نستطيع ، ولو استطعنا لخرجنا ، فأكذبهم الله على هذا الوجه ، أو يكون على وجه آخر : يقول : ﴿ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ أي إن أعطيهم الاستطاعة لم يخرجوا ؛ فتكون معهم الاستطاعة على الخروج ولا يخرجون ؛ وعلى كل حال ؛ قد كانت الاستطاعة على الخروج ولا يكون الخروج ، ولا يُمقل للآية معنى ثالث غير الوجهين اللذين وصفنا ^(٣) .

١٠ وحكي سليمان الرقي أن أبا الهذيل لما ورد سرّاً من رأى نزل في غرفة إلى أن يطلب له داراً تصلح له ، قال : فمررت به فقلت له : يا أبا الهذيل ، أنزل في مثل هذا المنزل ! فأنشدني :
يقولون زين المرأة يا مئ راحله
ألا إن زين الرجل يأمي راحيه
وعن مجالد ^(٤) قال : رأيت رجلاً ، وقد سأل أبا الهذيل وهو في الوراقين بقصر وضاح فقال له : من جمع بين الزائنين ؟ فقال له : يابن أخى ، أما بالبصرة فإنهم يقولون :
١٥ القوادون ؛ ولا أحسب أهل بغداد يخالفونهم على هذا القول ، فما تقول أنت ! قال : تفجّل الرجل وسكت .

وقال أبو الهذيل : قلت لرجل ممن ينفي الحركة - ولم يسمه - وزعم قوم أنه الأصمّ - :
خبرني عن قول الله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ﴾ ؛
[النور: ٢] ، وذكر القاذف فقال : فَاجْلِدُوهُ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ^(٥) ، فأيهما أكثر ؟ فقال : حدّ ^(٦)

(١) ت : « الخروج » (٢-٢) ساقط من م . (٣) ت : ج ، ش : « اللذين ذكرنا » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « عن أبي مجالد » .

(٥) يشير إلى قوله تعالى « وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءِ »

فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً » ؛ [النور: ٤] . (٦) حاشية ت (من نسخة) : « جلد الزاني » .

الزَّائِي ، قلت : بَكَمْ ، قال : بمشرين ، قلت : فحدثني ^(١) عن الجلد ، أهو يدُ الجلاد ؟ قال : لا ، قاتُ : أهو السَّوْطُ ؟ قال : لا ، قلت : فهو ظهر المجلود ؟ قال : لا ، قلت : أهو الانفراجُ الذي بين السَّوْطِ وظهر المجلود ؟ قال : لا ، قلت : أفشَمَّ شيء غير هذا هو الجلد ؟ قال : لا ، قلت : فإنما تقولُ أن لا شيء أكثر من لا شيء بمشرين ! فانقطع .

وقال أبو الهذيل : قلت لمجوسى : ما تقول في النار ؟ قال : بنت الله ، قلت : فالبقر ؟ قال : ملائكة الله ؛ قَصَّ أجنحتَها ، وحطَّها / إلى الأرض يُبحرث عليها ، ققات : فاللاء ، قال : نُور [٥٨]
الله ، قلت : فما الجوعُ والمعطش ؟ قال : فقَر الشيطان وفاقته ، قلت : فمَنْ يَحْمِلُ الأرض ؟ قال : بهمن الملك ، قلت : فما في الدنيا شرٌّ من المجوس ، أخذوا ملائكة الله فذبَّحوها ، ثم غسلوها بنور الله ، ثم شوَّوها ببنت الله ، ثم دفعوها إلى فقَر الشيطان وفاقته ، ثم سلَّحوها على رأس بهمن الملك أعزَّ ملائكة الله ! فانقطع المجوسى ، وخجل مما لزمه . ١٠

ودخل أبو الهذيل يوماً على الحسن بن سهل بقم الصَّلح ^(٢) ، وعنده فتى قد رَفَعَ مجلسه ، فقال أبو الهذيل : مَنْ هذا الفتى الذى قد رَفَعه الأمير ، لنوفِّيَه بمعرفته حقَّه ؟ قال : رجل من أهل التَّجُوم ، قال : مِنْ أهل صناعة الحِسَاب أم الأحكام ؟ قال : الأحكام ، قال : ذلك عملٌ يَبْطُل ، أفأسأله ؟ قال : سلْ فأخذ أبو الهذيل تَفَاحَةً من بين يديه وقال : آكلُ هذه التفاحة أم لا ؟ قال : تأكلها ، فوضعها أبو الهذيل وقال : لست آكلُها ، قال : فتعيدها إلى يدك وأعيد النظر ، فوضعها وأخذ غيرها ، فقال له الحسن : لِمَ أخذت غيرها ؟ قال : لكلا يَقُول لى : لا تأكلها فأكلها خلافاً عليه فيقول لى : قد أصبتُ في المسألة الأولى . ١٥

وقال النعمان النّانِي يوماً لأبي الهذيل : دُلَّ على حدوث العالم بغير الحركة والسكون ، فقال له أبو الهذيل : مثلك مثلُ رجلٍ قال لخصمه : احضِرْ معى إلى القاضى ولا تحضِرْ بيئتك .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « فخرى » . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « فم الصلح :

موضع قريب من واسط » .

وذكر محمد بن الجهم^(١) صاحب الفراء قال : رأيت أبا الهذيل وقد جاء إلى الديوان في أيام المأمون فسأل سهل بن هرون بن راهيئون أن يكتب له كتاباً في حاجة له إلى حفصويه صاحب الجيش ، ونهض أبو الهذيل ، فأملى على سهل بن هرون :

إنَّ الضميرَ إذا سألتك حاجةً لأبي الهذيل خلافُ ما أبدى
 فإذا أناك الحاجة فامدُّ له حبلَ الرجاء بمخلف الوعدِ
 وألنْ له كنفاً ليحسن ظنه في غير متفعة ولا رقدِ
 حتى إذا طالت شقاوة جدِّه ورَجَا النسي فاجبَّه بالردِّ
 وإن استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضرُّ بأبلغ الجهدِ
 / وانظرُ كلامي فيه فارم به خلف الثريا منك في البعدِ^(٢)
 وكذلك فافعل غير محدثهم إن رجئتُ أسألُ في أبي الهندي^(٣)

قال سيدنا المرتضى أدام الله تأييده : ويشبه هذا المعنى ما أخبرنا به أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني محمد بن أبي الأزهر قال : حدثنا أبو الميناء قال : كان لي صديقٌ فجاءني يوماً فقال لي : أريد الخروجَ إلى فلان العامل ، وأحببت أن تكون معي إليه وسيلة ، وقد سألتُ من صديقه ، فقيل لي : أبو عثمان الجاحظ ، وهو صديقك ، فأحب أن تأخذ لي كتابه إليه بالمناية ، قال : فصرت إلى الجاحظ ، فقال لي : في أي شيء جاء أبو عبد الله ؟ فقلت : مُسَلِّماً وقاضياً الحق ، وفي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا ، فقال : لا تشغلنا الساعة عن المحادثة ، فإني في غد أوجه إليك بالكتاب ، فلما كان من الندوَجَه إلى بالكتاب مختوماً فقلت لابني : وجه هذا الكتاب إلى فلان ، ففيه حاجته ، فقال لي : إن أبا عثمان بعيد الغور فينبني أن تفحصه وتنظر ما فيه ، ففعل فإذا في الكتاب : « كتابي إليك مع مَنْ لا أعرفه ،

(١) حاشية الأصل : « محمد بن الجهم السمرى » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « أي أخف كلامي هذا » .

(٣) حاشية ت : « أبو الهندي اسم رجل كان خاصاً به وملازماً له » .

وقد كلنى فيه مَنْ لا أوجب حقّه ، فإن قضيت حاجته لم أحمدك ، وإن رددته لم أذمك .
 فلما قرأت الكتاب مضيت من فوري إلى الجاحظ ، فقال : يا أبا عبد الله ، قد علمت أنك
 أنكرت ما فى الكتاب ، فقلت : أو ليس موضع نكرة ! فقال : لا ، هذه علامة بينى
 وبين الرجل فيمن أعتنى به ، فقلت : لا والله ، ما رأيت رجلاً أعلم بطبعك وما جُبلت عليه من
 هذا الرجل ! - أعنى صاحب الحاجة - أعلمت أنه لما قرأ الكتاب قال : أم الجاحظ عشرة
 آلاف ، وأم مَنْ يسأله... فقلت : يا هذا ؟ أنشيم صديقنا ؟ فقال : هذه علامتى فيمن أشكره !
 وفى رواية أخرى أن أبا العيناء سلم الكتاب إلى صاحب الحاجة وقال له : فضر
 الكتاب ، فقال : إنه مختوم فقال : طينة أهون من ظنة .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وأظن أن أبا العيناء تنبّه على فض الكتاب وقراءته
 بخبر طرفة بن العبد والتلمس الضبّعي^(١) ، وذلك أنهما وقدا على عمرو بن هند ونادماه ،
 واحتظيا به ، ثم أفضى الأمر إلى أن هجاء كل واحد منهما وعرض به بالشعر
 المشهور^(٢) فحنق عليهما ، وهم بقتلهما ، ثم أشفق من ذلك ، وأراد قتلتهما بيد غيره ،
 وكان على طرفة أحنق ، فلم أنه إن قتله هجاء التلمس : فكتب لهما كتاباً إلى البحرين ،
 وقال لهما : إني قد كتبت لكما بصلة ، فاشخصا لقبضهما ؛ فخرجا من عنده ، والكتابان فى
 أيديهما ، فمرا بشيخ جالس على ظهر الطريق ، متكشفاً يتبرز ، ومعه كسرة خبز يأكل
 منها ، ويتناول القمل من ثيابه فيقصمه ، فقال أحدهما لصاحبه : ما رأيت أعجب من هذا
 الشيخ ! فسمع الشيخ مقالته فقال : وما ترى من عجبى^(٣) ! أدخل طيباً ، وأخرج خبيثاً ،
 وأقتل عدواً ، وإن أعجب منى لمن يحمل حنقه بيده ، وهو لا يدري ! فأوجس التلمس فى

(١) فى ساجنى الأصل ، ت : هـ . هو من بنى ضبيعة بن ربيعة ، واسمه جرير بن عبد العزى ، وقيل
 ابن عبد المسيح . (٢) انظر تفصيل الخبر وأبيات الهجاء فى (الأغاني ٢١ : ١٢٧ ، والشعر
 والشعراء ١٣١-١٣٢ ، و ١٣٧-١٣٨ ، ومعجم البلدان ٧ : ٢٠٨ ، والخزانة ١ : ٤١٢-٤١٧ .
 ٤٤٦ ، و ٧٣ : ٣) ومعجم الأمثال ١ : ٣٥٠-٣٥٢ وديوان طرفة : ٦-٥ ، وديوان التلمس ١٧٢-
 (١٧٦) . (٣) م : هـ عجب .

نفسه خيفة ، وارتاب بكتابه ، ولقيه غلام من أهل الحيرة ، فقال له : أتقرأ يا غلام ؟ قال :
نعم ، ففَضَّ خاتم كتابه ، ودفعه إلى الغلام فقرأه ، فإذا فيه : « إذا أتاك التلّس فاقطع يديه
ورجليه ، واصليه حياً » .

فأقبل على طرفه فقال له : تعلمن^(١) والله لقد كتبَ فيك بمثلِ هذا ، فادفع كتابك إلى
الغلام يقرأه عليك ، فقال : كلاً ، ما كان ليحسُرَ على قومي بمثلِ هذا ، ولم يلتفت إلى قول
التلّس ، فالتقى التلّس كتابه في نهر الحيرة ، وقال :

قَذَفْتُ بِهَا بِالشَّيْءِ مِنْ جَنْبِ كَافِرٍ كَذَلِكَ أَقْنُو كُلَّ قِطْعٍ مُضَلِّلٍ^(٢)

رَضِيتُ لَهَا بِالماءِ كَمَا رَأَيْتُهَا يَجُولُ بِهَا التَّيَّارُ فِي كُلِّ جَدْوَلٍ

كافر : نهر بالحيرة ، وأقنو : أقتنى ، والقِطْعُ : الكتاب : والتَّيَّارُ : معظم الماء وكثرته .

وقال التلّسُ أيضاً :

مَنْ مُبْلَغُ الشُّعْرَاءِ عَنْ أَخَوَيْهِمْ نَبَأٌ فَتَصَدُّقُهُمْ بِذَلِكَ الْأَنْفُسُ^(٣)

أَوْدَى الَّذِي عَلِقَ الصَّحِيفَةُ مِنْهُمَا وَنَجَا حِذَارُ حَبَائِثِ التَّلْمَسِ

أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَتْ كُورُهُ وَجَنَاهُ بُحْمَرَةُ الْمَنَامِ عِرْمَسُ^(٤)

عَيْرَانَةُ طَبِخَ الْهَوَاجِرُ لَحْمَهَا فَكَأَنَّ نِقَبَهَا أُدِيمُ أَمَلَسُ^(٥)

أَطْرِيفَةُ بْنُ الْعَبِيدِ إِنَّكَ حَائِنٌ أُبْسَاحَةُ الْمَلِكِ الْهَمَامُ تَمَرَسُ !

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ لَا أَبَاكَ إِنَّهُ يُخْشَى عَلَيْكَ مِنَ الْحَبَائِكِ النَّقْرَسُ

(١) من نسخة بحوانى الأصل ، ت ، ف : « تعلم » .

(٢) ديوانه : ١٧٦ . (٣) الأبيات في ديوانه ١٩١-١٩٢ ، والخزانة ٣ : ٧٣ والأفاني

٢١ : ١٢٧ وأخوام : طرفه والتلّس . (٤) الوجناء : الناقة الصلبة ؛ مشتقة من الوجين ؛

وهي الأرض الصلبة ، وبجرة : بجمعة ، والناسم : جمع منسم ، ومنسبا خف البعير كالظفرين في مقدمه ؛

يهما بستان أثر البعير الضال . والعرمس في الأصل : الصخرة ؛ شبهت بها الناقة ؛ ورواية الديوان :

أَلْقَى صَحِيفَتَهُ وَنَجَتْ كُورُهُ عَمْسٌ مَدَاخِلَةُ الْفَقَارَةِ عِرْمَسُ

(٥) العيرانة : الناقة الصلبة التي تشبه عبر الوحش لفوتها ، والنقبة هاهنا : اللون .

القرس هاهنا : الداهية ، ومضى طرفه بكتابه إلى البحرين ، فأمر به المولى بن حنشل^(١)
العبدى قتل ؛ فقال المتلمس^(٢) :

عَصَانَا^(٣) فَمَا لَاقَى رَشَادًا وَإِنَّمَا تَبَيَّنَ^(٤) فِي أَمْرِ النَّوَى عَوَاقِبُهُ
فَأَصْبَحَ مَحْمُولًا عَلَى ظَهْرِ آلِهِ تَمَجُّ نَجِيعَ الْجَوْفِ مِنْهُ تَرَائِبُهُ
فَالَا تَجَلَّلَهَا يُعَالُوكَ فَوْقَهَا وَكَيْفَ تُوَقَّى^(٥) ظَهَرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ !

ولحق المتلمس ببلاد الشام ، وهجا عمرًا ، وبلغه أن عمرًا يقول : لئن وجدته بالعراق
لَيَقْتُلَنَّهُ ، فقال :

آلَيْتُ حَبَّ الْعِرَاقِ الدَّهْرَ أَطْعَمُهُ وَالْحَبُّ يَا كُكُلُهُ بِالْقَرْيَةِ الشُّوسُ^(٦)

وجرى المثل بصحيفة المتلمس ، فقال الفرزدق يذكر الشعراء الذين أوردته أشعارهم^(٧) :

وَهَبَ الْقَصَائِدَ لِي النَّوَابِغُ إِذْ^(٨) مَضَوْا وَأَبُو يَزِيدَ وَذُو الْقُرُوحِ وَجَرُولُ
وَأَخُو بَنَى قَيْسٍ وَهَنَّ قَتْلَنَهُ وَمُهْلِلُ الشُّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ

يعنى بالنوابغ : النابغة الذبياني والجمعدى ، ونابغة بن شيبان ، ويعنى : بأبي يزيد المخبل
السعدي ، وجرول هو الخطيئة ، وذو القروح امرؤ القيس ، وأخو بني قيس هو طرفه . ومعنى
قوله : « وهن قتلته » ، يعنى : القصائد التى هجا بها عمرو بن هند ، ويقال إن صاحب المتلمس
وطرفة فى هذه القصة هو النعمان بن المنذر ، وذلك أشبه بقول طرفة :

أَبَا مُنْذِرٍ كَأَنْتَ غُرُورًا صَحِيفَتِي وَلَمْ أُعْطِكُمْ فِي الطَّوْعِ مَالِي وَلَا عِرْضِي^(٩)
أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بِمَضْنَا حَنَانِيكَ^(١٠) بِمَضْ الشُّرَّاهُونَ مِنْ بَعْضِ

وأبو منذر هو النعمان بن المنذر ، وكان النعمان يمد عمرو بن هند ، وقد مدح طرفة النعمان
فلا يجوز أن يكون عمره قتلته ، فيشبهه أن تكون القصة مع النعمان .

(١) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « حنشل » . (٢) ديوانه : ١٩٣-١٩٤ .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « عصاني » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « بين » .

(٥) ش : « توفى » ، بكسر القاف المشددة . (٦) ديوانه : ١٨٠ ؛ و « حب » ،

منصوب على نزع الحافض ؛ والبيت من شواهد (الكتاب ١ : ١٧) ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل :

« فى القرية » . (٧) ديوانه ٢ : ٧٢٠ . (٨) حاشية الأصل : « من نسخة » : « كلهم » .

(٩) ديوانه : ٤٨ . (١٠) حاشية الأصل : « حنانيك ؛ أى تحننا بعد تحنن » .

مجلس آخر

وكان أبو سهل بشر^(١) بن المتير من وجوه أهل الكلام ، ويقال إن جميع معتزلة [٦٠] بغداد كانوا / من مستجبيه .

وقال أبو القاسم البلخي : إنه من أهل بغداد ، وقيل : من أهل الكوفة ، وذكر الجاحظ أنه كان أبرص .

وحيكى أنه كان يوماً في مجلسه ، وعنده أصحابه ومعه مُجبر يسألهم ويقول : أنتم تحمدون الله على إيمانكم ؟ وهم يقولون : نعم ، فيقول لهم : فكأنه يحب أن يُحمد على ما لم يفعل ، وقد ذم ذلك في كتابه ، فيقولون له : إنما ذم من أحب أن يُحمد على ما لم يفعل ؛ ممن لم يعن عليه ، ولم يدعُ إليه ؛ وهو يشغب إذ أقبل ثمامة^(٢) بن أشرس ، فقال بشر للمجبر : قد سألت القوم وأجابوك ، وهذا أبو معن فأسأله عن المسألة فقال له : هل يجب عليك أن تحمد الله على الإيمان ؟ قال : لا ، بل هو يحمدني عليه ، لأنه أمرني به فضلتُه ، وأنا أحده على الأمر به ، والتقوية عليه ، والدعاء إليه ؛ فانقطع المجبر . فقال بشر : شئت فسُهِلت .

قال الجاحظ : وكان بشر يقع في أبي الهذيل ، وينسبُه إلى النفاق ، فقال وهو يصفه : أبو الهذيل لأن يكون لا يعلم ، وهو عند الناس يعلم أحب إليه من أن يعلم ، ويكون عند الناس لا يعلم ، ولأن يكون من السُّفلة ، وهو عند الناس من العلية أحب إليه من أن يكون من العلية ، وهو عند الناس من السُّفلة ، ولأن يكون نبيل المنظر ، سخيف المخبر أحب إليه من أن يكون نبيل المخبر ، سخيف المنظر ؛ وهو بالنفاق أشدُّ عُجباً منه بالإخلاص ، وبباطل مقبول أحب إليه من حق مدفوع .

(١) بصر بن المتير ؛ انتهت إليه رئاسة المعتزلة ببغداد ؛ وتوفي سنة ٢١٠ . (لسان الميزان ٢ : ٣٣) .

(٢) ثمامة بن الأشرس النخعي ؛ مولى بني نمير ؛ كان زعيم القدرية في زمن المأمون والمعتصم والواثق ،

وهو الذي دعا المأمون إلى الاعتزال ؛ توفي سنة ٢١٣ ؛ (لسان الميزان ٢ : ٨٣) ، والفرق بين الفرق (١٥٢) .

ولبشر أشعار كثيرة ، يحتج فيها على أهل المقالات . وذكر الجاحظ أنه لم ير أحداً أقوى^(١) على الخمس والمزدوج^(٢) على ما أقوى عليه بشر ، وأنه كان أكثر في ذلك وأقدر من أبان اللاحق^(٣) ، وهو القائل :

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا أَقْوَى لَوْ مَا تَقُولُ فَأَنْتَ عَالِمٌ
أَوْ كُنْتَ تَجْهَلُ ذَا وَذَا لَكَ فَكُنْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ لَازِمٌ
أَهْلُ الرِّيَاسَةِ مَنْ يَنْدُ أَرْعَاهُمْ رِيَاسَتُهُمْ فَظَالِمٌ
سَهَرَتْ عُيُونُهُمْ وَأَنْتَ تَعْنِي الَّذِي قَاسَوْهُ حَالِمٌ
لَا تَطْلُبَنَّ رِيَاسَةً بِالْجَهْلِ أَنْتَ لَهَا مُخَاصِمٌ
/ لَوْ لَا مَقَامُهُمْ رَأَيْتَ تَعْنِي الدِّينَ مُضْطَرَبَ الدَّعَائِمِ

[٦١]
و

فأما أبو إسحق إبراهيم بن سيار النظام ؛ فإنه كان مقدماً في العلم بالكلام ، حسن الخاطر ، شديد التدقيق والنوص على المعاني ؛ وإنما أداه إلى المذاهب الباطلة التي تفرّد بها واستشيعت منه تديقه وتغلّله . وقيل : إنه مولى الزبائدين من ولد العبيد ، وإن الرقي جرى على أحد آبائه .

وقيل للنظام : ما الاختصار ؟ فقال : الذي اختصاره فساد . وقال لرجل : أتعرف فلاناً المجوسى ؟ فقال : نعم ، ذاك الذي خلق وسط رأسه ، كما يفعل اليهودى ، فقال النظام : ١٥ لا مجوسى عرفت ، ولا يهودى وصفت .

قال الجاحظ وذكر عبد الوهاب الثقفي فقال : هو أحلى من أن ينر بعد خوف ، وبرء بعد سقم ،

(١) حاشية الأصل : « من نسخة » : « قوى » .

(٢) حاشية الأصل : « الخمس من الشعر : ما كان خمسة مصارع مقفلة ، يخالفها الخامس أو يوافيها ، والمزدوج : هو المتنوى » . (٣) هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق ؛ شاعر مكثّر ؛ وأكثر شعره

مزدوج ومسطح ؛ (وانظر التمهيد ١٦٣) . (٤) هو أبو إسحاق بن سيار النظام البصرى ، شيخ الجاحظ ، وأحد رموس المعتزلة ؛ وإليه تنسب الفرقة النظامية ؛ (وانظر آراءه في الفرق بين الفرق ١١٣) .

وخصب بعد جذب ، وغنى بعد فقر ، وطاعة المحبوب ، وفرج المكروب ، ومن الوصل^(١)
الدائم ، مع الشباب الناعم ؛ وللنظام شعر كثير صالح ، فنه :

يا تاركى جسداً بغير فؤادٍ أنرفقت في الهجران والإبعاد
إن كان يمنعك الزيارة أعين فأدخل على بعلق المواد
كنا أراك وتلك أعظم نعمة ملكت يدالك بها منبع قبادى
إن العيون على القلوب إذا جنت كانت بليتها على الأجساد

وله :

توهمة^(٢) طرفى فالتم خداه فكان^(٣) مكان الوهم من نظري أثر
وصافحه قلبي فالتم كفه فمن صفح قلبي في أنامله عثر
ومرّ بقلبي خاطراً فجرخته ولم أر خلقاً^(٤) قط يجرحه الفكر
يكرّ فمن لبّ وحسن تعطف يقال به سكر وليس به سكر

ويقال إن أبا العتاهية ، قال : أنشدت النظام شعراً :

إذا همّ النديم له بلحظ تمشت في محاسنه الكلوم

فقال : ينبغي أن ينادم هذا أعمى .

١٥ قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وأبيات النظام تتضمن معنى بيت أبي العتاهية ،
[٦١] ولسنا ندرى أيهما أخذ من صاحبه ، والنظام يكرر هذا المعنى / كثيراً في شعره ، فمن ذلك
قوله :

رقى فلو بزت سرايله علقه الجوّ من اللطف^(٥)
يجرحه اللحظ بتكراره ويشتكى الإيماء بالطرف

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الوصال » . (٢) ف ، ونسخة بمحاشني الأصل ، ت :

« تأمله » . (٣) من نسخة بمحاشية ت : « نصار » . (٤) من نسخة بمحاشية الأصل :

« جسما » . (٥) حاشية ت : « يعنى أن في سرايله ثغلا واعتمادا يافيا ، فلو بزت لعلقه الجو » .

وحكى أن أبا النظام^(١) جاء به وهو حدث إلى الخليل بن أحمد ، ليعلمه ، فقال له الخليل يوماً يمتحنه ، وفي يده قدح زجاج : يا بني ، صف لي هذه الزجاج ، فقال : أمدح أم بدم ؟ قال : بمدح ، قال : نعم ، تريك القذى ، لا تقبل الأذى ، ولا تستر ماورا ؛ قال : فذمها ، قال : سريع كسرُها ، بطي^(٢) جبرُها ، قال : فصِفْ هذه النخلة ، وأومأ إلى نخلة في داره ، فقال : أمدح أم بدم ؟ قال : بمدح ، قال : هي حُلُو مجتنها ، باسقُ منهاها ، فاضر^٥ أعلاها ؛ قال : فذمها قال : هي صمبة المرتقى ، بعيدة المجتنى ، مخوفة بالأذى ؛ فقال الخليل : يا بني ، نحن إلى التعلم منك أحوج .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : وهذه بلاغة من النظام حسنة ، لأن البلاغة هي وصف الشيء ذمًا أو مدحًا بأقصى ما يقال فيه .

وشبه بهذا المعنى خبر لبيد^(٣) المشهور في هجائه^(٤) البقلة ، التي امتحنَ بهجائها ، واختبر بدمها ، فقال فيها أبلغ ما يقال في مثلها ، وذلك أن عماره وأنسا وقيسًا والربيع بن زياد العباسيين وفدوا على النعمان بن المنذر ، ووفد عليه العامريون بنو أم البنين^(٥) ، وعليهم أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وهو ملاعب الأسنة ، وكان العامريون ثلاثين رجلاً ،

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان النظام شاعرا فصاح متكلما ، وبالعكس منه أبو نواس » .
(٢) من نسخة بمحاشية ت : « بعيد » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « كان لبيد صحابيا مخضرمًا ، وبقى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله زمانا ، وكان مستبصرا حسن الطريقة ، وكان لا يقول الشعر بعد إسلامه ويقول : عوضني الله البقرة وآل عمران والمخضرم : الذي أدرك الجاهلية والإسلام » .
وانظر الخبر ضمن ترجمة لبيد وذكرا نسبه وأخباره في (الأغاني ١٤-٩٠-٩٨ ، والحزانة ٤ : ١١٧ ، ومجالس ثعلب ٤٤٩-٤٥٠ ، وشعراء النصرانية ٧٩٠ ، والعمدة ١ : ٢٧ ، والحيوان ٥ : ١٧٣) .
(٤) من نسخة بمحاشية ت : « وهجائه » . (٥) هي فاطمة بنت الحارث الأعرابية ؛ إحدى المنجيات من العرب ؛ وكان يقال فيها السكبة ؛ روى أن عبد الله بن جعدان أقيها وهي تطوف بالسكبة ؛ فقال لها : نشدتك الله برب هذه البنية ! أي بذكائك أفضل ؟ قالت : الربيع ؛ لابل عماره ؛ لابل أنس ؛ ثكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل » ، (وانظر الأغاني ١٦ : ١٩) .

وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب ، وهو يومئذ غلام له ذوابة ، وكان الربيع ابن زياد العبسي ينادم النعمان ، ويكثر عنده ، ويتمتع على من سواه ، وكان يدعى الكامل لشطاطه ^(١) وبياضه وكأله .

فضرب النعمان قبة على أبي براء ، وأجرى عليه وعلى من كان معه التزل ، فكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم ، فافتخروا يوماً بحضرته ، فكاد العبسيون يغابون العامريين ، وكان الربيع إذا خلا بالنعمان طمن فيهم ، وذكر معايبهم ؛ ففعل ذلك مراراً لعداوته لبني جعفر ؛ لأنهم كانوا أسروه ، فصد النعمان عنهم حتى نزع القبة عن أبي براء ، وقطع / التزل ، ودخلوا عليه يوماً فأروا منه جفاء ، وقد كان قبل ذلك يكرمهم ، ويقدم بحاسهم ، فخرجوا من عنده غضاباً ، وهموا بالانصراف ، ولبيد في رحلهم يحفظ أمتعتهم ، ويندو بإبلهم فيرعاه ، فإذا أمسى انصرف بها .

فأتاهم تلك الليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع ، فقال لهم : ما كنتم ^(٢) تتناجون؟ فكنتموه ، وقالوا له : إليك عنا ، فقال : أخبروني ، فلمل لكم عندي فرجاً ، فزجروه ، فقال : والله لا أحفظ لكم متاعاً ، ولا أسرح لكم بعيراً ^(٣) أو تخبروني ؟ وكانت أم لبيد عبسية في حجر الربيع ، فقالوا له : خالك قد غلبنا على الملك ، وصد ^(٤) عنا وجهه ، فقال : هل تقدرون أن تجمعوا بيني وبينه غدا حين يقعد الملك فأرجز به رجراً ممضاً مؤلماً ، لا يلتفت إليه النعمان بعده أبداً؟ قالوا له : وهل عندك ذلك؟ قال : نعم ، قالوا : فإننا نبولك بشتم ^(٥) هذه البقلة - وقدامهم بقلة دقيقة القضبان ، قليلة الورق ، لاصقة فروعها بالأرض ، تدعى التربة - فاقتلعها من الأرض وأخذها بيده ، وقال : « هذه البقلة التربة التفل الرذلة ، التي لاندكي ناراً ، ولا توهل داراً ، ولا تستر جارا ، عودها خثيل ، وفروعها ذليل ، وخيرها قليل ، بلدها شاسع ونبتها خاسع ، وآكلها

(١) حاشية الأصل : « الشطاط هو استواء العامة وحسنها ، والشطط : الخلاف والجدل » .

(٢) حاشية الأصل : « مالمكم » . (٣) من نسخة بمحاشيت : « إبلا » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « وأصدعنا » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « فاشتم » .

جائع ، والقيم عليها قانع ؛ أقصر البقول فرعاً ، وأخبثها مرعى وأشدّها قلماً ، فحزباً^(١) لجارها وجدعا ! القوابي^(٢) أخا بني عيس ، أرجعه عنكم بتمس ونكس ، وأتركه من أمره في لبس . فقالوا له : نصبح ونرى فيك رأينا .

فقال لهم عامر : انظروا إلى غلامكم هذا ، فإن رأيتموه نائماً فليس أمره بشيء ، إنما تكلم بما جرى على لسانه ، وإن رأيتموه ساهراً فهو صاحبكم ، فرمقوه بأبصارهم ، فوجدوه قد ركب رَحْلاً يكدم واسطته ؛ حتى أصبح فلما أصبحوا ، قالوا : أنت والله صاحبه ، فحاقوا رأسه ، وتركوا له ذؤابتين ، وألبسوه حُلّة ، وغدوا به معهم ، فدخلوا على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع ، ليس معه غيره ، والدار والمجالس مملوءة ، بالوفد فلما فرغ من الغداء أذن للجعفرين فدخلوا عليه ، والربيع إلى جانبه ، فذكروا للنعمان حاجتهم ، فاعترض الربيع في كلامهم ، فقام ليبد : وقد دهن أحد شقّي رأسه ، وأرخى إزاره ، واتعل نعلاً واحدة - وكذلك [٦٢] كانت الشعراء تفعل في الجاهلية إذا أرادت الهجاء - فمثل بين يديه ، ثم قال :

يَارُبَّ هَيْجَاهِي خَيْرٌ مِنْ دَعَةٍ^(٣) إِذْ لَا تَزَالُ هَامَتِي مُقَرَّعَةً
نَحْنُ بَنَى أُمِّ الْبَنِينَ الْأُرُبَّةَ وَنَحْنُ خَيْرُ عَامِرِ بْنِ ضُعْصَعَةٍ
الْمُطْعِمُونَ الْجَفْنَةَ الدَّعْدَعَةَ^(٤) وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَمَةِ

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فحزباً » [بفتح الراء] ، وفي حاشية ت (من نسخة) : « فحزباً » .
(٢) حاشية ت (من نسخة) : « فأقوا » . (٣) الأرجوزة في ديوانه ١ : ٧ - ٨ ، وقبل هذا البيت في رواية ثعلب :

* لَا تَزَجُرُ الْفُتَيَانُ عَنْ سُوءِ الرَّعَةِ *

والرعة : حالة الأحق التي رضى بها . (٤) كذا في ت ، وفي الأصل ، د ف : « المددعة » بالذال المعجمة . وفي حاشية الأصل : « حقه » المددعة بالذال غير المعجمة ؛ وهي المملوءة ، والدعدعة تحريك المكيال ونحوه ليسم الشيء ، ودعدعت الشيء ملاءته ، وجفنة مددعة أي مملوءة ، قال ليبد أيضاً يصف ما بين القيا من السيل :

فَدَعْدَعَا سُرَّةَ الرَّكَاةِ كَمَا دَعْدَعَا سَاقِي الْأَعَاجِمِ الْغَرَبَا

- والركاء : واد معروف ، أما الدعدعة ؛ فهو التفريق ؛ ولم يسم في معنى اللز بالذال ، والله أعلم .

مَهْلًا أُبَيَّتَ اللَّعْنُ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ إِنَّ اسْتَمْتَهُ مِنْ بَرَصٍ مُدْمَعَةٍ
وَإِنَّهُ يُدْخِلُ فِيهَا بِمِيعَةٍ يُدْخِلُهَا حَتَّى يُوَارِيَ أَشْجَعَهُ
كَأَنَّهُ يَطْلُبُ شَيْئًا ضَيِّعَهُ

فلما فرغ ابيد التفت النعمان إلى الربيع يرمقه شزراً ، وقال : كذلك أنت ؟ قال : كذب
• والله ابن الحقيق اللثيم ! فقال النعمان : أف لهذا الطعام ، لقد خبث على طعامي ! فقال
الربيع : أبيت اللعن ! أما إني قد فعلت بأمة - لا يكتفى ، وكانت في حجره - فقال لبيد : أنت
لهذا الكلام أهل ، أما إنها من نسوة غير فعل ، وأنت المرء قال هذا في بيتته ^(١) .

قال سيدنا أدام الله علوه : وجدت في رواية أخرى : أما إنها من نسوة فعل ، وإنما قال
ذلك لأنها كانت من قوم الربيع ، فنسبها إلى القبيح ، وصدقته عليه تهجيناً له ولقومه .

١٠ فأمر الملك بهم جميعاً فأخرجوا ، وأعاد على أبي براء القبة ، وانصرف الربيع إلى منزله ،
فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به ، وأمره بالانصراف إلى أهله ، فكتب إليه : وأني
قد تخوفت أن يكون قد وقع في صدرك ما قال لبيد ، ولست برأى حتى تبعث إلى من
يجردني ، ليعلم من حضرك من الناس إني لست كما قال ، فأرسل إليه : إنك لست صانعاً
باتتفائك مما قال لبيد شيئاً ، ولا قادراً على رد ما زلت به الألسن ، فالحق بأهلك ؛ ثم كتب
١٥ إليه النعمان في جملة أبيات جواباً عن أبيات ^(٢) كتبها إليه الربيع مشهورة :

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : و ربيته .

(٢) الأبيات برواية صاحب الأغاني :

لئن رحلتُ رجالي إنَّ لي سعةً	مامثلها سعةً عَرْضاً ولا طولا
بحيث لو وزنتُ لحمٌ بأجمعها	لم يعدلوا ريشةً من ريش سمويلا
ترعى الروائمُ أحرارَ البقولِ بها	لامثل رعيكم ملحاً وغسويلا
فأبرقُ بأرضكُ بأنعمانُ مُتَكِنًا	مع النطائي يوماً وابن توفيلًا

قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا فَمَا اعْتَذَرُكَ مِنْ شَيْءٍ إِذَا قِيلَ! (١)

وأخبرنا بهذا الخبر أبو عبيد الله الرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا [١٢] أبو حاتم عن أبي عبيدة ، وأخبرنا به أيضا الرزباني قال حدثني محمد بن أحمد الكاتب قال : حدثنا أحمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال : أخبرنا محمد بن زياد بن زبّان عن السكبي عن عبد الله بن مسلم البكاوي (٢) — وكان قد أدرك الجاهلية — وفي حديث كل واحد زيادة على الآخر ، ولم تأت بجميع الخبر على وجهه ، بل أسقطنا منه ما لم نحتاج إليه ، وأوردنا ما أوردنا منه بالفاظه .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : أما قوله : « نَحْنُ بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ » فإنه نصبٌ على المدح ، والعرب تنصب على المدح والذم جميعاً . وأم البنين هي بنت عمرو بن عامر بن ربيعة ابن سَمْعَةَ ، وكانت تحت مالك بن جعفر بن كلاب ، فولدت له منه عامر بن مالك مُلَاعِبُ ١٠ الأَسَنَّةُ ، وطُفَيْلُ بْنُ مَالِكٍ فَارِسُ قُرْزُلٍ ، وهو أبو عامر بن الطُّفَيْلِ ، وقرزل فرس كانت له ، وربيعَةُ بْنُ مَالِكٍ أبا لَبِيدٍ ، وهو ربيع القُتَيْرِينَ ، ومعاوية بْنُ مَالِكٍ مَعُودُ الْحُكَّامِ ، وإنما سمي معود الحكم بقوله :

أَعُودٌ مِثْلُهَا الْحُكَّامُ بَعْدِي إِذَا مَا الْحَقُّ فِي الْأَشْيَاعِ نَابَا

(١) البيت من مقطوعة ذكرها صاحب الأغاني ؛ وهي :

شَرُّدُ بَرَحْلِكَ عَنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَلَا	تُكْثِرُ عَلَيَّ وَدَّعَ عَنْكَ الْبَاطِلَا
فَقَدْ ذُكِرْتَ بِشَيْءٍ لَسْتُ نَاسِيَهُ	مَا جَاوَرَتْ مَصْرَ أَهْلِ الشَّامِ وَالنِّيلَا
فَمَا انْقَاؤُكَ مِنْهُ بَعْدَ مَا جَزَعَتْ	هُوجُ الْمَطِيِّ بِهِ نَحْوُ ابْنِ سَمُوبِلَا
قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إِنْ حَقًّا وَإِنْ كَذِبًا	فَمَا اعْتَذَرُكَ مِنْ قَوْلٍ إِذَا قِيلَا
خَالِقُ بِحَيْثُ رَأَيْتَ الْأَرْضَ وَاسِعَةً	وَانْتَشَرَهَا الطَّارِفُ إِنْ عَرَضَا وَإِنْ طَوَّلَا

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : د البكاوي ،

وولدت عُبيدة الوضاح ؛ فهؤلاء خمسة ، وقال لييد : « أربعة » ، لأن الشعر لم يمكنه من ذلك ^(١) .

وأما الحفنة المدغدة ^(٢) فهي الملوقة . وأما الخيضة ، فإن الأصمعي يذكر أن لييداً قال : « تحت الخضة » ؛ يعني الجلبة ، فسوّته الرواة . وقيل : إن الخيضة أصوات وقع السيوف ، والخيضة أيضاً البيضة التي تلبس على الرأس ، والخيضة الغبار ، والقول يحتمل كل ذلك .
• وأما : « آيت اللعن » ، فإن أبا حاتم قال : سألت الأصمعي عنه فقال : معناه آيت أن تأتي من الأمور ما تلعن عليه .

وأما : « الأشاجع » ؛ فهي العروق والمصب الذي على ظهر الكف .
وقد روى : * أكل يوم هامتي مفرعة *

١٠ والقزع : تساقط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه ، يقال : كبش أقزع ونمجة قزعاء .

فأما الجاحظ فهو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، مولى لأبي القلس عمرو بن قلم الكِنَانِي ثم الفُقَيْمِي . وذكر المبرّد أنه ما رأى أحراً على العلم من ثلاثة : الجاحظ ، والفتح بن خاقان ، وإسماعيل بن إسحاق القاضي ؛ فأما الجاحظ فإنه كان إذا وقع في يده [٦٣] كتاب قرأه من أوله إلى آخره ، أي كتاب كان . وأما الفتح / بن خاقان ^(٣) فإنه كان يحمل الكتاب في خُفّه ، فإذا قام بين يدي المتوكل للبول أو للصلاة أخرج الكتاب فنظر فيه ١٥ وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريده ، ثم يصنع مثل ذلك في رجوعه إلى أن يأخذ

(١) قال صاحب الخزائن (١ : ١٧٤) : قول السيد المرتضى : إن لييدا إنما قال أربعة وهم خمسة لضرورة الشعر ؛ هذا قول الغراء ؛ وهو قول فارغ ؛ والصواب كما قال ابن عصفور في الضرائر : لم يقل إلا أربعة وهم خمسة على جهة الغلط ؛ وإنما قال ذلك لأن أباه كان قد مات وبقى أعمامه وهم أربعة .

(٢) في الأصل : « المدغدة » ، وصوابه . ن ت ؛ وانظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩١ ، من هذا الجزء

(٣) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل ؛ قتل معه سنة ٢٧٤ ؛ (النجوم الزاهرة ٢ : ٣٢٥) .

مجلسه . وأما إسماعيل بن (١) إسحاق فإني مادخلتُ عليه قطُّ إلا وفي يده كتاب ينظر فيه ،
أو يقلب الكتبَ لطلب كتاب ينظر فيه .

قال البلخي : تفرد الجاحظ بالقول بأن المعرفة طباع ، وهي مع ذلك فمسل للعباد على
الحقيقة ، وكان يقول في سائر الأفعال إنها تنسب إلى العباد على أنها وقعت منهم طباعاً ،
وأنها وجبت بإرادتهم ، وليس بجاز أن يبلغ أحدٌ فلا يعرف الله تعالى ؛ والكفار عنده بين معانيد ،
وبين عارفٍ قد استفرقه حبه لذهبه وشغفه به وإلفه وعصبيته ؛ فهو لا يشمر بما عنده من المعرفة
بخلافه .

وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك الزيات (٢) ، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد ،
للمداوة التي كانت بين أحمد ومحمد ، فلما قبض على محمد بن عبد الملك الزيات هرب الجاحظ ،
فقيل له : لم هربت ؟ فقال : خِفْتُ أن أكون ثانياً اثنين إذ هما في التنور ! يريد : ما صنع
بمحمد بن عبد الملك من إدخاله تنوراً فيه مسامير ، كان هو صنعه ليعذب الناس فيه ، فعُذِبَ
به حتى مات .

وروى أنه أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفي عنقه سلسلة ، وهو مقيدٌ في قيص
سمَل ، فلما نظر إليه ابن أبي دؤاد قال : والله ما علمتُك إلا متناسياً للنعمة ، كفوراً
للعنينة ، معدناً للمساوى ، وما فُتِنِي باستصلاح (٣) لك ، ولكنَّ الأيام لا تُصلح منك
لفساد طويبتك ، ورداءة دَخيلتك (٤) ، وسوء اختيارك ، وغالب طبعك ؛ فقال الجاحظ : خَفَضَ
عليك أيديك ! فوالله لأن يكون لك الأمر على خيرٍ من أن يكون لي عليك ، ولأن أُمِيء
وتُحسن أحسنُ في الأحدثنة عنك من أن أحسن فتسئ ، ولأن تعفو عني في حال قدُرتك

(١) هو إسماعيل بن إسحاق القاضي البصري الفقيه المالكي ؛ صنف في الفرائد والفقه ؛ وكان إماماً
في العربية ؛ قال الأبريد : هو أعلم بالتصريف مني ؛ وتوفي سنة ٢٨٢ ؛ (شذرات الذهب ٢ : ١٧٨) .

(٢) هو محمد بن عبد الملك بن أبيان ، المعروف بابن الزيات ؛ كان وزير المعتمد ، وله شعر سائر
جيد ، وديوان رسائل ، وتوفي سنة ٢٣٣ ؛ (ابن خلكان ٢ : ٥٤) . (٣) حاشية الأصل :

« أي ما فوطني استصلاحك ، والباء للتعدي » . (٤) ت : « داخلتك » .

أَجَلُ بَكَ مِنَ الْإِنْتِقَامِ مِنِّي ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي دُوَادَ : قَبَحَكَ اللَّهُ ! فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كَثِيرَ
تَرْوِيقِ اللِّسَانِ ، وَقَدْ جَمَلْتَ بَيَانَكَ أَمَامَ قَلْبِكَ ، ثُمَّ اضْطَمْنَتْ فِيهِ النِّفَاقُ وَالْكَفَرُ ؛ يَا غِلَامَ صِرْ
[٦٤] بِهِ إِلَى الْحَمَامِ ، وَأَمِيطْ عَنْهُ الْأَذَى . فَأَخَذَتْ عِنْدَ السَّلْسَلَةِ / وَالْقَيْدِ ، وَأَدْخَلَ الْحَمَامَ ، وَأَمِيطْ عَنْهُ الْأَذَى ،
وَحُلَّ إِلَيْهِ تَحْتَ مِنْ ثِيَابٍ وَطَوْبِلَةٍ وَخَفٍّ ، فَلَبِسَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَتَاهُ فَصَدَّرَهُ فِي مَجْلِسِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ
عَلَيْهِ ، وَقَالَ : هَاتِ الْآنَ حَدِيثَكَ يَا أَبَا عُمَانَ !

وَقَالَ الْمُبَرَّدُ : سَمِعْتُ الْجَاهِظَ يَقُولُ : احْذَرِ مَنْ تَأْمَنُ ؛ فَإِنَّكَ عَلَى حَدَرٍ مِمَّنْ يَخَافُ .
وَقَالَ الْجَاهِظُ : قُلْتُ لِأَبِي يَعْقُوبَ الْخُرَيْمِيِّ الشَّاعِرِ : مَنْ خَلَقَ الْمَعَاصِيَ ؟ قَالَ : اللَّهُ ، قُلْتُ :
فَمَنْ عَذَّبَ عَلَيْهَا ؟ قَالَ : اللَّهُ ، قُلْتُ : فَلَمْ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي وَاللَّهِ !
وَكَانَ الْجَاهِظُ يَقُولُ : يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَكُونَ رَقِيقَ حَوَاشِي الْكَلَامِ ، عَذْبَ بِنَائِمِهِ ،
١٠ إِذَا حَاورَ سَدَّدَ سَهْمَ الصَّوَابِ إِلَى غَرَضِ الْمَعْنَى .

وَقَالَ : لَا تَكَلِّمِ الْعَامَّةَ بِكَلَامِ الْخَاصَّةِ ، وَلَا الْخَاصَّةَ بِكَلَامِ الْعَامَّةِ .
وَقَالَ سَوَّارُ بْنُ أَبِي شُرَاعَةَ : كُنْتُ عِنْدَ الْجَاهِظِ ، فَرَأَيْتُ أَكْتُبُ خَطًّا رَدِيثًا فِي وَرَقٍ
رَدِيءٍ مُتَقَارِبِ السَّطُورِ ، فَقَالَ لِي : مَا أَحْسَبُكَ تَحِبُّ وَرَثَتَكَ ، فَقُلْتُ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ :
لَأَنِّي أَرَاكَ تُسَيِّئُ بِهِمْ فِيمَا تَخْلُفُهُ !

وَذَكَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُبَرَّدُ قَالَ : سَمِعْتُ الْجَاهِظَ يَقُولُ لِرَجُلٍ آذَاهُ : أَنْتَ وَاللَّهِ أَحْوَجُ
١٥ إِلَى هَوَانٍ مِنْ كَرِيمٍ إِلَى إِكْرَامٍ ، وَمِنْ عِلْمٍ إِلَى عَمَلٍ ، وَمِنْ قُدْرَةٍ إِلَى عَفْوٍ ، وَمِنْ نِعْمَةٍ إِلَى
شُكْرٍ .

وَقَالَ الْمُبَرَّدُ قَالَ لِي الْجَاهِظُ يَوْمًا : أُنَعْرِفُ مِثْلَ قَوْلِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْقَاسِمِ .
وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُوطِّنُ نَفْسَهُ عَلَى نَائِبَاتِ الدَّهْرِ حِينَ تَنْوِبُ
٢٠ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَوْلُ كَثِيرٍ ، وَمِنْهُ أَخَذَ :
قُلْتُ لَهَا يَا عَزُّ كُلِّ مُصِيبَةٍ إِذَا وَطَّئَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

وروى يموتُ بن المزرع نخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجُمَاز^(١) يهجوهُ :

نَسَبُ الْجَمَّازِ مَقْصُورٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَا
تَنْتَهَى الْأَحْسَابُ بِالنَّسَبِ وَلَا تَمْدُو قَفَا
يَتَحَاجِي مَنْ أَبُو الْجَمَّازِ فِيهِ كَاتِبَاهُ
لَيْسَ يَدْرِي مَنْ أَبُو الْجَمَّازِ إِلَّا مَنْ بَرَاهُ

/ أخبرنا الرزباني قال: أخبرنا علي بن هرون قال أنشدني وكيع قال أنشدني أبو العيناء [٦٤]

قال أنشدني الجاحظ لنفسه في الخطاب :

زُرْتُ فَتَاةً مِنْ بَنِي هِلَالٍ فَاسْتَمَجَلْتُ إِلَى السُّوَالِ
مَالِي أَرَاكَ قَانِي السَّبَالِ كَأَنَّمَا كَرَعْتَ فِي جِرْيَالِ^(٢)
مَا يَبْتَنِي مِثْلَكَ مِنْ أُمَثَالِ تَنَحَّ قَدَّامِي وَمِنْ حِيَالِ

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه: قوله : « كَأَنَّمَا كَرَعْتَ فِي جِرْيَالِ » مليح قوي، ولا يشبه شعر الجاحظ لئنه وضعف كلامه .

وذكر أبو العيناء قال حدثني إبراهيم بن رباح قال أنشدني الجاحظ يمدحني :

بَدَا حِينَ أُتْرَى بِإِخْوَانِهِ فَقَلَّلَ عَنْهُمْ شِبَاةَ النَّدَمِ
وَذَكَرَهُ الْحَزَمُ رَبِّبَ الزَّمَانِ فَبَادَرَ بِالْعُرْفِ قَبْلَ النَّدَمِ

قال إبراهيم : فذا كرتُ بهما أحمد بن أبي دؤاد فقال : قد أنشدنيهما يمدحني بهما ، ثم لقيت محمد بن الجهم فقال : قد أنشدنيهما يمدحني بهما ، وقال يموت بن المزرع : سمعت خالي الجاحظ يقول : لا أعرف شعراً يفضل قول أبي نواس :

(١) الجُمَاز : لقب له ؛ ومعناه الوثاب ؛ واسمه محمد بن عمرو بن عطاء ؛ شاعر أديب بصرى ؛ وكان ماجنا خبيت اللسان ذا فادرة ؛ وكان أكبر سن من أبي نواس ؛ دخل بغداد في أيام المتوكل ؛ وقد أعجب به المتوكل يوماً فأمر له بعشرة آلاف درهم ؛ فأخذها وأحمد ، فات فرحاً بها ؛ (تاريخ بغداد ٣ : ١٢٥-١٢٦) .
(٢) السكرع : أن يهرب الرجل بغيره من الهر ، والجريال : صفوة الخمر .

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلُوها وَأَذْلَجُوا بِهَا أَثَرٌ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسٌ^(١)
 مَسَاحِيبٌ مِنْ جَرِّ الزُّقَاقِ عَلَى التَّرَى وَأَضْمَاتُ رِيحَانٍ : جَنَى وَبَارِسُ
 حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي فُجِدْتُ عَنْهُمْ وَإِنِّي عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لَحَابِسُ
 وَلَمْ أَذَرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ بَشَرِقِي سَابِطَ الدِّيَارِ الْبَسَائِسُ^(٢)
 أَقَمْنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرَخُّلِ خَامِسُ
 نَدَارُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ حَبَبُهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسُ
 قَرَارَتِهَا كِسْرَى وَفِي جَنَابَتِهَا مَهًا تَدْرِيبُهَا بِالْقَيْسِيِّ الْفَوَارِسُ^(٣)
 / فَلِلْخَمْرِ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ

[٦٥]

قال الجاحظ : فأنشدتها أباشعيب القلال^(٤) فقال : يا أبا عثمان ، لو نُقِرَ هذا الشعر لظنَّ !

١٠ قلت : وبلك ! ما تفارق الجرار والحرف حيث كنت ! .

قال سيدنا أيدى الله : أخذ أبو نواس قوله :

ولم أذرِ مَنْ هُمْ غَيْرَ مَا شَهِدْتُ بِهِ بَشَرِقِي سَابِطَ الدِّيَارِ الْبَسَائِسُ
 من قول أبي خراش الهذلي :

ولم أذرِ مَنْ ألقى عليه رِداءَهُ سِوَى^(٥) أَنَّهُ قَدْ سُلَّ عَنْ مَا جِدَّ مَحْضُ
 ١٥ ويقال إن أبا خراش أول من مدح مَنْ لا يعرفه ، وذلك أن خراش بن أبي خراش أَسْرَ
 هو وعروة بن مرة ، فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة
 ونجّاه . فلما تفرغوا له قال : أفلت متى ، ويقال : بل رآه في الأسر رجلٌ من بني عمه ،
 فآلقى عليه رداءه ليُجِيرَهُ بِهِ ، وقال له : النجاء وبلك ! فقال أبو خراش في ذلك :
 حَمِدْتُ الْإِلَهَ^(٦) بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا خِرَاشٌ وَبَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

(١) ديوانه : ٢٩٥ ، والكامل - بمرح المرصني ٤ : ٤٤٠ . (٢) البسائس : الخوالى ، وساباط : موضع
 ببلاد فارس . (٣) تدريبها : تخطبها . (٤) حاشية ت : « أبو شعيب هذا صقر بن عبد الرحمن القلال » .
 (٥) ت : « ولكنه » . (٦) الأبيات من قصيدة في (ديوان الهذليين ٢ : ١٥٧-١٥٨ ،
 وأملى القال ١ : ٢٧١ ، ديوان الحماسة ٢ : ٢٨٠-٢٨٤ ، والشعر والشعراء ٦٤٧-٦٤٨) .
 (٧) من نسخة بحاشية ت : « إلى » .

فَأَقْسَمْتُ لَا أُنْسَى قَتِيلًا دُرَيْثُهُ بِجَانِبِ قَوْسِي ^(١) مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
عَلَى أَثَرِهَا تَمْفُو الصُّكُومُ وَإِنَّمَا نَوَكَّكُلُ بِالْأُذُنِ وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي
وَلَمْ أَذِرْ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِذَاءَهُ سِوَى أَنَّهُ قَدْ سُلِّ عَنْ مَا جَدَّ يَحْضُرُ

وأخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران الرزباني قال حدثني إبراهيم بن محمد بن شهاب قال
حدثنا أبو الحسن أحمد بن عمر البردعي المتكلم قال : صِرْتُ إِلَى مَنْزِلِ الْجَاهِظِ فِي أَوَّلِ
مَاقِدِمَتِ مَنْ بَلَدِي، وَقَدْ اعْتَلَّ عَلَيْهِ الَّتِي فُلِجَ فِيهَا ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ ، فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ مِنْ
مَنْزِلِهِ ، فَقَالَ لِي : يَقُولُ لَكَ : وَمَا تَصْنَعُ بِشِقِّ مَائِلٍ ، وَلَمَّابِ سَائِلٍ ! فَانصرفت عنه .

وذكر يموت بن المزرع قال : وَجَّهَ الْمُتَوَكِّلُ فِي السَّنَةِ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا أَنْ يُحْمَلَ إِلَيْهِ الْجَاهِظُ
مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَسَأَلَهُ الْفَتْحُ ذَلِكَ ، فَوَجَدَهُ لَافِضًا فِيهِ ^(٢) ، فَقَالَ لِمَنْ أَرَادَ حَمْلَهُ : وَمَا تَصْنَعُ بِأَمْرِي
لَيْسَ بِطَائِلٍ ، ذِي شِقِّ / مَائِلٍ ، وَلَمَّابِ سَائِلٍ ، وَفَرَجَ بَائِلٍ ، وَعَقْلَ زَائِلٍ ، وَلَوْنُ حَائِلٍ ! . [٦٥]

وذكر المبرد قال : سَمِعْتُ الْجَاهِظَ يَقُولُ : أَنَا مِنْ جَانِبِ الْأَيْسَرِ مَفْلُوجٌ ، فَلَوْ قَرِضَ
بِالْمَقَارِيطِ مَا عَلِمْتُ ، وَمِنْ جَانِبِ الْأَيْمَنِ مُنْقَرَسٌ ، فَلَوْ مَرَّ بِهِ الذَّبَابُ لَأَلَمْتُ ، وَبِى حِصَاةٌ
لَا يَنْسِرُحُ لِي الْبُولُ مَعَهَا ، وَأَشَدُّ مَا عَلَيَّ سِتٌّ وَتَسْمُونُ !

وقال يوماً لمتطلب يشكو إليه عاتته : قَدْ اسْطَلَحْتَ الْأَمْدَادَ إِلَى جَسَدِي ، إِنْ أَكَلَتْ
بَارِدًا أَخَذَ بَرَجْلِي ، وَإِنْ أَكَلَتْ حَارًّا أَخَذَ بِرَأْسِي . وَتَوَفَى فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَتَيْنِ . ١٥

(١) كَذَا ضَبَطَ فِي ت : بِضَمِّ الْقَافِ وَفَتْحِ السِّينِ ؛ وَضَبَطَ فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ بِفَتْحِ الْقَافِ وَسُكُونِ
الْوَاوِ ؛ وَزَانَ « سَكْرِي » ، وَهِيَ بِلَدٌ بِالسَّرَاةِ .
(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « مِنْ لِسَانَةِ » : « لَافِضٌ عِنْدَهُ » .

مجلد آخر تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ اَيَسَّ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالْفُرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

فقال : كيف ينبغي كونه تولية الوجوه إلى الجهات من البر ، وإنما يفعل ذلك في الصلاة ، وهي بر لا محالة ؟ وكيف خبر عن البر «بِمَنْ» والبر كالصدر ، و«مَنْ» اسم محض ؟ وعن أي شيء كُتبي بالهاء في قوله تعالى : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ﴾ ؟ وما المخصوص بأنها كناية عنه وقد تقدمت أشياء كثيرة ؟ وعلى أي شيء ارتفع ﴿ الْمُوفُونَ ﴾ ؟ وكيف نصب ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ ، وهم معطوفون على الموفين ؟ وكيف وحد الكناية في مواضع وجمعها في آخر ؟ فقال : ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ و ﴿ آتَى الْمَالَ ﴾ و ﴿ أَقَامَ الصَّلَاةَ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَالْمُوفُونَ ﴾ ، و ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ ؟ .

يقال له : فيها ذكرته أولاً جوابان :

١٥ أحدهما أنه أراد تعالى : ليس الصلاة هي البر كله ؛ لكنه ما عُدَّ في الآية من ضروب الطاعات وصفوف الواجبات ، فلا تظنوا أنكم إذا توجهتم إلى الجهات بصلاتكم ، فقد أحرزتم البر بأسره ، وحزتموه بكامله ، بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه وأكثره .
والجواب الثاني أن التصاري لما توجهوا إلى الشرق ، واليهود إلى بيت المقدس ، وانخذلوا

هاتين الجهتين قبايتين ، واعتقدوا في الصلاة إليهما أنهما / برٌّ وطاعة خلافاً على الرسول صلى [٦٦]
الله عليه وآله أكذبهم الله تعالى في ذلك ، وبَيَّن أن ذلك ليس من البر ، إذ كان منسوخاً^٩
بشريعة النبي صلى الله عليه وآله؛ التي تلزم الأسود والأبيض ، والعربي والعجمي ، وأن البر
هو ما تضمنته الآية .

٥ فَمَا إخباره « بمن » ففيه وجوه ثلاثة :

أولها أن يكون معنى « البر » ههنا البارّ وذا البرّ ، وجعل أحدهما في مكان الآخر؛ والتقدير:
ولكن البارّ مَنْ آمَنَ بالله؛ ويمجرى ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴾ [الملك : ٣٠] ، يريد غائراً ، ومثل قول الشاعر :

تَرَ نَعْمًا رَمَتْ حَتَّى إِذَا دَاكَّرَتْ فإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالُ وَإِذْبَارُ^(١)

١٠ أراد أنها مقبلة مدبرة ، ومثله :

تَظَلُّ جِيَادُهُمْ نَوْحًا عَلَيْهِمْ مُقَلَّدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا^(٢)

أراد نائحة عليهم ، ومثله قول الشاعر :

هَرَبَقِي مِنْ دَمُوعِهِمَا سِجَامًا ضَبَاعَ^(٣) وَجَاوِي نَوْحًا قِيَامًا

والوجه الثاني أن العرب قد تُخبر عن الاسم بالمصدر والفعل ، وعن المصدر بالاسم ،

فأما إخبارهم عن المصدر بالاسم فقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْيَبْرَأَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ ، وقول ١٥
العرب : إِنَّمَا الْيَبْرُ الَّذِي يَصِلُ الرَّحِمَ ويفعل كذا وكذا ، وأما إخبارهم عن الاسم بالمصدر
والفعل فمثل قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْفِتْيَانُ أَنْ تَنْبَتَ اللَّحَى وَلَكِنَّمَا الْفِتْيَانُ كُلُّهُ فَتَى نَدٍ^(٤)

(١) البيت الغناء ؛ ديوانها : ٧٨ ، والكمال - بشرح الرصافي ٨ : ١٧٦ ، واللسان ١٩ :

١٣٥ ، وتاج المروس ٨ : ٧٣ ، وخزانة الأدب ١ : ١٣٨ ، وهو في وصف بقرة وحشية ، وقوله :

فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوٍّ تَطْيِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانِ إِصْفَارُ وَإِكْبَارُ

(٢) البيت لعمرو بن كلثوم ؛ من العاقبة - بشرح التبريزي : ٢١٧ ؛ وانظر ص ١٠٥ من هذا الجزء .

(٣) ضباع : اسم امرأة ؛ وأصله : « ضباعة » . (٤) في حاشيتي الأصل ، ف : ٥ مقرر =

فجمل « أن تنبت » وهو مصدر خبراً عن الفتيان .

والوجه الثالث أن يكون المني : ولكن البرّ برٌّ من آمن ؛ فحذف البرّ الثاني ، وأقام
« من » مقامه ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَأَثَرُ بَوَا فِي قُلُوبِهِمُ الْمِجْلَ ﴾ ؛ [البقرة : ٩٢] ، أراد :
حبّ المجل ، قال الشاعر :

وكيف نواصلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خُلَاتُهُ كَأَبِي مَرْحَبٍ^(١)

أراد : كخلالة أبي مرحب ؛ وقال النابغة :

[٦٦] / وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعِلِّ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ^(٢)

أراد على مخافة وعيل . وتقول العرب : بنو فلان يطوئهم الطريق ، أى أهل الطريق .
وحكى عن بعضهم : أطيبُ الناس الزُّيد ، أى أطيبُ ما يأكل^(٣) الناس الزُّيد ، وكذلك
١٠ قولهم : حَبِيتُ صَبَاحِي زَيْدًا ، أى صَبَاحَ زَيْد ، وروى عن ابن عباس في قوله تعالى :
﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ ؛ [النور : ٦١] ، أى ليس على مَنْ أَكَلَ مع الأعمى حرج ،
وفي قوله تعالى : ﴿ رَأَيْتُهُمْ كَذِبُهُمْ ﴾ ، [الكهف : ٢٢] ، وذكروا أنه كان راعياً يَبْمَهُمْ .
فأما مَنْ كُنِيَ عنه بالهاء في قوله تعالى : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى ﴾ ففيه
وجوه أربعة :

== في الصناعة أن يكون المبتدأ والخبر هو هو ؛ أو ما يقوم مقام ذلك ويجرى مجراه ؛ وهو اعتزاز من قولك
مثلاً : أبو يوسف أبو حنيفة ؛ بمعنى يقوم مقامه ؛ فإذا كان كذلك فالواجب أن يكون الجزءان من المبتدأ
والخبر جثتين أو حدثين ؛ حتى لا ينغرم هذا الأصل الذي أسلوه ؛ فإذا وجدت شيئاً من ذلك قد اختلف
فإنما هو على ضرب من الاحتمال والمجاز ؛ كقولك : الهلال الليلة ؛ لأن التقدير حدوث الهلال الليلة ؛ كأن
التقدير : حدوث الهلال وقع الليلة ؛ فالواقع هو الحدث ، والحدث هو الواقع . والبيت المستشهد به ،
التقدير فيه : لعمرك ما فتوة الفتيان ، فحذف المضاف وأقام المضاف مقامه ، والتقدير : ما فتوة الفتيان نبته
اللهي . (١) خلّاته : مودته ، وأبو مرحب كناية عن الغل ، والبيت للنابغة الجعدي ، وقوله :

وبعضُ الأخلاءِ عندَ البلاءِ ۝ والرُّزْءُ أَرْوَعُ مِنْ ثَمَلَبٍ

وانظر اللسان (رحب) . (٢) ديوانه : ٦٤ ، ومعجم البلدان ٨ : ٨٤ . وذو المطارة :
اسم جبل ؛ وعاقِل : متحصن ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « يمكن أن تجعل « ما » في البيت زيادة ،
والتقدير : حتى تزيد : ويمكن أن يكون على القلب ؛ أى ما تزيد مخافة وعيل على غفائي ؛ وهو كثير ،
والوعيل : الضأن الوحشي . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « ما أكل الناس » .

أولها: أن تكون الهاء راجعةً على المال الذي تقدم ذكره ، ويكون المعنى : وآتى المال على حبّ المال ، وأضيف الحب إلى المفعول ، ولم يذكر الفاعل : كما يقول للقائل : اشتريت طعامي كاشتراء طعامك ، والمعنى كاشتراكك طعامك .

والوجه الثاني أن تكون الهاء راجعةً إلى ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ ، فيكون المصدر مضافاً إلى الفاعل ، ولم يذكر المفعول لظهور المعنى ووضوحه .

والوجه الثالث أن ترجع الهاء إلى الإيتاء الذي دلّ ﴿ آتَى ﴾ عليه ، والمعنى : وأعطى المال على حبّ الإعطاء ، ويمجرى ذلك مجرى قول القطامي :

هُمْ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَهُمْ ^(١) وَالْآخِذُونَ بِهِ وَالسَّاسَةُ الْأُولُ ^(٢)

فكثرت بالهاء عن الملك ، لدلالة قوله : « الملوك » عليه ، ومثله قول الشاعر :

إِذَا نَهَى السَّفِيهَ جَرَى إِلَيْهِ وَخَالَفَ وَالسَّفِيهَ إِلَى رِخْلَافٍ ^(٣)

أراد : جرى إلى السّفه الذي دلّ ذكر السّفه عليه .

والوجه الرابع: أن تكون الهاء ترجع إلى الله تعالى ؛ لأن ذكره تعالى قد تقدم ، فيكون المعنى : وآتى المال على حبّ الله ذوى القربى واليتامى . فإن قيل : فأى فائدة في ذلك ، وقد علمنا الفائدة في إيتاء المال مع محبته والضمّ به ، وأن العطية تكون أشرف وأمدح ، فما الفائدة فيما ذكرتموه ؟ وما معنى محبة الله ، والمحبة عندكم هي الإرادة ، والقديم تعالى لا يصح أن يراد ؟ .

قلنا : أما المحبة عندنا فهي الإرادة ، إلا أنهم يستعملونها كثيراً مع حذف متعلّقها مجازاً

وتوسماً ، فيقولون : فلان يحبّ زيدا ، إذا أراد منافقته ، ولا يقولون : زيد / يريد عمراً ؛ بمعنى

(١) حاشية ت (من نسخة) : « هم » . (٢) جهرة الأسماء : ٣١٦ ؛ وهو آخر قصيدته

التي مطلعها :

إِنَّا مَحْيُوكَ فَاغْتَمَّ أَهْلُ الْبَلَلِ وَإِنْ بَلِيَتْ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطُّولُ

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « الخلاف » . وحاشية الأصل (من نسخة) : « اختلاف » .

أنه يريد منافعه ، لأن التعارف جرى في استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الإرادة ، وإن كان المعنى واحداً .

وقد ذكر أن لقولهم: زيد يحب عمراً مزيةً على قولهم: يريد منافعه، لأن اللفظ الأول يبنى عن أنه لا يريد إلا منافعه ، وأنه لا يريد شيئاً من مضاره ، والثاني لا يدلُّ على ذلك ، فحصلت له مزيةٌ ؛ وعلى هذا المعنى نَصِفُ الله تعالى بأنه يحب أوليائه والمؤمنين من عباده ؛ والمعنى فيه أنه يريد لهم ضروب الخير ، من التعظيم والإجلال والنعيم ؛ فأما وصف أحدنا بأنه يحب الله تعالى فالمعنى فيه أنه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعته ، ولا يصحَّ المعنى الذي ذكرناه في محبة العباد بعضهم بعضاً ؛ لاستحالة المنافع عليه . ومن جَوَّز عليه تعالى الانتفاع لا يصحُّ أيضاً أن يكون محباً له على هذا المعنى ، لأنه باعتقاده ذلك قد خرج من أن يكون عارفاً به ، فمحبتته في الحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه إليه ؛ كما تقول في أصحاب التشبيه : إنهم إذا عبدوا مَنْ اعتقدوه إلها فقد عبدوا غير الله تعالى .

فأما الفائدة في إعطاء المال مع محبة الله تعالى فهي ظاهرة ؛ لأن إعطاء المال متى قارنته إرادة وجه الله وعبادته وطاعته استحقَّ به الثواب ، ومتى لم يقترن به ذلك لم يستحقَّ الفاعلُ به ثواباً ، وكان ضائعاً . وتأثير ما ذكرناه أبلغ من تأثير حبِّ المال والفضنَّ به ؛ لأن المحبَّ [٦٧] للمال / الضنين به متى بذله وأعطاه ، ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحقَّ به شيئاً من الثواب ؛ وإنما يؤثرُ حُبُّه للمال في زيادة الثواب ؛ متى حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ، ولو تقرب بالمطية ، وهو غيرُ ضنينٍ بالمال ، ولا محبٍّ له لاستحقَّ الثواب . وهذا الوجه لم نُسبق^(١) إليه في هذه الآية ، وهو أحسن ما قبل فيها .

وقد ذكر وجه آخر ؛ وهو أن تكون الهاء راجعةً إلى ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ أيضاً ، وينتصب ذوى القربى بالمحبِّ ، ولا يجعل « لآتى » منصوباً لوضوح المعنى ، ويكون تقدير الكلام : وأعطى المال في حال^(٢) حبه ذوى القربى واليتامى ، على محبَّتِهِ أياهم ؛ وهذا الوجه ليس فيه

(١) حاشية ت (من نسخة) : « لم يسبق » . (٢) ت « على حبه » ، وفي حاشية ت أيضاً

(من نسخة) : « على حال حبه » .

مزية في باب رجوع الماء التي وقع عنها^(١) السؤال ، وإنما يتبين مما تقدم بتقدير انتصاب
ذوي القربى بالحب ، وذلك غير ما وقع السؤال عنه ؛ والأجوبة الأولى أقوى وأولى .

فأما قوله : ﴿ وَالْمُؤْفُونَ ﴾ ، ففي رفعه وجهان :

- أحدهما أن يكون مرفوعاً على المدح ؛ لأنَّ النعت إذا طال وكثر رُفِعَ بمعنى ، ونُصِبَ
بمعنى على المدح ؛ ويكون المعنى : وهم المؤمنون بمهدم ، قال الزجاج : وهذا أجود الوجهين . •
- والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على ﴿ مَنْ آمَنَ ﴾ ، ويكون المعنى : ولكن ذا البرِّ
وذوي البرِّ المؤمنون والمؤمنون بمهدم .

فأما نصب ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ ففيه وجهان :

- أحدهما المدح ، لأن مذهبهم في الصفات والنموت إذا طالت أن يعترضوا بينها^(٢) بالمدح
أو الذم ، ليميزوا المدوح أو المذموم ويفردوه ، فيكون غير متبع لأول الكلام ؛ من ذلك ١٠
قول الخرنق بنت بدر بن هفان :

لَا يَبْعَدُنُ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سَمُّ الْعَدَاةِ وَآفَةُ الْجَزْرِ^(٣)
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبِينَ مَعَاقِدَ الْأُزْرِ

- فنصبت ذلك على المدح ، وربما رفعوها جميعاً ، على أن يتبع آخر الكلام أوله ؛ ومنهم
من ينصب « النازلين » ويرفع « الطيبين » ، وآخرون يرفعون « النازلين » وينصبون ١٥
« الطيبين » ؛ والوجه في النصب والرفع ما ذكرناه ، ومن ذلك قول الشاعر ، أنشده الفراء :

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَأَبْنِ الْهَمَامِ وَلَيْثِ الْكَتِيبَةِ فِي الْمَزْدَحِمِ
وَذَا الرَّأْيِ حِينَ نَعْمُ الْأُمُورُ بِذَاتِ الصَّلِيلِ وَذَاتِ اللَّجْمِ

فنصب « ليث الكتيبة وذا الرأي » على المدح . وأنشد الفراء أيضاً :

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « عنها » .

(٢) ش ، حاشية ت (من نسخة) : « فيها » . (٣) ديوانها : ١٢ ، واللاتي : ٥٤٨ ،

ونوادر أبي زيد ١٠٨ ، والكامل - بشرح الرصافي ٦ : ١٥٨ .

فَلَيْتَ الَّتِي فِيهَا النُّجُومُ تَوَاضَعَتْ
عَلَى كُلِّ غَتٍّ مِنْهُمْ وَسَمِينِ
غُيُوثُ الْحَيَا فِي كُلِّ مَحَلٍّ وَلَزَبَةٍ
أَسُودُ الشَّرَى يَحْمِلِينَ كُلَّ عَرِينِ^(١)

ومما نصب على الذم قوله :

سَقَوْنِي الْخَمْرَ ثُمَّ تَكَنَّفَوْنِي
عُدَاةَ اللَّهِ مِنْ كَذِبٍ وَزُورٍ^(٢)

وَالْوَجْهَ الْآخَرَ فِي نَصْبِ : ﴿الصَّابِرِينَ﴾ أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى ذَوِي الْقُرْبَى ، وَيَكُونَ
[٦٨] الْمَعْنَى : وَآتَى الْمَالَ عَلَى / حَبَّةِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالصَّابِرِينَ ؛ قَالَ الرَّجَّاجُ : وَهَذَا لَا يَصْلَحُ إِلَّا أَنْ
يَكُونَ ﴿وَالْمُوفُونَ﴾ رُفِعَ^(٣) عَلَى الْمَدْحِ لِلْمُضْمَرِّينَ ، لِأَنَّهُ مَافِي الصَّلَاةِ لَا يَمُطَّافُ عَلَيْهِ بَعْدَ الْعُطْفِ
عَلَى الْمَوْصُولِ ، وَكَانَ يَقْوَى الْوَجْهَ الْأَوَّلُ .

وَأَمَّا تَوْحِيدُ الذِّكْرِ فِي مَوْضِعٍ وَجُمُهُ فِي آخِرٍ ؛ فَلِأَنَّ ﴿مَنْ آمَنَ﴾ لَفْظُهُ لَفْظُ
١٠ الْوَحْدَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْمَعْنَى لِلْجَمِيعِ^(٤) فَالَّذِي كُرِيَ الَّذِي أَتَى بَعْدَهُ مَوْحَدًا أُجْرِيَ عَلَى اللَّفْظِ ،
وَمَا جَاءَ مِنَ الْوَصْفِ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْجَمْعِ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَالْمُوفُونَ﴾ ، ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾
فَعَلِيَ الْمَعْنَى .

وَقَدْ اخْتَلَفَتْ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ^(٥) السَّبْعَةَ فِي رَفْعِ الرَّاءِ وَنَصْبِهَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَيْسَ
الْبِرُّ﴾ ، فَقَرَأَ حَمْزَةُ وَعَاصِمٌ فِي رِوَايَةٍ حَفْصٌ ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ بِنَصْبِ الرَّاءِ ، وَرَوَى هُبَيْرٌ عَنْ
١٥ حَفْصٍ عَنْ عَاصِمٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ بِالنَّصْبِ وَالرَّفْعِ ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ ، وَالْوَجْهَانِ جَمِيعًا
حَسَنَانِ ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْإِسْمَيْنِ : اسْمٌ لَيْسَ وَخَبَرُهَا مَعْرِفَةٌ ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فِي التَّعْرِيفِ

(١) اللَّزَبَةُ : الشَّدَّةُ ، وَالشَّرَى : مَأْسَدَةٌ بِنَاحِيَةِ الْفَرَاتِ . (٢) الْبَيْتُ لِعُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ ،
دِيَوَانُهُ : ٤٨ ؛ وَهُوَ فِي (الْكِتَابِ ١ : ٢٥٢) ؛ مِنْ أَيْيَاتٍ يَصِفُ فِيهَا مَا كَانَ مِنْ فِعْلٍ قَوْمِ امْرَأَتِهِ
حِينَ احْتَالُوا عَلَيْهِ وَسَقَوْهُ الْخَمْرَ ؛ حَتَّى أَجَابَهُمْ إِلَى مَقَادَاتِهَا ؛ وَكَانَتْ سَيِّئَةً عِنْدَهُ ؛ (وَانْظُرِ الْخَبْرَ وَالْأَيْيَاتَ
فِي الْأَقْنَافِ ٣ : ٧٧-٧٥ - طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ الْمَصْرِيَّةِ) . (٣) ش ، وَحَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) :
رَفْعًا . (٤) مِنْ نَسْخَةٍ بِحَاشِيَتِي ت ، الْأَصْلُ : «لِلْجَمْعِ» .
(٥) ت : «الْقِرَاءَةُ» .

تسكافاً في جواز كون أحدهما اسماً والآخر خبراً ؛ كما تسكافاً النكرات ^(١) .

وحجة من رفع « البرء » أنه : لأن يكون « البرء » ^(٢) الفاعل أولى ؛ لأنه ليس يشبه الفعل ، وكونُ الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده ؛ ألا ترى أنك إذا قلت : قام زيد ، فإن الاسم يلى الفعل . وتقول : ضرب غلامه زيدٌ ، فيكون التقدير في الغلام التأخير ، فلولا أن الفاعل أخص بهذا الموضع لم يجر هذا ؛ كما لم يجر في الفاعل : ضرب غلامه زيداً ، حيث لم يجر في الفاعل تقدير التأخير ؛ كما جاز في المفعول به ، لوقوع الفاعل موقمه المختص به .

وحجة من نصب « البرء » أن يقول : كون الاسم أن وصلتْها أولى لشبهها بالمضمر في أنها لا توصف ، كما لا يوصف المضمر ؛ فكأنه اجتمع مضمرٌ ومظهر ؛ والأولى إذا اجتمعا أن يكون المضمرُ الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر .

حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيم الكاتب قراءة عليه قال أُملي علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابي قال قال ابن الكلبي : لما كان بعد يوم الهبأة جاور قيس ابن زهير النمر بن قاسط فقال لهم : إني / قد جاورتكم واخترتكم ، فزوجوني امرأةً قد [٦٨ ط] أدبها النغي ، وأذلها الفقر ، في حسب وجمال ؛ فزوجوه ظبية بنت الكيس النمرى . وقال لهم : إن في خلافاً ثلاثاً ؛ إني غيورٌ ، وإني فخورٌ ، وإني أنفٌ ، ولست أفخر حتى أبداً ، ١٥ ولا أغار حتى أرى ، ولا آنف حتى أظلم .

فأقام فيهم حتى وُلِد له ، فلما أراد الرحيل عنهم قال : إني موصيتكم بخصال ، وناهيكُم عن خصال ؛ عليكم بالأناة ، فإن بها تنال الفرصة ، وتسويد من لاتعابون بتسويده ، وعليكم بالوفاء ؛ فإن به يعيش الناس ، وبإعطاء من تريدون إعطاءه قبيل المسألة ، ومنع من تريدون

(١) حاشية ت : لا يجوز أن يكون اسم ليس وخبرها نكرتين ؛ فلا أدري كيف يتكلمان !
(٢) ت : الاسم .
ولعله يريد التسكاف في غير هذا الموضع .

منعه قبل الإلحاح ، وإجارة الجار على الدهر ، وتنقيس المنازل عن بيوت الأياشي^(١) ، وخاطير
الضيف بالعيال ؛ وأنها كم عن الرهان ؛ فإن^(٢) به شككت مالكا أخى ، والبغى ، فإنه قتل
زهيراً أبى ، وعن الإعطاء فى الفعول فتعجزوا عن الحقوق ، وعن الإسراف فى الدماء ،
فإن يوم الهبابة أرمى المارحقة ، ومنع^(٣) الحرم إلا من الأ كفاء ؛ فإن لم تصيوا لها^(٤)
• الأ كفاء فإن خير مناكلها القبور ، أو خير منازلها ؛ واعلموا أنى كنت ظالماً مظلوماً ؛ ظلمنى
بنو بدر بقتلهم مالكا أخى ، وظلمتهم بأن قتلت من لا ذنب له .

قال سيدنا المرتضى أدام الله علوه : أما قوله : « أنها كم عن الرهان » فأراد المراهنة
فى سباق الخيل ، وذلك أن قيس بن زهير راهن خذيفة بن بدر الفزارى على فرسيه : داحس
والفبراء ، وفرسى خذيفة : الخطار والحنفاء - وقال بعض بنى فزارة : بل قرزل والحنفاء -
١٠ وكان قيس كارهاً لذلك ؛ وإنما هاجه بينهما بعض بنى عبد الله بن غطفان - وقيل : بل رجل
من بنى عبس - والخبر فى شرح ذلك مشهور^(٥) ؛ ثم وقع الاتفاق على السباق ، وجعلوا الناية
من واردات^(٦) إلى ذات الإصاد^(٧) ، وجعلوا القعصة^(٨) فى يد رجل من بنى ثعلبة بن سعد ،
يقال له حصين ، ويبد رجل من بنى النشراء من بنى فزارة ، وماشوا البركة ماء ، وجعلوا
السابق أول الخيل بكرع فيما . ثم إن خذيفة بن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذى أرسلت
١٥ الخيل منه^(٩) بنظران إليها وإلى خروجها ؛ فلما أرسلت عارضها ، فقال خذيفة : خدعتك

(١) حاشية ت (من نسخة) : « البناى » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « فاني » .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وعليكم بمنع الحرم » . (٤) حاشية ت (من نسخة) :
« لمن » . (٥) هو خبر الحرب المعروفة بحرب داحس والفبراء ؛ وهى تشمل يوم المريقب ، ويوم
ذى حسا ، ويوم اليمرية ، ويوم الهبابة ، ويوم الفروق ، ويوم قطن ، ويوم غدبر قللى ، وانظر تفصيل
الخبر وما قيل فيه من الشعر فى (العقد ٥ : ١٥٠ - ١٦٠ ، والأغانى ١٦ : ٢٣ - ٣٢ ، وسيرة ابن هشام
١ : ٣٠٦ - ٣٠٨ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ١ - ٣٩٧ - ٣٩٨ ، ٣ : ٣٤ - ٤٢ ، وابن الأثير ١ :
٣٤٣ - ٣٥٥ ، وجمع الأمثال ٢ : ٥١ - ٦١ ، وشرح العيون ٨٩ - ٩١ ، ومعجم البلدان - إصاد ، هبابة ،
وشرح القائلين ٨٣ - ١٠٨) . (٦) واردات : موضع عن يسار طريق مكة . (٧) ذات الإصاد : ردهة فى
ديار عبس . (٨) حاشية ت (من نسخة) : « الفضية » وهو تحريف (١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فيه » .

يا قيس ، فقال قيس : « تَرَكَ الخِدَاعَ مَنْ أَجْرَى مِنْ مائة » ؛ يعنى من مائة غلوة ، فأرسلها
مثلا ، ثم / ركضاً ساعة ، فجعلت خيلُ حذيفةَ تتقدمُ خيلَ قيس ، فقال حذيفة : سَبَقَتْ [١٩]
يا قيس ؛ فقال قيس : « جَرَى المَذَكَّيَاتِ غِلَاب » ، فأرسلها مثلاً . والمَذَكَّيَاتِ : السانُ
من الخيل ^(١) . وروى : « غِلَاب » كما يُتَغَالَى ^(٢) بالنَّبْلِ . ثم ركضاً ساعة ، فقال حذيفة : إِنَّكَ
لَا تَرْكُضُ مَرْكُضاً ، سَبَقَتْ خَيْلُكَ ؛ فقال قيس : « رُوِيَ يَعْلُونَ الْجَدَد » ، فأرسلها مثلاً .
وروى : « يَعْدُونَ الْجَدَد » ، أى يتعدّون الجَدَد إلى الوَعَث ^(٣) .

وقد كان بنو فزارة أكرموا بالثنية كيناً لينظروا ؛ فإن جاء داحسٌ سابقاً أمسكوه
وصدّوه عن الغاية ؛ فجاء داحسٌ سابقاً ، فأمسكوه ، ولم يمرّوا الغبراء . وهى خلفه مصلية
حتى مضت الخيلُ ، وأسهلت من الثنية ، ثم أرسلوه فتمطّر ^(٤) فى آثارها ، فجعل يبدّرها ^(٥)
فرساً فرساً ، حتى انتهى إلى الغاية مصلياً ^(٦) ، وقد طرّح الخيلَ غيرَ الغبراء ، ولو تباعدت
الغايةُ سَبَقَهَا ^(٧) . فاستقبلتها بنو فزارة فلطموها ، ثم حَلَّثُوهَا ^(٨) عن البركة ، ثم لطموا
داحساً ، وقد جاء متوالين ، ثم جاء حذيفة وقيس فى آخر الناس ، وقد دفنهم بنو فزارة
عن سبقهم ، ولطموا فرسهم ^(٩) ، وجرى من الخلف فى أخذ السبق ما قد شرحته الرواة .
وقد قيل فى بعض الروايات : إن الرهان والسبق ^(١٠) كان بين سهل بن بدر وبين قيس ،
وفى ذلك يقول قيس :

(١) أى أن المذكى يقال بحاربه فيغلبه لقوته ، وفى جمع الأمثال (١ : ١٤٤) : « يجوز أن يراد أن ثانى
جره أبداً أكثر من بادية وثالثه أكثر من ثانیه ؛ فكأنه يقال بالثانى الأول وبالثلث الثانى ؛ فجره
أبداً غلاب » . (٢) حاشية الأصل : « المالة : ارمى فى الهواء » .
(٣) الجدد : الأرض الصلبة ، والوعث : السهلة . (٤) يقال : تمطرت الخيل إذا ذهبت مسرعة .
(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « يندرها » ، أى يسقطها .
(٦) المصلى من الخيل : التالى للسابق . (٧) ت : « سبقها » .
(٨) حلثوها عن البركة ؛ أى منعوها من ورد الماء . (٩) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت :
« فرسيهما » . (١٠) ش ، ونسخة بحاشية الأصل : « السباق » .

كَمَا لَأَقَيْتُ مِنْ حَمَلِ بْنِ بَدْرِ وَإِخْوَتِهِ عَلَى ذَاتِ الْإِصَادِ
هُمْ فَخَرُوا عَلَى بَنِي فَخْرٍ وَرَدُّوا دُونَ غَايَتِهِ جَوَادِي
وَقَدْ دَلَّغُوا إِلَى بِفَعْلٍ سَوَاءٍ فَأَلْفَوْنِي لَهُمْ صَمْبَ الْقِيَادِ (١)
وَكُنْتُ إِذَا مُنِيتُ بِمَخْصَمٍ سَوَاءٍ دَلَّغْتُ لَهُ بِدَاهِيَةِ نَادٍ (٢)

• ثم إن قيساً أغارَ على عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله ، فبلغ ذلك بني فزارة فهموا بالقتال ،
فحمل الربيع بن زياد العبسي دية عوف ، مائة عُشْرَاءٍ مُتَلِيَةٍ (٣) .

ويقال إن قيساً قتل ابناً لحذيفة ، يقال له مالك ، وأن حذيفة كان أرسله إليه يطلب منه السبق (٤) ،
فطاعته فدى سُلْبَهُ ، وإن الربيع بن زياد حمل ديتَه مائة عُشْرَاءٍ ، فسكن الناس عن القتال .
[١٩] ثم إن مالك بن زهير نزل موضعاً يقال له اللُقَّاطَةُ (٥) / قريباً من الحاجر ، ونسكح امرأة يقال
لها مُلَيْكَةُ بنت حارثة ، من بني غراب من فزارة ، فبلغ ذلك حذيفة بن بدر ، فغسَّ إليه
فُرساً فأفقتلوه ، وكان الربيع بن زياد العبسي مجاوراً لحذيفة بن بدر ، وكانت تحت الربيع مُعَاذَةُ
بنت بدر ، فلما وقف على الخبر قال :

نَامَ الْخَلِيُّ وَمَا أُنْمَضُ (٦) حَارِ مِنْ سَيْئِ النَّبَأِ الْجَلِيلِ السَّارِ
مِنْ مِثْلِهِ تُغْنِي النِّسَاءَ حَوَاسِرًا وَتَقُومُ مَمْلُوءَةً مَعَ الْأَسْحَارِ (٧)

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « الدلوف : تقارب الخطو ؛ مثل مشى الشيوخ ؛ ولا يستعمل إلا في
القدم » . (٢) نَادٍ : صمبة . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « العشراء : الناقة التي يأتي على
حملها عشرة أشهر ؛ فتكون أقوى بولدها ؛ وجمها : عشارة . ومتلية ؛ أي تتلوها أولادها » .
(٤) السبق : المال المطاير عليه . (٥) اللقطة : موضع قريب من الحاجر ؛ من منازل بني فزارة
ذكره ياقوت ؛ وقال إنه قتل فيه مالك بن زهير .
(٦) رواية الحامسة : « لم أنمض » ، والنمض : النوم بعينه .
(٧) م : « تمشى » ؛ قال النبريزي : « وتمشى أجرد ؛ لأن طبعه : « وتقوم مملوءة مع الأسحار » ،
فكأنه قال : « تمشى حواسر وتصبح بواكن » ، « وحواسر » ؛ أي يأتي عليهم المساء وقد طرحن خرهن ؛
فعل النساء يصبن بكبار قومهن .

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فُلَيَّاتٌ نِسَوْتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ^(١)
يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبُهُ يَضْرِبُنَ أَوْجُهَهُنَّ بِالْأَحْجَارِ^(٢)
قَدْ كُنَّ يَخْبَأْنَ الْوُجُوهَ تَسْتَرًا فَالْيَوْمَ حِينَ بَدَوْنَ لِلنُّظَارِ^(٣)
أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءُ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ^(٤)
مَا بِنُ أَرَى فِي قَتْلِهِ لَدَوِي الْحِجَى إِلَّا الْعَطَى تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ^(٥)
وَمُجَنَّبَاتٍ مَا يَذُقْنَ عَذُوفَةً يَذُقْنَ بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ^(٦)
وَمَسَامِرًا صَدَأَ الْحَدِيدُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا طَلَى الْوُجُوهَ بِقَارٍ^(٧)

فَأَمَّا مَقْتَلُ زُهَيْرِ بْنِ جَزِيمَةَ الْعَبْسِيِّ أَبِي قَيْسٍ ، فَاخْتَلَفَتِ الرِّوَاةُ فِي سَبِيهِ ، فَيَقَالُ بَنُو هَوَازِنَ

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « قد عليه ذكر الإتيان مع النسوة » ؛ ورواية المروزقي في الحماسة : « فليأت ساحتنا » ، قال : « وأكثر من رأينا يروى : « فليأت نوتنا » ؛ ورأيت الأستاذ الرئيس أبا الفضل بن الهميد يقول : « لأنى لأتجب من أبي تمام مع تكلفه رم جواب ما يختاره من الأبيات ، وغسله من دون الألفاظ ، كيف ترك تأمل قوله : « فليأت نوتنا » ؛ وهذه لفظة شائعة » ؛ ووجه التمار : صدره . (٢) ت : « بالأسعار » ، وهي رواية الحماسة ، وفي نسخة بحاشية الأصل : « بالأسفار » .

(٣) ف ، ونسخة بخطي الأصل ، ت : « برزن » ؛ وهي رواية الحماسة . ت : « قد أبرزن » .

(٤) المراد بعواقب الأطهار مراجعة الأزواج إلى أزواجهن بفب أطهارهن ؛ وفي حواشي الأصل ، ت ، ف ، تعليقاً على قوله : « زهير » ، بإسكان الياء : « جعل عروض الضرب الثاني من الكامل مقطوعة ، وردّها من متفاعلين إلى فتلان » ؛ وهذا المذهب يسميه المتأخرون القطع ، وسمّاه الخليل الإقصاد ؛ وسمّاه ابن تقيّة الإقواء ؛ لأنه نقص من عروضه قوة ، (وانظر العبدية ١ : ٩٤ ، والشعر والشعراء ٤٣ ، وشروح سقط الزند ١١٤٦) . (٥) رواية الحماسة - بشرح التبريزي : « لدوى الهوى » .

وتشد بالأكوار ، أى تشد عليها الأكوار . (٦) المجنّبات هنا : الخيل تجنب إلى الإبل في القزوة . والمدفوف والمدفونة أدنى ما يؤكل ، ورواية الحماسة : « عذوقا » ، والمهرات : جمع ميرة ؛ قال التبريزي في معنى البيتين : « ما أرى في قتل مالك بن زهير رأياً لدوى المقول ؛ إلا أن تركب الإبل وتجنب الخيل ، ويسار بها سيرا عنيفا ؛ حتى ترى أجنحتها ، فتبأن بنا إلى عدونا ، فتغير عليهم ، وتسفك دماهم » .

(٧) المسامر : جمع مسمر ، والمسمر : هو الشجاع ؛ كأنه آله في إسمار الحرب وإيقادها ؛ وصدا الحديد آت من اتصاله بالدروع ولبسها .

ابن منصور كانت تؤتى الإناوة زهير بن جزيمة ، ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد ، فهم أذل من يد في رحم ، فأت عجز من هوازن زهير بن جزيمة بسمن في نحي ، واعتذرت إليه ، وشكت السنين اللواتي تابعت على الناس ، فذاقه فلم يرض طعمه ، فدعها - أي دفعها - بقوس في يده عطل^(١) ، في صدرها ، فسقطت فبدت عورتها ، فغضبت من ذلك هوازن ، وحقدته إلى ما كان في صدرها^(٢) من الفيظ ، وكانت يومئذ قد أمرت بنو عامر بن صعصعة - أي كثرت - فآلى جعفر بن كلاب فقال : والله لأجعلن ذراعى هذه وراء عنقه^(٣) حتى أقتل أو يقتل^(٤) ؛ وفي ذلك يقول خالد بن جعفر :

أُرَيْفُونِي إِرَاغَتَكُمْ فَإِنِ وَحْدَةً كَالشَّجَى تَحْتَ الْوَرِيدِ^(٥)
[٧٠] / مُقَرَّبَةً أَوَاسِيَا بِنَفْسِي وَالْحِفْهُمَا رِدَائِي فِي الْجَائِدِ
لَعَلَّ اللَّهَ يُمَكِّنِي عَلَيْهَا جِهَارًا مِنْ زُهَيْرٍ أَوْ أُسَيْدِ
فَإِمَّا تَتَّقُونِي فَاقْتُلُونِي فَمَنْ أَتَقَفْ فَلَيْسَ إِلَى خُلُودِ^(٦)

ويقال بل كان السبب في ذلك أن زهير بن جزيمة لما قتل في غنى من قتل بابه شأس وافى عكاظ ، فلقبه خالد بن جعفر بن كلاب - وكان حدثا - فقال : يا زهير ، أما أن لك أن تشتفي وتكف ! - يعني مما قتل بشأس - فأغلظ له زهير وحقره ، فقال خالد : اللهم أمكن يدي هذه الشعراء القصيرة من عنق زهير بن جزيمة ، ثم أعنى عليه ، فقال زهير : اللهم أمكن يدي هذه البيضاء^(٧) الطويلة من عنق خالد ، ثم خل بيننا ، فقالت قريش : هلكت

(١) قوس عطل : لاوتر عليها . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « صدورها » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « من وراء » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « أو أقتله » . (٥) أريفوني ؟ أي اطلبوا إلى ، والشجا :

ما اعترض في الخلق من عظم وغيره . وفي حاشيت ، ف : « حذفة : اسم فرس خالد ؛ وذكره الجوهري في صحاح اللغة ، ويخبل للناظر فيه أن يكون معنى حذفة حذيفة بن بدر وقوله : « كالشجا تحت الوريد » شبه نفسه بالشجا ، وجعل حذفة كالوريد ؟ و « مقربة » في البيت الثاني مفعول « أريفوني » فرسا مقربة ، والله أعلم » . (٦) إما تتقوني ؟ أي إما تصادفوني ؟ وفي اللسان : تقفته تقفا ؟ أي صادفته ؟ وأنشد :

فَإِمَّا تَتَّقُونِي فَاقْتُلُونِي فَإِنْ أَتَقَفْ فَسَوْفَ تَرَوْنَ بَالِي

(٧) ت : « الشفاء » .

والله يا زهير ، قال : أنتم والله الذين لا أعلم لهم . ثم أجمع خالد بن جعفر على قصد زهير وقتله .
 واتفق نزول زهير بالقرب من أرض بني عامر ، وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد
 امرأة زهير بن جذيمة وأم ولده ، فرأى به أخوها الحارث بن عمرو بن الشريد ، فقال زهير لبنيته : إن
 هذا الحارث أطلبكم فاثبتوه ، فقالت اخته ابنيها : أيزورك خالكم فتوثقونه ؟ وقالت تماضر
 لأخيها الحارث بن عمرو بن الشريد : إنه ^(١) لا يريدني أكثنانك وقروئك . والإكثنان الغم ،
 والقروت ^(٢) السكوت . فلا يأخذن فيك ما قال زهير ، فإنه رجل بيذارة غيذارة شئوة .
 قال الأثرم : البيذارة : الكثير الكلام ، والغيزارة : السبي الخلق . ثم حابوا له وطباً ،
 وأخذوا عليه يميناً ألا يحير ^(٣) عليهم ، ولا يذيرهم أحداً ؛ فخرج الحارث حتى أتى
 بني عامر ، فقمعد إلى شجرة يجتمع إليها بنو عامر ، وألقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ، ثم
 قال : أيتها الشجرة الدليلة ، اشرابي من هذا اللبن ، وانظري ما طعمه . فقال قوم : هذا رجل
 مأخوذ عليه ، وهو يخبركم خيراً ، فذاقوا اللبن فإذا هو حلوا لم يقرص بعمد ، فقالوا : إنه يخبرنا
 أن مطلبنا قريب ، فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة ، وكان راكباً فرسه حذقة ،
 فلقوا زهيراً ، فاعتنق خالد زهيراً ، وخرّاً عن فرسيهما ، ووقع خالد فوق زهير ونادى :
 يا بني عامر ، اقتلوني والرجل ، واستغاث زهير ببنيته ، فأقبل إليه ورقاء بن زهير يشد ^(٤) بسيفه ،
 فضرب خالداً ثلاث ضربات ، فلم تُغن شيئا ، وكان على خالد درعان قد ظاهر بينهما ، ثم ١٥
 ضرب خنجر رأس زهير فقتله ، ففي ذلك يقول ورقاء بن زهير :

رَأَيْتُ زُهَيْرًا تَحْتَ كُلِّ خَالِدٍ فَأَقْبَلْتُ أَسْمَى كَالْمَجُولِ أَبَادِرٍ ^(٥)
 إِلَى بَطَائِنِ بَنِي هِزَانَ كِلَاهِمَا يُرِيدَانِ نَصْلَ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ دَائِرٌ ^(٦) [٧٠]

(١) ت : إلى . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : قررت الدم يقرت فروتا إذا مات

تحت الجلد ؛ وقررت إذا تغير من حزن يصيبه ، والقروت : السكون .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : ألا يخبر عنهم . (٤) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) :

يشد . (٥) المجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها .

(٦) تسكته من ت ، والأغاني ، والمقد .

فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرِبُ خَالِدًا وَبَسْتَرْتُ مِنْهُ الْحَدِيدَ الظَّاهِرَ^(١)
فَيَأْلَيْتَ أَنِّي قَبْلَ^(٢) ضَرْبَةِ خَالِدٍ وَبَوْمَ زَهْرٍ لَمْ تَلِدْنِي تُمَاضِرُ !

فأما خبر الهباءة فإن بنى عيس وبنى فزارة لما التقوا إلى جنب جعفر الهباءة^(٣) في يوم
قائظ ، فاقتتلوا - ولخبرهم شرح طويل معروف - استجار حذيفة ومن معه بجعفر الهباءة ليلتبرد^(٤)
فيه ، فهجم عليه القوم ، فقال حذيفة يا بنى عيس ، فأين العود^(٥) ؟ وأين الأحلام ؟ فضرب
حمّل بن بدر بين كتفيه وقال : « انق ماثور القول بعد اليوم » ، فأرسلها مثلاً ، وقتل قرّ واش
ابن هُيَّ حذيفة بن بدر ، وقتل الحارث بن زهير حملاً ، وأخذ منه ذا النون ، سيف مالك بن
زهير أخيه ، وكان حمل بن بدر أخذه من مالك بن زهير يوم قتل ، فقال قيس في ذلك :

تَعَلَّمُ أَنَّ خَيْرَ النَّاسِ مَيِّتٌ عَلَى جَعْفَرِ الْهَبَاءَةِ لَا بَرِيمٍ
وَلَوْ لَا ظُلْمُهُ مَا زِلْتُ أَبْكِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ مَا طَلَعَ النُّجُومُ
وَلَكِنِّ الْفَقِي حَمْلَ بْنَ بَدْرٍ بَنَى وَالْبَنَى مَرْتَعُهُ وَخِيمٌ^(٦)
أُظِنُّ الْحِلْمَ دَلَّ عَلَى قَوْمِي وَقَدْ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ
وَمَارَسْتُ الرِّجَالَ وَمَارَسُونِي فَمُؤَجَّعٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ
وقال قيس أيضاً :

شَفَيْتُ النَّفْسَ مِنْ حَمْلِ بْنِ بَدْرٍ وَسُفِي مِنْ حَذِيفَةَ قَدْ شَفَانِي
فَإِنْ أَكْ قَدْ بَرَدَتْ بِهِمْ غَالِيلٌ فَلَمْ أَقْطَعْ بِهِمْ إِلَّا بَنَانِي^(٧)

(١) النقد ، ونسخة بمحواشي الأصل ، ت ، ف ، : « ويعني » . ويراد بالحديد هنا الدرع ؛ ويقال :
ظاهر الدرع ؛ إذا لم يعضها على بعض . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « يوم ضربة خالد » .
(٣) الهباءة : أرض في بلاد عطفان ؛ وجعفر الهباءة : سدنقم فيها .
(٤) حاشية ت (من نسخة) : « ليتبرد » .

(٥) حاشية الأصل : « يقال سودد عود ، أي قديم » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) :
« مصرعه خيم » . (٧) حاشية ت من نسخة : « شفيت بهم » ، وروى ياقوت بعد هذا البيت :

فَلَا كَانَتْ الْغُبْرَا وَلَا كَانَ دَاحِسٌ وَلَا كَانَ ذَاكَ الْيَوْمُ يَوْمَ دَهَانِي

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْيَتِيمِ يُنْتَقِ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءً/ مِمَّنْ تُبْكَمُ عَنْهُمْ لَا يُعْقِلُونَ﴾ [البقرة : ١٧١] . [٧١]

فَقَالَ : أَيْ وَجْهَ التَّشْبِيهِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالصَّاحِ (١) بِالْغَنَمِ ، وَالْكَلَامُ يَدُلُّ عَلَى ذَمِّهِمْ وَوَسْفِهِمْ بِالْغَفْلَةِ وَقِلَّةِ التَّأَمُّلِ وَالتَّمْيِيزِ ، وَالتَّنَاقُ بِالْغَنَمِ قَدْ يَكُونُ مِمَّا مَقَامًا مُحَصَّلًا ؟

يُقَالُ لَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ خَمْسَةُ أَجَوِبَةٍ :

- أولها أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : مَثَلُ وَاعِظِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالِدَاعِي لَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ كَمَثَلِ الرَّاعِي الَّذِي يَنْتَقِ بِالْغَنَمِ وَهِيَ لَا تَعْقِلُ مَعْنَى دَعَائِهِ ، وَإِنَّمَا تَسْمَعُ صَوْتَهُ وَلَا تَفْهَمُ غَرَضَهُ ؛ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِهَذِهِ الصَّفَةِ لِأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ وَعِظَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَدَعَاءَهُ وَإِنْذَارَهُ فَيَنْصَرِفُونَ (٢) عَنْ قَبُولِ ذَلِكَ ، وَيُعْرِضُونَ عَنْ تَأَمُّلِهِ ، فَيَكُونُونَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَفْقَهُهُ وَلَمْ يَفْهَمْهُ ؛ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي عَدَمِ الْإِتِّفَاعِ بِهِ . وَجَازٌ أَنْ يَقُومَ قَوْلُهُ : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ١٠ بِمَقَامِ الْوَاعِظِ وَالِدَاعِي لَهُمْ ؛ كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ : فَلَانِ يَخَافُكَ خَوْفَ الْأَسَدِ ؛ وَالْمَعْنَى نَخَوْفُهُ (٣) الْأَسَدُ ، فَأُضَافَ الْخَوْفُ إِلَى الْأَسَدِ وَهُوَ فِي الْمَعْنَى مُضَافٌ إِلَى الرَّجُلِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
- فَلَسْتُ مُسَلِّمًا مَا دُمْتُ حَيًّا عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ
- أَرَادَ بِتَسْلِيمِي عَلَى الْأَمِيرِ ، وَتَظَاهَرُ ذَلِكَ كَثِيرَةً .

- والجواب الثاني أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى : وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الْغَنَمِ الَّتِي لَا تَفْهَمُ نِدَاءً ، ١٥
- التَّنَاقِ ، فَأُضَافَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَثَلُ الثَّانِي إِلَى التَّنَاقِ ؛ وَهُوَ فِي الْمَعْنَى مُضَافٌ إِلَى التَّنَوُّقِ بِهِ ،

(١) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ لِسَانِهِ) : « النَّاعِي » ، وَفِي ت : « الصَّاحِ » : النَّاعِي .

(٢) حَاشِيَةُ ت (مِنْ لِسَانِهِ) : « يَنْصَرِفُونَ » . (٣) م : « كَخَوْفِهِ مِنَ الْأَسَدِ » .

على مذهب العرب في قولها : طلعت الشمسى ، وانتصب المود على الجرباء^(١) ، والمعنى وانتصب الجرباء على المود ؛ وجاز التقديم والتأخير لوضوح المعنى ؛ وأنشد الفراء :

إِنَّ سِرَاجًا لَكَرِيمًا مَفْخَرُهُ تَحَلَّى بِهِ الْعَيْنُ إِذَا مَا تَجَهَّرُهُ^(٢)
معناه يحلّى بالعين ؛ فقدم وأخر . وأنشد الفراء أيضا :

كَانَتْ فَرِيضَةً مَا تَقُولُ كَمَا كَانَ الزَّانَا فَرِيضَةَ الرَّجْمِ

المعنى كما كان الرجم فريضة الزنا ، وأنشد أيضا :

وَقَدْ خَفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي عَلَى وَعَلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلٍ^(٣)

/ أراد ما تزيد مخافة وعلى على مخافتي ، ومثله :

[٧١]

* كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَمَاوُهُ^(٤) *

أراد كأن لون سمانه أرضه ، ومثله :

١٠

تَرَى الثَّوْرَ فِيهَا مُدْخِلَ الظِّلِّ رَأْسُهُ وَسَائِرُهُ بَادٍ إِلَى الشَّمْسِ أَجْمَعِ^(٥)

أراد مدخل رأسه الظل ، وقال الراعى :

فَصَبَّحَتْهُ كِلَابُ النُّوْثِ يُوَسِّدُهَا مُسْتَوْضِحُونَ يَرَوْنَ الْعَيْنَ كَالْأَثَرِ^(٦)

يريد أنهم يرون الأثر كالعين ؛ وقال أبو النجم :

(١) الجرباء : حيوان كالمضامة ؛ يدور مع الشمس . (٢) يقال حلى فلان بمعنى وفى عبنى إذا

أعجبك ؛ والبيتان في اللسان (حلا) ، وفى م : تجلى ، تصحيف .

(٣) البيت للنايف ، وقد مر ذكره ص ٢٠٢ ، وانظر ما سبق في تفسيره . (٤) الرجز لرؤية ، وقوله :

* ومهه مغبرة أرجاؤه * (٥) البيت من شواهد (الكتاب ١ : ٩٢) ؛ قال

الأعلم : * الشاهد فيه إضافة مدخل إلى الظل ، ونصب الرأس به على الاتساع والقلب ، وكان الوجه أن

يقول : مدخل رأسه الظل ؛ لأن الرأس هو الداخل في الظل ، والظل المدخل فيه ؛ وهو وصف ما جرة

قد ألجأت الثيران إلى كنفسها ، فذى نور مدخلا لرأسه في ظل كنفسه لما يجرد من شدة الحر ، وسائره

بارز للشمس . (٦) يذكرون ، والنوْث : قبيلة من طيء ، ويوسدها : بغريها ؛ ومستوضحون :

صيادون يظفرون : هل يرون شيئا ؛ يقال استوضح الرجل ، إذا نظر ليرى شيئا أو أثرا ، يريد أن أثر

الصيد عندهم إذا رآه يكون بمنزلة الصيد نفسه لا يعنى عليهم . (وانظر معاني الشعر لابن قتيبة ٧٤٢ ،

• قَبْلَ دُنُو الْأَفْقِ مِنْ جَوَازِيهِ •

فَقَلَبَ ، وقال العباس بن مرداس :

فَدَيْتُ بِنَفْسِي نَفْسِي وَمَالِي وَلَا آلُوهُ إِلَّا مَا يُطِيقُ

أراد فدیت بنفسی نفسه ، وقال ابن مقبل :

وَلَا تَهَيِّئْنِي الْمَوْتَاةَ أَرْكَبُهَا إِذَا تَجَاوَبَتِ الْأَصْدَاءُ بِالسَّحَرِ^(١)

أراد لا آتھیب المومة ؛ وهذا كثير جداً^(٢) .

والجواب الثالث أن يكون المعنى : ومثل الذين كفروا ومثلنا، أو مثلهم ومثلك يا محمد

كمثل الذي ينطق ؛ أي مثلهم في الإعراض ومثلنا^(٣) في الدعاء والتنبية والإرشاد كمثل الناعق

بالنم ، فحذف المثل الثاني اكتفاء بالأول ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم سِرَاجِيلَ

تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾ [البعل : ٨١] ، أراد الحر والبرد ، فاكتفى بذكر الحر من البرد ، وقال ١٠

أبو ذؤيب :

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ إِنِّي لِأَمْرِهَا مُطِيعٌ فَمَا أَذْرِي أُرْشِدُ طِلَابُهَا^(٤)

أراد أرشد أم غي ، فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر .

والجواب الرابع أن يكون المراد : ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام التي يعبدونها

من دون الله وهي لا تعقل ولا تفهم ، ولا تضر ولا تنفع كمثل الذي ينطق دعاء ونداء بما ١٥

(١) معاني ابن فديفة ١٢٦٤ ، واللسان - هيب ؛ يقال : تهيبني الشيء بمعنى تهيبته أنا ؛ كذا ذكره

صاحب اللسان واستشهد بالبيت . والمومة : المفازة ؛ والأصداء : جم صدى ؛ وهو اليوم .

(٢) حاشية ت : « ومن القلوب قوله تعالى : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ ﴾ ، وإنما هو :

تنوء العصبة بها ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ﴾ ؛ يريد مخلف رسله

وعده ؛ وإنما جرى المقاب في كلام العرب انشاعاً في الظاهر ؛ لأن المعنى فيه لا يشك .

(٣) د ، حاشية ت (من نسخة) : « ومثلك » . (٤) ديوان الهذليين ١ : ٧١ ؛

والرواية فيه :

عَصَانِي إِلَيْهَا الْقَلْبُ إِنِّي لِأَمْرِه سَمِيعٌ فَمَا أَذْرِي أُرْشِدُ طِلَابُهَا

لا يسمع صوته جملة ، والدعاء والنداء على هذا الجواب ينتصبان ينفق ، وإلا تؤكد الكلام ؛
ومعناها الإلغاء ؛ قال الفرزدق :

[٧٢] / هُمُ الْقَوْمُ إِلَّا حَيْثُ سَلُّوا سُبُوفَهُمْ وَمَنْحَوْا بِلَحْمٍ مِنْ مُجَلٍّ وَمَحْرَمٍ ^(١)
والمنى : هم القوم حيث سلّوا سبوفهم .

والجواب الخامس أن يكون المعنى : ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام ^(٢)
وعبادتهم لها واستزادتهم إياها كمثل الراعي الذي ينفق بالغنم ويناديها ؛ فهي تسمع
دعائه ونداءه ولا تفهم معنى كلامه ، فشبه من يدعو الكفار من المعبودات دون الله جل
اسمه بالغنم ، من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ، ولا نفع عندها فيه ولا مضرة .

وهذا الجواب يقارب الذي قبله ، وإن كانت بينهما مزية ظاهرة ؛ لأن الأول يقتضى
ضرب المثل بما لا يسمع الدعاء ولا النداء جملة ، ويجب أن يكون مصروفاً إلى غير الغنم
وما أشبهها مما يسمع وإن لم يفهم . وهذا الجواب يقتضى ضرب المثل بما يسمع الدعاء والنداء
وإن لم يفهمهما ، والأصنام من حيث كانت لا تسمع النداء ^(٣) جملة يجب أن يكون داعيها
ومناديها أسوأ حالاً من منادى الغنم . ويصح أن يصرف إلى الغنم وما أشبهها مما يشارك
في السماع ، ويخالف في الفهم والتمييز .

١٥ وقد اختلف الناس في ﴿ يَنْفِقُ ﴾ فقال أكثرهم : لا يقال نفق ينفق إلا في الصياح
بالغنم وحدّها ؛ وقال بعضهم نفق ينفق بالغنم والإبل والبقر ؛ والأول أظهر في كلام العرب ؛
قال الأخطل :

فَانْفِقْ بِضَائِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ فِي الْخَلَاءِ ضَلَالًا ^(٤)

(١) ديوانه ٢ : ٧٦٠ ، وفي ث ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « حين » ، وفي حاشية الأصل
أيضاً : « نظير هذا في مورد » إلا « للتوكيد دون الاستثناء قولهم : « أسألك إلا غفرت لي » .
(٢) م : « للأصنام » . (٣) ث : « الدعاء والنداء » ، ف : « الدعاء » .
(٤) ديوانه : ٥٠

ويقال أيضاً: نَعَقَ الغراب ونَقَى؛ بالعين المعجمة؛ إذا صاح من غير أن يمدَّ عنقه ويحركها؛ فإذا مدها وجرَّ كها ثم صاح قيل: نَعَبَ، ويقال أيضاً: نَعَبَ الفرس بنَعَبٍ وينعِبُ نَعَباً ونَعِيّاً ونَعَبَاناً، وهو صوته؛ ويقال: فرسٌ مَنَعَبٌ، أي جواد، وناقاة نَعَابِيَّةٌ؛ إذا كانت سريعة.

تَأْوِيلُ خَبَرِ

رُويَ أن النبي صلى الله عليه وآله خرج مع أصحابه إلى طعام دُعُوا إليه^(١)؛ فإذا^(٢) بالحسين عليه السلام، وهو صبي يلعب مع صبية في السَّكَّةِ، فاستنَّتَل رسولُ الله صلى الله عليه وآله أمامَ القوم، فطَفِقَ العصى يَهْرُقُ مِرَّةً هاهنا، ومِرَّةً هاهنا، ورسول الله صلى الله عليه وآله يضاحكه،^(٣) ثم أخذَه^(٤)، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، والأخرى / تحت فأس رأسه، [٧٢] وأقنعه فقبَّله، وقال: «أنا من حسين وحسين مني، أحبَّ الله من أحبِّ حسيناً، حسينٌ سَبِطٌ من الأسباط».

قال الشريف أدام الله علوه: معنى استنَّتَل تقدم، يقال: استنَّتَل الرجلُ استنَّتالاً، وابرئتوا برئتاً^(٥)، وابرئذع ابرئذعاً؛ إذا تقدم، هكذا ذكره ابنُ الأثير.

ووجدت بعض المتقدمين في علم اللغة يحكي في كتاب له قال: تقول: "استنَّتَلتُ الأمر استنَّتالاً إذا استعددت له"، واستنَّتَل الرجلُ تفرَّد من القوم، ويقال: استنَّتَل أشرف. والمعاني تتقارب، والخبر يليق بكل واحد منها. وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه في اِبْرَتْشاً وابرئذع أيضاً أنه من الاستعداد.

فأما السَّكَّةُ، فهي النازل المصطفة، والنخل المصطف.

(١) ت، د: د: له. (٢) في حاشيتي الأصل، ف: ه تقول خرجت فإذا زيد على الطريق؛ إذا همى الوقت؛ والتقدير: خرجت والوقت وقت حضور زيد على الطريق؛ وكذلك أكرمك إذا أنت صديق؛ ليست إذا لما مضى من الزمان؛ بل هي تعليلية، والتقدير: أكرمك لأنك صديق.

(٣-٣) ساقط من م. (٤) م: ه ابرئتاً.

ومعنى طَفِقَ ما زال ، قال الشاعر :

طَفِقَتْ تَبْكِي وَأُسْعِدُهَا فَكَلَانَا ظَاهِرُ الْكَمَدِ^(١)

وفأسُ الرأس : طرف القمَحْدُوَّةِ^(٢) الشرف على القفا .

ومعنى «أَفْنَمَهُ» رفعه ، هكذا ذكر ابنُ الأنباري . وقال غيره : يقال أَفْنَمَ ظَهْرَهُ إِفْنَاعًا إِذَا

• طَاطَأَهُ ثُمَّ رَفَعَهُ بِرَفْقٍ .

فأما الأسباط فأصلها في ولد إسحاق عليه السلام كلقبائيل في بني إسماعيل عليه السلام؛

وقال ابنُ الأنباري : هُمُ الصَّبِيَّةُ وَالصَّبَوَةُ ، بِالْيَاءِ وَالْوَاوِ مَعًا .

حدثنا أبو القاسم عبد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن أحمد

الحكيمي قراءة عليه قال أُمِّي عَلَيْنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَعْلَبِي قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ

١٠ أَنَّهُ قِيلَ لَابْنَةِ الْحُسَيْنِ : مَا مِائَةٌ مِنَ الْمِيزِ ؟ قَالَتْ : « مَوْئِلٌ يَشْفُ الْفَقْرَ مِنْ وَرَائِهِ ، مَالٌ

الضَّمِيفُ ، وَحَرْفَةُ الْعَاجِزِ » . قِيلَ لَهَا : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الضَّأْنِ ؟ قَالَتْ : « قَرْيَةٌ لَا حِمَى بِهَا » .

قِيلَ : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ ؟ قَالَتْ : « بَيْخٌ^(٣) ! كَجَالٍ وَمَالٍ ، وَمَنْىَ الرِّجَالِ » ، قِيلَ لَهَا : فَمَا مِائَةٌ مِنَ

الْخَيْلِ ؟ قَالَتْ : « طَفَىٌّ عِنْدَ مَنْ كَانَتْ ، وَلَا تَوْجِدُ » . قِيلَ : فَمَا مِائَةٌ مِنَ الْحُمْرِ ؟ قَالَتْ : « عَازِبَةٌ

الَّيْلِ ، وَخَزْزَى الْمَجْلِسِ ، لَا لَبَنٌ فَيَحْتَابُ ، وَلَا صَوْفٌ فَيُجْتَرُّ^(٤) ، إِنْ رُبِطَ عَيْرُهُ هَادَأَى^(٥) ، وَإِنْ

١٥ أُرْسِلَ وَلَّى^(٦) » .

وهذا الإسناد عن ابنِ الأعرابي قال : قِيلَ لَابْنَةِ الْحُسَيْنِ — وَالْخُصْ وَالْخُسْفُ ، قَالَ : كُلُّ ذَلِكَ

[٢٣] يُقَالُ — : مَا أَحْسَنُ شَيْءٍ ؟ قَالَتْ : « غَادِيَّةٌ ، فِي أَثَرِ سَارِيَّةٍ ، فِي نَبْخَاءٍ قَاوِيَةٍ » — قَالَ : / نَبْخَاءٌ :

أَرْضٌ مَرْتَفَعَةٌ ، لِأَنَّ النَّبَاتَ فِي مَوْضِعٍ مُشْرِفٍ أَحْسَنُ — وَقَالُوا أَيْضًا : « نَفْخَاءٌ » ، أَيْ رَابِيَةٌ ،

(١) ت : د الجلد ه . (٢) القمعدوة : الهنة الناشرة فوق القفا وأعلى القذال خلف الأذنين .

(٣) د ت ، ج : د ب ي غ ، بتنوين الخاء . (٤) د : د فيجز ه . (٥) من نسخة بمحاشي

الأصل ، ت ، ف : د أدل ه . (٦) ت : د وإن أرسلته ه ، والخبر في المزهر ٢ : ٤٤٥ .

ليس بها رمل ولا حجارة ، قال : والجمع التفاضل^(١) ، ونبت الراية أحسن من نبت الأودية ، لأن السيل يصرع الشجر فيقذفه في الأودية ، ثم يلتقي عليه الدمن^(٢) .

قال الشريف أدام الله علوه : ومما يدل أن نبت الراية أحسن قول الأعشى :
 ما روضة من رياض الحزن طيبة^(٣) خضراء جاد عليها مسيل هطل^(٤)
 وقال كثير :

فاروضة بالحزن طيبة ترى يحج الندى جنجائها وعراؤها^(٥)

(١) في حاشيتي ت ، ف : « فاك الجوهرى : النخاء : الأكفة ، والنخاء من الأرض مثل النخاء ، وأقوت الدار وقوت أى خات » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « الدمن : جمع دمنة ؛ وهو ما يتولد من الغراب والفش وكسار العبدان ؛ والخبر فى (بحال) ثلث ٣٤٣ ، والمخصص ١٠ : ١٤٣ ، واللسان - نبح ، فحج) . (٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « بعده :
 يضحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بميم النبت مكتهل
 يوماً بأطيب منها نشر رائحة ولا بأحسن منها إذا دنا الأصل
 - كوكب الشئ : معطيه ، والنبت إذا عم وكثر قبل اكتهل ، وقوله : « إذا دنا الأصل » ،
 يعنى أن الزهر إذا كان فى الأصل كان أحسن للبعد عن برد الغداة » . والآيات فى ديوانه : ٤٣ :
 (٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « الجنجاء والعرار : نباتان ، ونعده :

بأطيب من أردان عزة موهناً وقد أوقدت بالندل الرطب نارها
 ولابيتين قصة ؛ وهى أن كثيراً أقبل ذات وم راكبا ، فاعترضت له فى الطريق عجوز قد أوقدت فى
 روثه ، فتنضج عليها كثير ، وتأفف فى وجهها ؛ فقالت : أنت القاتل :

فما روضة بالحزن طيبة ترى يحج الندى جنجائها وعراؤها
 بأطيب من أردان عزة موهناً وقد أوقدت بالندل الرطب نارها
 قال : نعم ؛ قالت : والله لو أوقد بالندل على هذه الروثة لطابت ! هلا قلت كما قال سيدك ومولانا
 امرؤ القيس :

ألم ترياينى كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب !
 فانكسر كثير وخجل . وقيل إنه أعضاها مطرطاً كان معه وقال : « استربه على » ؛ (وانظر ديوان
 امرؤ القيس ٧٣ ، وديوان كثير ٩٣ : ٩٤) .

نحسنا الحزن للمعنى الذى ذكرنا .

وهذا الإسناد عن ابن الأعرابي قال : العرب تقول جاءنا بطعام لا ينادى وليده ؛ إذا جاء بطعام كثير لا يراد فيه زيادة ، ووقع في أمر لا ينادى وليده ؛ يقول لا يدعى إليه الصبيان ، ولا يستعان إلا بكبار الرجال فيه .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وفي ذلك قولان آخران ؛ أحدهما عن الأصمعي قال : أصله من الشدة تصيب القوم حتى تذهل المرأة عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ، ثم صار مثلاً لكل شدة ، ولكل أمر عظيم . والقول الآخر عن الكلبي قال : أصله من السكرة والسمة ، فإذا أهوى الوليد إلى شيء لم يُزجر عنه حذر الإفساد ، لسعة مام فيه ، ثم صار مثلاً لكل كثرة ؛ قال الفراء : وهذا القول يستعان به في كل موضع يراد به الغاية ، وأنشد :

لقد شرعت كفاً يزيد بن مزيد شرائع جود لا ينادى وليدها

وبالإسناد الذى تقدم عن ابن الأعرابي قال : دخل ودفة^(١) الأسدى على ممن بن زائدة الشيباني فقال : إن رأيت أكرمك الله أن تصمى من نفسك بحيث وضعت نفسى من رجائك ؛ فإنك قد بلغت حالاً لو أعتقني الله فيها بكرمك من تنصف^(٢) الرجال بعدك لم يكن كثيراً ، وإني قد قدمت الرجاء ، وأحسن الثناء ، ولزمت الحفظ ، ثم أنشأ يقول :

يا مَنُ إنك لم تنعم على أحد / فانظر إلى بطرف غير ذى مرض
فشأب نَمَاكَ تَغْيِصٌ ولا كَدَرُ / فأظفر إلى بطرف غير ذى مرض
فرُبَمَا صَحَّ لِي مِنْ طَرَفِكَ النَّظَرُ / فأظفر إلى بطرف غير ذى مرض
إِذَا سَكَتُ بِمَا تُخْفِي وَتَضَطَّرُّ / إذا سَكَتُ بِمَا تُخْفِي وَتَضَطَّرُّ
وَمِنْ هَوَاكَ شَفِيعٌ لَيْسَ يُغْفِلُنِي / وإن نأيت وإن قلت بي الذِّكْرُ

(١) ودفة ؛ بالقاء ، وضبط في الأصل ، ت بفتح الدال وإسكانها معا .

(٢) حاشية ت ، ف : هـ التنصيف ؛ الخدمة ؛ يقال تنصفه إذا خدمه ، والتنصيف : الخادم .

قد كنت أثرت عندي مرة أثراً
فاجبر بفضلك عظماً كنت تجبره
ما نزع السر في السر مذ عاقبت
وقد خشيت وهذا الدهر ذو غير
وأينما (٣) كان من عسر وميسر
فإن حظك فيه الحمد والشكر •
فقال معن : أو ما كنت أعطيناك شيئاً ؟ قال : لا ، قال : أما الذهب والفضة فليس
عندنا ، ولكن هات تختاً (٤) من ثيابي بإعلام ، فدفعه إليه ، وقد كان تحمل عليه (٥) بابن عيَّاش
وحبيب بن بُدَيْل ، فأعطاهما معه تختين ، وقال : غرمتني يا ودعة نختي ثياب !

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وكان معن بن زائدة جواداً شجاعاً شاعراً ، ويكنى
أبا نوليد ، وهو معن بن زائدة بن عبد الله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو بن مطر ، ١٠
وهو أخو الحوْفران بن شريك ، وكان معن من أصحاب ابن هُبيرة (٦) ، فلما قُتل رثاء معن فقال :
ألا إن عينا لم تجد يوم واسط
عشية قام النائح وشفت
فإن تمس (٩) مهجور الفناء فطالما
فإنك لم تبعد على متعهد
عليك بجاري دميها أجمود (٧)
جيوب بأيدي ماتم وخدود (٨)
أقام به بعد الوُفود وفود
بلى كل من تحت التراب بعيد (١٠) ١٥

(١) ت : « بفضلك » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « بطول الجفوة » .

(٣) م : « وإن ما » . (٤) التخت : وعاء تصان فيه الثياب :

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إليه » ، وتحمل إليه ؛ أي تشفع .

(٦) حواشي الأصل ، ت ف : « قتل ابن هبيرة الفاح » . (٧) حواشي الأصل ، ت ، ف :

• روى أبو تمام هذه الفطمة في الحماسة لأبي عطاء السندي . (وانظر ديوان الحماسة - بشرح التبريزي
٢ : ٢٩٥-٢٩٦) . (٨) حاشية الأصل : « المأتم : جماعة النساء للعرزاء » .

(٩-٩) م : « مهجور الجنب فطالما » ، ورواية الحماسة : « مهجور الجنب فرجا » ؛ قال التبريزي :

والرواية المختارة : « ورجا » ، نالوا ؛ وذلك أن جواب الشرط من قوله : « فإن تمس مهجور الفناء »

« فإنك لم تبعد على متعهد » ، وبصير : « ورجا أقام » بيان الحال فيما تقدم من رباسته .

(١٠) أي على متعهد يتعهد بالذكر والبكاء .

أخبرنا أبو عبيد الله الرزباني قال أخبرني يوسف بن يحيى النجّم عن أبيه قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدثني أبو زيد بن الحكم بن موسى قال حدثني أبي قال : كان [٧٤] معن بن زائدة / من أصحاب يزيد بن عمر بن هبيرة ، وكان مستعيراً ، حتى كان يوم الهاشمية ^(١) ، فإنه حَضَرَ وهو معتمٍ متلثمٌ ، فلما نظر إلى القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم فأخذ بلجام بقلته ، ثم جعل يضربهم بالسيف قدّامه ، فلما أفرجوا له وتفرّقوا عنه قال له : مَنْ أَنْتَ وَيَحْكُ ! قال : أنا طَلِيبُكَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . فلما انصرف المنصور حَبَاءً وكساءً ورتبه ، ثم قلده اليمين ، فلما قدم عليه من اليمين قال له : هَبْه يامعن ! تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف درهم على أن قال لك :

مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ شَرَفًا عَلَى شَرَفِ بَنِي شَيْبَانَ
إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْعَمَالِ فَإِنَّمَا يَوْمُهُ : يَوْمُ نَدَى وَيَوْمُ طِعَانِ ١٠

فقال : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنْ أُعْطِيَتْهُ عَلَى قَوْلِهِ :

مَا زِلْتَ يَوْمَ الْهَاشِمِيَةِ مُعَلِّناً بِالسَّيْفِ ذُوْنَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
فَمَنْعْتَ حَوْزَتَهُ ، وَكُنْتَ بِوَقَائِهِ مِنْ وَقَعِ كُلِّ مُهَنْدٍ وَسِنَانِ

فقال له : أَحْسَنْتَ يامعن !

١٥ وفي خبر آخر أنه دخل على المنصور ، فقال له : وبلك ^(٢) ! ما أظنُّ ما يقال فيك من ظلمك لأهل اليمين واعتسافك إياهم إلاَّ حقًّا ! قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلغني أنك أعطيت شاعراً كان يلزمك ألقي دينار ، وهذا من السرف الذي لا شيء مثله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إِنَّمَا أُعْطِيَتْهُ مِنْ فَضُولِ مَالِي وَغَلَّاتِ ضِبَّاعِي وَفَضَلَاتِ ^(٣) رِزْقِي ، وكففتُه عن عِرْضِي ، وقضيتُ الواجبَ مِنْ حَقِّهِ عَلَيَّ وقصديهِ إِلَيَّ وملازمته لي ، قال : ٢٠ فجعل أبو جعفر ينكت بقضيب في يده الأرضَ ولم يعاوده القول .

(١) الهاشمية : مدينة بناها السقاح بالقرب من الكوفة ، والخبر في (ابن خلدكان ٢ : ١٠٩) .

(٢) ت : « وبلك يامعن ! » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « وفَضَلَات » .

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن أبي سعد الوراق عن خالد
ابن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد الله^(١) بن محمد المعروف بمنقار من أهل خراسان - وكان
من ولادة الرشيد - قال : حدثني معن بن زائدة قال : كنا في الصحابة سبعمائة رجل ، فكننا
ندخل على المنصور في كل يوم ، قال : فقلت للربيع : اجعاني في آخر من يدخل عليه ، فقال لي :
لست بأشرفهم فتكون في أولهم ، ولا بأخسهم نسباً فتكون في آخرهم ، وإن مرتبتك [٧٤]
كنسبه^(٢) نسبك . قال : فدخلت على المنصور ذات يوم ، وعلى دراعة فضفاضة ، وسيف حنفي^(٣)
أقرع بعمله الأرض ، وعمامة قد أسدلها من قدامي وخلقني ، فسلمت عليه وخرجت ، فلما
صرت عند الستر صاح بي : يا معن ! صيحة أنكرتها ، فليبتته فقال : إلى ، فدنوت منه ،
فإذابه قد نزل عن فراشه إلى الأرض ، وجثا على ركبتيه ، واستل عموداً من بين فراشين ، واستحال
لونه ، ودرت أوداجه ، وقال : إنك لصاحبي يوم واسط ، لا نجوت ! إن نجوت مني ! قال :
قلت : يا أمير المؤمنين ، تلك نصرتي لباطلهم ، فكيف نصرتي لحقك ؟ قال : فقال لي : كيف قلت ؟
فأعدت عليه القول ، فما زال يستعيدني حتى رد العمود إلى مستقره ، واستوى متربعا ، وأسفر
لونه وقال : يا معن ، إن باليمن هنأت ، قلت : يا أمير المؤمنين ، « ليس لمكتوم رأي » - وهو
أول من أرسلها مثلاً - فقال : أنت صاحبي ، فاجلس ، قال : فجلست ، وأمر الربيع بإخراج كل
من كان في الدار ، وخرج الربيع ، فقال لي : إن صاحب اليمن قد هم بالمصيبة ، وإني أريد أن
أأخذه أسيراً ، ولا يفوتني شيء من ماله ، قلت : ولئى اليمن وأظهر أنك قد ضمنتني إليه ،
ومر الربيع أن يزج علتى في كل ما أحتاج إليه ، ويخرجنى في يومى هذا لئلا ينتشر الخبر ،
قال : فاستل عهداً من بين فراشين ، فوقع فيه اسمى وناولنيه ، ثم دعا الربيع فقال :
يا ربيع ، إنا قد ضممنا معنأ إلى صاحب اليمن ، فأزح علته فيها يحتاج إليه من السلاح

(١) حاشية ت (من نسخة) : « عبيد الله » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :

« كنسبه نسبك » . (٣) السيوف الحنفيه : نوع منها ينسب إلى الأخنف بن قيس ؛ لأنه أول من
أمر باتخاذها ، والقياس أحنفية ؛ (الفاموس) .

والسكران، ولا يُعْمَى إِلَّا وهو راحل، قال : ثم ودَّعني فودعته، وخرجت إلى الدَّهْلِيْزِ، فلقيني أبو الوالي فقال : يا مَن ؛ أَعَزَّ عَلَيَّ أَنْ تُصَمَّ إِلَى ابْنِ أَخِيكَ ! قال : فقات له : إِنَّهُ لَا غَضاضَةَ عَلَى الرَّجْلِ يَصْمُهُ سُلْطَانُهُ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ . وخرجت إلى اليمَنِ، فأُتيت الرجل ، فأخذته أسيراً ، وقرأت عليه المهد ، وقعدت في مجلسه .

• وروى عمر بن شبة قال : اجتمع عند مَن بن زائدة ابنُ أبي عامية وابنُ أبي حفصة والضمرى، فقال : لِيُنْشِدْنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَمْدَحَ بَيْتِ قَالِهِ فِيَّ ، فَأَنشده ابنُ أبي حفصة :
مَسَحَتْ رَيِّعُهُ وَجَهَ مَعْنٍ سَابِقًا لَمَّا جَرَى وَجَرَى ذَوُو الْأُخْطَابِ
[٧٠] / فقال له مَن : الجواد يَمُوتُ قَيْمَسَحَ وَجْهُهُ مِنَ الْعِثَارِ وَالغَبَارِ وَغَيْرِهَا .
وَأَنشده الضمرى :

أَنْتَ امْرُؤٌ هَمَّكَ الْمَعَالَى وَدَلُّوْكَ مَعْرُوفَكَ الرَّيِّعُ
— وروى : « ودون معروفك الربيع » —

وَشَأْنُكَ الْحَمْدُ أَشْتَرِبُهُ يُشِيعُهُ عَنْكَ مَا يُشِيعُ^(١)
فقال له : ما أحسن ما قلت ! إِلَّا أَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْنِي وَلَمْ تَذْكُرْنِي ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْهُ .
وَأَنشده ابنُ أبي عامية :

إِنْ زَالَ مَعْنُ بَنِي زِيَادٍ^(٢) لَمْ يَزَلْ لِنَدَى إِلَى بَلَدٍ بَعِيرٍ مُسَافِرٍ^(٣)
فَفَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ .

وروى أَنَّهُ أَتَى مَنُ بْنُ زَائِدَةَ بِثَلَاثِمِائَةِ أُسِيرٍ ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِهِمْ ، فَقَالَ لَهُ شَابٌ مِنْهُمْ : يَا أَخَا شَيْبَانَ^(٤) ، نُنَاشِدُكَ اللَّهَ أَنْ تَقْتُلَنَا عَطَاشًا ! فقال : اسْقُوهُمْ مَاءً ، فَلَهُ

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « من يشيع » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « شريك » . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « التقدير :

إِنْ زَالَ مَعْنُ بَنِي زِيَادٍ لَمْ يَزَلْ لِنَدَى بَعِيرٍ مُسَافِرٍ إِلَيْهِ ؛ يَعْنِي أَنَّ عَفَاتِهِ بَعْدَ زَوَالِهِ يَبُودَعُونَ وَلَا يَسَافِرُونَ لَعْدَمِهِ مِنْ يَقْدُ . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « يَا أَخَا بَنِي شَيْبَانَ » .

شربوا قال : يا أخا شيبان ، نناشدك الله أن تقتل أضيائك ! فقال : أطلقوهم .

وذكر أحمد بن كامل أن الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان في سنة إحدى وخمسين ومائة (١) .

وروي أن عبد الله بن طاهر كان يوما عند المأمون ، فقال له : يا أبا العباس ، من أشمر من قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ قال : أمير المؤمنين أعرف بهذا مني ، قال : قل على كل حال ، قال عبد الله : أشمرهم الذي يقول في معن بن زائدة :

أيا قبر مَن كنت أول حُفْرَةٍ من الأرض خُطَّتْ لِلسَّاحَةِ مُضْجَعَا (٢)
أيا قبر مَن كيف وارت جوده وقد كان منه البر والبحر مُترَعَا
بلى قد وسمت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

والأبيات للحسين بن مطير الأسدي ، وهي تزيد على هذا المقدار ، وأولها :
ألمّا بمَن (٣) ثم قولاً اقبره سقتك الغواذي مرّعا ثم مرّعا
وفيها :

فنى عيش في معروفه بمد موته كما كان بعد السيل مجراه مرّعا
ولمّا مضى مَن مَفْنى الجود وانقضى وأصبح عرّنين السكارم أجدعا

(١) وانظر ترجمة معن وأخباره في (تاريخ بغداد ١٣ : ٢٣٥-٢٤٤ ، وابن خلكان ٢ : ١٠٨)

(٢) الأبيات في (ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٢ : ٢٩٠-٣٩٢) ، وهي أيضا

في تاريخ بغداد وابن خلكان . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « أنا على معن » .

مَجْلِسُ آخِرِ تَاوِيلِ آيَةِ

[٧٥] قال سيدنا الشريف الأجل ذوالمجدين / أطال الله بقاءه : إن سأل سائل فقال : ما الوجه في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛ [آل عمران : ٢١] ، وفي موضع آخر : ﴿ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛ [النساء : ١٥٥] ؛ وظاهر هذا القول يقتضى أن قتلهم قد يكون بحق . وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ؛ [المؤمنون : ١١٧] . وقوله : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ ؛ [الرعد : ٢] ، وقوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ؛ [البقرة : ١٧١] ، وقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ ؛ [البقرة : ٢٧٣] ؛ والسؤال عن هذه الآيات كلها من وجه واحد وهو الذى تقدم .

الجواب ، أن للمرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفة ، ومذهبا مشهورا ، عند مَنْ تَصَفَّحَ كلامهم وفهم عنهم . ومرادهم بذلك المبالغة فى النفي وتأكيد كيدته ؛ فمن ذلك قولهم : فلان لا يرجى خيره ؛ ليس يريدون أن فيه خيرا لا يرجى ، وإنما غرضهم أنه لا خير عنده على وجه من الوجوه ؛ ومثله : قلما رأيت مثل هذا الرجل ، وإنما يريدون أن مثله لم ير لا قليلا ولا كثيرا ؛ وقال امرؤ القيس :

على لاجب لا يهتدى بمناره ^(١) إذا سافه المؤد الديافى جر جرا ^(٢)

١٥ يصف طريقا ؛ وأراد بقوله : « لا يهتدى بمناره » أنه لا منار له فهتدى بها .

(١) من نسخة بحاشية الأصل : « بمنارة » . (٢) ديوانه : ١٠١ ، واللاحب : الطريق المنقاد الذى لا ينقطع . والمنار : جمع منارة ؛ وهى العلامة التى تجعل بين الحدين ؛ ورواية الديوان : « النباطى » .

والمود : المسن من الإبل ، والدِّيافي : منسوب إلى دِياف ، قرية بالشام معروفة^(١) .
وسافه : شمة^(٢) ، والجرجرة مثل الهدير ؛ وإنما أراد أن المود إذا شمة عرفه فاستبعده ،
وذكر ما يلحقه فيه من المشقة ، فجرجر لذلك ؛ وقال ابن أحر :

لا تُفزعُ الأرنبَ أهوالها ولا ترى الضبَّ بها ينجحِرُ

• أراد : ليست بها أهوال فتفزع الأرنب ؛ وقال النابغة :
يحفُّه جانباً نيقٍ وتنبُّعه مثل الزجاجة لم تسكحل من الرمَدِ^(٣)
أراد : ليس بها رمَدٌ فتسكحل له ؛ وقال امرؤ القيس أيضاً^(٤) :

وصمَّ حوامٍ ما يقين من الوجى كأن مكان الردف منه على رالٍ

/ يصف حوافر فرسه . وقوله : « ما يقين من الوجى » فالوجى هو الحفا ، و « يقين » [٧٦]
أى يتوقن ، يقال : وقى الفرس إذا هاب الشئ ، فأراد أنه لا وجى بحوافره فيتبهين^١
الأرض من أجله ، والرال : فرخ النعام ، وشبه إشراف عجزه بمعجز الرال ؛ وقال الآخر^(٥) :

(١) ت : « وهى قرية » ، وفى معجم البلدان : « وقيل من قرى الجزيرة ، وأهلها نبط الشام » .
(٢) م : « شمة وعرفه » . (٣) حاشية ت : « الهاء فى يحفه للنعيم ، والنيق : أرفع موضع
فى الجبل ، ومثل الزجاجية عين المرأة التى وصفها » ، وفى حاشية الأصل : « وقوله :

واحكمكم كحكم فتاة الحمى إذ نظرت إلى حمام سراعٍ واردٍ التمدد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه قد

ـ والتمد : للاء القليل .

وفتاة الحمى : هى بنت الحس ، عن الأصمى ، وعن أبي عبيدة : زرقاء اليمامة . وذكر أبو حاتم أنه كان
لها فناء ، ومر بها سرب من القطا بين جبلين ؛ فقالت : ليت هذا الحمام لى ، ونصفه إلى حماتى فيتم لى مائة ؛
فنظروا فإذا هى كما قالت ، وأرادت بالحمام القطا ، وكانت جملة الحمام ستا وستين . وانظر الأبيات وشرحها
فى ديوان النابغة - بشرح البطلوسى ٢٣ ، ٢٤ . (٤) ت ، وحاشيتى الأصل ، ف : « نصف
فرسا ، وقوله :

سليم الشظا عبل الشوى شنج النساء له حجبات مشرفات على الفالى

ـ الشظا : عظم مستدق لاصق بعظم الذراع . والحجة على الورك ، وهما حجبتان مشرفتان على الحاصرتين
لحمهما بما حوليهما . والفالى يعنى به الفائل ؛ فقلبه ، والمائل : لحم على خربة الورك ؛ وانظر الديوان : ٦٥ .
(٥) هو أعشى بأهله ؛ من قصيدة يرثى بها المنشعر بن وهب .

لَا يَنْعِمُ السَّاقُ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ^(١)

أراد : ليس بساقه أين ولا وصب فيميزهما من أجلهما ؛ وقال سويد بن أبي كاهل :

مِنْ أَنَاسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سُوءُ الْجَزَعِ^(٢)

وإن يرد أن في أخلاقهم فحشا آجلا^(٣) ولا جزعا^(٤) ؛ وإنما أراد نفى الفحش

والجزع عن أخلاقهم . ومثل ذلك قولهم : فلان غير سريع إلى الخنا ، وهم يريدون أنه

لا يقرب الخنا ، لا نفى الإصراع حسب . وقال الفرزدق وهو يهجو ابنتي جعفر بن كلاب ،

ويعيّرهم بقتل منهم أصيبوا في حروبهم ، فحملت النساء هؤلاء ، القتل حتى أتيت بهم الحى^(٥) :

وَلَمْ تَأْتِ عَيْرَ أَهْلِهَا بِالَّذِي^(٦) أَنْتَ بِهِ جَعْفَرًا يَوْمَ الْهَضَيَاتِ عَيْرُهَا^(٧)

أَتَتْهُمْ بِعَيْرٍ لَمْ تَكُنْ هَجْرِيَّةً وَلَا حِنْطَةً الشَّامِ الْمَزِيَّتَ خَيْرُهَا

١٠ . يعنى أن العير إنما تحمل التمر أو الطعام إلى الحى ، فحملت عير هؤلاء القوم القتل ، وقوله :

« لَمْ تَكُنْ هَجْرِيَّةً » : أى لم تحمل التمر ، وذلك لكثرة التمر بهجر ، ثم قال : « وَلَا حِنْطَةَ

الشَّامِ الْمَزِيَّتَ خَيْرُهَا » ، ولم يرد أن هناك حنطة ليس في خيرها زيت ؛ لكنه أراد أنها لم

لم تحمل تمرًا وَلَا حِنْطَةً ، ثم وصف الحنطة وما يجعل في خيرها من الزيت .

(١) كذا في جميع الأصول ؛ وهو يوافق ما في اللآلئ : ٧٥ ، والكمال . شرح المرسى ٨ : ٢١٢ ؛

ورواية جهرة الأشعار ٢٨٢ ؛ وفي مصنفات ديوان الأعشى ٢٦٨ :

لَا يَتَأَرَى لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَعْصُ عَلَى شُرْسُوفِهِ الصَّفَرُ

لَا يَنْعِمُ السَّاقُ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَفْتَفِرُ

وهي توافي رواية المؤلف إنما بعد . والتأري : التعبس والسكت ، والعمر : حبة في البطل تعص

الشرسوف إذا جاع صاحبه . ولا يغمز الساق : لا ينجسها والافتقار : أن يؤكل الخبز قفارا .

(٢) الفضليات : ١٩٥ . (٣) ت ، د : « لَحْشًا عَاجِلًا وَلَا آجِلًا » .

(٤) ت ، د ، ف : « وَلَا جَزَعًا غَيْرَ سَيِّئٍ » . (٥) ديوانه ٢ : ٤٥٩ .

(٦) ت ، د ، ونسخة بخط ابن الأصيل ، ف : « كَالَّذِي » . (٧) الفضليات : وضع كان فيه يوم

من أيام العرب ؛ هو يوم طخنة ؛ ذكره البكري في معجم ما استعجم : ١٣٥٤ ، وأورد البيت .

وعلى هذا يقع تأويل^(١) الآيات التي وقع السؤال عنها . لأنه تعالى لما قال : ﴿ وَاقْتُلُوا النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ دل على أن قتالهم لا يكون إلا بغير حق ، ثم وصف^(٢) القتل بما لا بد أن يكون عليه من الصفة . وهي وقوعه على خلاف الحق ؛ وكذلك : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ، إنما^(٣) هو وصف لهذا الدعاء . وأنه لا يكون إلا عن غير برهان^(٤) . وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ وجهه أيضا أنه لو كان هناك عمدا رأيتموه ، فإذا نفي رؤية العمدة نفي وجود العمدة ؛ كما قال : « لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ » ، أي لا منار له من حيث علم أنه لو كان له منار لا هتدى به ، فصار نفي الاهتداء بالمنار نفيا لوجود المنار . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ تغليظ وتأكيدي تحذيرهم الكفر . وهو أبلغ من أن يقول : « وَلَا تَكْفُرُوا بِهِ » ، ويجرى مجرى قولهم : فلان لا يسرع إلى الخنا ؛ وقتلما رأيت مثله إذا أرادوا به تأكيدي نفي الخنا ونفي رؤية مثل المذكور . وكذلك قوله : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ . معناه لا مسألة تقع منهم ، ومثل الأول : ﴿ وَلَا تَسْتَرْوَا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ؛ والفائدة أن كل من لها لا يكون إلا قتيلا ، فصار نفي الثمن القليل نفيا لكل ثمن . وهذا واضح بحمد الله ومنه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « وتأويل » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « وإنما وصف » .

(٣-٤) ساقط من م .

بَابُ

فِي ذِكْرِ شَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِ الْمُعَمَّرِينَ وَأَسْمَاءِهِمْ وَمُسْتَحْسِنِ كَلَامِهِمْ

أَحَدُ الْمُعَمَّرِينَ الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَغْلَةَ بْنِ خَالِدٍ^(١) بْنِ مَالِكِ بْنِ أَدَدٍ^(٢) الْمَذْحِجِيِّ، وَمَذْحِجٌ^(٣) هِيَ أُمُّ مَالِكِ بْنِ أَدَدٍ، نَسَبٌ وَلِدَ مَالِكٌ إِلَيْهَا، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ مَذْحِجًا^(٤) لِأَنَّهَا وَلِدَتْ عَلَى أُكْمَةٍ تَسْمَى مَذْحِجًا، وَاسْمُهَا مُدْلَةُ بِنْتُ ذِي مَنَجَّشَانَ^(٥).

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ : جَمَعَ الْحَارِثُ^(٦) بْنُ كَعْبٍ بَنِيهِ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ فَقَالَ : « يَا بَنِي ، قَدْ أَتَى عَلَى سِتُونَ وَمِائَةَ سَنَةٍ ، مَا صَاحَتُ بِيَمِينِي^(٧) يَمِينُ غَايِرٍ ، وَلَا قَنَعْتُ^(٨) نَفْسِي بِخُلَّةٍ فَاجِرٍ ، وَلَا صَبَوْتُ بِابْنَةٍ عَمٍّ وَلَا كَنَّةٍ ، وَلَا طَرَحْتُ عِنْدِي مُوَسَّةَ قِنَاعِهَا ، وَلَا بَحْتُ لَصَدِيقٍ بِسَرٍّ ، وَإِنِّي لَعَلِّي دِينَ شُعَيْبِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَمَا عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ غَيْرِي ، وَغَيْرَ أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةٍ ، وَتَمِيمِ بْنِ مُرَّةٍ ، فَاحْفَظُوا وَصِيَّتِي ، وَمُوتُوا عَلَى شَرِيعَتِي : إِلَهُكُمْ فَانْقُوهُ يَكْفِيكُمْ الْمَهْمُ مِنْ أُمُورِكُمْ ، وَيُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ؛ وَإِيَّاكُمْ وَمَعْصِيَتَهُ^(٩) ، لَا يُجِلَّ بِكُمْ الدَّمَارُ ، وَيُوحِشُ مِنْكُمْ الدِّيَارُ . يَا بَنِي ، كُونُوا جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا فَتَكُونُوا شِيْعًا ، وَإِنْ مَوْتًا فِي عَزٍّ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي ذُلٍّ وَعَجْزٍ ، وَكُلُّ مَا هُوَ كَأَنَّ كَأَنَّ ، وَكُلُّ جَمِيعٍ إِلَى تَبَايُنٍ .
الدَّهْرُ^(١٠) صَرْفَانُ : فَصَرْفُ رِخَاءٍ ، وَصَرْفُ بَلَاءٍ^(١١) ، وَالْيَوْمُ يَوْمَانُ : فَيَوْمٌ حَبْرَةٌ ، وَيَوْمٌ

(١) كَذَا فِي جَمِيعِ الْأَسْوَلِ ، وَفِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ : « ذَكَرَ س : هَذَا سَهُوٌ ، وَهُوَ كَعْبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عِلْبَةَ بْنِ جُلْدَةَ بْنِ مَالِكٍ . وَوَعْلَةُ وَخَالِدٌ تَصْغِيرُ وَغُلَطٌ » .

(٢) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ت : « صَرَفَتْ الْعَرَبُ « أَدَدًا » ، وَلَمْ يَجْعَلُوهُ مِنْ بَابِ عَمْرٍ وَزَفَرَ » .

(٣) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « ذَكَرَ س : قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ حَبِيبٍ : مَذْحِجٌ هِيَ أُخْتُ مُدْلَةٍ ، وَاسْمُهَا مُدْلَةُ بِنْتُ مَنَجَّشَانَ بْنِ كُلَّةِ بْنِ زُرْمَانَ . مِنْ حَبِيرٍ » . (٤) حَاشِيَةُ ت : « بِخَطِّ ش : الصَّوَابُ أَلَّا تَصْرِفَ مَذْحِجًا لِلتَّأْنِيثِ وَالنَّمْرِيفِ » . (٥) س : « مَهْجَشَانَ » ، ت : « مَهْجَشَانَ » .

(٦) لَمْ يَذْكُرْ فِيمَا طَلَعُ مِنْ أَخْبَارِ الْمُعَمَّرِينَ لِأَبِي حَاتِمٍ . (٧) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : « مَا صَاحَتُ يَمِينِي » . (٨) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : « قَنَعْتُ » ، بِاسْكَانِ النَّاءِ .

(٩) ت : « وَمَعْصِيَةِ اللَّهِ » . (١٠-١١) ش : « وَالدَّهْرُ ضَرْبَانُ : فَضَرْبُ رِخَاءٍ ، وَضَرْبُ بَلَاءٍ » .

عَبْرَةً ، والناس رجالان : فرجل مَعَكَ ورجل عَلَيْكَ ، وتزَوَّجُوا الْأَكْفَاءَ ، وليستعملن في طيبهن الماء ، وتجنبوا / الحُمَقَاءَ ؛ فإن ولدها إلى أفنٍ ما يكون ، إلا أنه لراحة لقاطع القرابة ، [٧٧]
وإذا اختلف القومُ أمكنوا عدوهم منهم ، وآفة العدد اختلاف الحكمة ؛ والتفضل بالحسنة يقي السيئة ، والمكافأة بالسيئة الدخول فيها . العمل السوء يُزيل النعماء ، وقطيعة الرَّحِمِ تُورث الهمَّ ، وانتهاك الحرمة يُزيل النعمة ، وعقوق الوالدين يعقب النكد ، وبحق العدد ، ويخرب البلد ، والنصيحة تَجْرُ الفضيحة ، والحقد يمنع الرِّقْدَ ، ولزوم الخطيئة يعقب البلية ، وسوء الرِّعْة يقطع أسباب المنفعة ، والضغائن تدعو إلى التباين » ؛ ثم أنشأ يقول :

أَكَلْتُ شَبَابِي فَأَفْنَيْتُهُ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ دُحُورٍ دُحُورًا
ثَلَاثَةُ أَهْلِينَ سَاحِبَتُهُمْ فَبَادُوا وَأَصْبَحْتُ شَيْخًا كَبِيرًا
قَلِيلَ الطَّعَامِ عَسِيرَ الْقِيَامِ قَدْ تَرَكَ الدَّهْرُ خَطْوِي قَصِيرًا
أَيُّتُ أُرَاعِي نُجُومَ السَّمَاءِ أَقْلَبُ أَمْرِي بَطُونًا ظُهُورًا
قوله : « ولا صبوت بابتة عم ولا كنة » ، الصَّبُوتُ هِيَ رِقَّةُ الْحُبِّ ، (١) وَالْكَنَّةُ . امرأة .
أَخَى الرَّجُلِ وَامْرَأَةُ ابْنِ أَخِيهِ (٢) .

فَأَمَّا الْمَوْمَةُ ، فَهِيَ الْفَاجِرَةُ الْبَغْيَى ، وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ : « إِنَّمَا لَمْ تَطْرَحْ عِنْدَهُ قَنَاعَهَا » أَي لَمْ تَتَبَدَّلْ (٣) عِنْدَهُ وَتَتَبَسَّطْ ، كَمَا تَفْعَلُ مَعَ مَنْ يَرِيدُ الْفَجْرَ بِهَا .

وقوله : « فَيَوْمَ حَبْرَةٍ وَيَوْمَ عَبْرَةٍ » ، فَالْحَبْرَةُ : الْفَرْحُ وَالسُّرُورُ ، وَالْعَبْرَةُ تَكُونُ مِنْ ضِدِّ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الْعَبْرَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَمْرٍ مُحْزِنٍ مَوْثَلٍ .

وَأَمَّا الْأَفْنُ ، فَهُوَ الْحُمُقُ ؛ يُقَالُ : رَجُلٌ أَفِينٌ ؛ إِذَا كَانَ أَحَقُّ ؛ وَمِثْلُ مَنْ أَمْتَاهُمْ : « وَجَدَانُ الرَّقِينِ ؛ يُغَطَّى عَلَى أَفْنِ الْأَفِينِ » ، أَي وَجَدَانُ الْمَالِ يَنْطَى عَلَى حَقِّ الْإِخْتِاقِ ، وَوَاحِدُ الرَّقِينِ رِقَّةٌ ، وَهِيَ الْفَضَةُ .

(١-١) حاشية الأصل (من نسخة) « وَالْكَنَّةُ هِيَ امْرَأَةُ ابْنِ الرَّجُلِ وَامْرَأَةُ أَخِيهِ » .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « لَمْ يَتَبَدَّلْ » .

فأما قوله : « النصيحة نجر الفضيحة » ، فيشبه أن يكون معناه أن النصيحة إذا نصح لمن لا يقبل نصيحته ، ولا يُصْغِي إلى موعظته فقد افتضح عنده ؛ لأنه أغضى إليه بسراً ، وباح بمكنون صدره .

فأما « سوء الرعة » ، فإنه يقال : فلان حسن الرعة والتورع ، أي حسن الطريقة .

• ومن المعمرين المستوغر ، وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ابن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر .

وإنما سُمِّي المستوغر بيت قاله ، وهو :

[٧٧] / يَنْشُ الْمَاءُ فِي الرَّبْلَاتِ مِنْهَا نَشِيشَ الرِّضْفِ فِي اللَّيْلِ الْوُغَيْرِ^(١)

الرَّبْلَاتُ : واحدتها رَبْلَةٌ ، ورَبْلَةٌ ، بفتح الباء وإسكانها ، وهي كل لحمة غليظة ؛ ١٠ هكذا ذكر ابن دريد .

والرِّضْفُ : الحجارة المصممة ، وفي الحديث : « كأنه على الرِّضْفِ » ؛ واللين الوغير : لين تلقى فيه حجارة مصممة ثم يشرب ، أخذ من وَغَرَةِ الظهيرة ، وهي أشد ما يكون من الحر ؛ ومنه : وَغَرَ صدر فلان يَوْغَرُ وَغَرًا ، إذا التهب من غضب أو حقد .

وقال أصحاب الأنساب : عاش المستوغر ثلاثمائة سنة وعشرين ، وأدرك الإسلام أو كاد ١٥ يدرك أوله .

وقال ابن سلام : كان^(٢) المستوغر قديماً ، وبقي بقاء طويلاً حتى قال :
 وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنَ الْحَيَاءِ وَطُولِهَا وَعَمَرْتُ^(٣) مِنْ عَدَدِ السِّنِّينَ مِثْلَينَا
 مِائَةً أَنْتَ مِنْ بَعْدِهَا مِائَتَانِ لِي وَازْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سِتِينَ
 هَلْ مَا بَقِيَ^(٤) إِلَّا كَمَا قَدْ فَاتَنَا يَوْمَ بَكْرٍ وَلَيْسَ تَحْدُونَا

(١) ت : ذى الربلات ، د : بالربلات « والبيت في اللسان (وغر) ، والمعمرين ٩ - ١٠ .

(٢) طبقات الشعراء : ٢٩٠ - ٣٠ . (٣) في الطبقات : « وازددت » .

(٤) بقى ؛ بالأنف ، يريد بقى ، بالياء : لغة طائية .

وهو القائل :

إِذَا^(١) مَا أَمَرْتُ صَمٌّ فَلَمْ يُكَلِّمْ^(٢) وَأَوْدَى سَمْعُهُ إِلَّا نِدَايَا^(٣)

وَلَاعَبَ بِالْعَشِيِّ بَنَى بَيْتِهِ كِفْلُ الْهَرِّ يَحْتَرِشُ الْعَظَايَا

يُلَاعِبُهُمْ وَوَدُّوا لَوْ سَقَوَهُ مِنْ الدَّفْيَانِ مُتَرَعَةً مِلَايَا^(٤)

فَلَا ذَاقَ النِّعَمَ وَلَا شَرَّابًا وَلَا يُشْفَى مِنَ الرِّضِّ الشَّفَايَا

أراد بقوله : « صَمٌّ فَلَمْ يُكَلِّمْ » ، أى لم يسمع ما يكلم به ، فاختصر ؛ ويجوز أن يريد

أنه لم يكلم للباس من استماعه فأعرض عن خطابه لذلك . وقوله : « وَأَوْدَى سَمْعُهُ إِلَّا نِدَايَا »

أراد أن سمعه هلك ؛ إلا أنه يسمع الصوت العالى الذى ينادى به .

وأما قوله : « وَلَاعَبَ بِالْعَشِيِّ بَنَى بَيْتِهِ » ، فإنه مبالغة فى وصفه بالهرم والخرف ، وأنه

قد تنهى إلى ملاعبة الصبيان وأنهم به . ويشبه أن يكون خص العشى بذلك لأنه وقت

رواح الصبيان إلى بيوتهم واستقرارهم فيها .

وقوله : « يَحْتَرِشُ الْعَظَايَا » أى يصيدها ، والاحتراش أن يقصد الرجل إلى جُحْر^[٧٨]

الضَّب فيضربه بكفه ليحديه الضب أفعى ، فيخرج إليه فيأخذه ، يقال : حَرَّشْتُ الضَّبَّ ،

واحتارشته ؛ ومن أمثالهم : « هَذَا أَجْلٌ مِنَ الْحَرَشِ » ، يضرب عند الأمر يستعظم ،

ويتكلم بذلك على لسان الضب . قال ابن دريد : قال الضب لابنه : اتَّقِ الْحَرَشَ ، قال : ١٥

وما الحَرَش ؟ قال : إذا سمعت حركة بباب الجُحْر فلا تخرج ؛ فسمع يوماً وقع المِحْفَار فقال :

يَا أَبَاهُ ، أَهَذَا الْحَرَشُ ؟ فقال : « هَذَا أَجْلٌ مِنَ الْحَرَشِ » ؛ فجعل مثلًا للرجل إذا سمع الشئ

الذى هو أشد مما كان يتوقعه .

(١) الأبيات فى طبقات الشعراء : ٣٠ ، وخمسة البخرى ٣٢٤ (ورواها همزة) ، ومعجم الشعراء :

٢١٣ ، وفى حاشية الأصل : « ذكر سرقان : « قرأت س قال : قرأت بخط عبد السلام البصرى رحمه الله

أن هذه القطعة : إذا ما المرء ... لعسكلان بن ذى كواهن الجيرى » . (٢) فى الطبقات ومعجم الشعراء

« فلم ياجى » . (٣) فى حاشية الأصل ، ت : « إنما قلب الهمزة فى ندبا وشفايا وغيرها ياء لأنه

لو قال : شفايا السكات تحصل همزة يكتنفها ألفان ، والألف قريب من الهمزة ، فإذا اجتمع ألفان مع همزة

صار كأنه قد حصل قريب من الهمزتين ؛ فلما كان كذلك أبدل من الهمزة ياء » .

والذَّيْفَان: السَّم . والمظايا : جمع عَظَايَا ، وهى دَوِيَّة صغيرة معروفة^(١) .

وأحد الممَّرين دُوَيْد بن زَيْد بن نَهْد بن زَيْد بن لَيْث بن سُود^(٢) بن أَسْلَم^(٣) بن أَلْخَافِ^(٤) ابن قُضَاعَةَ بن مَالِك بن مَرَّة بن مَالِك بن حَمِير .

قال أبو حاتم : " عاش دُوَيْد بن زَيْد أربعاً مائة سنة وستاً وخمسين سنة " قال ابن دُرَيْد :
 لما حضرت دُوَيْد بن زَيْد الوفاة وكان من الممَّرين ، قال : ولا تعدُّ العرب مَمَّراً إلا مَنْ عاش
 مائة وعشرين^(٥) سنة فصاعداً — قال لَبْنِيه : « أوصيكم بالناس شراً ، لا ترحموا لهم عَبرة ،
 ولا تُقِيلوهم^(٦) عَثْرَةً ، قَصِّرُوا الأَعْنَة ، وطوِّلُوا^(٧) الأَسَنَةَ ، واطمَعُوا^(٨) شُرُراً ، واضربوا
 هَبْراً ؛ وإذا أردتم المحاجة ، فقبل المحاجة ، والمرء يميِّز لا المحالة ، بالجَدِّ لا بالكَدِّ . التجلُّد
 ولا التبلُّد ، والمنية ولا الدَّنية . لا تأسُوا على فائت وإن عزَّ قَدُّهُ ، ولا تحنُّوا إلى ظاعنٍ
 ١٠ وإن أَلِفَ قُرْبُهُ ، ولا تظموا فتطمعُوا ، ولا تهنُّوا فتخزَعُوا ، ولا يكون^(٩) لكم المثلُّ السوء ؛
 إنَّ الموصِّينَ بنو سَهْوان . إذا مِتُّ فارجبوا^(١٠) خطَّ مضجعى ، ولا تَضُنُّوا على رُحْبِ
 الأرض ، وما ذلك بمؤدِّ إلى رَوْحاً^(١١) ؛ ولكن راحة نَفْسٍ^(١٢) خامرها الإشفاق . ثم مات .

قال أبو بكر بن دريد فى حديث آخر إنه قال :

- (١) وانظر أخبار المستوفى فى الممرين : ٩ ، وطلبات الشعراء : ٢٩-٣٠ ، ومعجم الشعراء : ٢١٣-٢١٤ .
 (٢) حاشية ت (من نسخة) : « سويد » . (٣) حاشية الأصل : « بضم اللام » .
 (٤) حاشية الأصل : « أخاف » ، بقذف الألف كأنه جمع لُفٍّ ؛ كذا وجدته مضبوطاً فى النسخة
 المقروءة على ابن خروزاذ الجيرى ؛ وهو الصحيح ، وأخاف موصولاً أيضاً يقال « .
 (٥) حاشية ت (من نسخة) : « مائة وستاً وعشرين » . (٦) ت : « ولا تقبلوا لهم » .
 (٧) ت : « وأطولوا » . (٨) حاشية ت : طعن بالرمح يطعن [بضم العين] ، وباللسان يطعن
 [بفتح العين] . (٩) ش : « ولا يكنى » . (١٠) حاشية ت : « بخط ش : « فأرجبوا » ،
 بالفتح . كسر الحاء . (١١) حاشية ت (من نسخة) : « نفعا » . (١٢) حاشية الأصل (من نسخة) :
 « حاجة نفس » .

اليوم يُبْنَى ^(١) لِدَوْدٍ بَيْتُهُ يَارُبَّ نَهَبٍ ^(٢) صَالِحٍ حَوْبَتُهُ
وَرُبَّ قَرْنٍ ^(٣) بَطَلٍ أَرْدَبَتُهُ وَرُبَّ غَيْلٍ حَسَنٍ لَوْبَتُهُ
وَمِصْمَرٍ مُخَضَّبٍ ثَنْبَتُهُ لَوْ كَانَ لِلدَّهْرِ بَلَى أَبْلَتُهُ
أَوْ كَانَ قَرْنِي وَاحِدًا كَفَيْتُهُ

ومن قوله أيضا :

[٧٨]
ط

/ أَلْقَى عَلَى الدَّهْرِ رِجْلًا وَبَدَا والدَّهْرُ مَا أَصْلَحَ يَوْمًا أَفْسَدَا
يُفْسِدُ مَا أَصْلَحَهُ الْيَوْمَ غَدَا

قوله : « اطعمنوا شُرَرًا ، واضربوا هَبْرًا » ، معنى الشَّرُّ أَنْ يَطْعُمَهُ مِنْ إِحْدَى نَاحِيَيْهِ ،
يُقَالُ : فَتَلَّ الْحَبْلَ شُرَرًا إِذَا فَتَلَهُ عَلَى الشَّمَالِ ، وَالنَّظَرُ الشَّرُّ : نَظَرٌ بِمَوْخِرِ الْعَيْنِ ؛ وَقَالَ الْأَصْمَدِيُّ :
نَظَرَ إِلَى شُرَرًا إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ مِنْ تَمَنٍّ يَمِينَهُ وَشِمَالَهُ ، وَطَعْنَهُ شُرَرًا كَذَلِكَ .

وقوله : « هَبْرًا » ، قَالَ ابْنُ دَرِيدٍ : يُقَالُ هَبَرْتُ اللَّحْمَ أَهْبَرُهُ هَبْرًا إِذَا قَطَعْتَهُ قِطْعًا
كَبَارًا ، وَالاسْمُ الْهَبْرَةُ وَالْهَبْرَةُ ، وَسَيْفٌ هَبَّارٌ وَهَابِرٌ ، وَاللَّحْمُ هَبِيرٌ وَمَهْبُورٌ . وَالْمَحَالَةُ :
الْحِيلَةُ ^(٤) .

وقوله : « بِالْجَدَلَا بِالْكَدِّ » ؛ أَيِ يَدْرِكُ الرَّجُلُ حَاجَتَهُ وَطَلِبَتَهُ بِالْجَدِّ ، وَهُوَ الْحِظُّ
وَالْبُخْتُ ، وَمِنْهُ رَجُلٌ مَجْدُودٌ ، فَإِذَا كَسَرَتْ الْجِيمُ فَهُوَ الْإِنْكَشَاشُ فِي الْأَمْرِ وَالْبَالِغَةُ فِيهِ .
وقوله : « التَّجْلِدُ وَلَا التَّبْلُدُ » ؛ أَيِ تَجَلَّدُوا وَلَا تَبَلَّدُوا .

وقوله : « فَتَطْبَعُوا » ، أَيِ تَدْنَسُوا ، وَالطَّبْعُ الدَّنَسُ ، وَيُقَالُ طَبَعَ السِّيفُ يَطْبَعُ
طَبْعًا ، إِذَا رَكِبَهُ الصَّدَا ؛ قَالَ ثَابِتٌ قُطْنَةُ ^(٥) الْمَتَكِي :

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ وَغُفَّةٌ مِنْ قَوَامِ الْعَيْشِ نَكْفِي ^(٦)

(١) حاشية ف (من نسخة) : « يدني » . (٢) النهب : الغنيمة تنهب .
(٣) القرن : الذي يلفك ليقاومك . (٤) في حاشيتي الأصل ، ت : « قد قيل إن المحالة بيني
بينها الآلة التي يستق عابها ، وهي مثل البكرة » . (٥) حاشية ت : « ويقال : قطبة » .
(٦) الغفة : البلغة من العيش ؛ كَذَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ الدَّانِ وَاسْتَشْهَدَ بِالْبَيْتِ .

وقوله : « ولا تهنوا فتخرعوا » ؛ فالوهن الضعف ، والتخراع والتخراعة : اللين ، ومنه سميت الشجرة الخروع للينها ، وقوله : « إن الوصين بنو سهوان » ؛ فالوصون جمع وصي ، وبنو سهوان ضربه مثلاً ، أي لا تكونوا ممن تقدم إليهم فسهموا وأعرضوا عن الوصية ، وقالوا : إنه يضرب هذا المثل للرجل الموثوق به ذمة ؛ وممناد أن الذين يحتاجون أن يوصوا بحوائج إخوانهم هم الذين يسهون عنه لقلة عنايتهم ؛ وأنت غير غافل ولا ساه عن حاجتي .
وقوله : « فارحبوا » ؛ أي أوسعوا ، والرَّحِب السعة ، والروح : الراحة .
وقوله في الشعر : « ورب غيئل » ؛ فالغيل الساعد المتلي . والمعصم : موضع السوار من اليد^(١) .

ومن المعمرين زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن
عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن
الْخِثَاف بن قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير .

[٢٩] / قال أبو حاتم : عاش زهير بن جناب مائتي سنة وعشرين سنة ، وأوقع مائتي وقعة ،
وكان سيداً مطاعاً شريفاً في قومه ، ويقال : كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل
زمانه ، كان سيداً قومه ، ومثريفاً ، وخطيباً ، وشاعراً ، ووافداً إلى الملوك ، وطبيباً ،
١٥ — والطَّبُّ في ذلك الزمان شرف — وحازي قومه — والخزاة الكهانة — وكان فارس قومه ، وله
البيت فيهم ، والمدد منهم .

وأوصى بنيه فقال : « يا بني ، قد كبرت سنِّي ، وبأمت خيراً من دهرى ، فأحكمتني
التجارب ، والأمور تجربة واحتيال ؛ فاحفظوا عني ما أقول وعُوه ، إياكم والخور عند المصائب ،
والتواكل عند الفوائب ، فإن ذلك داعية للغم ، وشجاعة للعدو ، وسوء ظن بالرب .

(١) وانظر ترجمة دويد وأشعاره في (طبقات الشعراء ٢٧-٢٨ ، والمعمرين ٢٠-٢١ ، والمختلف
وال مؤلف من الشعراء ١١٤-١١٥ ، والاشتقاق ٣٢١ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ٥١ ، والقاموس - دود) .

وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ، ولها آمين ، ومنها ساخرين ، فإنه ماسخِر قومٍ قطُّ
إلا ابتلوا ، ولكن توقموا ، فإنما الإنسان في الدنيا غرض تماوره الرّامة ، فقصر دونه
ومجاوز لموضعه ، وواقع عن يمينه وشماله ؛ ثم لا بدّ أنه مصيبه .

قوله : « حرساً من دهرى » ، يريد طويلاً منه ، والحرس من الدهر : الطويل ،

قال الراجز :

* في سنبة عشنا بذلك حرساً *

السنبة : المدة من الدهر . والتواكل : أن يكمل القوم أمرهم إلى غيرهم ، من قولهم :
رجلٌ وكلٌ ، إذا كان لا يكفي نفسه ، ويكمل أمره إلى غيره ؛ ويقال : رجلٌ وكلّةٌ نكّلةٌ .
والغرض : كلٌ ما نصبته للرى . وتماوره ، أى تداوله .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وقد ضمن ابن الرومى^(١) معنى قول زهير بن جناب :
« الإنسان في الدهر غرض تماوره الرّامة ، فقصر دونه ومجاوز له ، وواقع عن يمينه
وشماله ، ولا بدّ أن يصيبه » أبياتاً ، فأحسن كلّ الإحسان ؛ والأبيات :

كفى بسراج الشيب في الرأس هادياً لمن قد أضلته^(٢) المنايا لياليا
أمن بعد إبداء المشيب مقاتلي لرأى المنسايا تحسبيني ناجيا
غدا الدهر يزمنى فتدنو سهامه^(٣) لشخصي^(٤) أخلق أن يصين سواديا
وكان كراى الليل يزنى ولا يرى فلما أضاء الشيب شخصي رمانيا

أما البيت الأخير ، فإنه أبدع فيه وغرب^(٥) ، وما علمت أنه سبق إلى معناه ؛ لأنه [٧٩]
جعل الشباب كالليل السائر على الإنسان ، الحاجز بينه وبين من أراد رمية لظلمته

(١) حاشية الأصل : « كان ابن الرومى متشيعاً ، وكان مفاطى الشعر واللغة ؛ بحيث يقول ابتلاذته :
اعرضوا شعري ، فأنسكروا من نحوه وفقدوه ، وما أنسكروا من افته فلا تفتوا إليه ؛ فإني أعلم منه
باللغة » . (٢) ش : « لى من أضلته » . حاشية ت (من نسخة) : « له من أضلته » .

(٣) ت ، ونسخة بحاشية الأصل : « لشخصي وأخلق » . (٤) ت : « وأغرب » .

والشيبَ مبدئاً لمقاتله، هادياً إلى إصابته لضوئه وبياضه ، وهذا في نهاية حسن المعنى .
وأراد بقوله : « رمانى » أى أصابنى ؛ ومثله قول الشاعر :

فلما رَمَى شَخْصِي رَمَيْتُ سَوَادَهُ ولا بدَّ أنْ يُرَمَى سَوَادُ الَّذِي يَرْمَى

وكان زهيرُ بن جَنَابٍ على عهدِ كَلْبِ بْنِ وَائِلٍ ، ولم يكن في العرب أنطقُ من زهير
• ولا أَوْجَه عند الملوك ، وكان لسداد رأيه يسمى كاهنًا ، ولم تُجَمَّع قُضَاعَةٌ إِلَّا عليه وعلى رزاح
ابن ربيعة .

وسمع زهيرُ بعضَ نساءه تتكلم بما لا ينبغي لمرأة تتكلم^(١) به عند زوجها ، فنهاها
فقلت له : اسكت عني وإلا ضربتك بهذا العمود ، فوالله ما كنت أدرك تسع شيئاً ولا تعقله ،
فقال عند ذلك :

١٠ أَلَا لَقَوْمٍ لَا أَرَى النَّجْمَ طَالِعًا وَلَا الشَّمْسَ إِلَّا حَاجَتِي بَيْمَبِي
مُعَزَّتِي عِنْدَ الْقَفَا بَعْمُودِهَا يَكُونُ نَكِيرِي أَنْ أَقُولَ ذَرِينِي
أَمِينًا عَلَى سِرِّ النِّسَاءِ وَرُبَّمَا أَكُونُ عَلَى الْأَسْرَارِ غَيْرَ أَمِينِ
فَلَمَمْتُ خَيْرٌ مِنْ حِدَاجٍ^(٢) مُوَطَّأٍ مَعَ الظَّعْنِ لَا يَأْتِي الْمَحَلَّ لِحِينِي

وهو القائل :

١٥ أَبْنَى إِنْ أَهْلِكَ قَعْدًا أَوْرَثْتُكُمْ مَجْدًا بَنِيَّةً
وَتَرَكْتُكُمْ أَرْبَابَ سَا دَاتٍ زِنَادُكُمْ وَرَبِيَّةً
مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نِلْتُهُ إِلَّا التَّحِيَّةَ
وَلَقَدْ رَحَلْتُ الْبَازِلَ الـ كَوْمَاءَ لَيْسَ لَهَا وَلِيَّةُ
وَحَطَبْتُ خُطْبَةً حَازِمٍ غَيْرِ الضَّمِيفِ^(٣) وَلَا الْعَمِيَّةِ

(١) ت : « أن تتكلمه » . (٢) في حاشيتي الأصل ، ت : « الهدج : مركب من مراكب
النساء ؛ كالحفة ؛ وجمعه أحداج وحدوج ؛ والهداجة لغة فيه ؛ عن يعقوب ، والجمع الهدائج » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « لا الضميف » .

فَلَمَوْتُ حَيْرًا لَأَفْتَى فَلَيْهَانِ كَنْ وَهْ يَقْدَرُ
مِنْ أَنْ يُرَى الشَّيْخَ الْبَجَا لَ وَقَدْ يُهَادَى بِالْمَشِيَّةِ

[٨٠]

وهو القائل :

لَيْتَ شِعْرِي وَالْدهْرُ ذُو حَدَثَانِ أَيْ حِينَ مَنِيَّتِي تَلْقَانِي !
أُسَبِّتُ عَلَى الْفِرَاشِ خَفَاتُ أَمْ بِكَفِّي مُفَجِّعِ حَرَّانِ (١) !

وقال حين مضت له مائتا سنة من عمره :

لَقَدْ عُمِرْتُ حَتَّى مَا أَبَالِي أَحْتَقِي فِي صَبَاحِي أَمْ مَسَائِي !
وَحَقٌّ لِمَنْ أَنْتَ مَائَتَانِ عَامًا عَلَيْهِ أَنْ يَمَلَّ مِنَ النَّوَارِ

قوله : « مُعْرَبَتِي » يعني امرأته ، يقال : مُعْرَبَةُ الرَّجُلِ وَطَلَّتُهُ وَحَنَّتُهُ ؛ كل ذلك

١٠

امرأته .

وقوله : « أَمِينَا عَلَى سِرِّ النِّسَاءِ » ، السر : خلاف العلانية ، والسر أيضا : النكاح ،

قال الخطيبه :

وَيَحْرُمُ مِرُّ جَارِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جَارُهُمْ أَنْفَ الْقِصَاعِ (٢)

وقال امرؤ القيس :

أَلَا زَعَمْتُ بِسَبَاسَةِ الْيَوْمِ أَنَّنِي كَبُرْتُ وَأَلَّا يُحْسِنُ السَّرَّ أَمْثَالِي (٣)

١٥

(١) حاشية الأصل : « السبات » ، أصله النوم ، ويريد به الموت ، وقد قبل : النوم موت خفيف ، والموت نوم ثقيل ؛ يقول : لَيْتَ شِعْرِي : أَلَمَوْتُ حَتَّى أَتَى عَلَى فِرَاسِي ، أَمْ يَقْتَانِي مُنْأَثَرُ عَمَلَانِ إِلَى دَمِي ! .

(٢) ديوانه : ٩٣ ؛ وفي حاشية الأصل : « أَنْفَ الْقِصَاعِ » أول ما يعرف من الفدر فيكون أَدَسَمَ ، وفي شرح الديوان : « يقول : يُوْثِرُونَ جَارَهُمْ بِأَعْلَامٍ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، ذِيَا كُلِّ صَفْوَةٍ طَعَامِهِمْ فَيَلْهَمُ ، وَأَنْفَ كُلِّ شَيْءٍ أَوَّلُهُ . (٣) ديوانه : ٣٣ ، وقد ضبط قوله : « لَا يُحْسِنُ » ، بالضم والفتحة معا ، في الأصل ، وت ،

وفي حاشيتيهما : « الرنح على إظهار الهاء ، والنصب على اللفظ » ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) :

« وَأَلَّا يَشْهَدَ » .

وكلا. زهير يحتمل الزوجين جميعاً ، لأنه إذا كبر وهرم لم تهيبه النساء أن ^(١) يتحدثن بحضرتها بأمر ازهن^(٢) ، بهاوتنا به ، أو تموبلا على رقتل ممعه ، وكذلك هرمة وكبره يوجيان كونه أميناً على نكاح النساء لمجزه عنه .

وقوله : « حِدَاجُ مَوْطًا » ، الحِدَاج ^(٣) : مُرَكَّبٌ من مراكب النساء ، والجمع أحداج وُحْدُوج .

والظَّمَنُ والأَظْمَانُ : الهَوَاجِجُ ، والظَّعِينَةُ المرأةُ في الهَوَاجِجِ ؛ ولا تُسَمَّى ظَعِينَةً حتى تكون في هَوَاجِجٍ ، والجمع ظَمَانٌ ؛ وإنما خُبرَ عن هَرَمِهِ ، وأن موته خيرٌ من كونه مع الظَّمَنِ في جملة النساء .

وقوله : « زَنَادَكُمُ وِرْيَةً » ؛ الزَّنَادُ : جمع زَنْدٍ وزَنْدَةٌ ، وهما عودان يُقَدِّحُ بهما النار ، وفي أحدهما فَرْوَضٌ ، وهى تُقَبُّ ؛ قالى فيها الفروض هى الأنثى ، والذي يُقَدِّحُ بطرفه هو الذَّكَرُ ، ويسمى الزُّنْدُ الأبُ ، والزَّندَةُ الأمُ . وكُنَى « زَنَادَكُمُ وِرْيَةً » عن بلوغهم مأربهم ؛ تقول العرب : وِرَيْتُ بِكَ زِنَادِي ؛ أى نلتُ بِكَ ما أحب من النُّجُجِ والنَّجَاةِ ، ويقال للرجل الكريم : وَاِرِى الزُّنَادَ .

[٨٠] / فَأَمَّا التَّحِيَّةُ ، فهى الْمُلْكُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلْتُهُ إِلَّا الْمُلْكَ ؛ وقيل ١٥ التحية هاهنا: الخلود والبقاء .

والبَازِلُ : الذَّاقَةُ التى بلغت تسع سنين ، فهى أَشَدُّ ما تكون ، ولفظُ البَازِلِ فى الناقة والجل سواها .

والكُومَاءُ : العَظِيمَةُ السَّنَامُ . وَالْوَلِيَّةُ : بِرِذَّةٍ تُطَرَّحُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ تَلِيَّ جِلْدِهِ .
وَالْبَجَالُ : الَّذِى يُبَجِّلُهُ قَوْمُهُ وَيَمْظَمُونَهُ . وقوله : « يَهَادَى بِالْعَشِيَةِ » ، أى يماشيه الرجال ٢٠ فَيُسْنَدُونَهُ لِمَضْمَفِهِ . وَالتَّهَارِي : الْمَشَى الضَّعِيفُ .

(١-١) ت : « تتحدث بحضرتها بأمر ازها » (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « القياس حدج [بضمين] فى جمع حداج ؛ إلا أن يكون نادراً ؛ كطرووف فى جمع طروب . »

وقوله: «أُسْبَاتٌ»، قالُبات : سكون الحركة ، ورجل مسبوت ، والخُفَات : الضعف
أيضا ، يقال : خَفَّتْ ^(١) الرجل إذا أصابه ضعف من مرض أو جوع .
والمفجّع : الذي رُفِعَ بولده أو قرابة . والحرّان : العطشان اللثيب ^(٢) ، وهو هاهنا
المحزون على قتلاه .

ومما يروى لزهير بن جَنَاب :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَسْلَى حَبِيْبًا فَأَكْثِرْ دُونَهُ قَدَدَ اللَّيَالِي
فَمَا سَلَى حَبِيْبَكَ مِثْلُ نَأْيِ وَمَا أَيْلَى جَدِيدَكَ كَأَبْتَدَالِ ^(٣)

(١) ش : « خفت » ؛ بالياء للمجهول . (٢) ش : « المحترق » .

(٣) وانظر ترجمة زهير بن جناب وأشعاره وأخباره في (أخبار العبرين : ٢٤-٢٩ ، والثقات والمختلف
من أسماء الشعراء : ١٣٠ ، وطيقات الشعراء : ٣٠ ، والأغاني : ٢١ : ٦٣-٦٨ ، والشعر والشعراء : ٣٣٩-٣٤٢ ،
وتاريخ ابن الأثير : ١ : ٢٩٩-٣٠١) .

مَجْلِسُ آخِر

ومن المعمرين ذو الإصبع العدواني ، واسمه حُرثانُ بْنُ مُحَرَّثِ بْنِ الحارثِ بْنِ ربيعةِ
ابنِ وَهَبِ بْنِ ثعلبةِ بْنِ ظَرْبِ بْنِ عمرو بْنِ عِيَّاذٍ^(١) بْنِ يَشْكُرَ بْنِ عَدُوَانَ . وهو الحارثُ بْنُ
عمرو بْنِ قَيْسِ بْنِ عِيْلَانَ بْنِ مَضَرَ^(٢) .

وإنما سُمي الحارثُ عَدُوَانَ ، لأنه عَدَا عَلَى أَخِيهِ ؛ فَهُمْ^(٣) بَقَلَهُ ، وَقِيلَ : بَلْ فَقَا عَيْنَهُ ،
وَقِيلَ : إِنَّ اسْمَ ذُو الإصْبَعِ مُحَرَّثُ بْنُ حُرْثَانَ ، وَقِيلَ : حُرْثَانُ بْنُ حُوَيْرِثَ ، وَقِيلَ : حُرْثَانُ
ابْنُ حَارِثَةَ ، وَيَكْنَى أَبَا عَدُوَانَ .

وسبب لِقَبِهِ بِذِي الإصْبَعِ أَنَّ حَيَّةَ نَهْشَتْهُ عَلَى إصْبَعِهِ فَشَلَّتْ ، فَسُمِيَ بِذَلِكَ . ويقال :
إنه عاش مائة وسبعين سنة . وقال أبو حاتم : إنه عاش ثلاثمائة سنة .

وهو أحد حكام العرب في الجاهلية . وذكر الجاهليُّ أنه كان أثَرَمَ^(٤) وروى عنه :

لَا يَبْهَدُنْ عَهْدُ الشَّبَابِ وَلَا كِدَانُهُ وَنَبَاتُهُ النَّضْرُ^(٥)
لَوْلَا أَبُو لَيْثٍ مَا حَقَلْتُ مَتًى عُولِيْتُ فِي حَرْجٍ^(٦) إِلَى قَبْرِى

(١) ش : « عِيَّاذُ بْنُ يَشْكُرٍ » . (٢) حاشية الأصل : « قال ش : هو قيس عيلان ؛ وليس
بقيس بن عيلان ، وهو لقب للناس بن مضر ، والاسم أخو ليث بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ،
وقيل : عيلان اسم فرسه فغلب عليه ، وقيل : بل عيلان لقب مضر بن نزار ، لأنه يقال قيس بن عيلان ؛
قال زفر بن الحارث :

أَلَا إِنَّمَا قَيْسُ بْنُ عِيْلَانَ بَقَّةٌ إِذَا وَجَدَتْ رِيحَ الْمُصَيِّرِ تَغْنَّتْ

(٣) ش : « فهم قتلوه » . (٤) حاشية الأصل : « الأثرم : الذي سقطت مقادير أسنانه » .
(٥) في حاشية الأصل ، ت : « إن جررت الضر بدلا من الهاء في « نباته » تخلصت من الإقواء ؛ ولك
أن تقول : « النضري » مأخوذا كقولك : « والدهر بالإنسان دوارى » ، ويجوز أن يعطف على الشباب » .
(٦) حاشية ت (من نسخة) : « حرجى » والمراج : سرير الموتى .

[٨١] / هَزَيْتُ أَثِيلَةً أَنْ رَأَتْ هَرَمِي وَأَنْ ائْحَنَى لِنَفَادِمِ ظَهْرِي

وكان^(١) لدى الإصبع بنات أربع ، فعرّض عليهن أن يزوّجهن فأبين وقلن : خِدْمَتُكَ وقربك أحب إلينا . ثم أشرّف عليهن يوماً من حيث لا يرينه ، فقان : لِنَقْلِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَّا مَا فِي نَفْسِهَا ، فقالت الكبرى :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا مَرَّةً وَضَجِيئُهَا أَشْمُ كَنَصْلِ السَّيْفِ عَيْنُ مُهَنْدٍ^(٢) •
عَلِيمٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ وَأَمْلُهُ إِذَا مَا اتَّمَى مِنْ مِرِّ أَهْلِي وَتَحَدَّى^(٣)
ويروى : « من أهل سرى ، ومن أضل سرى ومحتدى » .

فقلن لها : أنتِ تربدين ذا قرابة قد عرفته . ثم قالت الثانية :
أَلَا كَيْتَ زَوْجِي مِنْ أَنْاسٍ أُولَى عَدَى^(٤) حَدِيثُ الشَّبَابِ طَيِّبُ الثُّوبِ^(٥) وَالْبَطْرِ
ويروى : « أولى غنى » .

لَعُوقُ بَأْ كِبَادِ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ جَانٍ لَا يَنَامُ عَلَى وَتَرٍ^(٦)
ويروى : « لا ينام على هَجْرِي » .

فقلن لها : أنتِ تربدين فتى ليس من أهلِكَ . ثم قالت الثالثة :

(١) الخبر في الأغاني ٣ : ٩٤-٩٦ (طبع دار الكتب المصرية) ، ومع شرحه في السكامل - بشرح
المرصفي ٥ : ٩٤-١١١ ، مع اختلاف في الرواية ونسبة الأبيات
(٢) حاشية ت (من نسخة) :
أَلَا هَلْ أَرَاهَا لَيْلَةً وَضَجِيئُهَا أَغْرُ كَنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ الْمُهَنْدِ
ورواية الأغاني :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا لَيْلَةً وَضَجِيئُهَا أَشْمُ كَنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرُ مُبَلِّدٍ

(٣) رواية الأغاني : • طيب بأدواء النساء • ، ورواية السكامل : • بأدواء النساء كأنه •
(٤) حاشية ت (من نسخة) : • ذوى غنى • ، وهي رواية الأغاني والسكامل .

(٥) رواية السكامل : • طيب الفخر • ، ورواية الأغاني : • طيب الرخ • .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : • خليفة جان • .

أَلَا لَيْتَهُ يُكْسَى الْجَمَالَ نَدِيَّةُ^(١) لَهُ جَفْنَةٌ تَشْقَى بِهَا الدَّرُّ^(٢) وَالْجُزُرُ
لَهُ حَكَمَاتُ الدَّهْرِ مِنْ غَيْرِ كِبَرَةٍ تَشِينُ ؛ فَلَا قَانَ وَلَا ضَرَعَ غُمَرُ
فَقُلْنَ لَهَا : أَنْتِ تَرِيدِينَ سَيِّدًا شَرِيفًا .

وقلن للرابعة : قولى ، فقالت : لأقول شيئاً ، فقلن لهما : يا عذوة الله ، علمتِ ما فى أنفسنا ولا
تعلميننا ما فى نفسك ! فقالت : « زوج من عود خير من قمود » ؛ فمضت مثلاً .

فزوجهن أربعين ، وتركهن حواملًا ، ثم أتى الكبرى فقال : يا بُنَيَّةُ ، كيف ترى زوجك ؟
قالت : خيرُ زوج ، بكرمُ الحليلة ، ويُعطى الوسيلة . قال : فما مالكم ؟ قالت : خير مال ،
الإبل تشرب ألبانها جُرْعًا ويروى : « جُرْعًا » ، بالراء غير المعجمة . ونأكل أجناسها مِرْعَاً ،
وتحملنا وضميفنا^(٣) معاً ؛ فقال : يا بُنَيَّةُ ، زوج كريمٌ ، ومال عظيمٌ .

ثم أتى الثانية فقال : يا بُنَيَّةُ ، كيف زوجك ؟ قالت : خيرُ زوج ؛ بكرم أهله ، ويسى
فضله ، قال : وما مالكم ؟ قالت : البقر تألف الفناء ، وتتلأ الإناء ، وتودك^(٤) السقاء ،
ونساء مع النساء^(٥) ، فقال لها : حظيتِ وبَطِيتِ^(٦) .

ثم أتى الثالثة فقال : يا بُنَيَّةُ ، كيف زوجك ؟ قالت : لا سمحٌ بذر^(٧) ، ولا بخيلٍ حكر^(٨) .

(١) رواية الأغاني :

* أَلَا لَيْتَهُ يَمْلَأُ الْجَفَانَ لَصِيفِهِ *

ورواية الكامل :

* أَلَا لَيْتَهُ يَمْلَأُ الْجَمَالَ بِدِيَّةٍ *

(٢) فى الأغاني : « الذيب » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وضعفنا » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « تودك » ،

بتشديد الدال مكسورة ؛ وكذا ضبطت بالفلم فى الكامل . (٥) ش : « مع نساء » ، وهى رواية

الأغاني والكامل . (٦) حاشية ت (من نسخة) : « رضيت » .

(٧) بذر : يدهط ماله بالبذر ؛ وهو وصف للبلافة . (٨) حكر : هو الذى لا يزال يحبس

سلطته حتى يبيم بالكثير من شدة حكره .

قال: فهاأنسكم؟ قالت: الميزى، قال: وماهى؟ قلت: لو كنّا نولدها فطاماً، ونسأخها
أدماً - وىروى: «أدماً» بالفتح - لم أنبغ بها نعماً. فقال لها: جدوة^(١) مغنية - وىروى:
جدوى^(٢) مغنية.

ثم أنى الصغرى فقال: كيف زوجك؟ قالت: شرّ زوج؛ بكرم نفسه، وبهين عرسه؛
قال: فهاأنسكم؟ قالت: شرّ مال، قال: وماهو؟ قالت: الضأن، جوف لا يشبعن، وهيم
لا ينقن، وصم لا يسمن، وأمر مغويتين يتبمن. فقال أبوها: «أشبه امرؤ^(٣) بعض
بزه»، فضت مثلاً.

أما قول إحدى بناته فى الشعر: «أشم»، فالشم هو ارتفاع أرنبة الأنف وورودها؛
يقال: رجل أشم، وامرأة شماء، وقوم شم، قال حسان بن ثابت:
١٠ بيض الوجوه كريمه أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول^(٤)
والشم: الارتفاع فى كل شىء؛ فيحتمل أن يكون حسان أراد بشم الأنوف ما ذكرناه
من ورود الأرنبة؛ لأن ذلك عندهم دليل العتق والنجاة. ويجوز أن يريد بذلك الكناية عن
زاهتهم وتباعدهم عن دنيا الأمور ورذائلها؛ وخص الأنوف بذلك؛ لأن الحمية والغضب
والأنف^(٥) فيها؛ ولم يرد طول أنفهم؛ وهذا شبه بأن يكون مراده؛ لأنه قال: «بيض الوجوه»
ولم يرد بياض اللون فى الحقيقة، وإنما كنى بذلك عن نقاء أعراضهم، وجميل أخلاقهم وأفعالهم؛
١٥ كما يقول القائل: جاءنى فلان بوجه أبيض، وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا، وإنما يعنى
ما ذكرناه. وقول المرأة: «أشم كنصل السيف» يحتمل الوجهين أيضاً. وقول حسان «من
الطراز الأول»، أى أفعالهم أفعال آبائهم وسلفهم، وأشبههم لم يحدثوا أخلاقاً مذمومة لا تشبه
نجارهم؛ وأصولهم. وقولها: «عين مهتد»؛ أى هو الهتد بعينه، كما يقال: هذا هو بعينه، وعين

(١) حاشية ت (من نسخة): «جدوة».

(٢) حاشية ت (من نسخة): «جدوى».

(٣) حاشية ت (من نسخة): «أشبه»
امرأ بعض بزه، والبز فى الأصل: متاع البيت من الثياب خاصة؛ كنى به عن الضأن؛ وهى متاع؛
والمثل يضرب للمتشابهين أخلاقاً. (٤) ديوانه: ٨٠. (٥) حاشية ت (من نسخة): «والأنفة».

الشيء نفسه . وعلى الرواية الأخرى : « غير مهتدي » أى ليس هو السيف المنسوب إلى الهند فى الحقيقة ، وإنما هو يُشبهه فى مضائه . وقولها : « من سرّ أهلى » ، أى من أكرمهم وأخلصهم ، يقال : فلان فى سرّ قومه ، أى فى صميمهم وشرفهم ، وسرّ الوادى : أطيبه تراباً . والمحتد : الأصل .

[٨٢] وقول الثانية : « أولى عدى » / فإنما معناه أن يكون لهم أعداء ، لأنّ مَنْ لا عدوّ له هو الفَسَلُ الرَّذَلُ الذى لا خيرَ عنده ، والكريمُ الفاضل من الناس هو المحسّد المادى ^(١) .

وقولها : « لصوقٌ بأكباد النساء » تعنى فى المضاجعة ، ويحتمل أن تكون أرادت فى المحبة والمودة ، وكنتَ بذلك عن شدة محبتهن له ، وميلهن إليه ، وهو أشبه . وقولها : « كأنه خليفةُ جانٍ » أى كأنه حيةٌ للصُّوقِ ، والجَان : جنس من الحيات ^(٢) ، تخففت ١٠ لضرورة الشعر .

وقول الثالثة : « يكسّى الجمالَ نديّه » فالندى هو المجلس . وقولها : « له حَكَمَاتُ الدهر » تقول : قد أحكمته التجاربُ ، وجعلته حكماً . فأما الضَّرْع فهو الضعيف . والنمْر : الذى لم يجرب الأمور .

وقول السكبرى : « ويكرم الحليلة ، ويمطى الوسيلة » ، فالحليلة هى امرأة الرجل ، والوسيلة ١٥ الحاجة . وقولها : « نشرب ألبانها جُزَعاً » فالجُزَع جمع جُزْعة ، وهو الماء القليل يبقى فى الإناء . وقولها : « مُزَعاً » ، المُزعة : البقية من دَسَم ، ويقال : ماله جُزْعة ولا مُزْعة ، هكذا ذكر ابنُ دريد ، الفِسم فى جُزْعة ، ووجدت غيره يكسرها فيقول جِرْزْعة ، وإذا كسرت فينبى

(١) حاشية ت : « الأولى أن يكون العدى هاهنا الغريب ؛ لما تقدم من : استدلالهن ؛ وهو قولهن « فنى ليس من أهلك » . (٢) فى حاشيتى الأصل ، ت : « لأن يكون من الجناية أحسن وأقرب إلى الصواب ، ويكون من باب قوله :

أن يكون « نشرب ألبانها جزعاً » ونكسر المِزْعَة أيضاً ليزدوج الكلام ، فتقول :
« ونأكل ألبانها مِزْعاً » ، قال : المِزْعَة ، بالكسر : هي القطعة من الشحم ، والمِزْعَة
بالكسر أيضاً من الرِّيش والْقُطْن وغير ذلك ، كالمِزْقَة من الحِرْق ، والتمزيغ : التقطيع
والتشقيق ؛ يقال إنه ليكاد يتمزّع من النبط ، ومزَع الطَّيْبُ في عذوه يمزَع مَزْعاً ؛ إذا
أسرع ، وقوله : « مال عميم » : ، أى كثير .

وقول الثانية : « تُودِكُ السَّقاء » ، من الودَك الذى هو ^(١) الدَّسم .

وقول الثالثة : « نُوكِدُها فطماً » ، الفُطْمُ : جمع فُطِيم ، وهو المقطوع من الرِّضَاع . وقولها :
« نسلخها أدماً » ، فالأدُم : جمع إدام ، وهو الذى يؤكل ؛ تقول : لوأنا فطمناها عند الولادة
وسلخناها للأدُم من الحاجة لم نبغ بها نِعْماً . وعلى الرواية الأخرى : أدماً ، من الأديم .
وقوله : « جذوة مُنْنية » ، فالجذوة : القطعة .

وقول الصغرى : « جُوفٌ لا يشبَّعن » ، الجُوف : جمع جَوْفاء ، وهي العظيمة الجوف .
والهيم : المطاش ، ولا ينقمن ؛ أى لا يروين ، ومعنى قولها : « وأمر مُنْويرتهنَّ يتبَّعن » ، لأنَّ
القطيع من الضأن يمر على قنطرة فتزِل واحدة فتقع فى الماء ، فيقمن كلهنَّ إتباعاً لها ،
والضأن بوصف / بالبلادة .

[٨٢]
ط

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دُرَيْد قال أخبرنا أبو حاتم عن ١٥
أبي عبيدة عن يونس . قال ابن دريد وأخبرنا به العُكَّائى عن أبي خالد ^(٢) عن الهيثم بن عدي
عن مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلى قال : لما ^(٣) قدم عبدُ الملك
ابن مروان الكوفة بعد قتل مُصعب ، دعا الناس على فرائضهم ^(٤) ، فأثبناه فقال :

(١) حاشية الأصل : « بخط ابن الجرى على الحاشية : وجدت فى بعض الروايات : « تودل السقاء » .

باللام مأخوذ من الأدل ؛ وهو الذين المائض . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « عن أبي خالد » .

(٣) الخبر فى الأعانى ٣-٩١-٩٢ ؛ (طبع دار الكتب المصرية) .

(٤) ت : « إلى فرائضهم » ، والفرائض : العطايا .

(١) «مَنْ الْقَوْمُ؟ قُلْنَا: جَدِيلَةٌ» ، فقال: جَدِيلَةٌ عَدُوٌّ أَنْ؟ قُلْنَا: نَعَمْ ، فتمثلَ عبدُ الملك:

عَذِيرَ الْحَيِّ مِنْ عَدُوٍّ نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ (٢)

بَقِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَلَمْ يُرْعُوا عَلَى بَعْضٍ

وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَاتُ وَالْوُفُونَ بِالْفَرَضِ

وَمِنْهُمْ حَكَمٌ يَقْضِي فَلَا يُنْقَضُ مَا يَقْضِي

وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ فِي السُّنَّةِ وَالْفَرَضِ (٣)

ثم أقبل على رجلٍ كُنَّا قَدَّمْنَاهُ أَمَامَنَا جَسِيمٌ وَسِيمٌ ، فقال: أَيُّكُمْ يقول هذا الشعر؟

فقال: لَا أَدْرِي ، فقلت أنا مِنْ خَلْفِهِ: يَقُولُهُ ذُو الْإِصْبَعِ ، فتركني وأقبل على ذاك الجسيم

فقال: وَمَا كَانَ اسْمُ ذِي الْإِصْبَعِ؟ فقال: لَا أَدْرِي ، فقلت أنا مِنْ خَلْفِهِ: حُرْثَانٌ ، فأقبل عليه

١٠ وتركني ، فقال: لِمَ سَمَّيْتَ ذَا الْإِصْبَعِ؟ فقال: لَا أَدْرِي ، فقلت: أنا مِنْ خَلْفِهِ نَهَشْتُهُ حَيَّةً

فِي إِصْبَعِهِ ، فأقبل عليه وتركني فقال: مِنْ أَيُّكُمْ كَانَ؟ فقال: لَا أَدْرِي ، فقلت أنا مِنْ خَلْفِهِ

مِنْ بَنِي نَاجِرٍ ، فأقبل على الجسيم فقال: كَمْ عَطَاؤُكَ؟ قال: سَبْعُمِائَةٍ (٤) ، ثم أقبل على فقال:

كَمْ عَطَاؤُكَ؟ قلت: أَرْبَعُمِائَةٍ (٥) فقال: يَا بَنِي الزُّعْرَةِ ، حَطَّ مِنْ عَطَاءِ هَذَا ثَلَاثُمِائَةٍ ، وزدها

فِي عَطَاءِ هَذَا ، فَرُحْتُ وَعَطَانِي سَبْعُمِائَةٍ وَعَطَاؤُهُ أَرْبَعُمِائَةٍ .

١٥ وفي رواية أخرى أَنَّهُ قَالَ لَهُ: مِنْ أَيُّكُمْ كَانَ؟ فقال: لَا أَدْرِي ، فقلت أنا مِنْ خَلْفِهِ:

مِنْ بَنِي نَاجِرٍ ، الَّذِي يَقُولُ فِيهِمْ اشْعَارُ:

وَأَمَّا بَنُو نَاجِرٍ فَلَا تَذْكُرْتَهُمْ وَلَا تُتَبِّعَنَّ عَيْنَيْكَ مَنْ كَانَ هَالِكًا

(٦) إِذَا قُلْتَ مَعْرُوفًا لِتُصْلِحَ بَيْنَهُمْ يَقُولُ وَهَيْبٌ لَا أَسْأَلُ (٧) ذَاكَ

(١-١) ت: «مَنْ الْقَوْمُ؟ قُلْنَا: مِنْ جَدِيلَةٍ» . (٢) حاشية الأصل: «عذير: مصدر يقوم مقام

الاستفهام؟ والتقدير: مَنْ يَعْذِرُهُمْ؟» . (٣) قال أبو الفرج: «قوله: وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيزُ النَّاسَ؟»

فإن إجازة الحج كانت لحرارة ، فأخذتها منهم عدوان ، وانظر الفصيحة في الأغاني مع اختلاف الرواية

وعدد الأبيات . (٤) حاشية ت (من نسخة): «سبعمائة درهم» . (٥) حاشية ت (من نسخة)

«أربعمائة درهم» . (٦-٦) حاشية ت: «إذا قلت معروفاً لأصاح بينهم» ، وهي توافق رواية

الأغاني . (٧) م: «لأسلم» .

ويروى « لا أحاول ذلكا » .

/ فأضحى كظهر العود^(١) جُبَّ سَنَامُهُ نَحُومٌ عَلَيْهِ الطيرُ أَحَدَبَ بَارِكَا [٨٣]

وقد رويت هذه الأبيات لدى الإصبع أيضا :

ومن أبيات ذى الإصبع السائرة قوله :

أَكْثَرُ ذَا الضُّفْنِ الْمُبِينِ مِنْهُمْ وَأَضْحَكَ حَتَّى يَبْدُو النَّابُ أَجْمَعُ^(٢) .
وَأَهْدِنُهُ بِالْقَوْلِ هَدَنًا وَلَوْ بَرَى سَرِيرَةً مَا أَخْفَى كِبَاتَ يُفَزَّعُ
ومعنى « أهدنه » أسكنه .

ومن قوله أيضا :

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ شَرَّاشِرُهُ أَنَاخَ بَاخَرِينَا^(٣)

١٠ فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيْلَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

ومعنى « الشراشر » هاهنا الثقل ، يقال ألقي عليه شراشره وجراميزه ، أى ثقله .

ومن قوله :

ذَهَبَ الَّذِينَ إِذَا رَأَوْنِي مُقْبِلًا هَشُّوا إِلَيَّ وَرَحَّبُوا بِالْمُقْبِلِ

وَهُمُ الَّذِينَ إِذَا حَمَلْتُ حِمْلًا^(٤) وَلَقِيَهُمْ فَكَأَنَّنِي لَمْ أُحْمِلْ

١٥ ومن قوله وهى مشهورة^(٥) :

(١) العود هنا : السن من الإبل ، ورواية للأغاني : « الفعل » . ورواية أخرى : « فأضحوا كظهر

العود » ، وبعدة :

فَإِنْ نَكَ عَدُوَانُ بْنُ عَمْرٍو تَفَرَّقَتْ فَقَدْ غَنَيْتُ دَهْرًا مُلُوكًا هُنَالِكَ

(٢) البينان فى حماسة البعترى ١٤٠ ، ونسبهما إلى ممن بن أوس .

(٣) نسب البينان فى الشعر والشعراء : ٤٥٠ ، والحماسة ٣ : ١٩١ ، وعيون الأخبار ٣ : ١١٤ ،

للفرزدق ؛ وفى حماسة البعترى : ١٤٩ نسبا إلى مالك بن عمرو الأسدى .

(٤) الحالة : الدبة . (٥) القصيدة فى الفضليات - بشرح ابن الأبارى ٣٢١-٣٢٧ ، والأمالى

١ : ٢٥٤-٢٥٧ ، والخزانة ٣ : ٢٢٦-٢٢٨ ، وشرح شواهد اللقى : ١٤٧-١٤٨ ، وأبيات منهاى

الشعر والشعراء ٦٨٩ ؛ مع اختلاف فى الرواية وعدد الأبيات .

لِي ابْنِ عَمِّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ مُخْتَلِفَانِ فَأَقْبِلِيهِ وَيَقْلِبِيهِ ^(١)
 أَزْرَى بِنَا أَنَّا شَأَتْ نَعَامَتُنَا فَخَالِي دُونَهُ بَلْ خَاتَمَهُ ^(٢) دُونِي
 لَا ابْنَ عَمِّكَ لَا أَفْعَلْتَ فِي حَسْبِ عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَانِي فَتَخَزُونِي ^(٣)
 إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بِذِي غَلَقٍ عَنِ الصُّيُوفِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونٍ ^(٤)
 وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأُذُنِ بِمَنْطَلَقٍ بِالْأَحْشَاتِ وَلَا أَغْفِي عَلَى الْهُونِ
 مَاذَا عَلَى وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحْمِي ^(٥) أَلَا أَحْبَبْتُكُمْ إِذَا ^(٦) لَمْ تُجِئُونِي
 يَا عَمْرُو إِلَّا تَدْعُ ^(٧) شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَخِيرَتُكَ حَيْثُ ^(٨) تَقُولُ الْهَاءُ اسْتَفُونِي
 وَأَنْتُمْ مَعَشَرُ زَيْدٍ ^(٩) عَلَى مَائَةٍ فَأَجِئُونَا أَمْرَكُمْ طَرًّا فَكَيْدُونِي
 لَا يُخْرِجُ الْقَسْرُ مِنِّي غَيْرَ مَأْبِيَةٍ وَلَا أَلَيْنُ لِمَنْ لَا يَبْتَنِي لِيْنِي ^(١٠)
 [٨٣] / قوله « شَأَتْ نَعَامَتُنَا »، معناه تنافرتنا ^(١١)، فَضَرَبَ النِّعَامَ مثلاً؛ أَي لَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ ^(١٢)،
 وَلَا يَطْمَئِنُّ إِلَيَّ، يقال: شَأَتْ نَعَامَةُ الْقَوْمِ إِذَا جَلَوْا ^(١٣) عَنْ الْمَوْضِعِ.

وقوله: « لَا ابْنَ عَمِّكَ »؛ قال قوم: أرادَ اللهُ ابْنَ عَمِّكَ. وقال ابن دريد: أقسم وأرادَ
 اللهُ ابْنَ عَمِّكَ. وقوله: « عَنِّي » أَي عَلَى ^(١٤)، والدِّيَّانُ: الذي يلي أَمْرَهُ. ومعنى: « فَتَخَزُونِي »
 أَي تَسُوسُونِي. وَالْهُونُ: الْهَوَانُ.

- (١) حاشية الأصل: «أَي نَحْنُ مُخْتَلِفَانِ». (٢) ت، حاشية الأصل (من نسخة): «وخلته»؛ وهي رواية الأمل: وَأَزْرَى بِنَا: قَصَرَ بِنَا. (٣) لا أفعلت؛ أَي ما بهتت بفضل.
 (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «عن الصديق»، وممنون: منقطع؛ أَي لا أقطع عنه فضل.
 (٥) حاشية ت (من نسخة): «رحم». (٦) ش: «إن». (٧) حاشية الأصل (من نسخة): «إن لم تدع». (٨) م: «حتى». (٩) زيد: زيادة. (١٠) حاشية الأصل (من نسخة) بعد هذا البيت: «كلُّ أَمْرِي صَائِرٌ يَوْمًا لِشَيْمَتِهِ وَإِنْ تَخَافُ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ»
 (١١-١٢) ت: «فصرت لأطمئن إليه». (١٣) حاشية ت (من نسخة): «أجلوا». (١٤) في حاشيتي الأصل، ت: «الأحسن أن يقدر هاهنا قول يمانى «عن» به؛ هكذا هو عند

وقوله : « أضربك حيث تقول الهامة اسقوني » ، قال الأصمعي : الماش في الهامة ، فأراد أضربك في ذلك الموضع ، أي على الهامة حتى تمش . وقال آخر : العرب تقول : إن الرجل إذا قُتِل خرجت من رأسه هامة تدور حول قبره ، ونقول : اسقوني ، اسقوني ! فلا زال كذلك حتى يؤخذ بشأره ؛ وهذا باطل ؛ ويجوز أن يعنيه ذو الإصبع على مذاهب العرب .
وقوله : « لا يُخرج القسْرُ مني غير مأبية » ، فالقسر : الفهر ، أي إن أخذت قسراً ، لم أزد إلا إباءاً^(١) .

ومن العمرين معدى كرب الحميري ؛ من آل ذي رعين « قال ابن سلام : » وقال
معدى كرب^(٢) الحميري . وقد طال عمره :

أراني كلما أفنيت يوماً أناني بقده يومٌ جديدٌ
بعود يياضه^(٣) في كل فجٍ وبأبي لي شباب ما يعود

ومن العمرين الربيع بن ضبع^(٤) الفزاري ، ويقال إنه بقي إلى أيام بني أمية . وروى
أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : ياربيع ، أخبرني عما أدركت من العمر والمدى ،
ورأيت من الخطوب الماضية ، قال : أنا الذي أقول :

هأنذا أملُ الخلود وقد أدرك عتلي ومولدي حُجراً^(٥)

فقال عبد الملك : قد رويت هذا من شعرك وأنا صبي ، قال : وأنا القاتل : ١٥

(١) وانظر ترجمة ذي الإصبع وأخباره وأسماءه في (الاشتقاق) ١٦٣ ، والعمرين ٩٠ ، والأغاني ٣ : ١١-١٢ ، والآل ٢٨٩-٢٩٠ ، والحرانة ٢ : ٤٠٦-٤٠٩ ، والشعر والشعراء ٦٨٨-٦٩٠ .
(٢) حاشية الأصل : « معدى كرب » ، بالفتح ، ويكون معدى مضافاً إلى كرب .
(٣) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « ضيؤه » . (٤) ت : « ضبع » ، بالنون ، وفي حاشية الأصل : « في نسخة مقروءة من كتاب سيدييه . وقد قرئ على أبي علي الفارسي رحمه الله - وفي أخرى مقروءة على ابن أخيه أبي الحسين : الربيع بن ضبع ، منونا بآخره » . (٥) حاشية الأصل : « حجر أبو امرئ القيس » .

إِذَا عَاشَ الْفَتَى مِائَتَيْنِ عَامًا فَقَدْ ذَهَبَ اللَّذَازَةُ وَالْفَتَاةُ^(١)
 قال: قد رويتُ هذا من شمرِك وأنا غلام، وأليك يا ربيع، لقد طلبك^(٢) جدَّ غير عارٍ،
 ففصل لي عمرَك، قال: عشتُ مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام، وعشرين ومائة في الجاهلية،
 [٨٤] وستين سنة / في الإسلام. قال: أخبرني عن فتية من قريش متواطئ الأسماء، قال: سل
 عن أيَّهم شئتَ، قال: أخبرني عن عبد الله بن العباس، قال: فهم وعلم، وعظما جَدَم^(٣)،
 ومترى ضخم. قال: فأخبرني عن عبد الله بن عمر قال: حلم وعلم، وطول كظم، وبُعد
 من الظلم. قال: فأخبرني عن عبد الله بن جعفر، قال: ريحانة طيب ريحها، ابن مئها، قليل
 على المسلمين ضررها. قال: فأخبرني عن عبد الله بن الزبير، قال: جبيل وعمر، يتعذر^(٤)
 منه الصخر. قال: لله درُّك يا ربيع! ما أعرفك بهم! قال: قُرب جوارى، وكُز
 ١٥ استخبارى.

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه: إن كان هذا الخبر صحيحاً فيشبه أن يكون
 سؤالُ عبد الملك له إنما كان في أيام معاوية، لاني أيام ولايته، لأن الربيع يقول في الخبر:
 «عشت في الإسلام ستين سنة»^(٥)، وعبد الملك وُلِّي في سنة خمس وستين من الهجرة، فإن
 كان صحيحاً فلا بد مما ذكرناه؛ فقد روى أن الربيع أدرك أيام معاوية؛ ويقال: إن الربيع لما
 ١٥ بلغ مائتي سنة قال:

(١) البيت من شواهد الرضى على السكافية، وهو في (الحرانة ٣: ٣٠٦)، وأورده شاعداً
 على أنه قد يفرد بميز المائة وينصب؛ وأورده سيبويه في موضعين: الأول في باب الصفة الشبهة بالتفاعل وذكر
 أسماء العدد وعملها في الأسماء؛ (الكتاب ١: ١٠٦)، والثاني في باب كم (٣٠٦: ١).
 وأورده ابن قتيبة في (أدب الكاتب: ٢٩٥)، في باب «أسماء يتفق لفظها وتختلف معانيها»، قال:
 «والقناة من السن ممدود، وروى البيت، وذكره البطلوسي في الانقضاء: ٢٦٩، وأورد بيتاً بعده.

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «لقد طار بك».

(٣) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «حذم»، بالخاء، وأصل الحذم الإسراع.

(٤) حاشية الأصل (من نسخة): «يتعذر منه»، وفي حاشية ت (من نسخة): «يتعذر عنه».

(٥) ت: «حجة».

أَلَا أُبْلِغُ بَنِيَّ رَبِيعَ
بَاقِي قَدْ كَبُرَتْ وَدَقَّ عَظْمِي
وَإِنَّ كَنَائِي لِنِسَاءِ صِدْقٍ
إِذَا كَانَ (٢) الشَّتَاءُ فَأَدْفِنُونِي
وَأَمَّا حِينَ يَذْهَبُ كُلُّ قُرَّةٍ
إِذَا عَاشَ الْفَتَى مَائَتَيْنِ عَامًا

وَقَالَ حِينَ بَلَغَ مَائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً :

أَصْبَحَ مِنِّي الشَّبَابُ قَدْ حَسَرَ (٥)
وَدَعَانَا قَبْلَ أَنْ نُودَّعَهُ
هَآ أَمَا ذَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ
أَبَا أَمْرِي الْقَيْسَ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ !
/ أَصْبَحْتُ لَا أُحْمِلُ السَّلَاحَ وَلَا
إِنْ يَنَّا (٦) عَنِّي فَقَدْ تَوَى عُمُرًا
لَمَّا قَضَى مِنِّي جِئَانًا وَطَرًا
أَذْرَكَ عَنَّا (٧) وَمَوْلِدِي حُجْرًا
هَبَّاتَ هَبَّاتَ طَالَ ذَا عُمُرًا
أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا

[٨٤]
ط

(١) المفلوعة في (شرح أدب الكاتب للجواليقي ٢٦٦ ، والمصريين ٦-٧ ، وفيل الأسماء : ٢١٤ ،
والخرانة ٣ : ٣٠٦) . قال الجواليقي : « قوله : « فأشرار البنين لكم فداء » ، وصفهم بالبر » ،
وفي الخرانة : « أنزال البنين » .
(٢) السكائن : جمع كنة ؛ بالفتح والتشديد ؛
وهي امرأة الابن والأخ ؛ يريد أنهن نعم النساء ، وفي حاشية ت (من نسخة) : « آلى » ، بتشديد اللام
قال : « وهو الصحيح ؛ ومعنى « آلى » ، قصر في قول بعضهم ، واللغة الأخرى « آلاه » ، محققا ؛ يقال : ألا
الرجل بالو ؛ إذا قصر ونذر ؛ فأما « آلى » في البيت فلا وجه له ؛ لأنه بمعنى حلب ، ولا معنى له هاهنا .
وفي المصري لأبي حاتم : « وروى : « وما آلى » ، والمالية : الفصير ، ومن قال : « وما آلى » فاعلمني
ما أقسموا ألا يبروني » ، وروى عن أبي عمرو الشيباني قال : سألتني القاسم بن معن عن قوله :

* وما آلى بني . وما أساءوا *

قلت : أبطئوا ، قال : مانع شيئا وانظر اللسان (ألا) . (٣) كان هاهنا تامة ، لاسم لها ولا
خبر ، وفي المصري : « جاء » . (٤) في الاقتضاب : « التخيل » ، وقال في شرحه : التخيل :
الخيلاء ، وروى : « السر » ، وروى : « الروعة » ، (٥) في حاشيتي الأصل ، ت : « يقال :
حسر البعير يحسر إذا أعيا ، وتحسر واستحسر كذلك ، وحسرت أنا ، يتعدى ولا يتعدى » .
(٦) ت : « بان عني » . (٧) ش : « سني » ، وفي م : « عني » .

وَالذُّئْبَ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ وَخَذِي وَأَحْشَى الرِّيحَ وَالطَّرَا
 مِنْ بَعْدِ مَا قُوِّضَ أَمْرُ^(١) بِهَا أَسْبَحْتُ شَيْخًا أَعَالِجُ الْكِبَرَا^(٢)
 قوله : « عطاء جَذْم » أى سريع ، وكلّ شئ تسرّعت فيه فقد جَذَمته ، وفى الحديث :
 « إِذَا أَذْنَتْ فَرَسٌ ، وَإِذَا أَقْتَفَ جَذْمٌ » ، أى أسرع . والمقَرى : الإِناء الذى يُقَرى فيه .
 وقوله : « فَمَا آلَى نَى وَلَا أَسَاءُوا » ، أى لم يَقْصُرُوا ، والآلى : المقصّر^(٣) .

(١) حاشية ت من نسخة : « أنوء » . (٢) وردت هذه الآيات فى جملة البحرى : ٣٢٢ ،
 وفوائد أبى زيد ١٥٨ ؛ ونقل صاحب الخزائن (٣ : ٣٠٩) عن ابن السيد فى شرح الجمل قال : « روى
 الرواء أن الربيع بن ضبع عاش حتى أدرك الإسلام ، وأنه قدم الشام على معاوية بن أبى سفيان ومعه سفينة ،
 ودخل حقيده على معاوية فقال له : اقدمنا شيخ ؛ فقال له : وكيف يقدم من جده بالباب ؟ فقال له معاوية :
 لعنت من ولد الربيع بن ضبع ، فقال : أجل ؛ فأمره بالدخول ، فلما دخل سأله معاوية عن سنة فقال :

أَقْفَرَ مِنْ مَيَّةِ الْجَرِيبِ إِلَى الزُّجَيْنِ إِلَّا الْظُبَاءَ وَالْبَقَرَا
 كَانَهَا دُرَّةً مُنَمَّمَةً مِنْ نِسْوَةٍ كُنَّ قَبْلَهَا دُرَرَا
 أَصْبَحَ مِنِّى الشَّبَابُ مَبْتَكِرَا إِنْ يَنَأُ عَنِّ فَقَدْ ثَوَى عُصْرَا

الى آخر الآيات المقدمة ؛ فقرأ معاوية ، (وَمَنْ نَعْمَرُهُ نُكْسُهُ فِي الْخَلْقِ) .

(٣) وانظر ترجمة الربيع بن ضبع وأخباره وأشعاره فى (المدرج ٦-٧ ، واللائى ٨٠٢ ، والخزانة
 ٣٠٦-٣٠٩ ، والإصابة ٢ : ٢٠٩) .

مَجْلِسٌ آخِرٌ

ومن المعمرين أبو الطمجان الفيصلي ، واسمه حنظلة بن الشرقي ، من بني (١) كنانة ابن القين ؛ قال أبو حاتم : " عاش مائتي سنة ، فقال في ذلك :

حَنَنْتُ حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ (٢) أَدْنُو لِمَسِيدِ
قَصِيرُ الْخَطْوِ بِحَسَبِ مَنْ رَأَى - وَلَسْتُ مُقَيَّدًا - أَنِّي بِقَيْدِ "

ويروى : « قريب الخطو » .

قال أبو حاتم : " حدثني عدة من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب يُنشد هذين البيتين ، ويُنشد أيضاً :

تَقَارَبَ خَطْوُ رَجُلِكَ يَا سَوِيدٌ (٣) وَفَيْدَكَ الزَّمَانُ بَشَرٌ قَيْدِ
وهو القائل :

وَأَيُّ مَنِ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمُ هُمُ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ قَامَ صَاحِبُهُ (٤)
نَجُومُ سَمَاءٍ كَأَمَّا غَابَ كَوْكَبُ بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دَجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجَزَعُ نَاقِبَهُ
وما زالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانَ مُسَوِّدٌ (٥) تَسِيرُ الْمَنَايَا حَيْثُ سَارَتْ كَتَائِبُهُ (٦)

ومعنى البيتين الأولين يشبه قولَ أَوْس بن حجر :

(١) حاشيت (من نسخة) : « من كنانة » . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « حابل » .

(٣) ت ، ش : « يادويد » . (٤) ش : « منهم سيد » .

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « حيث كانوا » ، ج : « » . (٦) من نسخة بحاشيتي

الأصل ، ت : « ركائبه » .

إِذَا مُقَرَّمٌ مِنَّا ذَرَا حَدُّ نَابِهِ / وَلَطْفِيلُ الْفَنَوَى مِثْلُ هَذَا ، وَهُوَ : [٨٠]
 تَحَمَّطَ فِينَا نَابُ آخِرِ مُقَرَّمٍ (١)
 كَوَا كَبُ دَجْنٍ كَلَّمَا انْقَضَى كَوَكْبُ / وَقد أَخَذَ الْخُرَيْمِيُّ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :
 بَدَا وَانْجَلَتْ عَنْهُ الدُّجْنَةُ كَوَكْبُ (٢)
 إِذَا قَمَرٌ مِنَّا تَفَوَّرَ أَوْ خَبَا
 بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَعُ
 ومثل ذلك :

خِلَافَةُ أَهْلِ الْأَرْضِ فِينَا وَرِثَانَةُ / إِذَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدُ قَامَ صَاحِبُهُ
 ومثله :
 إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا مَضَى لِسَبِيلِهِ / أَقَامَ عَمُودَ الْمَلِكِ (٣) آخِرُ سَيِّدٍ
 وَكَانَ مَزَاحِمًا الْمُقْبِلِي نَظَرَ إِلَى قَوْلِ أَبِي الطَّمْحَانِ :
 * أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ *
 في قوله :

وُجُوهُ لَوْ أَنَّ الْمُدْلَجِينَ اعْتَشَوْا بِهَا / سَدَّ عَنْ الدُّجَى حَتَّى رَأَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي (٤)
 وَيَقَارِبُ ذَلِكَ قَوْلَ حُجَّيَّةِ بْنِ الْمَضْرُبِ الْكِنْدِيِّ :
 ١٥ أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ فَتَضَاءَلَتْ / لِنُورِهِمُ الشَّمْسُ الْمُضِيئَةُ وَالْبَدْرُ (٥)
 وَأَنشَدَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوَلِيُّ فِي مَعْنَى بَيْتِ أَبِي الطَّمْحَانِ :

(١) ديوانه : ٢٧ ، واللسان (خط) وفي حاشيتي الأصل ، ت : ذرا الشيء : سقط ، وذروته : طيرته . وتحمط الفعل : إذا انتفخ عند الهيام . (٢) ديوانه : ١٩ (٣) حاشية ت (من نسخة) الدين . (٤) ديوانه : ٦ ، مجالس ثعلب : ٢٧٧ . (٥) من أبيات ذكرها القالي في (الأملال : ١ : ٥٣ - ٥٤) ، وقال : « يمدح فيها يعفر بن زرعة ، أحد الأملاك أملاك ردمان » ؛ وأولها :

إِذَا كُنْتَ سَائِلًا عَنِ الْمَجْدِ وَالْعَلَا / وَأَيْنَ الْعَطَاةُ الْجَزَلُ وَالنَّائِلُ الْعَمْرُ
 فَتَقَبَّ عَنْ الْأَمْلُوكِ وَاهْتَفَى لِحَبِيرِ / وَعِشْ جَارَ ظِلِّ لَا يُغَالِبُهُ الدَّهْرُ
 وَالْأَمْلُوكُ : قبيلة من حبر ، وردمان : مدينة بالبصرة .

مِنَ الْبَيْتِ الْوَجُودِ بَنَى سِنَانٍ لَوْ أَنَّكَ تَسْتَفْضِي بِهِمْ أَضَاءُ^(١)
 هُمْ حَلُّوا مِنَ الشَّرَفِ الْمَمْلَى وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاءُ^(٢)
 قَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لَمَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ^(٣)
 وأبو الطمحان القائل :

إِذَا كَانَ فِي صَدْرِ ابْنِ عَمِّكَ إِحْتَةٌ فَلَا تَسْتَبْرِهَا سَوْفَ يَبْدُو دَفِينُهَا^(٤)
 وهو القائل :

إِذَا شَاءَ رَاعِيهَا اسْتَقَى مِنْ وَاقِعَةٍ كَعَيْنِ الْغُرَابِ صَفْوُهَا لَمْ يُكْدِّرْ^(٥)

ويروى : « صفيته لم يكدر » ، والواقعة : المستنقع في الصخرة للماء ، ويقال للماء إذا

ذل^(٦) من صخرة فوقع / في بطن أخرى ماء الوقائع ، وأنشدوا الذي الرثمة :

وَنَلْنَا سِقَاطًا مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ جَسَى النُّحْلَ تَمَزُوجًا بِمَاءِ الْوَقَائِعِ^(٧)

ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء الحشرج ، وللماء الذي يجري بين الحصى والرمل

ماء المفاصل ، وأنشدوا لأبي ذؤيب :

(١) من أبيات ثمانية ، نسبها أبو تمام إلى أبي البرج القاسم بن حنبل المري ؛ يقولها في زفر بن أبي هاشم

ابن مسعود بن سنان ؛ وأولها :

أَرَى الْخَلَّانَ بَعْدَ أَبِي حَبِيبٍ وَحُجْرٍ فِي جَنَابِهِمْ جَفَاءُ

وهي في الحماسة - بشرح النبرسي ١ : ١٩٧-١٩٨ ، وأبيات منها في الحيوان ٢ : ٢-١ ،

والمؤتلف والمختلف ٦٣ ، ومعجم الرزباني ٣٢٣ . (٢) في الحماسة : « حسب العشيرة » .

(٣) في الحماسة : « لسك السماء » . (٤) البيت في اللسان (أحن) ، نسبه إلى الأخييل الفيني ؛

وذكر قبله :

مَتَى مَا يَسُوءُ ظَنُّ أَمْرِي بِصَدِيقِهِ يُصَدِّقُ بِلَاغَاتِ يَحِيثُهُ يَحْيِيهَا

وهو أيضاً بهذه النسبة في المؤتلف والمختلف ٢٣ ؛ وفي الفائق ١ : ١٦ ؛ من غير عزو .

(٥) ت : « كعين العذاب » ، قال : وذكر فوقها : « وهو اسم موضع » وعين الغراب يخرّب بها المثل

في الصفاء . (٦) ت : « عن صخرة » . (٧) ديوانه : ٣٥٨ .

مطافيل أبكاري حديث نتاجها يُشابُ بماءٍ مثل ماءِ المفاصيل^(١)
وانشد أبو محمّد السعدي لأبي الطمّحان :

بنيّ إذا ما سامك الذلّ قاهرٌ عزيزٌ فبعضُ الذلّ أبقى وأحرز^(٢)
ولا تنعم^(٣) من بعض الأمور تعزّزاً فقد يورث الذلّ الطويل التعزّزُ
وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معاوية الجعفري .

وروي لأبي الطمّحان أيضاً في مثل هذا المعنى :

ياربّ مظلمة^(٤) يوماً لطيت لها تمضي على إذا ما غاب نصاري^(٥)
حتى إذا ما انجأت عني غيائتها وثبت فيها وثوب المخدير الضاري^(٦)

ومن العمرين عبدُ المسيح بن بَقيلة النَسائي ، وهو عبدُ المسيح بن عمرو بن قيس
١٠ ابن حيان بن بَقيلة ، وبَقيلة اسمه كَعْلبة ، وقيل الحارث ؛ وإنما سمّي بَقيلة لأنه خرج في بُردين
أخضرين على قومه ، فقالوا له : ما أنت إلا بَقيلة ، فسمي لذلك .

وذكر الكلبي وأبو مخنف وغيرهما أنه عاش ثلاثمائة سنة وخمسين سنة ، وأدرك الإسلام
فلم يُسلم ، وكان نصرانياً .

وروي أن خالد بن الوليد لما نزل على الحيرة ، وتحصّن منه أهلها أرسل إليهم : ابعثوا إلى
١٥ رجلاً من عقلائكم ، وذوي أسنانكم^(٧) . فبعثوا إليه بعبد المسيح بن بَقيلة ، فأقبل يمشي

(١) حاشية الأصل : « قبله » :

وإن حديثاً منك لو تبدّ ليّنه جنى النحل في ألوان عودٍ مطافيل

« مطافيل أبكاري » ، بدل من قوله : « عود مطافيل » ، ومطافيل : جمع مطلق ؛ وهي التي معها ولدها .

وانظر ديوان المزدليين ١ : ١٤٠ . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « أتقى وأحرز » .

(٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « ولا تنعم » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) :

« مقلّمة » ، بضم الميم . (٥) ش : « أنصاري » . (٦) النياية : كل ما أظّل الإنسان فوق

رأسه . وانظر ترجمة أبي الطمّحان وأخباره وأشعاره في (الشعر والشعراء ٣٤٨ - ٣٤٩ ، والعمرين

٥٧ ، والاشتقاق ٣١٧ ، والأؤتلف والمختلف ١٤٩ - ١٥٠ ، والأغاني ١١ : ١٢٥ - ١٢٨ ، واللاكي

٣٣٢ ، والإصابة ٢ : ٦٦ ، والحزاة ٣ : ٤٢٦) . (٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « أنسابكم » .

حتى دنا من خالد ، فقال له : إِنَّمَا صَبَاحًا أَيُّهَا الْمَلِكُ ! قَالَ : قَدْ أَغْذَانَا اللَّهُ عَنْ تَحْيَيْتِكَ هَذِهِ ،
فَمَنْ أَيْنَ أَقْصَى أَتْرَكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ ؟ قَالَ : مِنْ ظَهْرِ أَبِي ، قَالَ : فَمَنْ أَيْنَ خَرَجْتَ ؟ قَالَ مِنْ
بَطْنِ أُمَى ، قَالَ : فَعَلَّامَ أَنْتَ ؟ قَالَ : عَلَى الْأَرْضِ ، قَالَ : فَفِيمَ أَنْتَ ؟ قَالَ : فِي ثِيَابِي ، قَالَ :
أَتَمَقِّلُ - لَا عَقْلَ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ / وَأَقِيدَ ، قَالَ : ابْنُ كَمْ أَنْتَ ؟ قَالَ : ابْنُ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، قَالَ [٨٦]
خَالِدٌ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ ، إِنْ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّيْءِ ^(١) وَبِنَحْوِ غَيْرِهِ ^(٢) ، قَالَ : مَا أَجَبْتُكَ إِلَّا ٥
عَمَّا سَأَلْتَ ، فَسَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ .

قَالَ : أَعَرَبُ أَنْتُمْ أَمْ نَبِيْطُ ^(٣) ؟ قَالَ : عَرَبٌ اسْتَبْطَنَّا ، وَنَبِيْطٌ اسْتَمْرَبْنَا ، قَالَ : أَفْهَرَبُ أَنْتُمْ
أَمْ سِلْمٌ ؟ قَالَ : بَلِ سِلْمٌ ، قَالَ : فَمَا هَذِهِ الْحَصُونُ ؟ قَالَ : بَنَيْنَاهَا لِلْسَّفِيهِ ^(٤) نَحْذَرُ مِنْهُ حَتَّى
يَجِيءَ الْحَلِيمَ فِيْنَهَا ، قَالَ : كَمْ أُنَى لَكَ ؟ قَالَ : مِائَتُونَ وَثَلَاثُمِائَةُ سَنَةٍ ، قَالَ : فَمَا أَدْرَكَتُ ؟
قَالَ : أَدْرَكَتُ سَفْنَ الْبَحْرِ تَرْفًا ^(٥) فِي هَذَا الْجُرْفِ ، وَرَأَيْتُ الْمَرْأَةَ تَخْرُجُ مِنَ الْحَيْرَةِ ، وَتَضَعُ ١٠
مِكَتَلَهَا عَلَى رَأْسِهَا ، لَا تَزُوْدُ إِلَّا رَغِيْفًا وَاحِدًا حَتَّى تَأْتِيَ الشَّامَ ، ثُمَّ قَدْ أَصْبَحْتُ خَرَابًا يَبَابُ ،
وَفَلَكٌ دَابَّ اللَّهُ فِي الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ .

قَالَ - وَمَعَهُ سَمٌّ سَاعَةٌ يَتَقَابَهُ فِي كَفِّهِ - : فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : مَا هَذَا فِي كَفِّكَ ؟ قَالَ : هَذَا
السَّمُّ ، قَالَ : مَا تَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ عِنْدَكَ مَا يُوَافِقُ قَوْمِي وَأَهْلَ بِلَدِي حَمِدَتِ اللَّهُ وَقَبِلْتَهُ ،
وَإِنْ كَانَتْ الْآخِرَى لَمْ أَكُنْ أَوَّلَ مَنْ سَاقَ إِلَيْهِمْ ذِلًّا وَبِلَاءً ، أَشْرَبُهُ فَأَسْتَرِيحُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّمَا ١٥
بَقِيَ مِنْ عَمْرِي الْيَسِيرُ ، قَالَ خَالِدٌ : هَاتِهِ ، فَأَخَذَهُ ثُمَّ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ ،
الَّذِي لَا يَضُرُّهُ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ ، ثُمَّ أَكَلَهُ ، فَتَجَلَّتْهُ غَشِيَّةٌ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِذَقْنِهِ فِي صَدْرِهِ طَوِيلًا ، ثُمَّ
عَرَّقَ فَأَفَاقَ ، كَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عَقَالٍ .

فَرَجَعَ ابْنُ بُقَيْلَةَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ شَيْطَانٍ ، أَكَلْتُ سَمًّا سَاعَةً فَلَمْ يَضُرَّ ،

(١-١) حَاشِيَةٌ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : « وَبِنَحْوِ بَنِي إِلَى غَيْرِهِ » .

(٢) ش : « نَبِيْطٌ » ، وَهُوَ بِمَعْنَى النَّبِيْطِ : « وَفِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ : « أَوَّلُ النَّبِيْطِ قَوْمٌ كَانُوا

يَسْتَبْطِلُونَ الْمَاءَ وَيَحْتَفِرُونَ الْآبَارَ لِلْعَرَبِ ؛ فَقَبِلَ لِأَهْلِ السَّوَادِ النَّبِيْطِ » . (٣) حَاشِيَةٌ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) :

« لَسْفِيهِ » . (٤) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ت : « أَرَفَأَتِ السَّفِينَةَ : قَرَّبَتْهَا مِنَ الشَّطْرِ ، وَذَلِكَ الْمَوْضِعُ مَرْفَأٌ » .

صانموا القوم وأخرجوهم عنكم ، فإن هذا أمر مصنوع ^(١) لهم ، فصالحوهم ^(٢) على مائة ألف درهم ، وأنشأ ابن بُقَيْلَةَ يقول :

أَبَعَدَ الْمُنْذِرِينَ أَرَى سَوَامًا تَرَوِّحُ بِالْخَوَزَنْقِ وَالسَّدِيرِ ^(٣)
[أَبَعَدَ فَوَارِسَ النُّعْمَانِ أَرعى مَرَاعَى نَهْرٍ مُرَّةً فَالْخَفِيرِ] ^(٤)
تَحَامَاهُ فَوَارِسُ كُلِّ قَوْمٍ مَخَافَةً ضَيِّغِهِ عَلَى الرَّثِيرِ
وَصَرْنَا بَعْدَ هُلْكِ أَبِي قُبَيْسٍ كَمَثَلِ الشَّاءِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ

- يريد أبا قابوس ، فصنر ، ويروى « كمثل الممز » -

تَقَسَّمْنَا الْقَبَائِلُ مِنْ مَعَدٍ عَلَانِيَةً كَأَيْسَارِ الْجَزُورِ ^(٥)
نُوذِّى الْحَرْجَ بَعْدَ خَرَجِ كِسْرَى وَخَرَجٍ مِنْ قَرْيَظَةٍ وَالتَّغْيِيرِ
كَذَلِكَ الدَّهْرُ دَوْلَتُهُ سِجَالٌ فَيَوْمٌ مِنْ مَسَاةٍ ^(٦) أَوْ سُورٍ

١٠
[٨٦]
ظ

/ ويقال إن عبد المسيح لما بنى بالحيرة قصره المعروف بقصر بني بُقَيْلَةَ قال :

لَقَدْ بَنَيْتُ لِلْحَدَثَانِ حِصْنًا لَوَانَّ الْمَرْءُ تَفَعُّهُ الْخُصُونُ
طَوِيلَ الرَّأْسِ أَقْعَسَ مُشْمَخِرًا لِأَنْوَاعِ الرِّيحِ بِهِ حَنِينٌ ^(٧)
ومما يروى لعبد المسيح بن بُقَيْلَةَ :

وَالنَّاسُ أَبْنَاءُ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلَمُوا أَنْ قَدْ أَقْلَ فَمَجْفُوٌّ وَمَهْجُورٌ ^(٨)
وَهُمْ بَنُونَ لَأُمٍّ إِنْ رَأَوْا نَشَبًا فَذَلِكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَخْفُورٌ
وهذا يشبه قول أوس بن حجر :

١٥

(١) حاشية الأصل : « أى كأن الله صنعه لهم » . (٢) م : د : « فصالحوهم » .

(٣) الأبيات في معجم البلدان : ٣ : ٤٨٥ ، وفي حاشية ت (من نسخة) « ترويح » ، بفتح الحاء ،

والخوزنق والسدير : موضعان بالحيرة . (٤) تكملة من ت . (٥) معجم البلدان : « كأننا

بعض أجزاء الجزور » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « من مسامة أو سرور » .

(٧) م : « أين » . (٨) قال في اللسان (علل) : « أبناء علات ، يستعمل في الجماعة المختلفين » ،

واستشهد بالبيتين ؛ وأصله في الأولاد مختلأ أمهاتهم . وفي حاشية الأصل : « بنو العلات : بنو الضرائر » ،

وفي م : « فمجفوء ومخفور » ؛ وهي رواية اللسان .

بَنَى أُمُّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ بِرَوْنَهُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا سَيِّدَ الْأَمْرِ جَعْفَلًا^(١)
وَهُمْ لِمُقِلِّ الْمَالِ أَوْلَادُ عَالَةٍ وَإِنْ كَانَ مَحْفَاً فِي الْعُمُومَةِ مُخُولًا

وَذِكْرُ أَنَّ بَعْضَ شَايِخِ أَهْلِ الْحَيْرَةِ خَرَجَ إِلَى ظَهْرِهَا يَخْتَطُّ دِيرًا^(٢)، فَلَمَّا احْتَفَرَ مَوْضِعَ
الْأَسَاسِ، وَآمَنَ فِي الْإِحْتِفَارِ أَصَابَ كَهَيْثَةَ الْبَيْتِ^(٣)، فَدَخَلَهُ فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى سُرِيرٍ مِنْ
رِخَامٍ^(٤)، وَعِنْدَ رَأْسِهِ كِتَابَةٌ: «أَنَا عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنِ بَقِيلَةَ

حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ حَيَاتِي وَنِلْتُ مِنَ السَّنَى بُلَغَ الْمَزِيدِ^(٥)
وَكَاغَحْتُ الْأُمُورَ وَكَافَحْتَنِي فَلَمْ أَحْفِلْ بِمَضِلَّةٍ كَثُودِ
وَكِدْتُ أَنَالُ فِي الشَّرَفِ الثَّرِيًّا وَلَكِنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ^(٦)

وَمِنَ الْمُعَرَّرِينَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ، وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُدَسَ بْنِ رَيْبَعَةَ بْنِ
جَعْدَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ رَيْبَعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَيَكْنَى أَبَا لَيْلَى.
وَرَوَى أَبُو حَاتِمٍ السَّجِسْتَانِيُّ قَالَ: «كَانَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ أَسْنَى مِنَ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ،
وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ:

تَذَكَّرْتُ وَالَّذِي كَرَى سَهِيحٌ عَلَى الْهَوَى وَمِنْ حَاجَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا^(٧)
نَدَامَايَ عِنْدَ الْمُنْذِرِ بْنِ مُحَرَّرٍ أَرَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الْأَرْضِ أَقْفَرَا
/ كِهُولَ وَفَتِيَانٍ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ دَنَايَرُ مِمَّا شِيفَ فِي أَرْضٍ قَيْصَرَا

[٨٧]

(١) دَوَانُهُ: ٢٢، وَمِنْ نَسْخَةِ حَاشِيَتِي الْأَصْلِ، ت: «سَيِّدُ الْمَلِكِ». وَيُقَالُ: رَجُلٌ جَعْفَلٌ؛ أَيُّ
سَيِّدٍ عَظِيمٍ الْقَدْرِ؛ ذَكَرَهُ صَاحِبُ اللِّسَانِ، وَاسْتَشْهَدَ بِالْبَيْتِ. وَفِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ، ت: «قَوْلُهُ:

وَلَمَّا وَجَدْتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُمْ خَفَافَ الْمَهْودِ يَكْثُرُونَ التَّنْقِلًا

(٢) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةِ): «دَارًا». (٣) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةِ): «السَّكْفِ».

(٤) ش: «زَجَاج». (٥) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ: «أَيُّ الْبُلْغِ مِنَ الْمَزِيدِ».

(٦) وَانْظُرْ تَرْجُمَةَ عَبْدِ الْمَسِيحِ بْنِ بَقِيلَةَ أَيْضًا فِي الْعَمَدِ بَيْنَ ٣٧-٣٨.

(٧) مِنْ فَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ، ٧٦، ذَكَرَهَا صَاحِبُ جَهْرَةِ الْأَشْعَارِ فِي ٣٠٦-٣٠٧.

فهذا يدلُّ على أنه كان مع النذر بن محرق ، والنابعة الذُّبيانيَّ كان مع النعمان بن النذر ابن محرق .

قوله : « شيف » يعنى جُلَى ، والمشوف المجلو .

ويقال : إن النابعة غَبرَ ثلاثين سنة لا يتكلم^(١) ، ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة بأسيهان ، وكان ديوانه بها ، وهو الذى يقول :

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي مِنْ الْفِتْيَانِ أَيَّامَ الْخُنَّانِ

— وأيام الخُنَّان : أيام كانت للعرب قديمة ، هاج بها فيهم مرض فى أنوفهم وحلوقهم —

مَضَتْ مِائَةٌ لِعَامٍ وَلِدْتُ فِيهِ وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ وَحِجَّتَانِ^(٢)

فَأَبْقَى الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ مِنِّي كَمَا أَبْقَى مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِي

تَفَلَّلَ وَهُوَ مَأْتُورٌ جُرَّازٌ إِذَا جُمِعَتْ بِقَائِمِهِ الْيَدَانِ^(٣) ١٠

وقال أيضا فى طول عمره :

لَبِستُ أَنَسًا فَأَفْنَيْتُهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنَسٍ أَنَسًا

ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ وَكَانَ الْإِلَهُ هُوَ الْمُسْتَأَسَا

(١) حاشية الأصل : « أى لا يكلم بالشعر ، وسميت الفصيصة كلمة » .

(٢) فى حاشيتي الأصل ، ت : « ذكر المبرد فى قول النابعة :

عَلَى حِينٍ عَاتَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبَا وَقُلْتُ أَلَمَّا أَصَحُّ وَالشَّيْبُ وَازِعُ

أنه يجوز فى « حين » النصب والجر . وذكر بعض المتأخرين أنه إذا أضيف الظرف إلى المبنى لم يجوز

فيه إلا النصب ، وإنما يجوز الجر إذا أضيف إلى المجرى ؛ كقوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ

صِدْقُهُمْ ﴾ ، و ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ ، وقول النابعة : « لعام ولدت فيه » لا يحتاج إلى « فيه »

بل هو كالزيادة المستغنى عنها ؛ لأنه إذا أضيف « العام » إلى « ولدت » كان المضاف إليه مع المضاف فى

حكم الشئ الواحد ؛ فلا يحتاج إلى العائد ؛ بخلاف أن تكون الجملة مفعلة ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا

يَوْمًا تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ ؛ وكأنه لا بيان والتعقيق ، على تقدير : « لعام ولدت » ، ثم أضمر :

« ولدت » ، أخرى ، والجار والمجرور يتعلق بولدت المضمر . وانظر السكامل — بشرح الرصنى ٢ : ٢٢٠

(٣) مأثور : باني أثره . والجرّاز : الماضى النابذ فى الضريبة ، وانظر مطبقات الشعراء : ١٠٤

معنى المستأس : المعتاض^(١) .

وروى عن هشام بن محمد الكلبي أنه عاش مائة وثمانين سنة .

وروى ابن دريد عن أبي حاتم في موضع آخر أن النابغة الجعدي عاش مائتي سنة، وأدرك

الإسلام، وروى له :

قالت أمانة كم عمرت زمانة وذبحت من عتري على الأوثان !

— العتيرة^(٢) : شاة تذبح لأصنامهم في رجب في الجاهلية —

ولقد شهدت عكاظ قبل محلتها عنها وكنت أعد ميل فتيان^(٣)

والمنذر بن محرق في ملكه وشهدت يوم هجائن النعمان^(٤)

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : * المستأس * ، وهو من العوض .

(٢) حاشية الأصل : * المنز والعتيرة كالذبح والذبيحة * . (٣) ش : * فيها * ، وفي حاشية

الأصل : * محلتها فيها ؛ أي نزولها في عكاظ ، وعلمها عنها ، أي نزولها فيما عدا عكاظ ، و * عن *
للاعداد الشئ ، وجاوزه * . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : * هو المنذر بن امرئ القيس بن عمرو

ابن عدي بن ربيعة بن نصر اللخمي . وعمرو بن عدي هو ابن أخت جذيمة بن مالك الأبرش ؛ وقيل له
الأبرش والوضاح لبرس به ؛ وكان يقال لامرئ القيس أبي المنذر محرق ؛ وفيهم يقول الأسود بن يعفر :

ماذا أوئل بعد آل محرق تركوا منازلهم — وبعد إباد

والنعمان بن امرئ القيس هو النعمان الأكبر ؛ ويقال إن أنوشروان بن قباذ هو الذي ملكه ؛

وقيل ملكه قباذ . والنعمان هذا هو الذي بنى الحورني ؛ وهو الذي لبس المسوح وترهد وساح في الأرض ،

ثم ملك أخوه المنذر بن امرئ القيس ؛ ملكه أنوشروان ، وأمه من النمر بن قاسط ؛ ويقال لها ماء السماء

لجلالها ، وأبوها عوف بن جشم . ومن الأزد رجل يقال له ماء السماء أيضا ؛ وهو عامر أبو عمرو بن عامر ،

وعمره هو الذي يقال له مزقياء ثم ملك المنذر بن المنذر بن امرئ القيس ، ثم ملك عمرو بن هند مضرط

الحجارة ؛ وهو محرق أيضا لأنه أحرق من بني دارم ثمانية وتسعين رجلا ، وكلهم مائة رجل من البراجم

وبامرأة نهشلية ؛ ولذلك قيل : * إن الشئ وافد البراجم * . ثم ملك بعده النعمان بن المنذر بن المنذر

ابن امرئ القيس ؛ وكان يكنى أبا قابوس ؛ وهو صاحب النابغة الذبياني ؛ وكان له يومان : يوم نعيم ويوم

يؤس ، ومحرق أيضا لقب الحارث بن عمرو ، ملك الشام من آل جفنة ؛ وهو أول من حرق العرب في

ديارهم . وامرأة هجان ؛ أي حرة كريمة لم يعرفها الإمام ، من نسوة هجان ؛ قال أبو زيد : والمهجان من

الإبل : البيض ؛ بوصف به الواحد والجمع ؛ فإذا كان واحدا فهو مثل كتاب ، وإذا كان جمعا فهو مثل

كلاب ؛ ويقال ناقة هجان وبغير هجان ، والجمع على هجان أيضا . وهجائن النعمان معروفة ؛ وهي نجائبه ؛

وَعَمِرْتُ حَتَّى جَاءَ أَحَدُ بِالْهَدَى وَقَوَارِعُ تُتْلَى مِنَ الْقُرْآنِ (١)
[٨٧] / وَلَيْسَتْ مِلْ إِسْلَامِ ثَوْبًا وَاسْمًا مِنْ سَبَبٍ لَا حَرَمٍ وَلَا مَنَانٍ (٢)
وله أيضاً في طول عمره :

الْمَرْءُ يَهْوَى أَنْ يَعِيشَ وَطُولُ عَيْشٍ مَا يَضُرُّهُ (٣)
تَفَنَّى بِشَاشَتِهِ وَيَقْبَى بَعْدَ خُلُوقِ الْعَيْشِ مَرْءٌ
وَتَتَابَعُ الْأَيَّامِ حَتَّى لَا يَرَى شَيْئًا يَسْرُهُ
كَمْ شَامِتٍ بِي إِنْ هَلَكْتُ وَقَائِلٍ لَلَّهِ دَرُّهُ !

ويروى أن النابغة الجعدي كان يفتخر ويقول : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنشدته :

بَلَّغْنَا السَّمَاءَ تَجْدُّنَا وَجُدُّوْنَا وَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

١٠ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » قالت : الجنة يا رسول الله ،
فقال : « أجل إن شاء الله » ، ثم أنشدته :

فَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بِوَادِرٍ تَخْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُسَكَّدَرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَايِمٌ إِذَا مَا أُوْرَدَ الْأَمْرَ أُصْدَرَا

فقال صلى الله عليه وآله : « لا يفضض الله فالاً ! » ، وفي رواية أخرى : « لا يفضض

١١ فوكاً ! » فيقال : إن النابغة عاش عشرين ومائة سنة ، لم تسقط له سنٌ ولا ضِرْسٌ . وفي رواية
أخرى عن بعضهم قال : فرأيتُه وقد بلغ الثمانين رَفً غروبُه ، وكان كأنما سقطت له ثنية نبتت
له أخرى مكانها ، وهو أحسن الناس ثمرًا .
معنى رَفً تَبَرَّقَ ، وكأن الماء يقطر منها .

وكان يقال لها عصافير النعمان لأنها في سبورها . وفي كلام حسان بن ثابت : فاحسدت أحداً حسدى
النابغة حين أمر له النعمان بن المنذر بمائة ناقة بريحها من نوق عصافيره ، وجام وآنية من فضة ، وكانوا
إذا حبا الملك بعضهم يتوفى يغمزون في أسمائهم ريش النعام ؛ ليعلم أنها حبا الملك .

(١) القوارع من القرآن : آيات الوعد والوعيد .

(٢) الرجل الحرم : المانع . (٣) من : قد يضره .

قال المرتضى أدام الله علوه : ومما يشاكل قوله : « إلى الجنة » في جواب قول النبي صلى الله عليه وآله : « أين المظهر يا أبا ليلى » — وإن كان يتضمن العكس من معناه — ما روى من دخول الأخطل على عبد الملك بن مروان ، مستغنياً من فعل الجحاف السلمي ، وأنه أنشده :

لقد أوقع الجحافُ بالشَّرِّ وقعةً إلى الله منها المشتكى والمُعول^(١)
/ فإن لم تُغَيِّرْها قُرَيْشٌ بِعَمَلِكِها يكن عن قُرَيْشٍ مُستَمازٌ ومَرَحَلٌ^(٢) [٨٨]
و

فقال عبد الملك له : إلى أين يا بن الأحناء ؟ فقال : إلى النار ، قال : لو قلت غيرها لقطعت لسانك .

فقوله : « النار » تخلّص مليحٌ على البديهة ، كما تخلّص الجعدي بقوله : « إلى الجنة » .
وأول قصيدة الجعدي الذي ذكرنا منها الأبيات :

خليلي غُصّاً ساعةً وتَهَجَّرَا^(٣) ولوما على ما أحدث الدهرُ أو ذرا
ولا تسألاً ، إنّ الحياة قصيرةٌ فطيراً لروعاتِ الحوادثِ أو قرأ
وإن كان أمرٌ لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبراً
ألم تعلمّا أنّ الملامة نفعها قليلٌ إذا ما الشئ ولّى فأذبراً^(٤)
لوى الله عِلْمَ الغيبِ عَمَّن سِوَاهُ ويعلمُ منه ماضى وتأخراً
وفيها يقول :

وجاهدتُ حتّى ما أحسُّ ومَن معي سهيلاً إذا ما لاحَ ثمّ تغوّرا
— يريد : إلى كنت بالشام ، وسهيل لا يكاد يرى هناك ، وهذا بيت معني — وفيها يقول :
ونحنُ أناسٌ لا نُعوذُ خيلاً إذا ما التقينا أن تحيدَ وتنفرا

(١) ديوانه : ١٠ والعبقات : ٤١٢ ، والبشر : جبل بالجزيرة ، يمتد من عرض القرات إلى أرض الشام ، وهو الجحاف بن حكيم السلمي ، وانظر خبره وقصة يوم البصري في الأغاني ١١ : ٥٥ — ٦٠ .

(٢) يقال : امتاز القوم إذا تنحى عصاة منهم ناحية ، وكذلك استماز : ذكره صاحب اللسان واستشهد بالبيت . والمزحل : الموضع الذي يترحل إليه ؛ أي يتنحى ويتقاعد . وانظر اللسان (مير — زحل) .

(٣) التهجّر : السير في الهاجرة . (٤) حاشية ت : ه بعده :

يَسْجُ اللّاهِءِ وَالْمَلَامَةُ ثُمَّ مَا يَقْرُبُ مِنَّا غَيْرَ مَا كَانَ قَدْرًا

وَنُفِكَرُ^(١) يَوْمَ الرُّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنْ الطَّمَنِ حَتَّى تَحْسِبَ^(٢) الْجَوْنَ أَشْقَرَا
وَلَيْسَ بِمَعْرُوفٍ لَنَا أَنْ نَرُدَّهَا صَحَاحًا وَلَا مُسْتَكْرَرًا^(٣) أَنْ تَعْمُرَا

وأخبرنا المَرْزُبَانِيُّ قَالَ أَنشَدَنَا عَلِيُّ بْنُ سُلَيْمَانَ الْأَخْفَشُ قَالَ أَنشَدَنَا أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى قَالَ :
أَنشَدَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ وَغَيْرُهُ لِلنَّابِغَةِ الْجُمْدِيِّ :

• تَلُومُ عَلَى هُلَاكِ الْبَعِيرِ ظَعِينَتِي وَكُنْتُ عَلَى لَوْحِ الْعَوَازِلِ زَارِيَا^(٤)
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي رَزِيتُ مُحَارِبًا^(٥) فَهَلَاكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا
وَمَنْ قَبْلَهُ مَا قَدْ رَزِيتُ بُوخُوحًا^(٦) وَكَانَ ابْنُ أُمِّی وَالحَلِيلَ الْمُصَافِيَا
فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَسَائِقِي^(٧) مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا^(٨)
فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ رَفِيَ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا
- وَيُرْوَى : « فَتَى كَانَ فِيهِ مَا يَسُرُّ » -

أَشْمُ طَوِيلُ^(٨) السَّاعِدِينَ سَمِيدَعُ إِذَا لَمْ يَرْحُ لِلْمَجْدِ أَصْبَحَ غَادِيَا
السَّمِيدَعُ : السَّيِّدُ .

وَمَا يَرْوَى لِلنَّابِغَةِ الْجُمْدِيِّ :

عُقَيْبِيَّةُ أَوْ مِنْ هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ بِذِي الرَّمْثِ مِنْ وَادِي الْمَنَارِ خِيَامُهَا^(٩)
إِذَا ابْتَسَمَتْ فِي اللَّيْلِ وَاللَّيْلُ دُونَهَا أَضَاءَ دُجَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ ابْتِسَامُهَا

(١) حاشية ت (من نسخة) : « وَنُفِكَرُ » ، بالبناء للمجهول . (٢) حاشية ت (من نسخة)
« وَيَحْسِبُ الْجَوْنَ » ، بالبناء للمجهول . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « وَلَا مُسْتَكْرَرَا »
بالمطابقة على المعنى . (٤) من أبيات يرثي فيها أخاه لأمه ، وقد ذكرت متفرقة في ديوان الحماسة ٣ : ١٩ ،
والخزانة ٢ : ١٢-١٣ ، وشرح شواهد المغني : ٢٠٩ والأمل ٢ : ٢ ، واللاقي : ٦٣٧ .

(٥) هو محارب بن قيس بن عدس ؛ كان من أشرف قومه . (٦) هو وحوح بن عبد الله ؛ قال
أبو عبيد البكري : « هُوَ أَخُو النَّابِغَةِ لِأُمِّهِ » .
(٧) رواية البيت في ت :

فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَسَائِقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

(٨) حاشية ت (من نسخة) : « طَوَالِ السَّاعِدِينَ » . (٩) ت : « وَادِي الْمِيَاهِ » .

وذكر الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: سئل الفرزدق بن غالب عن الجعدى فقال: صاحب خلجان؛ يكون عنده مطرف بألف دينار، وخمار بواف^(١).

قال الأصمعي: وصدق الفرزدق، بينا^(٢) النافذة في كلام أسهل من الزلال وأشد من الصخر إذ لان فذهب، ثم أنشد له:

سَمَّا لَكَ هُمٌّ وَلَمْ تَطْرُبِ وَبَتْ بَيْتٌ وَلَمْ تَنْصَبِ
وَقَالَتْ سُلَيْمَى أَرَى رَأْسَهُ كَنَاصِيَةِ الْفَرَسِ الْأَشْهَبِ
وَذَلِكَ مِنْ وَقَعَاتِ الْمَنُونِ فَفَيْئَتِي إِلَيْكَ وَلَا تَعْجَبِي
أَتَيْنَ عَلَى إِخْوَتِي سَبْعَةً^(٣) وَعُدُنَ عَلَى رَبْعِي الْأَقْرَبِ

ثم يقول فيها بعدها:

فَأَدْخَلَكَ اللَّهُ بَرْدَ الْجَنَّا نِ جَذْلَانِ فِي مَدْخَلٍ طَيِّبٍ

فلان كلامه؛ حتى لو كان أبا الشمقمق قال هذا البيت كان رديئاً ضعيفاً.

قال الأصمعي: وطريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علّا في الجاهلية والإسلام، فلما أدخل شعره في باب الخير من مرأى النبي صلى الله عليه وآله وحزرة وجعفر^(٥) عليهما السلام/ وغيرهما لان شعره^(٤)!

[٨٩]
و

(١) حاشية ت (من نسخة): هـ من كلامهم: مطرف بألف، وخمار بواف؛ أي بدرهم وواف هـ.

(٢) حاشية ت: هـ بينا وبينما يتلقبان بالفعل؛ ولا يتلقبان بإذا؛ هذا هو الفصيح العالي، كقوله:

* فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَهُ قَالَ قَائِلٌ *

وكقوله:

بَيْنَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ فَالْقَا عِ سِرَاعًا وَالْمَيْسُ نَهْوَى هُوِيًّا
خَطَرْتُ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكْرِكَ وَهَنَّا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًّا

(٣) ش: هـ إخوة سبعة هـ، بالجر والتنوين فيهما. (٤) ش: هـ فيهما هـ. (٥) وانظر ترجمة

النافذة الجعدى وأخباره وأشعاره في (الشعر والشعراء ٢٤٧-٢٥٥)، والاستيعاب ٣٢٠-٣٢٥، وأسد

الغابة هـ: ٢-٤، والإصابة ٦: ٢١٨-٢٢١، والمعمرين ٦٤-٦٦، والأغانى ٤: ١٢٧-١٣٩،

والحزاة ١: ٥٩-٥١٥، والمؤلف والمختار: ١٩١، ومعجم الشعراء: ٣٢١، واللائى: ٢٤٧).

مَجْلِسُ آخِر

مَسْأَلَةٌ

تتعلق بما ذكرناه . إن سأل سائل فقال : كيف يصح ما أوردتموه ، من تطاول الأعمار وامتدادها ، وقد علمتم أن كثيراً من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول : إنه لا قدرة عليه ، ولا سبيل إليه ؛ وفيهم ^(١) من ينزل في إنكاره درجة فيقول : إنه - وإن كان جائزاً من طريق القدرة والإمكان - فإنه مما يُقَطَّعُ على انتفائه ؛ لكونه خارقاً للعادات ؛ وإن العادات ^(٢) إذا وثق الدليل بأنها لا تنخرق إلا على سبيل الآية ^(٣) والدلالة على صدق نبي من الأنبياء عليهم السلام علم أن ما روى من زيادة الأعمار على العادة باطل معصوم لا يلتفت إلى مثله .

الجواب ، قيل له : أما من أبطل تطاول الأعمار من حيث الإحالة ، أو أخرجه عن ^(٤) باب الإمكان فقولُه ظاهرُ الفساد ، لأنه لو علم ما العمرُ في الحقيقة ، وما المقتضى لدوامه إذا دام ، وانقطاعه إذا ^(٥) انقطع لعلم من جواز امتداده ما علمناه . والعمر هو استمرار كون من يجوز أن يكون حياً وغير حياً . وإن شئت أن تقول : هو استمرار كون الحى الذى لكونه على هذه العفة ^(٦) ابتداء حياً .

وإنما شرطنا الاستمرار ؛ لأنه يبعد أن يوصف من كان حالة واحدة حياً بأن له عمراً ؛ بل لابد من أن يُراعوا في ذلك ضرباً من الامتداد والاستمرار ، وإن قل .
وشرطنا أن يكون ممن يجوز أن يكون غير حياً ، أو يكون لكونه حياً ابتداءً ^(٧) لثلاث
١٥ يلزم عليه التقديم ^(٨) تعالى ؛ لأنه تعالى جلَّتْ عِظَمُهُ ممن لا يوصف بالعمر ؛ وإن استمر كونه

(١) ت : « منهم » . (٢) ت : « ولأن العادات » . (٣) ت : « وحاشية الأصل (من نسخة) : « الإبانة » ، (٤) ت : « جميع ما روى » . (٥) م : « من باب الإمكان » . (٦) ت : « من انقطع » . (٧) م : « الصفات » . (٨-٨) حاشية ت (من نسخة) : « احترازاً من أن يلزم عليه التقديم تعالى » .

حيًا؛ وقد علمنا أن المختص بفعل الحياة هو القديم تعالى، وفيما تحتاج إليه الحياة من البنية والماني ما يختص به عز وجل، ولا يدخل إلا تحت مقدوره؛ كالرطوبة وما يجري مجراها؛ فتى فعل القديم تعالى الحياة وما تحتاج إليه من البنية - وهي مما يجوز عليه البقاء - وكذلك ما تحتاج إليه فليست^(١) تتنق إلا بضد يطرأ عليها، أو بعِدٍ ينق ما تحتاج إليه؛ والأقوى أنه لا ضد لها في الحقيقة^(٢)؛ وإنما ادعى قوم أنه ما يحتاج إليه، ولو كان للحياة ضد على الحقيقة لم يُخل بها بقصده / في هذا الباب .

[٨٩]

فهما لم يفعل القديم تعالى ضدها، أو ضد ما تحتاج إليه، ولا نقض ناقض بنية الحى استمر كون الحى حيا . ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من رأى ذلك لكان ما قصدناه صحيحاً، لأنه تعالى قادر على أن يفعلها حالا فخلاً، ويوالى بين فعلها وفعل ما تحتاج إليه، فيستمر كون الحى حياً .

١٠

فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص بنية الإنسان، فليس مما لا بد منه، وإنما أجرى الله تعالى العادة بأن يفعل ذلك عند تطاول الزمان ولا إيجاب هناك، ولا تأثير للزمان على وجه من الوجوه، وهو تعالى قادر على أن يفعل ما أجرى العادة بفعله، وإذا ثبتت هذه الجملة ثبت أن تطاول العمر ممكن غير مستحيل، وإنما أتى من أحال ذلك من حيث اعتقد أن استمرار كون الحى حياً موجب عن طبيعة وقوة لها مبلغ من المادة، متى انتهت إليه^(٣) انقطعاً، واستحال أن تدوماً^(٤). ولو أضافوا ذلك إلى فاعله مختار متصرف لخرج عندهم من باب الإحالة .

فأما الكلام في^(٥) دخول ذلك في العادة أو خروجه عنها، فلا شك في أن العادة قد جرت في الأعمار بأقدار متقاربة يعمد الزائد عليها خارقاً للعادة؛ إلا أنه قد ثبت أن العادة قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضاً، ويجب أن يُراعى في العادة إضافتها إلى من هي عادة له في المكان والوقت .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « فليس ينق » . (٢) ت : « وربما » .

(٣-٢) ت : « بطل واستحال أن تدوما » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « على ذلك » .

وليس يمتنع أن يقل ما كانت العادة جارية به على تدريج؛ حتى يصير حدوثه خارقاً للعادة بغير خلاف، ولا يكثر^(١) الخارق للعادة، حتى يصير حدوثه غير خارق لها على خلاف فيه. وإذا صح ذلك لم يمتنع أن تكون العادات في الزمان النابز كانت جارية بتطاؤل الأعمار وامتدادها، ثم تناقص ذلك على تدريج، حتى صارت عادتنا الآن جارية بخلافه، وصار ما يبلغ • مبلغ تلك الأعمار خارقاً للعادة؛ وهذه جملة فيما أردناه كافية.

(١) ش : • وأن يكثر • .

بَاب

في الجوابات الحاضرة المستحسنة التي يُسمِّيها قوم المسكتة

/ اعلم أن أجوبة المحاور والمناظرة إنما تستحسن وتؤثر إذا جمعت مع الصواب بسرعة [٩٠] الحضور؛ فكم من جواب أتى بعد لأي، وورد بعد تقاعس، فلم يكن له في النفوس وقع، ولا حل من القلوب محل الحاضر السريع؛ وإن كان الثاقل أعرف في نسب الإصابة، وأخذ بأطراف الحجة، ولهذا قيل: أحسن الناس جواباً وأحضرهم قريش، ثم العرب، وإن الموالى تأتى أجوبتها بعد فكرة وروية.

وقد مدح الجواب الحاضر بكل لسان، فقال صحرار المبدى لمعاوية بن أبي سفيان - وقد سألته عن البلاغة - فقال: أن تصيب فلا تخطئ، وتسرع ولا تبطل، ثم اختصر ذلك فقال: لا تخطئ ولا تبطل.

ولطول الفكرة والإغراق في الروية مذهب وأوان لا يحمد فيهما^(١) التسرع والتعجل، كما لا يحمد في أوان السرعة الثاقل والتأيد؛ وإنما يحمد السرعة في أجوبة المحاور والمناظرة، وتراد الفكرة والروية للآراء المستخرجة والأمور المستنبطة؛ التي على الإنسان فيها مهلة، وله في تأملها فسحة، ولا عيب عليه ممها في إطالة التأمل، وإعادة التصفح؛ ولهذا قال الأحنف ابن قيس بصفتين: أغبوا الرأي، فإن ذلك يكشف لكم عن مخضه.

وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما أراده الخوارج على الكلام حين عقدوا له: لا خير في الرأي الفطير، والكلام القضيبي.

وشوور ابن التوهم الرقائبي^(٢) فأمسك عن الجواب وقال: ما أحب الخبز إلا بائناً.

(١) حاشية ت (من نسخة): «فيه». (٢) حاشية ت (من نسخة): «الرؤاسي».

فأما قولهم : ثلاث يُعرفن في الأحق : سرعة الجواب ، وكثرة الالتفات ، والثقة بكل أحد ؛ فمحمول على إسرعه بالجواب عند الرأي والمشاورة ، والأحوال التي يستحب فيها التأيد والتثبت ، أو على الإصرار من غير تحصيل ولا ضبط ؛ وذلك مذموم لا إشكال فيه . ثم نعود إلى ما قصدناه .

• روى أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله سألته : متى يعرف الإنسان ربه فقال : « إذا عرف نفسه » . وقال له صلى الله عليه وآله رجل : إني أكره الموت ، فقال : « ألك مال ؟ » ، قال : نعم ، قال : « قدّم مالك ؛ فإن قلب كل امرئ عند ماله » .

وقال يهودى لأمير المؤمنين عليه السلام : ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه ، فقال عليه السلام : إنا اختلفنا عنه ، لا فيه ^(١) ؛ ولكنكم ماجفت أقدامكم من البحر حتى قلم لنبيكم : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون .

وروى أنه لما فرغ عليه السلام من دفن الرسول صلوات الله عليه وآله ، سأل عن خبر السقيفة فقيل له : إن الأنصار قالت : منا أمير ومنكم أمير ، فقال عليه السلام : فهلا ذكرت الأنصار قول النبي صلى الله عليه وآله : « نقبل من محسنهم ، ونتجاوز عن مسيئهم » ! فكيف يكون الأمر فيهم والوصاة بهم !

١٥ وقال له عليه السلام ابن الكواء : يا أمير المؤمنين ، كم بين السماء والأرض ؟ فقال : دعوة مستجابة . وقيل له : ما طعم الماء ؟ فقال : طعم الحياة . وقيل له : كم بين المشرق والمغرب ؟ فقال : مسيرة يوم للشمس . وأثنى عليه رجل - وكان له متهماً - فقال : أنا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك . وكان عليه السلام إذا أطراه رجل قال : اللهم إنك أعلم بي منه ، وأنا أعلم منه بنفسى ، فاغفر لي ما لا يعلم .

٢٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال : حدثني عبد الواحد بن محمد الحصبيني قال : حدثني

(١) حاشية ت (من نسخة) « ولم نختلف فيه » .

أبو علي أحمد بن إسماعيل قال : حدثني أيوب بن الحسين الهاشمي قال : قدم علي الرشيد رجلاً من الأنصار ، يقال له نفيص - وكان عريضاً - قال : فحضر باب الرشيد ، ومعه عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز ، وحضر موسى بن جعفر عليهما السلام على محاربه له ، فتلقاها الحاجب بالبر^(١) والإكرام ، وأعظمه من كان هناك ، وعجل له الإذن ، فقال نفيص لعبد العزيز : من هذا الشيخ ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قال : لا ، قال : هذا شيخ آل أبي طالب ، هذا موسى بن جعفر ، قال : ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم ! يفعلون هذا برجل^(٢) يقدر أن يزيلهم^(٣) عن السرير ! أما لين خرج لأسوءته ، فقال له عبد العزيز : لا تفعل ، فإن هؤلاء أهل بيت قلما تعرض لهم أحد في خطاب إلا وسموه بالجواب^(٤) سمة يبق عارها^(٥) عليه مدى الدهر .

قال : وخرج موسى بن جعفر عليهما السلام ، فقام إليه نفيص الأنصاري ، فأخذ يلجام محاربه ثم قال له : من أنت ؟ فقال له : يا هذا ، إن كنت تريد النسب فأنا ابن محمد حبيب الله ابن إسماعيل ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله ، وإن كنت تريد البلد ، فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك - إن كنت منهم - الحج إليه ، وإن كنت تريد المفاخرة ، فوالله ما رضي مشركو قومي^(٦) / مسلمي قوميك أكفاء لهم حتى قالوا : يا محمد ، أخرج إلينا^[٩١] أكفاءنا من قريش^(٧) ؛ خلّ عن الحمار ، قال : نخلّي عنه ويده ترعد ، وانصرف بخزّي ، فقال له عبد العزيز : ألم أقل لك !

ويقال إن معاوية استشار الأحنف بن قيس في عقد البيعة لابنه يزيد ، فقال له : أنت أعلم ببليله وشهاده .

وقال أحمد بن يوسف لأبي يعقوب الحرّيمي : مدحك لمحمد بن منصور أجود من مراتبك

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « بالبشر » . (٢-٢) حاشية ت (من نسخة) : يقدر أن يزيلهم . (٣-٣) حاشية ت (من نسخة) : « وسها يبق عاره » . (٤) حاشية ط : « يي بوله : « مشركو قومي » شبة وعتبة وعمرو بن عبدود . (٥) ورد بعد هذه العبارة في م ، ومن نسخة بحاشيتي ت ، ف : « وإن كنت تريد الصيت والامم فنحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا في الصلوات المفروضة بقوله : اللهم صل على محمد وآل محمد ، فنحن آل محمد » .

فيه ، فقال : كُنَّا نعمل للرجاء ، واليوم للرفاء ، وبينهما بون .

ودخل مطيع بن إلياس على الهادي في حياة المهدي فذهش وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقيل له : مه ! فقال : بعد أمير المؤمنين .

وقال معاوية لعقيل بن أبي طالب - وكان جيد الجواب حاضره - : أنا خير لك من أخيك ، فقال عقيل : إن أخي آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ؛ فأخى خير لنفسه منك ، وأنت خير لي منه . وقال له يوماً : إن فيكم لشبقة يا بني هاشم ، فقال : هو منا في الرجال ، ومنكم في النساء . وقال له يوماً وقد دخل عليه : هذا عقيل ، عمه أبو لهب ، فقال عقيل : هذا معاوية ، عمته حمالة الحطب . وعمه معاوية أم جيل^(١) بنت حرب بن أمية ، وكانت امرأة أبي لهب . وقال له يوماً : يا أبا يزيد ، أين ترى عمك أبا لهب ؟ فقال له عقيل : إذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجد عمك مفترشاً عمته ، فانظر أيهما أسوأ حالاً ، الناكح أم المنكوح ! وقال له ليلة الحرير بصيفين : يا أبا يزيد ، أنت معنا الليلة ، قال : ويوم بدر كنت معكم .

وقيل لسعيد بن المسيب - وقد كف بصره : ألا تقدح^(٢) عينك ؟ قال : حتى أفتحها على من !

ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال له : كبرت يا معن ، قال : في طاعتك ، قال : وإنك لتتجأ ، قال : على أعدائك ، قال : وإن فيك لبقية ، قال : هي لك . وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل : والله لأقتلنك قتيلاً يُتحدث بها بعدك ، فقال مسلم : أشهد أنك لا تدع سوء القتل ولؤم القدرة لأحد أولى بهما منك .

وقال رجل لعمر بن العاص : لا تفرغ لك ، قال : إذا وقعت^(٣) في الشغل .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أم جيل هي ابنة حرب ، أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس » .
(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ألا تفتح عينك ؟ » .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذا وقع » .

وقال معاوية لعمر بن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق : إلى من أوصى بك أبوك ؟
فقال : إن أبي أوصى إلى ولم يوص لي .

وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته / الوفاة : قد أوصيت بك فلاناً [٩١]
فألقه بعدى ، فقال : يا أبة ، إذا لم يكن للحى إلا وصية البيت ، فالحي هو البيت .

وقال الوليد بن يزيد لابن الرقاع العاملي : أنشدني بعض قولك في الخمر ، فأشده :
كُميتُ إذا شُجَّتْ وفي الكأسِ وردة لها في عظامِ الشَّارينِ ديبُ
فقال له : شربتها ورب الكعبة ! فقال ابن الرقاع : لئن كان نعمي لها بذلك رأيتك ،
لقد رأيتني معرفتك بها .

ولما أتى معاوية نعي الحسن بن علي عليهما السلام بعث إلى ابن عباس رضي الله عنه -
وهو لا يعلم الخبر - فقال له : هل عندك خبر من المدينة ^(١) ؟ قال : لا ، قال : أنا ^(٢) نعي
الحسن - وأظهر سروراً - فقال ابن عباس : إذا لا ينسأ ^(٣) في أجلك ، ولا تسد حفرتك ،
قال : أحسبه قد ترك صبية صفاراً ، قال : كلنا كان صغيراً وكبيراً ، قال : وأحسبه قد كان
بلغ سنّاً ، قال : مثل مولده لا يجهل ، قال معاوية : وقال قائل إنك أصبحت سيد قومك ،
قال : أما وأبو عبد الله الحسين بن علي حي فلا ؛ فلما كان من غد أتى يزيد بن معاوية
ابن عباس ، وهو في المسجد يمرّ ^(٤) ، فجلس بين يديه جلسة العزّي ، وأظهر حزناً ^(٥)
وغماً ، فلما انصرف أتبعه ابن عباس بصراً وقال : إذا ذهب آل حرب ذهب حلم قريش .
وروى أن وفوداً دخلت على عمر بن عبد العزيز ، فأراد فتى منهم الكلام ، فقال عمر :
ليتكلم أكبركم ، فقال الفتى : إن قريشاً أترى فيها من هو أسن منك ، فقال له :
تسكلم يا فتى .

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « ما جاءك من المدينة خبر » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أتى ناعي الحسن » . (٣) حاشية ت (من نسخة) :

« إذا لا ينسأ أجلك » . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « كان ذلك بالشام » وروى أن ابن عباس

رضي الله عنه عقد بالشام عزاء على الحسن صلوات الله عليه . (٥) ت : « نحرنا » .

وروى محمد بن سلام الجمحي قال: " أنشد^(١) كثير عبد الملك بن مروان شعراً :
على ابن أبي العاصي دِلاصٌ حصينةٌ أجاد المسدّي نسجها فأذلها^(٢)
فقال له: هلا قلت كما قال الأعشى :

وإذا تكونُ كتيبةٌ مَلُومةٌ شهباءٌ يَحْشَى الدَّائِدُونَ نِهَاها^(٣)
كُنْتَ الْمُقَدَّمُ غَيْرَ لَابَسٍ جُنَّةٌ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِماً أَبْطالها^(٤)
فقال له : إِنَّهُ وَصَفَهُ بِالْخُرْقِ وَوَصَفْتِكَ بِالْحَزْمِ^(٥).

ويشبه ذلك ما رَوَى^(٦) عن أبي عمرو بن العلاء أنه لقي ذا الرُّمة ، فقال له : أنشدني
قصيدتك :

* مَا بِالْ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ^(٧) *

- (١) طبقات الشعراء ٤٥٨-٤٥٩ ؛ ورواه الرزباني في الموشح: ١٤٥ ؛ مع اختلاف في الرواية .
(٢) ابن أبي العاصي هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية ، ودلاس : وصف
الدرع اللينة . والحصينة : المحكمة المتدانية الخلق ؛ يكون صاحبها في حصن مما يصيبه . وسدّي الدرع :
نسجها . ويقال أذل الدرع ؛ إذا أطل ذيلها وأطرافها .
(٣) ديوانه : ٢٧ . السكتية : القطعة العظيمة من الجيش ، وكتيبة ملومة : مجتمعة مضوم بعضها
إلى بعض : وشهباء : بيضاء صافية الحديد . والدائد : الذي يحمي الحرم ويذود عنها ، والتهال : العطاش .
(٤) المقدم : شديد الإقدام على العدو . والجنة هنا : الدرع تستر لابسها . والمعلم : من يعلم مكانه
في الحرب بعلامة أعلم بها نفسه . (٥) رواية الرزباني : « فقال : يأمر المؤمنين ؛ وصف الأعشى صاحبه
بالعيش والحرق والتغريب ؛ ووصفتك بالحزم والعزم ، فأرضاه » ؛ وقد فاضل الرزباني بين هذين الشعرين
فقال : « رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى في هذا المعنى على قول كثير ؛ لأن البالغة أحسن عندهم
من الانقصار على الأمر الأوسط ؛ والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة ؛
على أنه وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم وأحق بالصواب ؛ ففي وصف الأعشى دليل قوى على شدة شجاعة
صاحبه » . (٦) الخبر في الموشح ١٧٤-١٧٥ ، والشعر والشعراء ٥١٧-٥١٨ ، والأغاني ١١٨ ؛
واللآلي : ٨٩٨ ؛ مع اختلاف في الرواية والشعر . (٧) بقيته :

* كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيةٍ سَرِبُ *

والكلبي : جمع كلبة ؛ وهي رقعة تكون في أصل عروة المزاودة ومفربة : مقطوعة . وسرب :
سائل ؛ والقصيدة في ديوانه ١ - ٣٥ .

[٩٢] / فأنشده إياها ، فلما بلغ إلى قوله :

تُصْنِي إِذَا شَدَّهَا بِالسَّكُورِ جَانِحَةً حَتَّى إِذَا مَا اسْتَوَى فِي غَرْزِهَا تَثْبِ

فقال له أبو عمرو بن العلاء : قول الراعي أحسن مما قلت

تَرَاهَا إِذَا قَامَ فِي غَرْزِهَا كَمِثْلِ السَّفِينَةِ أَوْ أَوْقَرُ

وَلَا تُعْجِلُ الرَّءْءَ عِنْدَ الْوُرُو لَكَ وَهِيَ بِرِكَبَتِهِ أَبْصَرُ^(١)

فقال ذو الرُّمَّة : إنَّ الراعيَ وَصَفَ نَاقَةَ مَلِكٍ ، وَأَنَا وَصَفْتُ نَاقَةَ سَوْقَةٍ .

وحكى المولى أنه سمع أعرابيا يُنشد بيتَه الذى حكيناه ، فقال : سقط والله الرجل .

فأما الغرْز فهو للناقة مثل الرِّكَاب للدابة ، وهو نِسْع مضفور . وقوله : « تُصْنِي »

يريد تُمِيل رأسها ، كأنها تسمع ، لأنها ليست بنفور ، بل مؤدبة مقومة . والكور : الرجل .

وقد أخذ هذا المعنى أبو نواس فأحسن نهاية الإحسان ، فقال يصف الناقة في مدحه

الخصيب بن عبد الحميد :

فكَانَتْهَا مُصْنَعٌ لَتُسْمِعَهُ بَعْضَ الْحَدِيثِ ، بِأُذُنِهِ وَقَرُ

فلم يرض بأن وصفها بالإصغاء حتى وصفها بالوقر ، وهو الثقل فى الأذن ، لأن الثقل

السمع يكون إسغاؤه وميله إلى جهة الحديث أشدَّ وأكدر^(٢) .

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وإني لأستحسِن القصيدة التى من جُمَلِهَا البيتُ

الذى أوردناه لأبى نواس ؛ لأنها دون المشرين بيتاً ، وقد نَسِبَ فى أولها ، ثم وَصَفَ النَّاقَةَ

بأحسن وصف ، ثم مدح الرجل الذى قصد مدحه واقتضاه حاجته ؛ كلُّ ذلك بطبع يتدفق ،

ورؤى يتفرق ، وسهولة مع جزالة ؛ والقصيدة^(٣) :

(١) البيتان فى الآلى : ٨٩٨ . الورك : أن يثنى الرجل إحدى وركيه لينزل من فوق السرج ، والبيت

الثانى فى اللسان (ورك) ، وفى ت : « الركوب » ، ومن نسخة بمحاشيتى الأصل ، ت : « الزول » .

(٢) من نسخة بمحاشية ت : « وأوكدر » . (٣) ديوانه : ١٠١ .

يَا مِنَّةً اِمْتَنَّا السُّكْرُ مَا يَنْقُضِي مِنِّي لَهَا الشُّكْرُ
 اَعْطَيْتَكَ فَوْقَ مُنَاكَ مِنْ قَبْلِ قَدْ كُنَّ قَبْلُ، مَرَامُهَا وَغَرُ
 يَبْنِي إِلَيْكَ بِهَا سَوَالِفُهُ رَشَاءُ صِنَاعَةٍ عَيْنِهِ السَّحَرُ
 ظَلَّتْ مُحْيَا الْكَأَمِ مِنْ تَبْسُطُنَا (١) حَتَّى تَهْتَكَ يَتْنَا السُّرُ
 / فِي مَجْلِسِ ضَحْكِ السُّرُورِ بِهِ عَنْ نَاجِدِيهِ وَحَلَّتِ الْخَمْرُ

[١٢]

أما قوله : « حَلَّتِ الْخَمْرُ » فيحتمل أن يُريد به أن ما وصفه من طيب الموضع وتكامل السرور به وحضور (٢) المأمول فيه صار مقتضياً لشرب الخمر ، ومُلْجِئاً إلى تناولها ، ورافعاً للخرج فيها ؛ على مذهب الشعراء في المبالغة ؛ وتكون فائدة وصفها بأنها « حَلَّتِ » المبالغة في وصف الحال بالحنن والطيب . ويحتمل أن يكون عَقَّدَ على نفسه ، وآلَى آلا يتناول الخمر إلا بعد الاجتماع مع محبوبه ، وكان الاجتماع معه مُخْرِجاً له عن يمينه ، على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم ، إلى أن يأخذوا بشأهم ؛ ويمجرى ذلك مجرى قول الشنفرى :
 حَلَّتِ الْخَمْرُ وَكَانَتْ حَرَاماً وَبَلَّأِي مَا أَلَمْتُ تَحِلُّ (٣)

ويحتمل أن يريد « بَحَلَّتِ » نزلت وأقامت ؛ من الحلول الذي هو المقام ؛ لا من الحلال ؛ فكأنه وصف بلوغ جميع آرايه وحضور فنون لذاته ، وأنها تكاملت بحلول الخمر ؛ التي فيها جميع اللذات ؛ وهذا الوجه وإن لم يُبَشِّرْ إليه أحدٌ ممن تقدم في تفسير هذا البيت ؛ فالقول يحتمله ، ولا مانع من أن يكون مُراداً . وقد قيل إنه أراد استحللنا الخمر لسكرنا ، وفقدنا العقول التي كنا نمتنع لها من الحرام ؛ والوجوه المتقدمة أشبه وأقرب إلى الصواب .

(١) د : « نشطنا » . (٢) د ، ف : « وحصول » . (٣) من قصيدة مظهرها :

إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَمْعٍ اقْتِيلاً دَمُهُ مَا يُطَلُّ

وفي نسبتها خلاف كبير ؛ نسبها أبو تمام في الحماسة ٢ : ٣١٣-٣١٩ إلى تأبط شرا ، وقال التبريزي : « إنها لخلف الأحمر ؛ وقبل لها لابن أخت تأبط شرا » ؛ ونسبها ابن قتيبة في الشعر والشعراء إلى خلف ؛ وقال : « إنه نحاس ابن أخت تأبط شرا ؛ وكان يقول الشعر وينعله المتقدمين » ، ومن نسبها إلى الشنفرى صاحب الأغاني (١٦٢ : ٥) .

ولقد تجوبُ بي الفلاة إذا صام النهار وقالتِ المُمْرُ
أراد «بصام» ، وقف ، وذلك وصف له بالامتداد والطول . والمُمْرُ : الظباء اللواتي^(١)
في ألوانهنَّ حمرة يخاطبها كُدرة^(٢) . و «قالت» من القائلة ، وهي وقتُ نصف النهار ؛
لا من القول .

شَدَنِيَّةٌ رَعَتْ الحِمَى فَأَنْتَ ملءُ الحِبالِ كأنَّها قَصْرُ
شَدَنِيَّةٌ : منسوبة إلى شَدَن ، وهو موضع باليمن ؛ يقال لِمَلِكِهِ : ذو شَدَن .

تَنَثَّرَ على الحاذِبِ ذَا خُصَلٍ تَعْمَالُهُ الشَّدَرَانُ والخَطَرُ
الحاذِبُ : مؤخر الفخذ . والشَّدَرَانُ : رفع الناقة ذَنبها من الرِّح^(٣) . والخَطَرَانُ ، معروف
من خَطَرَ يَخْطُرُ / . وتَعْمَالُهُ ، أى عمله .

أَمَّا إِذَا رَفَعَتْهُ شَامِدَةً فَتَقُولُ رَنَقَ فَوْقَهَا نَسْرُ
يعنى بشامدة ، أى مبالغة في رفع ذَنبها . ويقال ، رَنَقَ الطائرُ ؛ إذا نشرَ جَنَاحه^(٤)
طائرًا من غير تحريك .

أَمَّا إِذَا وَضَعَتْهُ خَافِضَةً فَتَقُولُ أَرْخَى خَلْفَهَا سِيراً
وَتُسِفُ أحياناً فتَحْسِبُهَا مَرَسَمًا يَقْتَادُهُ أَثَرُ^(٥)

معنى «تُسِفُ» ، أى تُدْنِي رأسها من الأرض . والمَرَسَمُ : الذى يتبع الرَّمَمَ ويأمله ؛
ومعنى «يقتاده أَثَرُ» ، أى هو مَعْنَى بطلب الأثر وموَكَّلٌ بقتبعه . ويقال : أَثَرٌ وَأَثَرٌ وَأَثَرٌ ؛

(١) حاشية ت (من نسخة) : « التى » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « كدورة » .

(٣) فى حواشى الأصل ، ت ، ف : « فى كتاب ابن فارس : تشذرت الناقة إذا رفعت رأسها من

النشاط » . (٤) ت ، ش ، ف : « جناحيه » . (٥) فى حاشيتى الأصل ، ت : « الأثر

فى بضم الهزرة والثاء] ، والأثر [بفتح الهزرة والثاء] سواء ؛ قال امرؤ القيس :

وإن أدبرت قلت أنفيةً مَلْعَمَةً لَيْسَ فيها أَثَرُ

ثلاث لغات ؛ وقد وهم الصُّولى فى تفسير هذا البيت ؛ لأنه قال : إن أبا نُوَاس جمع الأثرَ
آثارًا ، ثم جمع الآثارَ أثرًا ، ثم خَفَّف فقال : « أثر » . وليس يحتاج إلى ما ذكره مع
ما أوردناه ؛ وإنما ذهب عليه أنه يقال فى الأثر: أثر .

فَإِذَا قَصَرَتْ لَهَا الزَّمَامَ سَمَا فَوْقَ الْمَقَادِمِ مِلْطَمٌ حُرٌّ^(١)
فَكَأَنَّهَا مُصْنَعٌ لِنُسَيْمِهِ بَعْضَ الْحَدِيثِ ، بِأُذُنِهِ وَقُرُّ
تَبْرِى لَأَنْقَاضٍ أَضَرَّ بِهَا جَذْبُ الْبُرَى فَخُدُّودُهَا مُسْمَرُ

معنى تَبْرِى ، تَبْرِى ، أى تعرض لهذه الأنقاض ، والأنقاض : جمع نقض ؛ وهو البعير
الذى قد هزله السفرُ والكُدَّ . والْبُرَى : جمع بُرَّة ؛ وهى الحلقة التى تكون فى أنف البعير
يُدَلَّلُ بِهَا .

يَرْمِى إِلَيْكَ بِهَا بَنُو أَمَلٍ عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ^(٢) بِكَ الدَّهْرُ
أَنْتَ الْخَصِيبُ وَهَذِهِ مِصْرُ فَتَدَفَّقَا فَسَكَلَا كَمَا بِحَجْرُ
لَا تَقْعُدَا بِي عَنْ مَدَى أَمَلِ شَيْئًا فَمَا لَكُمَا بِهِ عُذْرُ
وَيَحِقُّ لِي إِذْ صِرْتُ بَيْنَكُمَا أَلَّا يَحِلَّ بِسَاحَتِي فَقَرُّ^(٣)

١٠

مجلس آخر

قال سيدنا أدام الله علوه: ثم نمود إلى ما كنا آخذين فيه من ذكر مُسْتَحْسَنِ الجوابات. روى أن رجلاً نظر إلى كثير الشاعر راكبا / وأبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام يمشي ، [٩٣]
فقال له : أتركبُ وأبو جعفر يمشي ! فقال : هو أمرني بذلك ، وأنا بطاعته في الركوب
أفضلُ مني في عصياني إياه بالشيء (١).

وروى أن دعاة خراسان صاروا إلى أبي عبد الله الصادق عليه (٢) السلام فقالوا له: أردنا
ولد محمد بن عليّ (٣)، فقال : أولئك بالسَّراة ولست بصاحبكم ، فقالوا له : لو أراد الله بنا خيراً
كنت صاحبنا ، فقال المنصور بعد ذلك لأبي عبد الله : أردت الخروج علينا، فقال : نحن ندلُّ
عليكم في دولة غيركم ، فكيف نخرج عليكم في دولتكم !

وقال عبد الملك بن مروان لنصيب : هل لك في الشراب؟ فقال له نصيب : الشعر مفلقل ،
واللون مرمد (٤) ، وإنما قرَّبني إليك عقلي ، فبه لي . ١٠

وقال مروان الملقَّب بالحِمَار لحاجبه - وقد ولى منهزماً - : كرَّ عليهم بالسيف، فقال :
لا طاقة لي بذلك ، فقال : والله لئن لم تفعل لأسوءنَّكَ ، فقال : ودِدْتُ أنكَ تقدر على ذلك .

وقال يحيى بن خالد لشريك : علَّمنا مما علَّمك الله يا أبا عبد الله ، فقال له شريك : إذا
عملتم بما تعلمون ، علَّمناكم ما تجهلون .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « في الشيء » . (٢) ت : « أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق
عليه السلام » . (٣) هو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ؛ جد الخلفاء العباسيين ؛ وهو الذي
ابتدأت الدعوة على يديه ؛ وكان ذلك في حياة أبيه ؛ (وانظر تاريخ ابن الأثير حوادث سنة ١١٨) .
(٤) الرمدة : لون إلى الغبرة ؛ ومن نسخة بحاشيتي ت ، ف : « مرمد » .

وقال المأمون لمحمد بن عمران : بلغني أنك بخيل ، فقال : ما أجد في حقّ ، ولا أذوب في باطل^(١) .

وقيل لأبي دؤاد الإيادي - ونظر إلى بنته تسوس فرسه : أهنتها يا أبا دؤاد ! فقال : أهنتها بكرامتي ، كما أكرمتها بهواني ؛ ومثل ذلك قول أعرابي لحقه ذلّ على باب الساطان :
أهين لهم نفسي لأكرمها بهم ولن تُكرّم النفس التي لا تُهينها ٥

ودخل عمارة بن حمزة على المنصور ، فجلس مجلسه الذي كان يجلس فيه ، فقام رجل إلى المنصور فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ، فقال : من ظلمك ؟ فقال : عمارة غصبني ضيعة ، فقال المنصور : قم يا عمارة ، فاقعد مع خصمك ، فقال عمارة : ما هو لي بخصم ؟ فقال له : كيف ؟ قال : إن كانت الضيعة له فلست أنازع فيها ؛ وإن كانت لي فهي له ، ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين لأقعد في أدنى منه بسبب ضيعة . ١٥

وقال هشام بن عبد الملك لرجل في الكعبة : سلني حاجتك ، فقال : لا أسأل في بيت الله غير الله .

[١٤] وهرّب سليمان بن عبد الملك من الطّاعون فقبل له : إن الله تعالى / يقول : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ؛ [الأحزاب : ١٦] ، فقال : ذلك القليل نطلب . ١٥

وقيل إن الجعد بن درهم جعل في قارورة تراباً وماء ، فاستحال دوداً وهواماً ، فقال لأصحابه : أنا خلقت ذلك ، لأنني كنت سبب كونه . فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليهما السلام ، فقال : إن كان خلقه فليقل : كم هو ؟ وكم الدُّكران منه والإناث ؟ وكم وزن كل واحدة منهن ؟ وليأمر الذي يسمى إلى هذا الوجه أن يرجع إلى غيره . فانقطع وهرب .

(١) حاشية ف : « في كتاب آخر : « ولا أتدفق في باطل » .

وقال المأمون للفضل بن سهل: إني أخافُ عليك أقواماً يعادونك، فلا تتركب إلىَّ إلاَّ في جيش، فقال الفضل: ما أخاف غيرك، فإن أمنتني من^(١) نفسك لم يضرني إنسان.

وقيل لأبي تور: ما تقولُ في حماد بن زيد بن درهم، وحماد بن سلمة بن دينار؟ فقال: بينهما في العلم كقيمة ما بين أبييهما في الصرف.

وأراد المأمون تقبيل السواد^(٢)، وجلس يناظر العمال على ذلك، فقام إليه رجلٌ من الدهاقين فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ الله عز وجل ولَّاك علينا بالأمانة، فلا تقبلنا، فأضرب عن ذلك.

وقال رجل لابن عباس: زوجني من فلانة^(٣) - وكانت يتيمة في حجره - فقال: لا أرضاها لك، لأنها تتشرَّف، فقال الرجل: قد رضيت أنا، فقال ابن عباس: الآن لا أرضاك لها.

^(١) ويشبه هذا الخبر من وجهٍ ما رواه^(٤) المدائني قال: أرسل عمر بن عبد العزيز رجلاً من أهل الشام وأمره أن يجمع بين إياس بن معاوية المرثي^(٥) وبين القاسم بن ربيعة الحوْثي^(٦) من بني عبد الله بن عطفان، فيولِّي القضاء أقدمهما^(٧)، فقدم الرجل البصرة، فجمع بينهما، فقال إياس للشامي: أيُّها الرجل، سل عني وعن القاسم فقيهي المِصر: الحسن وابن سيرين، فمن أشارا عليك

(١) من نسخة بحاشيتي ت، ف: « فإن أمنتني نفسك ».

(٢) السواد؟ يراد به رستاق العراق وضواحيها مما افتتحه المسلمون؛ سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار والقبيل؟ من القبالة؟ وهي الكفالة، قال في اللسان: « يقال قبلت العامل تقيلاً؛ والاسم القبالة؛ وفي حديث ابن عباس: « إياكم والقبالات؛ فإنها صغار وفضلها ربا؛ وهو أن يتقبل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى؛ فذلك الفضل ربا؛ فإن تقبل وزرع فلا بأس ».

(٣) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): « زوجني فلانة ». (٤-٤) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « ويشبه هذا الخبر من وجهٍ بخبر رواه ». (٥) من نسخة بحواشي الأصل، ت، ف: « المزني » وفي حاشية الأصل أيضاً: « وهم، هو إياس بن معاوية بن قرة المزني ».

(٦) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « الجوشني ». (٧) حاشية ت (من نسخة):

« أخذها ».

بتوليته فوله ؛ وكان القاسم يأتي الحسن وابن سيرين ، ولم يكن إياس يأتيهما ، فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به ، فقال للشامي : لا تسأل عني ولا عنه ، فوالذي لا إله إلا هو إن إياساً أفضل مني وأفقه ، وأعلم بالقضاء ، فإن كنت عندك ممن يصدق أنه كينبغي أن تقبل مني ، وإن كنت كاذباً فما يحل لك أن تولي مني وأنا كاذب ؛ فقال إياس للشامي : إنك جئت برجل فافقته على شفير جهنم ، فافتدى نفسه من النار^(١) أن تقذفه فيها يمين حلفها كذب فيها ، يستغفر الله منها ، وينجو مما يخاف . / فقال الشامي : أما إذ فطنت لهذا ، فإني أولئك ، فاستقضاء .

ولما أمضى معاويةبيعة يزيد جعل الناس يقرظونه ، فقال يزيد لأبيه : ما ندرى أنخدع الناس أم يخذعوننا ؟ فقال معاوية : يا بني ، من خدعته فتخادع لك ليخدعك فقد خدعته .

وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه - وقد سمع صوت قصار - يقول : ليتني كنت غسلاً أعيش بما أكسب يوماً بيوم ، فبلغ ذلك أبا حازم فقال : الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ، ولا تتمنى في الحياة ما هم فيه .

وقال الوراق للجاحظ : يأماني^(٢) ، فقال : لو كان الذي أضفتني إليه عبدك ما قدرت على بيعه لكثرة عيوبه ؛ فكيف أكون على دينه^(٣) ! .

وقال ابن عباس رضي الله عنه للخوارج - وقد أرسله أمير المؤمنين عليه السلام إليهم : ١٥ نشدكم الله ، أيما أعلم بالتزويل والتأويل : علي أم أنتم ؟ قالوا : علي ، قال : أليس تدرؤن ، لعل الذي حكم به فيكم بفضل علمه على ما تعلمون ! فرجع أكثرهم .

(١) حاشية ف : بدل اشتال من « نفسه » ، أي افتدى قذف نفسه .

(٢) من نسخة بمواشي الأصل ، ت ، ف ، « ياماني » ؛ وماني : منسوب إلى ماني ؛ وهو ماني ابن فارك الحكيم ؛ وأنبأه يعرفون بالمانوية ؛ وهم يزعمون أن العالم مركب من أصلين قديعين : نور وظلمة ؛ وهما أزليان ، (وانظر تفصيل مذهبهم في الملل والنحل للشهرستاني ١٤٣-١٤٦) .

(٣) ت : « على ذلك » .

وقال عتبة بن أبي سفيان لعبد الله بن عباس : ما مَنَعَ عليّ بن أبي طالب أن يجعلك أحد الحكمين ؟ فقال : أما والله لو بعثني لاعتزضتُ مدارج^(١) أنفاسه ، أطيّر إذا أسفَّ وأُسِفَّ^(٢) إذا طار ، ولمَقَدْتُ له عقدا لا تنقُضُ مريته ، ولا يدرك طرفاه ؛ ولكنه سبق قدرٌ ، ومضى أجلٌ ، والآخرة خير لأمر المؤمنين من الدنيا .

وقال أبو جعفر محمد بن عليّ عليهما السلام لكثير : امتدحتَ عبدَ الملك بن مروان ؟
فقال : لم أقل له يا إمام المهدي ، إنما قلتُ : يا شجاع ، والشجاع حيّة ، ويا أسد ، والأسد كلب ، ويا غيث ، والغيث مَوَات ! فتبسّم أبو جعفر عليه السلام .

وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها يحيى بن طلحة : ما رأيتُ ألام من أصحابك ، إذا أيسرتَ لزموك ، وإذا أعسرتَ تركوك ! فقال : هذا من كرمهم ؛ يأتوننا في حال القوة مِنّا عليهم ، ويفارقوننا في حال الضعف مِنّا عنهم .

وقيل لإبراهيم النخعي : متى كنت ؟ قال : حيث احتيج إلىّ .

ورُئيَ رجلٌ يصلي صلاة خفيفة ، فقيل له : ماهذه الصلاة ؟ فقال : صلاة ليس فيها رياء .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانيّ قال حدثني محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحويّ قال : تزعمُ الرواة أن قُتَيْبَةَ بنَ مُسْلِمٍ لما فتح سمرقند^(٣) أفضى إلى أنثى لم يُرَ مثله ، والآث لم يُسمع بمثله ، فأراد أن يرى الناسَ عظيمَ ما فتح ، ويعرفهم أقدار^(٤) القوم الذين ظهر عليهم ، فأمر بدارٍ ففرشت ، وفي صحنها قدور يُرْفَقَى إليها بسلايم ، وإذا الحصين بن المنذر بن الحارث^(٥) بن وُعلّة الرقاشيّ قد أقبل ، والناسُ جلوس على مراتبهم ، والحصينُ شيخ كبير ، فلما رآه عبد الله بن مُسْلِمٍ أخو قُتَيْبَةَ قال لِقُتَيْبَةَ : أناذنُ لي في معاتبته ؟

(١) المدارج هنا : جمع مدرجة ؛ وهي ممر النفس .

(٢) يقال : أسف الطائر ؛ إذا دنا من الأرض في طيرانه . (٣) سمرقند : من أكبر مدن ماوراء

النهر وحاضرة الصغد ؛ فتحها قتيبة بن مسلم الباهليّ سنة ٩٣ . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ؛ ف :

(٥) ت : « المنذر بن الحباب » .

قال : لا تردّه ، فإنه خبيثُ الجواب ، فأبى عبدُ الله إلا أن يأذنَ له - وكان عبد الله يُصمّف -
 وكان قد تسوّر حائطا إلى امرأة قبل ذلك - فأقبل على الحصين وقال : أمِنَ الباب دخلت
 يا أباساسان ؟ فقال : أجل ، أسنَّ عمُك عن تسوّر الحيطان ، قال : رأيت هذه القدور ؟ قال :
 هي أعظم من ألا تُرى ، قال : ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها ، قال : أجل ، ولا
 عيلان^(١) ، ولو رآها سُمّي شيمان ، ولم يسمّ عيلان ، فقال له : يا أباساسان ، أتعرف الذى
 يقول^(٢) :

عَزَلْنَا وَأَمَرْنَا وَبَكْرُ بْنُ وَائِلٍ تَجَرُّ خُصَاهَا تَبْتَغَى مَنْ نَحَالِفُ
 قال : أعرفه وأعرف الذى يقول :

وَحْيِيَّةٌ مِنْ يَحْيَبُ عَلَى غَنَى وَبَاهِلَةٌ بِنُ يَمْعُرَ وَالرَّابِ
 قال : أتعرف الذى يقول^(٣) :

كَأَنَّ فِقَاحَ الْأَزْدِ حَوْلَ ابْنِ مِسْمَعٍ وَقَدْ عَرِقَتْ أَفْوَاهُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ^(٤)
 قال : أعرفه ، وأعرف الذى يقول :

قَوْمٌ قُتِيْبَةٌ أُمُّهُمْ وَأَبُوهُمْ لَوْلَا قُتَيْبَةٌ أَصْبَحُوا فِي جَهْلٍ

قال : أمّا الشعر ، فأراك ترويه ، ولكن هل تقرأ من القرآن شيئا ؟ قال : نعم ، أقرأ
 ١٥ منه الكثير الطيب : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ ؛
 [الإنسان : ٤١] ، فأغضبه فقال : والله لقد بلغنى أن امرأة الحصين لحلت إليه وهى حبلى من غيره ،
 قال : فما تحركك الشيخ من هيئته الأولى . ثم قال على رسله : وما يكون ؟ تلدُ غلاماً على
 فراشى فيقال : ابن الحصين ، كما يقال عبد الله بن مسلم ؛ فأقبل قُتَيْبَةُ على عبد الله فقال : لا يبعدُ
 [١٥]
 اللهُ غيرك .

(١) حاشية ف : « عيلان ، بالرفع على أن يكون مبتدأ ؛ أى ولا عيلان أدركها ؛ والنصب على
 أن يكون عطفاً على بكر بن وائل » . وفى حاشية الأصل : « عيلان : قبيلة عبد الله بن مسلم » .

(٢) ف : « من الذى يقول ؟ » . (٣) حاشية ف : « قوله : « وقد عرفت » ، الواو فاعل ؛
 شبه أدبار الأزد فى حال ما عرفت بأفواه بكر بن وائل » .

واقى شريك^(١) النُمَيْرِي رجلاً من بني تميم ، فقال له التميمي : يمجيني من الجوارح
البازي ، فقال له شريك : وخاصة إذا صاد القطا ؛ أراد التميمي بقول البازي قول جرير :
أنا البازي المطل على نمير أتيح من السماء أما انصباباً^(٢)

وأراد شريك بقوله : « إذا صاد القطا » قول الطرمّاح :

تميم بطرق اللوم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت^(٣)

وساير^(٤) شريك النُمَيْرِي عمر بن هبيرة الفزاري على بئلة ، فجاوزت بئلته برذون عمر ،
فقال له عمر : اغضض من إجامها ، فقال شريك : إنها مكتوبة ، فقال عمر : ما أردت ذلك ،
قال شريك ولا أنا أردته ؛ ظن شريك أن عمر أراد بقوله : « اغضض من إجامها » قول
جرير :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بكنت ولا كلاباً^(٥)
وعنى شريك بقوله : « مكتوبة » قوله^(٦) :

لا تأمنن فزاريًا خاوت به على قلوبك واكتبها^(٧) بأسير
يعنى : بـ « اكتبها » شدّها .

وأنشد أبو تمام الطائي أحمد بن المعتصم قصيدته^(٨) السيفية التي يمدحه فيها ، فلما بلغ
إلى قوله :

١٥

(١) الخبر في اللآلي ٨٦٢-٨٦٣ ؛ مع اختلاف في الرواية . (٢) ديوانه : ٧٢ ، وروايته :
« المدل على نمير » . (٣) ديوانه : ١٢٢ ، وفي حاشية ت (من نسخة) : « طرق المكارم » .
(٤) الخبر في الفاضل والفضول : ٥٠ ، واللآلي : ٨٦١-٨٦٢ ، والافتضاب : ٥٠ ، وكنيات
الخرجاني : ٧٤ . (٥) ديوانه : ٧٥ . (٦) هو سالم بن دارة ، من قصيدة هجاءها زميل
ابن أبي الفزاري ، وأبيات منها في الخزانة ١ : ٥٥٧ . (٧) ت : « معنى اكتبها : اشدها » .
(٨) القصيدة في ديوانه ١٧٣-١٧٥ ، ومطلعها :

ما في وقوفك ساعة من باس تقضي ذمام الأربعم الأدراس

في حِلْمٍ أَحْنَفَ فِي شَجَاعَةِ عَامِرٍ فِي جُودِ حَاتِمٍ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسٍ^(١)

فقال له الكِنْدِيُّ - وكان حاضراً - : ما صنعتَ شيئاً ، قال : وكيف ؟ قال : لأنَّ شعراءَ
دَهْرِنَا قد تجاوزوا بالمدوح مَنْ كان قبله ، ألا ترى إلى قول أبي العكوك^(٢) في أبي دُلَفٍ :

رَجُلٌ أَبْرَ عَلَى شَجَاعَةِ عَامِرٍ بَأْسًا وَغَبْرًا فِي مُحْيَا حَاتِمٍ
فأطرق الطائي ثم رفع رأسه وأنشد :

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِتُورِهِ مَثَلًا مِنَ الشِّكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ

وقال ابن هبيرة لأبي دُلَامة - وكان مولى لبني أمية لما ظهرت المسودة^(٣) : لَا تَخْذَنْ لَكَ

منهم عبداً صالحاً يخدمك ، فلما علتْ كلُّهم ، وفشتْ دعوتُهم قال أبو دُلَامة : لَيْتَ اللَّهُ
[٩٦] قَبِضَ لِي / مِنْهُمْ مَوْلَى صَالِحاً أَخْدُمُهُ .

وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي : إِنَّ خِصَالَكَ كَامِلَةٌ سِوَى حَقْدٍ فِيكَ ،

فقال : أَنَا خِزَانَةٌ تَحْفَظُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ . وقد نظر ابن الرومي إلى هذا المعنى في قوله :

وَمَا الْحَقْدُ إِلَّا تَوْهْمُ الشُّكْرِ فِي الْفَتَى وَبَعْضُ السَّجَايَا يَنْتَسِينُ إِلَى بَعْضٍ^(٤)
فَحَيْثُ تَرَى حَقْدًا عَلَى ذِي إِسَاءَةٍ قَدْ تَرَى شُكْرًا عَلَى حَسَنِ الْقَرَضِ
إِذَا الْأَرْضُ أَدَّتْ رَيْعَ مَا أَنْتَ زَارِعُ مِنَ الْبَذْرِ فِيهَا فَعَى تَاهِيكَ مِنْ أَرْضِ

وقال الحجاج للحطيط الخارجي : ما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ قال : ما أقول

في رجل أنت خطيئةٌ من خطاياهِ ! قال : فهل هممتَ بي قطاً ! قال : نعم ، ولكن حال بيننا

(١) رواية الديوان :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي مِمَّا حَقَرِ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ

(٢) كذا في الأصول ؛ وفي الأغاني ونسكت المبيان وابن خلكان : « العكوك » ؛ وفي حاشيتي

الأصل ، ت : « العكوك في الأصل : القصير السمين مع صلابة » ، وهو على بن جبلة الضرير ، توفي
سنة ٢١٣ . (٣) حاشية الأصل : « المسودة ؛ يعني بني العباس أصحاب الرايات السود » .

(٤) ديوانه : الورقة ١٥٤

بَيْنَ وَقْدَرٍ ، وَقَدْ أُعْطِيَ اللهُ عَهْدًا إِنْ سَأَلْتَنِي لِأَصْدَقَتِكَ ، وَلَئِنْ خُلِّيتَ عَنِّي لِأَطَابِكَ ،
وَلَئِنْ عَذَّبْتَنِي لِأَصْبِرَنَّ لَكَ ؛ فَأَمْرٌ بِقَتْلِهِ .

وَأَمَّا « الْبَيْنُ » فَهِيَ الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ ، قَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ ^(١) :
بَسْرُو حَيْرَ أَبْوَالِ الْبَغَالِ بِهِ أَنِّي تَسَدَّيْتُ وَهَنَا ذَلِكَ الْبَيْنَا ^(٢)

وَقِيلَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ لَمَّا قَالَ :

عُتِبَ ^(٣) مَا لِلْخِيَالِ خَيْرٌ مِنِّي وَمَالِي
خَرَجْتُ مِنَ الْمَرُوضِ ، فَقَالَ : أَنَا أَكْبَرُ مِنَ الْمَرُوضِ ^(٤) .

وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِلْهَيْثَمِ بْنِ الْأَسْوَدِ : مَا مَالُكَ ؟ قَالَ : قِوَامٌ مِنَ الْعَيْشِ ، وَغِنًى
مِنَ النَّاسِ . فَقِيلَ لَهُ : لِمَ لَمْ تُخْبِرْ بِهِ ؟ فَقَالَ : إِنْ كَانَ كَثِيرًا حَسَدَنِي ، وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا
ازْدَرَانِي .

وَاعْتَابَ الْأَعْمَشُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَطَلَعَ الرَّجُلُ عَلَى هَيْئَةٍ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ :
قُلْ لَهُ مَا قُلْتَهُ حَتَّى لَا يَكُونَ غِييَةً ؛ فَقَالَ لَهُ : قُلْ لَهُ أَنْتَ حَتَّى لَا تَكُونَ نَعِيمَةً .

وَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِمَرْوَانَ بْنِ الْعَاصِ : هَلْ غَشَشْتَنِي مَذْ نَصَحْتَنِي ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : بَلَى يَوْمَ
أَشْرَتَ عَلَيَّ بِمُبَارَزَةٍ عَلَيَّ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَنْ هُوَ ! فَقَالَ عَمْرُو : دَعَاكَ رَجُلٌ عَظِيمُ الْخَطَرِ إِلَى الْمُبَارَزَةِ ،
فَكُنْتَ مِنْ مُبَارَزَتِهِ عَلَى إِحْدَى الْحُسَيْنِيِّينَ ؛ إِمَّا إِنْ قَتَلْتَهُ فَقَدْ قَتَلْتَ قِتَالَ الْأَقْرَانِ ، وَازْدَدَتْ
شَرَفًا إِلَى شَرَفِكَ ، وَخَلَوْتَ بِمَلِكِكَ ، وَإِمَّا إِنْ قَتَلْتَكَ فَتَتِمَّ جَلُّ مُرَافَقَةِ الشُّهَدَاءِ وَالصَّدِيقِينَ

(١) مِنْ قَصِيدَةٍ فِي جَهْرَةِ الْأَشْعَارِ : ٣٣١-٣٣٥ ، مَطْلَعُهَا :

طَافَ الْخِيَالُ بِنَا رُكْبًا يَمَانِينَا وَدُونِ لَيْلَى عَوَادٍ لَوْ تُعَدِّينَا

(٢) سُرُو حَيْرَ : مِنْ مَنَازِلِهِم بِالْبَيْتِ . وَأَبْوَالُ الْبَغَالِ يَرِيدُونَ بِهِ السَّرَابَ ؛ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يُقَالُ لَطَفَ
الْبَغَالُ أَبْوَالِ الْبَغَالِ ؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِسَرَابِ أَبْوَالِ الْبَغَالِ عَلَى التَّشْبِيهِ ؛ وَلِنَحْمِ شَبِّهِ بِأَبْوَالِ الْبَغَالِ ؛ لِأَنَّ بَوْنَ الْبَغَالِ
كَاذِبٌ لَا يُلْقِحُ ، وَالسَّرَابُ كَذَلِكَ . وَتَسَدَّيْتُ : يُخَاطَبُ الْعَلِيفُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقْرَأَ : « تَسَدَّيْتُ » بِكُسْرَاءِ
يُخَاطَبُ الْحَبِيبَةَ (وَانْظُرِ الْمَقَائِيسَ ١ : ١ ، ٣ ، وَاللَّسَانَ - بَيْنَ) . (٣) عَلَى التَّخْفِيمِ .

(٤) حَاشِيَةٌ : « يَرِيدُ أَنْ يَمْلَأَ الشَّعْرَ قَبْلَ عَمَلِ الْخَلِيلِ لِلْمَرُوضِ » .

والصالحين ؛ قال معاوية : لهذه أشد على من الأول ، فقال عمرو : أفكنت من جهادك [٩٦] في شك فتكون منه الساعة ! / قال : دغى منك الآن .

وقيل للأحنف بن قيس - وقد رأى مُسَيِّمَةَ الكذاب : كيف هو ؟ فقال : ما هو بنى صادق ، ولا يمتني حاذق .

٥ وروى المبرد قال : قال زياد لأبي الأسود الدؤلي : لولا أنك قد كبرت لاستعنا بك في بعض أمورنا ، قال : إن كنت تريدني للصراع فليس عندي ، وإن كنت تريد عقلي ورأيي فهما أوفر ما كانا .

وكان أبو الأسود حاضراً الجواب جيد الكلام مليح النادرة . وروى عن الشعبي أنه قال : قاتل الله أبا الأسود ! ما كان أعف أطرافه ، وأحضر جوابه ! دخل على معاوية بالنخيلة ، فقال له معاوية : أكنت ذكرت للحكومة ؟ قال : نعم ، قال : فإذا كنت صانعاً ؟ قال : كنت أجمع ألفاً من المهاجرين وأبنائهم ، وألفاً من الأنصار وأبنائهم ، ثم أقول : يا معشر من حضر ! أرجل من المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء ؟ فلعنه معاوية ، وقال : الحمد لله الذي كفاناك .

وقد روى أن أبا الأسود طلب بأن يكون في الحكومة ، وقال لأمير المؤمنين عليه السلام في وقت الحكمين : يا أمير المؤمنين ، لا ترض بأبي موسى ، فإنه قد عجمت الرجل وبلوته ، فحلبت أشطره ؛ فوجدته قريب القمر ، مع أنه يمان ، وما أدري ما يبلغ نصحه ! فابتنى فإنه لا يحل عُقْدَةٌ إِلَّا عَقِدْتُ لَهُ أَشَدَّ مِنْهَا ، وإنهم قد رموك بحجر الأرض ، فإن قيل : إنه لا صحبة لي ، فاجعاني ثانی اثنين ، فليس صاحبهم إِلَّا مَنْ تَقَرَّبَ ، وكان في الخلاف عليهم كالنجم ؛ فأبى عليه السلام .

٢٠ وروى محمد بن يزيد النحوي أن أبا الأسود كان ^(١) نازلاً في بني قشير ؛ وكانوا يخالفونه في المذهب لأن أبا الأسود كان ^(٢) شيعياً ، فكانوا يرمونه بالليل ، فإذا أصبح شكوا ذلك ،

فشكامة ، فقالوا : ما نحن نرميك ؛ ولكن الله يرميك ، فقال : كذبتم ، لو كان الله يرميني ما أخطأني .

وقال لهم يوماً : يا بني ^(١) قشير ، ما في الرب أحد أحب إليّ طول بقاء منكم ، قالوا : ولم ذاك ؟ قال : لأنكم إذا ركبتُم أمراً علمت أنه غي فاجتنبه ، وإذا اجتنبتم أمراً علمت أنه رشد ، فاتبعتم فنازعوه الكلام ، فأنشأ يقول :

يَقُولُ الْأَرْذَلُونَ بَنُو قَشِيرٍ طَوَالَ الدَّهْرِ لَا تَنْمَى عَلَيَّ
أَحِبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحَمَزَةَ وَالْوَصِيَّا
/ أَحِبُّهُمْ لِحُبِّ اللَّهِ حَتَّى أَجِيءَ إِذَا بُعِثْتُ عَلَى هَوِيَّا
فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْدًا أَصِبُهُ وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غِيًّا

فقالوا له : أشككت يا أبا الأسود ، فقال : ألم تسموا الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ، أفترى الله شكاً !
أما قوله : « هَوِيًّا » فإنه لغة هذيل ؛ يقولون ذلك في كل مقصور ^(٢) ؛ مثل الهوى والمصا والتقى والقفا . قال أبو ذؤيب الهذلي :

سَبَقُوا هَوًى وَأَعَنَّمُوا لِسَبِيلِهِمْ فَتُخَرِّمُوا وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعٌ ^(٣)

وروى أن أبا الأسود دخل على معاوية فقال له : أصبحت جميلاً يا أبا الأسود ؛ فلو علقت نَمِيمَةً تدفع العين عنك ! فقال أبو الأسود :
أَفْنَى الشَّبَابِ الَّذِي وَلَّى وَبِهَجَّتَهُ ^(٤) كَرُّ الْجَدِيدَيْنِ مِنْ آتٍ وَمُنْطَلِقِ
لَمْ يَتْرُكْ كَا لِي فِي طَوْلِ اخْتِلَافِهِمَا شَيْئًا أَخَافُ عَلَيْهِ لَذْعَةَ الْحَدَقِ

(١) الخبر مع الأبيات ورد في الأغاني ١١ : ١١٣ ، ونزهة الألباء ٦-٧ ، وأخبار النحويين لسيرافي ١٤-٢١٥ ، وإنباء الرواة ١ : ١٧ ، يزيد وينقص في بعض الروايات ، ويختلف في بعض الألفاظ وترتيب الأبيات . (٢) وذلك إذا أضيف إلى ياء المتكلم ؛ فيقولون : هوى ؛ أي هوى ، وعمى ؛ أي عصا ؛ وهكذا . (٣) ديوان الهذليين ١ : ٢ ، والرواية فيه : « لهوام » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « فارقت بهجته » .

وروى أنه دخل يوماً السوق يشتري ثوباً فقال له رجل : هلمّ أقاربك في هذا الثوب ؛ فقال : إن لم تقاربني باعدتك ، ثم قال له : بكم هو ؟ قال : قد أعطيت به كذا كذا ، قال : إنما تخبرني عما فاتك .

وروى أنه كان ماشياً في طريق ، فقال له راكب : الطريق الطريق ، فقال له : عن الطريق تمديد لي !

ومرض أبو الأسود فقيل له : هو أمر الله ، فقال : ذاك أشدّ له !

وقيل إن امرأة أبي الأسود خاصمته إلى زياد في ولدها ، فقالت : أيها الأمير ، إن هذا يغلبني على ولدي ، وقد كان بطني له وعاء ، وثدي له سقاء ، وحجري له فناء ، فقال أبو الأسود :
(١) أبهذ تريد أن تغلبيني على ابني ؟ فوالله لقد حملته قبل أن تحمليه ، ووضعتُه قبل أن تضعيه ، فقالت : ولا سواء ، إنك حملته خفّاً ، وحملته ثقلاً ، ووضعتُه شهوة ، ووضعتُه كرهاً ، فقال له زياد : إنها امرأة عاقلة يا أبا الأسود ، فادفع ابنها إليها ، فأخلق أن تحسن أدبه .

وقال رجل لأبي الأسود : أنت والله ظريف لفظ ، وظرف^(٢) علم ، ووعاء حلم ، غير أنك بخيل ؛ فقال : وما خير ظرف لا يحسك ما فيه !

وسلم عليه أعرابي يوماً ، فقال أبو الأسود : كلمة مقولة ، فقال : أأذن في الدخول ؟ [٩٧] قال : / وراءك أوسع لك ! قال : فهل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال : أطعمني ، قال : عيالي أحق منك ، قال : ما رأيت الأمّ منك ، قال : نسيت نفسك .

وسأله رجل شيئاً فمنعه قال : ما أصبحت حاتماً^(٣) قال : بلى ، قد أصبحت حاتمكم من حيث لا تدري ، أليس حاتم الذي يقول :

أماويّ إمّا مانعٌ فسينّ وإمّا عطاء لا يُنهيه الزجر^(٤)

(١-١) ت : « إنها تريد أن تغلبني على ابني » . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « ظريف » ،
بالبناء المجهول . (٣) ت : « حاتم » . (٤) ديوانه : ١١٨

مَجْلِسُ آخِر

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال : أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي قال : لما ولي سليمان بن عبد الملك أني يزيد بن أبي مسام مولى الحجاج في جامعة - وكان رجلاً دميماً تقتحمه^(١) العين - فلما رآه سليمان قال : لمن الله من أجرك رَسَنَكَ ، وولّي مثلك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، رأيتني والأمرُ عني مدير ، ولو رأيتني وهو عليّ مُقبل لاستعظمت ما استصغرت ، ولا استجللت ما استحققت ، فقال له سليمان : أين تُرى الحجاج ؟ أهوى في النار ، أم قد استقر ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تقل كذا ، فإن الحجاج قمع لكم الأعداء ، ووطأ لكم النار ، وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس ، وبعد ، فإنه يأتي يوم القيامة عن يمين أبيك عبد الملك ، وشمال أخيك الوليد ، فضعه حيث شئت .

وروي أن خالد بن صفوان فاخر رجلاً من بني عبد الدار ، الذين يسكنون البصرة ، فقال له العبدري : من أنت ؟ فقال : أنا خالد بن صفوان بن الأهم ، فقال له العبدري : أنت خالد ؟ (كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ) ؛ [عمد : ١٥] ، وأنت ابن صفوان ، وقال الله عز وجل (كَمَثَلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ) ؛ [البقرة : ٢٦٤] ، وأنت ابن الأهم ، والصحيح خير من الأهم . فقال له خالد بن صفوان يا أخا بني عبد الدار ، أتتكلّم وقد هشمّتك هاشم ، وأمّتك بنو أمية ، وخزمتك بنو مخزوم ، وجحّتك^(٢) بنو جح ، فأنت عبد دارهم ؟ تفتح إذا دخلوا ، وتغلق إذا خرجوا ؟ فقام العبدري محموراً .

١٥

وتقدم الأشعث بن قيس إلى شرايح فقال له الأشعث : أتدليمني بك يا بن أم شرايح ! لقد

(١) حاشية (من نسخة) : « ترديه » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يجوز أن يكون أصله : « جحت بك » ؛ لحذف حرف الجر ، وأوصل الفعل ؛ ذكره ابن دريد في كتاب الاشتقاق ، ويجوز أن يكون من جامعته لجمعه » .

عهدتُك وإنَّ شأنك لشوئين ، فقال له شريح : أنت امرؤ تعرف النعمة في غيرك ، وتساها في نفسك .

وروى أبو العيناء عن العتيبي قال : دخل الفرزدقُ إلى سعيد بن العاص ، وعنده الحطيئة ، فلما مثلَ بين يديه قال :

[٩٨] / إليك فررتُ منك ومن زياد ولم أحسب دمي لكما خلا^(١)
فإن يكن الهجاءُ أحلَّ قَتلي فقد قلنا لشاعركم وقال^(٢)
ترى الفرَّ الجحاجع من قریش إذا مالاً أمرُ في الحدَثانِ علا^(٣)
قياماً ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلا^(٤)
فقال له الحطيئة : هذا والله أيها الأمير الشعر ، لا ما كنَّا نعال^(٥) به منذ اليوم ، يا غلام
١٠ أقدمتُ أمك الحجاز ؟ فقال : لا ، ولكن قدمه أبي .

أراد الحطيئة بقوله : إن كانت قدمت أمك الحجاز ، فقد وقعت بها^(٦) ، وكنت مني ، وأراد الفرزدق بقوله : « ولكن قدمه أبي » أي وقع بأهلك فكنت أنت^(٧) .

وبشبه ذلك ما روى أن الفرزدق كان ينشد شعره يوماً ، والناس حوله ، إذ مرَّ به الكُميت بن زيد ، فقال له الفرزدق : كيف ترى شعري ؟ فقال الكُميت : حسنٌ بسنٍّ ، فقال له الفرزدق :
١٥ أيسرُّك أني أبوك ، قال : أمّا أبي فلا أريد به بدلاً^(٨) ، ولكن يسرُّني أن لو كنت أُمي ! فقال له

(١) ديوانه : ٦١٧ ، وبعده :

ولكني هجوت وقد هجئتني معاشيرُ قد رَضَخْتُ لهم سِجَالا

(٢) بعده :

وإن تك في الهجاء تريد قتلي فلم تدرك لمنتصر مَقالا

(٣) عال : فدح وأقل ؟ وبعده :

بنی عم الرسول ورهط عمرو وعثمان الذين علوا فعلا

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « الهلا » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « ما كنت

تعلل » . (٦) حاشية ت (من نسخة) : « وقعت عليها » . (٧) ابن الجعفي : « فكنت

أنت أخي » . (٨) حاشية ت (من نسخة) : « بدلا » .

الفرزدق : اكنتم هذه على عمك يا بن أخى فما مرّ بي مثلها .

وقيل إنّ عبد الملك بن مروان ظفر برجل من بنى مخزوم زبيري الراى ، فقال له لما حضر مجلسه : أليس قد ردّك الله على عقبيك ! فقال الرجل : أو من ردّ عليك يا أمير المؤمنين فقد ردّ على عقبيّ ! فوجم عبد الملك ،

وقال موسى بن عيسى بن موسى لشريك : يا أبا عبد الله ، عزلوك عن القضاء ، وما رأينا قاضيا عزل ! فقال شريك : هم الملوك يعزلون ويخامون - يمرض أن أباه خلع من ولاية المهدي .

وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الفضل الضبي الراوية وهب لبعض جبرانه أيام الأضحى أضحية ، فلما لقيه قال : كيف وجدت أضحيتك ؟ قال : ما وجدت لها دما ، يمرض بقول الشاعر :

ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد من اللوم للضبي لهما ولا دما

وروى عن المأمون أنه قال : ما أعياني جواب أحد قط مثل جواب ثلاثة : أحدهم أم الفضل بن سهل ، فإني عزّيتها عن ابنها وقالت : أين جرّعت على الفضل لأنه وأدك ، فهانذا ابنك مكانه / ، فقالت : وكيف لا أجزع على من جعل مثلك لي ولدا . والثاني رجل [٩٨]

أحضرتة يزعم أنه نبي الله موسى عليه السلام ، فقلت له : إن الله تعالى أخبرنا عن موسى أنه يدخل يده في جيبه فيخرجها بيضاء من غير سوء ، فقال : متى فعل ذلك موسى ؟ أليس بعد أن لقي فرعون ! فاعمل كما عمل فرعون ، حتى تعمل كما عمل موسى . والثالث أن جماعة من أهل الكوفة اجتمعوا إلى يشكون عاملها ، فقلت : ارضوا بواحد أسمع منه ، فرضوا برجل منهم ، فقال في العامل وأكثر : فقلت له : كذبت ! بل هو العفيف الورع العدل ؛ فذهب أصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال : صدقت يا أمير المؤمنين ، هو كما ذكرت ، فواس بين رعبتك في العدل ، فصرفته عنهم .

ودخل عدى بن حاتم بن عبد الله الطائي على معاوية ، فقال له معاوية : ما فعل الطرقات ؟

يعني طريفاً^(١) وطرافاً وطرفة ، قال : قتلوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال له : ما أنصفك ابن أبي طالب ، قدّم بنيك ، وأخر بنيك ، فقال عدى : ما أنصفته^(٢) أنا ، أن قُتل^(٣) وبقيت .

وكتب رجل إلى صديق له يقترض منه شيئاً ، فأجابه يشكو ضيق حاله ، فكتب إليه : « إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً ، وإن كنت صادقاً فجعلك الله كاذباً ، وإن كنت معذوراً فجعلك الله ملوماً ، وإن كنت ملوماً فجعلك الله معذوراً » .

وسمع الأحنف رجلاً يقول : ما أحلم معاوية ! فقال : لو كان حليماً ما سيفه الحق . ووصفه رجل عند الشعبي بالحلم ، فقال الشعبي : ويحك ! وهل أغمّد سيفه وفي قلبه على أحد شيء !

١٠ وقال زياد لرجل حضره : أين منزلك ؟ فقال : وسط البصرة ، قال : فما لك من الولد ؟ قال : تسعة ، فقيل لزياد إن داره أقصى البصرة عند المقابر ، وله ابن واحد ، فقال الرجل : داري بين أهل الدنيا والآخرة ، فهي وسط البصرة ، وكان لي عشر بنين فقدّمت تسعة ، فهم لي ، وبقي واحد لا أدري ؛ أهو لي أم أنا له !

وقال رجل لابن سيرين : إني وقعت فيك فاجماني في حل ، فقال : ما أحب أن أحلك ١٥ بمّا حرّم الله عليك .

وخطب الحجاج يوم جمعة فأطال ، فقال له رجل : إن الصلاة لا تنتظرك ، وإن الله لا يمدرك ، فأمر به فحبس ، فجاءه أهله فشهدوا أنه مجنون ، فقال : إن أقرّ بالجنون أطلقته ، فقيل له : اعترف بذلك وتخلّص ، فقال : والله لا أقول / إنه ابتلاني وقد عافاني . [٩٩]

وحدث الحسن البصري بحديث فقال له رجل : يا أبا سعيد ، عمّن ؟ فقال : وما تصنع ٢٠ بـ « عمّن » ؟ أما أنت فقد نالتك عظته ، وقامت عليك حجته .

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « طريفاً » ، يفتح أوله وكسر ثانيه .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « بل ما أنصفته » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « إذ قتل » .

وقيل لعبد الله بن جعفر - ونظر إليه بما كس في درهم - فقيل له : أنما كس في درهم وأنت تجود بما تجود به ! فقال : ذاك مالي جُدتُ به ، وهذا عقلي بَنَحْتُ به .

وروى أن أبا العيناء محمد بن القاسم اليمامي حدثت بمض الزيريين^(١) بفضائل أهله^(٢) فقال له : الزيرى^(٣) : أتجلب التمر إلى هجر^(٤) ! فقال له أبو العيناء : نعم ، إذا أُجِدْتُ أرضها ، وعاوِم^(٥) نخلها ؛ وكان أبو العيناء من أحضِر الناس جواباً ، وأجودهم بديهة ، وأملحهم نادرة .

وروى^(٦) الصولى عن أبي العيناء قال : لما دخلت^(٧) على المتوكل دعوتُ له ، وكلمته ، فاستحسن خطابي ، وقال لى : يا محمد ، بلفنى أن فيك شراً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن يكن الشرُّ ذكرَ المحسن بإحسانه ، والسيء بإساءته ، فقد زكَّى الله تعالى وذم ، فقال فى التزكية : ﴿ نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ؛ [س : ٣٠ ، ٤٤] ، وقال فى الذم : ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٌ بِتَمِيمٍ . مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَيْمٍ . عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٍ ﴾ ؛ [القلم : ١١ - ١٣] ، فذمه الله تعالى حتى قذفه^(٨) ، وقد قال الشاعر :

إِذَا أَنَا بِالْمَعْرُوفِ لَمْ أَتُنْ دَائِبًا وَلَمْ أَذْمُرِ الْجَنَسَ اللَّئِيمَ الْمَذْمُومًا^(٩)
فَقِيمَ عَرَفْتُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ بِاسْمِهِ وَشَقَّ لِي اللَّهُ الْمَسَامِحَ وَالْفَعْمَا

وإن كان الشرُّ كفعل العقرب يَلْسَعُ النّبيّ والذّمي يطْبَسَعُ لا يتميز ؛ فقد صان الله ١٥ عبدك عن ذلك .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الزهريين » . (٢) ت : « بمحدث فى فضائل أهله » .
(٣) حاشية ت (من نسخة) : « الزهرى » . (٤) هجر : مدينة واقعة على جبال العارض ببلاد العرب ؛ وكانت قاعدة البحرين . (٥) المعاومة : أن تحمل النخلة سنة ولا تحمل أخرى .
(٦) ت : « لحكى عن الصولى » . (٧) حاشية (من نسخة) : « أدخات » .
(٨) ت : « قرفه » ، والقذف والقرف : ذكر المرء بالسوء .
(٩) البيتان فى أمالى الفاي ٢ : ١٥٩ ؛ رواهما عن أبي العالية الرهاوى .

«وروي أنه قال له يوماً : إلى كم تمدح الناس وتذمهم؟ فقال : ما أحسنوا وأساءوا^(١) .
وروي أن المتوكل قال له يوماً : إني لأفرق من لسانك ، فقال له : إن الشريف فرقة
ذو إحجام ، وإن اللئيم ذو أمانة وإقدام .

وقال له يوماً - وقد دخل عليه : اشتقتك والله يا أبا العيناء ، فقال له يا سيدي ؛ إنما يشتد
الشوق على العبد لأنه لا يصل إلى مولاه ، فأما السيد فحتى أراد عبده دعاه .

وروي أنه قال له يوماً : ما بقي أحد في مجلسي إلا اغتابك وذمك - عند ماجري من^(٢)
ذكرك - غيري ، فقال أبو العيناء :

[٩٩] / إِذَا رَضِيتُ عَنْي كِرَامُ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضِبَانَا عَلَى لِثَامِهَا ط

وذكر أبو العيناء قل : قال لي المتوكل : كيف ترى داري هذه ؟ فقلت : رأيت الناس
١٠ بنوا دورهم في الدنيا ، وأمير المؤمنين جعل الدنيا في داره .

وقال أبو العيناء : قال لي المتوكل : من أسخى من رأيت ؟ ومن أبخل من رأيت ؟
فقلت : ما رأيت أسخى من أحمد بن أبي دؤاد ، ولا أبخل من موسى بن عبد الملك ؛
قال : وكيف وقفت على بخله ؟ فقلت : رأيت يحرّم القريب كما يحرم البعيد ، ويعتذر من
الإحسان^(٣) ؛ كما يستذر من الإساءة ؛ فقال : أجبته إلى من أطرحته فسخيته ، وإلى
١٥ من أمسكته فبخلته ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الصدق ما هو في موضع من المواضع
أنفق منه بحضرتك ، والناس يغاطون فيمن ينسبونه إلى السخاء ؛ فإذا نسب الناس
السخاء إلى البرامكة ، فإنما ذاك من سخاء أمير المؤمنين الرشيد ، وإذا نسب الناس الحسن
ابن سهل ، والفضل بن سهل إلى السخاء ، فإنما ذاك سخاء أمير المؤمنين المأمون ، وإذا نسبوا
أحمد بن أبي دؤاد إلى السخاء فذاك سخاء أمير المؤمنين المعتصم ، وإذا نسبوا الفتح بن خاقان

(١) ساقط من م . (٢) ف : « عندما جرى ذكرك » .

(٣) حاشية ت : « يعني أن إحسانه يكون ساقطاً يحتاج إلى العذر » .

وعُبيد الله بن يحيى إلى السخاء فإنما هو سخاؤك؛ وإلا فإبال هؤلاء القوم لم ينسبوا إلى السخاء قبل صحبتهم الخلفاء^(١) ! فقال لي : صدقت ، وسرّى^(٢) عنه .

وقال له المتوكل : ما أشدُّ عليك من ذهاب البصر ؟ فقال له : فقد رؤيتك ؛ مع إجماع الناس على جمالك .

وقال له يوماً : أريدك لمجالستي ، قال : لا أطيق ذاك ، وما أقول هذا جهلاً بما لي في هذا المجلس . من الشرف ، ولكن أنا رجل محجوب^(٣) ، والمحجوب يختلف إشارته ، ويخفى عليه إيماءه ، ويجوز على أن أنكلم بكلام غضبان ووجهك راض ، وبكلام راض ووجهك غضبان ، ومتى لم أمير^(٤) بين هاتين^(٥) هلكت ؛ فقال : صدقت .

وروى أنه قال له : لولا أنك ضرير لنادمتك ، فقال : إن أعفيتني من رؤية الأهلّة ، وقراءة نقش الخواتيم فإني أصلح .

وقال المتوكل : ما تقول في ابن مكرم والعباس بن رستم ؟ فقال : هما الخمر والميسر ، وإعهما أكبر من نعمهما ، فقال : بلغني أنك تؤدّهما ، فقال : لقد ابتعت الضلال بالهدى ، والعذاب بالمغفرة .

وقال له يوماً : بلغني أن سعيد بن عبد الملك يضحك منك ، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ [الطه : ٢٩] وقال أبو العيناء : قال لي المنصور : ما أحسن^(٦) الجواب ؟ فقلت : ما أسكت المبطّل ، وخير المحقّق .

/وقيل لأبي العيناء : إبراهيم بن نوح النصراني عليك عاتب ، فقال : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٢٠] . وراه زرقان وهو يضاحك

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الخلفاء » . (٢) حاشية ف : « قوله : سرّى عنه ؛ من قولهم : سرّوت عن الدرّج ، أي كشفتها ، وسرّى عنه الثوب : كشفه ، وانسرّى عنه الهم ، وسرّى عنه الهم » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « هذين » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « خير الجواب » .

نصرانياً فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ ؛ [الثالثة : ٥١] ،
فقال أبو العيناء: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ ؛ [المتبعة : ٨] .

وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال أخبرنا
أبو العيناء قال : كان سبب اتصالي بأحمد بن أبي دؤاد أن قوماً من أهل البصرة عادوني
وَادَّعَوْا عَلَيَّ دَعَاوَى كَثِيرَةً ؛ منها أَنِّي رَافِضِيٌّ ، فاحتجت إلى أن أخرجتُ عن البصرة إلى
سُرٍّ مَنْ رَأَى ، وَأَلْقَيْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ - وَكُنْتُ نَازِلًا فِي دَارِهِ ، أَجَالِسُهُ كُلَّ يَوْمٍ -
وَبَلَغَ الْقَوْمُ خَبْرِي ، فَشَخَّصُوا نَحْوِي إِلَى سُرٍّ مَنْ رَأَى ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ قَدِمُوا مِنَ الْبَصْرَةِ
يَدَّاءَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ، فَقُلْتُ : إِنَّ لَهُمْ مَكْرًا ، فَقَالَ : ﴿وَيَمْكُرُونَ
وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ؛ [الأفعال : ٣٠] ، فَقُلْتُ : هُمْ كَثِيرُونَ قَالَ :
١٠ ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ؛ [البقرة : ٢٤٩] ، فَقُلْتُ : اللَّهُ
دَرُّ الْقَاضِي ! هُوَ وَاللَّهُ كَمَا قَالَ الصَّمُوتُ الْكِلَابِيُّ :

لِلَّهِ دَرُّكَ أَيُّ جُنَّةٍ خَائِفٍ وَمَتَاعُ دُنْيَا أَنْتَ لِلْحَدَثَانِ^(١)
مُتَخَمِّطٌ تَطَأَ الرَّجَالَ غُلْبَةً وَطَاءَ الْفَنَيْقِ دَوَارِجَ الْقَرْدَانِ^(٢)
وَتَرَكْتَهُمْ حَتَّى كَأَنَّ رُءُوسَهُمْ مَأْمُومَةٌ تَنْحَطُّ لِلْغُرَبَانِ^(٣)
وَتُفَرِّجُ الْبَابَ الشَّدِيدَ رِتَاجُهُ حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ بَابَانِ ١٥

وقال لابنه الوليد : اكتب هذه الأبيات ، فكتبها بين يديه .

- قال الصولي : حفظني من أبي العيناء الصَّمُوتُ الْكِلَابِيُّ عَلَى أَنَّهُ رَجُلٌ ، وَقَالَ وَكَيْعُ :
حفظني أنها للصَّمُوتِ الْكِلَابِيِّ عَلَى أَنَّهَا امْرَأَةٌ -

ودخل أبو العيناء على الحسن بن سهل ، فآثني عليه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال :

(١) ديوان المعاني ١ : ٦٨ . (٢) التخمط : الأخذ والفهر بغلبة ؛ وغلبة مصدر غلب كثير
الغلبة ، والفنيق الجمل الفعل ، ودوارج : جمع دارج . (٣) د ، ف حاشية ت (من نسخة) ؛
« وتسكبه » والمأومة : المشجومة .

والله ما أستكثر كثيرك أيها الأمير ، ولا أستقل قليلك ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : لا أستكثر كثيرك لأنك أكثر منه ، ولا أستقل قليلك لأنه أكثر من كثير غيرك^(١) .

وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان يوماً : اعذرني فإني مشغول^(٢) ، فقال : إذا فرغت لم أحتج إليك . وقال له يوماً : قد تبينت / فيك الغضب يا أبا عبد الله ، فقال له : قد أجل^(٣) الله قدرك من غضبي ، إنما يغضب الرجل على من دونه ؛ فأما من فوقه فلا ، ولكن أحرزني تقصيرك ؛ فسميت حزني غضباً .

ويقال إن صاعد بن مخلد كان من أحسن من أسلم ديناً ، وأكثرم صلاة وصدقة ، فصار إلى بابه أبو العيناء مرات كثيرة بعقب إسلامه فحُجِبَ وقيل له : هو مشغول في صلاته ، فقال أبو العيناء : لكل جديد لذة .

ودخل يوماً إلى أبي الصقر إسماعيل بن بلبل في وزارته ، فقال له : يا أبا عبد الله ،^(٤) ما أخرك عفاً^(٥) ؟ فقال : سرق حماري ، فقال : وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع الذي سرقه فأخبر بما كان ، قال له : هلاً ؟ أكرت أو استعرت أو اشتريت ؟ قال : قعد بي عن الشراء نشي^(٦) ، وكرهت منة الموارى ، وذلة المكاري ، فوهب له حماراً ووصله . وأدناه أبو الصقر يوماً ورفعه فقال : تدنيتني حتى كآني بمضك ، وتبعدني حتى كآني ضدك .

وقال يوماً لعبيد الله بن سليمان أيضاً - وقد رفعه : إلى كم ترفعني ولا ترفع بي رأساً !^(٧) وقال له يوماً - وقد سأله عن حاله : أنا معك^(٨) مغبوط الظاهر ، محروم الباطن .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف ، و : نظم البحرى هذا المعنى فقال

كثير نوالك في جنب ما جُبِلَتْ عليه من الجود نَزَرُ

وَنَزَرُ نَوَالِكَ فِي جَنْبِ مَا يَجُودُ بِهِ سَائِرُ النَّاسِ غَمْرُ

(٢) ت : « فإني عنك مشغول » . (٣-٣) حاشية ت (من نسخة) : « يا أبا عيناء ما أخرك

بالله ؟ » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « عدى » . (٥) ت : « أنا بك » .

ويقال : إن أبا عليّ البصير قال لأبي الميناء - وكانت بينهما ملاحاة معروفة : في أيّ وقتٍ ولدتَ ؟ فقال له : قبل طلوع الشمس ، فقال أبو عليّ : لذلك خرجت شحاذاً سائلاً ، لأنه الوقت الذي ينتشر فيه السؤال .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانيّ قال أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدثني أبو الميناء • قال : ما رأيت قطُّ أحسنَ شاهداً عند حاجة من ابن عائشة ! قلت له : يوماً كان أبو عمرو المحزوميّ يقصدك ثم جفاك ، فقال :

فإن تَنَأَ عَنَّا لَا تَصْرُنَا وَإِنْ تَمَدُّ تَجِدُنَا عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي كُنْتَ تَعْلَمُ
وقال : والله لا أدري لمن هذا البيت ، فقالت : إن ابن سلام روى عن يونس ابن
الفرزدق لما قال :

١٠ تَصَرَّمْ مِنِّي وَدُّ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَمَا خَلَتْ دَهْرِيَّ وَدَّهْمُ يَتَصَرَّمُ^(١)
قَوَارِصُ تَأْتِينِي فَيَحْتَرِقُونَهَا وَقَدْ يَمَلُّ الْقَطَرُ الْإِنَاءَ فَيُقْعَمُ^(٢)
وكان قد نزل عليهم حين هرب من زياد ، فقال جرير بن خرقاء المجليّ^(٣) يحبيه :
[١٠١] / لَقَدْ بَوَّأْتُكَ الدَّارَ بِكَرٍ بْنِ وَائِلٍ وَرَدَّتْ لَكَ الْأَحْشَاءُ إِذْ أَنْتَ مُجْرِمُ^(٤)

(١) ديوانه : ٧٥٦ ، والطبقات الشعراء ٣٠٢ ، والسكامل - بشرح المصنف ، ١ : ١٢٧ ،
والؤنث والمختلف : ٧١ وتصرم الشيء : تقطع . (٢) قوارص : جمع قارصة ؛ وهي الكلمة المؤذية .
فعم الإناء يفعمه فعمما : ملأه وبانغ في مثله . (٣) ذكره ابن سلام في ص ٢٥٩ بنسبة « البكري » ،
وفي ص ٣٠٣ بكنية « أبي العطف » . (٤) في الطبقات : « لقد وسطتك » ، وقبسه :

لَعَمْرِي لَنْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ عَاتِباً وَأَخْذَتْ صَرَمًا ، لِلْفَرَزْدَقِ أَظْلَمُ

وفي حاشية الأصل : « يعني كنت خائفا غاية الخوف وأمنوك » ، ورواية الطبقات :

لَقَدْ وَسَطَتْكَ الدَّارَ بِكَرٍ بْنِ وَائِلٍ وَضَمَّتْكَ لِلْأَحْشَاءِ إِذْ أَنْتَ مُجْرِمُ

لَيَالٍ تَمْنَى أَنْ تَكُونَ سَحَابَةً بِمَكَّةَ يَفْشَاهَا السُّتَارُ الْحَرَمُ^(١)
فَإِنْ تَنَأَّ عَنْهَا لَا تَصِرُنَا وَإِنْ تَمُدَّ تَجِدُنَا عَلَى الْمَهْدِ الَّذِي كُنْتَ تَعْلَمُ
فَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ: أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنِيَّ مَنْ سَتَصْدُقُ فِي الْعِلْمِ مِثْلَهُ ، وَتَكْثُرُ عَلَيْهِ دَلَالَتُهُ .

وَقَالَ أَبُو الْعِثَاءِ يَوْمًا لِأَبِي الصَّقَرِ بْنِ بُلْبُلٍ وَهُوَ زَائِرٌ : أَنْتَ وَاللَّهِ تَقْرُبُ مِنَّا إِذَا احْتَجَجْنَا
إِلَيْكَ ، وَتَبْعُدُ مِنَّا إِذَا احْتَجَجْتَ إِلَيْنَا .

قَالَ سَيِّدُنَا الشَّرِيفُ أَدَامُ اللَّهِ عُلُوهُ : وَهَذَا يَشْبَهُ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيِّ :
وَلَكِنَّ الْجَوَادَ أَبَا هِشَامٍ وَفِي الْمَهْدِ مَأْمُونُ الْمَغِيبِ^(٢)
بَطَلَى عَنْكَ مَا اسْتَعْنَيْتَ عَنْهُ وَطَلَّاعٌ عَلَيْكَ مَعَ الْخُطُوبِ

وَلَعَلَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْهُ ، فَلَيْسَ يُنْكَرُ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُمَا وَإِنْ اجْتَمَعَا فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ فِي بَعْضِ
الْأَوْقَاتِ ؛ فَإِنَّ أَبَا الْعِثَاءِ بَقِيَ بَعْدَ إِبْرَاهِيمَ زَمَانًا طَوِيلًا ؛ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ تَوَفَّى فِي سَنَةِ ثَلَاثِ
وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَأَبَا الْعِثَاءِ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ ، وَمَا حَكَيْنَاهُ عَنْهُ مِنْ
الْكَلَامِ قَالَهُ لِأَبِي الصَّقَرِ فِي وَزَارَتِهِ ، وَكَانَتْ بَعْدَ وَفَاةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ الصُّوْلِيِّ زَمَانٌ طَوِيلٌ .

وَيُوشِكُ بَيْنَنَا إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَكُونَا مَأْخُوذَيْنِ مِنْ قَوْلِ أَوْسَ بْنِ حَجَرٍ :
وَلَيْسَ أَخُوكَ الدَّائِمُ الْمَهْدِ بِالَّذِي يَذُمُّكَ إِنْ وَلَّى وَبِرُّضِيكَ مُقْبِلًا^(٣)
وَلَكِنَّهُ النَّائِي إِذَا كُنْتَ آمِنًا وَمَا حُبُّكَ الْأَذْنَى إِذَا الْخُطْبُ أَعْضَلَا^(٤)
١٥

وَلِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ مَا يَقَارِبُ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا ، وَهُوَ :
أَسَدٌ مَنَارٍ إِذَا هَيَّجَتْهُ وَأَبٌ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَّرَا^(٥)
يَعْلَمُ الْأَبْعَدُ إِنْ أَثَرَى وَلَا يَسْلُمُ الْأَذْنَى إِذَا مَا أَقْتَرَا^(٥)

(١) السُّتَارُ الْحَرَمُ : هُوَ سِتَارُ السَّكْبَةِ . (٢) دِيْوَانُهُ : ١٢٩ (ضَمِنَ مَجْمُوعَةُ الطَّرَائِفِ) .

(٣) دِيْوَانُهُ : ٢٢ (٤) دِيْوَانُهُ : ١٣٣ (ضَمِنَ مَجْمُوعَةُ الطَّرَائِفِ) .

(٥) ث : « أَفْتَرَا » ؛ وَهِيَ رَوَايَةُ الدِّيْوَانِ .

ويشبه أن يكون هذا مأخوذاً من قول المرّار الفقّسى :

[١٠١] / إِذَا افْتَقَرَ الْمَرَّارُ لَمْ يَرْ فَقْرُهُ وَإِنْ أَيْسَرَ الْمَرَّارُ أَيْسَرَ صَاحِبُهُ^(١)

ومما يشبه قول المرّار بعينه قول إبراهيم بن العباس أيضاً :

فَتَى غَيْرُ مُحْجُوبٍ عَنِ الْمَعِينِ عِرْضُهُ وَلَا مُظْهِرٍ الْبَلْوَى إِذَا النَّمْلُ زَلَّتْ^(٢)
رَأَى خَلَّةً مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانَهَا فَكَانَتْ قَذَى عَيْنَيْهِ حَتَّى تَجَلَّتْ

أو من قول المتنخل الهذلي :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ^(٣)

وهذا البيت الذي روينا للهذلي من جملة أبيات يَرى بها المتنخل أباه - وقيل يرثى أخاه، وأولها :

لَمَعْرُكَ مَا إِنْ أَبُو مَالِكٍ بَرَّانٍ وَلَا بَضْعِفٍ قُوَاهُ^(٤)
وَلَا بِالْدَّ لَهُ نَارِجٌ يُفَارِي أَخَاهُ إِذَا مَا نَهَا^(٥)

- فمضى « له نازع » أى خلق سوء يزرعه . ويفارى ، أى يلاجى ويشار - .

وَلَسِكَنَّهُ هَبْنُ كَبْنُ كَمَالِيَةِ الرُّمَحِ عَرْدُ نَسَاءُ

- العَرْدُ : الشديد ؛ يقال : وترُّ عَرْدٌ وَعُرْدٌ ، وَعَرْدَدَ بالنون ، أى شديد . والنساء :

عرق معروف -

إِذَا سُدَّتْهُ سُدَّتْ مِطْوَاةٌ وَمَهْمَا وَكَلَّتْ إِلَيْهِ كَفَاهُ

معنى « سُدَّتْهُ » من المساودة ، التى هى المساورة ، والسَّوَادُ هو السَّرَارُ أيضاً ، كأنه قال :

(١) معجم الشعراء : ٤٠٨ . (٢) ديوانه : ١٣٠ ؛ وانظر تخريج البيت في الحواشى .

(٣) ديوان الهذليين ٢ : ٢٩-٣٩ . (٤) شرح ديوان الهذليين : « وروى : بواه

ولا بضعف » ، وهو الأجود عند أبي العباس . (٥) ألد : شديد الخصومة ، وفي حواشى الأصل :

ت ، ف : « غاربت بين الشيعين ؛ إذا واليت بينهما ، قال كثير :

إِذَا قَلْتُ أَسْلُوفَاضَتِ الْعَيْنُ بِالْبُكَاءِ غِرَاءَ وَمَدَّتْهَا مَدَامِصُ حُفْلُ

قال أبو هبيل : هو من غرى بالضم بغرى به . »

إذا ساررتَه طاعوك وساعدك . وقال قوم : إنه من السيادة ، وكأنه أراد : إذا كنت
فوقه سيداً له أطاعك ولم يحسدك ، وإن وكنْتَ إليه شيئاً كفاك ، وقوم يُنشدونه :
* إذا سُسْتَهُ سُسْتُ مَطْوَاعَةً *

— ولم أجد ذلك في رواية —

• ألا مَنْ يُنَادِي أَبَا مَالِكٍ أفي أمرنا هو أم في سِوَاهُ ؟
أبو مَالِكٍ قَاصِرٌ قَقْرَةٌ على نفسه ومُشْبِعٌ غِنَاهُ

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةِ

[١٠٧] / إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا؛ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٦] .

• فقال : ما تأويل هذه الآية على ما يطابق المدل ؟ فإن ظاهرها كأنه مخالف له .

الجواب ، قيل له : في هذه الآية وجوه ؛ منها ما ابتدأناه فيها ، ومنها ما سيقننا به فخر رناه ، واحترزنا فيه من المطاعن ، وأجبنا عما لعله يعترض ^(١) فيه من الشبهة .

أولها أن يكون تعالى عني بذلك صرفهم عن ثواب النظر في الآيات ، وعن العز والكرامة اللذين يستحقهما من أدّى الواجب عليه في آيات الله تعالى وأدلته ، وتمسك بها .
١٠ والآيات على هذا التأويل يحتمل أن تكون سائر الأدلة ، ويحتمل أن تكون معجزات الأنبياء عليهم السلام خاصة ؛ وهذا التأويل يطابقه الظاهر ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ ؛ فبين أن صرفهم عن الآيات مستحق ^(٢) بتكذيبهم ، ولا يليق ذلك إلا بما ذكرناه .

وثانيها أن يصرفهم ^(٣) تعالى عن زيادة المعجزات التي يظهرها ^(٤) الأنبياء عليهم السلام

(١) حاشية ت (من نسخة) « يرض » . (٢) ف : « يستحق » .

(٣) ت : « أنه أراد صرفهم » . (٤) ت ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « يظهرها

على الأنبياء » .

بعد قيام الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم ؛ لأنه تعالى إنما يُظهرُ هذا الضرب من المعجزات إذا عِلِمَ أنه يؤمن عنده مَنْ لم يؤمن بما تقدم من الآيات ، فإذا عِلِمَ خلاف ذلك لم يُظهرها ، وصرف الذين عِلِمَ من حالهم أنهم لا يؤمنون عنها ، ويكون الصرف على أحد وجهين : إما بالآلة يظهرها جملة ، أو بأن يصرفهم عن مشاهدتها ، ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم .

فإذا قيل : وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات ، وبين زيادتها ؟ قلنا : الفرق بينهما أن المعجز الأول يجب إظهاره لإزاحة العلة في التكليف ؛ ولأننا به نعلم صدق الرسول المؤدى إلينا ما فيه نطفنا ومصلحتنا .

فإذا كان التكليف بوجِب تعريف^(١) المصالح والألطف لتزاح العلة ، وكان لا سبيل

إلى معرفتها على الوجه الذي تكون عليه لطفاً إلا من قبل الرسول ، وكان لا سبيل إلى ١٠ العلم بكونه رسولاً إلا من جهة / المعجز وجبت بعثة الرسول وتحميله ما فيه مصلحتنا [١٠٢] من الشرائع ، وإظهار المعجز على يده لتعلق هذه الأمور بعضها ببعض ، ولا فرق في هذا الموضع بين أن يُعلم أن المبعوث إليهم الرسول ، أو بعضهم يطيعون ويؤمنون ، وبين ألا يعلم ذلك في وجوب البعثة ، وما يجب بوجوبها ، لأن تعريف المصالح مما يقتضيه التكليف العقلي الذي لا فرق في حسنه بين أن يقع عنده الإيمان أو لا يقع ؛ وليس هذه سبيل ما يظهر من ١٥ المعجزات بعد قيام الحجة بما تقدم منها ؛ لأنه متى لم ينتفع بها منتفع ، ويؤمن عندها من لم يؤمن لم يكن في إظهارها فائدة ، وكانت عبثاً ؛ فافترق الأمران .

فإن قيل : كيف يطابق هذا التأويل قوله : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ، ومن المعلوم أن صرفهم عن الآيات لا يكون مستحقاً بذلك ؟ قلنا : يمكن أن يكون قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ لم يرد به تعليل قوله : ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ ، بل يكون كالتعليل لما هو أقرب إليه في ترتيب الكلام ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « تعريفنا » .

آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) ، لَأَنَّ مَنْ كَذَبَ بآيَاتِ اللَّهِ جُلَّ وَعَظُهُ ؛ وَغَفَلَ عَنْ تَأَمُّلِهَا وَالْإِهْتِدَاءِ بِنُورِهَا رَكِبَ الْغَىَّ ، وَاتَّخَذَهُ سَبِيلًا ، وَحَادَ عَنِ الرُّشْدِ وَضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا . وَرَجُوعَ لَفْظَةِ (ذَلِكَ) إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ أَشْبَهُ بِالظَّاهِرِ مِنْ رَجُوعِهَا إِلَى قَوْلِهِ : (سَأَصْرِفُ) ؛ لَأَنَّ رَجُوعَ اللَّفْظِ (١) فِي اللَّفْظَةِ إِلَى أَقْرَبِ الْمَذْكُورِينَ إِلَيْهِ أَوَّلَى .

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (كَذَّبُوا) وَإِنْ كَانَ بِلَفْظِ الْمَاضِي الْمُرَادُ بِهِ الْإِسْتِقْبَالُ ، وَيَكُونُ وَجْهُهُ أَنَّ التَّكْذِيبَ لَمَّا كَانَ مَعْلُومًا مِنْهُمْ لَوْ أَظْهَرَتْ لَهُمُ الْآيَاتُ جُعِلَ ذَلِكَ كَأَنَّهُ (٢) وَاقِعٌ ، فَبُنِيَ الْخُطَابُ عَلَيْهِ ؛ وَلِهَذَا نَظَّارٌ فِي اللَّفْظَةِ كَثِيرَةٌ . أَوْ يَكُونُ جَوَابًا لِمُحْذَوْفٍ ؛ كَأَنَّهُ (٣) قَالَ : ذَلِكَ بَأَنَّهُ مَتَى مَا أَظْهَرْنَا لَهُمْ آيَاتِنَا كَذَّبُوا بِهَا . وَيَجْرِي مَا ذَكَرْنَاهُ (٤) أَوَّلًا يَجْرِي قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ) فِي أَنَّهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَالْمَعْنَى الْإِسْتِقْبَالُ .

وَنَائِلُهَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَى (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ) ، أَيْ لَا أُوْتِيهَا (٥) مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ ، وَإِذَا (٦) صَرَفَهُمْ عَنْهَا فَقَدْ صَرَفَهَا عَنْهُمْ ، وَكَلَامُ الْفُطَّيْنِ (٧) يَفِيدُ مَعْنَى وَاحِدًا . وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ هَلَّا قَالَ : « سَأَصْرِفُ آيَاتِي عَنِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ » ؛ وَالْآيَاتُ هَاهُنَا هِيَ الْمَعْجَزَاتُ الَّتِي تَخْتَصُّ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ .

/ فَإِنْ قِيلَ : فَأَيَّ فَائِدَةٍ فِي قَوْلِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّمْلِيلِ (٨) : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) [١٠٣] وَأَيُّ مَعْنَى لِتَخْصِصِهِ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، وَهُوَ لَا يُؤْتِي الْآيَاتَ وَالْمَعْجَزَاتَ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ دُونَ غَيْرِهِمْ ، وَإِنْ كَانَ مَنْ لَا يَتَكَبَّرُ ؟ قُلْنَا : خُرُوجُ الْكَلَامِ مَخْرَجَ التَّمْلِيلِ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ وَجْهٌُ صَحِيحٌ ؛ لَأَنَّ مَنْ كَذَّبَ بآيَاتِ اللَّهِ لَا يُؤْتِي مَعْجَزَاتِهِ (٩) لِتَكْذِيبِهِ وَكُفْرِهِ ،

(١) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « اللفظة » . (٢-٢) ساقط من م .

(٣) ت : « ويجري ذلك » . (٤) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « لا أوتيه » .

(٥-٥) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « وإذا صرقتهم عنها فقد صرقتهم عنهم » .

(٦) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت ، ف : « كلنا اللفظين » .

(٧) حاشية الأصل (من نسخة) : « التخصيص » . (٨) ت ، ف : « لا يؤتي آياته ومعجزاته » .

وإن كان قد يكون غير مكذب، ويمنع من إتيانه الآيات علة أخرى^(١)؛ فالتكبر والبنمى بنير الحق مانع من إتيان الآيات، وإن منع غيره. ويجرى هذا بجري قول القائل: أنا لا أود فلاناً لغدره، ولا يلزم إذا لم يكن غادراً أن يودّه، لأنه ربما خلا من الغدر وحصل على صفة أخرى تمنع من مودته. ويجوز أيضاً أن تكون الآية خرجت على ما يجرى بجري السبب، وأن يكون بعض الجهال في ذلك العصر اعتقد جواز ظهور المعجزات على يد الكفار المتكبرين^(٢)، فأكذبهم الله تعالى بذلك.

ورابعها أن يكون المراد بالآيات العلامات التي يحملها الله تعالى في قلوب المؤمنين؛ ليدل بها الملائكة على الفرق بين المؤمن والكافر، فيفعلوا بكل واحد منهما ما يستحقه من التعظيم أو الاستخفاف، كما تناول أهل الحق الطبع والختم اللذين ورد بهما القرآن على أن المراد بهما العلامة المميّزة بين الكافر والمؤمن؛ فيكون معنى سأصرفهم عنها، أى أعدل بها عنهم^(٣)، وأخص بها المؤمنين الصادقين بآياتي وأنبيائي^(٤). وهذا التأويل يشهد له أيضاً قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾؛ لأن صرفهم عن هذه الآيات كالمستحق لتكذيبهم وإعراضهم عن آياته تعالى.

وخامسها أن يريد تعالى: أنى أصرف من رام المنع من أداء آياتي وتبليغها؛ لأن من الواجب على الله تعالى أن يحول من بين رام ذلك وبينه؛ ولا يمكن منه؛ لأنه ينقض الغرض^(٥) في البعثة. ويجرى ذلك بجري قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾؛ فتكون الآيات هاهنا القرآن وما جرى مجراه من كتب الله تعالى التي تحمّلتها^(٥) الرسل.

والصرف وإن كان متعلقاً في الآية بنفس الآيات فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً في الآية / بنفس الآيات، فقد يجوز أن يكون المعنى متعلقاً بغيرها^(٦) مما هو متعلق بها. فإذا ساغ [١٠٣]

(١) في حاشيتي ت، ف: «بمعنى وإن كان غير التكذيب أيضاً مانعاً».

(٢) ت: «الذكورين»، ومن نسخة بحاشية ت: «المكذبين».

(٣) ف، ونسخة بحاشية ت: «أى أعدل بهم عنها». (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت:

«وإني». (٥) ت، وحاشية ف (من نسخة): «تحملها». (٦) (١٠٦) ساقط من م.

أن نملقه بالثواب والكرامة المستحقين على التمسك بالآيات ساغ أن نملقه بما يمنع من تبليغها وأدائها وإقامة الحجة بها . وعلى هذا التأويل لا نجعل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ راجعاً إلى ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ بل نرُدّه إلى ما هو قبله بلا فصل ؛ من قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ بَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ على ما بيناه في الوجه الثاني ، من تأويل هذه الآية .

وسادسها أن يكون الصرف هاهنا الحكم والتسمية والشهادة ، ومعلوم أن من شهد على غيره بالانصراف عن شيء جازم^(١) أن يقال : صرفه عنه ، كما يقال : ^(٢) كفره وكذبه وفسقه^(٣) ؛ وكما قال جل من قائل : ﴿ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ ﴾ ؛ أى شهد عليها بالانصراف عن الحق والهدى ، وكقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ ؛ وهذا التأويل طابقه قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ؛ لأن الحكم عليهم^(٤) بما ذكرنا من التسمية موجب تكذيبهم وغفلتهم^(٥) عن آيات الله وإعراضهم عنها .

وسابعها أنه تعالى لما علم أن الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق سينصرفون عن النظر في آياته ، والإيمان بها إذا أظهرها على أيدي رسله عليهم السلام جاز أن يقول : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ ﴾ فريد سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم عنه . ويجرى ذلك مجرى قولهم : سأبخل فلاناً وأخطئه ، أى أسأله ما يبخل ، يبذله وأمتحنه بما يخطئ فيه ، ولا يكون المعنى : سأفعل^(٦) فيه البخل والخطأ . والآيات على هذا الوجه جاز أن تكون المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى ، وجاز أن تكون جميع الأدلة ؛ ويحب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ غير راجع إلى قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ ﴾ ؛ بل إلى ما قدمنا ذكره لتصح الفائدة .

(١) ف : « جاز » . (٢-٣) ت : « كفره وكذبه وفسقه » ؛ بالتشديد .

(٢-٣) ت ، ف : « والتسمية من موجب تكذيبهم وغفلتهم » .

(٤) ت ، وحاشية ف (من نسخة) : « أنى أفعل فيه » .

وثانها أن يكون الصَّرْف هاهنا معناه المنع من إبطال الآيات والحجج، والقَدْح فيها بما يُخرجها عن أن تكون أدلة وحججاً، فيكون تقدير الكلام: إني بما أُؤيدّه من حُجَجِي، وأُحْكَمِه من آياتي وبيناتي؛ صارفٌ للمبطلين والمكذّبين عن القَدْح في الآيات والدلالات، ومانعٌ لهم ممّا كانوا لولا / هذا الإحكام والتأييد يفترضونه ويفتنمونّه من تمويههم الحق ولبسه [١٠٤] بالباطل. ويجرى هذا مجرى قول أحدنا^(١): قد منع فلانُ أعداءه بأفعاله الكريمة،^(٢) وطرائقه^٣ المهدّية، وصرفهم عن ذمّه^(٤)، وأخرسَ ألسنتهم عن الطعن عليه؛ وإنّما يريد المعنى الذي ذكرناه.

فإن قيل: أليس في المبطلين مَنْ طعن على آيات الله تعالى وأورد الشبهة فيها مع ذلك؟ قلنا: لم يرِ الله تعالى الصرف عن الطعن الذي لا يؤثر ولا يشتبه على من أحسن النظر، وإنّما أراد ما قدمناه، وقد يكون الشيء في نفسه مطعوناً عليه، وإن لم يطعن عليه طاعنٌ؛ كما قد يكون بريئاً من الطعن، وإن طعن فيه بما لم يؤثر؛ ألا ترى أن قولهم: فلانٌ قد أخرج أعداءه عن ذمّه ليس يراد به أنه ممنهم عن التلفظ بالذم، وإنّما المعنى فيه أنه لم يجعل للذم عليه طريقاً ومجالاً؛ ويجب على هذا الوجه^(٥) أن يكون قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا﴾ يرجع إلى ما قبله بلا فصل، ولا يرجع إلى قوله: ﴿سَاءَ صَرِفٌ﴾^(٦).

وتاسمها أن الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأمتّه إهلاكَ عدوهم قال: ﴿سَاءَ صَرِفٌ﴾^{١٥} عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغيرِ الحقِّ، وأراد جل وعزّ أنه يهلكهم ويصطليهم ويحتاجهم على طريق العقوبة لهم؛ بما كان منهم من التكذيب بآيات الله تعالى، والردّ لحُجَجِهِ، والعُروقي عن طاعته، وبشرّ مَنْ وعدّه بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء

(١) ت: «القاتل». (٢-٢) ت، ش: «وطرائفه المدوحة، وأخلاقه المهدية من عبه،

وصرفهم عن ذمّه». (٣) حاشية ت (من نسخة): «الناويل».

(٤) حواشي الأمل، ت، ف: «قريب منه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جُنْدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾؛

ويفترض الآية بأن الحسين عليه السلام جند الله ومع ذلك فقد غلبوا؟ والجواب: إنهم وإن غلبوا في صورة فإنهم الغالبون حقيقة».

بها ، وهو تعالى إذا أهلك هؤلاء الجبارين المتكبرين ، واسطلمهم فقد صرّفهم عن آياته ، من حيث اقتطعهم عن مشاهدتها ، والنظر فيها بانقطاع التكليف عنهم ، وخروجهم عن صفات أهله .

وهذا الوجه يمكن أن يقال فيه : إن العقوبة لا تكون إلا مضادة الاستخفاف والإهانة ، كما أن الثواب لا بد أن يكون مقترنا بالتعظيم والتبجيل والإجلال^(١) ؛ وإماتة الله تعالى الأمم وما يفعله من بوار وإهلاك لا يقرن إليه مالا بد أن يكون مقترنا إلى العقاب من الاستخفاف ، ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل الامتحان والاختبار ؛ فكيف يصح ما ذكرتموه ! .

ويمكن أن يجاب عن ذلك بأن يقال : لا يمتنع أن يضمّ الله تعالى إلى ما يفعله هؤلاء الكفار المكذّبين^(٢) من الإهلاك والبوار اللعن والدم والاستخفاف^(٣) ، ويأمرنا^(٤) أن نفعل [١٠٤] ذلك بهم ، فيكون / ما يقع بهم من الإيلام على وجه العقوبة وبشرطها ، ولا يمتنع أن يكون الله تعالى يتعبد ويأمر بإهلاكهم^(٥) ، وقتلهم على وجه الاستخفاف والنكال ، ويضيف الله تعالى ذلك إليه من حيث وقع بأمره وعن أذنه .

فإن قيل : ما معنى قوله تعالى : ﴿ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ؛ كأن في التكبر ما يكون بالحق !

قلنا في هذا وجهان : أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ والبيان عن أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق ، وأن هذه صفة له لازمة غير مفارقة ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ﴾ ؛ [المؤمنون : ١١٧] ، وقوله تعالى : ﴿ فِيمَا تَفْضِيهِمْ مِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْ كُفْرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ ؛ [النساء : ١٠٠] ، ولم يرد تعالى إلا المعنى الذي ذكرناه . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ؛ [البقرة : ٤١] ، ولم يرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير ، بل

(١) ساقطة من ت . (٢) ت ، حاشيتي الأصل ، ف : « المكذّبين المستحقين للبوار
اللعن والدم » . (٣-٣) ساقط من م .

أراد تأكيد القول بأن كلَّ ثَمَنٍ يؤخذ عنها يكون قليلاً بالإضافة إليها ، ويكون التعويض به عنها منبوهً مبخوساً خاسراً الصفة .

والوجه الآخر أن في التكبر ما يكون ممدوحاً لأنَّ مَنْ تكبر وتزَّه عن الفواحش والدنایا وتباعد من فعلها ، وتجنب أهلها يكون مستحقاً للمدح ، سالكا لطريق الحق ؛ وإنما التكبر المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبني والاستطالة على ذوى الضعف والفخر عليهم ، والمباهاة لهم ، ومَنْ كان بهذه الصفة فهو مجانب للتواضع الذي ندب الله تعالى إليه ، وأرشد إلى الثواب المستحق عليه ، ويستحق بذلك الذمَّ والمقت ، فهذا شرط تعالى أن يكون التكبر بغير الحق . وقوله تعالى في هذه السورة : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالنَّجْوَةَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ ؛ [الأعراف : ٣٣] ، يحتمل أيضاً هذين الوجهين اللذين ذكرناهما .

فإن أريد به البني المكروه الذي هو الظلم وما أشبهه ، كان قوله : ﴿ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ تأكيداً وإخباراً عن أن هذه صفته ، وإن أريد بالبني الطلب - وذلك هو أصله في اللغة - كان الشرط في موضعه ؛ لأنَّ الطلب قد يكون بالحق وبغير الحق .

فإن قيل فما معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ، وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ / وهل الرؤية هاهنا العلم والإدراك بالبصر ؟ وهب [١٠٥] أنها يمكن أن تكون في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ﴾ محمولة على رؤية البصر ، لأن الآيات والأدلة مما يشاهد كيف تحمل الرؤية الثانية على العلم ، وسبيل الرشد إنما هي طريقه ، ولا يصح أن يرجع بها إلى المذاهب والاعتقادات التي لا تجوز عليها رؤية البصر ، فلا بد إذاً من أن يكون المراد به رؤية العلم ؛ ومَنْ علم طريق الرشد لا يجوز أن ينصرف عنه إلى طريق الغي ؛ لأنَّ العقلاء لا يختارون مثل ذلك .

قلنا: الجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها أن يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر، ويكون السبيل المذكورة في الآية هي الأدلة ؛ لأنها مما يدرك بالبصر، وتسمى بأنها سبيل إلى

الرشد ، من حيث كانت وُصَلَّةً إلى الرُّشد ، وذريعةً إلى حصوله ، ويكون سبيل النِّىِّ هي الشبهات والمخاريق التي ينصّبها البطلون والمدغلون في الدين ؛ ليقعوا بها الشبهة على أهل الإيمان ، وتسمّى سبيل النِّىِّ ، وإن كان النظر فيها لا يوجب حصول النِّىِّ من حيث كان المعلوم ممّن تشاغل بها ، واغترّ بأهلها أنه يصير إلى النِّىِّ .

• والوجه الثاني أن يكون المراد بالرؤية العلم ؛ إلا أن العلم لم يتناول كونها سبيلاً للرشد ، وكونها سبيلاً للنِّىِّ ؛ بل يتناولها لامن هذا الوجه ؛ ألا ترى أن كثيراً من المبطلين يعلمون مذاهب أهل الحق واعتقاداتهم وحججهم ؛ إلا أنهم يجهلون كونها صحيحة مُفضية إلى الحق ، فيجتنبونها ؛ وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة ، إلا أنهم يجهلون كونها باطلة ، ويمتقدون صحتها بالشبهة فيصيرون إليها ؟ وعلى هذا الوجه لا يجب أن يكون تعالى وصفهم بالعناد ١٠ وترك الحق مع العلم به .

والوجه الثالث أن يكونوا عالين بسبيل الرشد والنِّىِّ ، ومميزين بينهما ؛ إلا أنهم للميل إلى أعراض الدنيا ، والذهاب مع الهوى والشهوات يعدّلون عن الرشد إلى النِّىِّ ، ويحدّون ما يعلمون ، كما أخبر بها عن كثير من أهل الكتاب بأنهم يحدّون الحق وهم يعلمونه ويستيقنونه .

١٥ فإن قيل : فما معنى قوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ، [١٠٠] / والتكذيب لا يكون في الحقيقة إلا في الأخبار دون غيرها ؟

قلنا : التكذيب قد يُطلق في الأخبار وغيرها ؛ ألا ترى أنهم يقولون : فلان يكذب بكذا إذا كان يمتدّ بطلانه ، كما يقولون : يصدّق بكذا إذا كان يفتقد صحته ؟ ولو صرفنا التكذيب ها هنا إلى أخبار الله تعالى التي تضمنتها كتبه الواردة على أيدي رسوله عليهم السلام ٢٠ جاز ؛ ونسكون الآيات ها هنا هي الكتب المنزلة دون سائر المعجزات .

فإن قيل : فما معنى ذمه تعالى لهم بأنهم كانوا عن الآيات غافلين ، والغفلة على مذاهبكم

من فعله ، لأنها السهو أو ما جرى مجراه مما ينافي العلوم الضرورية ، ولا تكليف على الساهي فكيف يُذَمُّ بذلك ؟ .

قلنا: المراد هاهنا بالغفلة التشبيه للحقيقة ، ووجه التشبيه أنهم لما أعرضوا عن تأمل آيات الله تعالى ، والانتفاع بها أشبهت حالهم حال مَنْ كان ساهيا غافلاً عنها ، فأطلق عليهم هذا القول كما قال تعالى : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ ؛ [البقرة : ١٨] ، على هذا المعنى ، وكما يقول •
أحدنا لمن يستبطله ويصفه بالإعراض عن التأمل والتبيين: أنت ميت وراقد ، ولا تسمع ، ولا تبصر ، وما أشبه ذلك ، وكل هذا واضح بحمد الله .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر أنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن ، يصرفها كيف شاء » ^(١) ثم يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله عند ذلك : « اللهم مصرف القلوب ، صرف » ^(٢) قلوبنا إلى طاعتك . وعما يرويه أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ما من قلب آدمي إلا وهو بين إصبعين من أصابع الله تعالى ، فإذا شاء أن يُثَبِّتَهُ ثَبَّتَهُ ، وإن شاء أن يقلبَهُ قَلَبَهُ » . وعما يرويه ابن حوشب قال : قيل ^(٣) لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله : ما كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وآله ؟ قالت : كان أكثر دعائه : « يا مقلب القلوب ، ثَبِّتْ قلبي على دينك » ، قالت : قلت : يا رسول الله ، ما أكثر دعائك ^(٤) ؟ : « يا مقلب القلوب ، ثَبِّتْ قلبي على دينك » ! فقال : « يا أم سلمة ، ليس من آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله ، ما شاء أقام ، وما شاء أزاغ » .

[١٠٦] فقال : ما تأويل / هذه الأخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه ؟ أو ليس من مذهبكم أن الأخبار التي يخالف ظاهرها الأصول ، ولا تطابق المقول لا يجبر دؤها ، والقطع على كذب روايتها ^(٥) إلا ببدالاً يكون لها في اللغة مخرج ولا تأويل ؟ وإن كان لها ذلك فباستكراه أو تمسك ، واستم ممن يقول ذلك في مثل هذه الأخبار ، فما تأويلها ؟ .

١٥ الجواب ، إن الذي يعول عليه من تكلم في تأويل هذه الأخبار هو أن يقول : إن الإصبع في كلام العرب وإن كانت الجارحة المخصوصة فهي أيضا الأثر الحسن ؛ يقال : افلان على ماله وإبله إصبع حسنة ؛ أي قيام وأثر حسن ؛ قال الراعي يصف راعياً حسن القيام على إبله :

(١) ف ، حاشية ت (من نسخة) : « يشاء » . (٢) ت ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) « اصرف » . (٣) ت ، ف : « قلت لأم سلمة » . (٤) ت ، د ، ف : « أكثر دعائك » . (٥) ج ، ش : « كذب روايتها » ، ت ، ف « كذبها » .

ضَمِيفُ الْعَصَا بِإِدْيِ الرُّوقِ تَرَى لَهُ عَلَيْهَا إِذَا مَا أُجْدَبَ النَّاسُ إِصْبَعًا^(١)
وَقَالَ طُفَيْلُ الْغَنَوَى يَصِيفُ فَخَلَا :

كُمَيْتٌ كَرُّ كُنْزِ الْبَابِ أَخْبَا بَنَانِهِ مَقَالِيْنَهَا وَاسْتَحْشَشْتُهُنَّ إِصْبَع^(٢)
وَقَالَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ :

مَنْ يَبْسُطِ اللَّهُ عَلَيْهِ إِصْبَعًا^(٣) بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ بَأَى أَوْلَعَا
بِمَلَأْهُ مِنْهُ ذُنُوبًا مُتْرَعَا

وَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ تَوْرٍ :

أَغْرُ كُلُّونِ الْبَدْرِ فِي كُلِّ مَنْكِبٍ مِنَ النَّاسِ نَعْمَى يَحْتَذِيهَا وَإِصْبَعُ
وَقَالَ آخَرُ :

وَأَرْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَبْنُ ذُو إِصْبَعٍ فِي مَسَّهَا وَذُو فِطْنٍ
وَقَالَ آخَرُ :

أَكْرِمْ نِزَارًا وَاسْمِعِ الشَّعْشَعَا فَإِنَّ فِيهِ خَصَلَاتٍ أَرْبَعَا
حَدًّا وَجُودًا وَنَدَى وَإِصْبَعًا^(٤)

والإصبع في كلٍّ ما أوردناه المراد بها الأثرُ الحسنُ والنعمة ، فيكون الممعى : ما من

آدميٍّ إلا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنيتين .

فإن قيل : هذا قد ذكر كما حكيم ؛ إلا أنه لم يفعل : ما النعمتان ؟ وما وجه التثنية ؟
هاهنا ونعم الله تعالى على عباده كثيرة لا تحصى ؟

(١) البيت في اللآلي ٥٠ ، ٧٦٤ ، واللسان (عصا) ؛ وضعيف العصا كناية عن الرفق بمبارعاه ،
والعرب تميب الرعاء بضرب الإبل ؛ لأن ذلك عذب بها ولله رفق . (٢) ديوانه ٢٢٠ ، وفي حاشية ت
(من نسخة) : « واستحششتهن » ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف أيضا : « الحشش : الجمع ، وقد
حشش [بفتحين] ؛ فيمكن أن يكون « استحشش » في البيت من هذا ، واستحشش ، أى فضض ، غير
متعد . وفي حاشية الأصل أيضا : « استحششتهن : أصلحتهن ؛ من قولهم : حششت الدابة إذا صلحت ؛
عن النضر بن شميل » . (٣) ديوانه ٢٨٠ . (٤) حاشية ف : « قوله : « حدًّا » ، قيل
به أراد البأس ، وقيل : المنع » ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « جدًّا » .

[١٠٦] / قلنا : يحتمل أن يكون الوجه في ذلك نِعَم الدنيا ونِعَم الآخرة ، وثناهما لأنهما كالجنسين أو كالنوعين ، وإن كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير ؛ لأن الله تعالى قد أنعم على عباده بأن عرفهم بأدلتهم وبراهينه ما أنعم به عليهم ، من نعم الدنيا والآخرة ، وعرفهم ما لهم في الاعتراف بذلك والشكر عليه والثناء به من الثواب الجزيل ، والبقاء في النعيم الطويل .

ويمكن أن يكون الوجه في تسميتهم للأثر الحسن بالإصبع هو من حيث يشار إليه بالإصبع إعجاباً به ، وتنبيهاً عليه ؛ وهذه عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده ، وبما له به عُلقة ، وقد قال قوم في بيتي طَفِيلٌ والراعي : إنهما أرادا أن يقولوا «يداً» في مكان «إصبع» ؛ لأن اليد النعمة ، فلم يمكنهما ، فعدلا عن اليد إلى الإصبع ، لأنها من اليد .

١٠ وفي الإصبع الجارحة ثمان لغات : أَصْبَعُ بفتح الألف والباء ، وَأَصْبَعُ بفتح الألف وكسر الباء ، وَأَصْبُعُ بضم الألف والباء ، وَأَصْبَعُ بضم الألف وفتح الباء ، وَأَصْبُوعُ بضم الألف مع الواو ، وإِصْبَعُ بكسر الألف والباء ، وإِصْبَعُ بكسر الألف وفتح الباء ، وإِصْبُعُ بكسر الألف وضم الباء .

وفي هذه الأخبار وجه آخر ؛ هو أوضح مما ذكر ، وأشبه بمذاهب العرب في ملاحن كلامها ، وتصرف كناياتها ؛ وهو أن يكون المعنى في ذكر الأصابع الإخبار عن تيسر تصرف القلوب وتقليبها ، والفعل فيها عليه جلّت عظمتها ، ودخول ذلك تحت قدرته . ألا ترى أنهم يقولون : هذا الشيء في خِنَصَرِي وإِصْبَعِي ، وفي يدي وقبضتي ؛ كل ذلك إذا أرادوا تسهله وتيسره وارتفاع المشقة فيه ، والمؤنة ^(١) .

وعلى هذا المعنى يتأول المحققون قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ، [الزمر : ٦٨] ؛ فكأنه صلى الله عليه وآله لما أراد المبالغة

في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة - وإن كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ، ولا يَتَمَكَّنُ منه - قال : إنها بين أصابعه ؛ كناية عن هذا المعنى ، واختصاراً للفظ الطويل ، وجرياً على مذهب العرب في إخبارهم عن مثل هذا المعنى بمثل هذا اللفظ ؛ وهذا الوجه يجب أن يكون مقدماً على الوجه الأول ومعتدلاً ؛ لأنه واضح جلي .

ويمكن أن يكون في الخبر وجه آخر على تسليم ما يقترحه المخالفون ، / من أن [١٠٧] الإصبعين هما المخلوقتان من اللحم والدم ؛ استظهاراً في الحجّة ، وإقامة لها على كل وجه ؛ وهو أنه لا ينكر أن يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الإصبعين ، يحركه الله تعالى بهما ، ويقا به بالفعل فيهما ؛ ويكون وجه تسميتهما بالأصابع من حيث كانا^(١) على شكلهما . والوجه في إضافتهما إلى الله تعالى - وإن كانت جميع أفعاله تُضاف إليه بمعنى الملك والقدرة - أنه^(٢) لا يقدر على الفعل فيهما وتحريكهما منفردين عما^(٣) جاورها غيره . تعالى ؛ فقبل إيهما إصبعان له ؛ من حيث اختص بالفعل فيهما على هذا الوجه ؛ لأن غيره إنما يقدر على تحريك القلب ، وما هو مجاور للقلب من الأعضاء بتحريك جملة الجسم ، ولا يقدر على تحريكه وتصريفه منفرداً مما يجاوره غيره تعالى ؛ فمن أين للبطلين التأولين هذه الأخبار بأهوائهم وضعف آرائهم أن الأصابع هاهنا إذا كانت لحماً ودماً فهي جوارح لله تعالى ! وما هذا الوجه الذي ذكرناه يبعد ؛ وعلى التأول أن يورد كل ما يحتمله الكلام ؛ ١٥ مما لا تدفعه حجة ، وإن ترتب بمضه على بعض في القوة والوضوح .

ونحن نعود إلى تفسير ما لعله أن يشدّيه من الآيات التي استشهدنا بها .
أما قوله :

* حَدّاً^(٤) وَجُوداً وَنَدَى وَإِصْبَمًا *

٢٠ فمعى الحدّ: القضاء والنفاذ .

(١) ت : « من حيث كانا » . (٢) ت : « فإنه » . (٣) ف ، حاشية (من نسخة) : « مما » .

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « جدا » .

وقول الآخر :

* وأَرْزَنَاتٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَبْنٌ *

فَلأَرْزَنَاتِ الْعَصَى ، وَالْأَبْنُ الْعَقْدُ .

فأما قول حميد بن ثور : « فِي كُلِّ مَنْكِبٍ مِنَ النَّاسِ » ، فَلَا مَنْكِبَ : الجماعة ، وَالْمَنْكِبُ :

الناحية .

وأما معنى أبيات ^(١) لبيد ، فإنه أراد : مَنْ يَسُقِ اللَّهَ إِلَيْهِ خَيْرًا ، أَوْ يَعْرِفُ عَنْهُ شَرًّا يُهِمَا فَعَلَ ذَلِكَ بِهِ أَسْبَغَ لَهُ حَتَّى يَنْتَهَى مِنْهَا .

فأما بيت طُغَيْلِ الْغَنَوِيِّ ، فَمَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا الْفَعْلَ الَّذِي وَصَفَهُ بِأَنَّهُ كُمَيْتٌ ، وَأَنَّهُ كَرُّ كُنَّ الْبَابِ لِمَتَامِهِ وَشِدَّتِهِ لَمَّا خَرَّبَ فِي الْإِبِلِ الَّتِي وَصَفَهَا عَاشَتْ أَوْلَادُهَا الَّتِي هِيَ بَنَاتُهُ ١٠ بَعْدَ أَنْ كُنَّ مَقَالِيَتَ ، وَالْمَقَالِيَتُ : الَّتِي لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ ، فَكَانَ هَذَا مِنْهُ أَثَرًا جَمِيلًا عَلَيْهَا .

فأما بيت الراعي فمعنى قوله : « ضَعِيفَ الْعَصَا » يَرِيدُ أَنَّهُ قَلِيلُ الضَّرْبِ لَهَا ؛ إِمَّا لِأَنَّهِنَّ لَا يُخَوِّجُنَّ سَدَادًا وَتَادِبًا ، أَوْ لِشَفَقَتِهِ عَلَيْهِنَّ ؛ وَهَذِهِ كُنَايَةٌ فِي نَهَايَةِ الْحُسْنِ ، وَاخْتِصَارٌ [١٠:٧] شَدِيدٌ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ضَعِيفَ الْعَصَا عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِمَالِهَا / فِي الضَّرْبِ ، فَيَخْتَارُهَا قُوَّةً ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَذَفٌ ، وَأَرَادَ ضَعِيفَ قِلِّ الْعَصَا . ١٥ وَقَوْلُهُ : « بَادَى الْعُرُوقِ » يَعْنِي عُرُوقَ رِجْلِهِ لِفَسَادِهَا مِنَ السَّمِيِّ فِي أَثَرِ هَذِهِ الْإِبِلِ . وَأَرَادَ « بِالْإِصْبَعِ » أَنَّ لَهُ عَلَيْهَا فِي جَذْبِ النَّاسِ أَثَرًا جَمِيلًا لِحُسْنِ قِيَامِهِ وَتَعَمُّدِهِ .

وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ الرَّاعِي لِبَيْتِ قَالَهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بَعْدَ بَيْتَيْنِ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي أَنْشَدْنَاهُ ، وَهُوَ :

لَهَا أَمْرُهَا حَتَّى إِذَا مَا تَبَوَّأَتْ بِأَخْفَافِهَا مَأْوَى تَبَوَّأَ مَضْجَعًا ^(٢)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « بيت لبيد » . (٢) الآتي : ٧٦٤ ؛ والرواية هناك : « لأخفافها » .

وهذا قول الأصمى . وقال السكري : سُمِّيَ بذلك لقوله في هذه القصيدة أيضا :

هَدَانُ أَخُو وَطْبٍ وَصَاحِبُ عُلْبَةٍ يَرَى الْمَجْدَ أَنْ يَلْقَى خَلَاءَ وَمَرْتَعَاً^(١)

وروى عن بعض بني نُمَيْرٍ أنه قال : إِنَّمَا سُمِّيَ بذلك لقوله :

بُنَيْتَ مَرَاقِفُهُنَّ فَوْقَ مَزَلَّةٍ لَا يَسْتَطِيعُ بِهَا الْقَرَاذُ مَقِيلَاً^(٢)

فقال بعض بني نُمَيْرٍ لَمَّا سَمِعَ هَذَا الْبَيْتَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا رَاعِي إِبِلٍ ، فَبَقِيَتْ عَلَيْهِ .

وقال محمد بن سلام : " إِنَّمَا^(٣) سُمِّيَ الرَّاعِي لِكَثْرَةِ وَصْفِهِ الْإِبِلَ وَحَسَنِ نَعْتِهِ لَهَا " ؛ وَاسْمُهُ عُبَيْدُ

ابْنُ حُصَيْنٍ بْنِ جَنْدَلٍ ، وَكَنْيَتُهُ أَبُو جَنْدَلٍ ، وَقِيلَ أَبُو نُوحٍ .

(١) الهدان : الأحمق الثقيل ، والعلبة : محلب من جلد . (٢) جمهرة الأشعار : ٣٥٣ ،

واللسان (زلل) ، والمزلة : موضع الزلل والانزلاق . (٣) طبقات الشعراء : ٢٥٠ .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ؛
[المائدة : ١١٦] .

فَقَالَ : مَا الْمُرَادُ بِالنَّفْسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ؟ وَهَلِ الْمَعْنَى فِيهَا كَالْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ ؛ [آل عمران : ٢٨] أَوْ يَخَالِفُهُ ؟ وَهَلْ يَطَابِقُ مَعْنَى الْآيَتَيْنِ وَالْمُرَادُ بِالنَّفْسِ فِيهِمَا ؟
• مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : « إِذَا أَحَبَّ الْعَبْدُ لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ ، وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ ، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَيْئًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا » ، أَوْ لَا يَطَابِقُهُ ؟

الْجَوَابُ ، قَالُوا : النَّفْسُ فِي اللُّغَةِ لَهَا مَعَانٍ مُخْتَلِفَةٌ ، وَوُجُوهٌُ فِي التَّصَرُّفِ مُتَبَايِنَةٌ ؛
١٠ فَالنَّفْسُ نَفْسُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ ، وَهِيَ الَّتِي إِذَا فَقَدَهَا خَرَجَ عَنْ كَوْنِهِ حَيًّا ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٨٥] .

[١٠٨] وَالنَّفْسُ ذَاتُ الشَّيْءِ الَّذِي يُخْبِرُ / عَنْهُ كَقَوْلِهِمْ : فَعَلَ ذَلِكَ فَلَانٌ نَفْسُهُ ؛ إِذَا تَوَلَّى فِعْلَهُ .
وَالنَّفْسُ : الْأَنْفَةُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ لَيْسَ لِفُلَانٍ نَفْسٌ ، أَيْ لَا أَنْفَةٌ لَهُ .

وَالنَّفْسُ الْإِرَادَةُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ نَفْسُ فُلَانٍ فِي كَذَا ، أَيْ إِرَادَتُهُ ؛ قَالَ الشَّاعِرُ :

فَنَفْسَايَ نَفْسٌ قَالَتْ ابْتِإِ ابْنَ بَحْدَلٍ تَجِدُ فَرَجًا مِنْ كُلِّ غُمٍّ تَهَابُهَا ^(١)
وَنَفْسٌ تَقُولُ اجْهَدْ نَجَاءَكَ لَا تَكُنْ تَخَاضِبَةٌ لَمْ يُغْنِ شَيْئًا خِضَابُهَا ^(٢)

(١) الْبَيْتَانِ فِي اللِّسَانِ (نَفْس) . . (٢) ت : « عَنْهَا خِضَابُهَا » ، وَمِنْ نَسْخَةِ بِحَارِ الشُّعْبِ الْأَصْلُ ،
ف : « لَمْ يَغْنِ يَوْمًا » .

ومنه أن رجلاً قال للحسن: يا أبا سعيد، لم أحجج قط، فنفس تقول لي: حج، ونفس تقول لي: تزوج، فقال الحسن: إنما النفس واحدة، ولكن لك هم يقول حج، وهم يقول: تزوج، وأمره بالحج.

وقال المرق^(١) العبدى - وتروى لعقرب بن حمار البارق:

• أَلَا مَنْ لَعِنَ قَدْ نَأَاهَا حَمِيمُهَا وَأَرْقَى بَعْدَ الْمَنَامِ هُمُومُهَا
فَبَاتَتْ لَهَا نَفْسَانِ شَتَّى هُمُومُهَا فَنَفْسٌ تُعْزِيهَا وَنَفْسٌ تَلُومُهَا

وقال النمر بن تولب العكلى:

أَمَّا خَلِيلِي فَإِنِّي لَسْتُ مُعِجَاهُ حَتَّى يُؤَامِرَ نَفْسِيهِ كَمَا زَعَمَا
نَفْسٌ لَهُ مِنْ نَفُوسِ الْقَوْمِ صَالِحَةٌ تُعْطَى الْجَزِيلَ وَنَفْسٌ تَرْضَعُ الْفَنَمَا^(٢)

أراد أنه بين نفسيين: نفس تأمره بالجلود، وأخرى تأمره بالبخل، وكنتى رضاع الفم ١٠ عن البخل، لأن اللثيم يرضع اللبن من الشاة ولا يحلبها؛ لئلا يسمع الضيف صوت الشخب فيبتدى إليه، ومنه قيل: لثيم راضع؛ وقال كثير:

فَأَصْبَحْتُ ذَا نَفْسَيْنِ نَفْسٌ مَرِيضَةٌ مِنْ الْيَأْسِ مَا يَنْفَكُ هَمٌّ يَمُودُهَا^(٣)
وَنَفْسٌ تُرَجِّى وَصْلَهَا بَعْدَ صَرْمِهَا نَجْمَلُ كِي يَزْدَادَ غَيْظًا حَسُودُهَا

والنفس العين التي تصيب الإنسان، يقال: أصابت فلاناً نفس، أى عين. وروى ١٥

(١) حواشي الأصل، ت، ف: «المرق»، بكسر الزاى وفتحها، كلاهما جائز؛ الكسر لأنه أتى بذكر التزيق في شعره، والمرق بالفتح؛ لأنه قال: «لما أُمِرَ»، وقال أبو القاسم الأمدى: المرق، بفتح الزاى هو شأس بن نهار المبدى، الذى قال: «ولما أُمِرَ»، والمرق، بكسرهما هو المرق الحضرمى، متأخر، وولده المرق بن المرق، ذكره في المختلف والمؤتلف.

واقطر س ١٨٥-١٨٦؛ والبيت الذى يشير إليه هو بتمامه:

فَإِنْ كُنْتُ مَا كَوْلًا فَكُنْ خَيْرَ آكِلٍ وَإِلَّا فَأَذِرْ كُنِي وَلَمَّا أُمِرَ

من قصيدة يخاطب فيها عمرو بن المنذر بن عمرو بن النعمان، وكان هم بغزو عبد القيس.

(٢) البيتان في الأغاني ١٩: ١٦١. (٣) ديوانه ١: ٧٥.

أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَرْقِي فيقول : « بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ ، وَاللَّهُ يَشْفِيكَ ، مِنْ كُلِّ دَاءٍ هُوَ فِيكَ ؛ مِنْ عَيْنٍ عَائِنٍ ، وَنَفْسٍ نَافِسٍ ، وَحَسَدٍ حَاسِدٍ » .

[١٠٨] وقال ابنُ الأعرابي : النَّفُّوسُ الذي يُصِيبُ الناسَ بالعين / . وَذَكَرَ رجلاً فقال : كَانَ وَاللَّهُ حَسُوداً نَفُوساً كَذُوباً . وقال عُبيدُ اللَّهِ بنُ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ (١) :

يَتَقَى أَهْلُهَا النَّفُّوسَ عَلَيْهَا فَمَلَى نَحْرَهَا الرُّقَى وَالتَّمِيمُ

وقال مضر بن ربيعة الفهمسي :

وَإِذَا تَمَوْا صُعُودًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا الْخَبَالُ وَلَا نَفُوسُ الْحُسَدِ (٢)

وقال ابنُ هرمة يمدح عبدَ الواحد بن سليمان بن عبد الملك :

فاسْلَمْ سَلِمْتَ مِنَ الْمَسْكَرِ وَالرَّذَى وَعِثَارِهَا وَوُقَيْتِ نَفْسِ الْحُسَدِ

والنفس أيضا من الدِّبَاغِ بِمَقْدَارِ الدِّبْغَةِ ؛ تقول : أُعْطِنِي نَفْسًا مِنْ دِيبَاغٍ ، أَيْ قَدَرٌ مَا أُذْبِغُ بِهِ مَرَّةً .

والنفسُ الغيبُ ، يقول القائل : إِنِّي لأَعْلَمُ نَفْسَ فُلَانٍ ، أَيْ غَيْبَهُ ؛ وَعَلَى هَذَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ ، أَيْ تَعْلَمُ غَيْبِي وَمَا عِنْدِي ، وَلَا أَعْلَمُ غَيْبَكَ .

١٥ وقيل : إِنَّ النَّفْسَ أَيْضًا الْعُقُوبَةُ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : أَحْذَرُكَ نَفْسِي ؛ أَيْ عِقُوبَتِي ؛ وَبَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ يَحْمِلُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى ؛ كَأَنَّهُ يُحَذِّرُكُمْ عِقُوبَتَهُ . وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَآخَرُونَ ؛ قَالُوا : مَعْنَى الْآيَةِ وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ إِيَّاهُ . وَقَدْ رَوَى عَنْ الْحَسَنِ وَبِجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّأْوِيلِ بِمَعْنَاهُ .

(١) فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « قِيلَ لَهُ ابْنُ قَيْسِ الرُّقِيَّاتِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَشَبُّ بِجَمَاعَةٍ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ اسْمُهُارِقِيَّةٌ ؛ وَقِيلَ : كَانَتْ لَهُ جَدَاتٌ ؛ اسْمُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ رُقِيَّةٌ » .

(٢) حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ت ، ف : « يَقَالُ هَذَا نَبَاتٌ يَنْمُو صُعُودًا ؛ أَيْ يَزْدَادُ طُولًا » .

فإن قيل : ما وجه تسمية الغيب بأنه نفس ؟ قلنا : لا يمتنع أن يكون الوجه في ذلك أن نفس الإنسان لما كانت خفية الموضع نُزِّلَ ما يكتمه ويجهد في ستره منزلاتها ، وسمي باسمها ، فقيل فيه إنه نفسه ، مبالغة في وصفه بالسكتمان والخفاء ؛ وإنما حسن أن يقول تعالى مخبراً عن نبيه : ﴿ وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ من حيث تقدم قوله : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ﴾ ؛ ليزدوج الكلام ، ولهذا لا يحسن ابتداء أن يقول : أنا لا أعلم ما في نفس الله تعالى ، وإن حسن على الوجه الأول ؛ ولهذا نظائر في الاستعمال مشهورة مذكورة .

فأما الخبر الذي ذكره السائل فتأويله ظاهر ، وهو خارج على مذهب العرب في مثل هذا الباب معروف ؛ ومعناه أن مَنْ ذَكَرَنِي في نفسه جازيته على ذكره لي ، وإذا تقرَّب إلى شبرا جازيته على تقرُّبه إليّ ؛ وكذلك الخبر إلى آخره ، / فسمي المجازاة على الشيء باسمه [١٠٩] اتساعاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَجَزَاهُ سَبْعَةُ سِتَاتٍ مِثْلُهَا ﴾ ، [الشورى : ٤٠] ؛ ﴿ وَيَمْكُرُونَ ۝ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴾ ؛ [الأنفال : ٤٠] ، ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ ، [البقرة : ١٥] ؛ وكما قال الشاعر (١) :

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهِلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب . ولما أراد تعالى المبالغة في وصف ما يفعله به من الثواب والمجازاة على تقرُّبه بالكثرة والزيادة ؛ كنَّى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة فقال : « باعاً ١٥ وذراعاً » ، إشارة إلى المعنى من أبلغ الوجوه وأحسنها .

(١) هو عمرو بن كلثوم ؛ والبيت من المعلقة ص ٢٣٨ — بشرح التبريزي .

مَجْلِسُ آخِرِ تَأْوِيلِ آيَةِ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ فَقَالَ: مَا تَأْوِيلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذَا زَاغَتِ الْأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُّونَا﴾؟ [الأحزاب: ١٠].

وكيف يجوز أن تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم أحياء، ومعلوم أن القلب إذا زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه؟ وعن أى شيء زاغت الأبصار؟ وبأى شيء تعلقت ظنونهم بالله تعالى؟

الجواب، قيل له في هذه الآية وجوه:

١٠ منها أن يكون المراد بذلك أنهم جبنوا وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم، وخافوا من بوائقهم وبوادرهم، ومن شأن الجبان عند العرب إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته، ولهذا يقولون للجبان: انتفخ سحره، أى رثته، وليس يمتنع أن تكون الرثة إذا انتفخت رفعت القلب، ونهضت به إلى نحو الحنجرة. وهذا التأويل قد ذكره الفراء وغيره، ورواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

ومنها أن القلوب توصف بالوجيب والاضطراب في أحوال الجزع والهلع؛ قال الشاعر:

كَأَنَّ قُلُوبَ أَدِلَّيْهَا مُعَاقَةُ بَقْرُونَ الظُّبَاءِ^(١)

(١) الأدلاء: جمع دليل؛ والبيت في وصف فلاة عذبة، ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٤٨٨، ونسبه إلى المزار، وقال في شرحه: «يريد أن القلوب تنزو وتجب؛ فكأنها معلقة بقرون الظباء؛ لأن الظباء لا تستقر؛ وما كان على قرونها فهو كذلك».

وقال امرؤ القيس :

وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قُدَارَانَ ظَلَّتُهُ كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَعْفَرَا^(١)

ويروى : « فِي قُدَارَ ظَلَّتُهُ »؛ أراد المبالغة في وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة الشكون والاستقرار ؛ وإنما خص الظبي ؛ لأن قرنه أكثر تحركا واضطرابا ؛ [١٠٩] لنشاطه ومراحه وسرعته .

وقد قال بعض الناس : إن امرأ القيس لم يصف شدة أصابته في هذا البيت فيليق قوله : « على قرن أعفرا » بالتأويل المذكور ؛ بل وصف أما كن كان فيها مسرورا متنعما ؛ ألا ترى إلى قوله قبل هذا البيت بلا فصل :

أَلَا رَبِّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ بِتَاذِفَ ذَاتِ التَّلِّ مِنْ فَوْقِ طَرَطَرَا^(٢)

فيكون معنى قوله : « على قرن أعفرا » على هذا الوجه أنه كان على مكان عال مشرف ؛ ١٠ شبهه لارتفاعه وطوله بقرن الظبي ؛ وهذا القول لابن الأعرابي والأول^(٣) للأصمعي ؛ فأما قول الآخر :

أَلَا قَلَّ خَيْرُ الشَّامِ^(٤) كَيْفَ تَغَيَّرَا فَأَصْبَحَ يَرْمِي النَّاسَ عَنْ قَرْنٍ أَعْفَرَا

فلا يحتمل إلا الشدة والحال المذبذبة ، ويجوز أن يريد أن الناس فيه غير مطمئنين بل هم مزعجون قلقون ؛ كأنهم على قرن ظبي ، ويحتمل أنه يريد أن يطمئنهم بقرن ظبي ، كقولك : ١٥ رماه بداهية ، ويكون معنى « عن » هاهنا معنى الباء ، فقال : « عَنْ قَرْنٍ أَعْفَرَا » وهو يريد بقرن أعفرا ، وقد ذكر في هذا البيت الوجهان معاً ، فيكون معنى الآية على هذا التأويل أن القلوب لما اتصل وجيبها واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق .

(١) ديوانه : ١٠٦ . قداران : قرية بالشام ؛ وأعفرا ؛ أراد قرن ظبي أعفرا . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « فِي نَسْخَةِ الْوَزِيرِ السَّكَّامِلِ أَبِي الْقَاسِمِ الْمَغْرَبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ : « قُدَارَانَ » ، بِالْقَالِ الْمَجْعَةِ وَفَتْحِ الْقَافِ ، وَضَبِّ عَلَيْهِ . (٢) فِي حَاشِيَةِ ت : « طَرَطَرُ : قَرْيَةٌ بِالشَّامِ يَنْبُجُ ، وَلَهَا نَهْرٌ يُقَالُ لَهُ نَهْرُ طَرَطَرٍ . » وفي شرح الديوان : تاذف وطرطر : موضعان فيهما أوقع بدوءه . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « وَالْآخِرُ . » (٤) ت ، ف : « الشان . »

ومنها أن يكون المعنى: كادت القلوب من شدة الرعب والخوف تبلغ الحناجر، وإن لم تبلغ في الحقيقة، فالنبي ذكر «كادت» لوضوح الأمر فيها، ولغظة «كادت» هاهنا للمقاربة؛ مثل قول قيس بن الخطيم:

أَنْعَرِفُ رَسْمًا كَأَطْرَادِ الْمَذَاهِبِ لَعْمَرَةٍ وَخَشًا غَيْرَ مَوْقِفٍ رَاكِبٍ^(١)
دِيَارِ الَّتِي كَادَتْ وَنَحْنُ عَلَى مِئَى تَحُلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاءُ الرَّكَّابِ
معناه: قاربت أن تحل بِنَا، وإن لم تحل في الحقيقة.

وقوله: «غير موقف راكب» فيه وجهان: أحدهما أنه ليس بموضع يقف فيه راكب لخلوه من الناس ووحشته، والآخر أن يكون أراد أنه وحش؛ إلا أن راكباً واقف به؛ يعني نفسه. وقال نصيب:

[١١٠] / وَقَدْ كِدْتُ يَوْمَ الْحَزَنِ لِمَا تَرَنْتُ هَتُوفُ الضُّحَى مَحْزُونَةٌ بِالْتَرَنَمِ
أَمُوتْ لِمَبْكَاهَا أُمِّي إِنْ لَوْعَتِي^(٢) وَوَجْدِي بِسُمْدِي شَجْوُهُ غَيْرُ مُنْجِمٍ^(٣)
معنى المنجم: المقلع.
وقال ذو الرمة:

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمَيْةٍ نَاقَتِي فَازِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأُخَاطِبُهُ^(٤)
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أُبْثُهُ^(٥) تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ ١٥

(١) ديوانه: ١٠٠، والرسم: ماشخص من آثار الديار بعد البلى، والمذاهب: جمع مذهب؛ وهي جلود تجعل فيها خطوط فيرى بعضها في إثر بعض، وأطرادها: تتابها.
(٢) ف، حاشية ت (من نسخة): «لوعتي». (٣) في حواشي الأصل، ت، ف:
«في ديوانه»

* وَوَجْدِي بِسُمْدِي قَاتِلٌ لِي فَاعْلَمِي *

وبعد:

وَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً بِسُمْدِي شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاهَا بُكَاهَا، فَقُلْتُ: الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ
(٤) ديوانه: ٣٥. (٥) في حواشي الأصل، ت، ف: «يقال بثته السر وأبثته».

وكل هذا معنى « كاد » فيه المقاربة.

ومتى أدخلت العرب على « كاد » جحداء فقالوا: ما كاد عبد الله يقوم ، ولم يكّد عبد الله يقوم ؛ كان فيه وجهان :

أجودها: قام عبد الله بعد إبطاء ولأى ، ومثله قوله تعالى : ﴿ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة : ٧١] ، أى ذبحوها بعد إبطاء وتأخير ، لأنّ وجدان البقرة عسر عليهم .
وروى أنهم أصابوها ليتيم لا مال له غيرها ، فاشتروها من وليه بملء جلدتها ذهباً ، فقال تعالى : ﴿ وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ، إما لأنهم لم يقفوا عليها ، أو لغلاظها وكثرة ثمنها .

والوجه الآخر فى قولهم : ما يكاد عبد الله يقوم ، أى ما يقوم عبد الله ، وتكون لفظة يكاد على هذا المعنى مطرحة لا حكم لها ، وعلى هذا يحمل أكثر المفسرين قوله تعالى : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِ يَرَاهَا ﴾ ، أى لم يرها أصلاً ؛ لأنه جل وعز لما قال : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [النور : ٤٠] ، كأن بعض هذه الظلمات يحول بين المين وبين النظر إلى اليد وسائر المناظر ؛ فـ ﴿ يَكْدِ ﴾ على هذا التأويل زيدت للتوكيد ، والمعنى : إذا أخرج يده لم يرها .
وقال قوم : معنى الآية : إذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر ؛ لتكاثف الظلمة^(١) ، وترادف الموانع من الرؤية ؛ فـ ﴿ يَكْدِ ﴾ على هذا الجواب ليست بزايدة .

وقال آخرون : معنى الآية إذا أخرج يده لم يرد أن يراها ، لأن الذى شاهده من تكاثف الظلمات أياسه^(٢) من تأمل يده ، وقرّر فى نفسه أنه لا يدركها ببصره . وحكى عن العرب : أولئك أصحابي الذين أ كاد أنزل عليهم ، أى أريد أن أنزل عليهم ؛ قال الشاعر :

كَادَتْ وَكَدْتُ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ لَهْوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى^(٣)

/ أى أرادت وأردت ، وقال الأفوه الأودى :

[١١٠]
ظ

(١) ف : « الظلمات » ، حاشية ت (من نسخة) : « الظلم » . (٢) ت ، حاشية ف (من نسخة) : « آيسه » . (٣) ديوانه : ١٠ (ضمن مجموعة الطرائف) . (٤) البيت فى اللسان (كيد) .

فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْلَادُ وَأَعْمِدَةٌ وَسَاكِنُ بَلَدُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا
أَيُّ أَرَادُوا .

وقال بعضهم : معنى قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ ؛ [يوسف : ٧٦] ،
أَيُّ أَرَدْنَا لِيُوسُفَ .

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس : معناه كذلك صنعنا ليوسف .

ومما يشهد لمن جعل لفظة ﴿ يَكْدُ ﴾ زائدة في الآية قول الشاعر :
سَرِيعٌ إِلَى الْهَيْجَاءِ شَالِكٌ سِلَاحُهُ فَمَا إِنْ يَكَادُ قِرْنُهُ يَتَنَفَّسُ
أَيُّ فَمَا إِنْ يَتَنَفَّسُ قِرْنُهُ ، و « يَكَادُ » مزيدة للتوكيد ، وقال حسان :
وَتَكَادُ تَكْسَلُ أَنْ تَجِيَّ فِرَاشَهَا فِي جَنَمِ خَرْعَةٍ وَحُسْنِ قَوَامِ
معناه وتكسل أن تجي فراشها ، وقال الآخر :

وَأَلَا أَلَوْمُ النَّفْسِ فِيمَا أَصَابَنِي وَأَلَا أَكَادُ بِالَّذِي نِلْتُ أَنْجَحُ
أَيُّ لَا أَنْجَحُ بِالَّذِي نِلْتُ ؛ ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحاً .

وروى عبد الصمد بن المعدل بن غيلان عن أبيه عن جده غيلان^(١) قال : قدم علينا
ذوالرُّمة الكوفة ، فأنشدنا بالكُفَّاسَةِ - وهو على راحلته - قصيدته الحائية ؛ التي يقول فيها :
إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكْدُ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ^(٢)
فقال له عبد الله بن شبرمة^(٣) : قد برح إذا الرُّمة ، ففكر ساعة ثم قال :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ أَجِدْ رَسِيسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَحُ

قال : فأخبرت أبي بما كان من قول ذي الرُّمة واعتراض ابن شبرمة عليه ، فقال :

(١) حاشية ت (من نسخة) : « غيلان » ، وفيها : « ولي نسختين صحيحتين من ديوانه : غيلان »

(٢) ديوانه : ٧٨ . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « هو شبرمة بن الطفيل » بكسر الطاء

وسكون الفاء ، الذي يقول :

وَيَوْمَ كَظَلَ الرُّمَحَ قَصَرَ طَوْلُهُ دَمُ الرِّقِّ عَنَّا وَاصْطَفَاقُ الْمَزَاهِرِ
والبيت من أبيات ثلاثة ، ذكرها أبو تمام في الحاسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٣٦ .

أخطأ ذوالرئمة في رجوعه عن قوله الأول ، وأخطأ ابن شبرمة في اعتراضه عليه ؛ هذا كقوله عز وجل : ﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدُ يَرَاهَا ﴾ ، أى لم يرها .

فأما قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ ؛ [طه : ١٥] ، فيحتمل أن يكون المعنى : أريد أخفيها لكي تجزى كل نفس بما تسعى . ويجوز أن تكون زائدة ويكون / المعنى إن الساعة آتية أخفيها لتجزى كل نفس . وقد قيل فيه وجه آخر ؛ وهو (١١١) أن يتم الكلام عند قوله تعالى : ﴿ آتِيَةٌ أَكَادُ ﴾ ، ويكون المعنى : أكاد آتى بها ، ويقع الابتداء بقوله ﴿ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ ﴾ ؛ ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابي البرمجي : هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالُهُ (١) أراد : وكدت أقتله ، فحذف الفعل لبيان معناه .

وروى عن سعيد بن جبير أنه كان يقرأ : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ ، فمعنى أخفيها على هذا الوجه . أظهرها ؛ قال عبدة بن الطبيب يصف ثوراً : يَخْفَى التُّرَابَ بِأُظْلَافٍ ثَمَانِيَةٍ فِي أَرْبَعِ مَسَّهِنٍ الْأَرْضَ تَحْلِيلٌ (٢) أراد أنه يظهر التراب ويستخرجه بأظلافه ، وقال امرؤ القيس : فَإِنْ تَدَفَّقُوا الدَّاءَ لَا نَخْفِيهِ وَإِنْ تَبَعْتُمُ الْحَرْبَ لَا نَقْعُدُ (٣) أى لا نظهره ؛ وقال النابغة :

تَخْفَى بِأُظْلَافِهَا حَتَّى إِذَا بَلَمَتْ يَبْسُ الْكَثِيبِ تَدَاعَى التُّرَابُ فَانْهَدَمَا (٤)

(١) الشعر والشعراء : ٣١٠ . (٢) من قصيدة مفضلية ٢٦٨-٢٩٣ بشرح ابن الأنباري . وفي حاشية الأصل : « يصف شدة عدو الثور ، وأنه يثير الغبار بأظلاف ثمانية وأربع قوائم ؛ مقدار مسهن الأرض تحليل ، أى قول الرجل في عيبه إن شاء الله » . وفي حواشي ، ت ، ف أيضا : « التحليل ضد التحريم ؛ يقال : حللته تحليلا وتحلة ؛ ونقول : لم أفعل ذلك إلا تحلة القسم ؛ أى القدر الذي لأحدث معه ، ولم أبالغ فيه ؛ ثم توسع فيه ؛ فليل لكل شيء لم يبالغ فيه تحليل ؛ يقال : ضربته تحليلا » .

(٣) مختار الشعر الجاهلي : ١٣١ . (٤) البيت ليس في ديوانه ، وفي حاشية ت : « ولا يرى القيس يصف فرساً أخرج البرابيع من حجرتها بدوه ؛

خَفَاهُنَّ مِنْ أَنْفَاقِهِنَّ كَأَنَّمَا خَفَاهُنَّ وَدَقَّ مِنْ سَحَابِ مُرْكَبٍ

وانظر ديوانه ٨٦ .

وقد روى أهل العربية: أخفيتُ الشيء، بمعنى ^(١) سترته ، وأخفيته بمعنى أظهرته ، وكانَّ القراءة بالضم تحتل الأمرين : الإظهار والستر ، والقراءة بالفتح لا تحتل غير الإظهار ؛ وإذا كانت بمعنى الإظهار كان الكلام في «كاد» واحتمالها للوجوه الثلاثة التي ذكرناها كالكلام فيها إذا كانت بمعنى الستر والتغطية .

• فإن قيل : فأى معنى لقوله : إني أسرها لتُجزى كلُّ نفس بما تسمى ، أو أظهرها على الوجهين جميعاً ؟ وأي فائدة في ذلك ؟

قلنا : الوجه في هذا ظاهر ، لأنه تعالى إذا ستر عنا وقت الساعة كانت دواعينا إلى فعل الحسن والقبيح مترددة ، وإذا عرَّفنا وقتها بعينه كنا ملجئين إلى التوبة ، بعد مقارفة الذنوب ونقض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب به ، فصار ما أريد من المجازاة للمكلفين بسميهم ، وإيصال ثواب أعمالهم بمنع من اطلاعهم على وقت انقطاع التكليف عنهم .
١٠ فأما إذا كانت لفظة «أخفيها» بمعنى الإظهار فوجهه أيضاً واضح ؛ لأنه تعالى إنما يقيم القيامة ، ويقطع التكليف ليجازى كلُّواً باستحقاقه ، ويوفى مستحق الثواب ثوابه ، ويماقب المسى باستحقاقه ، فوضح وجه قوله تعالى : ﴿ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسَى ﴾ على المعنيين جميعاً .

١٥ قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أطال الله بقاءه : وجدتُ أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطمئن على جواب مَنْ أجاب في قوله : ﴿ وَبَكَفَّتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ بأن معناه كادت تبلغ الحناجر ، ويقول : «كاد» لاتضمر ، ولا بد من أن يكون منطوقاً بها ، ولو جاز ضميرها لجاز : قام عبدُ الله بمعنى كاد عبد الله يقوم ، فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله ؛ لأن معنى كاد عبد الله يقوم لم يقم ، وهذا الذي ذكره غير صحيح . ونظنُّ أن الذي حمله على الطعن في هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة ، لأنَّ من شأنه أن يردَّ كل ما يأتي به ابن

(١) حاشية ت : « أخفيته إذا كان بمعنى أظهرته كانت الألف للسلب ، والمعنى : سلبته الحفاء ؛ مثل شكاني فأشكيتة » .

قتيبة، وإن تعسف في الطمن عليه . والذي استبمده غير بعيد ؛ لأن « كاد » قد تضمير في مواضع يقتضيها بعض الكلام وإن لم تكن في صريحه ؛ ألا ترى أنهم يقولون : أوردت على فلان من العتاب والتوبيخ والتقريع مامات عنده ، وخرجت نفسه ، ولما رأى فلان فلاناً لم يبق فيه روح ، وما أشبه ذلك . ومعنى جميع ما ذكرناه المقاربة ، ولا بد من إضمار « كاد » فيه ، وقال جرير :

إِنَّ الْعَمُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْتَنَا ثُمَّ لَمْ يُجَيِّنْ قَتْلَانَا^(١)
وإنما المعنى أنهم كدن يقتلنا ؛ وهذا أكثر في الشعر والكلام من أن نذكره .

فأما قوله : « يُجَيِّنْ قَتْلَانَا » فالأظهر في معناه أنهم لم يُزِلْنِ ما قاربنا عنده الموت والقتل من الصدود والهجر وما أشبه ذلك ، وسمي هذه الأمور حياة كما سمي أضدادها قتلًا ، وقد قيل إن معنى « يُجَيِّنْ قَتْلَانَا » أنهم لم يَدِينْ قَتْلَانَا ، من الدية ، لأن دية القتل عند العرب ١٠ كالحياة له ، وقد روى : « ثُمَّ لَمْ يُجَيِّنْ قَتْلَانَا » ، وهذه رواية شاذة لم تسمع من عالم ولا محصل ومعناها ركيك ضعيف ؛ وإذا كان الأمر على ما ذكرناه لم يمتنع أن يقال : قام فلان بمعنى كاد يقوم ، إذا دلت الحال على ذلك ؛ كما يقال : مات بمعنى كاد يموت .

فأما قوله : « فَيَكُونُ تَأْوِيلُ قَوْلِهِ : قَامَ عَبْدُ اللَّهِ ، لَمْ يَقَمْ عَبْدُ اللَّهِ » نخطأ ؛ لأنه ليس معنى كاد يقوم إنه لم يقم / كما ظن بل معنا . أنه قارب القيام ودنا منه ، فمن قال : قام عبد الله وأراد كاد يقوم ؛ فقد أفاد ما لا يفيد لم يقم .

(١) ديوانه : ٥٩٥ ؛ وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « روى أنه وقع الخلاف بين هارون الرشيد وزبيدة في هذا البيت ؛ فكان هارون يقول : « يجين » ، وزبيدة تقول : هو : « يجين » ، بالجيم والنون ؛ فتغاطرا على ذلك بالتي دينار ، ودعوا مسرورا الخادم ، وأعطياه على أن يخرج فيسأل أفضل من بغداد من أهل العلم ؛ فإن صوب قول هارون أعطاه ألفا ، وإن صوب قول زبيدة فألفها ، فخرج مسرور بالشموع يطلب من يفتيه في ذلك ؛ فدل على الكسائي ؛ وكان قريب عهد القدوم من الكوفة إلى بغداد ؛ وكان يأوى إلى مسجد ؛ فدخل مسرور عليه بخيله وحشمه ؛ فتعجز له الكسائي ؛ فقال : لا بأس ؛ إنه بيت قد أشكل علينا ، واستفتاه في الكلمتين فصوبهما جميعا ؛ فأعطاه ألفين ؛ فأصبح وقد استفاد بكلمة أوضحها ما أغناه ؛ وهذا دليل على حسن تأنيه وإطافته أدبه . »

وأما قوله تعالى : ﴿ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ ﴾ فمعناه زاعت عن النظر إلى كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها ، ويجوز أن يكون المراد بـ ﴿ زَاغَتْ ﴾ ، أي جارت ^(١) ومالت عن القصد في النظر دهشا وتجيأ .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ ، معناه أنكم تظنون مرة أنكم تنصرون • وتظهرون على عدوكم ، ومرة أنكم تبتلون وتمتحنون بالتخيلة بينكم وبينهم . ويجوز أيضا أن يريد الله تعالى أن ظنونكم اختلفت ، فظن النافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به من النصر ، وشكوا في خبره عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم : ﴿ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ ، فظن المؤمنون ما طابق وعده الله تعالى لهم كما حكى عز وجل عنهم في قوله : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ .

١٠ وكل ما ذكرناه واضح في تأويل الآية وما تعلق بها .

(١) ت وحاشية الأصل (من نسخة) : « حادت » ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « جارت » .

مَجْلِسِ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِن سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبا : ٩] .
فَقَالَ : إِذَا كَانَ السُّبَاتُ هُوَ النَّوْمُ ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ : وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ نَوْمًا ، وَهَذَا مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ .
الْجَوَابُ ، قِيلَ لَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَجُوهٌ :

مِنْهَا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالسُّبَاتِ الرَّاحَةُ وَالذَّعَّةُ ، وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ : إِنَّ اجْتِمَاعَ الْخَلْقِ كَانَ فِي
يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، وَالْفَرَاغَ مِنْهُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ، فَسُمِّيَ الْيَوْمُ بِالسَّبْتِ لِلْفَرَاغِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ؛ وَلِأَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى أَمَرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيهِ بِالِاسْتِرَاحَةِ مِنَ الْأَعْمَالِ ؛ قِيلَ : وَأَصْلُ السُّبَاتِ التَّمَدُّدُ ؛ يَقَالُ :
سَبَّتَتِ الْمَرْأَةُ شَعْرَهَا إِذَا حَلَّتْهُ مِنَ الْعَقْصِ وَأُرْسِلَتْهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
وَإِنْ سَبَّتَهُ مَالٌ جَثَلًا كَأَنَّهُ سَدَى وَاهْلَاتِ مِنْ نَوَاسِجِ خَشَمًا ^(١)
أَرَادَ : إِنَّ أُرْسِلَتْهُ .

وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْقَطْعُ ؛ لِأَنَّ السَّبْتَ الْقَطْعُ ، وَالسَّبْتُ أَيْضًا الْخَلْقُ ؛ يَقَالُ : ١٠
سَبَّتَ شَعْرًا سَبْتًا إِذَا حَلَقَهُ ، وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى مَعْنَى الْقَطْعِ ، وَالنِّعَالُ السَّبْتِيَّةُ الَّتِي لَا شَعْرَ
عَلَيْهَا ؛ قَالَ عَنَتَرَةُ :

بَطَلٍ كَانَ ثِيَابَهُ فِي مَرَحَةٍ ، يُحْذِي نِعَالِ السَّبْتِ ، لَيْسَ بِتَوْءَمٍ ^(٢)

(١) الْجَثَلُ مِنَ الشَّعْرِ : مَا كَثُفَ وَاسْوَدَّ ، وَفِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ، ن ، ف ، هـ : « شَبَّ شَعْرُهَا فِي وَقْتُ
الْإِرْسَالِ بِسَدَى ثِيَابِ مَسْرُخِيَّاتٍ مَرْسَلَاتٍ . وَالنَّوَاسِجُ : جَمْعُ نَاسِجَةٍ ، وَخَشَمٌ : قَبِيلَةٌ » .

(٢) الْمَلْفَةُ : ١٩٩ - بِشْرَحِ التَّبْرِيزِيِّ ، وَفِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « السَّرْحَةُ : شَجَرَةٌ طَوِيلَةٌ ، يَصِفُهُ
بِالطُّولِ . وَأَرَادَ بِقَوْلِهِ : « يُحْذِي نِعَالِ السَّبْتِ » أَنَّهُ مِنَ الْمُلُوكِ ؛ لِأَنَّ نِعَالِ السَّبْتِ نِعَالُ الْمُلُوكِ . وَالسَّبْتُ :
شَيْءٌ يَشْبُهُ الْقِرْطَ ، تَدْبِغُ بِهِ النِّعَالُ ؛ وَوَصَفَهُ بِالشَّدَةِ وَالْقُوَّةِ فِي قَوْلِهِ : « لَيْسَ بِتَوْءَمٍ » ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُ تَوْءَمٌ
كَانَ أَقْوَى وَأَتَمَّ لِحَلْفِهِ » .

[١١٢] / ويقال لكل أرض مرتفعة منقطعة مما حولها : سَبْتًا ، وجمعها سَبَاتِي ، فيكون المعنى على هذا الجواب : جعلنا نومكم سُبَاتًا ، أى قطعاً لأعمالكم ونصرفكم . ومن أجاب بهذا الجواب يقول : إنما سُمِّيَ يوم السبت بذلك لأنَّ بدء الخلق كان يوم الأحد ؛ وُجِّعَ يومَ الجمعة ، وقُطِعَ يوم السبت ، فترجع التسمية إلى معنى القطع .

• وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق فقال أهل التوراة : إنَّ الله تعالى ابتدأه في يوم الأحد ، فكان الخلق في يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ، ثم فرغ في يوم السبت ؛ وهذا قول أهل التوراة .

وقال آخرون : إنَّ الابتداء كان في يوم الاثنين إلى السبت ، وفرغ في يوم الأحد ؛ وهذا قول أهل الإنجيل .

١٠ فأما قول أهل الإسلام فهو أنَّ ابتداء الخلق كان في يوم السبت ، واتصل إلى الخميس ، وجُمِلَت الجمعة عيداً ؛ فعلى هذا القول الأخير يمكن أن يُسمَّى اليوم بالسبت ، من حيث قُطِعَ فيه بعضُ خلق الأرض ، فقد رَوَى أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال : « إنَّ الله تعالى خلق التُّرْبَةَ ^(١) في يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد » .

ومنها أن يكون المراد بذلك أنا جعلنا نومكم سُبَاتًا ليس بموت ؛ لأنَّ النَّائِمَ قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء كثيرة يفقدها الميت ؛ فأراد تعالى أن يمتنَّ علينا بأنَّ جعل نومنا الذي تُضاهى فيه بعضُ أحوالنا أحوال الميت ليس بموتٍ على الحقيقة ، ولا يخرج لنا عن الحياة والإدراك ؛ فجعل التأكيدهُ بذكر المصدر قائماً مقامَ نفى الموت ، وساداً مسدِّدَ قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ ﴾ ليس بموت .

ويمكن أن يكون في الآية وجه آخر لم يُذكر فيها ، وهو أنَّ السُّبات ليس هو كلُّ نوم ، وإنما هو من صفات النوم إذا وقع على بعض الوجوه ، و السُّبات هو النوم الممتد الطويل

(١) من نسخة بحاشيتي ت ، ف : ه البرية .

السكون^(١) ، ولهذا يقال فيمن وُصِفَ بكثرة النوم إنه مسبوت ، وبه سُبَاتٌ ؛ ولا يقال ذلك في كلِّ نائم ، وإذا كان الأمر على هذا لم يجر قوله : ﴿ وَجَمَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ بجرى أن يقول : وجملنا نومكم نوماً .

والوجه في الامتنان علينا بأن جعل نومنا ممتداً طويلاً - ظاهراً ، وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة ؛ لأن التهويم والنوم الغرار لا يَكْسِبَانِ^(٢) شيئاً من الراحة ؛ بل يصحبهما في الأكثر القلق والازعاج ، والمهموم / هي التي تقلل النوم وتُزَرِّدُه ، وفراغ القلب ورخاؤُه [١١٣] البال يكون معهما غزارة النوم وامتداده ؛ وهذا واضح .

قال سيدنا الشريف الأجل المرتضى أدام الله علوه : وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطمئن على الجواب الذي ذكرناه أولاً ، ويقول : إن ابن قتيبة أخطأ في اعتماده ؛ لأنَّ الراحة لا يقال لها : سُبَاتٌ ، ولا يقال : سَبَتَ^(٣) الرجل بمعنى استراح وأراح ، ويمتد على الجواب الذي ثنينا بذكره ، ويقول فيما استشده به ابن قتيبة من قولهم سَبَتِ المرأةُ شعرها : إن معناه أيضاً القطع ، لأن ذلك إنما يكون بإزالة الشَّدَاد الذي كان مجموعاً به وقطعه . والمقدار الذي ذكره ابن الأنباري لا يَقْدَحُ في جواب ابن قتيبة ؛ لأنه لا يُنْكَرُ أن يكون السباتُ هو الراحة والدعة إذا كانتا عن نومٍ ، وإن لم توصف كل راحة بأنها سُبَاتٌ ، ويكون هذا الاسم يخص^(٤) الراحة إذا كانت على هذا الوجه ؛ ولهذا نظائر كثيرة في الأسماء ، وإذا أمكن ذلك لم يكن في امتناع قولهم : سَبَتَ الرجل بمعنى استراح في كل موضع دلالة على أنَّ السُّبَاتَ لا يكون اسماً للراحة عند النوم ؛ والذي يَبْقَى على ابن قتيبة أن يبين أن السبات هو الراحة والدعة ، ويستشهد على ذلك بشعرٍ أو لغةٍ ، فإن البيت الذي ذكره يمكن أن يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال .

(١) حاشية ف (من نسخة) : « السكوت » . (٢) ت ، ف : « لا يَكْسِبَانِ » ، بضم الياء .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « سبت » ، بالياء للمجهول .

(٤) من نسخة بحاشيتي ت ، ف : « يخص بالراحة » .

فإن قيل : فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي ذكرتموه أخيراً ؟ قلنا : الفرق بينهما بين ، لأن ابن قتيبة جعل السُّبَاتَ نفسَه راحةً ، وجعله عبارةً عنها ، وأخذ يستشهد على ذلك بالتمتدّد وغيره ، ونحن جعلنا السُّبَاتَ من صفات النوم ، والراحة واقعةً عنده للامتداد وطول السكون فيه ؛ فلا يلزمنا أن يقال : سَبَّتَ الرجل بمعنى استراح ؛ لأنَّ الشيء لا يسمّى بما يقع عنده حقيقة ، والاستراحة تقع على جوابنا عند السُّبَاتِ^(١) ، وليس السُّبَاتُ إياها بعميها ؛ على أن في الجواب الذي اختاره ابنُ الأنباريّ ضرباً من الكلام ؛ لأنَّ السُّبَاتَ وإن كان القطع على ما ذكره فلم يُسمع فيه البناء الذي ذكره وهو السُّبَاتُ ، ويحتاج في إثبات مثل هذا البناء إلى سَمْعٍ^(٢) عن أهل اللغة ، وقد كان يجب أن يورد من أي وجه ؛ إذا كان [١١٣] السبت هو القطعُ جاز أن يقال سُبَات على هذا المعنى ؛ ولم نره فعل / ذلك .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

١٠ إن قال قائل : ما تأويل الخبر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وآله : « إنَّ الميتَ ليعذبُ بكاءِ الحَيِّ عليه » ، وفي رواية أخرى : « إنَّ الميتَ يعذبُ في قبره بالنَّياحةِ عليه » ، وقد روى هذا المعنى المغيرة بن شُعْبَةَ أيضاً فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : « مَنْ نَحَّحَ عليه فإنه يعذبُ بما نَحَّحَ عليه » .

الجواب ، إننا إذا كنا قد علمنا بأدلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال ولا الاتساع والمجاز ١٥ قُبْحَ مؤاخذه أحد يذنب غيره ، وعلمنا أيضاً ذلك بأدلة السمع مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام : ١٦٤] ، فلا بدّ أن نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الأدلة إلى ما يطابقها .

والمعنى في الأخبار التي سئلنا عنها — إن صحّت روايتها — أنه إذا أوصى موصٍ بأن يباح

(١) في حواشي الأصل ، ت ، ف : * قال ابن دريد : السُّبَاتُ : السكون ؛ والرجل مسبوت ؛ وقال الجوهري : السبت والسبات : السكون والراحة ؛ وقد سبت بسبت ، بالضم .

(٢) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) : « سماع » .

عليه ففعل ذلك بأمره وعن إذنه فإنه يعذب بالنيابة عليه؛ وليس معنى يعذب بها أنه يؤخذ بفعل النواح ، وإنما معناه أن يؤخذ بأمره بها ووصيته بفعلها ، وإنما قال صلى الله عليه وآله ذلك لأن الجاهلية كانوا يرون البكاء عليهم والنوح فيأمرون به ، وبؤكدون الوصية بفعله وهذا مشهور عنهم ؛ قال طرفة بن العبد :

فإن مُتْ فأنميني بما أنا أهله وشُقِّي على الجيبِ يا أُمَّ مَعْبِدٍ ^(١)
وقال بشر بن أبي خازم لابنته عُمَيْرَة ^(٢) :

فمن بك سائلاً عن بيتِ بشرٍ فإن له بحجب الرَّذِى باباً ^(٣)
نوى في ملحد لا بد منه كفى بالوت نأياً وأغتراباً ^(٤)
رهين بلوى وكل فتى سيبلى فأذرى الدَّمْعَ وانتحى انتحاباً

وقد روى عن ابن عباس في هذا الخبر أنه قال : وهل ^(٥) ابن عمر ، إنما مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله على يهودى فقال : « إنكم لتبكون عليه ، وإنه ليعذب في قبره » . وقد روى إنكار هذا الخبر أيضا عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله ، وأنها قالت لما أخبرت بروايته : وهل أبو عبد الرحمن كما وهل يوم قليب بدر ، إنما قال عليه السلام : « إن أهل الميت ليكون عليه ، وإنه ليعذب بجورمه » /

[١١٤]

(١) العلق ٩٦ - بشرح التبريزي . والرواية فيها :

* وشُقِّي على الجيبِ يا ابنة مَعْبِدٍ *

(٢) مختارات ابن الشجري ٣ : ٣٢٢ ؛ من قصيدة قالها وهو يجود بنفسه بعد أن طعنه غلام من بني وائلة

بسم فأتحنه ، ومطلعا :

أسائلة عُمَيْرَة عن أبيها خلال الجيشِ تعرَّفُ الرُّكَّابا

(٣) الرده : جمع ردة ؛ وهي قرة في صخرة يستنقع فيها الماء . (٤) في مختارات ابن الشجري :

• هو في ملحد . (٥) في حواشي الأصل ، ت ، ف : • قال أبو زيد : وهلت [بكسر الهاء]

في الشيء . وعنه أوهل وهلا [بفتحين] إذا غلظت فيه ، وهلت [بفتح الهاء] إلى الشيء . أهل وهلا

[يسكون الهاء] إذا ذهب وهمك إليه ، وهلت [بكسر الهاء] أوهل وهلا [بفتحين] : فرغت •

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : معنى « وَهَلَ » أى ذهب وهمه إلى غير الصواب ، يقال وَهَلَتْ إلى الشئ ، فأنا أهل وَهَلًا إذا ذهب وهمك إليه ، وَهَلَتْ عنه أهل وَهَلًا ، أى نسيته وغلِطت فيه ، وَهَلَ الرجل بَوَهَلٍ وَهَلًا إذا فَرَعَ ، والوهل : الفرع .

فأما « الْقَلِيبُ » فعلى البئر ، والجمع القُلُب ، قال حسان بن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين :

يُنَادِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا قَدَفْنَاهُمْ كِبَاكِبَ فِي الْقَلِيبِ^(١)
أَلَمْ تَجِدُوا حَدِيثِي كَانَ حَقًّا وَأَمْرُ اللَّهِ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ
وقال آخر يبكى على قتلى بدر من المشركين :

فَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ مِنْ الْقَيْمَاتِ وَالشَّرْبِ الْكَرَامِ^(٢)
وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ مِنْ الشِّزْيِ يُسَكِّلُ بِالسَّامِ^(٣) ١٠

ومعنى وَهَلِهِ فى ذكر القليب أنه روى أن النبي صلى الله عليه وآله وقف على قليب بدر فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا ؟ » ثم قال : « إنيهم ليس سمون ما أقول » ، فأنكر ذلك عليه ؛ وقيل إنما قال عليه السلام : « إنيهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق » ، واستشهد بقول الله تعالى : (إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى) [النمل : ٨٠] . وأهل القليب جماعة من قريش ؛ منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وغيرهم . ١٥

وروى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم قائمًا يصلى بمكة وأناس من قريش فى حلقة ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فقال : ما يمنع أحدكم أن يأتى الجزور التى نحرها آل فلان ، فيأخذ سلاها ثم يأتى به حتى إذا سجد وضعه على ظهره ؟ قال عبد الله : فانبعث أشقى القوم - وأنا أنظر إليه - فجأبه حتى وضعه على ظهره ، ٢٠ قال عبد الله : فلو كانت لى يومئذ مئة لمنعته . وجاءت فاطمة عليها السلام عليه ، وهى يومئذ صببة حتى أماطته عن ظهر أبيها ثم جاءت حتى قامت على رؤوسهم فأوسعهم شتمًا ، قال : فوالله لقد رأيت بعضهم يضحك ، حتى إنه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك ، فلما

(١) ديوانه : ١١-١٢ . الكباكب : الجماعات . (٢) ت ، د ، حاشية ف (من نسخة) :
• من القتيان • . (٣) الشيزى : شجر عظيم يتخذ منه الخفان ، وهو الأبنوس .

سَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ عَلَيْكَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ » ، فَلَمَّا رَأَوْا [١١٥] ط
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ دَعَا عَلَيْهِمْ أَسْقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَوَلَّى اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا سَمَّى النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَئِذٍ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُهُ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقَدْ أَخَذَ بِرَجْلِهِ يُجِئُ إِلَى الْقَلْبِ
مَقْتُولًا .

وفوله : « فَيَأْخُذُ سَلَاَهَا » أَي جَلَدَتْهَا الَّتِي فِيهَا وَلَدَهَا مَا دَامَ فِي بَطْنِهَا ، وَالْجَمِيعُ (١) ه
الْأَسْلَاءُ ؛ وَقَالَ ابْنُ حَبِيبٍ (٢) : الْأَسْلَاءُ الَّتِي فِيهَا الْأَوْلَادُ ، قَالَ الْأَخْطَلُ :
وَيَطْرَحُنَ بِالْتَّنْرِ السَّخَالَ كَأَنَّمَا يَشَقُّنَ بِالْأَسْلَاءِ أُرْدِيَةَ الْعَصَبِ (٣)
وَقَالَ الشَّامِيُّ :

وَالْمَيْسُ دَامِيَةُ النَّائِمِ ضَمْرًا يَقْذِفُنَ بِالْأَسْلَاءِ تَحْتَ الْأَرْكَبِ (٤)

قَالَ الْفَرَّاءُ . سَقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ النَّدَامَةِ ، وَأَسْقَطَ لَفْظَانِ ، وَهِيَ بَنِيهِ الْفَاءُ كَثْرَ وَأَجُودَ . ١٠
وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي قَوْلِهِ : « يَمْدُبُ يَبْكَاءُ أَهْلَهُ عَلَيْهِ » وَجْهٌ آخَرٌ ؛ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى
أَنْ اللَّهُ تَعَالَى إِذَا أَعْلَمَهُ يَبْكَاءُ أَهْلَهُ وَأَعَزَّاهُ عَلَيْهِ وَمَا لَحَقَهُمْ بَعْدَهُ مِنَ الْحُزْنِ وَالْهَمِّ تَأَلَّمَ بِذَلِكَ ؛
فَكَانَ عَذَابًا لَهُ ؛ وَالْعَذَابُ لَيْسَ بِجَارٍ يَجْرَى الْعِقَابُ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى ذَنْبٍ مُتَقَدِّمٍ ؛
بَلْ قَدْ يُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا بِمَعْنَى يَسْتَعْمَلُ الْأَلَمَ وَالضَّرَرَ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ الْقَائِلَ قَدْ يَقُولُ لِمَنْ ابْتَدَأَ
بِالضَّرَرِ وَالْأَلَمَ : قَدْ عَذَّبْتَنِي بِكَذَا وَكَذَا ؛ كَمَا يَقُولُ : اضْرَرْتَنِي وَآلَمْتَنِي ؛ وَإِنَّمَا لَمْ يُسْتَعْمَلْ ١٥
الْعِقَابُ حَقِيقَةً فِي الْأَلَمِ الْبِتْدَاءِ مِنْ حَيْثُ كَانَ اسْتِمْقَاقُ لَفْظِهِ مِنَ الْمَقَابَةِ ، الَّتِي لَا بَدَّ مِنْ تَقْدِيمِ
سَبَبِ لَهَا ، وَلَيْسَ هَذَا فِي الْعَذَابِ .

(١) ف : ه الجمع . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : ه محمد بن حبيب الغفوي ، وحبيب

أُمِّهِ ؛ وَكَانَ وَلَدُ مَلَامَةٍ فَلَا يَمْدُبُ إِلَى أَبِيهِ . (٣) ديوانه : ٢٠٠ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف :

التنر : موضع الخفافة ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ هَاهُنَا مَوْضِعًا يَبِينُهُ ؛ يَصِفُ الْإِبِلَ بِالسَّكْدِ وَالْجَهْدِ ؛ حَتَّى طَرَحَتْ
أَوْلَادَهَا وَأَسْلَاهَا ، مَشْقُوقَةٌ ؛ وَشَبَّهَ الْأَسْلَاءَ فِي حَالِ انْتِفَاقِهَا عَنِ السَّخَالِ بِأُرْدِيَةِ مَنْ يَرُودُ الْيَمِينَ .

(٤) لم يرد البيت في ديوانه وفي حاشيتي الأصل ، ف : ه الميس : الإبل البيض . والناسم : مقدمة

الحنف . والأركب : جمرك ، والركب : جمركية ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْأَرْكَبُ بِمَعْنَى الرِّكْبَانِ .

تَأْوِيلُ خَبَرِ آخَرٍ

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي عليه السلام أنه قال : « ما من أحد يدخله عمله الجنة ، ويُنجيه من النار » ، قيل : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا ؛ إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل » ، يقولها ثلاثاً .

فقال : أو ليس في هذا دلالة على أن الله تعالى يتفضل بالثواب ، وأنه غير مستحق عليه ؟
• ومذهبكم بخلاف ذلك .

الجواب ، قلنا : فائدة الخبر ومعناه بيانُ فقرِ المكلفين إلى الله تعالى ، وحاجتهم إلى اللطافة وتوفيقاته ومعوناته ، وأن العبد لو أخرج إلى نفسه ، وقطع الله تعالى موادَّ المعونة [١١٥] واللفظ عنه لم يدخل / بعمله الجنة ، ولا نجا من النار ؛ فكأنه عليه السلام أراد أن أحداً لا يدخل الجنة بعمله الذي لم يُعنه الله تعالى عليه ، ولا لطف له فيه ، ولا أرشده إليه ؛ وهذا هو الحق الذي لا شبهة فيه ؛ فأما الثواب فما نأبى القول بأنه تفضل ؛ بمعنى أن الله تعالى تفضل بسببه الذي هو التكليف ، ولهذا نقول : إنه لا يجب على الله تعالى شيء ابتداءً ، وإنما يجب عليه ما أوجبه على نفسه ، فالثواب مما كان أوجبه على نفسه بالتكليف ؛ وكذلك التمكين والإلطف ، وكل ما يجلبه ويوجبه التكليف ، ولو لا إيجابه له على نفسه بالتكليف لما وجب .

فإن قيل : فقد سمى الرسول ما يُفعل به فضلاً فقال : « إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل » ، قلنا هذا يطابق ما ذكرناه ، لأن الرحمة النعمة والثواب نعمة ، وهو يُفضل من الوجه الذي ذكرناه ، وإن حملنا قوله عليه السلام : « برحمته منه وفضل » على ما يُفعل به من اللطاف والمعونات فهي أيضاً فضل وتفضل لأن سببها غير واجب .

فأما قوله عليه الصلاة والسلام : « يتغمدني » فمعناه يسترني ، يقال غمدت السيف في غمده إذا سترته ، قال الشاعر :

نصبنا رِماحاً فوقها جدُّ عامرٍ كظلِّ السماء ، كلُّ أرضٍ تنمداً

فَالْجَدَّ هَاهُنَا : الحظ ، وشبهه ماقسيم لعاصر من الغلبة والظفر بظل السماء الذي يسرُّ كل شيء ، ويظهر عليه .

أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيم قراءة عليه قال أُملي علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوي قال أخبرنا ابن الأعرابي قال : يقال للقوم إذا دعوت عليهم : بَهْرَهُمُ الله ، والبهور هو المسكروب ، وأنشدنا :

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَاءِ مَهَادَى بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَنْرَابٍ ^(١)
ثُمَّ قَالُوا : تَحِبُّهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى وَالتُّرَابِ ^(٢)

قال سيدنا أدام الله أيامه : وقد قيل في معنى قوله : « بَهْرًا » غير هذا الوجه .

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران الرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا القاسم بن ١٠ إسماعيل / قال حدثنا التوزي عن أبي عمرو الأسدي قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : عمر [١١٥] ابن إدريسة حجة في العربية ، وما أخذ عليه شيء إلا قوله :

* ثُمَّ قَالُوا : تَحِبُّهَا ؟ قُلْتُ : بَهْرًا *

وله فيه عذر إن أراد الخبر لا الاستفهام ، كأنهم قالوا : أنت تحبها ؛ على وجه الإخبار منهم لا الاستفهام ، فوكد هو إخبارهم بجوابه ، فهذا حسن . و « بَهْرًا » يجوز أن يكون أراد : ١٥ نعم حبًا بَهْرَنِي بَهْرًا ، ويكون أيضًا بمعنى « عَقْرًا وَتَعَسًّا » ، دعاء عليهم إذ جهلوا من حبه لها مالا يُجْهَل مثله ، وأنشد أبو عمرو :

(١) من قصيدة في الديوان ، مطلعها :

قال لي صاحبي لِيَعْلَمَ مَا بِي : أَتُحِبُّ الْقَتْلَ أَمْ أُحِبُّ الرِّبَابَ ؟

(٢) ف ، ومن نسخة بخطي الأصل ، ت : « عدد القطر » ، وفي الديوان : « عدد النجم » . و « بهرا » :

مصدر بمعنى الغلبة ؛ وكأنه قال : غلبني حبها واستولى علي .

لَحَا اللَّهُ قَوْمِي إِذْ يَسْمُونَ مُهْجَتِي بِجَارِيَةٍ ، بَهْرًا لَمْ يَدْخُلْهَا بَهْرًا^(١)
قال أبو عمرو: ويكون « بهراً » بمعنى « ظاهراً »؛ يريد جهاً ظاهراً، من قولهم: قرأ باهراً،
وقد روى بعض الرواة أنه قال:

* قيل لي: هل تحبها؟ قلت: بهراً *

والرواية الأولى هي الشهورة، ولعل من روى ذلك فر هذه الرواية من اللحن.
وهذان البيتان لعمر بن أبي ربيعة المخزومي، من جملة أبيات منها:

مَنْ رَسُولِي إِلَى الثَّرِيَّا بَأَى نِفْتُ ذَرْعًا بِهِ جَرَّهَا وَالْكِتَابِ^(٢)
وَهِيَ مَسْكُونَةٌ تَحْتَرُّ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْحَدِيدِ مَاءُ الشَّبَابِ
سَلَبْتَنِي مُجَاوِزَةَ السَّكِّ عَقْلِي فَسَاوَاهَا بِمَا يَحِلُّ اغْتِصَابِي
أَرْهَقْتُ^(٣) أُمُّ نَوْفَلٍ إِذْ دَعَا مُهْجَتِي، مَا لِقَاتِي مِنْ مَتَابِ
حِينَ قَالَتْ لَهَا: أَجِيبِي، فَقَالَتْ: مَنْ دَعَانِي؟ قَالَتْ: أَبُو الْخَطَّابِ
أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَاهِزِ تَهَادَى بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا: تَحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْرًا عَدَدَ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالْأَرَابِ

والثريّا هي التي عتّاها عمر أمويّة، وقد اختلف في نسبها، فقيل: إنها الثريّا بنت عبد
الله بن الحارث بن أمية الأصغر. أبو عبد شمس، وقيل: إنها الثريّا بنت علي بن عبد الله بن
الحارث بن أمية الأصغر. وذكر الزبير بن بكار أن الثريّا هي بنت عبد الله بن محمد

(١) البيت لابن مرّة، وهو في القسار (بهر)، والرواية فيه:

* تَفَاقَدَ قَوْمِي إِذْ يَسْمُونَ مُهْجَتِي *

وفي سواشي الأصل، ت، ف: « قوله: « بهراً لَمْ يَدْخُلْهَا بَهْرًا » يجوز أن يكون الضمير في
« بَدْخُلْهَا » لجارية؟ ويكون قد كرر « بهراً »، ويجوز أن يكون الضمير « لبهراً » الأولى؟ أي بهراً
لَمْ يَدْخُلْهَا بَهْرًا؟ وإنما أتت لأنها كلمة، وتكون الجملة التي هي « بَدْخُلْهَا بَهْرًا » في موضع الصفة لبهراً
الأولى، ويجوز أن يكون الضمير لفظة « أي البيعة » (٢) في حاشيتي ت، ف: « أي امتناعها من
الكتاب إلى، وقيل: هو يخلف بالمصنف » (٣) ت، ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ف: « أرهقت ».

ابن عبد الله بن الحارث بن أمية الأسدي ، وأنها أخت محمد بن عبد الله المعروف بابي جراب الميملي^(١) الذي قتله داود بن علي .

وأخبرنا أبو عبيد الله / قال حدثني محمد بن عبد الله^(٢) قال حدثنا أحمد بن يحيى [١١٦] عن الزبير بن بكار قال حدثني موسى بن عمر بن الأفلح قال : أخبرني بلال ، مولى ابن أبي عتيق في حديث طويل لعمر بن أبي ربيعة مع الثريّا اختصرناه وأوردنا بعضه قال : لما سمع ابن أبي عتيق قول عمر :

* من رسول إلى الثريّا بآتي *

قال : إياي أراد : وبى نوء ، لا جرم ! والله لا أذوق أكالا حتى أشخص إليه لأصلح بينهما ، فنهض ونهضت معه ، فجاء قوماً من بنى الدّيل بن بكر ، لم تسكن النجائب تفارقهم يسكرونها فأكثرى منهم راحلتين ، وأعلى لهم بهما ، فقلت له : استوضئهم شيئاً ، أو دغنى ١٠ أما كدّهم فقد اشتطوا ، فقال لي : ويحك ! أما علمت أن المكاس ليس من خلق الكرام ! وركب إحداها ، وركبت الأخرى ، فسار سيراً شديداً ، فقلت له : ارفق على نفسك ، فإن ما تريد لا يفونك ، فقال : ويحك !

* أبادر حبيل الود أن يتقضباً *

وما صلح الدنيا إن يتيم الصدّع بين عمر والثريّا ! قدّمنا مكة ليلاً غير محرمين ، فدق على ١٥ عمر بابي ، فخرج إليه فسلم عليه ، فانزل ابن أبي عتيق عن راحلته ، وقال لعمر : اركب أصلح بينك وبين الثريّا ، فأنا رسولك الذي سألت عنه ، فركب معه ، قدّمنا الطائف ، فقال ابن أبي عتيق للثريّا : هذاعمر ، قد جشمتني إليك سفر المدينة ، فجتتك به ، معترفاً بذنب لم يجنيه ، معتذراً من إساءتك إليه ، فدعيتني من التمداد والترداد ، فإنه من الشعراء الذين يقولون مالا يفعلون ؛ فصالحته أحسن صلح ، وكررتنا جميعين إلى المدينة ، ولم يقيم ابن أبي عتيق بمكة ساعة واحدة .

(١) في حاشيتي ت ، ف : دعبة : أم جارية ؟ وأمّية الصغرى ، وهم حمى من قريش ؟ يقال لهم : المبلات ؟ بالتحريك ، والنسبة إليهم مبل [يسكون الباء] رداً إلى الواحد لأن أمهم عبله .
(٢) ت : محمد بن إبراهيم ؟ وهو من رواة المزياني أيضاً ، وانظر الموشح : ٤٥ .

وفي الثريا يقول عمر أيضاً لما تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف؛ السكتنى بأبي
الأيض ، وقيل بل تزوجها سهيل بن عبد العزيز بن مروان :

أيها المنكحُ الثريا سُهَيْلاً عَمَرَكَ اللهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ! ^(١)
هي شاميةٌ إذا ما استَقَلَّتْ وسُهَيْلٌ إذا استَقَلَّ يَمَانِي



مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَغَشَّيْهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّيْهُمْ﴾؛ [طه : ٧٨] .
فَقَالَ: مَا الْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا غَشَّيْهُمْ﴾، وَقَوْلُهُ: ﴿غَشَّيْهُمْ﴾ لِيَدُلَّ عَلَيْهِ، وَيُسْتَفْنَى بِهِ
عَنْهُ، لِأَنَّ ﴿غَشَّيْهُمْ﴾ لَا يَكُونُ إِلَّا الَّذِي غَشَّيْهُمْ، وَمَا الْوَجْهَ فِي ذَلِكَ؟

قُلْنَا: قَدْ ذَكَرَ / فِي هَذَا أَجُوبَةً:

[١١٦]

أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: فَغَشَّيْهُمْ مِنَ الْيَمِّ الْبَعْضُ الَّذِي غَشَّيْهُمْ، لِأَنَّهُ لَمْ يَغَشَّيْهُمْ جَمِيعُ
مَائِهِ، بَلْ غَشَّيْهُمْ بَعْضُهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا غَشَّيْهُمْ﴾؛ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ الَّذِي غَرَّقَهُمْ بَعْضُ الْمَاءِ،
وَأَنَّهُمْ لَمْ يَغْرَقُوا بِجَمِيعِهِ؛ وَهَذَا الْوَجْهَ حُكِيَ عَنِ الْفَرَّاءِ، وَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ، وَاعْتَمَدَهُ،
وغيره أَوْضَحَ مِنْهُ.

وَالْيَمُّ هُوَ الْبَحْرُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

وَبَنَى تَبَعٌ عَلَى الْيَمِّ قَصْرًا عَالِيًا مُشْرِفًا عَلَى الْبُنْيَانِ ١٠

وَتَانِيهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: فَغَشَّيْهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشَّى مُوسَى وَأَصْحَابَهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ وَأَصْحَابَهُ، وَفِرْعَوْنَ وَأَصْحَابَهُ سَلَكَوا جَمِيعًا الْبَحْرَ، وَغَشَّيْهُمْ كَأَنَّهُمْ؛ إِلَّا أَنَّ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ
لَمَّا غَشَّيْهُمْ غَرَّقَهُمْ، وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمُهُ جُعِلَ لَهُمْ فِي الْبَحْرِ طَرِيقٌ يَدَسُّ، فَقَالَ تَعَالَى:
﴿فَغَشَّى فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنْ مَاءِ الْيَمِّ مَا غَشَّى مُوسَى وَقَوْمَهُ، فَنَجَّا هَؤُلَاءِ، وَهَلَكَ هَؤُلَاءِ﴾.
وَعَلَى هَذَا الْوَجْهِ وَالتَّأْوِيلِ تَكُونُ الْمَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿مَا غَشَّيْهُمْ﴾ كِنَايَةً عَنْ غَيْرِ مَنْ كُنِيَ ١٥
عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَغَشَّيْهُمْ﴾؛ لِأَنَّ الْأَوَّلَى كِنَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَالثَّانِيَةُ كِنَايَةً عَنْ مُوسَى
وَقَوْمِهِ.

وَتَالِثُهَا أَنَّهُ غَشَّيْهُمْ مِنْ عَذَابِ الْيَمِّ وَإِهْلَاكَ لَهُمْ مَا غَشَّى الْأُمَمَ السَّالِفَةَ مِنَ الْعَذَابِ

والهلاك عند تكذيبهم أنبياءهم ، وإقامتهم على رد أقوالهم والعدول عن إرشادهم ، والأمم السالفة ؛ وإن لم يغشهم العذاب والإهلاك من قبل البحر ، فقد غشيتهم عذاب وإهلاك استحقوها بكفرهم وتكذيبهم أنبياءهم ، فشبه بينه وبين هؤلاء من حيث اشتغال العذاب على جميعهم عقوبة على التكذيب .

٥ ورابعها أن يكون المعنى : فغشيتهم من قبل اليم ما غشيتهم من العطب والهلاك ؛ فتكون لفظة ﴿ غَشَّيَهُمْ ﴾ الأولى للبحر والثانية للهلاك والعطب اللذين لحقاهم من قبل البحر .

ويمكن في الآية وجه آخر لم يذكر فيها ، يليق بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ ، وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى : ﴿ مَا غَشَّيَهُمْ ﴾ تعظيم الأمر وتفخيمه ؛ كما يقول القائل : فعل فلان ما فعل ، وأقدم على ما أقدم ، إذا أراد التفخيم وكما قال تعالى : ﴿ وَفَعَلَتْ فَمَلَّتْكَ [١١٧] ﴾ [الشعراء : ١٩] ، وما يجري / هذا الجرى ؛ ويدخل في هذا الباب قولهم للرجل : هذا هذا ، وأنت أنت . وفي القوم : هم هم ؛ قال الهذلي^(١) :

رَفَوْنِي وَقَالُوا : يَا خَوَيْلِدُ لَا تُرْعَ فَقُلْتُ ، وَأَنْكَرْتُ الْوُجُوهَ : هُمْ هُمْ^(٢)
وقال أبو النجم :

* أَنَا أَبُو النَّجْمِ ، وَشِعْرِي شِعْرِي^(٣) *

١٥ كل ذلك أرادوا تعظيم الأمر وتكبيره :

(١) هو أبو خراش الهذلي . (٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٤٤ . ورفوني : سكنوني ، وأصلها : « رفوني » ، بالهمز . (٣) معاهد التنصيص ، وبعده :

* لِلَّهِ دَرِّي مَا يُجِينُ صَدْرِي *

تأويل آية أخرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾؛ [النحل: ١٦] فقال: ما الفائدة في قوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾؛ وهو لا يفيد إلا ما يفيد قوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾؛ لأنَّ مع الاختصار على القول الأول لا يذهب وَهُمْ أَحَدٌ إلى أن السقف يخرُّ من تحتهم؟

الجواب، قيل له في ذلك أجوبة:

أولها: أن يكون «على» بمعنى «عن»، فيكون المعنى: فخرَّ عنهم السقف من فوقهم؛ أي خرَّ عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته، كما يقول القائل: اشتكى فلان عن دواء شربه، وعلى دواء شربه، فيكون «على» و«عن» بمعنى من أجل الدواء؛ كذلك يكون معنى الآية فخرَّ من أجل كفرهم السقف من فوقهم؛ قال الشاعر:

أرْمِي عَلَيْهَا وَهِيَ فَرْعٌ أَجْمَعُ وَهِيَ ثَلَاثُ أَذْرُعٍ وَاسْتَبَعُ ١٠

أراد: أرمي عنها؛ لأن كلام العرب: رميت عن الفوس، فأقام «على» مقام «عن»، ولو أنه قال تعالى على هذا المعنى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾، ولم يقل ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ جاز أن يتوهم متوهم أن السقف خرَّ وليس هم تحته.

وثانيها: أن يكون «على» بمعنى اللام؛ والمراد: فخر لهم السقف؛ فإن «على» قد تقام

مقام اللام؛ وحكى عن العرب: ما أغيظك على! وما أغمك على! يريدون: ما أغيظك، وما أغمك لي!، قال الطرماح يصف ناقة:

كَأَنَّ مُخَوَّاهَا عَلَى كَفِّنَاتِهَا مُعْرَسُ خَمْسٍ وَقَعَتْ لِلْجَنَاحِينَ^(١)

(١) ديوانه: ١٦٨. يقال: خوى البعير؛ إذا نجافى في بروكه ومكن لفنائه، والنفات: جمع نمة؛

وهو من البعير ركبته، وماس الأرض من كركرته وأصول أفضاده، والعريس: محل التعريس، وهو النزول منه

أراد: وَقَعْتُ عَلَى الْجَنَاحَيْنِ ؛ وهى عظام الصدر ، فَأَقَامَ اللام مقام «على» .

وقد يقول القائل أيضا : تداعتْ عَلَى فلان دارُهُ ، واستهدم عليه حائطُهُ ، ولا يريد أنه كان تحته ؛ فأخبر تعالى بقوله : ﴿ مِنْ قَوْفِهِمْ ﴾ عن فائدة ؛ لولاه ما فهمت . ولا جاز أن يتوهم مُتَوَهِّمٌ فى قوله تعالى : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ ﴾ ما يتوهمه من قوله : خرب عليه رَبْعُهُ ، ووقفتْ عليه دابَّتُهُ ، وأشباه ذلك .

[١١٧] وللرب فى هذا مذهب ظريف لطيف ؛ / لأنهم لا يستعملون لفظة «على» فى مثل هذا ^ط
الموضع إلا فى الشرِّ والأمر المكروه الضارِّ ، ويستعملون اللام وغيرها فى خلاف ذلك ؛ ألا ترى أنهم لا يقولون : عَمَرَتْ عَلَى فلان ضيعتُهُ ، بدلا من قولهم : خربت عليه ضيعته ، ولا ولدَتْ عليه جاريته ؛ بل يقولون : عَمَرَتْ لَهُ ضيعته ، وولدتْ لَهُ جاريته ؛ وهكذا من شأنهم إذا قالوا : «قال على» ؛ و «روى على» ؛ فإنه يقال فى الشرِّ والكذب ، وفى الخير والحق ؛ يقولون : «قال عَنِّي» و «روى عَنِّي» ؛ ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ﴾ ؛ [البقرة : ١٠٢] ، لأنهم لما أضافوا الشرِّ والكفر إلى مُلْكِ سليمان حَسُنَ أن يقال : «يتلون عليه» ، ولو كان خيرا ل قيل عنه ، ومثله ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ؛ [آل عمران : ٧٥] ، وقوله : ﴿ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالًا تَعْلَمُونَ ﴾ ، [يونس : ٦٨] ؛ وقال الشاعر ^(١) :

عَرَضْتُ نَصِيحَةً مِّنِّي لِيَحْيَى فقال : غَشَشْتَنِي ، والنَّصِيحُ ^(٢) مُرٌّ
وما بى أن أكونَ أُعِيبُ بِحْيَى ويَحْيَى طَاهِرُ الْأَخْلَاقِ بَرٌّ

= آخر الليل . وفى حاشية الأصل : « يعنى كأن تجاوز أعضاءها المتجافية عند البروك معرس خمس أنوف » ؛
والبيت برواية القالى (الأمالى ٣ : ١٦٥) :

لَهَا بَفَرَاتٌ تَحْتَهَا وَقَصَارَهَا عَلَى مَشْرِعَةٍ لَمْ تَمْتَلِقْ بِالْمُحَاجِرِينَ

(١) فى حواشى الأصل ، ت ، ف ؛ « كان رجل من بنى حنيفة يقال له يحيى ، يحيى إلى امرأة يقال لها بقاء فى قرية من قرى البصرة ، فنهاه ابن أوطاة الأعرجى عنها ، فلم يقبل إلى أن رصده فخرج ، فقال الأعرجى : عرضت ... الأبيات » . (٢) الأبيات فى السكامل ١ : ١٥٨ - بشرح المرسى .

ولكن قد أناني أن يحى يقال عليه في بقعاء^(١) شره
فقلت له : تجنب كل شيء يماب عليك ، إن الحر حر
ومثله قول الفرزدق في عنبسة بن معدان المروف بعنيسة الفيل - وقد كان يتتبع شعره
ويخطئه ويلحنه :

لقد كان في معدان والفيل زاجر
لعنيسة الراوى على القصائد
فقال : « على » ولم يقل : « عنى » للمعنى الذى ذكرناه .

وثالث الوجوه أن يكون « من فوقهم » تاء كيداً للكلام وزيادة في البيان ، كما قال تعالى :
« وَلَكِنْ نَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ » ؛ [الحج : ١٦] ، والقلب لا يكون إلا في
الصدر ؛ ونظائر ذلك في الكتاب وكلام العرب كثيرة^(٢) .

(١) حواشى الأصل ، ت ، ف : « بقعاء في البيت : اسم امرأة . وبقعاء : ماء بالبادية ، قالت
امرأته من العرب :

وَمَنْ يُهْدِي مِنْ مَاءٍ بَقْعَاءَ شَرِبَهُ فَإِنَّ لَهُ مِنْ مَاءٍ لَيْنَةً أَرْبَعًا
لَقَدْ زَادَتْنِي حُبًّا لِبَقْعَاءَ أَنْنِي رَأَيْتُ مَطَايِنًا بِلَيْنَةٍ ظُلْمًا
فَمَنْ مُبْلِغٌ أُخْتِي بِالرَّمْلِ أَنْنِي بَكَيْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ بَعِيْنِي مَذْمَعًا !
- بقعاء ماؤها زعاق ، وماء لينة عذب ، وإنما تشكو لينة ؛ لأن زوجها حملها إليها وهو عين ،
فذلك قولها :

« رَأَيْتُ مَطَايِنًا بِلَيْنَةٍ ظُلْمًا »

ومثله :

تَظَلُّ الْمَطَايَا حَائِدَاتٍ عَنِ الْهَدَى إِذَا مَا الْمَطَايَا لَمْ تَجِدْ مَنْ يُقِيمُهَا
(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « من ذلك قوله تعالى : « وَلَا طَائِرُ يَبْطِرُ بِجَنَاحَيْهِ » ،
وقوله عز من قائل : « فَمِائِمٌ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ ، ذَلِكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ » .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه نافع عن أبي إسحاق الهجري عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا مأدبته ما استطعتم ؛ وإن أصفر البيوت لجوف^(١) » أصفر من كتاب الله تعالى » فقال : ما تأويله ؟ وكيف بيان غريبه ؟ .

[١١٨] الجواب ؛ قلنا : المأدبة في كلام العرب هي الطعام ، يصنعه^(٢) الرجل ويدعو / الناس إليه ؛ فشبّه النبي صلى الله عليه وآله ما يكتسبه الإنسان من خير القرآن ونفعه وعائده عليه إذا قرأ وحفظه ؛ بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به ؛ يقال : قد أدب الرجل يأدب فهو أدب ؛ إذا دعا الناس إلى طعامه . ويقال للمأدبة المدعاة ؛ وذكر الأحمر أنه يقال فيها أيضا : مأدبة ، بفتح الدال ؛ قال طرفة :

١٠ نَحْنُ فِي الْمَشَاةِ نَدْعُو الْجَفَلَى لَا تَرَى الْأَدِبَ فِينَا يَنْتَقِرُ^(٣)
ومعنى « الجفلى » أنه عمّ بدعوته ولم يخص بها قوماً دون قوم ، والنقري إذا خص بها بعضاً دون بعض ، ومعنى « ينتقر » من النقري ؛ قال بعض هذيل :

وَلَيْلَةُ يَصْطَلِي بِالْفَرثِ جَارِهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمَثْرِينَ دَاعِيهَا^(٤)
لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ عِنْدَ الصَّبَاحِ وَلَا تَسْرِى أَقَاعِيهَا
١٥ معنى « يَصْطَلِي بِالْفَرثِ جَارِهَا » أن الجار إذا شقّ فيها الكيرش أدخل يده لشدة البرد في الفرث مستدفئاً به . ومعنى : « يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمَثْرِينَ دَاعِيهَا » ؛ أنه يخص بدعائه إلى طعامه الأغنياء الذين يطعم من جهتهم في المكافأة ، وقال الآخر :

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ليت » . (٢) ت : « يصنعه » .

(٣) ديوانه ٦٨ : (٤) البيتان من مقطوعة في (ديوان الهذليين ٣ : ١٢٦) ، منسوبة إلى جنوب

في رثاء أخيها عمرو ذي الكلب .

قَالُوا ثَلَاثَاوُهُ خِصْبٌ وَمَادُّةٌ فَكُلُّ أَيَّامِهِ يَوْمُ الثَّلَاثَاءِ

وقال الهذلي^(١) يصف عُقَابًا :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ فِي جُوفٍ وَكِرْمَا نَوَى الْقَصْبِ يُلْقَى عِنْدَ بَعْضِ الْمَادِّ^(٢)
أراد جمع مَادُّة .

وقد روى هذا الحديث بفتح الدال « مَادُّة » ، وقال الأحرار : المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم .

وقال غيره : المَادُّة ، بفتح الدال « مَفْعَلَةٌ » من الْأَدَب ؛ معناه أن الله تعالى أنزل القرآن أَدَبًا لِلْخَلْقِ ، وتقويماً لهم ، وإنما دخلت الماء في مَادُّة ومَادَّة ، والقرآن مذكراً ، لمعنى البالغة ؛ كما قالوا : هذا شراب مَطْيِيَّةٌ لِلنَّفْسِ ؛ وكما قال عنزة :

• وَالْكَفَرُ مَحْبَثَةٌ لِأَنْفُسِ النَّعِيمِ^(٣) •

وجرى ذلك مجرى قولهم : رجلٌ عَلَامَةٌ ونِسَابَةٌ / في باب المدح على جهة التشبيه بالداهية ، [١١٨] ورجلٌ هِلْبَاجَةٌ^(٤) في باب النّم على جهة التشبيه بالبهيمة . ويقال لطعام الإملاك : وَلِيْمَةٌ ، ولطعام الخِثَانِ : الْمَذِيرَةُ ، ولطعام الرِّقَافِ : الرُّسُ ، ولطعام بناء الدار : الْوَكِيرَةُ ، ولطعام حَلَقِ^(٥) الشجر : الْمَقِيقَةُ ، ولطعام القادم من السفر : النَّقِيقَةُ ، ولطعام النَّفَاسِ : الْخُرْسُ ، والذي تُطْعَمُهُ النَّفَسَاءُ : الْخُرْسَةُ ، قال الشاعر :

إِذَا النَّفَسَاءُ لَمْ تُخْرَسْ يَكْرَهَا غُلَامًا وَلَمْ يُسَكَّ بِحِثْرٍ فَطِيمُهَا^(٦)
الحِثْرُ : الشيء القليل ، وقال آخر :

(١) هو صفوان بن يحيى . (٢) ديوان الهذليين ٢ : ٥٥٥ ، والقصب : القمر اليابس يفتت في الفم .

(٣) من المعلقة ، ص ٢٠١ — بشرح التبريزي ؛ وصدره :

• فَبُذِّتُ عَمْرًا غَيْرَ شَأْنٍ كَرِيٍّ نَعْمَتِي •

(٤) الهلباجة : القدم الضخم الأكل . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « حلق الرأس » .

(٦) ت : « د بخت » والبيت للأعلم الهذلي ؛ كما في اللسان (خرس — حتر) ، وهو أيضاً في الفاييس

٢ : ١٦٧ ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « كأنه بصف سنة » ، وأن النفساء النفوسمة بالبكر الغلام

لاخرس ، ولا يسكت لطيمها بأذن نبي . . .

كَلَّ الطَّعَامُ تَشْتَهَى رَبِيعَهُ الْخُرْسُ وَالْإِعْذَارُ وَالنَّقِيعَةُ^(١)

ويروى: «الرُّس». ويُشَدُّ أيضاً في النقيعة قول الشاعر:

إِنَّا لَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رُءُوسَهُمْ ضَرْبَ الْقُدَارِ نَقِيعَةَ الْقُدَامِ^(٢)

والقدار: الجزأ. والقُدَام: جمع قادم.

وقال أبو زيد: يقال لطعام الإملاك: النقيعة، ولطعام بناء الدار: الوَكِيرة، ولطعام

الخيّان: الإِعْذار والمَذيرة.

وقال الفراء: الشُّدْخِي^(٣): طعام الإملاك، والوليمة: طعام الرُّس.

وقال أبو زيد: يقال من النقيعة نَقَعْتُ. وقال الفراء: منها أَنْقَعْتُ.

وقال ابن السكّيت: يقال للطعام الذي يُتَمَلَّلُ به قُدَامُ الغدَاءِ: الشُّنْفَةُ واللُّهْنَةُ؛ يقال:

١٠ الأسمى: فلان لهَنُواضِيْفَكُم، أى أَطْعَمُوهُ اللُّهْنَةَ، قال الشاعر:

عُجِيزٌ عَارِضُهَا مُنْفَلٌ طَعَامُهَا اللُّهْنَةُ أَوْ أَقْلٌ^(٤)

وقال ابن السكّيت: يقال فلان يأكل الوَزْمَةَ إذا كان يأكل أكلةً في اليوم. وقال

يأكل الوجبة، إذا كان يأكل في اليوم واللييلة أكلة، قال بشار:

فَاسْتَفَنَ بِالْوَجَبَاتِ عَنْ ذَهَبٍ لَمْ يَبْقَ فِيهِ لَأَمْرِي ذَهَبَةٌ

١٥ وقال ابن السكّيت: قال الأسمى لرجل أسرع في سيره: كيف كان سيرك؟ فقال:

(١) البيتان في اللسان (خرس).

(٢) البيت في اللسان (قدر)، ونسبه إلى المهمل، وفي حاشية الأصل: «هذا من باب تسمية

الشيء بما يشبه إليه؛ أى اللحم الذي يصير نقيعاً؛ كقوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَأَيْتُ أَغْصِرُ خُرّاً﴾.

(٣) ت: «الشندخي»، بضم الشين وفتح الدال، وفي د، وحاشية ت (من نسخة):

«الشندخي»، بضم الشين مع الألف المقصورة، وفي ج، ش: الشندخي، بفتح الشين

وضم الدال. وفي حواشي الأصل، ت، ف: «رواه الأزهري المروى عن الفراء «الشندخي»،

وهو الصحيح، وقال: هو طعام البناء». (٤) البيتان في اللسان (فلل)؛ والثاني في اللسان أيضاً

(لهن)، ونسبه إلى عطية الديبري. المعارض: السن التي في عرض الفم، وانقل: تكسر.

كنت آكلُ الوجبة، وأنجو الوقمة، وأعرسُ إذا أفجرتُ، وأرتحل إذا أسفرت، وأسير
الوضع، واجتنب / المذم، فخشكم لمسى سبغ .

[١١٩]
و

قوله : « أنجو الوقمة » ، معناه أقضى حاجتى مرة في اليوم، وهو من النجو .

وقوله : « أسير الوضع » ، فالوضع : سيرٌ فيه بعض الإسراع ، والمذم : سيرٌ أشد منه ،

فأراد أنه يجتنب الشديد من السير ؛ كراهة أن يقف ظهره قبل أن يباغ الأرض التي
يقصد لها ؛ ويقال : شرَّ السير الحفحة ، أى السير الحديد^(١) الذى يقطع صاحبه عن بلوغ
بغيتته ، قال الشاعر :

إِذَا مَا أَرَدْتَ الْأَرْضَ ثُمَّ تَبَاعَدْتَ عَلَيْكَ فَضَعُ رَحْلِ الطَّيِّةِ وَانْزِلِ

أى استرح حتى تقوى على السير ، فإن جهدت نفسك لم تقطع أرضاً ، ولم تبقر ظهراً ؛

وهذا من أبيات المعاني التى يُسأل عنها ، والذى قيل فيه ما ذكرناه . ويمكن أن يكون معنى
البيت : إذا بعدت عليك أرضٌ فدعها واسأل عنها ؛ كما يقال : دواء ما عزَّ مطلبه العسر ؛
وما جرى مجرى ذلك من ألقاظ التسلية ؛ والأمر بالعدول عن تتبع ما صعب من الأمور^(٢) .
وقال الآخر فى معنى البيت الأول :

نَقَطْعُ بِالْزُّوْلِ الْأَرْضَ عَنَّا وَبُعْدُ الْأَرْضِ يَطْعُهُ الزُّوْلُ

١٥

وقوله : « لمسى سبغ » ، معناه مساء سبع ليال .

ويقال للذى يحضر طعام القوم من غير أن يدعوه إليه : الوارش والوروش .

وقول العامة : طُفَيْلٌ مؤنث لا يوجد فى العتيق من كلام العرب ، وأصل ذلك أن رجلاً يقال
له طُفَيْلٌ ، كان بالكوفة لا يفقد من وليمة من غير أن يدعى إليها ، ف قيل للوارش : طُفَيْلٌ ؛ تشبيهاً
بطُفَيْل هذا فى وقته .

(١) ت ، د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « الشديد » .

(٢) حواشى الأصل ، ت ، ف : « مثله : أرخص ما يكون اللفظ إذا غلب ؛ يعنى أنه لا يشرى فيه يكون

ويقال للذي يحضر شراب القوم من غير أن يدعى إليه واغل؛ قال امرؤ القيس :

فاليوم فاشرب غير مستحقب إنما من الله ولا واغل^(١)

ويقال لما يشربه الواغل : الوغل ، قال الشاعر :

إنك مسكير أفلا شرب السوغل ولا يسلم مسنى البعير^(٢)

وقوله صلى الله عليه وآله : « إن أصفر البيوت لجوف أصفر من كتاب الله » ، معناه : [١١٩] أخلى البيوت ؛ والصفر عند العرب : الخالى ؛ من الآنية وغيرها . ويمكن في قوله : « مأدبة » وجه آخر ؛ وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن بالمأدبة وتسميته بها من حيث دعا الخلق إليه ، وأمرهم بالاجتماع عليه ، فسماه عليه السلام « مأدبة » لهذا الوجه ، لأن المأدبة هي التي يدعى الناس إليها ، ويجتمعون عليها ؛ وهذا الوجه يخالف الأول ، لأن الأول تضمن أن وجه التشبيه من حيث النفع المائد على الحافظ للقرآن كما ينتفع المدعو إلى المأدبة بما يصيبه من الطعام . وهذا الوجه الآخر تضمن أن التشبيه وقع لاجتماع الناس في الدعاء إليه ، والإرشاد إلى إصابته . وليس يبعد أن يريد عليه السلام بالخبر العنيتين معاً ، فلا تنافى بينهما^(٣) .

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم قال :

(١) ديوانه : ١٥٠ ، والرواية فيه :

* فاليوم أسقى غير مستحقب *

وفي حاشية ت (من نسخة) :

* فاليوم أشرب غير مستحقب *

(٢) اللسان (وغل) ، ونسبه لعمرو بن قيس . (٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « ويمكن أن يكون في معنى الخبر وجه آخر ، وهو أنه عليه السلام إنما شبه القرآن بالمأدبة لا اشتمات عليه المأدبة من أنواع الأطعمة ، من الحلو والحامض والمالح وغير ذلك مما لا يكون في غير المآدب ، فكذلك القرآن يشتمل على أنواع من العلوم لا توجد في غيره ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ، وهذا وجه عن الشيخ الإمام جمال الدين أبي الفتوح الرازي رحمه الله في أثناء الدرس ، وهو أقرب وأشبه من الوجهين المذكورين . »

كُنَّا فِي مَجْلِسِ الْأَصْمَعِيِّ إِذْ أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : أَيْنَ عَمِيدُكُمْ ؟ فَأَشْرَفْنَا إِلَى الْأَصْمَعِيِّ ، فَقَالَ لَهُ :
مَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لَا مَالَ إِلَّا الْعِطَافُ تُؤْزِرُهُ^(١) أُمُّ ثَلَاثِينَ وَابْنَةُ الْجَبَلِ^(٢)
لَا يَرْتَقِي النَّزُّ فِي ذَلَالِهِ وَلَا يُمَدِّي نَعْلَيْهِ مِنْ بَلَلٍ^(٣)

فَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ :

عُصْرَتُهُ نُطْفَةٌ تَضُمُّهَا لِصْبٌ تَلْقَى مَوَاضِعَ السَّبَلِ
أَوْ وَجِبَةٌ مِنْ جَنَاءٍ أَشْكَلُهُ إِنْ لَمْ يَرُغْهَا بِالْقَوْسِ لَمْ تُنَلِّ^(٤)
قَالَ : فَأَدْبَرَ الْأَعْرَابِيُّ وَهُوَ يَقُولُ : لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ عُصْلَةً^(٥) .

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : إِنَّمَا وَصَفَ رَجُلًا خَائِفًا فِي رَأْسِ جَبَلٍ ؛ يَقُولُ : لَا مَالَ لَهُ إِلَّا الْعِطَافُ -
وَهُوَ السَّيْفُ - تُؤْزِرُهُ أُمُّ ثَلَاثِينَ ؛ يَعْنِي كَثَانَةً فِيهَا ثَلَاثُونَ سَهْمًا . وَابْنَةُ الْجَبَلِ ؛ يَعْنِي الْقَوْسَ ،
لَأَنَّهَا تَعْمَلُ مِنْ شَجَرِ الْجِبَالِ مِثْلَ النَّبْعِ وَغَيْرِهِ .
وَقَوْلُهُ : « لَا يَرْتَقِي النَّزُّ فِي ذَلَالِهِ » ، لِأَنَّهُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ ؛ فَلَا نَزَّ هُنَاكَ يَتَعَلَّقُ بِمَا يَفْضُلُ
مِنْ ثِيَابِهِ ، وَلَا بَلَلٌ يُمَدِّي نَعْلَيْهِ عَنْهُمَا .

وَالْعُصْرَةُ : الْمَلْجَأُ . وَالنُّطْفَةُ : الْمَاءُ الْمُجْتَمِعُ فِي صَخْرٍ أَوْ غَيْرِهِ مِنْ بَقِيَّةِ مَاءِ الْمَطَرِ . وَاللِّصْبُ :
الشَّقُّ فِي الْجَبَلِ أَضْيَقُ مِنَ اللَّهَبِ^(٦) وَأَوْسَعُ مِنَ الشَّعْبِ . وَالسَّبَلُ : الْمَطَرُ .
وَالْوَجِبَةُ : أَنْ يَأْكُلَ كُلُّ يَوْمٍ مَرَّةً . وَالْأَشْكَلُ : السَّدْرُ الْجَبَلِيُّ ، وَاحِدُهُ أَشْكَلَةٌ ؛ يَقُولُ :

(١) الْآيَاتُ فِي اللِّسَانِ (عَطَفٌ) ، وَرَوَى عَنْ نَعْلَبِ أَنَّهَا فِي وَصْفِ صَمْلُوكَ . وَفِي حَوَاشِي الْأَصْلِ ،
ت ، ف : « أَوَّلُ الْعِطَافِ الرِّدَاءُ ؛ فَشَبَّهَ بِهِ السَّيْفَ » ، وَتُؤْزِرُهُ : تَعْنِيهِ .
(٢) النَّزُّ : الْمَاءُ الَّذِي يَتَحَلَّبُ مِنَ الْأَرْضِ وَالذَّلَازِلِ ؛ أَسَافِلُ الْغَمِيمِ الطَّوِيلِ . (٣) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ
(مِنْ نُسْخَةٍ) : « يَرُغُّهَا » يَفْتَحُ الْبَاءَ وَضَمَّ الرَّاءَ ، وَفِيهَا : « أَرَاغُ مَعْنَاهُ طَالِبٌ ، وَرَاغٌ : مَالٌ ؛ يُقَالُ :
رَاغٌ إِلَيْهِ ؛ لِحَذْفِ حَرْفِ الْجُرِّ ، وَأَوَّصِلَ الْفِعْلُ ؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ نَعَالِي : ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴾ .
(٤) الْعُصْلَةُ : الدَّاهِيَةُ ؛ يُقَالُ : فَلَانٌ عُصْلَةٌ وَعُصْلٌ ، أَيْ شَدِيدٌ دَاهِيَةٌ .
(٥) الْإِهْبُ : الطَّرِيقُ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ .

[١٢٠] فهذه النطفة والوَجْبَةُ من الأشكَلَةِ / عُصْرَتَاهُ . وقوله : « إن لم يُرَغِّها بالقوس » ؛ بمعنى أنها لا تُنَالُ باليد حتى تُحَرِّكَ بالقوس .

قال سيدنا أدام اللهُ علوهُ : وإنما جعل الأسمعىَ إنشاد باقي الأبيات دلالة على معرفة معناها ؛ لأنه يبعد أن يعرفها ولا يعرف معناها ، والأعرابي إنما سأل عن المعنى ، فأقام إنشاده لها مقامَ تفسيرها ، واستغنى الأعرابي بذلك وعلم بإتمامه للأبيات معرفته بمعانيها .

وكان الأسمعى كثيرا إذا أنشد شيئا من الشعر يُنشد في معناه في الحال ، فمن ذلك أن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنشده يوما لنفسه :

إذا كانتِ الأحرارُ أصلي ومَنْصبي وقامَ بنصري خازِمَ وابن خازمِ
عَطَسْتُ بأنفٍ شامخٍ وتناولتُ يدَيَّ الثريا قاعِدًا غيرَ قائمِ

قال : فلما فرغتُ من إنشادها أنشد بعقب ذلك :

ألا أيُّها السائلُ جاهِلًا لِيَمْرِفَنِي ، أنا أنفُ الكرمِ
نَمْتُ في الكِرامِ بنى عامر^(١) فرُوعى وأصلى قَرِيشُ العجم^(٢)

قال : فجاء والله بالشعر الذي نحوه وعملتُ بيتي عليه .

وأخبرنا أبو عبيد الله المَرْزُبَانِي قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال : ما أنشدت الأسمعى شيئا قط إلا أنشدني مثله ؛ كأنه أعدّه لي ، فأنشدته يوما للأعشى :

عُلِّقَتْهَا عَرَضًا وَعُلِّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ^(٣)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) :

* نَمْتُ فِي الْكِرَامِ بَنُو عَامِرِ *

(٢) حاشية الأصل : * يقول : أصلى قريش الذين يسكنون بلاد العجم وفرعى بنو عامر ؛ كأن أباه

فرعى وأمه عامرية . (٣) ديوانه : ٤٣ ، وفي حاشية الأصل : « أي عشتها اعتراضا لا قصدا واعتزاما ، ومثله :

جُنُنْتُ بِلَيْلِي وَهِيَ جُنْتُ بِغَيْرِنَا وَأُخْرَى رَبَّنَا بِجُنُونَةٍ لَا تُرِيدُهَا

فأنشدني من وقته :

قَتَلْتِكَ أُخْتُ بَنِي لُؤْيٍ إِذْ رَمَتْ وَأَصَابَ نَبْلُكَ إِذْ رَمَيْتَ سِوَاهَا^(١)
وَأَعَارَهَا الْحَدَثَانُ مِنْكَ مَوَدَّةً وَأَعَارَ غَيْرَكَ وَدَّهَا وَمَوَاهَا

وذكر أبو العيناء قال: كان الأصمعي إذا سمع إنسانا يُنشد شعراً في معنى أنشد في ذلك

المعنى من غير أن يُريه أنه أراد ، فأنشده رجل قول القطامي :

/ والناسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي ، وَلَا مِثْلَ الْمُخْطِئِ الْهَبْلِ^(٢) [١٢٠]

فأنشد هو قول قعنب الفرزاري :

فَمَنْ يَلْقَى خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَفْجُرْ لَا يَعْدَمُ عَلَى النِّمَى لَأَمَّا^(٣)

وروي ميمون بن هارون قال : سمعت إسحاق بن إبراهيم يقول: أنشدت الأصمعي قول

الأعشى ، طلباً أن ينشدني مثله - وكان مع بحله بالعلم لا يضمن بمثل هذا :

إِنْ تَرَوْا كَبُورَ فَرْكُوبِ الْخَيْلِ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعَشَرُ نَزْلِ^(٤)

فأنشدني لربيعة بن مقروم الضبي .

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم أو ظفة القوائم هيكل^(٥)

فدعوا نزال ، فكنت أول نازل وعلام أر كبه إذا لم أنزل !

وروي عن إسحاق بن إبراهيم أيضاً أنه قال : دخل يوماً إلى الأصمعي ، وعندي أخ ١٥

(١) البيتان لعمد بن الرقاع ؛ وهما في مجموعة الطرائف ٩٢ ، ومعجم البلدان ٨ : ٢٠٤ .

(٢) جهرة الأشعار : ٣٠٣ ؛ وفي حاشية الأصل : « يقول : من أصاب مالا قيل له ما يشتهي ولا

يخالف ، ومن تجاوزه المال خواف في كل شيء ، وابن س . » (٣) كذا ذكره المؤلف ؛ ونسبه المفضل الضبي

إلى المرقش الأصغر ، وانظر المفاتيح : ٢٤٧ (طبعة المعارف) . (٤) ديوانه : ٤٨ ، وروايته :

« قَالُوا الرُّكُوبَ فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا »

(٥) خزانة الأدب ٣ : ٥٦٥ . الأوظفة : جمع وظيف ، وهو مستدق الذراع والساق من الخيل .

والهيكل : الضخم المعروف .

للعمانيّ الراجز، حافظ راوية، فلما دخل عبث به أخو العماني^(١)، فقال له: من هذا؟ قال: هو الباهليّ الذي يقول^(٢):

فما صحفة مأدومة يا هالة بأطيب من فيها ولا أقط رطب^(٣)

فقال له قبل أن يستتم كلامه: هو على كلّ حال أصلح من قول أخيك العمانيّ:

ياربّ جارية حوراء ناعمة كأنها عومة في جوف راقود^(٣) .

قال إسحاق: فقات له: أكنت أعددت هذا الجواب؟ قال: لا، ولكن ما مرّ بي شيء إلا وأنا أعرف منه طرفاً.

(١-١) من نسخة بحاشيتي الأصل، ت: « فقال: من هذا الباهليّ الذي يقول » .

(٢) الصحفة: قصّة دون الجفنة . والإهالة: الشحم المذاب . والأقط: شيء يتخذ من الخبيض الغني .

(٣) حواشي الأصل، ت، ف: « العومة: دويبة تسبح في الماء، كأنها فص أسود مدمك .

والعومة: ضرب من السمك معروف » . والراقود: دن كبير .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴿ [التوبة : ٣٠] .

فَقَالَ : أَىِّ مَعْنَى لِقَوْلِهِ : ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقَوْلَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْأَفْوَاهِ ؟ .

الْجَوَابُ ، قُلْنَا : الْقَوْلُ يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ : أَحَدُهُمَا الْقَوْلُ بِاللِّسَانِ ، وَالْآخَرُ

بِالْقَلْبِ ، فَالْقَوْلُ الَّذِي يُضَافُ إِلَى الْقَلْبِ هُوَ الظَّنُّ وَالْإِعْتِقَادُ ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَتْ الْعَرَبُ بِالْقَوْلِ •

مَذْهَبَ الظَّنِّ / فَقَالُوا : أَنْقُولُ عَبْدَ اللَّهِ خَارِجًا ؟ وَمَتَى تَقُولُ مُحَمَّدًا مُنْطَلِقًا ؟ يَرِيدُونَ : مَتَى تَظُنُّ ؟ [١٢١]

قَالَ الشَّاعِرُ :

أَمَّا الرَّحِيلُ فَرَدُونَ بَعْدَ غَدٍ فَمَتَى تَقُولُ الدَّارَ تَجْمَعُنَا! (١)

أَرَادَ : فَمَتَى تَظُنُّ الدَّارَ ! وَقَالَ الْآخَرُ :

أُجْهَالًا تَقُولُ بَنَى لُوْئِيَّ لَعَمْرُأَيْبِكَ أَمْ مُتَجَاهِلِينَ! (٢)

١٠

أَرَادَ : تَظُنُّ بَنَى لُوْئِيَّ ، وَقَالَ تَوْبَةُ بْنُ الْحَمَيْرِ :

أَلَا يَا صَفِيَّ النَّفْسِ كَيْفَ تَقُولُهَا لَوْ أَنَّ طَرِيدًا خَائِفًا يَسْتَجِيرُهَا (٣)

(١) الْبَيْتُ لَعَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، دِيْوَانُهُ : ٣٩٤ . (٢) الْبَيْتُ لِلْحَكِيمِ بْنِ زَيْدٍ الْأَسَدِيِّ ؛

وَهُوَ مِنْ (شَوَاهِدِ ابْنِ عَقِيلٍ عَلَى الْأَلْفَبَةِ ١ : ٣٩٧) ، وَفِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ : « لَا يَجُوزُ أَنْ تَنْسِبَ جَهَالًا بِقَوْلٍ إِذَا جُمِلَتْ عَلَى مَعْنَى الْقَوْلِ ، لِأَنَّ الْقَوْلَ لَا يَتَعَدَّى إِلَى مَا كَانَ مِمَّا لَا يَنْدَرُجُ تَحْتَ السَّمْعِ ، وَالْجَهَالُ جُنْتُ ، فَلَا يَتَأَنَّى ذَلِكَ فِيهَا ، فَلَا يَدْرَأُ أَنْ يَكُونَ ثَلَاثُ مَعْنَى ظَنٍّ ، وَلِهَذَا يَصِحُّ أَنْ تَقُولَ : سَمِعْتُ زَيْدًا يَقْرَأُ وَيَقُولُ وَيَسْكُمُ وَيَسْمُرُ ، وَلَا تَقُولَ : سَمِعْتُ زَيْدًا يُضْرَبُ ؛ لِأَنَّ السَّمْعَ يَقُمُ عَلَى مَا يَسْمَعُ » .

(٣) الْبَيْتَانِ مِنْ قَصِيدَةِ طَوِيلَةٍ ؛ ذَكَرْتُ بِتَمَامِهَا فِي تَرْجُمَةِ الْأَسْوَانِ ٩٦-٩٨ .

تُخَبِّرُ إِنْ شَطَّتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى سَتَنْتِمُ لَيْلَى أَوْ يَفَكُّ أُسِيرُهَا (١)

أراد : كيف تظنها ؟ فلما كان القول يستعمل في الأمرين معاً أفاد قوله تعالى : ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ قصرَ المعنى على ما يكون باللسان دون القلب ، ولو أطلق القول ، ولم يأت بذكر الأفواه لجاز أن يُتوهم المعنى الآخر :

• ومما يشهد لذلك قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ ؛ [المنافقون : ١] ، فلم يكذب الله تعالى قول السنتهم : لأنهم لم يخبروا بأفواههم إلا بالحق ، بل كذب ما يرجع إلى قلوبهم من الاعتقادات .

• ووجه آخر وهو أن تكون الفائدة في قوله تعالى : ﴿ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ أن القول لا برهان عليه ، وأنه باطل كذب لا يرجع فيه إلا إلى مجرد القول باللسان ؛ لأن الإنسان قد يقول بلسانه الحق والباطل ، وإنما يكون قوله حقاً إذا كان راجعاً إلى قلبه ، فتكون إضافة القول إلى اللسان تقتضي ما ذكرناه من الفائدة ، وهذا كما يقول القائل لمن يشك في قوله أو يكذبه : هكذا تقول بلسانك ، وليس الشأن فيما تقوله وتنفوه به وتقلب به لسانك ؛ فكأنهم أرادوا أن يقولوا : هذا قول لا برهان عليه ، فأقاموا قولهم : هكذا تقول بلسانك ، وإنما يقولون ١٥ كذا بأفواههم مقام ذلك ؛ والمعنى أنه قول لا تمضد حجة ولا برهان ، ولا يرجع فيه إلا إلى اللسان .

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « في ديوانه : » تجير وإن شطت ، ، يخاطب الشاعر صديقه فيقول : يا صفي نفسي ، كيف تظن لي الأخيالية لو استجار بها مستجير ! ثم استأنف فقال : هي تجير وإن كانت قد عذبتنا بالفراق ، ثم قال : ستتم ليلى أو يفادي أسيرها ، ويعني بالأسير نفسه ، أي ستجود يوماً أو أتمدى نفسي منها ، هذا إذا روى : « تجير وإن شطت » ، وكذلك هو في ديوانه ، وأما وجه ما رواه السيد : « تجير » ، فمناه : تخبرني أنت يا صفي نفسي إن تئمت أنها ستتم ، وإن رويت : « أن شطت » بالفصح كان المعنى : لأن تئمت . وعلى ما ذكره السيد رضى الله عنه يمكن أن يذكر قلبه وجه آخر ؛ وهو أنه يقول ويخاطب صديقاً له : كيف تظنها لو أتى استجرت بها ! كفى عن نفسه بالخائف المستجير ثم يقول : تخبر يا خليلي ، يعني أي أعلم أنك تقول : هي إما أن تنتم بالوصال أو أنا أسلو ؛ وهذا معنى : « يفك أسيرها » ، لأنه إذا سلا فقد فك أسره ؛ وهذا الوجه الأخير مستفاد من ملك النجاة .

وجه آخر ، وهو / أن تكون الفائدة في ذلك التأكيـد ، فقد جرت به عادة العرب [١٢١] ^ظ في كلامها ، وما تقدم من الوجهين أولى ؛ لأنَّ حَمْلَ كلامه تعالى على الفائدة أولى من حمله على ما تسقط معه الفائدة .

تَأْوِيلُ آيَةِ أُخْرَى

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ [إبراهيم : ٩] .

فقال : أى معنى لرد الأيدي في الأفواه ؟ وأى مدخل لذلك في التكذيب بالرسـل عليهم السلام ؟

الجواب ، قلنا في ذلك وجوه :

أولها أن يكون إخباراً عن القوم بأنهم ردُّوا أيديهم في أفواههم ، عاضين عليها غيظاً ١٠ وحنقاً على الأنبياء ، كما يفعل المتوعدُّ لغيره ، المبالغ في معاندته ومُكابذته ؛ وهذه عادة معروفة في المغيظ المحنق أنه يعضُّ على أصابعه ، ويفرك أنامله ، ويضرب بإحدى يديه على الأخرى ؛ وما شا كل ذلك من الأفعال .

وثانيها أن تكون الهاء في الأيدي للكفار المكذِّبين ، والهاء التي في الأفواه للرسـل عليهم السلام ؛ فكأنهم لما سمعوا وغطَّ الرسل ودعاهم وإنذارهم أشاروا بأيديهم إلى ١٤ أفواه الرسل ، مانعين لهم عن الكلام كما يفعل المسكَّتُ منَّا لصاحبه ، الرادُّ لقوله .

وثالثها أن تكون الهاء في الأيدي والتي في الأفواه معاً للرسـل ؛ والمعنى أنهم كانوا يأخذون أيدي الرسل فيضعونها على أفواههم ليسكتوهم ، ويقطعوا كلامهم .

ورأيها أن تكون الهاءان جميعاً يَرْجِعَان إلى الكفار^(١) لا إلى الرسل ؛ فيكون المعنى أنهم إذا سمعوا وعظّموا وإنذارهم وضعوا أيدي أنفسهم على أفواههم ؛ مشيرين لهم بذلك إلى الكف من الكلام والإمساك عنه ؛ كما يفعل مَنْ يريد منا أن يسكتَ غيره ، ومنعه من الكلام ، من وضع إصبعه على فمه .

• وخمسها أن يكون المعنى : فردّوا القول بأيدي أنفسهم إلى أفواه الرسل ، أي أنهم كذبوهم ، ولم يُصنّفوا إلى أفواههم ، فالهاء الأولى للقوم ، والثانية للرسل ؛ والأيدى إنما ذُكرت مثلاً وتأكيذاً ؛ كما يقول القائل : أهلك فلان نفسه بيده ، أي وقع الهلاك به من جهته ، لا من جهة غيره .

وسادسها أن المراد بالأيدى النعم و﴿ في ﴾ محمولة على الباء ، والهاء الثانية للقوم المكذبين ١٠ والتي قبلها للرسل ، والتقدير : فردّوا بأفواههم نعم الرسل ؛ أي ردّوا وعظّموا وإنذارهم وتنبههم على مصالحهم الذي لو قبلوه لكان نعماً عليهم .

ويجوز أيضاً أن تكون الهاء التي في الأيدى للقوم الكفار ، لأنها نعم من الله تعالى عليهم ، فيجوز إضافتها إليهم وحل لفظة ﴿ في ﴾ على معنى الباء جاز لقيام بعض الصفات مقام بعض ؛ يقولون : رضيتُ عنك ، ورضيتُ عليك وحُكي في لغة طي : أدخلك الله الجنة ، يريدون في الجنة ، فيمربون بالباء عن معنى « في » ؛ كذلك أيضاً يصح أن يعبروا بنى عن الباء ؛ قال الشاعر :

وأرغبُ فيها عن لقيطٍ ورهطه ولسكتنى عن سنيبٍ لستُ أرغبُ
أراد : وأرغبُ بها فحمل « في » على الباء .

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : « يمكن أن يجعل الضميران جميعاً للرسل عليهم السلام ، على معنى أنهم لما قبلوا وعظّموا وإنذارهم ردّ الرسل بأيديهم إلى أفواه أنفسهم ، إشارة إلى أنافه سكتنا ، فافعلوا ما شئتم تهديداتهم ولا » .

وسابمها - وهو جواب اختاره أبو مسلم بن بحر، وزعم أنه أولى من غيره - قال " المضمرون في قوله : ﴿ أَيْدِيَهُمْ ﴾ الرسل ، وكذلك المضمرون في ﴿ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ ، والمراد باليد هاهنا ما نطق به الرسل من الحُجَج والبيِّنات التي ذكر الله تعالى أنهم جاءوا بها قومهم ؛ واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى السلطان أيضا ، وعلى الملك ، وعلى العهد والعقد ؛ ولكل ذلك شاهد من كلامهم ؛ والذي أتى به الأنبياء قومهم هو الحجة والسلطان ، وهو النعمة ، وهو العهد ، وكل ذلك يقع عليه اسم اليد . ولما كان ما يعط به الأنبياء قومهم ويُندرونهم به إنما يخرج من أفواههم ، فردوه وكذبوه قيل : إنهم ردُّوا أيديهم في أفواههم ، أي أنهم ردُّوا القول من حيث جاء قال : ولا يجوز أن يكون الضمير في ذلك للمرسل إليهم كما تأوله بعض المفسرين ، وذكر أن معناه أنهم عضُّوا عليهم أناملهم غيظاً ؛ لأن رافع يده إلى فيه ، والعاض عليها لا يسمي راداً ليده إلى فيه ، إلا إذا كانت يده في فيه فيخرجها ثم يردُّها " . ١٠

قال سيدنا الشريف أدام الله علوه : وليس ما استنكره أبو مسلم من رد الأيدي إلى الأفواه بمستنكر ولا بعيد ، لأنه قد يقال : ردَّ يده إلى فيه ، وإلى وجهه ، وعاد فلان يقول كذا ، ورجع بفعل كذا ؛ وإن لم يتقدم ذلك الفعل منه . ولو لم يسُغ هذا القول تحقيقاً ؛ لساغ تجوُّزاً واتساعاً ؛ وليس يجب أن تؤخذ العرب بالتحقيق في كلامها ؛ فإن تجوُّزها / واستعاراتها [١٢٢] أكثر ، على أنه يمكن أن يكون المراد بذلك أنهم فعلوا ذلك الفعل شيئاً بعد شيء ، وتكرَّر منهم ، فهذا جاز أن يقول : ردُّوا أيديهم في أفواههم ، لأنه قد تقدم منهم مثل هذا الفعل ، فلما تكرَّر جازت العبارة عنه بالرد ، وهذا يُبطل استضافته للجواب إذا صرنا إلى مراده .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى أن مسلماً الخزاعي^(١) ثم المصطفي قال : شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله - وقد أنشده منشد قول سويد بن عامر المصطفي^(٢) :

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ إِنَّ الْمَنَاءَ بِكَفَى كُلِّ إِنْسَانٍ^(٣)
وَأَسْلُكَ طَرِيقَكَ تَمْشِي غَيْرَ مُخْتَشِعٍ^(٤) حَتَّى تَبَيَّنَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي
فَكُلُّ ذِي سَاحِبٍ يَوْمًا يُفَارِقُهُ^(٥) وَكُلُّ زَادٍ وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَان
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ^(٦) بَكْلٌ ذَلِكَ يَأْتِيكَ الْجَدِيدَانِ

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لو أدركته لأسلم » ، فبكي مسلم ، فقال له ابنه : يَا أَبَتِي ، مَا يُبْكِيكَ مِنْ مُشْرِكٍ مَاتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ! فقال : يَا بَنِيَّ ، لَا تَفْعَلْ فَمَا رَأَيْتَ مُشْرِكًا تَلَقَّيْتَ مِنْ مُشْرِكٍ خَيْرًا مِنْ سُوَيْدٍ .

١٠ قوله : « مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي » معناه ما يقدر لك القادر ؛ قال الفراء : يقال : مَنَى الله عليه الموت ؛ أي قدر الله عليه الموت . وقال يعقوب : مَنَّاكَ الله بما يسرك ، أي قدر الله لك ما يسرك ، وأنشد :

(١) نسب البيت الأول والثاني والرابع إلى أبي قلادة الهذلي ، من قصيدة أولها :

يَادَارُ أَهْرِفُهَا وَخُشَا مَنَازِلُهَا بَيْنَ الْقَوَائِمِ مِنْ رَهْطِ قَالِبَانَ

مع اختلاف في روايتها وترتيبها ، وانظر ديوان الهذليين ٣ : ٣٦-٣٩ ، واللسان (م) .

(٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « المعروف » يعني ، هذا هو الصحيح ، وهي أيضا رواية ديوان

الهذليين ؛ يقول : لَا تَأْمَنَنَّ أَنْ تَأْتِيكَ مَنِيَّتُكَ وَإِنْ كُنْتَ بِالْحَرَمِ حَيْثُ يَأْمَنُ الطَّيْرُ .

(٣) رواية اللسان :

* وَأَسْلُكَ طَرِيقَكَ فِيهَا غَيْرَ مُخْتَشِعٍ *

ورواية ديوان الهذليين :

* وَلَا تَقُولَنَّ لِي شَيْءٌ سَوْفَ أَفْعَلُهُ *

(٤) حاشية ت (من نسخة) : « مفارقة » . (٥) رواية ديوان الهذليين :

* إِنَّ الرَّشَادَ وَإِنَّ الْغَىَّ فِي قَرْنٍ *

لَعَمْرُ أَبِي عَمْرٍو لَقَدْ سَاقَهُ الْمَنَى إِلَى جَدَثٍ يُوزَى لَهُ بِالْأَهَاضِبِ^(١)
 وقال ابن الأعرابي : سَاقَهُ الْمَنَى ، أى سَاقَهُ الْقَدْرَ ؛ وأنشد ابن الأعرابي :
 مَنَنْتُ لَكَ أَنْ تُتْلَفَيْنِي الْمَنَايَا أَحَادَ أَحَادٍ فِي الشَّهْرِ الْحَلَالِ^(٢)
 معناه قَدَّرْتُ لَكَ .

وقال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴾ [النجم : ٤٦] ، معناه إِذَا تُخْلَقُ وَتُقَدَّرُ .
 وقال بعض أهل اللغة : إِنَّمَا سَمِيَ « مِئْنَى » لِأَنَّهُ يُعْنَى فِيهِ مِنْ تَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ أى يَقْدَرُ فِيهِ ؛
 وقيل أَيْضاً بِمَا يُعْنَى فِيهِ مِنَ الدَّمِ^(٣) ؛ وقيل : إِنَّمَا سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا انْتَهَى
 إِلَيْهِ قَالَ لَهُ الْمَلَكُ : تَمَنٍّ ، قَالَ : أَتَمَنَّى الْجَنَّةَ ، فَسَمِيَ مِئْنَى لَذَلِكَ . وَمِئْنَى يَذْكُرُ وَيُؤْنَتُ ،
 وَالتَّذْكِيرُ أَجُودُ ، قَالَ الشَّاعِرُ فِي التَّذْكِيرِ :

/ سَقَى مِئْنَى ثُمَّ رَوَّاهُ وَسَاكِئَهُ وَمَنْ تَوَى فِيهِ وَاهِي الْوَدْقِ مُنْبَعِقِ^(٤) [١٢٣]

وقال آخر في التأنيت :

كَيَوْمُنَا بِمِئْنَى إِذْ نَحْنُ نَنْزِلُهَا أَسْرُ مِنْ بَوْمِنَا بِالْعَرَجِ أَوْ مَثَلِ^(٥)

(١) البيت مطلق قصيدة لصخر الفيل ، يرثي أخاه أبا عمرو بن عبد الله ، وقدمت شتية فانت ؛ (ديوان المهذلين
 ٢ : ٥٦-٥٧) . وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « يُوْزَى ، مِنَ الْإِزَاءِ ، وَالْإِزَاءُ : مَصَبُ الْمَاءِ فِي
 الْحَوْضِ ، يُقَالُ : أَرِيتُ الْحَوْضَ [بِالنَّضِيفِ] ، وَآزَيْتُهُ ، وَالْإِزَاءُ لِلْقَبْرِ فِي الْحَقِيقَةِ ؛ إِلَّا أَنَّهُ عَلَى الْإِسْتِمَارَةِ .
 وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي « لَهُ » لِلْمَرْتَبَةِ ؛ أَيْ يَهَيَأُ لَهُ ؛ هَذَا إِذَا هَمَزَتْ « يُوْزَى » ؛ وَهُوَ قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ ،
 فَأَمَّا إِذَا لَمْ تَهْمَزْهُ فَعَنَى يُوْزَى يَنْصَبُ وَيَشْخَصُ ؛ يُقَالُ : أُوْزَى ظَهْرُهُ إِلَى الْحَائِطِ ؛ أَيْ أَسْنَدَهُ . وَيُقَالُ : هَضْبَةٌ
 وَهَضْبَاتٌ وَهَضَابٌ وَأَهْضَابٌ وَأَهَاضِبٌ وَأَهَاضِبٌ » . (٢) اللسان (مئ) ، وفي حاشية الأصل :
 « أَيْ قَدَّرْتُ الْمَنَايَا مَلَاقَتَهَا لِأَيِّ أَجْلِكَ » . (٣) المراد يبعثي هاهنا ؛ يراني .

(٤) الودق : المطر ، والواهى : المندفع بالماء ، وكذلك المنبعق ، وفي حاشية الأصل ، ف : « جعل
 للسحاب سقاء ، ثم جعله واهى العقد ، فهو أشد إرسالاً ، وهذا مثل » .

(٥) العرج : موضع قريب من الطائف ، وإليه ينسب العرجي الشاعر ، وهو عبد الله بن عمرو بن
 عثمان بن عفان . ومثل : موضع في طريق مكة .

فأما قوله :

* والخيرُ والشرُّ مقرونان في قرْنٍ *

فالقَرْنُ الحبل ؛ وأراد أنهما مجموعان لا يفترقان ؛ من حيث لا يكاد يُصيب الإنسان في الدنيا خيرٌ صِرْفٌ لا شرٌّ فيه ؛ فلهذا قال إنهما مقرونان . ويجوز أيضاً أن يريد أن لسرعة تقلب الدنيا وإبدالها الخيرَ بالشرِّ كأن الخيرَ مقرونان مجموعان معاً ، لتقارب ما بينهما .

فأما الجديدان ، فهما الليل والنهار ، وهما أيضاً الأجدان ، والمدَّوان ، والفتيان ، والردَّان ، والمصران ؛ قال الشاعر :

١٠ إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طُولِ اخْتِلَافِهِمَا لَا يَفْسُدَانِ وَلَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ^(١)
وقال آخر :

وَأَمَطُّهُ الْمَصْرَيْنِ حَتَّى يَمْلَأَنِي وَبِرَضَى بِنِصْفِ الدَّيْنِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ^(٢)
وقال أبو عبيدة : ويقال الليل والنهار ابنا سُبَات ، وأنشد ابن الأعرابي :
وَكُنَّا وَهُمْ كَابْنِي سُبَاتٍ تَفَرَّقَا سِوَى ثُمَّ كَانَا مُنْجِدًا وَتَهَامِيَا^(٣)
ويقال للغداة والعشى : القَرَّتَانِ^(٤) ، والبرَّدَان ، والصَّرْعَان^(٥) .

١٥ أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيم قال : أُمْلِئْ عَلَيْنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى ثَلَبَ النُّحْوَى قَالَ : أَنْشَدَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لِرُفَيْعِ الْوَالِبِيِّ :

كَذَبْتُكَ مَا وَعَدْتُكَ أَمْسٍ صَلاَحٌ وَعَسَى يَكُونُ لِي مَا وَعَدْتُ نَجَاحٌ^(٦)

(١) البيت للخنساء ، ديوانها : ١٥٥ . (٢) الجبران ٣ : ٢٤٩ ، وإصلاح المنطق : ٤٣٧ ، من

غير عزو . (٣) اللسان (سبت) ، ونسبه إلى ابن أحر ، وفيه عن ابن حبيب : « أن أبي سبات

رجلان ، رأى أحدهما صاحبه في المنام ثم انتبه ، وأحدهما بنجد والآخر بتهامة » (٤) ت : « القرنان » .

(٥) حاشية الأصل : « أصل الصرع الذي يصارعه » . (٦) صلاح : اسم امرأة ، وفي حاشية

الأصل : « كأنها وعدته بالوصال الذي يرى سقمه » .

بُرْءٌ مِنْ السَّقَمِ الطَّوِيلِ ضَمَانُهُ لَا يَسْتَوِي سَقَمٌ بِكُمْ وَرِجَاحُ
أَصْلَاحُ إِنْكَ قَدْ رَمَيْتَ نَوَافِذًا وَجَوَائِفًا لَيْسَتْ لَهْنُ جِرَاحُ^(١)
وَلَقَدْ رَأَيْتُكَ بِالْقَوَادِمِ لِحْمَةً وَعَلَى مِنْ سُدْفِ الْعَشَى رِيَّاحُ^(٢)

معنى رِيَّاح هاهنا ، أى على وقت من العشي ، ومثله رَوَاح ؛ وقوم يروونه بالكسر

وليس بشئ -

/ مَا كَانَ أَبْصَرَنِي بِفِرَاتِ الصَّبَا فَالْيَوْمَ قَدْ شَفَعْتُ لِي الْأَشْبَاحُ^(٣) [١٢٣]
وَمَشَى بِحَسْبِ الشَّخْصِ شَخْصٌ مِثْلُهُ وَالْأَرْضُ نَائِيَةٌ الشُّخُوصِ بَرَّاحُ^(٤)
حَلَقَ الْحَوَادِثُ لِمَتْنِي فَتَرَكَنِي لِي رَأْسًا يَصِلُ كَأَنَّهُ جُجَاحُ
وَذَكَأَ بِأُصْدَافِي وَقَرْنِ ذُرَّابِي قَبَسُ الْمَشِيرِ كَأَنَّهُ مِصْبَاحُ

قال : كَأَنَّهُ جُجَاحٌ مِنْ أَمْلَاسِهِ ، وَجُجَاحٌ : سَهْمٌ أَوْ قَصْبَةٌ يُجْعَلُ عَلَيْهِ طِينٌ ، ثُمَّ يُرْتَمَى بِهِ .

الطير .

وبهذا الإسناد لبعضهم :

أَرَى النَّاسَ لِلصُّعْلُوكِ حَرْبًا وَلَا أَرَى لَدَى نَسَبٍ إِلَّا خَلِيلًا مُصَافِيَا
أَرَى الْمَالَ يَفْشَى ذَا الْوُصُومِ فَلَا تَرَى وَيَدْعَى مِنَ الْأَشْرَافِ مَنْ كَانَ غَانِيَا^(٥)

الصُّعْلُوكُ : الْفَقِيرُ ، وَهُوَ أَيْضًا الْقُرْضُوبُ ، وَالسُّرُوتُ . وَالْوُصُومُ : الْمَيُوبُ .

١٥

وبهذا الإسناد لعقيل بن عَافَةَ :

إِنِّي لِيَحْمَدُنِي الْخَلِيلُ إِذَا اجْتَدَى مَالِي وَبَكَرَهُنِي ذَوُو الْأَضْغَانِ
وَأَيَّتُ تَخْلِجُنِي الْهُمُومُ كَأَنَّنِي دَلَوُ السُّعَاةِ كُمَدُ الْأَشْطَانِ^(٦)

(١) نَوَافِذُ : أَيْ سَهَامًا نَافِذَةً ، وَجَوَائِفُ : أَيْ تَبْلُغُ الْجُوفِ . (٢) الْبَيْتُ فِي الْإِسْنَانِ (رُوح) ،

وَرَوَاهُ : « رِيَّاح » بِالْكَسْرِ . وَالْقَوَادِمُ : أَوَائِلُ النَّظَرِ . وَالسُدْفُ : جَمْعُ سُدْفَةٍ ؛ وَهِيَ الْغُلْعَةُ .

(٣) شَفَعْتُ : صَارَتْ شَفَعًا ، أَيْ أَصْبَحَ يَرَى الشَّيْءَ شَبِيحًا كَمَا يَرَاهُ الْأَحُولُ ؛ يَصِفُ ضَعْفَ بَصَرِهِ .

(٤) حَاشِيَةُ ت (مِنْ نَسْخَةٍ) : « نَائِيَةٌ » . (٥) حَاشِيَةُ ت : « غَانِيَا ؛ أَيْ غَنِيَا ؛ وَمَعْنَاهُ

ذَا فَنَى ، كَلَابِنُ وَتَامَرٌ » . (٦) تَخْلِجُنِي : تَنْقِذُنِي ؛ كَذَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ الْإِسْنَانِ وَاسْتَشْهَدَ

بِالْبَيْتِ . وَالْأَشْطَانُ : الْحَبَالُ .

وَأَعِيشُ بِالْبَلَدِ الْقَلِيلِ وَقَدْ أَرَى أَنَّ الرُّمُوسَ مَصَارِعُ الْفِتْيَانِ^(١)

وَأَخْبَرَنَا أَبُو عبيد الله الرزباني قال: حدثني علي بن منصور قال: أخبرني محمد بن موسى

عن دُعبل بن علي قال قال عَقِيل بن عُلْفَةَ: — وذكر الأبيات الثلاثة ، وزاد فيها :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَنْ هَلَكْتُ لَيْذَكْرَنْ قَوْمِي إِذَا عَلَنَ النَّجِيُّ مَكَانِي^(٢)

• قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله تأييده : وكان عَقِيل بن عُلْفَةَ مع قوة شعره جيداً

الكلام حكيم الألفاظ . وروى المدائني قال: قال عبد الملك بن مروان لعَقِيل بن عُلْفَةَ المرئي:

ما أحسن^(٣) أموالكم ؟ فقال : ما ناله أحدنا عن أصحابه تفضلاً ، قال : ثم أيها ؟ قال :

مواريثنا ، قال : فأيتها أشرف ؟ قال : ما استفدناه بوقعة خولت نعماً ، وأفادت عزاً ، قال :

[١٢٤] فما مبلغ عزكم ؟ قال : ما لم يُطمع فينا ، ولم / نُؤْمَنْ ، قال : فما مبلغ جودكم ؟ قال : ما عقَّدنا به

١٠ مِنَّا ، وأبقينا به ذِكْرًا ، قال : فما مبلغ حفاظكم ؟ قال : يدفع كل رجل منا عن المستجير

به كدفاعه عن نفسه ؛ قال عبد الملك : هكذا فليصف الرجل قومه .

وروى أنه قيل لعَقِيل بن عُلْفَةَ : قد عَنَسَتْ^(٤) بناتك ، أفأتحشى عليهن الفساد ؟ قال :

كلا ، إني خلقت عندهن الحافظين ، قيل : وما هما ؟ قال : الجُوع والعُرى ، أجيمن

فلا يَأْشُرْنَ ، وأعرَّيْن^(٥) فلا يَظْهَرْنَ .

١٥ وقال له عبد الله يوماً : مالك تهجو قومك ؟ قال : لأنهم أشباه الغنم ، إذا صبح بها

رَفَعَتْ ، وإذا سَكِتَ عنها رَتَمَتْ ، قال : إنما تقول البيتَ والبيتين ، قال : حسبي من

القلادة ما أحاط بالعنق .

(١) البَلَدُ في الأصل : ما بل الحاق من ماء أو لبن أو غيره .

(٢) حاشية الأصل : « يصف نفسه بحفظ الأسرار » يقول : لإذ امت والناس يناجون غيري فيفتي

أسرارهم ؛ يذكرونني عند ذلك ويذكرون مكاني . (٣) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف :

« ما أخس » . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « عَنَسَتْ بناتك » بناء الخطاب ؛ أي أخرتهن

عن التزويج . (٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « في معناه الحديث : (اعبروا النساء يلزمن الحجال) » .

فأما معنى « عُلْفَة » اسم أبيه ، فإن ابن الأعرابي قال : العُلْفَة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت الزهرة من البقل وغيره . وقال أبو سعيد السكري : العُلْفَة ضرب من أوعية يزر بعض النبات مثل قشرة الباقلاء ، واللُّوبيا ؛ وهو الغلاف الذي يجمع عدة حب .

وقيل : إن عَقِيلاً كان يُكنى بأبي الوليد ، وكان رجلاً غيوراً موصوفاً بشدة الغيرة ، وروى أبو عمرو بن العلاء أنه حمل يوماً ابنة له وأنشأ يقول :

إني وإن سبقَ إلى المَهْرُ ألفٌ وعبدانٍ وذوُدُ عَشْرُ^(١)
أحبُّ أصهارِي إلى القَبْرِ

وذكر الأصمعي أن عَقِيلاً كان لغيرته إذا رأى الرجل يتحدث إلى النساء أخذته ، ودَهَن أرقاعه^(٢) ومغايته يزيد وربطه وطرحه في قرية النمل ، فلا يعود إلى محادثتهن .

وروى الأصمعي قال : كان^(٣) عَقِيل بن عُلْفَة في بعض سفره ، ومعه ابنه العَمَلَس وابنته ١٠ الجرباء ، فأنشأ يقول :

قَصَتْ وَطَرًا مِنْ دَيْرٍ سَعْدٍ وَرُبَّمَا عَلَى عَجَلٍ نَاطَحَتُهُ بِالْجَمَاجِمِ^(٤)
ثم أقبل على ابنه فقال : أجز يا عمَلَس ، فقال :
وَأَصْبَحْتَ بِالْمَوَامَةِ يَحْمِلُنَ فِتْيَةً نَشَاوَى مِنَ الْإِدْلَاجِ مِثْلَ الْعَامِ^(٥)

(١) الدود : القطيع من الإبل . (٢) الأرقاع : جمع رقع ؛ وهو أصل الفخذ ، والمغايين : جمع مغين ، كتمزول وهو الإبط . (٣) الخبر في الأغاني ١٢ : ٢٥٦-٢٥٧ (طبع دار الكتب المصرية) . (٤) دير سعد : بين بلاد غطفان والشام ، وبمده في رواية الأغاني :

إِذَا هَبَطَتْ أَرْضًا يَمُوتُ غُرَابُهَا رِبْهَا عَطَشًا أُعْطِيَتْهُمْ بِالْخَزَائِمِ
والخزائم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجمل في أحد جانبي البعير لينقاد بها .

(٥) المومة : المفازة الواسعة . نشاوى : سكارى . الإدلاج : السير من أول الليل ، وبمده في رواية الأغاني :

إِذَا عَلِمَ غَادَرْنَهُ بِقَنُوقَةٍ تَذَارَعْنَ بِالْأَيْدِي لِآخِرِ طَلَسِمِ

والعلم : شيء ينصب في الفلوات تهدي به الضالة . القنوقة : المفازة . تذارعن : سرن ، وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعاً إذا سار على قدر سعة خطوه . رسم طلسم : دارس .

ثم أقبل على ابنته ، فقال : أجزى يا جرباء ، فقالت :

كَأَنَّ الْكَرَى سَقَامُ صَرْخَدِيَّةٌ عَقَارًا تَمَشَّتْ فِي الْمَطَا وَالْقَوَائِمِ (١)

[١٢٠] قال :/ فأقبل على ابنته يضربها ويقول : والله ما وصفتها بهذه الصفة حتى شربتها ،

فوثب عليه إخوتها فقاتلوه دونها ، ثم رماء أحدكم بسهم فانتظم فخذيته ، فقال عقيل :

إِنَّ بَنِيَّ زَمَلُونِي بِالْدَّمِ (٢) مَنْ يَلْقَى أَبْطَالَ الرَّجَالِ يُكَلِّمُ (٣)

وَمَنْ يَكُنْ ذَا أَوْدٍ يُقَوْمُ شِنْشَنَةُ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ

الشنشة : الطبيعة والسجية . وقيل الشبه ، وهذا مثل اجتلبه عقيل (٤) ، وقد قيل قبله :

ولعقيل :

وَلِلدَّهْرِ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي لِبَاسِهِ كِدْبَسْتَهُ يَوْمًا أَجَدَّ وَأَخْلَقًا (٥)

وَكُنْ أَكْبَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَقَمَى فَكُنْ أَنْتَ أَحَقًّا

(١) الصرخدية : منسوبة إلى صرخد ، وهو بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . المطار : الحجر . المطا : الظهر . (٢) رواية الأغاني : « سربلوني » ، (٣) رواية اللسان (شين) : « آساد الرجال » . (٤) حاشية الأصل : « قال س : قرأت في أمالي ابن الجبان الأصبهاني : شنشة [بالفتح] ، وشنشة [بالكسر] ، وشنشة [بالفتح] ، وشنشة [بالكسر] ، قال : قد فسروها بالطبيعة وبالمصغة من اللحم وبالحمامة . ضارب هذا المثل حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائي حين نشأ حاتم ، وتقبل أخلاق جده أخزم في الجود فقال : « شنشة أعرفها من أخزم » ، وتمثل به عقيل ابن علفة » وفي اللسان عن ابن بري : « كان أخزم عاقلا لأبيه ، فأتى وترك بين عقوا جدهم وضربوه وأدموه ، فقال ذلك » .

وانظر ترجمة عقيل وأخباره وأشعاره في (الأغاني ١١ : ٨٩-٨١) .

(٥) حاشية ف : « المعنى : فالبس مع الدهر لبوسه ؛ لأن لبس الجديد فالبس أيضا أنت الجديد ،

وبالعكس » .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَاوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٠] فقال : كيف يعيِّضُ القولُ بأنَّها رجعتُ عليه وهي لم تخرج عن يده ؟ .
الجواب ، قلنا قد ذُكر في ذلك وجوه :

أولها أن الناس في دار المحنة والتكليف قد يفتروا بعضهم ببعض ، ويعتقدون فيهم أنهم يملكون جرَّ النافع إليهم وصرف المضار عنهم ، وقد تدخل عليهم الشبهة لتقصيرهم في النظر ، وعدولهم عن وجهه وطريقه ، فيعبدُ قومُ الأصنام وغيرهم المعبودات الجامدة الهامدة التي لا تسمع ولا تبصر ، ويعبدُ آخرون البشر ، ويجعلونهم شركاء لله تعالى في استحقاق العبادة ؛ ويضيفُ كلُّ هؤلاء أفعالَ الله عز وجل فيهم إلى غيره ، فإذا جاءت الآخرة ، وانكشف الغطاء واضطربوا إلى المعارف زال ما كانوا عليه في الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل ، وأيقن الكلُّ أنه لا خالقَ ولا رازقَ ولا خازنَ ولا نافعَ غيرُ الله تعالى فردوا إليه أمورهم ، وانقطعت آمالهم من غيره ، وعلموا أن الذي كانوا عليه من عبادة غيره ، وتأميله للضرِّ والنفع غرورٌ وزور ، فقال الله تعالى : ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ لهذا المعنى .

والوجه الثاني أن يكون معنى الآية في الأمور أن الأمور كلها لله تعالى ، وفي يده وقبضته من غير خروج ورجوع حقيق ؛ وقد تقول العرب : قدرجع على من فلان مكروهه ، بمعنى صار إلى منه ؛ ولم يكن سبق إلى قبل هذا الوقت ، وكذلك يقولون : قد عاد على من زيد [١٢٠] كذا وكذا وإن وقع منه على سبيل الابتداء قال الشاعر :

وإن تكن الأيامُ أحسنَ مرَّةً إلى فقد عادتُ لهنَّ ذُنُوبُ

أى سارت لها ذنوب لم تكن من قبل؛ بل كان قبلها إحسان فتحمل الآية على هذا المعنى شائع جاز تشهدله اللغة .

والتوجه الثالث أننا قد علمنا أن الله تعالى قد ملك العباد في دار التكليف أمورا تنقطع بانقطاع التكليف، وإفضاء الأمر إلى الدار الآخرة، مثل مملكته المولى من العبيد، وما ملكه الحكام من الحكم وغير ذلك؛ فيجوز أن يريد تعالى برجوع الأمر إليه انتهاء ما ذكرناه من الأمور التي يملكها غيره بتمليكها إلى أن يكون هو وحده مالسها ومديرها .

ويمكن في الآية وجه آخر؛ وهو أن يكون المراد بها أن الأمر ينتهي إلى ألا يكون موجود قادر غيره، ويُفصى الأمر في الانتهاء إلى ما كان عليه في الابتداء، لأن قبل إنشاء الخلق هكذا كانت الصورة، وبعد إفنائهم هكذا تصير وتكون الكناية برجوع الأمر إليه عن هذا المعنى، وهو رجوع حقيق، لأنه عاد إلى ما كان عليه متقدما .

ويحتمل أيضا أن المراد بذلك أن إلى قدرته تعود المقدورات، لأن ما أفناه من مقدراته الباقية كالجواهر والأعراض ترجع إلى قدرته، ويصح منه تعالى إيجاده لعوده إلى ما كان عليه، وإن كان ذلك لا يصح في مقدرات البشر، وإن كانت باقية لما دل عليه الدليل، من اختصاص مقدور القدر باستحالة المود إليها، من حيث لم يجز فيها التقديم والتأخير، وهذا أيضا حكم، هو تعالى التفرد به دون غيره من سائر القادرين، والله أعلم بما أراد .

تأويل آية أخرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ ، [البقرة : ١٨٩] .

فقال : أى معنى لذكر البيوت وظهرها وأبوابها ؟ وهل المراد بذلك البيوت المسكونة

على الحقيقة ، أو كُنِيَ بهذه اللفظة عن غيرها ؟ فإن كان الأول فما الفائدة في إثباتها من أبوابها دون ظهورها ؟ وإن كانت كنايةً فبينوا وجهها ومعناها .

الجواب قيل له في الآية وجوه .

- أولها ما ذكر من أن الرجل من العرب كان إذا قصد حاجة فلم تقض له ، ولم يُنجح فيها رَجَعَ فدخل من مؤخر البيت ، ولم يدخل من بابه تطيراً ، فدلهم الله تعالى على أن هذا من فعلهم لا برّ فيه ، وأمرهم من التقى بما ينفعهم ويقرّبهم إليه ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن التطير وقال : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » ؛ أي لا يُمدى [١٢٠] شئ شيئاً . وقال عليه السلام : « لا يُورد ذو عاهة على مُصح » ؛ ومعنى هذا الكلام أن مَنْ لحقت إبله آفة أو مرض فلا ينبغي أن يوردها على إبل لغيره صحاح ، لأنه متى لحق الصحاح مثل هذه العاهة اتفاقاً ، لا لأجل العدوى لم يؤمن من صاحب الصحاح أن يقول : إنما لحق إبل هذه الآفة من تلك الإبل ، وهي أعدت إبل ، فنهى النبي صلى الله عليه وآله عن هذا ، ليزول المأثم بين الفريقين والظن القبيح .

- وثانيها أن العرب إلا قريشاً ومن ولدته قريش كانوا إذا أحرموا في غير الأشهر الحرم لم يدخلوا بيوتهم من أبوابها ، ودخلوها من ظهورها إذا كانوا من أهل الوبر ، وإذا كانوا من أهل المدر نقبوا في بيوتهم ما يدخلون ويخرجون منه ، ولم يدخلوها ولم يخرجوا من أبواب البيوت ؛ فنهاهم الله تعالى عن ذلك ، وأعلمهم أنه لا معنى له ، وأنه ليس من البرّ وأن البرّ غيره .

- وثالثها - وهو جواب أبي عبيدة معمر بن المثنى - أن المعنى ليس البرّ بأن تطلبوا الخير من غير أهله ، وتلتصقوا من غير بابه ، (وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا) ، معناه : واطلبوا الخير من وجهه ، ومن عند أهله .

ورابعها - وهو جواب أبي علي الجبائي - أن نكون الفائدة في هذا الكلام ضرب المثل ،

وأراد : ليس البرّ أن يأتي الرجل الشيء من خلاف جهته ؛ لأن إتيانه من خلاف جهته يُخرج الفعل عن حد الصواب والبرّ إلى الإثم والخطأ ، وبين البرّ والتقوى ، وأمر بإتيان الأمور من وجوهها ، وأن تُفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت ، وجعل تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلاً ؛ لأن العادل في الأمر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه .

• وخامسها أن تكون البيوت كناية عن النساء ، ويكون المعنى : وأتوا النساء من حيث أمركم الله ، والمرب تسمى المرأة بيتاً ؛ قال الشاعر :

مالي إذا أنزعها صأيتُ أكبرَ غيرَني أم بيت^(١)
أراد بالبيت : المرأة .

ومما يمكن أن يكون شاهداً للجواب الذي حكيناه عن أبي عليّ الجبائي ، والجواب عن [١٢٦] أبي عبيدة أيضاً ما أخبرنا به أبو القاسم عبيد الله عثمان بن يحيى قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيم قال : أُملي علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحويّ قال : أنشدنا ابن الأعرابي^(٢) :

إني عَجِبتُ لأمِّ العَمْرِ إذْ هَزِنتُ مِنْ شَيْبِ رَأْسِي وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ^(٣)
مَا شِقْوَةُ الْمَرْءِ بِالْإِقْتَارِ يُقْتَرُهُ وَلَا سَعَادَتُهُ يَوْمًا بِكَثَارِ
إِنَّ الشَّقَى الَّذِي فِي النَّارِ مَتَرِلُهُ وَالْفَوْزُ فَوْزُ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْرِ يَزِينُ لِي شَمَّ الْعَشِيرَةِ أَوْ يُدْنِي مِنَ الْعَادِ
وَحَيْرِ دُنْيَا يُدَسِّي أَمْرَ آخِرِهِ وَسَوْفَ يُبْدِي لِي الْجَبَّارُ أُسْرَارِي^(٤)

(١) البان في اللسان (صأى) وفي حاشية الأصل : « هذا مستق يستق الماء من البئر وينزع الدلو . والهاء في قوله : « أنزعها » راجعة إلى الدلو ؛ وقيل الضمير لقوس ؛ يقال : « صأى بصأى ، مثل صعى بصعى ؛ إذا صوت » . (٢) أبيات منها في السكال ٢ : ٥١-٥٢ . بشرح المصنف ؛ عن ابن الأعرابي ، ونسبها إلى أحمد ابن حنبل ، قال : « وأحسبه صخرًا » .

(٣) حاشية الأصل : « ويروى : « لأم القمر - بالغين المعجمة » ، ورواية الكامل :

إني هَزِنتُ مِنْ أَمِّ الْعَمْرِ إذْ هَزِنتُ بِشَيْبِ رَأْسِي ، وَمَا بِالشَّيْبِ مِنْ عَارٍ
(٤) د :

* وَسَوْفَ تَبْدُو إِلَى الْجَبَّارِ أُسْرَارِي *

لَا أَدْخُلُ الْبَيْتَ أَحَبُّ مِنْ مُؤَخَّرِهِ وَلَا أَكْثَرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي
فَقُولُهُ :

* لَا أَدْخُلُ الْبَيْتَ أَحَبُّ مِنْ مُؤَخَّرِهِ *

يَحْتَمِلُ أَنْ يَرِيدَ بِهِ : إِنِّي لَا آتِي الْأُمُورَ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ ، عَلَى أَحَدِ الْأَجُوبَةِ فِي الْآيَةِ ،
وَيَحْتَمِلُ أَيْضًا أَنِّي لَا أَطْلُبُ الْخَيْرَ إِلَّا مِنْ أَهْلِهِ عَلَى جَوَابِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، وَيَحْتَمِلُ وَجْهًا آخَرَ ^(١) ؛
وَهُوَ أَنْ يَرِيدَ أَنِّي لَا أَقْصِدُ الْبَيْتَ لِلرِّيَّةِ وَالْفَسَادِ ، لِأَنَّ مِنْ شَأْنٍ مَنْ يَسْمَى إِلَى إِفْسَادِ الْحُرْمِ ،
وَيَقْصِدُ الْبُيُوتَ لِلرِّيَّةِ أَنْ يَمْدُلَ عَنْ أَبْوَابِهَا طَلِبًا لِإِخْفَاءِ أَمْرِهِ ، فَكَأَنَّهُ نَقَى عَنْ نَفْسِهِ بِهَذَا
الْقَوْلِ الْقَبِيحِ ، وَتَنَزَّ عَنْهُ ؛ كَمَا تَنَزَّ بِقَوْلِهِ :

* وَلَا أَكْثَرُ فِي ابْنِ الْعَمِّ أَظْفَارِي *

عَنْ مِثْلِهِ ، وَأَرَادَ أَنَّهُ لَا يَنْدَى ^(٢) ابْنُ الْعَمِّ مَنِ السُّوءِ ، وَلَا يَتَأَلَّمُ بِشَيْءٍ مِنْ جِهَتِي ، فَأَكُونُ ١٠
كَأَنِّي قَدْ جَرَحْتُهُ بِأَظْفَارِي ، وَكَسَرْتُهَا فِي لَحْمِهِ ؛ وَهَذِهِ كُنَايَاتٌ بَلِيغَةٌ مَشْهُورَةٌ لِلْمَرْبِ .

وَيَجْرِي تَجْرِي هَذِهِ الْآيَاتُ وَيُقَارَبُهَا فِي الْمَعْنَى وَحَسَنَ الْكُنَايَةِ قَوْلُ هِلَالِ بْنِ خَثَمٍ :

وَإِنِّي كَعَفٍّ عَنْ زِيَارَةِ جَارَتِي وَإِنِّي كَعَشْنَوٍ إِلَى اغْتِيَابِهَا
إِذَا غَابَ عَنْهَا بَعَاثُهَا لَمْ أَكُنْ لَهَا زَمُورًا وَلَمْ تَنْبَسِجْ عَلَيَّ كِلَابُهَا ^(٣)
وَمَا أَنَا بِالْدَّارِي أَحَادِيثَ بَيْتِهَا وَلَا عَالِمٌ مِنْ أَيْ حَوْلِكَ رِيَابِهَا ١٥
وَإِنْ قِرَابَ الْبَطْنِ يَكْفِيكَ مِلْوُهُ وَيَكْفِيكَ دَوْرَاتِ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا ^(٤)

(١) حاشية ته (من نسخة) : « وَوَجْهَ آخِر » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « مِنْ »

حَرَكَاتِهِمْ : مَا يَنْدَى مَنِ السُّوءِ ، أَيْ مَا يَصِيبُكَ ، وَيُقَالُ : مَا نَدَيْتُ بِهِذَا الْأَمْرَ وَلَا نَطَلْتُ بِهِ ، وَلَا بَلَلْتُ بِهِ ،
أَيْ مَا عَمِلْتَهُ وَلَا أَصَبْتَهُ ، فَإِنَّ الدَّائِغَةَ :

وَلَا نَدَيْتُ بِشَيْءٍ أَنْتَ تَكْرَهُهُ إِذَا فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَى يَدِي .

(٣) يُقَالُ رَجُلٌ زَوَارٌ وَزَمُورٌ ، كَذَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ اللِّسَانِ وَاسْتَشْهَدَ بِالْبَيْتِ .

(٤) حاشية الأصل : « الْقِرَابُ : مَا دُونَ الْمَلَأِ أَوْ قَرِيبَتِهِ » .

قال سيدنا أدام الله علوه : وقد جمعت هذه الأبيات قمرًا عجيبية ، وكناباتٍ بليغة ،
لأنه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلها ، وخصَّ حال الغيبة لأنها أدنى إلى الرِّيبة
[١٢٦] وأخصَّ بالتهمة فقال / : « ولم تنسحْ على كلابها » ، أراد : إني لا أطرقها ليلاً مستخفياً
متنكراً فتفكرني كلابها ، وتنسحني ، وهذه الكناية تجري مجرى قول الشاعر المتقدم :
* لا أدخل البيت أحبو من مؤخره * ٥

وقد روى : « ولم تنس إلى كلابها » وهذا معنى آخر ، كأنه أراد أنه ليس يُسكّر
الطروق لها والغشيان لنزلها ، فتأنس به كلابها لأن الأُنس لا يكون إلا مع الموصلة
والموارة .

وقوله :

* وما أنا بالدَّارِى أحاديث بيتها *

١٠

أراد به أيضاً التأكيد في نفي زيارتها وطروقتها عن نفسه ؛ لأنه إذا أذمن الزيارة عرف
أحاديث بيتها ، فإذا لم يزرها وصارمها لم يعرف ، ويحتمل أن يريد : إني لأسأل عن أحوالها
وأحاديثها كما يفعل أهل الفضول ؛ فنزه نفسه عن ذلك .

وقوله :

* ولا عالم من أىَّ حوكٍ ثيابها *

١٥

كنايةٌ مليحة عن أنه لا يجتمع معها ، ولا يقرب منها ؛ فيعرف صفة ثيابها .

وبالإسناد المتقدم لحارثة بن بدر الغداني^(١) .

إِذَا الهمُّ أَمْسَى وَهُوَ دَاةٌ فَأَمِضِهِ وَلَسْتُ بِمُضِيهِ وَأَنْتَ تُعَادِلُهُ
وَلَا تُنْزِلُنِي أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بِأَمْرِي إِذَا هَمٌّ أَمْرًا عَوَّقْتَهُ عَوَازِلُهُ^(٢)

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن غدانة ؛ من بني يربوع . كان من فرسان بني تميم
ووجوهها وسادتها ، ولم يكن معدوداً في لحول الشعراء ، واسمكه كان يعارض نظراءه في الشعر . (وانظر
أخباره وأشعاره في الأغاني ٢١ : ١٣-٣١) (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف ؛ و سوفته عواذله .

فما كلُّ ما حاولته الموت دونه ، ولا دونه أرصاده وحبائله ،
وما الفتك ما أمرت فيه ولا الذي تحدثت من لافيت أنك فاعله ^(١)
وما الفتك إلا لامرئ ذي حفيظة إذا صال لم ترعد إليه خصائله ^(٢)
ولا تجعلن سيرا إلى غير أهله فتقعدن إن أفشى عليك تجادله
ولا تسأل المسال البخل ترى له غنى بعد ضرر أورثته أوائله ^(٣)
أرى المسال أفياء الظلال فتارة يتوب ، وأخرى يختل المال خائله
معنى « أمرت » شاورت . والمصائل : كل لحم مجتمع .

وقد روينا في هذه الأبيات زيادة على القدر الذي ذكرناه :

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن العباس
قال حدثني الفضل بن محمد عن أبي النبال المهلب قال : من الأبيات السائرة قول حارثة
ابن بدر الغدافي :

لعمرك ما أبقى لي الدهر من آخر حفي ولا ذي خلّة لي أوائله ^(١)
/ ولا من خليل ليس فيه غوائل فشر الأيلاء الكثير غوائله [١٢٧]
وقل إقواء إن نزا بك نزوة من الرّوع أفرخ ، أكثر الرّوع باطله ^(٢)
معنى « أفرخ » أي اسكن ، يقال : أفرخ روعه إذا سكن .
وما كلُّ ما حاولته ، الموت دونه .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ولا الفتك » . وآمرت : شاورت .

(٢) من نسخة بحاشية الأصل : « لم ترعد إليه » وفيها : « المصائل : جمع خصلة ، وهي كل لحم مجتمع ، مثل الساقين والفخذين » . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يجوز أن يكون ضمير المال أو البخل » . (٤) الحقي : الذي يكرم خليله ويبالغ في إكرامه ، مع إظهار المسرة والفرح .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « إنما نكر الفؤاد على اعتبار أن له فؤادين ، أحدهما يشجيه والآخر يخبئه » ، فقال : لا تطلع الحين ؛ وإنما جعل لنفسه فؤادين يتسمان بالخوف والأمن ، لكيلا يكون في حال من الأحوال جباناً مطلقاً ، بل يكون مترعاً بينهما . وفي حاشية ت (من نسخة) : « للفؤاد » .

وذكر البيتين اللذين بعده ، وزاد :

وكن أنت ترعى مير نفسك واعلمن
إذا ما قتلت الشيء علما فنع به^(٢)
بأن أقل الناس للناس حامله^(١)
ولا تقل الشيء الذي أنت جاهله

ومما يستحسن لحارثة بن بدر قوله :

لنا نبعة كانت تقينا فروعها
وإننا لتستحلي المنايا نفوسنا
وقد بلغت إلا قليلا عروقها^(٣)
ونترك أخرى مرة لا تذوقها^(٤)
رعود المنايا بيننا وبروقها
وشيب رأسي قبل حين مشيه

قوله :

* لنا نبعة كانت تقينا فروعها *

مثل ضربه ، وإنما أراد عشيرته وأهل بيته .

١٠

وقد روى هذه الأبيات علي بن سليمان الأخفش عن أبي العباس ثعلب ، وزاد فيها :

رأيت المنايا باديات وعودا
وقد قسمت نفسي فريقين منهما :
إلى دارنا سهلا إلينا طريقها
فريق مع الموتى ، وعندي فريقها
وبينا نرجى النفس ما هو نازح
من الأمر لاقت دونها ما يعوقها

وروى أبو العيناء قال : أنشد الشعبي عبد الله بن جعفر الأبيات الثلاثة الأولى ،

١٥

(١) د : « للسر » ، وفي حاشية ت : « نسخة الشجرى : « أقل الناس للسر حامله » ، كأنه

أقلهم لحمله . (٢) قلت الشيء علما ، أى علمته علما تاما ، ومن نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف :

« فقل به . (٣) النبع : شجر ينبت في قلة الجبل ، تتخذ منه العسى .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « مرة لاندوقها » ، وفي حاشية ف : مثله « قول السموم

ابن عاديا اليهودى :

يُقرَّبُ حُبُّ الموتِ آجَالَنَا وَتُكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ

أى حبا الموت ؟ ويجوز أن يكون أضاف الحب من قوله : « حُبُّ الموت » إلى الفاعل ؟ فيكون المعنى :

يقرَّب حب الموت لنا آجالنا ؟ ويكون هذا كقول طرفة :

أَرَى الْمَوْتَ يَمْتَأَمُ الْكَرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

فقال عبدالله: لمن هذا يا شمي؟ فقال: الحارثة بن بدر، فقال: نحن أحق بهذا، ثم أمر للشامي بأربعمائة دينار.

ومن مستحسن قول حارثة:

ولقد وليت إمامة فرجتها في المال سالمة ولم أتمول^(١)
ولقد منمت النصح من مقبل
/ فبأي لمة لايس لم التمس
يا طالب الحاجات يرجو نجاتها
فاصدق إذا حدثت ككتب صادقاً
ليس النجاح مع الأخف الأعجل
وإذا خافت موارياً فتعجل^(٢)
— معنى «نكتب صادقاً» ، أى تكون عند الله صادقاً . وقوله: «فتعجل»

أى استثنى.

١٠

وإذا رأيت الباهشين إلى الملا غبراً أكفهم برئت فاعجل
— معنى الباهشين: المادّين أيديهم إلى الشيء المشين^(٤) له.

١٥

واحذر مكان سوء لا تحل به^(٥) وإذا نبا بك منزل فتحوّل
وإذا ابن عمك لجّ بعض حاجة فانظر به عدة ولا تستعجل
وإذا افتقرت فلا تكن متخشعاً ترجو الفواضل عند غير المفضل
واستغن ما أغناك ربك بالغنى وإذا تكون خصاصة فتجمل

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن أبي الأزهر قال حدثنا محمد بن يزيد

(١) عجز البيت الخامس والبيت ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ نسبت إلى عبد قيس بن خفاف البرجمي في

قصيدة مفضلية ٧٥٠-٧٥٣ مطلعها:

أجيب إن أباك كارب يومه فإذا دُعيت إلى العظامير فاعجل

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ف: «خشلة خائل لم أختل».

(٣) موارياً: مجادلاً. (٤) ف، ومن نسخة بحاشيتي الأصل، ت: «المشهن».

(٥) حاشية ت (من نسخة): «لا تنزل به».

النحوى قال: كان^(١) حارثة بن بدر الغداني رجل تميم في وقته، وكان قد غلب على زياد، وكان الشراب قد غلب عليه، فقيل لزياد: إن هذا قد غلب عليك، وهو مستهتر^(٢) بالشراب؛ فقال زياد: كيف بأطراح رجل هو يسأري من دخلت العراق، لم يصكك ركابي ركابه^(٣)، ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه، ولا تأخر عني فلويت عنق إليه، ولا أخذ على الشمس في شتاء قط، ولا الروح^(٤) في صيف قط، ولا سألته عن علم إلا ظننته لا يحسن غيره! فلما مات زياد جفاه ابنه عبيد الله، فقال له حارثة: أيها الأمير، ما هذا الجفاء مع معرفتك بالحال عند أبي المغيرة^(٥)! فقال له عبيد الله: إن أبا المغيرة قد كان برع برؤعا لا يلحقه معه عيب، وأنا حدث، وإنما أنسب إلى من يغلب على، وأنت رجل تديم الشراب، فمتى قرأتك وظهرت منك رائحة الشراب لم آمن أن يظن بي، فدع الشراب، وكن أول داخل على، وآخر خارج، فقال له حارثة: أنا لا أدعه لمن يملك ضرتي ونفمي، أفدعه للحال عندك! قال: فاختر^[١٢٨] من عمل ماشئت. قال: توليني/رامهرمز^(٦)، فإنها أرض عذاة^(٧)، وسرق^(٨)؛ فإن بها شرابا وصيف لي. فولأء إياها، فلما شبعه الناس قال أنس بن أبي أنيس^(٩) - وقيل: ابن أبي إلياس الدلي -

أحار بن بذير قد وليت إمارة فكن جرذا فيها تخون وتسرق^(١٠)
ولا تحقرون يا حار شيئا وجدته فحفظك من ملك المراقين سرق

(١) الخبر في السكامل - بشرح المصنف ٣-١٩١-١٩٢.

(٢) مستهتر بالشراب: مولع به؛ من استهتر بكذا، مبليا لما لم يسم فاعله: أولع به لا يفعل غيره.

ولا يتحدث إلا به. (٣) من نسخة بمحاشيتي ف، ت: «بصطك ركابي ركابه».

(٤) الروح: برد النسيم. (٥) أبو المغيرة: كنية زياد.

(٦) رامهرمز: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان من بلاد الفرس.

(٧) الأرض العذاة: الطيبة الثرية، البعيدة من الأنهار والنجود والسيابح.

(٨) سرق: إحدى كور الأهواز. (٩) من نسخة بمحاشيتي الأصل، ت، ف: «ابن أبي

أنس». وفي الشعر والشعراء: ٧١٤: «أنس بن أبي أنس»، من كتابته، من الدؤل، رطط أبي

الأسود الدؤل. (١٠) الأبيات في الشعر والشعراء: ٧١٥.

وبإيم تيمياً بالغنى إن لاني لساناً به العى الهيرة ينطق^(١)
 فبن جميع الناس ؛ إما مكذب يقول بما يهوى ، وإما مُصدق^(٢)
 يقولون أقوالاً ولا يعلمونها فإن قيل هاتوا حقائقاً لم يحققوا
 وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدؤلى ، وأنه كتب بها إلى حارثة لما ردت إليه سرق ،
 ويزاد فيها :

وكن حازماً في اليوم إن الذي به يحى غداً يوم على الناس مطبق^(٣)
 ولا تمجزن فالعجز أوطأ مركب وما كل من يدعو إلى الخير يرزق
 إذا ما دعاك القوم عذوك آكلاً وكل حاراً أوجع ؛ أنت بمن يحقق
 ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله :

جراك إله الناس خير جزائهم فقد قات معروفاً وأوصيت كافياً^(٤)
 أشرت بأمر لو أشرت بغيره لأفقتني فيه لرأيت عاصياً^(٥)

ويقال إن حارثة بن بدر والأحنف بن قيس دخلا على ابن زياد ، فقال لحارثة : أى
 الشراب أطيب ؟ وكان ينهم^(٦) ، فقال : يرث طاسارية ، وأقطة غنوية ، وسمنة عنبرية ، وسكرة
 سوسية ، ونظافة مسرقانية^(٧) . فقال للأحنف : يا أبا بجر ، ما أطيب الشراب ؟ قال :

(١) الهيرة : الذى يهاب الناس ؛ والهاء فيه لئلا كيد البالغة . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :
 « تهوى » . (٣) حاشية الأصل : « يقال غمام مطبق ؛ أى ذو طبق ؛ وقد أطلعت السماء » .
 (٤) البيتان في الأغاني ٢١ : ٢٣ ، وبسدهما :

سَتَلْقَى أَخَا يُعْصِيكَ بِالْوُدِّ حَاضِراً وَيُورِيكَ حِفْظَ الْغَيْبِ إِنْ كُنْتَ نَائِماً

(٥) ت ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « وكان ينهم » . (٦) حواشي الأصل ، ت ، ف : « ذكره
 يزيد بن مفرغ الحميري » :

سَقَى هَزْمُ الْأَوْسَاطِ مُفْعِلِجِ الْعُرَا مِنْسَازِلَهَا مِنْ مَسْرُقَانِ فُسْرَا

— هزيم الأوساط ؛ أى مجلجل بالرمح ، وهزيم الرعد : صوته ، وأوساطه ؛ أى أوساط السحاب .

الخمر ، قال : وما يدريك ولست من أهلها ؟ قال : رأيتُ فيها خصلتين عرفتُ أنها أطيبُ
الشراب بهما ، قال : وما هما ؟ قال : رأيتُ من أحلَّتْ له لا يتمدَّها إلى غيرها ، ومن حرَّمت
عليه يتناولها ، فعرفتُ أنها أطيبُ الشراب .

ولحارثة بن بدر يخاطب عبید الله بن زياد لما تغيَّر عليه بعد اختصاصه كان بأبيه (١) :

[١٢٨] / أَهَانُ وَأَقْصَى ثُمَّ تَنْتَصِحُونِي وَأَيُّ أَمْرٍ يُعْطَى نَصِيحَتَهُ قَسْرًا !
رَأَيْتُ الْأَكْفَ الْمُصْلِتِينَ عَلَيْكُمْ مِلًّا ، وَكَفَى مِنْ عَطَايَاكُمْ صِفْرًا
وَلَمَّا مَعَ السَّاعَى إِلَيْكُمْ بَسِيفِهِ إِذَا أَحْدَثَ الْأَيَّامُ فِي عَظْمِكُمْ كَسْرًا
مَتَى تَسْأَلُونِي مَا عَلَىَّ وَتَتَمَنَّوْا لَدَى لِي لَا أَسْطِيعُ عَلَى ذَلِكَ صَبْرًا

وقال يعاتبه :

١٠ وَكَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَدْ تَجَبَّرَ بَعْدَ مَا مَرَيْتُ لَهُ الدُّنْيَا بَسِيفِي فَدَرَّتْ
إِذَا زَبَنَتْهُ عَنْ فُوقٍ أَنْتَ بِهِ دَعَانِي وَلَا أَدْعَى إِذَا مَا أَقَرَّتْ
إِذَا مَا هِيَ آخَلَوْلَتْ مَحَاقِقَ مَقْسِمِي وَيَقْسِمُ لِي مِنْهَا إِذَا مَا أَمَرَّتْ

زبنته : أى دفته عن أن يحلبها . والفواق : اجتماع اللبن في الضرع بين الحلبتين .
ومعنى أقرت : تركته يحلبها .

١٥ ويشبه أبيات حارثة هذه قول عبد الله بن الزبير الأسدي يعاتب معاوية ومروان وأهل

بيته ؛ من جملة قصيدة ، وهى أبيات قوية جدًا :

عَطَاؤُكُمْ لِلضَّارِّينَ رِقَابُكُمْ وَنُدْعَى إِذَا مَا كَانَ حَزُّ الْكَرَّاكِ (٢)
أَنْحَنُ أَخَوَكُمْ فِي الضِّيقِ وَمَهْمُنَا إِذَا مَا قَمَمْتُمْ فِي الْحِظَاءِ الْأَصَاغِرِ

— الحِظَاءُ : سهام صفار — .

(١) الخبر مبسوط في (الأغاني ٢١ : ١٥) ، والأبيات فيه منسوبة إلى أنس بن زعيم اللبي .

(٢) الكراكر : جمع كركرة ؛ وهى صدر البعير . وفى حاشية الأصل : • مثله :

وإذا نسكون كرهية أدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

وَتَذِيْبُكُمْ اِذَا مَا سَأَلْتُمْ وَنَلْقَى بِئْذِي حِينَ نَسْأَلُ بِاسِرٍ^(١)
وَإِنْ كَانَ فِئْدَا الذَّنْبِ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ أَخِذْنَا بِهِ مِنْ قَبْلِ نَائٍ وَأَمِيرٍ^(٢)

— معنى «من قبل نائٍ وأمر» ، أى من قبل أن ننهى عنه أو نؤمر به ، أى باجتنابه —

وَإِنْ جَاءَكُمْ مِثْلًا غَرِيبٌ بِأَرْضِكُمْ لَوْيْتُمْ لَهُ يَوْمًا جُنُوبَ الْمَنَافِرِ
فَهَلْ يَفْعَلُ الْأَعْدَاءُ إِلَّا كَفَيْلَكُمْ هَوَانَ السَّرَاةِ وَابْتِغَاءَ الْعَوَائِرِ^(٣)
وغيرَ نفسى عنكم ما فعلتم وَذِكْرُ هَوَانٍ مِنْكُمْ مُتَظَاهِرٍ
جَفَاؤُكُمْ مِنْ عَالِجِ الْحَرْبِ عَنْكُمْ وَأَعْدَاؤُكُمْ مِنْ بَيْنِ جَابٍ وَعَائِرٍ^(٤)
فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ هَوَايَ وَوَدَّكُمْ وَقُلْ فِي فَوَائِدٍ قَدْ تَوَجَّهَ نَافِرٍ^(٥)

ولحارثة بن زياد :

لَهْفَى عَلَيْكَ لِلْمَهْفَةِ مِنْ خَائِفٍ بَيْتِي جَوَارِكَ حِينَ لَيْسَ بِمَجِيرٍ
أَمَّا الْقُبُورُ فَأَهْنَى أَوَانِسٍ بِجَوَارِ قَبْرِكَ وَالْدِّيَارُ قُبُورُ
عَمَّتْ فَوَاضِلُهُ فَعَمَّ مُصَابُهُ فَالْنَّاسُ فِيهِ كُلُّهُمْ مَأْجُورُ
رَدَّتْ صَنَائِعُهُ إِلَيْهِ حَيَاتُهُ فَكَأَنَّهُ مِنْ نَشْرِهَا مَنْشُورُ

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : وأظن أبا تمام الطائي نظر إلى قول حارثة

ابن بدر « ردت صنائعه إليه حياته » في قوله :

أَلَمْ تَمُتْ يَا شَقِيقَ النَّفْسِ مِذْ زَمَنْ ؟ فَقَالَ لِي : لَمْ يَمُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ كَرَمُهُ^(٦)

وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال : أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا عبد الرحمن — يعنى

ابن أخى الأصمعى عن عمه قال : مرَّ حارثة بن بدر الغدافي ، ومعه كعب مولاه ، فجعل لا يمرُّ

(١) بأسر : قليل اللين . (٢) حاشية ت : « أى إن أذنبنا الذنب الذى يذنب الناس مثله أخذنا

به من قبل أن ننهى عنه أو نؤمر بالانكفاف عنه » . (٣) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت : « هوان »

بضم النون . (٤) الجابى : الذى يأخذ الجباية ، والعائير الذى يأخذ العير .

(٥) حاشية الأصل : « أى توجه إلى غيركم ونهر عنكم » . وفي ت وحاشية الأصل (من نسخة) :

« قد توجد » . (٦) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ت ، ف : « يا شقيقى الجود » .

بمجلس من مجالس تميم إلا قالوا : مرحباً بسيدنا . فقال كعب : ما سمعت كلاماً قط هو أقرّ
لصبي ، وألذ في سمى مما سمعته اليوم ! فقال حارثة : ولكنى ما سمعت كلاماً قط هو أكره
إلى منه ، ثم قال :

ذَهَبَ الرَّجَالُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُدَا فَعٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّوْدِ^(١)

وهذا البيت يقال إنه لحارثة ، لا أنه تمثّل به .

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزبانيّ قال حدثني عبد الله بن جعفر قال حدثنا محمد بن يزيد
قال قال السكّانيّ : مرّ حارثة بن بدر بالأحنف بن قيس فقال : لولا أنك مستمجل
لشاورتك ، قال له : أجل ، كانوا يكرهون أن يشاورَ الجائع حتى يشبع ، والظمآن حتى
ينقع ، والمُضِلُّ^(٢) حتى يجيد ، والمضبان حتى يرضى ، والمهزون حتى يفيق .

(١) من نسخة بمحاشي الأصل ، ت : ه غير مسودة . (٢) المضل : الذي ذهب بعيره .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا / وَاللَّهُ سَرِيعٌ ﴾ [١٢٩] الْحِسَابِ ؛ [البقرة : ٢٠٢] .

فَقَالَ : أَيُّ تَمْذُحٍ فِي سُرْعَةِ الْحِسَابِ ، وَلَيْسَ بِظَاهِرٍ وَجْهُ الْمِذْحَةِ فِيهِ ؟

الْجَوَابُ ، قَاتْنَا فِي ذَلِكَ وَجْوهَ :

أَوَّلُهَا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّهُ سَرِيعُ الْمَجَازَةِ ^(١) لِلْعِبَادِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، وَأَنْ وَقْتَ الْجَزَاءِ هَ قَرِيبٌ وَإِنْ تَأَخَّرَ ، وَيَجْرِي تَجْرَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [النحل : ٧٧] .

وإنما جاز أن يعبر عن المجازة أو الجزاء بالحساب ؛ لأن ما يجازى به العبد هو كُفٌّ لِفِعْلِهِ وَلِمَقْدَارِهِ ، فَهُوَ حِسَابٌ لَهُ إِذَا كَانَ مِمَّا تَلَا مِكَافَأً .

وَمِمَّا يَشْهَدُ بِأَنَّ فِي الْحِسَابِ مَعْنَى الْكَفَايَةِ وَالْمِكَافَأَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ جَزَاءُ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴾ [التبا : ٣٦] ، أَيُّ عَطَاءٍ كَافِيًا ، وَيُقَالُ : أَحْسَبَنِي الطَّعَامُ يُحْسِبُنِي إِحْسَابًا إِذَا كَفَانِي ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَإِذَا لَا تَرَى فِي النَّاسِ حُسْنًا يَفُوتُهَا وَفِي النَّاسِ حُسْنٌ لَوْ تَأَمَّلْتَ مُحْسِبٌ ^(٢)
مَعْنَاهُ كَافٍ .

(١) ت : و الحساب .

(٢) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلُ ، ف : « يَصِفُ امْرَأَةً بِالْحُسْنِ وَيُبَالِغُ فِي وَصْفِهَا » يَقُولُ : مَا رَأَيْتُا حَسَنَاتٍ هَذِهِ الْمَرْأَةُ وَتَمْدَاحُهَا مِمَّنْ أَنَّ مَا فِي النَّاسِ كَفَايَةُ حُسْنٍ .

وثانيها أن يكون المراد أنه عز وجل يحاسب الخلق جميعاً في أوقات يسيرة ، ويقال : إن مقدار ذلك مقدار حلب شاة ؛ لأنه تعالى لا يشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره^(١) ؛ بل يكلمهم جميعاً ويحاسبهم كلهم على أعمالهم في وقت واحد ؛ وهذا أحد ما يدل على أنه تعالى ليس بجسم ، وأنه لا يحتاج في فعل الكلام إلى آلة ؛ لأنه لو كان بهذه الصفات - تعالى عنها - لما جاز أن يخاطب اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ؛ ولكان خطاب بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ، ولكانت مدة محاسبته للخلق على أعمالهم طويلة غير قصيرة ؛ كما أن جميع ذلك واجب في المحدثين الذين يفتقرون في الكلام إلى الآلات .

وثالثها ما ذكره بعضهم من أن المراد بالآية أنه سريع العلم بكل محسوب ، وأنه لما كانت عادة بني الدنيا أن يستعملوا الحساب والإحصاء في أكثر أمورهم ؛ أعلمهم الله تعالى أنه يعلم ما يحسبون بغير حساب ؛ وإنما سمي العلم حساباً لأن الحساب إنما يراد به العلم ؛ وهذا جواب ضعيف ؛ لأن العلم بالحساب أو المحسوب لا يسمى حساباً ، ولو سمي بذلك لما جاز أيضاً أن يقال إنه سريع العلم بكذا ؛ لأن علمه بالأشياء مما لا يتجدد فيوصف بالسرعة .

ورابعها أن الله تعالى سريع القبول لدعاء عباده والإجابة لهم ؛ وذلك أنه يسأل في وقت واحد سوالات مختلفة / من أمور الدنيا والآخرة ، فيجزى كل عبد بمقدار استحقاقه ومصلحته ، فيوصل إليه عند دعائه ومسالته ما يستوجبه بمقدار ؛ فلو كان الأمر على ما يتعارفه الناس لطال العدد واتصل الحساب ، فأعلمنا تعالى أنه سريع الحساب ، أي سريع القبول للدعاء بغير إحساس وبحث عن المقدار الذي يستحقه الداعي ؛ كما يبحث المخلوقون للحساب والإحصاء ؛ وهذا الجواب مبنى أيضاً على دعوى أن قبول الدعاء لا يسمى حساباً في لغة ولا عرف ولا شرع . وقد كان يجب على من أجاب بهذا الجواب أن يستشهد على ذلك بما يكون حجة فيه ، وإلا فلا طائل فيما ذكره .

ويمكن في الآية وجه آخر ، وهو أن يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على أعمالهم يوم القيامة وموافقهم عليها ، وتكون الفائدة في الإخبار بسرعه الإخبار عن قرب الساعة ؛ كما قال تعالى : ﴿ سَرِيعُ الْعِقَابِ ﴾ .

وليس لأحد أن يقول : فهذا هو الجواب الأول الذي حكيموه ؛ وذلك أن بينهما فرقاً ؛ لأن الأول مبنى على أن الحساب في الآية هو الجزاء والكفاة على الأعمال ، وفي هذا الجواب ٥ لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة ، والمقابلة بالأعمال وترجيحها ، وذلك غير الجزاء الذي يفضى الحساب إليه .

وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضاً على أبي علي الجبائي في اعتماده إياه ^(١) بأن قال ^(٢) : مخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد ، وليس في خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضى زجراً ، ولا هو مما يتوعد بمثله ؛ فيجب أن يكون المراد الإخبار عن قرب أمر الآخرة ١٠ والمجازاة على الأعمال .

وهذا الجواب ليس أبو علي هو المبتدى به ، بل قد حكي عن الحسن البصري ، واعتمده أيضاً قطرب بن المستنير النحوي ؛ وذكره الفضل بن سلمة ، وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا الطاعن بمبطل له ، لأنه اعتمد على أن مخرج الآية مخرج الوعيد ، وليس كذلك ، لأنه تعالى قال : ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَنُ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ۚ وَمِنْهُمْ مَنُ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [البقرة : ٢٠٠ - ٢٠٢] ، فالأشبه بالظاهر أن يكون الكلام وعداً بالثواب ، وراجعاً إلى الذين يقولون : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا [١٣٠] حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ ، أو يكون راجعاً إلى الجميع ، فيكون المعنى : إن للجميع نصيباً مما كسبوا ؛ فلا يكون وعيداً خالصاً ؛ بل إما أن يكون وعداً خالصاً أو وعداً ووعيداً ، على أنه لو كان وعيداً خالصاً على ما ذكر الطاعن لكان لقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ

سَرِيعُ الْحِسَابِ) ، على تأويل من أراد قَصْرَ الزمان ، وسرعة المواقفة وجهه وتعاق بالوعد والوعيد ؛ لأن الكلام على كل حال متضمن لوقوع المحاسبة على أعمال العباد ، والإحاطة بخيرها وشرها ؛ وإن وصف الحساب مع ذلك بالسرعة ؛ وفي هذا ترغيب وترهيب لا محالة ، لأن من علم أنه يحاسب بأعماله ، وبواقف^(١) على جميلها وقبيحها انزجر عن القبيح ورغب في فعل الواجب .

فهذا ينهّر الجواب ، وإن كنا لاندفع أن في حمل الحساب على قرب المجازاة ، أو قرب المحاسبة على الأعمال ترغيباً في الطاعات وزجراً عن المقيحات ؛ فالتأويل الأول أشبه بالظاهر ونسق الآية ، إلا أن التأويل الآخر غير مدفوع أيضاً ولا مردول^(٢) .

تأويل آية أنذرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ؛ [البقرة : ٢١٢] .
 ١٠ قال : أى تمدح في الإعطاء بغير حساب ، وقد يكون المعطى بحساب أجزل عطية من المعطى بغير حساب ؟ .
 الجواب ، قلنا في هذه الآية وجوه :

أولها أن تكون الفائدة أنه تعالى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بغير تقدير من الرزوق ولا احتساب منه ، فالحساب هاهنا راجع إلى الرزوق لا إليه تعالى ؛ كما يقول القائل : ما كان كذا وكذا في حسابي ، أى لم أومله ، ولم أقدر أنه يكون ؛ وهذا وصف للرزق بأحسن الأوصاف ؛ لأن الرزق إذا لم يكن محتسباً كان أهناً له وأحلى ؛ وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه في تفسير هذه الآية أنه قال : عسى بها أموال بنى قريظة والنضير ، وأنها تصير إليكم بنخير حساب ولا قتال ، على أسهل الأمور وأقربها وأيسرها .

وثانيها أن الله تعالى يرزق من يشاء رزقا غير مضميق ولا ممتد؛ بل يزيد في السعة والسكرة على كل عطاء المخلوقين^(١)، فيكون نفي الحساب فيه نفيا^(٢) للتضييق، ومبالغة في وصفه بالسعة، والعرب تسمى العطاء القليل / محسوبا، قال قيس بن الخطيم:

[١٣١]

أَتَى سَرَبْتٍ وَكَنتَ غَيْرَ سَرُوبٍ ! وَتَقَرَّبُ الْأَحْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ^(٣)
مَا تَمْنَى يَقْطِي قَقْدُ تَوَاتِيْنَهُ فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبٍ^(٤)

وثالثها أن يكون المعنى أنه يرزق من يشاء، أي من غير طلب للمكافأة أو إراغة لفائدة تعود إليه، أو منفعة ترجع عليه، لأن من شأن أهل الدنيا أن يُعطوا ليكافؤوا ولينتقموا، ولهذا يقال فيمن يقصد بالمعطية إلى هذه الأمور: فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم، ويناقشهم فيما يوصله إليهم، وما أشبه ذلك، فلما انتفت هذه الأمور من عطايه سبحانه جاز أن يقول إنه يرزق بغير حساب.

ورابعها ما أجاب به قُطْرُب، قال: معنى الآية يعطى المدد الكثير لا مما^(٥) يضبطه الحساب، أو يأتي^(٦) عليه المدد، لأن مقدوره تعالى لا يتناهى، وما في خزائنه لا ينحصر، ولا يصح عليه النفاذ؛ وليس كالمعطى من ألف من الألفين، والعشرة من المائة؛ لأن مقدار ما يتبع له ويتمكن منه محدود متناه، ولا تنهى ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه.

وخامسها أنه يعطى عباده في الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا، وأزيد مما وجب لهم، بحسب سببه إياهم على طاعته كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا

(١) ت، وحاشية الأصل (من نسخة): «عطاء للمخلوقين». (٢) حاشية الأصل (من نسخة): «نقيضا». (٣) ديوانه: «وَأَدَّى الْعَالِي ٢: ٢٧٣، وحاشية ابن الشجري: ١٨٩، والآل: ٥٢٤. وفي حاشية الأصل: «يَخَاطَبُ خِيَالَ امْرَأَةٍ رَأَى فِي الْمَنَامِ: يَتَجَبَّبُ مِنْ سَبْرِ خَبَالِهَا إِلَيْهِ وَكَانَتْ غَيْرَ مُعَانِدَةٍ لِلْسَبْرِ، وَالْمَرْوَبُ: السَّارَى، وَقِيلَ: السَّبْرِ سَبْرُ النَّهَارِ». وفي حاشية ت: «أَتَى سَرَبْتٍ...». (٤) المصرد: المقطع؛ وفي حاشية ت: «وبعده:»

كَانَ الْمَنَى بِلِقَائِهَا فَلَقِيَتْهَا فَلَمَّوَتْ مِنْ لَهْوِ امْرِئٍ مَكْذُوبٍ
(٥) من نسخة بمواشى الأصل، ت، ف: «مما لا يضبطه الحساب». (٦) ت: «إذ يأتي عليه المدد».

حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴿٢٤٠﴾ [البقرة : ٢٤٠] وكما قال عز وجل : ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [التوبة : ١٧] ، وكما قال تعالى : ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [فاطر : ٣٠] .

وسادسها أن يكون المِطَى منّا غير شيثا والرازق سواء رزقا قد يكون له ذلك، فيكون فعله حسنا لا يُسأل عنه ، ولا يؤاخذ به ، ولا يُحاسب عليه؛ وربما لم يكن له ذلك، فيكون فعله قبيحا يؤاخذ به ، ويحاسب عليه ، فنفي الله تعالى عن نفسه أن يفعل من الرزق القبيح، وماليس له أن يفعل بنى الحساب عنه ، وأنبا أنه لا يرزق ولا يُعطى إلا على أفضل الوجوه وأحسنها وأبعدها من الذم ؛ وتجري الآية مجرى قوله تعالى : ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء : ٢٣] ، وإنما أراد أنه تعالى من حيث وقعت أفعاله كلها حسنة [١٣٠] غير قبيحة لم يجز أن يُسأل عنها / وإن سُئل العباد عن أفعالهم ، لأنهم يفعلون الحسن ^ط والقبيح معاً .

وسابعها أن الله تعالى إذا رزق العبد وأعطاه من فضله كان الحسابُ عن العبد ساقطاً من جهة الناس ، فليس لأحد أن يقول له : لِمَ رَزَقْتَ ؟ ولا يقول لربه : لِمَ رَزَقْتَهُ ؟ ولا يسأله ربه عن الرزق ، وإنما يسأله عن إنفاقه في الوجوه التي يُنفقه فيها ، فيسقط ^(١) الحساب من هذه الوجوه عما يرزقه الله تعالى ، ولذلك قال تعالى : ﴿يَغْيِرُ حِسَابِي﴾ ١٥ .

وثامنها أن يكون المراد بـ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ أن يرزقه من أهل الجنة ، لأنه يرزقهم رزقاً لا يصح أن يتناول جميعه الحساب ، ولا العدد والإحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع للمستحق منه ؛ ويطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر : ﴿قَالُوا لَيْتَ بَدُخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غانر : ٤٠] .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنِ الْخَبَرِ الَّذِي يُرْوَى عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « تَوَضَّؤُوا مِمَّا غَيَّرَتْ النَّارُ » ، فَقَالَ : مَا الْمَرَادُ بِالْوُضُوءِ هَاهُنَا وَمَذْهَبُكُمْ أَنْ مَسَّ مَا غَيَّرَتْهُ النَّارُ لَا يُوْجِبُ وُضُوءًا ؟

الجواب ، إِنْ مَعْنَى « تَوَضَّؤُوا » أَيْ نَظَّفُوا أَيْدِيَكُمْ مِنَ الزُّهُومَةِ ، لِأَنَّهُ رُوِيَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْأَعْرَابِ كَانُوا لَا يَنْسِلُونَ أَيْدِيَهُمْ مِنَ الزُّهُومَةِ وَيَقُولُونَ : فَقَدْ هَا أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ رِيحِهَا ، فَأَمَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتَنْظِيفِ الْأَيْدِي لِذَلِكَ ^(١) .

فَإِنْ قِيلَ : كَيْفَ يَصِحُّ أَنْ تَحْمِلُوا الْخَبَرَ عَلَى اللَّفْظِ اللَّغَوِيِّ ، مَعَ انْتِقَالِهِ بِالْعُرْفِ الشَّرْعِيِّ إِلَى الْأَفْعَالِ الْمَخْصُوصَةِ ، بِدَلَالَةِ أَنَّ مَنْ غَسَلَ يَدَهُ أَوْ وَجْهَهُ لَا يَقُولُ بِالْإِطْلَاقِ : « تَوَضَّأتُ » ، وَمَتَى سَلِمَ لَكُمْ أَنْ الْوُضُوءَ أَصْلُهُ مِنَ النِّظَافَةِ لَمْ يَنْفَعَكُمْ مَعَ الْانْتِفَالِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ ، وَكَلَامُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَخَصُّ بِالْعُرْفِ الشَّرْعِيِّ ، وَحَمَلُهُ عَلَيْهِ أَوَّلَى مِنْ حَمَلِهِ عَلَى اللَّغَةِ .

فَلَمَّا : لَيْسَ يُنْكَرُ ^(٢) أَنْ يَكُونَ إِطْلَاقُ الْوُضُوءِ هُوَ الْمُنْتَقِلُ مِنَ اللَّغَةِ إِلَى عُرْفِ الشَّرْعِ ، وَالْمَخْتَصُّ بِالْأَفْعَالِ الْمَعْنِيَّةِ ، وَكَذَلِكَ الْمُضَافُ مِنْهُ إِلَى الْحَدَثِ أَوْ الصَّلَاةِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا ^(٣) . فَأَمَّا الْمُضَافُ إِلَى الطَّعَامِ وَمَا جَرَى تَجَرُّاهُ فَبَاقٍ عَلَى أَصْلِهِ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّهُمْ لَوْ قَالُوا : تَوَضَّأتُ مِنَ الطَّعَامِ ، وَمِنَ الْغَمْرِ ^(٤) ، أَوْ تَوَضَّأتُ لِلطَّعَامِ لَمْ يَفْهَمْ مِنْهُ إِلَّا الْغَسْلُ وَالتَّنْظِيفُ ، وَإِذَا قَالُوا : تَوَضَّأتُ إِطْلَاقًا ، أَوْ تَوَضَّأتُ مِنَ الْحَدَثِ أَوْ لِلصَّلَاةِ فَفُهِمَ مِنْهُ / الْأَفْعَالُ الشَّرْعِيَّةُ ؛ فَلَيْسَ [١٣٢] بِفُكْرٍ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ اخْتِصَاصِ النَّقْلِ ، لِأَنَّهُ كَمَا يَجُوزُ انْتِقَالُ اللَّفْظَةِ مِنَ فَائِدَةٍ فِي اللَّغَةِ إِلَى فَائِدَةٍ فِي الشَّرْعِ عَلَى كُلِّ وَجْهٍ ، كَذَلِكَ يَجُوزُ أَنْ تَنْتَقِلَ عَلَى وَجْهِ دُونَ وَجْهِ ، وَتَبْقَى مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي لَمْ تَنْتَقِلْ مِنْهُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي اللَّغَةِ .

وَقَدْ ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِلَى أَنَّ إِطْلَاقَ لَفْظَةِ « مُؤْمِنٌ » مُنْتَقِلٌ مِنَ اللَّغَةِ إِلَى عُرْفِ

(١) حَاشِيَةٌ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « عَنْ ذَلِكَ » . (٢) حَاشِيَةٌ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « لَيْسَ يُنْكَرُ » .

(٣) فِي حَاشِيَتِي (مِنْ نَسْخَةٍ) : « وَمَا أَشْبَهَهُمَا » . (٤) الْغَمْرُ ، بِالضَّمِّ ، زَنْخُ الْحَمِّ .

الدين ومختص باستحقاق الثواب ، وإن كان مقيداً بها بإيجاباً على ما كان عليه في اللفظة .
ويبين ذلك أيضاً ما روى عن الحسن أنه قال : « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ، وبعدة ينفي
الأمم » ؛ وإنما أراد غسل اليدين بغير شك . وروى عن قتادة أنه قال : « غَسْلُ اليَدِ وَضُوءٌ »
وروى عكراش^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وآله أكل^(٢) وغسل يده ومسح ببلل يده
وجبه^(٣) وذراعيه ورأسه^(٤) ، وقال : « هكذا الوضوء مما مست النار » ، على أنه لو كانت
هذه اللفظة منتقلة على كل حال إلى الأفعال الشرعية المخصوصة لصح أن نحمله^(٥) في الخبر
على خلاف ذلك ، وزدناها إلى أصلها بالأدلة ، وإن كان الأولى لولا الأدلة أن تحمل على
مقتضى الشرع^(٥) .

فمن الأدلة على ما ذكرناه ما رواه ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله أكل كَتِفَ
١٠ شاةٍ ، وقام فصلياً ولم يتوضأ . وروى عطاء عن أم سلمة قالت : قرئت جنباً مشوياً إلى النبي صلى
الله عليه وآله ، فأكل منه ، وصلي ولم يتوضأ . وروى محمد بن المنكدر عن جابر أنه قال : كان
آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الوضوء مما مست النار^(٦) .

وكل هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول لو كان له ظاهر ، فكيف وقد
بيننا أنه لا ظاهر له !

١٥ فأما اشتقاق الوضوء فهو من الوضأة التي هي الحسن ، فلما كان من غسل يده ونظفها
قد حسنها قيل وضأها ؛ ويقال : فلان وضى الوجه وقوم وضاء ، قال الشاعر :

(١) هو عكراش بن ذؤيب بن حرقوم ، وفي ت ، ف : « عكرمة عن أنس » .

(٢-٣) حاشية ت (من نسخة) : « وغسل يديه ، ومسح ببلل يديه » .

(٣) حاشية ت (من نسخة) : « وبلل ذراعيه رأسه » . (٤) ت ، د ، ومن نسخة بحاشيتي
الأصل ، ف : « تحملها » .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « إنما تحمل اللفظة على العرف الشرعي فيما يتعلق بالأحكام
الفرعية لحسب » . (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « كان في الأول يتوضأ مما مسته النار ثم ترك » .

مَسَامِيحُ الْفَعَالِ ذُو أَنْتَاهِ مَرَّاجِيحٌ وَأَوْجُهُمْ وَضَاهُ^(١)
 والوضوء، بضم الواو : المصدر، وكذلك أيضاً التوضؤ والوضوء، بفتح الواو : اسم
 ما يتوضأ به، وكذلك الوقود اسم لما توقد به النار : والوقود، بالضم : المصدر، ومثله التوقد، [١٢٢]
 وقد يجوز أن يكون الوقود، بفتح الواو : المصدر، وكذلك الوضوء بفتح الواو : كما قالوا :
 حسن القبول، فحملوا القبول مصدراً، وهو مفتوح الأول، ولا يجوز في الوقود والوضوء
 بالضم إلا معنى المصدر وحده، قال جرير .

أَهْوَى أَرَاكَ بِرَامَتَيْنِ وَقُودَا أَمْ بِالْجَنِينَةِ مِنْ مَدَافِعِ أَوْدَا^(٢)
 وقال آخر :

إِذَا سَهِيلٌ لَاحَ كَالْوُقُودِ قَرَدًا كَشَاةِ الْبَقَرِ الْمَطْرُودِ
 وقال آخر :

وَأَجَجْنَا بِكُلِّ بَفَاعٍ أَرْضَ وَقُودِ النَّارِ لِلْمَتَنُورِينَ^(٣)

أخبرنا أبو عبيد الله الرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى قال
 حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني إبراهيم بن محمد عن عبد العزيز
 ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن شهاب قال : أتيت عبيد الله بن عبد الله
 ابن عتبة بن مسعود^(١) يوماً في منزله، فإذا هو منفيظ^(٥) ينفخ، فقلت له : مالي أراك هكذا !
 قال : دخل على^(٦) عاملكم هذا - يعني عمر بن عبد العزيز - ومعه عبد الله بن عمرو بن عثمان
 (١) حاشية ف : « السمع : الجواد والجمع سمعاء ؛ ومساميح ؛ كأنه جمع مسامح . والمراجيح :
 الخلاء . »

(٢) ديوانه ١٦٩ . ورامة والجنينة وأود : مواضع . والمدافع : جمع مدفع ؛ وهو مسيل الماء إلى
 الوادي وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يقول : الفى يربك وقود النار بهذه المواضع عشق هذا . »

(٣) البفاع : المرتفع من الأرض ؛ والمتنور : من ينظر إلى النار من بعيد ؛ قال امرؤ القيس :

تَنَوَّرْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتِ وَأَهْلُهَا يَثْرِبَ أَذْنَى دَارِهَا نَظَرٌ عَالٍ

(٤) أحد الفقهاء الشيعة بالمدينة توفي سنة ٩٨ ؛ وكان ضريراً ؛ ذكره الصفي في نكت المبيان :

١٩٧-١٩٨ ، وانظر ترجمته وأسماءه في الألفاظ ٨ : ٨٨-٩٥ . (٥) من نسخة بحواشي الأصل ،

ت ، ف : « منفيظ . » (٦) ت : « دخلت على عاملكم . »

فسلمت، فلم يردّا على السلام، فقلت^(١):

ألا أبلغا عنى عراك بن مالك
فقد جمعت تبدؤ شوا كل منكما
وطاوعتما بي غادراً ذا معاكة
فإن أنت لم تفعل فأبلغ أبا بكر^(٢)
فإنكما بي موقران من الصخر^(٣)
لمعري لقد أورى وما مثله يُورى^(٤)

- يقال : معك به وسدل به^(٥) إذا تعرض له بشر^(٥) -

فلولا اتقا الله اتقاني فيكما
فمسا تراب الأرض، منها خلقتما
ولا تأنفا أن أنفسا فتكلما
ولو شئت أدلى فيكما غير واحد
للمتسكما لوما أحر من الجمر^(٦)
وفيها المعاد والمقام إلى العشر^(٧)
فأحشي الأقوام شراً من الكبر^(٨)
علا نية أو قال عندي في السر^(٩)

/ - معناه : لو شئت اغتابكما عندي غير واحد -

فإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما
وكيف تريدان ابن سبعين حجة
ضحكت له حتى يبلغ ويستشري^(١٠)
على ما أنى وهو ابن عشرين أو عشرين^(١١)

(١) الخبر بروايته عن ابن شهاب في (الأغانى ٨ : ٩١-٩٢)، وفيه رواية أخرى أيضاً من ٩١ عن ابن اديس : « كان عراك بن مالك وأبو بكر بن حزم وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يتجالسون بالمدينة زماناً ثم إن ابن حزم ولى امرتها ، وولى عراك القضاء ، وكانا يمران بعبيد الله فلا يسلمان عليه ولا يقفان - وكان ضرياً - فأخبر بذلك فأنشأ يقول ... » ، وأورد الأبيات . (٢) حاشية ت (من نسخة) : ألا أبلغن . (٣) الشوا كل : جمع شاكلة ؛ وهى الحاصرة ، وأراد بها هاجنا أموراً ينسكرها . وبى ؛ أى بمكانى (٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : « قوله : « وطاوعتماى » فى حيز التشبيه ؛ يقول : كأنكما موقران ، وكأنكما إذ طاوعتماى طاوعتما غادراً مريضاً . ثم قال : لمعري لقد أورى هذا الفعل منكما ؛ أى فسد ؛ من ورى جوفه ؛ أو أوقد - يعنى شرا ، أى أثر وكنت لا أناثر بمثل ذلك »

(٥-٥) ت : « إذا تعرض به لشر » . (٦) حاشية ف : « أى لولا اتقاني بتقى الله لامتكما ؛ وهو مثل ؛ ويجوز أن يكون قوله : « اتقاني » مقولاً له ؛ أى للاتقاء . (٧) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « تسكلما » ، بكسر اللام المشددة وفى حاشية الأصل أيضاً (من نسخة) : « أن ترجعا فتسلما » . (٨) من نسخة بحاشيتى الأصل ، ت : « عندي فى سر » . يقال : أدلى فلان فى فلان إذا قال فيه قولاً قبيحاً . (٩) الضمير فى « له » يعود إلى المغتاب ، واستشري فى الأمر : لم فيه ؛ أى يجهزى ويظهر ؛ وأصل الكلمة الاستخراج . (١٠) يريد أن يقول : كيف تريداننى على ما امتنعت عنه وأنا صبي !

لَقَدْ عَلِقْتُ دَلْوًا كَمَا دَلَّوْا حَوْلَ مِنْ الْقَوْمِ لَا رِخْوَ الرِّاسِ وَلَا نَزْرَ^(١)
قال ابن شهاب : فقلت له : يَثْلُكُ بِرَحْمَتِكَ اللَّهُ مَعَ نُسُكِكَ وَفَضْلِكَ وَفَهْمِكَ^(٢) يقول
الشعر ! فقال : إن المصدور إذا نفث بَرَى .

وإنما ذكر عراك بن مالك وأبا بكر بن عمرو بن حزم - وكانا صديقيه - كناية بذكرهما
عن ذكر غيرهما .

وقد جاءت رواية أخرى أن أبا بكر بن عمر^(٣) بن حزم وعراك بن مالك كانا يجتازان على
عبيد الله فلا يستمان عليه ، فقال الأبيات يخاطبهما بها .

وروى محمد بن سلام لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

إِذَا كَانَ لِي سِرٌّ فَحَدَّثْتُهُ الْمِدَى وَضَاقَ بِهِ صَدْرِي ، فَلَلَّاسُ أَعْدَرَ^(٤)

هُوَ السِّرُّ مَا اسْتَوْدَعْتُهُ وَكَتَمْتُهُ وَلَيْسَ بِسِرٍّ حِينَ يَفْشُو وَيُظْهِرُ^(٥)

وأنشد مصعب الزبيري لعبيد الله بن عتبة بن مسعود :

أُوَ أَخِي رَجَالًا لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرٍّ بَعْضٍ إِنْ صَدْرِي وَاسِعُهُ

إِذَا هِيَ حَلَّتْ وَسَطَ عُودِ ابْنِ غَالِبٍ فَذَلِكَ وَدَّ نَارِخٌ لَا أَطَالِمُهُ^(٦)

تَلَاَقَتْ حَيَازِيمِي عَلَى قَلْبِ حَازِمٍ كَتَمْتُمْ لِمَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ أَضَالِمُهُ^(٧)

بَنَى لِي عَبْدُ اللَّهِ فِي سُورَةِ الْعَلَا وَعُتْبَةُ بَحْدًا لَا تُنَالُ مَصَالِمُهُ^(٨)

والبيت الأول يشبه قول مسكين الدارمي :

وَفِتْيَانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرٍّ بَعْضٍ غَيْرَ أَنِّي رِجَاعُهُ^(٩)

(١) حول : شديد الاحتيال ؛ أى أنكما ، وقتما على من لا تطيقان دفعه عن أنفسكما .

(٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « وفهمك » . (٣) حاشية (من نسخة) :

« عمرو » . (٤) المدي بالكسر : الأجانب ، وبالفهم الأعداء . (٥) حاشية ت (من نسخة) :

« وحفظته » . (٦) الضمير يعود على الودة ، وعود : جمع عائذ ، وهى الحديثة التناج من الإبل وغيرها .

(٧) فى الأغاني : « شددت حيازيمى » . والحيزوم : وسط الصدر . ومن نسخة بحاشيتي الأصل ،

ت : « ضمت » ، بالبناء للمعلوم (٨) المصانم : الأنبياء . (٩) الحماسة - بفرح النبريزى ٣ : ١٢٦ .

ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله :

تَغْلُفَلْ حُبُّ عَشْمَةٍ فِي فُوَادِي فَبَادِرِهِ مَعَ الْخَلْفِ يَسِيرُ^(١)
تَغْلُفَلْ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ
/ شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالْتَأَمَ الْفُطُورُ^(٢)
أَكَاذُ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهَا أَطْمِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ
غَى النَّفْسِ أَنْ أَزْدَادَ حُبًّا وَلَسَكُنِي إِلَى وَمَنْ لَمْ يَفْقِرُ^(٣)

[١٣٣]

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :

أَحْلَلْتُ فِي قَلْبِي هَوَاكَ مَحَلَّةً مَاحِلَهَا الشَّرُوبُ وَالْمَأْكُولُ^(٤)
وأخذه المتنبي في قوله :

وَلَسَرْتُ مَنَى مَوْضِعَ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يَفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ^(٥)

وكان العباس بن الأحنف ألم به في قوله :

لَوْ شَقَّ عَنْ قَلْبِي قَرْيٌ وَسَطَةٌ اسْمُكَ وَالتَّوْحِيدُ فِي سَطْرِ
وقال الصاحب السماعيل بن عباد :

لَوْ شَقَّ قَلْبِي لَرَأَوْا وَسَطَةَ سَطْرِ بْنِ قَدْ خُطَّ بِهَا كَاتِبُ
الْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدُ فِي جَانِبِ وَحُبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي جَانِبِ

وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتنبي .

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

لَعَمْرُ أَبِي الْحُسَيْنِ أَيَّامَ نَلْتَمِي لِمَا لَا نُلَاقِيهَا مِنْ الدَّهْرِ أَكْثَرُ

(١) الأبيات في أسالي الغالي ٣ : ٢١٧ ، وذكر صاحب الأغاني أن عتبة روجه .

(٢) الفطور : الشقوف . (٣) حاشية ت : هـ يعني أنه يستغنى عن ازدحام حب إلى حبه ، لأنه

قد تناهى . وأن ازداد ، يعني : عن أن ازداد هـ . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : هـ المأكول

المشروب هـ . (٥) ديوانه : ١٩٢ .

ومما يستحسن لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة قوله :

تَغْلُفَلْ حُبُّ عَشْمَةٍ فِي فُوَادِي فَبَادِرِهِ مَعَ الْخَلْفِ يَسِيرُ^(١)
تَغْلُفَلْ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابُ وَلَا حُزْنٌ وَلَمْ يَبْلُغْ سُرُورُ
/ شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالْتَأَمَ الْفُطُورُ^(٢)
أَكَاذُ إِذَا ذَكَرْتُ الْعَهْدَ مِنْهَا أَطْمِيرُ لَوْ أَنَّ إِنْسَانًا يَطِيرُ
غَى النَّفْسِ أَنْ أَزْدَادَ حُبًّا وَلَسَكُنِي إِلَى وَمَنْ لَمْ يَفْقِرُ^(٣)

[١٣٣]

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :

أَحْلَلْتُ فِي قَلْبِي هَوَاكَ مَحَلَّةً مَاحِلَهَا الشَّرُوبُ وَالْمَأْكُولُ^(٤)
وأخذه المتنبي في قوله :

وَلَسَرْتُ مَنَى مَوْضِعَ لَا يَنَالُهُ نَدِيمٌ وَلَا يَفْضِي إِلَيْهِ شَرَابُ^(٥)

وكان العباس بن الأحنف ألم به في قوله :

لَوْ شَقَّ عَنْ قَلْبِي قَرْيٌ وَسَطَةٌ اسْمُكَ وَالتَّوْحِيدُ فِي سَطْرِ
وقال الصاحب السماعيل بن عباد :

لَوْ شَقَّ قَلْبِي لَرَأَوْا وَسَطَةَ سَطْرِي بِنِ قَدْ خُطَّتْ بِهَا كَانِبُ
الْعَدْلُ وَالتَّوْحِيدُ فِي جَانِبِ وَحُبُّ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي جَانِبِ

وقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحسن من الجميع وبعده بيت المتنبي .

ولعبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

لَعَمْرُؤُ أَبَى الْمُحْسِنِ أَيَّامَ نَلْتَمِي لِمَا لَا نُلَاقِيهَا مِنْ الدَّهْرِ أَكْثَرُ

(١) الأبيات في أسالي الغالي ٣ : ٢١٧ ، وذكر صاحب الأغاني أن عشة روجه .

(٢) الفطور : الشقوف . (٣) حاشية ت : هـ يعني أنه يستغنى عن ازدحام حب إلى حبه ، لأنه

قد تناهى . وأن ازداد ، يعني : عن أن ازداد هـ . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : هـ المأكول

المشروب هـ . (٥) ديوانه : ١٩٢ .

يَمْدُونَ يَوْمًا وَاحِدًا إِنْ أَتَيْتَهَا وَيُنْسُونَ مَا كَانَتْ عَلَى الدَّهْرِ مَهْجَرُ
فَإِنْ يَكُنِ الْوَاشُونَ أَغْرُوا مِهْجَرَنَا (١)

ومن مستحسن قوله :

أَمَمَرِي لِيَنْ شَطَّتْ بِمَنْمَةِ دَارُهَا لَقَدْ كُنْتُ فِي وَشَكِ الْفِرَاقِ أَلِيحُ (٢)
أَرْوَحُ بِهِمْ ثُمَّ أَغْدُو بِمِثْلِهِ وَيُحْتَبُّ أُنِّي فِي الثِّيَابِ كَصَبْحُ

أخذ هذا المعنى بشار، فقصّر عنه في قوله :

يُصْبِحُ مَخْرُوتًا وَيُحْمِي بِهِ وَلَيْسَ يَذَرِي مَالَهُ عِنْدَكَ

(٢) ت ، وحاشية الأصل من نسخة : « من وشك الفراق » .

(١) م : « بهجرتها » .

والبح : أشفق .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى حَاسِبًا عَنْ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾ [الأعراف : ٨٩] .

[١٣٤] فقال : أليس هذا نصريحاً منه بأن الله تعالى يجوز أن يشاء الكفر والقبيح ؛ لأن مِلَّةً / قَوْمِهِ كانت كفراً وضلالاً ، وقد أخبر أنه لا يعود فيها إلا أن يشاء الله ؟

الجواب ، قيل له في هذه الآية وجوه :

أولها أن تكون المِلَّةُ التي عنها الله إنما هي المبادات الشرعية ؛ التي كان قومُ شعيب متمسكين بها ؛ وهي منسوخة عنهم ، ولم يَمُنْ بها ما يرجع إلى الاعتقادات في الله وصفاته ؛ مما لا يجوز أن تختلف^(١) العبادة فيه ، والشرعيات يجوز فيها اختلاف العبادة ؛ من حيث تَبَعَتْ^(٢) المصالح والألطف والمعلوم من أحوال المكلفين ؛ فكأنه قال : إن ملتكم لا نعود فيها ؛ مع علمنا بأن الله تعالى قد نسخها وأزال حكمها ، إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بمثلها فنعود إليها ؛ وتلك الأفعال التي كانوا متمسكين بها ؛ مع نسخها عنهم ونهيهم عنها - وإن كانت ضلالاً وكفراً - فقد كان يجوز فيها هو مثلاً أن يكون إيماناً وهُدًى ؛ بل فيها أنفُسُها قد كان يجوز ذلك ؛ وليس تجري هذه الأفعال بجري الجهل بالله تعالى ، الذي لا يجوز أن يكون إلا قبيحاً .

وقد طمئن بعضهم على هذا الجواب فقال : كيف يجوز أن يتعبد لهم الله تعالى بتلك المِلَّة مع قوله : ﴿ قَدْ أَفْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا ﴾ ؟

(١) ت : « اختلاف العبادة . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « تتبع » .

فيقال له : لم ينفِ عَوْدَهُمْ إليها على كل وجه؛ وإنما نفى العودَ إليها مع كونها منسوخة منها عنها ؛ والذي علّقه بمشيئة الله تعالى من العودِ إليها هو بشرطُ أن يأمرَ بها ، ويتعبدَ بمشاها ، والجوابُ مستقيم لا خلل فيه .

وثانيها أنه أراد أن ذلك لا يكون أبداً من حيث علّقه بمشيئة الله تعالى لما كان معلوماً أنه لا يشاؤه ؛ وكلُّ أمرٍ علّقَ بما لا يكون فقد نفى كونه على أبعد الوجوه ؛ وتجري الآية ٥ بحري قوله تعالى : ﴿ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ ؛ [الأعراف : ٤٠] وكما يقول القائل : أنا لا أفعلُ كذا حتى يبيضَ القار ؛ أو يشيبَ الغراب ؛ وكما قال الشاعر :
وحتى يشوبَ القارِ ظانٍ كلاهما وينشرَ في القتلى كليبٌ لوائل^(١)
والقارِ ظانٍ لا يشوبان أبداً ، وكليب لا ينشر أبداً ؛ فكأنه قال : إن هذا لا يكون أبداً .

وثالثها / ما ذكره قطرب بن المستنير من أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا ، وأن الاستثناء [١٢٤] من الكفار وقع لا من شعيب ؛ فكأنه تعالى قال حاكياً عن الكفار : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا ﴾ ؛ [الأعراف : ٨٨] ، إلا أن يشاء الله أن نعوذَ في ملتنا ؛ ثم قال تعالى حاكياً عن شعيب : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُوذَ فِيهَا ﴾ على كل حال .

ورابعها أن تعود الهاء التي في قوله : ﴿ فِيهَا ﴾ إلى القرية لا إلى الملة ؛ لأن ذكر القرية قد تقدم كما تقدم ذكر الملة ؛ ويكون تلخيص الكلام : إِنَّا سَنُخْرِجُ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ، ولا نعوذُ فيها إلا أن يشاء الله بما يُنجزه لنا من الوعد في الإظهار عليكم ، والظفر بكم ، فنعود إليها .

وخامسها أن يكون المعنى : إلا أن يشاء الله أن يرُدَّكم إلى الحق ، فنكون جميعاً على

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ١٤٥ . والقارِ ظانٍ هما رجلان من هُذَلة خربا ينتحيان القرط ويحنيانه ، فلم يرجعا؛ فضرب بهما المثل ؛ وانظر اللسان (قرط) ، وشرح ديوان الهذليين .

ملة واحدة غير مختلفة ؛ لأنه لما قال تعالى حاكياً عنهم : ﴿ أَوْ لَتَعْمُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ كان معناه : أو لتكوننَّ على ملة واحدة غير مختلفة ، فحُسن أن يقول من بعد : إلاً أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة .

فإن قيل : الاستثناء بالشيئة إنما كان بعد قوله : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعْمُدَ فِيهَا ﴾ ؛ فكأنه قال : ليس نعومد فيها إلا أن يشاء الله ، فكيف يصح هذا الجواب ؟

قلنا : هو كذلك ؛ إلا أنه لما كان معنى ﴿ أَنْ نَعْمُدَ فِيهَا ﴾ ، هو أن نصير ملتناً واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول : ﴿ إلاً أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ أن تتفق في الملة بأن ترجعوا أنتم إلى الحق .

فإن قيل : فكأن الله تعالى ما شاء أن يرجع الكفار إلى الحق !

١٠ قلنا : إلى قد شاء ذلك ، إلا أنه ما شاء على كل حال ، بل من وجه دون وجه ، وهو أن يؤمنوا ويصيروا إلى الحق مختارين ؛ ليستحقوا الثواب الذي أجرى^(١) بالتكليف إليه ، ولو شاء على كل حال لما جاز ألا يقع منهم ؛ فكأن شعيباً عليه السلام قال : إن ملتناً لا تكون واحدة أبداً ؛ إلا أن يشاء الله أن يكجشكم إلى الاجتماع معنا على ديننا وموافقتنا في ملتنا ؛ والفائدة في ذلك واضحة ؛ لأنه لو أطلقنا لا تتفق أبداً ، ولا نصير ملتناً واحدة ١٥ لتوهم متوهم أن ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال ؛ فأفاد بتعليقه^(٢) له بالشيئة هذا الوجه ؛ ويجرى قوله تعالى : ﴿ إلاً أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ بجرى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآتَى مَنْ مَنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً ﴾ ؛ [يونس : ٩٩] .

[١٣٥] وسادسها أن يكون المعنى : إلاً أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا ، / ويخلى بيشكم وبينه ، فنعود إلى^(٣) إظهارها مكرهين ؛ ويقوى هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَوْ كُنَّا ٢٠ كَارِهِينَ ﴾ ؛ [الأعراف : ٨٨] .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « الذي أجرى » بالألف . (٢) حاشية ت (من نسخة) : « فأفاد

تعليقه » . (٣) حاشية ت (من نسخة) : « فنعود في إظهارها » .

وساهاها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بإظهار ملتكم مع الإكراه ؛ لأن إظهار كلمة الكفر قد تحسن في بعض الأحوال إذا تعبد الله تعالى بإظهارها ؛ وقوله : ﴿ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴾ يعوئ هذا الوجه أيضاً .

فإن قيل : فكيف يجوز من نبي من أنبياء الله تعالى أن يتعبد بإظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع ؟

قلنا : يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه ؛ فكأنه قال : وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلا أن يشاء الله أن يتعبد أمتي بإظهار ملتكم على سبيل الإكراه ؛ وهذا جاز غير ممتنع .

تأويل خبر

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا أَبْقَتْ غِنًى ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُول » .

وقد قيل في قوله : « خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا أَبْقَتْ غِنًى » : قولان :

أحدهما أن خير ما تصدقت به ما فضل عن ^(١) قوت عيالك وكفائتهم ، فإذا خرجت صدقتك عنك إلى من أعطيت خرجت عن استغنائه منك ومن عيالك عنها ؛ ومثله في الحديث الآخر : « إِيْعَا الصَّدَقَةُ عَنْ ظَهْرِ غِنًى » . وقال ابن عباس رحمه الله عليه في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ ﴾ [البقرة : ٢١٩] ؛ قال : ما فضل عن أهلك .

والجواب الآخر ، أن يكون أراد : خير الصدقة ما أغنت به من أعطيت عن المسألة ، أي تجزئ له في العطيّة ، فيستغنى بها ويكف عن المسألة ؛ وذلك مثل أن يريد الرجل أن يتصدق بمائة درهم ، فيدفعها إلى رجل واحد محتاج ، فيستغنى بها ويكف عن المسألة ، فذلك أفضل من أن يدفعها إلى مائة رجل لا تبين عليهم .

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ما فضل من قوت عيالك » .

والتأويل الأول يشهد له آخر الخبر وهو قوله : « وأبدأ بمن تقول » ، ويشهد له الحديث الآخر أيضاً : « إنما الصدقة عن ظهر غنى » .

وقوله : « اليد العليا خير من اليد السفلى » ، قال قوم : يريد أن اليد العظيمة خير من الآخذة ، وقال آخرون : إن العليا هي الآخذة ، والسفلى هي المعطية .

وقال ابن قتيبة : ولا أرى هؤلاء إلا قوماً استطابوا السؤال ؛ فهم يحتججون للدناءة ؛ ولو كان هذا يجوز لقليل : إن المولى من فوق هو الذى أعتق ، والمولى من أسفل هو الذى أعتق ، والناس إنما يعملون بالمطايا لا بالسؤال .

قال سيدنا أدام الله علوه : وعندى أن معنى قوله عليه السلام : « اليد العليا خير من اليد السفلى » غير ما ذكر من الوجهين جميعاً ؛ وهو أن تكون اليد هاهنا هي المعطية والنعمة ؛ لأن النعمة قد تسمى يداً في مذهب أهل اللسان بغير شك ؛ فكانه صلى الله عليه وآله أراد أن المعطية الجزيلة خير من المعطية القليلة . وهذا حث منه صلى الله عليه وآله على المكارم ، وتحضيض على اصطناع المروءة بأوجز الكلام وأحسنه مخرجاً .

ويشهد لهذا التأويل أحد التأويلين^(١) المتقدمين في قوله : « ما أبقت غنى » ، وهذا أشبه وأولى من أن تحمّل اليد على الجارحة ؛ لأن من ذهب إلى ذلك وجعل المعطية خيراً من الآخذة لا يستمر قوله ؛ لأن فيمن يأخذ من هو خير عند الله تعالى ممن يعطى ؛ ولفظة « خير » لا تحمّل إلا على الفضل في الدين واستحقاق الثواب ؛ فأما من جعل الآخذة خيراً من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن أيضاً ؛ مع أنه قد قال قولاً شنيعاً^(٢) ، وعكس الأمر على ما ذكر^(٣) ابن قتيبة .

فإن قيل : كيف يصح تأويلكم مع قوله عليه السلام : « خير الصدقة ما أبقت غنى » وهي^(٤) لا تبقى غنى إلا بعد أن تنقص من غيرها ؟ وإذا كانت المعطية التي هي أجزل

(١) من نسخة بمحاشني الأصل ، ف : « أحد الخبرين » . (٢) م : « شنيعاً » .

(٣) م : « ما قال » . (٤) ت : « نهى » .

أفضلُ فتلك لا تبقى غنى ، والتي تبقى غنى ليست الجزيلة ، وهذا تناقض .

قلنا : أما تأويلنا لمطابق^(١) للوجهين المذكورين في قوله : « ما بقيت^(٢) غنى » ؛ لأن من تأول ذلك على أن المراد بها المعطى ، وأن خير المعطية ما أغنته عن المسألة فالمطابقة ظاهرة ، ومن تأوله على الوجه الآخر ، وحمل ما بقي الغنى على المعطى وأهله وأقاربه ؛ فتأويلنا أيضاً مطابق له ، لأنه قد يكون في المطايا التي يبقى بعدها الغنى على الأهل والأقارب جزيلٌ وغير جزيل ، فقال عليه السلام : « خير الصدقة ما بقيت^(٢) غنى » بعد إخراجها ؛ والمعطية الجزيلة التي تبقى بعدها غنى خير من القليلة ، فمدح عليه السلام بعد إبقاء الغنى جزيل المعطية ، وحث على الكرم والفضل .

أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا أبو عبد الله الحكيم قال أملى علينا أبو العباس / أحمد بن يحيى النحوي قال : أنشدنا ابن الأعرابي لثابت قطنة [١٣٦] التكي^(٣) :

يا هندُ كيف بنُصِبَ باتٌ بئسكني وعارٌ في سوادِ العينِ يؤذيني^(٤)
 كأنَّ ليليَ والأصدقاءَ هاجدةً ليلُ السَّليمِ وأغيا من يدأويني
 لما حسنى الدهرُ من قومي وعدرتني شبي وقاسيتُ أمرَ الغلظِ واللين^(٥)

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « فيطابق الوجهين » . (٢) ت : « ما بقيت » .
 (٣) هو أبو العلاء ثابت بن كعب ، شاعر فارس ؛ من شعراء الدولة الأوية ، وكان في صحابة يزيد بن المهلب ، وأقرب قطنة ؛ لأن سبها أصابه في عينه في بعض حروب الترك . وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره في (الأغاني ١٣ : ٤٧-٥٤ ، والخزانة ٤ : ١٨٥-١٨٧ ، والشعر والشعراء ٦١٢-٦١٣) .
 (٤) القصيدة في رثاء الفضل بن المهلب ؛ وهند هي بنت الفضل ؛ دخل عليها ثابت ، والناس حولها جلوس يعزونها ؛ فلما أنشدها هذه القصيدة قالت : ليست المصيبة في قتل من استشهد ذاباً عن دينه ، مطيعاً لربه ؛ وإنما المصيبة فيمن قلت بصيرته ، وخلت ذكره بعد موته ؛ وأرجو ألا يكون الفضل عند الله خائلاً .
 والقصيدة في (أمالي الزجاني ١٣٠-١٣١ ، وأبيات منها في الأغاني ١٣ : ٥١-٥٢) .
 والنصب : البلاء والمذاب . والعائر : الغنى والرمد ، وكذلك المومار .

(٥) عذرتني شبي ؛ أي شيبني من جانبي وجهي ؛ من العذارين .

إِذَا ذَكَرْتُ أَبَا غَسَّانَ أَرْقَى هَمٌّ إِذَا عَرَضَ السَّارُونَ يُشْجِي (١)
 كَانَ الْفَضْلُ عِزًّا فِي ذَوَى يَمَنٍ وَعِصْمَةٌ وَثَمَالًا لِلْمَسَاكِينِ (٢)
 غِيثًا لَدَى أَرْمَةِ غِبْرَاءَ شَائِيَةٍ مِنَ السَّيْنِ وَمَأْوَى كُلِّ مَسْكِينِ (٣)
 إِنِّي تَذَكَّرْتُ قَتْلِي لَوْ شَهِدْتُهُمْ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ لَمْ يَصْلَوْا بِهَا ذَوْنِي
 لَأَخِيرَ فِي الْعَيْشِ إِذْ لَمْ نَجْنِ بَعْدَهُمْ حَرْبًا نُنِي بِهِمْ قَتْلِي فَتَشْفِينِي
 لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُبْذِنِي إِلَى طَبَعٍ وَغُفَّةٍ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي (٤)
 [أَنْظِرْ فِي الْأَمْرِ يَعْزِينِي الْجَوَابُ بِهِ] وَلَسْتُ أَنْظِرُ فِيمَا لَيْسَ يَعْزِينِي (٥)
 لَا أَرَاكَ الْأَمْرَ تَزُرِّي فِي عَوَاقِبِهِ وَلَا يُعَابُ بِهِ عَرْضِي وَلَا دِينِي
 لَا يَغْلِبُ الْجَهْلُ حُلْمِي عِنْدَ مَقْدَرَةٍ وَلَا الْمَضِيَّةُ مِنْ ذِي الضُّعْفِ تُكْبِينِي (٦)
 كَمْ مِنْ عَدُوٍّ رَمَانِي لَوْ قَصَدْتُ لَهُ لَمْ يَأْخُذِ النِّصْفَ مِنِّي حِينَ يَرْمِينِي (٧)

قال سيدنا أدام الله علوه : وهذه الأبيات يروى بعضها لعروة بن أذينة (٨) وتداخل
 أبياتاً على هذا الوزن ؛ وهي التي يقول فيها :

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِشْرَافُ مِنْ خُلُقِي أَنْ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
 أَسْمَى لَهُ فَيُعَمِّنِي تَطْلِيهِ وَلَوْ قَعَدْتُ أَنَا فِي لَا يُعَذِّبُنِي

(١) ت : « إذا عرض » ، م : « إذا عرض » . (٢) في ذوى يمن ، أى فى اليمنين ، وفى حاشية الأصل
 (من نسخة) : « فى ذوى يمن » ، جمع ذروة . وثمال المساكين : غياث لهم ، من ثلمهم ثملاً إذا أطلعهم
 وسقاهم وقام بأمرهم . (٣) من نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « لَدَى أَرْمَةِ » . والأزمة : الفحط .
 ويقال : شتا القوم إذا أجذبوا فى الشتاء خاصة ، وقال الأزهري : العرب تسمى الفحط شتاء ، لأن المجاعات
 أكثر ما تصيبهم فى الشتاء البارد . (٤) الغفة : البلغة من العيش . وفى أمالى الزجاجي : « من قليل
 العيش » . (٥) تسكلمة من ت ، ف ، د ، وأمالي الزجاجي . ومن نسخة بحاشيتي ت ، ف :
 « وانظر الأمر » . (٦) المضية : الإفك والبهتان ، أى لا أكبر إذا عضى ذوالضعف .

(٧) النصف : الانتصاف . (٨) هو عروة بن أذينة بن مالك ، من بني الليث . شاعر غزل
 مقدم من شعراء أهل المدينة ، وهو معدود أيضاً فى الفقهاء والمحدثين . وانظر ترجمته وأشعاره وأخباره
 فى (الأغانى ٢١ : ١٠٥-١١١ ، والشعر والشعراء ٦٠-٦٢) .

كَمْ قَدْ أَفَدْتُكُمْ وَأَنْفَقْتُ مِنْ نَسِيرٍ وَمِنْ مَعَارِيضِ رِزْقٍ غَسِيرٍ تَمْتَنُونَ
فَمَا أَثَرْتُ عَلَى نَسِيرٍ وَمَا ضَرَعْتُ
خَيْمِي كَرِيمٍ وَنَفْسِي لَا تُجَدُّنِي
نَفْسِي لِخَلْقٍ غَسِيرٍ جَاءَ يَبْلُونِي^(١)
إِلَّا أَشْتَرَيْتُ بِمَالِي قَطُّ مَكْرُمَةً
أَنْ إِلَهَ إِلَّا رِزْقِي يُخَالِنِي
وَلَا دُعَيْتُ إِلَى مَجْدٍ وَمَحْمَدَةٍ^(٢)
إِلَّا أَجَبْتُ إِلَيْهِ مَنْ يُنَادِينِي
لَا أَبْتَغِي وَصْلَ مَنْ يَبْغِي مُفَارَقَتِي^(٣)
إِلَّا أَجَبْتُ إِلَيْهِ مَنْ يُنَادِينِي
إِنِّي سَيَعْرِفُنِي مَنْ لَسْتُ أَعْرِفُهُ
وَلَوْ كَرِهْتُ ، وَأَبْدُو حِينَ يُخَفِينِي
فَعَطْنِي جَاهِدًا وَاجْهَدُ عَلَيَّ إِذَا
لَا قَيْتَ قَوْمَكَ فَانْظُرْ هَلْ تُعْطِينِي^(٤)
سَوْقَوْمٍ يَخْطُونُ^(٥) فَيَرُونِ قَوْلَهُ :

* لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِشْرَافُ مِنْ خَلْقِي *

١٠

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يقال : ضرع بضرع [بالفتح] زراعة ، وضرع [بالكسر] بضرع بضرعاً [بالفتح] ، فهو ضارع . (٢) ت : « مكرمة » ، وفي حواشي الأصل ت ، ف : « يقال : محدة ، بفتح الميم ، مثل مذمة ، والفصيح : المحمدة ، بكسر الميم ، وهو الموع » .
(٣) حاشية الأصل : (من نسخة) : « مصارعتي » . (٤) حواشي الأصل ، ت ، ف : « روى أن عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ، فلما دخلوا عليه عرف عروة فقال له : أأنت القائل : »

لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا الْإِشْرَافُ مِنْ خَلْقِي أَنْ الَّذِي هُوَ رِزْقِي سَوْفَ يَأْتِينِي
أُسْعَى لَهُ فَيُعِينَنِي تَطْلِبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَنَا فِي لَا يُعِينَنِي

وأراك قد جئت تضرب من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ! فقال له : لقد وعظت يا أمير المؤمنين وبلغت في الوعظ ، وأذكرت بما أنسانيه الدهر ، وخرج من قوره إلى راحلته فركبها ، ثم انصهر أراجعا نحو الحجاز ؛ فبكث هشام يومه غابلا عنه ، فلما كان في الليل تدار على فراشه فذكره وقال في نفسه : رجل من قرينش فل حكمة ، ووفد إلى غيبته ورددته عن حاجته ، وهو مع هذا شاعر لا آمن ما يقول ! فلما أصبح سأل عنه فأخبر بانصرافه ، فقال : لا جرم ! ليعلم أن الرزق سيأتيه ، ودعا مولاه وأعظمه أبي ديار ، وقال له : الحق ابن أذينة ، فأعطه إياها ، قال : فلم أدركه إلا قد دخل بيته ، ففرغت الباب عليه ، فخرج فأعطته المال ، فقال : أبلغ أمير المؤمنين السلام ؛ وقل له : كيف رأيت قولي ! سميت فأكدبت ، ورجعت إلى بيتي فأثاني فيه الرزق . (٥) د ، و من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « يخطون » .

بالسين غير معجمة^(١)، وذلك خطأ، وإنما أراد بالإشراف أنى لا أستشرف وأتطلع^(٢) إلى ما فاتنى من أمور الدنيا ومكاسبها، ولا تتبعمها نفسى^(٣).

قال سيدنا أدام الله تأييده: ولى أبيات فى معنى بعض أبيات ثابت قطنه، وغروة بن أذينة التى تقدمت، وهى من جملة قصيدة طويلة خرجت عنى منذ اثنتى عشرة سنة؛ والأبيات:

٥ تَمَاقِبْنِي بُوسُ الزَّمانِ وَخَفَضَهُ وَأَذْبَنِي حَرْبُ الزَّمانِ وَسَلَّمَهُ
وقد علم المَرُورُ بالدَّهرِ أَنَّهُ وراءَ سُرُورِ المَرِّ في الدَّهرِ غَمُّهُ
وما المَرُّ إِلَّا نَهَبُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ تَحَبُّ بِهِ شَهْبُ الفَناءِ وَدُهمُهُ^(٤)
يَعْلَلُهُ بَرْدُ الحَيَاةِ بِعَمِّهِ وَيَقْتَرُهُ رَوْحُ النِّسيمِ يَشَعُّهُ^(٥)
وكانَ بَعِيداً عن مُنازَعَةِ الرَّدَى فَالْقَتَّةُ في كَفِّ المَنِيَّةِ أُمُّهُ^(٦)
إِلَّا إِنَّ خَيْرَ الزَّادِ ما سَدَّ فاقَةً وخَيْرُ تِلادَى الَّذي لا أَجمُهُ^(٧)
وإنَّ الطَّوى بِالْعِزِّ أَحْسَنُ بِالْفَتَى إِذا كانَ مِنَ كَسْبِ المَذَلَّةِ طُعْمُهُ^(٨)
وَإِنى لَأُنْهَى النَفْسَ عن كُلِّ لَذَّةٍ إِذا ما ارْتَقى مِنْها إلى العِرضِ وَضَعُهُ
وَأَعْرِضُ عن نَيْلِ الثَّرِيّا إِذا بَدَأَ وفي نَيْلِهِ سَوْءُ القالِ وَذَمُّهُ
أَعِفُّ وما الفَحشاءُ عَنى بَعِيدَةٌ وَحَسْبى في صَدْرِى عَنِ الأَمْرِ إِيمُهُ^(٩)

(١) حاشية ت (من نسخة): « المعجمة ». (٢) حاشية ت (من نسخة): « وأطلع ».

(٣) حواشى الأصل، ت، ف: « العجب من تخطئة السيد رضى الله عنه رواية من روى بالسين

المهمل؛ وهو أكثر الروايات، ومعناه واضح ».

(٤) حاشية الأصل: « دهمه؛ جمع أدم؛ وهو كناية عن الليل والنهار ».

(٥) من نسخة بحواشى الأصل، ت، ف: « بردالنسيم ». (٦) ت، حاشية الأصل (من نسخة)

« من منازعة الردى ». (٧) حواشى الأصل، ت، ف: « أى لا أتركه يجم ويكثر، من جم

الماء يجم جوما؛ إذا كثرت واجتمع، ولا يبعد أن يكون من أجمت الفرس، أى أرحته ».

(٨) ت: « كسب المنية ». (٩) حاشية الأصل: « ذكر الفحشاء دليل على شبابه، وكناية

وما العَفَّ مَنْ وَلَّى عَنْ الضَّرْبِ سَيْفُهُ وَلَكِنَّ مَنْ وَلَّى عَنِ الشَّوْءِ حَزْمُهُ

/ ولي في معنى قوله : « وما الإشراف من خلقى » : [١٣٧]

ما خامر الرِّزْقُ قلبي قَبْلَ فِجَائِهِ وَلَا بَسَطْتُ لَهُ فِي النَّائِبَاتِ يَدِي
كَمْ قَدْ تَرَادَفَ لَمْ أَحِطْ زِيَادَتَهُ وَلَوْ تَجَاوَزَنِي مَا فَتَّ مِنْ عَضْدِي
إِنْ أَسْخَطَ الْأَمْرَ أَذْرِكُ عَنْهُ مُضْطَرَبًا وَإِنْ أُرِدَ بَدَلًا مِنْ مَذْهَبٍ أَجِدُ^(١)

ومعنى « ما خامر الرِّزْقُ قلبي » أى لم أتمنَّه ، ولا تطلَّعتُ إلى حضوره ، ولا خطر لي
بإلٍ تنزُّهاً وتقنماً ؛ والوجه في تخصيص نفي بسط اليد بالنوائب ، لأن النوائب^(٢) يضرع
عندها في الأكثر التنزُّه ، ويطلب التعفُّف ؛ فمن لزم النزاهة مع الحاجة وشدة الضرورة
فهو الكامل المروءة .

ومعنى البيت الثانى ظاهر .

فأما الثالث فالمراد به أنى ممن إذا كره شيئاً تمكَّن من مفارقتة والنزوع عنه ، ولست
ممن تضيق حيلته ، وتقصر قدرته عن استدراك ما يجب بما يكره . وفيه فائدة أخرى ، وهى
أنى ممن لا تملكه الماديات ، وتقتاده الأهواء ؛ بل متى أردت مفارقة خلق إلى غيره ، وعادة
إلى سواها لم يكن ذلك على متمذراً ؛ من حيث كان لرأى على هواى السلطان والرجحان .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثنى محمد بن إبراهيم قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوى ١٥
قال أخبرنا الزبير بن بكار قال حدثنى عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير قال : كان عروة
ابن أذينة نازلاً مع أبى فى قصر عروة بالعقيق ، فسمعه يُنشد لنفسه :
إِنَّ الَّتِي زَعَمْتُ فَوَادَكَ مَلَمَّا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَايَ لَهَا^(٣)

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « إن أسخط الرزق » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أن النوائب » . (٣) الأبيات فى زهر الآداب : ١٦٦

(طبعة الحلبي) ، وبعضها فى أمالى الفال ١ : ١٥٦ ، والموشع : ٢٣٠ ، وحاشية أبى تمام - بهرح
التبريزى ٣ : ٢١٣-٢١٤ . ونسب ابن قتيبة فى الصغراء : ٥٥٤ أباينا منها للمجنون . والهوى ، بمعنى الهوى .

فَبِكَ الَّذِي زَعَمَتْ لَهَا ، وَكَلَّا كَمَا
وَلَعَمْرُهَا لَوْ كَانَ خُبُّكَ فَوْقَهَا
وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَاوِدَ
بَيْضَاءُ بِأَكْرَهَا النَّعِيمُ فِصَاعَهَا
لَمَّا هَرَضْتُ مُسْلِمًا لِي حَاجَةً
/ مَنَعَتْ تَحِيَّتَهَا ، فَقُلْتُ لِصَاحِبِي :
فَدَنَا ، فَقَالَ : لَمَّا هَا مَعْدُورَةٌ
أَبْدَى لِصَاحِبِهِ الصَّبَابَةَ كُلَّهَا
يَوْمًا وَقَدْ ضَحَّيْتُ إِذَا لَا ظِلَّهَا
شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلَّهَا
بِلِبْسَاقَةٍ فَأَدَّهَا وَأَجَلَّهَا (١)
أَخْشَى صُعُوبَتَهَا ، وَأَرْجُو دَلَّهَا (٢)
مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَاهَا !
فِي بَعْضِ رِقَبَتِنَا ، فَقُلْتُ : لَمَّا هَا !

[١٣٧]

قال عروة بن عبيد الله : فجاءني أبو السائب المخزومي يومًا فسلم وجلس إلي ، فقلت له
بعد الرُّحْب به : ألك حاجة يا أبا السائب ؟ فقال : أُرْكَمًا تَكُونُ الْحَاجَةُ ! أَيْيَاتُ لَمْرُوءِ
ابن أذينة ؟ بَلَعْنِي أَنْكَ سَمِعْتَهَا مِنْهُ ، قُلْتُ : أَيْ أَيْيَاتُ ؟ قَالَ : وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ !
* إِنَّ الَّتِي زَعَمَتْ فَوَادَكَ مَلَّهَا *

فَأَنشَدْتُهُ فَقَالَ : مَا يَرَوِي هَذَا إِلَّا أَهْلُ الْمَرْفَةِ وَالْفَضْلِ ، هَذَا وَاللَّهِ الصَّادِقُ الْوَدَّ ،
الدَّائِمُ الْمَهْدُ ، لَا الْهَذَلِي الَّذِي يَقُولُ :

إِنْ كَانَ أَهْلُكَ يَمْنَعُونَكَ رَغْبَةً عَنِّي فَأَهْلِي بِي أَضْنُ وَأَرْغَبُ

١٥ لقد عدا الأعرابي طوره ! وإني لأرجو أن يغفر الله لابن أذينة في حُسن الظَّنِّ بِهَا ،
وطلب العذر لها . فدعوت له بطعام ، فقال : لا والله حتى أُرْوِي هذه الأبيات ، فلمَّا رواها
وثب ، فقلت له : كما أنت يغفر الله لك ، حتى تأكل ، فقال : والله ما كنت لأخلط بمحبتي
لها وأخذني إياها غيرها (٣) .

(١) حاشية الأصل : « أي أدق منها ما ينبغي أن يكون دقيقًا ، وأجل منها ما ينبغي أن يكون جليلا ،
وقال ابن الأعرابي : ومعنى قوله : « فأدتها وأجلها » دق منها حاجباها وأنفها وخصرها ، وجل عضداها
وساقاها وبوصها ؛ وهذا كما قال آخر :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْتَبَكَّرَتْ وَأَكْمَلَتْ فُلُو جُنَّ إِنْسَانٍ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتْ

(٢) الذل هنا ، بالضم ويكسر : ضد الصعوبة . (٣) وانظر الخبر أيضا في زهر الآداب
(طبعة الحنبي) : ١٦٧ ، والوشح : ٢٣٠ .

قال سيدنا أدام الله علوه : والهدلى الذى عابه وأنشد له هذا البيت هو عبد الله بن مسلم ابن جندب الهدلى .

وقول عروة : « يا كرها النعيم » أراد أنها لم تعيش إلا فى النعيم ، ولم تعرف إلا الخفض ، وأنها لم تلاق بؤساً فتخضع وتضرع ، فيؤثر ذلك فى جمالها وتماها ، والبكور هو التقدم فى كل وقت .

وكان عروة بن أذينة مع تغزله يوصف بالعفاف والزاهة ، ^(١) وروى أن سكينه بنت الحسين عليهما السلام مرت به فقالت : يا أبا عامر ، أنت الذى تقول :

إِذَا وَجَدْتُ أَوَارَ الْحُبِّ فِي كَبْدِي أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ الْقَوْمِ ابْتَرَدُ
هَبْنِي بَرْدَتْ بَرْدِ الْمَاءِ ظَاهِرَةً فَمَنْ لِنَارٍ عَلَى الْأَحْشَاءِ تَتَقَدُّ
وأنت القائل :

قالت : وأبثنتها وجدى فبُحْتُ بِهِ قد كنت عندي تحب السر ، فاستتر
/ ألسنت تبصير من حولى ؟ فقلت لها : غطى هوائك وما ألقى على بصري ^(٢) [١٣٨]

قال : نعم ، قالت : هن حرائر - وأشارت إلى جواربها - إن كان هذا خرج من قلب سليم !

وأنشد أبو الحسن أحمد بن يحيى ^(٣) لعروة :

كُنْ خُرَامَى طَلَّةٍ صَابَهَا النَّدى وفأرة مسك ضمنتها ثيابها ^(٤)
وكذت لذكرها أطير حباية وغالبت نفساً زاد شوقاً غلابها

(١) الخبر فى مصارع المشاق : ٣١٣-٣١٤ ، وابن خلكان ١ : ٢١١ .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « بما ألقى على بصري » .

(٣) كذا فى الأصول ، وفى حاشيتي الأصل ، ت (من نسخة) : « أبو الحسن على بن أحمد » ،

ومن نسخة أخرى : « أبو الحسن عن أحمد بن يحيى » . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « ضامها الندى » ؛

الخُرَامَى : نبت زهره أطيب الأزهار رائحة ، والعلقة : الروضة بللها الطل ؛ وهو المطر الخفيف ؛ وفأرة

المسك : وعاقوه ؛ ويريد به هنا المسك .

إِذَا اقْتَرَبْتُ سَعْدَى لَهَجْتُ بِهَجْرِهَا وَإِنْ تَقَرَّبْتُ يَوْمًا بِرُغْكَ اغْتَرِبْتُهَا
فَفِي أَيْ هَذَا رَاحَةٌ لَكَ عِنْدَهَا ! سِوَا لَعَمْرِي نَائِبُهَا وَاقْتِرَابُهَا
وَعَادَ الْهَوَى فِيهَا كِظْلٌ سَحَابِي الْآخَتْ بِرُقِي ثُمَّ مَرَّ سَحَابُهَا^(١)

قال سيدنا أدام الله علوه : وهيئات هذا البيت الأخير من قول كثير :
وَإِنِّي وَتَهْنِئَتِي بِعَزَّةٍ بَعْدَ مَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّيْتُ^(٢)
لِكَالْمُرْتَجَى ظِلَّ النَّفَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأُ مِنْهَا لِلْمَقْبِلِ اضْمَحَلَّتِ
كَأَنِّي وَإِيَّاهَا سَحَابَةٌ مُنْجِلٍ رَجَاهَا فَلَمَّا جَاوَزَتْهُ اسْتَهَلَّتِ

وروى يحيى بن علي قال حدثنا أبو هفان قال : أشعرُ أبيات قبلت في الحسدة والدعاء
لهم بالكثرة أربعة ، فأولها قول الكُمَيْتِ بن زيد^(٣) :

١٠ إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي لَا أَلُومُهُمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا^(٤)
فَدَامَ بِي وَبِهِمْ مَالِي وَمَا لَهُمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ
أَنَا الَّذِي يَحْسُدُونِي فِي خُلُوقِهِمْ لَا أُرْتَقِي صَدْرًا مِنْهَا وَلَا أَرُدُّ
لَا يَنْقُصُ اللَّهُ حُسَادِي فَإِنَّهُمْ أَسْرُ عِنْدِي مِنَ اللَّائِي لَهُ الْوَدَدُ^(٥)

وقال عروة بن أذينة :

١١ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ حُسَادِي وَزَادَهُمْ حَتَّى يَمُوتُوا بِدَاءٍ فِي مَكْنُونٍ
/ إِنْ رَأَيْتَهُمْ فِي كُلِّ مَثَرَةٍ أَجَلَ قَدْرًا مِنَ اللَّائِي يُجْبُونِي

وقال نصر بن سيار :

إِنْ يَحْسُدُونِي عَلَى مَا بِي وَمَا بِهِمْ فَيُثَلُّ مَا بِي لَعَمْرِي جَرًّا إِلَى الْحَسَدِ

(١) الأخت : لوح . (٢) أمالي القالي ٢ : ١٠٩ .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ت : « الكُمَيْت بن معروف الأسدي » .

(٤) من نسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف : « غير لانهم » ، والأبيات الثلاثة الأول وردت في معجم

الشعراء : ٣٤٧ ، منسوبة إلى الكُمَيْت بن معروف ، ووردت في عيون الأخبار ٢ : ١٠-١١ ، وأمالي

القالي ٢ : ١٩٨ من غير عزو . (٥) ت : « هم الودد » ، ومن نسخة بمحاشية الأصل : « لهم ودد » .

وقال معن بن زائدة :

إني حَسِدْتُ فَرَادَ اللَّهِ فِي حَسَدِي لَا عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مَحْسُودٍ
مَا يُحَسَدُ الرَّءُ إِلَّا مِنْ فَضَائِلِهِ بِالْعِلْمِ وَالظُّرْفِ أَوْ بِالْبَأْسِ وَالْجُودِ

قال سيدنا أدام الله علوه : وقد لحظ البُحْتَرِيُّ بهذا^(١) المعنى في قوله :

مُحَسَّدٌ بِخِلَالٍ فِيهِ فَاضِلَةٌ وَلَيْسَ تَفْتَرِقُ النَّهْمُ وَالْحَسَدُ^(٢)
وأظن أبا العتاهية أخذ قوله :

كَمْ عَائِبٍ لَكَ لَمْ أَسْمَعْ مَقَالَتَهُ وَلَمْ يَزِدْكَ لَدَيْنَا غَيْرَ تَزِينٍ
كَأَنَّ عَائِبَكُمْ يُبْدِي مُحَاسِنَكُمْ وَصَفًا فِيمَدَحِكُمْ عِنْدِي وَيُغْرِبُنِي
مَا فَوْقَ حُبِّكَ حُبًّا لَسْتُ أَعْلَمُهُ فَلَا يَضُرُّكَ إِلَّا تَسْتَزِيدُنِي

من قول عروة بن أذينة :

لَا بُعْدُ سَعْدِي مُرِيحِي مِنْ جَوَى سَقَمٍ يَوْمًا وَلَا قُرْبَهَا إِنْ حُمَّ يَشْفِينِي
إِذَا الْوُشَاةُ لَحَوَا فِيهَا عَصِيَّتُهُمْ وَخِلْتُ أَنْ بَسْمَدِي الْيَوْمَ يُغْرِبُنِي
وقد أخذ أبو نواس هذا المعنى في قوله :

مَا حَطَّكَ الْوَاشُونَ مِنْ رُتْبَةٍ عِنْدِي وَلَا ضَرُّكَ مُنْتَابُ
كَأَنَّهُمْ أَثْنَوْا وَلَمْ يَعْلَمُوا عَلَيْكَ عِنْدِي بِالَّذِي عَابُوا

ولعروة بن أذينة :

تُرَوُّعُنَا الْجَنَارُ مُقْبِلَاتٍ وَنَلَهُوْا حِينَ نَخْفَى ذَاهِبَاتٍ^(٣)
كَرُوعَةٍ ثَلَّةٍ لُغَارٍ ذَنْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِمَاتٍ

[١٣٩]

الثَّلَّةُ : القطعة من الضأن ؛ وهذا المعنى قد سبق إليه بعض الأعراب فقال :

وَنُحْدِثُ رَوْعَاتٍ لَدَى كُلِّ فَرْعَةٍ وَنُسِرِعُ نِسْيَانًا وَمَا جَاءَنَا أَمْنُ

(١) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « هذا » . (٢) ديوانه ١ : ١٤٠ ، وفي ت ، من نسخة : « فيه ظامرة » . (٣) من نسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف : « ونسهر » . والشعر في الحيوان ٥٠٧ : ٦ وعيون الأخبار ٦٢ : ٣ ، والبيان ٢٠١ : ٤

وإنا - ولا كُفرانَ لله ربنا - لكابدن ، لا تدرى متى يومها البذن !
أخذه أبو المتاهية في قوله :

إذا ما رأيتم مبيحين جرعتم وإن غيبوا ملتم إلى صبواتها

وأخذ عروة قوله :

إن الفتي مثل الهلال له
يبلى وتغير الدهور كما
نور ليالي ثم يمتحق^(١)
يبلى وينضوا الجدة الخالق^(٢)

من قول لبعض شعراء طلي :

أرى قمر الليل المذب كالفتى^(٣)
وصورته حتى إذا ما هوى استوى
ويصيح حتى يستسیر فلا يرى^(٤)
يعود إلى مثل الذي كان قد بدا^(٥)
مهما يكن ريب الزمان فإنتى
بعل صغيرا ، ثم بهظم ضوءه
تقارب يخبو ضوءه وشماعه
كذلك زيد المرء ثم انتقاصه
أخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال :

المرء مثل هلال عند مطلعه
يزداد حتى إذا ما تم أعقبه
يبدو ضيلا ضعيفا ثم يتسحق^(٦)
كر الجديدين نقصانا فيمحق^(٧)

١٠

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « الحق » ، وفيها : « يعحق وامحق وامحق بمعنى » .
(٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « وينضى الخبرة » . وفي حاشية الأصل أيضا :
« أنضيت الثوب : أبلينته وكذلك انضيت ، ونضوته : خلته » .
(٣) معجم البلدان ٤ : ١٣٤ ؛ من أبيات نسبها إلى حنظلة بن أبي عفراء الطائي ؛ وكان قد نكح
في الجاهلية وتصره ، وبني دبرا عرف باسمه . (٤) حاشية الأصل : « يقال : مصح النبات إذا ولى
لون زهره » . (٥) رواية عجز البيت في معجم البلدان :
* وتكراره في إثرو بعد ماضى *

(٦) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « فيمحق » .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ / فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ [١٣٩] فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] .

فَقَالَ : كَيْفَ يُنَزِّلُ اللَّهُ السَّحْرَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ؟ أَمْ كَيْفَ تَعْلَمُ الْمَلَائِكَةُ النَّاسَ السَّحَرِ وَالتَّفْرِيقَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ؟ وَكَيْفَ نَسَبَ الضَّرَرَ الْوَاقِعَ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ بِإِذْنِهِ ، وَهُوَ تَعَالَى قَدْ نَهَى عَنْهُ ، وَحَذَّرَ مِنْ فِعْلِهِ ؟ وَكَيْفَ أَثْبَتَ الْعِلْمَ لَهُمْ وَنَفَاهُ عَنْهُمْ ، بِقَوْلِهِ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ﴾ ، ثُمَّ قَوْلُهُ : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ؟

الْجَوَابُ ، قُلْنَا : فِي الْآيَةِ وَجُوهٌ ؛ كُلُّ مِنْهَا يُزِيلُ الشُّبُهَةَ الدَّاخِلَةَ عَلَى مَنْ لَا يَنْبَغُ النَّظَرُ فِيهَا :

أَوَّلُهَا أَنْ يَكُونَ ﴿ مَا ﴾ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ بِمَعْنَى الَّذِي ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا تَكْذِبُ فِيهِ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ، وَتَضْيِغُهُ إِلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ ؛ فَبَرَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قَرَفِهِمْ ، وَأَكْذَبَهُمْ فِي قَوْلِهِمْ ، فَقَالَ : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ بِاسْتِمَالِ السَّحْرِ وَالتَّمْوِيهِ عَلَى النَّاسِ ، ١٥ ثُمَّ قَالَ : ﴿ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ ، وَارَادَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ السَّحْرَ

والذي أنزل على الملكين، وإنما أنزل على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال فيه ؛ ليعرفا ذلك ويعرفاه للناس فيجتنبوه ويحذروا منه ، كما أنه تعالى قد أعلمنا ضروب الماضى، ووصف لنا أحوال القبائح لنجتنبها لأن الشياطين كانوا إذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه ، وأقدموا على فعله ؛ وإن كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه وحاذره .
 وانتفع باطلاعه على كفيته ، ثم قال : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ يعنى الملكين ، ومعنى ﴿ يُعَلِّمَانِ ﴾ يُعَلِّمَانِ ، والعرب تستعمل لفظة علمه بمعنى أعلمه ، قال القطامي :
 تَعَلَّمُ أَنْ بَعْدَ الْغَى رُشْدًا وَأَنْ لِيَتَانِكَ الْغَبْرُ انْقِشَاعًا^(١)

وقال كعب بن زهير :

تَعَلَّمُ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مُذْرِكِي وَأَنْ وَعِيدًا مِنْكَ كَالْأَخِذِ بِالْيَدِ^(٢)

[١٤٠] ومعنى « تعلم » في البيتين / معنى « اعلم »^(٣) ؛ والذي يدل على أن المراد هاهنا الإعلام لا التعليم قوله : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ ، أى أنهما لا يعرفان صفات السحر وكفيته إلا بعد أن يقولوا إنما نحن فتنَةٌ ، لأن الفتنَةَ بمعنى المحنة ؛ وإنما كانا محنة ، من حيث ألقيا إلى المكلفين أمراً لينزجروا عنه ، وليتنبهوا من مواقمته ، وهم إذا عرفوه أمكن أن يستعملوه ويرتكبوه ، فقالا لمن يُطْلِمَانِي عَلَى ذَلِكَ : لا تكفر باستعماله ، ولا تعدل عن الغرض في إلقاء هذا إليك ، فإنه إنما ألقى إليك ، وأُطْلِمْتُ عَلَيْهِ لِتَجْتَنِبَهُ ؛ لا لتفعله ، ثم قال : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾ ، أى فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب ؛ وإن كان المَلَكَانِ ما ألقياه إليهم لذلك ؛ ولهذا قال : ﴿ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ ؛ لأنهم

(١) ديوانه : ٤٠ ؛ ومن نسخة بحواشى الأصل ، ت ، ف : « لهذه الغمر » ، وهى رواية الديوان والنصر : جمع غمرة ، وهى الشدة . (٢) ملحقات ديوانه : ٢٥٨ (عن الغمر) .

(٣) حواشى الأصل ، ت ، ف : « قال ابن السكيت رحمه الله : يقال : تعلمت أن فلاناً خارج يعنى علمت ، وإذا قال لك : اعلم أن زيداً خارج قلت : قد علمت ، وإذا قال : تعلم أن زيداً خارج لم تقل : قد تعلمت ؛ يعنى أنه يقتصر على ماورد عنهم ، ولا يتجاوز إلى غيره » .

لما قصدوا بصلته أن يفعلوه ويرتكبوه، لا أن يجتنبوه صار ذلك لسوء اختيارهم ضرراً عليهم.

وثانيها أن يكون ﴿ مَا أُنْزِلَ ﴾ موضعه موضع جبر؛ فيكون معطوفاً بالواو على ﴿ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾؛ والمعنى: واتبعوا ما كذب به الشياطين على ملك سليمان، وعلى ما أنزل على الملكين؛ ومعنى ﴿ مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ﴾ أى معهما، وعلى السنتهما؛ كما قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾؛ [آل عمران: ١٩٤]، أى على السنتهم ومعهم.

وليس بمنكر أن يكون ﴿ مَا أُنْزِلَ ﴾ معطوفاً على ﴿ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ وإن اعترض بينهما من الكلام ما اعترض؛ لأن رد الشيء إلى نظيره، وعطفه على ما هو أولى هو الواجب، وإن اعترض بينهما ما ليس منهما؛ ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب كثيرة، قال الله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. قَيِّمًا ﴾؛ [الكهف: ٢، ١].

و « قَيِّم » من صفات الكتاب حال منه، لا من صفة « عِوَج »، وإن تباعد ما بينهما، ١٠ ومثله قوله: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ فِيهِ كِبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾؛ [البقرة: ٢١٧]، فالمسجد هاهنا معطوف به على الشهر الحرام، أى يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وعن المسجد الحرام.

وحكى عن بعض علماء أهل اللغة أنه قال: العرب تلف الخبرين المختلفين، ثم روى ١٥ بتفسيرهما جملة؛ ثقة بأن السامع يرد إلى كل خبره؛ كقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾؛ [يونس: ٦٧]، وهذا واضح في مذهب العرب، كثير النظائر.

ثم قال: ﴿ وَمَا يُمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾، والمعنى أنهما لا يملكان أحداً، بل ينهيان عنه، ويبلغ من نهيهما عنه وصددهما عن فعله واستعماله أن يقولوا: ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ باستعمال السحر والإقدام على فعله، وهذا كما يقول الرجل: ما أمرت فلاناً بكذا، ولقد بالفت في نهيه حتى قات له: إنك إن فعلته أصابك كذا وكذا؛ وهذا

هو نهاية البلاغة في الكلام ؛ والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة ؛ لأنه استغنى بقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ عن بسط الكلام الذي ذكرناه ؛ ولذلك نظائر في القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ؛ [المؤمنون : ٩١] ،
 ٥ فلولا الاختصار لكان مع شرح الكلام يقول : ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ، ولو كان معه إله إذا لذهب كل إله بما خلق ؛ ومثله قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٠٦] ، أى : فيقال للذين اسودت وجوههم : ﴿ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ ؛ وأمثاله أكثر من أن تُورد .

١٠ ثم قال تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الرَّءِ وَزَوْجِهِ ﴾ ، وليس يجوز أن يرجع الضمير على هذا الجواب إلى الملكين ؛ وكيف يرجع إليهما وقد نفى عنهما التعليم ! بل يرجع إلى الكفر والسحر ، وقد تقدم ذكر السحر ، وتقدم أيضاً ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه في قوله : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ ؛ فدل ﴿ كَفَرُوا ﴾ على الكفر ، والمطف عليه مع السحر جاز ، وإن كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ؛ ومثل ذلك قوله تعالى :
 ١٥ ﴿ سَيِّدٌ كَرُّ مَنْ يَخْشَى . وَ يَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴾ ؛ [الأعلى : ١٠-١١] ، أى يتجنب الذكرى الأشقى ، ولم يتقدم تصريح بالذكرى ، لكن دل عليها قوله : ﴿ سَيِّدٌ كَرُّ ﴾ .

ويجوز أيضاً أن يكون معنى ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا ﴾ ، أى بدلا عما علمهم الملكان ، ويكون المعنى أنهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهى عن السحر إلى تعلمه واستعماله ؛ كما يقول القائل : ليت لنا من كذا وكذا كذا^(١) ! أى بدلا منه ، وكما قال الشاعر :

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف ، هـ من هذا الباب قوله :

فليت لنا من ماء زمزم شربة مبردة باتت على الطهيان

— الطهيان : اسم جبل .

أَجَمَّتْ مِنَ الْخَيْرَاتِ وَطَبَا وَعُلْبَةً وَصَرَ الْأَخْلَافِ الزَّمَمَةِ الْبَزَلِ (١)
وَمِنْ كُلِّ أَخْلَاقِ الْكِرَامِ نَمِيمَةً وَسَقِيًّا عَلَى الْجَارِ الْمُجَاوِرِ بِالْمَحَلِ (٢)

يريد جمعت مكان الخيرات، ومكان أخلاق الكرام هذه الخصال النميمة .

وقوله : « مَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ » فيه وجهان :

أحدهما أن يكونوا يُفَرِّقُونَ أَحَدَ الزَّوْجَيْنِ ، ويحملونه على الكفر والشرك بالله تعالى ،
فيكون بذلك قد فارق زوجته الآخر المؤمن المقيم على دينه ، فيفرق بينهما اختلاف النحلة
والملة .

والوجه الآخر أن يسموا بين الزوجين بالنميمة والوشاية والإغراء والتمويه بالباطل ؛
حتى يشول أمرهما إلى الفرقة والباينة .

وثالث الوجوه في الآية أن يحمل (مَا) في قوله : « وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ » على الجحد
والنفي ، فكأنه تعالى قال : « وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ » ،
ولا أنزل الله السَّحَرَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ، « وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ
يَبَايِلُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ » ويكون قوله : « يَبَايِلُ هَارُوتَ وَمَارُوتَ » من المؤخر الذي
معناه التقديم ، ويكون على هذا التأويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس ، هذان
اسماهما ؛ وإنما ذكرنا بعد ذكر الناس تمييزاً وتبييناً ، ويكون المَلَكَانِ المذكوران اللذان

(١) في حاشيتي الأصل ، ب : « لوطب : زق المين ، والعلبة : ما يعلب فيه ، والصر : شد الضرع .

والأخلاف : جمع خلاب ؛ وهو فتاة كالنميمة للمرأة والمزمنة : النوق التي علفت الأزمة عليها ، والبزل :

جمع بازل ؛ وهي النامة السن . وفي د ، م : « المزمنة » ، وهي السنان الكثيرة الشعم .

(٢) المحل : السكذب والخداع .

نفى عنهما السحر جبرائيل وميكائيل عليهما السلام ؛ ^(١) لأن سحره اليهود - فيما ذكر - كانت تدعى أن الله تعالى أنزل السحر على لسان جبرائيل وميكائيل ^(٢) إلى سليمان بن داود عليهما السلام ، فأكذبهما الله تعالى بذلك .

ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان إلى الشياطين ، كأنه قال : ولكن الشياطين : هاروت وماروت كفروا ؛ ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله تعالى : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧٨] ، بمعنى حكم داود وسليمان عليهما السلام .

ويكون قوله تعالى على هذا التأويل : ﴿ وَمَا يُمَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ﴾ راجعاً إلى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين ، أو من الإنس المتعلمين للسحر من الشياطين والعاملين به . ومعنى قولهما : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾ ١٠ يكون على طريق الاستهزاء والتماجن والتخالع ، كما يقول الماجن من الناس إذا فعل قبيحاً [١٤١] أو قال باطلاً : هذا فعل من لا يفلح ، وقول من لا يُنجب ، والله ما حصلت / إلا على الخسران ؛ وليس ذلك منه على سبيل النصيح للناس وتحذيرهم من مثل فعله ، بل على وجه المجون والهالك .

ويجوز أيضاً على هذا التأويل الذي يتضمن النفي والجحد أن يكون هاروت وماروت اسمين للمكين ، ونفى عنهما إزال السحر بقوله : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ ﴾ ويكون قوله : ﴿ وَمَا يُمَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ يرجع إلى قبيلتين من الجن أو إلى شياطين الجن والإنس ، فتحسن التثنية لهذا .

وقد روى هذا التأويل الأخير في محل ﴿ مَا ﴾ على النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين . وروى عنه أيضاً أنه كان يقرأ : ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ ﴾ بكسر اللام ، ويقول : متى كان الملكان ملكين ؛ إنما كانا ملكين ؛ ^(٣) وعلى هذه القراءة لا يفكر أن يرجع قوله : ﴿ وَمَا يُمَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ إليهما ^(٤) .

وعلى ^(١) هذه القراءة في الآية وجه آخر وإن لم يحمل قوله: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ على الجحد والنفي ، وهو أن يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم أتبعوا ما تتلوا الشياطين وتدعيه على ملك سليمان ، وأتبعوا ما أنزل على هذين الملكين من السحر ، ولا يكون الإنزال مضافاً إلى الله تعالى ، وإن أطلق ؛ لأنه جلّ وعز لا يُنزل السحر ؛ بل يكون منزله إليهما بعض الضلال المعصاة ، ويكون معنى ﴿أُنْزِلَ﴾ - وإن كان من الأرض - محل إليهما لا من السماء أنه أتى به به من نجود الأرض وأعاليها ؛ فإن من هبط من نجد البلاد إلى غورها يقال : نزل وهبط ، وما جرى هذا المجرى .

فأما قوله تعالى : ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فيحتمل وجوهاً : منها أن يريد بالإذن العلم ، من قولهم : آذنت فلاناً بكذا إذا علمته ، وأذنت لكذا إذا استمعت وعلمته ، قال الشاعر :

فِي سَمَاعٍ يَأْذَنُ الشَّيْخُ لَهُ وَحَدِيثٍ مِثْلِ مَا ذِي مُشَارٍ ^(٢)

ومنها أن تكون ﴿إِلَّا﴾ زائدة ، فيكون المعنى : وما هم بضارين به من أحدٍ بإذن الله ، ويجرى مجرى قول أحدنا : لقيت زيدا إلا أني أكرمته ، أي لقيت زيدا فأكرمته .

ومنها أن يكون أراد بالإذن التخلية وترك المنع ، فكأنه أفاد بذلك أن العباد لن يُعجزوه ،

وما هم بضارين أحداً إلا بأن يخلق الله تعالى بينهم وبينه ، ولو شاء لنتهم بالقهر والقسر ، زائداً ١٥ على منهم بالزجر والنهي .

/ومنها أن يكون الضرر الذي عني أنه لا يكون إلا بإذنه ، وأضافه إليه هو ما يلحق ^[١٤١] المسحور من الأدوية والأغذية التي يُطعمه إياها السحرة ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور ؛ ومعلوم أن الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى بالعادة ؛ لأن الأغذية لا توجب ضرراً ولا نفماً ، وإن كان المعرض للضرر من حيث كان كالفاعل له هو المستحق للدم ، وعليه يجب العوض .

(١) ت : « ويمكن على هذه القراءة ... » . (٢) البيت في اللسان (أذن) ، ونسبه إلى عدي ابن زيد . الماذي : العسل الأبيض ، والمشار : الجني ، ويقال : ثرت الصل واشترته وأشرته ، إذاجنيته .

ومنها أن يكون الضرر المذكور إنما هو ما يحصل عن التفريق بين الأزواج ؛ لأنه أقرب إليه في ترتيب الكلام ؛ والمعنى أنهم إذا أغووا أحد الزوجين ، وكفر فبانت منه زوجته ، فاستضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر ، إلا أن الفرقة لم تكن إلا بإذن الله وحكمه ؛ لأنه تعالى هو الذى حكم وأمر بالتفريق بين المختلئين الأديان ؛ فلماذا قال : ﴿ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ؛ والمعنى أنه لولا حكم الله وإذنه في الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا الضرب من الضرر الحاصل عند الفرقة ؛ ويقوى هذا الوجه ما روى أنه كان من دين سليمان ؛ أنه من ^(١) سحر بانبت منه امرأته .

فأما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴾ ، ثم قال : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ففيه وجوه :

أولها أن يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا ، ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبر عنهم بأنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما اتلوا الشياطين على ملك سليمان ، والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر ، وشروا به أنفسهم .

وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا ؛ إلا أنهم علموا شيئا ولم يعلموا غيره ، فكانه تعالى وصفهم بأنهم عالمون بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ، ولم يعلموا كنه ما يصير إليه من عقاب الله الذى لا نفاذ له ولا انقطاع .

وثالثها أن تكون الفائدة في نفي العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا ، فكانهم لم يعلموا ، وهذا كما يقول أحدنا لغيره : ما أدعوك إليه خير لك وأعوذُ عليك ؛ لو كنت تعقل وتنظر في المواقب ، وهو يعقل وينظر في المواقب ، إلا أنه لا يعمل بموجب علمه ، فحسن [١٤٢] أن يقال له / مثل هذا القول ؛ قال كعب بن زهير يصف ذبياً وغراباً تبعاه ؛ ليصيبا من زاده :
إِذَا حَضَرَ أُنَى قُلْتُ : لَوْ تَعْلَمَانِي أَلَمْ تَعْلَمَا أُنَى مِنَ الزَادِ مُرْمِلٌ ^(٢)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « أن من » . (٢) ديوانه : ١٠١ . للرميل : الذى فهدزاده .

فنفى عنهما العلم ، ثم أثبتته بقوله : « ألم تعلموا » ، وإنما المعنى في نفيه العلم عنهما أنهما لم يعملوا بما علماه فكأنهما لم يعملوا .

ورابعها أن يكون المعنى أن هؤلاء القوم الذين قد علموا أن الآخرة لا حظَّ لهم فيها مع عملهم القبيح ، إلا أنهم ارتكبوه طمعاً في حطام الدنيا وزخرفها فقال تعالى : ﴿ وَآبَئُكُمْ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أن الذي آثروه وجعلوه عوضاً من الآخرة لا يتم لهم ، ولا يبقى عليهم ، وأنه منقطع زائل ، ومضمحل باطل ، وأن المال إلى المستحق في الآخرة ؛ وكل ذلك واضح بحمد الله .



مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ خَبَرِ

روى عتبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « لو كان القرآن في إهاب ما مسَّته النار » .

وقد ذكر متأولو حديث النبي صلى الله عليه وآله في هذا الخبر وجوهاً كثيرة ، كلها غير صحيحة ولا شافية ، وأنا أذكر ما اعتمدوه ^(١) ، وأبين ما فيه ، ثم أذكر الوجه الصحيح .

قال ابن قتيبة : ذهب الأصمعي إلى أن من تعلم القرآن من المسلمين لو أُلقي في النار تحرقه ، فكُنِيَ بالإهاب - وهو الجلد - عن الشخص والجسم ؛ واحتج على تأويله هذا ^(٢) الحديث بما روي عن سليمان ^(٣) بن محمد قال : سمعت أبا أمامة يقول : اقرءوا القرآن ولا تفرغوا منكم هذه المصاحف المعلقة ^(٤) ؛ فإن الله لا يمدُّ قلباً وعى القرآن .

١٠ قال ابن قتيبة : وفي الحديث تأويل آخر ، وهو أن القرآن لو كتب في جلد ، ثم أُلقي في النار على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لم تحرقه النار ؛ على وجه الدلالة على صحة أمر النبي عليه وآله السلام ، ثم انقطع ذلك بعده ، قال : وجري هذا مجرى كلام الذئب وشكابة البعير وغير ذلك من آياته عليه السلام .

قال : وفيه تأويل ثالث ؛ وهو أن يكون الإحراق ^(٥) إنما نفى عن القرآن لا عن الإهاب ؛ ويكون معنى الحديث : لو جُمِل القرآن في إهاب ثم أُلقي في النار ما احترق القرآن ؛

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « ما ذكروه » .

(٢-٢) ت : « بالحديث عن سليمان » . (٣) حواشي الأصل ، ت ، ف : « المعلقة » يجوز

أن يكون معناها السكتب ؛ لأن التعليق السكتب . (٤) حاشية ف (من نسخة) : « الاحتراق » .

فَكَانَ النَّارُ تُحْرِقُ الْجِلْدَ وَالْمَدَادَ وَلَا تُحْرِقُ الْقُرْآنَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْسَخُهُ وَيَرْفَعُهُ مِنَ الْجِلْدِ، صِيَانَةً لَهُ عَنِ الْإِحْرَاقِ .

وقال أبو بكر / محمد بن القاسم الأنباري ردّاً على ابن قتيبة ، ومعتزلاً عليه : اعتبرتُ [١٤٢] ما قاله ابن قتيبة من ذلك كله ، فما وجدت فيه شيئاً صحيحاً .

أما قوله الأول فيردّه ما روى عنه عليه السلام من قوله : يخرج من النار قومٌ بعد ما يحرقون^(١) فيها فيقال : هؤلاء الجهنّميون طلقاء الله عز وجل . قال : وقد روى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « إذ دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار قال الله عز وجل : انظروا من كان في قلبه ، مثقال حبة من خردل من إيمان^(٢) ، فأخرجوه منها » ؛ قال أبو بكر : وكيف يصحُّ قول ابن قتيبة في زعمه أن النار لا تحرق من قرأ القرآن ؛ ولا خلاف بين المسلمين أن الخوارج وغيرهم ممن يكفّر في دين الله تعالى ويقرأ القرآن أن تحرقهم النار بغير شك ؛ واحتجاجه بخبر أبي أمامة : « إن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن » معناه : قرأ القرآن وعمل به ؛ فأما من حفظ ألفاظه وضيق حدوده ؛ فإنه غير واعي له .

قال : فأما قوله إنه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده ، فأروى هذا الحديث أحد أنه كان في دلائله عليه السلام ؛ ولو أراد ذلك دليل لكان صلى الله عليه وآله يجعل القرآن في إهاب ثم يلقيه في النار فلا يحترق قال : وقول ابن قتيبة الثالث : « لا تحرق الجلد والمداد ، ولم يحترق القرآن » غير صحيح ؛ لأن الذي يصحُّ هذا القول يوجب أن القرآن غير المكتوب ؛ وهذا محال ؛ لأن المكتوب في المصحف هو القرآن . والدليل على هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ . لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ ؛ [الواقعة : ٧٧ - ٧٩] ، ومنه الحديث : « لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو » ؛ وإنما يريد المصحف .

قال أبو بكر : والقول عندنا في تأويل هذا الحديث أنه أراد : لو كان القرآن في جلد

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « يحرقون » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « إيمان » .

ثم ألقى في النار ما أبطلته ؛ لأنها وإن أحرقت فإياها لا تدرسه ؛ إذ كان الله قد ضمنه قلوب الأخيار من عباده ؛ والدليل على هذا قول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله فيما روى عنه : إني منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء ، تقرأه نائماً ويقظان ؛ فلم يرد تعالى أن القرآن لو كتب في شيء ثم غسل بالماء لم يغسل ؛ وإنما أراد أن الماء لا يبطله ولا يدرسه إذا كانت القلوب تسميه وتحفظه .

قال : ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى وفي لغة العرب ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا / وَعَصَوْا الرَّسُولَ أَوْ نَسُوا رِيهْمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾ ؛ [النساء : ٤٢] ، فهم قد كتموا الله تعالى لَمَّا قالوا : ﴿ وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٣] ، وإنما أراد تعالى ؛ ولا يكتمون الله حديثاً في حقيقة الأمر ؛ لأنهم وإن كتموه في الظاهر فالذي كتموه غير مستتر عنه .

قال سيدنا الشريف المرتضى أدام الله علوه : والوجه الصحيح في تأويل الخبر غير ما توهمه ابن قتبية وابن الأنباري جميعاً ، وهو أن هذا من كلام النبي صلى الله عليه وآله على طريق المثل والمبالغة في تعظيم شأن القرآن والإخبار عن جلالة قدره وعظم خطره ، والمعنى أنه لو كتب في إهاب ، وألقى في النار وكانت النار مما لا تحرق شيئاً لعلو شأنه وجلالة قدره لم ١٥ تحرقه النار .

ولهذا انظار في القرآن وكلام العرب وأمثالهم كثيرة ظاهرة على من له أدنى أنس بمداهبهم ، وتصرف كلامهم .

فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأُمُثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ؛ [الحجر : ٢١] . ٢٠ ومعنى الكلام : إننا لو أنزلنا القرآن على جبل ، وكان الجبل مما يتصدع إشفاقاً من شيء ؛ أو خشية لأمر لتصدع مع صلابته وقوته ؛ فكيف بكم يا معاشر المكلفين ، مع ضعفكم وقلتكم ! وأنتم أولى بالخشية والإشفاق ؛ وقد صرح الله تعالى بأن الكلام خرج مخرج

المثلية قوله: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾؛ ومثله قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾؛ [مریم: ٩٠] .

ومثله قول الشاعر:

أَمَا وَجَلَّالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي كَذِكْرَالِكِ مَا نَهَضْتِ لِلْعَيْنِ مَذْمَمًا
فَقَالَتْ: بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ تَضَمَّنَهُ مِنْهُ الصِّفَا لَتَصَدَّعًا^(١) ٥

ومثله:

فَلَوْ أَنَّ مَائِي بِالْحَصَى فَلَقَى الْحَصَى وَبِالرَّيْحِ لَمْ يُسْمَعْ لَكُنْ هُبُوبًا^(٢)

ومثله:

وَقَفْتُ عَلَى رُبْعِ لَيْمِيَّةٍ نَاقِي فَمَا زِلْتُ أَبْكِي عِنْدَهُ وَأَخَاطِيْبُهُ^(٣)
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ رِيْمًا أَبُثُّهُ تُكَلِّمُنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاغِيْهُ^(٤) ١٠

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة؛ يقولون: هذا كلام يَفْلُقُ الصَّخْرَ، ويهدُّ الجبال / ويصرع الطير، ويستنزِلُ الوُعُولَ؛ وليس ذلك بكذب منهم؛ بل المعنى أنه لحسنه [١٤٣] وحلاوته وبلاغته بفعل مثل هذه الأمور لو تأتت؛ ولو كانت مما يسهل^(٥) ويتيسر لشيء من الأشياء لتسهلت به من أجله.

فأما الجواب الأول المحكي عن ابن قتيبة فالذي يفسده^(٦) زائداً على ماردّه ابن الأنباري ١٥ أنه لو كان الأمر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الأصمعي لكان النبي صلى الله عليه وآله قد أغرانا بالذنوب؛ لأنه إذا أمِنَ حافظ القرآن ومتعلِّمه من النار والعذاب فيها رَكْنًا^(٧)

(١) الصفا: جمع الصفاة؛ وهو الحجر الصلب الضخم لا ينبت. (٢) ت: فلق الحصى.

(٣) ديوانه: ٣٨. (٤) أسقيه: أدمو له بالسقى. (٥) من أسغة بمأشيتي ت،

الأصل: يسهل. (٦) ت: «بيطله».

(٧) من نسخة بمأشيتي الأصل، ف: يقال: ركن [بفتح السكاف] يركن، [بكسرهما]. وركن

[بكسر السكاف] يركن [بفتح السكاف]؛ لغتان إلا أنهم أخذوا الماضي من هذا والضارع من ذلك، فقالوا: «ركن يركن» بالفتح فيهما.

المكلفون إلى تعلُّم القرآن والإقدام على القبائح آمنين غير خائفين ؛ وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله والمعنى في قول أبي أمامة أن الله لا يمدُّ قلباً وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الأنباري .

فأما جواب ابن قتيبة الثاني ، فمن أين له أن ذلك مختص بزمانه صلى الله عليه وآله ، وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه ! وأقوى ما يُعطى أنه لو كان كما ذكر لما جاز أن يخفى على جماعة المسلمين الذين رَوَوْا جميع معجزاته عليه وآله السلام وضبطوها . وفي وجداننا مَنْ روى ذلك وجمعه وعُني به غير عارف بهذه الدلالة والآية بإبطال ما توهمه .

فأما جوابه الثالث فباطل ؛ لأن القرآن في الحقيقة ليس يحلُّ الجلد ، ولا يكون فيه حتى ينسب الاحتراق إلى الجلد دونه ؛ وإذا كان الأمر على هذا لم يكن في قوله : إن الإهاب هو المحترق دون القرآن فائدة ؛ لأن هذه سبيل كل كلام كتب في إهاب أو غيره إذا احترق الإهاب لم يُضف الاحتراق إلى الكلام لاستحالة هذه القضية^(١) عليه .

ومن عجيب الأمور قول ابن الأنباري : « وهذا يوجب أن القرآن غير المكتوب » ؛ لأن كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنّه ؛ بل يوجب ضده من أن المكتوب هو القرآن ؛ ولهذا علق الإحراق^(٢) بالكتابة والجلد دون المكتوب ؛ الذي هو القرآن ؛ وإذا كان المكتوب ١٥ في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الأنباري ، فما المانع من قول ابن قتيبة أن الجلد يحترق دونه ؟ لأن أحداً لا يقول إن الجلد هو القرآن ؛ وإنما يقول قومٌ إنه مكتوب فيه ؛ وإذا كان غيره لم يمتنع إضافة الاحتراق إلى أحدهما / دون الآخر ؛ وهذا كله تخليط من الرجلين ؛ لأن القرآن غير حالٍ في الجلد على الحقيقة ؛ وليست الكتابة غير المكتوب ؛ وإنما الكتابة أمانة للحروف ؛ فأما أن تكون هي الكلام على الحقيقة أو يوجد معها الكلام مكتوباً فحال .

فأما استشهاده على ذلك بالآية وبقوله : « لا تسافروا بالقرآن » فذلك تجاوز وتوسّع ،

(١) ت ، ف : « النصة » . (٢) ت : « الاحتراق » .

وليس يجب أن يجعل إطلاق الألفاظ المحتملة دليلاً على إثبات الأحكام والمبادئ، وممترضة على أدلة المقول ؛ وقد تجاوز القوم بأكثر من هذا فقالوا : في هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي وفقه فلان ، ولم يقتض ذلك أن يكون العلم والكلام على الحقيقة موجودين في دفتر . وقد بين الكلام ، في هذا الباب في مواضع هي أولى به .

فأما جواب ابن الأنباري الذي ارتضاه لنفسه ، فلا طائل أيضاً فيه ، لأنه لا مزية للقرآن فيما ذكره على كل كلام وشعر في العالم ، لأننا نعلم أن الشعر والكلام المحفوظ في صدور الرجال إذا كتب في جلد ثم أحرق أو غسل لم يذهب مافي الصدور منه ؛ بل يكون ثابتاً بحاله ، فأى مزية للقرآن في هذا على غيره ؟ وأى فضيلة ؟ فإن قال : وجه المزية أن غير القرآن من الشعر وغيره يمكن أن يندرس ويبطل بإحراق النار ؛ والقرآن إذا كان هو تعالى هو التولي لإيداعه الصدور لا يتم ذلك فيه ؟

١٠

قلنا : الكل سواء لأن غير القرآن إنما يبطل باحتراق الإهاب المكتوب فيه متى لم يكن محفوظاً مودعاً للصدور ، ومتى كان بهذا الصفة لم يبطل باحتراق الجلد ؛ وهكذا القرآن لو لم يحفظ في الصدور لبطل بالاحتراق ؛ ولكنه لا يبطل بهذا الشرط ؛ فصار الشرط في بطلان غير القرآن وثباته كالشرط في بطلان القرآن وإثباته ، فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من أن النار لا تمسه ، وهذا يبين أنه لا وجه غير ما ذكرناه في الخبر ؛ وهو أشبه بمذاهب العرب وأولى بتفضيل القرآن وتمظيمه .

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أنشدنا أبو حاتم قال ابن دريد أنشدنا عبد الرحمن - يعني ابن أخي الأصمعي - عن عمه للحسين بن مطير الأسدي (١) - وقال عبد الرحمن قال عني : لو كان شعر العرب هكذا ما أقيم منشدته .

(١) هو الحسين بن مطير بن مكل ؛ مولى لبي سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد ؛ شاعر متقدم من شعراء الدولتين ؛ ومذهبه في الشعر يشبه كلام الأعراب ومذاهبهم ؛ (وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره في الأغاني ١٤ : ١١٠ - ١١٤ ، والخزانة ٢ : ٤٨٥ - ٤٨٨) .

أَلَا حَبَّ^(١) بِالْبَيْتِ الَّذِي أَنْتَ هَاجِرُهُ
لَأَنَّكَ مِنْ بَيْتٍ لَعِينِي مُعِيبٌ^(٢)
أَصْدُ حَيَاءٍ أَنْ يَلْجَأَ بِيَ الْهَوَى
وَفِيكَ حَبِيبُ النَّفْسِ لَوْ تَسْتَطِيعُهُ^(٣)
فَإِنْ آتَاهُ لَمْ أَنْجُ إِلَّا بِظَنَّةٍ
وَكَانَ حَبِيبُ النَّفْسِ لِلْقَلْبِ وَارِأَ
وَأِنْ نَكُنْ الْأَعْدَاءُ أَحْمَقًا كَلَامُهُ
أَحَبُّكَ يَا سَلَمَى عَلَى غَيْرِ رِيبةٍ
وَيَا عَاذِلِي لَوْ لَا نَفَاسَةُ حَبِّهَا
بِنَفْسِي مَنْ لَا بَدَّ أَنِّي هَاجِرُهُ
وَمَنْ قَدْ لَحَاهُ النَّاسُ حَتَّى اتَّقَاهُمْ
أَحَبُّكَ حَبًّا لَنْ أَعْنَفَ بَعْدَهُ
لَقَدْ مَاتَ قَبْلِي أَوَّلُ الْحُبِّ فَاقْضَى
كَلَامُكَ يَا سَلَمَى وَإِنْ قَلَّ نَافِعِي
أَلَا لَا أَبَالِي أَمِّي حَيَّرَ تَحَمُّلُوا

وَأَنْتَ بِشَلْمَاحٍ مِنَ الطَّرْفِ نَاطِرُهُ^(٤)
وَأَمْلَحُ فِي عَيْنِي مِنَ الْبَيْتِ عَامِرُهُ
وَفِيكَ الْمُنَى لَوْلَا عَدُوُّ أَحَاذِرُهُ^(٥)
لَمَاتَ الْهَوَى وَالشَّوْقُ حِينَ تَجَاوَرُهُ^(٦)
وَأِنْ يَأْتِهِ غَيْرِي تُنْطَلُ بِي جَوَارُهُ
وَكَيْفَ يُحِبُّ الْقَلْبُ مَنْ هُوَ وَارِئُهُ !
عَلَيْنَا فَلَنْ نُحْمَى عَلَيْنَا مَنَاطِرُهُ
وَلَا بَأْسَ فِي حَبِّ تَعَفُّ سَرَائِرُهُ
عَلَيْكَ لَمَّا بِالْبَيْتِ أَنْكَ خَابِرُهُ
وَمَنْ أَنَا فِي الْمَسُورِ وَالْمُسَرِّ ذَا كِرُهُ
يَنْغِيى إِلَّا مَا تُجِنُّ ضَمَائِرُهُ
مُحِبًّا وَلَسَكُنِّي إِذَا لَيْمَ عَاذِرُهُ
وَلَوْ مِتُّ أَضْحَى الْحُبُّ قَدَمَاتِ آخِرُهُ^(٧)
وَلَا تَحْسَبِي أَنِّي وَإِنْ قَلَّ حَاقِرُهُ^(٨)
إِذَا تَمَدُّ الْبَرَقَاءِ لَمْ يَجْلُ حَاضِرُهُ^(٩)

(١) وردت هذه المفعولة في أمالي القائل ٧٨: ١ ، وأما ابن النجاشي : ١٥٠ مع اختلاف في الرواية وعدد الأبيات . (٢) ت : « زائره » . (٣) لُف : « إلى ما يجب » .
(٤) م : « أن يلجأ بي الهوى » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « تستطيعه » .
(٦) ت : « تجاوره » ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تجاوره » .
(٧) في حاشيتي الأصل ، ت : « بهنا يدعى أنه أحيا الحب ، وأن الحب كان قبله ميتا ، وسبوت بعده » .
(٨) الحفر : التعقير . (٩) تحملوا : ارتحلوا ؛ والتمد : الماء القليل . والبرقاء : موضع بالجزيرة .
وَمَنْ يَجْلُ : مَنْ جَلَا الْفُؤَادُ عَنْ مَنَازِلِهِمْ .

وأنشد ابن الأعرابي لابن مطير :

لَعَمْرُكَ لَلْبَيْتِ الَّذِي لَا نَطُورُهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ رِلَادِ نَطُورُهَا^(١)
تَقَلَّبْتُ فِي الْإِخْوَانِ حَتَّى عَرَفْتُهُمْ وَلَا يَعْرِفُ الْإِخْوَانُ إِلَّا خَيْرُهَا
فَلَا أُصِرُّمُ الْخُلَّانَ حَتَّى يُصَارِمُوا وَحَتَّى يَسِيرُوا سِيرَةً لَا أُسِيرُهَا
فَإِنَّكَ بَعْدَ الشَّرِّ مَا أَنْتَ وَاجِدُهُ خَلِيلًا مُدِينًا شِيمَةً لَا يُدِيرُهَا

/ — معنى بديرها، بقلبها مرة هاهنا، ومرة هاهنا — [١٤٥]

وَإِنَّكَ فِي غَيْرِ الْأَخْلَاءِ هَالِمٌ بَأَنَّ الَّذِي يَخْفَى عَلَيْكَ ضَمِيرُهَا^(٢)
فَلَا تَكُ مَفْرُورًا بِمَسْحَةِ صَاحِبِ مِنَ الْوَدِّ لَا تَدْرِي عِلَامَ مَصِيرُهَا^(٣)
وَمَا الْجُودُ عَنْ قَرِّ الرِّجَالِ وَلَا الْغِنَى وَلَكِنَّهُ خِيَمُ الرِّجَالِ وَخَيْرُهَا
وَقَدْ تَغْدِرُ الدُّنْيَا فَيُضْحِي غَنِيهَا فَقِيرًا وَيَمْنَى بَعْدَ بُؤْسٍ فَقِيرُهَا
وَكَأَنَّ تَرَى مِنْ حَالِ دُنْيَا تَغَيَّرَتْ وَحَالِ صَفَا بَعْدَ اكْتِدَارِ غَدِيرُهَا
وَمِنْ طَامِعٍ فِي حَاجَةٍ لَنْ يَنَالَهَا وَمِنْ يَأْتِي مِنْهَا أَنَاءُ بَشِيرُهَا
وَمَنْ يَتَّبِعُ مَا يُجِبُّ النَّفْسَ لَا يَزَلْ مُطِيعًا لَهَا فِي فِعْلٍ شَيْءٍ يَضِيرُهَا^(٤)
فَنَفْسُكَ أَكْرَمَ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ فَالْكَ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا

قال سيدنا أدام الله علوه : ولي في معنى قول ابن مطير : « وقد تغدير الدنيا » ، والبيت ١٥

الذي بعده من جملة قصيدة :

وَكَيْفَ آتَسُ بِالدُّنْيَا وَلَسْتُ أَرَى إِلَّا أَمْرًا قَدْ تَعَرَّى مِنْ عَوَارِيهَا^(٥)

(١) حساسة ابن الشجري : ١٦٣ ، ونطورها : نقرها . (٢) ف ، حاشية ت (من نسخة) في عين الأخلاء . (٣) المسحة : الأثر الظاهر ؛ ونقل صاحب اللسان عن ثمر : أن العرب تقول : هذا رجل عليه مسحة جال ، ومسحة عتق وكرم ؛ ولا يقال ذلك إلا في الدح . وفي ت : « مسحة » ، بكسر الميم . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « في كل شيء » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « وكيف آتس بالدنيا » .

نَصَبُوا إِلَيْهَا بِأَمَالٍ مُخَيَّبَةٍ كَأَنَّا مَا نَرَى عُقْبَى أَمَانِيهَا
فِي وَحْشَةِ الدَّارِ مِمَّنْ كَانَ يَسْكُنُهَا كُلُّ اعْتِبَارٍ لِمَنْ قَدْ ظَلَّ بِأَوْرِيهَا
لَا تُكَذِّبُنَّ فَمَا قَلْبِي لَهَا وَطَنًا وَقَدْ رَأَيْتُ طُلُولًا مِنْ مَغَانِيهَا
وَأَخْبَرَنَا أَبُو عبيد الله المرزباني قَالَ أَنشدنا علي بن سليمان الأخفش قَالَ أَنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب للحسين بن مطير :

لقد كنتُ جَدًّا قَبْلَ أَنْ يوقِدَ الهوى على كَيْدِي نَارًا بَطِيئًا خُمُودُهَا^(١)
ولو تَرَكْتُ نَارُ الهوى لَتَضَرَّمتُ ولكنَّ شوقًا كلَّ يَوْمٍ يَزِيدُهَا^(٢)
وقد كنتُ أَرْجو أنْ تموتَ صَبَابَتِي إِذَا قَدُمْتُ أَحْزَانُهَا وَعُهودُهَا^(٣)
/ فقدُ جَعَلْتُ فِي حَبَّةِ القَلْبِ وَالْحَشَا عَهَادَ الهوى تُولِّي بِشَوْقِي يُعِيدُهَا^(٤)
بِمُرْتَجَةِ الأَرْدَافِ هَيْفِ خُصُورُهَا عَذَابِ ثَنَائِهَا عِجَافِ قِيُودُهَا^(٥)

— يعني أنها عجاف اللثات وأصول الأسنان ، وهي قيودها . قال أبو العباس ثعلب :
« عِجَاف » ، بالخفض لَحْنٌ ، لأنه ليس من صفة النساء ، وسبيله أن يكون نصباً ؛ لأنه
حال من الثنايا^(٦) . —

(١) آيات منها في أمالي الزباجي : ١٢٤-١٢٥ ، وأمالي الفاي ١ : ١٦٥ ، والحماسة بشرح
التبريزي ٣ : ٢٠٦-٢٠٧ وفي م : « توقد النوى » . (٢) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أي لو
تركت نار الهوى ولم يزد فيها الشوق لكانت كافية ؛ فكيف والشوق كل يوم يزيدها ويذكها » .
(٣) ت ، د ، ف : « أيامها وعهودها » . (٤) العهد : جمع عهدة ؛ وهو المطر الأول ، والولي :
المطر الثاني ، شبه أول الشوق بالعهد ، وما وليه بالولي ؛ فأول المطر إذا لحقه المطر الثاني كثر الريم والخصب .
(٥) هيف : جمع هيفاء ؛ وهو الدقيقة المحصر ، الضامرة البطن وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « عِجَافًا » .
(٦) حواشي الأصل ، ت ، ف : « إنما قال ثعلب ذلك لأن الضمير في « قيودها » لثنايا » . وفيها
أيضاً : « هذا الذي ذكره أحمد بن يحيى عجب ، وباب جريان الصفة على غير من هوله واسع . وقوله :
« مرتجة الأرداف » ، وإن كان لا يمحتمل أن يريد به جماعة النساء فإنه يمحتمل أن يريد به واحدة ،
وتسكون « خصوصها » جما بما يقارب المحصر ، ويكون قوله : « هيف » دون « هيفاء » من باب قوله :
فيا ليلة خُرس الدَّجَاجِ طويلاً يبتدأ ما كادت عن الصُّبحِ تَفْجَلِي
وإنما جم الحرس ، لأنها في الحقيقة صفة الدجاج ، لا الليل ، فكذلك هاهنا » .

مُخَصَّرَةٌ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عَقُودَهَا بِأَحْسَنِ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
وَصُفْرٌ تَرَاقِيهَا وَخُمْرٌ أَكْفَهَا وَسُودٌ نَوَاصِيهَا وَبَيْضٌ خَدُودُهَا
- وصف التراقي بالصفرة^(١) من الطيب، وحمرة أكفها من الحضاب -

يُمْنَيْنَا حَتَّى تَرِفَ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخُزَامِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا^(٢)

أخذ قوله: «مُخَصَّرَةٌ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ...»، البيت من قول مالك بن أسماء بن خارجة:

وَتَزِيدُنِي أَطِيبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا - إِنْ تَمَسَّيْتُ - أَيْنَ مِثْلِكَ أَيْنَا!
وَإِذَا الدُّرُّ زَانَ حُسْنُ وَجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنُ وَجْهِكَ زَيْنَا

وروى أبو تمام الطائي في الحماسة بعض الأبيات الذي ذكرناها للحسين بن مطير.

وروى له أيضاً^(٣) - وبشبه أن يكون الجميع من قصيدة واحدة:

وَكُنْتُ أَذُودُ الْعَيْنَ أَنْ تَرِدَ الْبُكَاءُ فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا
خَلِيلِي مَا بِالْعَيْشِ عَيْبٌ لَوْ أَنَّنَا وَجَدْنَا لِأَيَّامِ الصَّبَا مَنْ يُمِيدُهَا
وروى أبو تمام أيضاً لغيره^(٤)، وبعض الرواة يرونها لابن مطير:

وَلِي نَظْرَةٌ بَعْدَ الصَّدُودِ مِنَ الْجَوَى كَنَظْرَةِ تَكَلِّيٍ قَدْ أَصِيبَ وَلِيدُهَا
هَلْ اللَّهُ عَافٍ عَنِ ذُنُوبٍ تَسَلَّفَتْ! أَمِ اللَّهُ إِنْ لَمْ يَعْفُ عَنْهَا مُمِيدُهَا^(٥)

وأنشد أبو عرلم لابن مطير:

قَضَى اللَّهُ يَا أَسْمَاءُ أَنْ كُنتُ بَارِحًا أَجْبُكَ حَتَّى يُغَمِّضَ الْعَيْنَ مُغَمِّضُ^(٦)

(١) حواشي الأصل، ت، ف: «قد ذكر في صفة التراقي أنها من الخلى».

(٢) حاشية الأصل: «يقال: رف النبت إذا مطر فاهتز بالندى».

(٣) الحماسة بشرح التبريزي ٣: ٣٠٢-٣٠٣. (٤) الذي في ديوان الحماسة بشرح التبريزي

أن الأبيات الأربعة منسوبة للحسين بن مطير. (٥) حاشية الأصل: «الضمير للمرأة التي يهوى لها».

(٦) الزهرة: ٢٤؛ وفي حاشية الأصل: «أغمض وأغمض [بالتضعيف] بمعنى واحد، أي يغمض عينه

وليه بعد الموت».

[١٤٦]

/ وَحُبُّكَ بَلَوَى غَيْرَ الْأَيْسُرُنِي وَإِنْ كَانَ بَلَوَى أَنْفَى لَكَ مُبِغِضٌ^(١)
إِذَا أَنَا رُضْتُ النَّفْسَ فِي حُبٍّ غَيْرِهَا أَتَى حُبُّهَا مِنْ دُونِهَا يَتَمَرِّضُ
فِيَالَيْتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا^(٢) صَبَابَتِي وَأَقْرَضَنِي صَبْرًا عَلَى الشَّوْقِ مُقْرِضُ
وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ أَخَذَ قَوْلَهُ :

* إِذَا أَنَا رُضْتُ النَّفْسَ فِي حُبٍّ غَيْرِهَا *

من قول رجل من فزارة :

وَأَعْرِضْ حَتَّى يَحْسِبَ النَّاسُ أَنَّمَا بِي الْهَجْرُ لَا هَالِكُ مَا بِي لَكَ الْهَجْرُ
وَلَكِنْ أَرَوْضُ النَّفْسَ أَنْظِرْ هَلْ لَهَا إِذَا فَارَقْتُ يَوْمًا أَحِبَّتَهَا - صَبْرُ !
أَوْ مِنْ قَوْلِ نَصِيبَ :

وَأِنِّي لَأَسْتَخِي كَثِيرًا وَأَنْتَى عِبُونًا^(٣) وَأُسْتَبْقَى الْمَوَدَّةَ بِالْهَجْرِ
وَأُنْذِرُ بِالْهَجْرِ أَنْفَى أَرَوْضُهَا لَتَعْلَمَ عِنْدَ الْهَجْرِ هَلْ لِي مِنْ صَبْرٍ !
وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ أَخَذَ قَوْلَهُ :

* فَيَالَيْتَنِي أَقْرَضْتُ جَلْدًا صَبَابَتِي ... * الْبَيْت

من قول بعض العرب :

رَمَى قَلْبَهُ الْبَرْقُ الْمَلَالِي رَمِيَةً بِحَنْبِ الْحِمَى وَهَنًا فَكَادَ يَهِيْمُ^(٤)
فَهَلْ مِنْ مُعِيرٍ طَرَفَ عَيْنٍ خَلِيَةٍ فَإِنْسَانُ عَيْنِ الْعَامِرِيِّ كَلِيمُ
وَلِلْحَسَنِ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا رَوَاهُ الْمُبَرَّدُ :

وَلِي كَبْدٌ مَقْرُوحَةٌ مَنْ يَبِيْعُنِي بِهَا كَيْدًا لَيْسَتْ بِذَاتِ قُرُوحٍ^(٥)

(١) حاشية ت (من نسخة) : « وَإِنْ كَانَ دَائِي » . (٢) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف :

« غَيْرِي » (٣) ف : « غَيُورًا » ، م : « عَدُوًّا » (٤) حاشية ت (من نسخة) : « الْبَرْقُ الْمَلَالِي رَمِيَةً » .

(٥) حواشي الأصل ، ت ، ف : « رَوَاهُ غَيْرُ الْمُبَرَّدِ لَأَيْنِ الدَّمِينَةِ ، وَقَبْلَهَا :

أَلَا يَارْحَمَى وَادِي الْمَيَاءِ قَتَلْتَنِي أَبَا حَكَّ لِي قَبْلَ الْمَاءِ مُبِيْعُ =

أَبَى النَّاسُ، وَيَبَّ النَّاسُ! لَا يَشْتَرُونَهَا وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عُرَّةٍ بِصَحِيعٍ! ^(١)
وأخذ العباس بن الأحنف هذا المعنى فقال :
مَنْ ذَا يُعِيرُكَ عَيْنَهُ تَبْكِي بِهَا! أَرَأَيْتَ عَيْنًا لِلْبُكَاءِ تُعَارُ! ^(٢)

وأخبرنا الرزبانى قال حدثنا أبو عبد الله الحكيمى قال حدثنى يموت بن المزرع قال
حدثنا محمد بن محمد قال: كنا عند الأصمى؛ فأنشده رجل أبيات دُعبل :

أَيْنَ الشَّبَابُ وَآيَةٌ سَلَكَ! لَا، أَيْنَ يُطْلَبُ ضَلٌّ بَلْ هَلَكَا! ^(٣)
/ لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمُ مَنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الشَّيْبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
[١٤٦] يَا سَلَمُ مَا بِالشَّيْبِ مَنْقُصَةٌ لَا سَوْقَةً يُبْقَى وَلَا مَلِكًا
قَصَرَ الْغَوَايَةَ عَنْ هَوَى قَمَرٍ وَجَدَ السَّيْلَ إِلَيْهِ مُشْتَرَكًا
يَالَيْتَ شِعْرَى كَيْفَ نَوْمُكُمْ يَا صَاحِبِي إِذَا دَى سَفِكََا
١٠ لَا تَأْخُذَا بِظَلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دَى اشْتَرَكَا

قال: فاستحسنها كلُّ مَنْ فى المجلس، وأكثروا التعجب من قوله :

* ضَحِكَ الشَّيْبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى *

= وبعدها :

أَتَيْنُ مِنَ الشَّوْقِ الَّذِى فى جَوَانِحِي أَنِينَ عَضِيبُ السَّلَاحِ جَرِيحِ
وفى معجم البلدان ٨ : ٣٧٧ أبيات خمسة نسبها إلى ابن الدبنة ، يتفق البيت الأول والرابع والخامس
مع هذه الأبيات ، والبيت الثانى والثالث هناك :

رَأَيْتُكَ غَضَّ النَّبْتِ مَرْتَبَطِ الثَّرَى يَحُوطُكَ شَجَاعٌ عَلَيْكَ شَحِيعُ
كَأَنَّ مَدُوفَ الرَّغْفَرَانِ بِجَنْبِهِ دَمٌّ مِنْ ظِبَاءِ الْوَادِيَيْنِ ذَبِيعُ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « ذاعلة » . (٢) حاشية الأصل : قبله :

نَزَفَ الْبُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنِكَ فَاسْتَعِيرَ عَيْنًا لِغَيْرِكَ دُمْعَهَا مِذْرَارُ

والبيتان فى ديوانه : ٦٨ . (٣) الأبيات فى العقد ٥ : ٣٧٥ والخزانة ٣ : ٤٨٧ .

فقال الأسمي : إنما أخذ قوله هذا من ابن مطير الأسدي في قوله :

أين أهل القباب بالدهناء^(١) أين جيراننا على الأخساء^(٢)
جاورونا والأرض ملبسة^(٣) نور الأفاحي تجاد بالأنواء^(٤)
كل يوم عن أفعوان^(٥) جديد تضحك الأرض من بكاء السماء^(٦)

وقد أخذه مسلم صريح النواني في قوله :

مُسْتَعْبِرٌ يَبْكِي عَلَى دِمْنَةٍ وَرَأْسُهُ يَضْحَكُ فِيهِ الْمَشِيبُ^(٧)

قال سيدنا أدام الله علوه : ولأبي الحجناء نصيب الأصفر مثل هذا المعنى ، وهو قوله :

يَبْكِي الْغَمَامُ بِهِ فَاصْبَحَ رَوْضُهُ جَذْلَانِ يَضْحَكُ بِالْجَمِيمِ وَيُزْهَرُ^(٨)

ولابن المعتز مثله :

١٠ أَلَحَّتْ عَلَيْهِ كُلُّ طَخْيَاءٍ دِيمَةٍ إِذَا مَا بَكَتْ أَجْفَانُهَا ضَحِكَ الزَّهْرُ^(٩)

ولابن دريد مثله :

تَبَسَّمَ الْمَزْنُ وَانْهَلَتْ مَدَامِعُهُ فَاضْحَكَ الرَّوْضُ جَفْنُ الضَّاحِكِ الْبَاكِي^(١٠)
وَعَاذَلَ الشَّمْسَ نَوْرٌ ظَلٌّ يَلْحَقُهَا^(١١) بَعَيْنٌ مُسْتَعْبِرٌ بِالْدَّامِعِ ضَحَّاكٌ

وروى عن أبي العباس البرد أنه قال : أخذ ابن مطير قوله :

* تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بَكَاءِ السَّمَاءِ *

١٥

[١٤٧] / من قول دكّين الراجز :

جُنَّ النَّبَاتُ فِي ذُرَاهَا وَزَكَ^(١٢) وَضَحِكَ الْمَزْنُ بِهِ حَتَّى بَكَى

(١) الخزانة ٢ : ٤٨٧ ، عن النور . وفي حاشية الأصل : « الأخساء : جمع حصى ، وهو الموضع الذي استنقع فيه الماء » . والدهناء : أرض من منازل تميم بنجد . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « بأفعوان » . (٣) ديوانه : ٣٦٧ ، الوساطة : ٤٤ (٤) ت : « يَبْكِي الْغَمَامُ » . الجيم : السكلا الكبير . (٥) ديوانه : ٣٣ : ١١ (٦) ديوانه : ٩٨ ، والخزانة ٢ : ٤٨٧ — ٤٨٨ وكلاما عن النور . وفي حاشية ت (من نسخة) « دَمِ الضَّاحِكِ الْبَاكِي » . (٧) ت : « يَلْحَقُهَا » (٨) الخزانة ٢ : ٤٨٨ ، عن النور .

مَجْلِسُ آخِرِ

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ؛ [آل عمران : ٧] .
الجواب ، قلنا : ذِكْرٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَجْهَانِ مُطَابِقَانِ لِلْحَقِّ :

- ٥ أحدهما أَنْ يَكُونَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مَعْطُوفِينَ عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ : وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ، وَإِنَّهُمْ مَعَ عَلَيْهِمْ بِهِ ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ؛ فَوْقَ قَوْلِهِ : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ فِي مَوْقِعِ الْحَالِ ؛ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَهُ قَائِلِينَ : ﴿ آمَنَّا بِهِ ، كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ وَهَذَا غَايَةُ الْمَذْحَجَةِ لَهُمْ ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا عَظَمُوا ذَلِكَ بِقُلُوبِهِمْ ، وَأَظْهَرُوا التَّصَدِيقَ بِهِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِذْحَجَتُهُمْ وَوُصِفَتْهُمْ بِإِدَاءِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ .
- ١٠ وَالْحِجَةُ - لِمَنْ ذَهَبَ إِلَى مَا بَيَّنَّاهُ ، وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ اسْتَبْعَدَ عَظْفَهُ عَلَى الْأَرْدَلِ وَتَقَدَّرَ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ لَا ابْتِدَاءَ لَهُ ، - قَوْلُهُ : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ﴾ ؛ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ؛ [الْحَمْر : ٧] ، فَذَكَرَ جُمْلَةً ، ثُمَّ تَلَاهَا بِالتَّفْصِيلِ ، وَتَسْمِيَةِ مَنْ يَسْتَحِقُّ هَذَا الْقَوْلَ فَقَالَ : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ ، إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ الصَّادِقُونَ ﴾ ؛ [الْحَمْر : ٨] . وَقَالَ فِي الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ - ١٥ وَهُمْ الْأَنْصَارُ : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ ؛ [الْحَمْر : ٩] . وَقَالَ فِيمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ : ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَلَاخَوَانَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ) ؛ [الحشر : ١٠] ، فهذه الآيات تدلّ على أنه لا يُنكرُ في آية « الراسخين في العلم » أن يكون قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ حالاً لهم ؛ مع العلم بتأويل التشابه ؛ ولو أشكل شيء من ذلك لما أشكل قوله : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ﴾ في أنه موافق لقوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ وأن الصورتين واحدة .

[١٤٧] ومما يُستشهد به / على ذلك من الشعر قول يزيد بن (١) مفرغ في عبده له كان يُسمى بُرداً باعه ثم ندم عليه :

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لِيَتَنَى مِنْ بَعْدِ بُرْدٍ كُنْتُ هَامَةً (٢)
هَامَةً تَدْعُو صَدَى بَيْنَ الشَّقَرِ فَالْيَمَامَةِ (٣)
الرَّيْحُ تَبْكِي شَجْوَهُ وَالْبَرْقُ يَلْمَعُ فِي الْغَمَامَةِ (٤)

فمطف البرق على الريح ، ثم أتبعه بقوله : « يلمع » ؛ كأنه قال : والبرق أيضاً يبيكه لامعاً في غمامة ؛ أي في حال لمعانه ؛ ولولم يكن البرق معطوفاً على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة .

ويمكن أيضاً على هذا الوجه مع عطف « الراسخين » على ما تقدم ، وإثبات العلم بالتشابه لهم أن يكون قوله : ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا ﴾ استئناف جملة ، واستغنى فيه عن حرف العطف ؛ كما استغنى في قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُمْ كَلِمَتَهُمْ ﴾ ؛ [الكهف : ٢٢] ، ونحو ذلك مما للجملة الثانية فيه التباس بالجملة الأولى ، فاستغنى به عن حرف العطف ، ولو عطف بحرف العطف كان حسناً ، يُنزل التلبس منزلة غير التلبس .

والوجه الثاني في الآية أن يكون قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ مستأنفاً غير معطوف

(١) هو يزيد بن زبيدة بن مفرغ ؛ وخبر بيده برداً ، مع الأبيات في الأغاني ١٧ : ٥٣-٥٥ .

(٢) شريت : بعث ، والهامة والصدى ، كلاهما كناية عما تزعم العرب أنه يطير من رأس الميت .

(٣) الشقر : حصن بين البحرين ونجران . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « في غمامة » .

على ما تقدم، ثم أخبر عنهم بأنهم: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب التأويل، لأنه قد يسمى تأويلاً، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾، [الأعراف: ٥٣] والمراد بذلك لا محالة التأويل، والتأويل الذي لا يعلمه العلماء؛ وإن كان الله عز وجل عالماً به، كنفح ووقت قيام الساعة، ومقادير الثواب والعقاب، وصفة الحساب، وتعيين الصغار؛ إلى غير ذلك؛ فكأنه قال: وما يعلم تأويل جميعه. على المعنى الذي ذكرناه إلا الله؛ والعلماء يقولون آمناً به.

وقد اختار أبو علي الجبائي هذا الوجه، وقواه، وضمف الأول بأن قال: قول الراسخين في العلم ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ دلالة على استسلامهم؛ لأنهم لا يعرفون تأويل التشابه، كما يعرفون تأويل المحكم، ولأن ما ذكرناه من وقت القيامة، ومن التمييز بين الصغار والكبار هو من تأويل القرآن؛ إذا كان داخلاً في خبر الله؛ والراسخون في العلم لا يعلمون [١٤٨] ذلك.

وليس الذي ذكره بشيء؛ لأنه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالتشابه: ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ على الوجه الذي قدمنا ذكره؛ فكيف يُظَنُّ أنهم لا يقولون ذلك إلا مع فقد العلم به؛ وما المنكر من أن يُظهر الإنسان بلسانه الإيمان بما يعلمه ويتحققه؛ فأمّا قوله: «ولأن ما ذكرناه من تأويل القرآن» فذلك إنما يكون تأويلاً للقرآن إذا حُمِلَتْ هذه اللفظة على التأويل، لا على الفائدة والمعنى. ١٥ وأما إذا حُمِلَتْ على أنه: وما يعلم معنى التشابه وفائدته إلا الله، فلا بد من دخول العلماء فيه. وليس يمكنه أن يقول: إن حمل التأويل على التأويل أظهر من حمله على المعنى والفائدة؛ لأن الأمر بالعكس من ذلك؛ بل حمله على المعنى أظهر وأكثر في الاستعمال، وأشبه بالحقيقة؛ على أنه لو قيل: إن الجواب الأول أقوى من الثاني لكان أولى من قوله من قبل: إنه لو كان المراد بالتأويل التأويل لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص التشابه بذلك دون المحكم ٢٠ معنى؛ لأن في متأويل المحكم؛ كإخباره عن الثواب والعقاب والحساب؛ مما لا شبهة في كونه

محكما ما لا يعرف تفصيله وكنهه إلا الله تعالى ؛ فأى معنى لتخصيص التشابه بذلك والكلام يقتضى توجهه نحو التشابه ! ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ ! فخص التشابه بالذكر .

والأولى أيضا أن يكون المراد بلفظة ﴿ تَأْوِيلِهِ ﴾ الثانية هو المراد بلفظة ﴿ تَأْوِيلِهِ ﴾ الأولى ، وقد علمنا أن الذين في قلوبهم زَيْغٌ إنما اتَّبَعُوا تَأْوِيلَهُ على خلاف معناه ولم يطلبوا تَأْوِيلَهُ الذى هو متأوله ؛ فالوجه الأول أقوى وأرجح .

ويمكن فى الآية وجه ثالث لم نجد ذكروه ، على أن يكون قوله : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ مستأنفا غير معطوف ، ويكون المعنى : وما يعلم تأويل التشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل إلا الله ؛ وهذا صحيح لأن أكثر التشابه قد يحتمل الوجوه الكثيرة المطابقة للحق ، الموافقة لأدلة العقول ؛ فيذكر التأويل جميعها ، ولا يقطع على مراد الله منها بعينه ، لأن الذى يلزم مثل ذلك أن يُعلم فى الجملة أنه لم يُرد من المعنى ما يخالف الأدلة ؛ وأنه قد أراد بعض الوجوه المذكورة المتساوية فى الجواز ، والموافقة للحق . وليس من تكليفنا أن نعلم المراد / بعينه ؛ وهذا مثل الضلال والهدى اللذين يُبين احتمالها لوجوه كثيرة ؛ منها ما يخالف الحق فيقطع على أنه تعالى لم يرده ، ومنها وجوه تطابق الحق ، فيعلم فى الجملة أنه قد أراد أحدها ، ولا يُعلم المراد منها بعينه وغير هذا من الآى التشابهية ؛ فإن أكثرها يحتمل وجوها ، والقليل منها يختص بوجه واحد صحيح لا يحتمل سواه ؛ ويكون قوله تعالى من بعد : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ، أى صدقنا بما نعلمه مفصلا ومجلا من المحكم والتشابه ؛ وأن الكل من عند ربنا ؛ وهذا وجه واضح .

٢٠ أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال أخبرنا محمد بن أبى الأزهر قال أنشدنا محمد بن يزيد لأبى حنيفة (١) النُمَيْرِىَّ - وهى أبيات مختارة :

(١) هو أبو حنيفة الهيثم بن الربيع بن زرارة ، انتهى نسبه إلى نصر بن زرار . من مخضرى الدوليين ، =

وخبَّرَكَ الواشونَ ألا أُحِبُّكُمْ بَلَى وَسُتُورِ اللَّهِ ^(١) ذَاتِ الْحَارِمِ ^(٢)
أُصْدُ ، وما الصَّدُّ الذي تَمَرِّفِينَهُ عَزَاءُ بَنِي إِلاَّ اجْتِرَاعُ الْعَلَاقِمِ ^(٣)
حَيَاءٌ وَبُخْيَا أَنْ تَشِيعَ نَعِيمَةٌ بَنِي وَبِكُمْ ؛ أَفَ لِأَهْلِ التَّمَائِمِ ^(٤)
وَإِنْ دَمًا لَوْ تَعَلَّمِينَ جَنَّتِيهِ عَلَى الْحَى ، جَانِي مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمٍ ^(٥)
أَمَّا إِنَّهُ لَوْ كَانَ غَيْرُكَ أَرْقَلْتُ سِعَادُ الْقَنَا بِالرَّاعِفَاتِ اللَّهَازِمِ ^(٦)
وَلَكِنَّهُ وَاللَّهُ مَا طَلَّ مُسْلِمًا كَيْبُضِ الثَّنَائِيَا وَاضِحَاتِ الْمَلَاغِمِ

— قال ثعلب : الملاغم ، ماحول الفهم ، وقال البرد : « واضحات الملاغم » ، يريد العوارض ،
وقوله : « ما طلَّ مسلماً » ، أى أبطل دمه .

إِذَا هُنَّ سَاقَطْنَ الْحَدِيثَ حَسْبَتُهُ ^(٧) سُقُوطَ حَصَى الرَّجَانِ مِنْ سِلْكٍ نَازِمٍ
— ويروى : « ساقطن الأحاديث للفتى » . ويروى أيضا : « ساقطن الحديث كأنه » — ١٠
رَمَيْنَ فَأَقْصَدْنَ الْقُلُوبَ فَلَا تَرَى دَمًا مَائِرًا إِلاَّ جَوَى فِي الْحَيَازِمِ ^(٨)

من ساكنى البصرة ، وكان شاعرا راجزا مقصدا ، (وانظر ترجمته وأخباره في الأغاني ١٥ : ٦١-٦٢
والشعر والشعراء ٧٤٩-٧٥٠ ، والخزاعة ٤ : ٢٨٣-٢٨٥) .

(١) من نسخة بحواشي الأصل ، ت ، ف : « ستور البيت » .
(٢) الكامل — بشرح المصنف ١ : ٢٣١-٢٣٥ ، وأمالى القال ٢ : ٢٨٠ ، ومختارات ابن
التجوى ١٥٣ . (٣) اجتراح : مصدر اجتزع الماء إذا ابتلعه . واللائم : واحدتها اللقمة ، جمع اللقمة ،
وهى القطعة من كل شيء مر . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « لهذا التمام » .
(٥) حاشية ت (من نسخة) : « غير نادم » . (٦) فى حاشيتى الأصل ، ف : « الإرقال :
ضرب من السير السريع ؛ وهو هنا استعارة ، والصادق : جمع صعدة ، والراعفات : الأسنة التى يرعفن ،
واللهازم : جمع لھزم ؛ وهن الفواطع » . (٧) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « كأنه » ؛
وهى رواية السكايل ، وفى حاشية ت (من نسخة) : « ساقطن الأحاديث بيننا » .

(٨) أقصدن القلوب : رمينها ؛ من قولهم ؛ قصدت الرجل إذا طعنته أو رميته ؛ فلم تخطى . مقاتله .
والدم المائر : السائل . والحيازم : الحيازيم ؛ وهى ضلع الفؤاد وما اكتنف الحلقوم من جانب الصدر .
وفى حاشية الأصل (من نسخة) : « فأصمى القلوب » .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ومن مُستحسن ما مضى في هذه القصيدة قوله :

كَانَ لَمْ أَبْرَحَ بِالغَيُورِ وَأَقْتَتِلْ بَتَفْتِيرِ أَبْصَارِ الصُّحَّاحِ السَّقَامِ (١)
/ وَلَمْ أَلَهُ بِالْحَدِيثِ الْأَلْفِ الَّذِي لَهُ غَدَائِرُ لَمْ يُخَرِّمْ مَنْ فَارَ اللَّطَائِمِ (٢)
إِذَا اللَّهُوَ يَطْبِيئِي وَإِذَا أُسْتَمِيلُهُ بِمُحَلُولِكَ الْفُودَيْنِ وَخَفِ الْمَقَامِ (٣)
وَإِذَا أَنَا مُنْقَادٌ لِكُلِّ مُقَوِّدٍ إِلَى اللَّهِوَ حَلَّافِ الْبَطَالَاتِ آثَمِ

— وروى ابن حبيب : « مُقَوِّدٍ ». ومعنى « حَلَّافِ الْبَطَالَاتِ » ، أى حَلَّافٍ فِي الْبَطَالَاتِ —

مُهِنُ الْمَطَايَا مُتَلِفٌ غَيْرَ أَنَّنِي عَلَى هُلُوكِ مَا أَتْلَفْتُهُ غَيْرُ نَادِمٍ (٤)
أَرَى خَيْرَ يَوْمِي الْحَسِيسَ وَإِنْ غَلَا بِنِ الْيَوْمِ لَمْ أَحْفِلْ مَلَامَةً لَأَثَمِ
— معنى « خَيْرَ يَوْمِي الْحَسِيسِ » ، أى أَحَبُّ يَوْمِي إِلَى الَّذِي هُوَ أَخْسَرُ عِنْدَ أَهْلِ
الرأى والعقل .

وأنشد أبو إسحاق إبراهيم بن سيف بن الزياتى لأبي حية — واسمه هيثم بن الربيع :

تَرَحَّلَ بِالشَّبَابِ الشَّيْبُ عَنَّا فَلَيْتَ الشَّيْبُ كَانَ بِهِ الرَّحِيلُ
وَقَدْ كَانَ الشَّبَابُ لَنَا خَلِيلًا فَقَدْ قَضَى مَارِبَهُ الْخَلِيلُ
كَعَمْرُ أَبِي الشَّبَابِ لَقَدْ تَوَلَّى حَمِيدًا مَا يُرَادُّ بِهِ بَدِيلُ

(١) حواشي الأصل ، ت ، ف : « أى كَانَ لَمْ أَغْزِبَ بِمَذَابٍ شَدِيدٍ » ؛ وبمعنى بِالغَيُورِ زَوْجَهَا أَوْ أَخَاهَا . ومعنى أَقْتَتِلْ أَقْتُلْ . والأعراف في الحب أن يقال : أَقْتَلَهُ الْحُبُّ ؛ قَالَ ذُو الرِّمَّةِ :

إِذَا مَا أَمْرُؤُا حَاوَلْنَ أَنْ يَقْتَتِلَنَّهُ بِإِلْحَانَةٍ بَيْنَ النَّفُوسِ وَلَا زَحْلٍ

(٢) الحدث : الحادث . والألف : عظيم الفخوذ ؛ ويقال : اسرأة أفاء ؛ إِذَا كَانَتْ ضَخْمَةُ الْفُغْذَيْنِ مَكْنَرَةً بِاللَّحْمِ ، وَالْفَارُ : نَافِجَةُ الْمَسْكِ ، وَاللَّطَائِمُ : جَمْعُ لَطِيمَةٍ ؛ وَهِيَ الْفَانَالَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْمَسْكُ .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « إِذَا أُسْتَمِيلُهُ » . طباء : دعا . والمحللوك : الخائفون الأسود . والفودان : متنى فود ؛ وهو معظم شعر الرأس مما يلي الأذن والحية الرأس . والوحف : الشعر الكثير الأسود . والمقام : مقدمات الرأس . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « عَلَى رِدْمَا أَتْلَفْتُهُ » ؛ أى عَلَى اكْتِسَابِهِ ؛ وَالتقدير : غَيْرَ أَنِّي غَيْرُ نَادِمٍ ؛ مَعَ أَنِّي قَادِرٌ عَلَى رَدِّ مَا أَتْلَفْتُ وَاكْتِسَابِ مِثْلِهِ .

إِذِ الْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ عَلَيْنَا وَظِلُّ أَرَاكِ الدُّنْيَا ظَلِيلٌ

وأنشد البرد ، قال أنشدنا أبو عثمان المازني لأبي حية :

زَمَانَ الصَّبَا لَيْتَ أَيَّامَنَا رَجَمَنَ لَنَا الصَّالِحَاتِ الْقِصَارَا ^(١)
 زَمَانَ عَلَى غُرَابٍ غُدَافٌ فَطِيرَةُ الدَّهْرِ عَنِ فِطَارَا
 فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ ذَاكَ الْغُرَابِ وَإِنْ هُوَ لَمْ يُبْقِ إِلَّا أَذْكَارَا
 كُنَّ الشَّبَابَ وَلَذَاتِهِ وَرَبَّقَ الصَّبَا كَانَ يَوْمًا مُعَارَا ^(٢)
 - رَبَّقَ الصَّبَا وَرَبَّقَهُ وَرَوَّقَهُ : أَوَّلَهُ -

وَهَازِئِهِ أَنْ رَأَتْ لِمَتِي تَلَفَّعَ شَيْبٌ بِهَا فَاسْتَدَارَا ^(٣)
 وَقَلَّدَنِي مِنْهُ بَعْدَ الْخِطَامِ عِذَارَا فَمَا اسْتَطِيعَ اعْتِدَارَا ^(٤)
 / أَجَارَتَنَا إِنْ رَبَّبَ الزَّمَانِ قَبْلِي نَالَ الرَّجَالُ الْخِيَارَا ^(٥)
 فَمَا نَرَى لِمَتِي هَكَذَا فَاسْرَعَتْ فِيهَا لِشَيْبِي النَّفَارَا ^(٦)
 فَقَدْ أُرْتَدَى وَخَفَّةَ طَلَّةً وَقَدْ أُبْرِزَ الْفَتَيَاتِ الْخِفَارَا

[١٤٩]

أما قوله : « عَلَى غُرَابٍ غُدَافٌ » فأراد به الشَّبَابَ والشَّعْرَ الْأَسْوَدَ ، وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ
 مَأْخُوذًا مِنْ قَوْلِ الْأَعْمَى :

وَمَا طَلَابُكَ شَيْئًا لَسْتُ تُدْرِكُهُ إِنْ كَانَ عَنْكَ غُرَابُ الْجَهْلِ قَدَوَقَمَا ^(٧)

وَلَأَبَى حِيَّةً مِنْ قَصِيدَةِ أَوَّلِهَا :

* أَلَا يَا اسْلَمَى أَطْلَالَ خَنْسَاءٍ وَانْعَمَى ^(٨) *

(١) حاشية ت : « يحتمل أن تكون « الصالحات » مفعول « رجمن » ، ويحتمل أن يكون نصبا على
 المدح . (٢) ت ، حاشية الأصل (من نسخة) : « ثوبا معاراً . » (٣) من نسخة بمحو الشئ الأصل ،
 ت ، ف : « أهازئته » . وتلفع الشيب به ، أى شمله . (٤) حاشية ت : « جعل ظهور الشيب في
 شاربه وعنفقه خطاما ، وشيب ما على لحيه من الشعر عذاراً ؟ وهذا من حسن التشبيه » .
 (٥) حاشية ت (من نسخة) : « غال الرجال » . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « منها
 لشيبى » . ومن نسخة أخرى : « فأسرعت منى » . وفي حاشية ت (من نسخة) : « لشيب نفارا » .
 (٧) ديوانه : ٧٣ . (٨) أبيات منها في زهر الآداب : ١٩٠ (طبعة الحلبي) والحامسة - بصرح
 التبريزي ٣ : ٣٠٨ - ٣١٠ .

وَحَسَاءُ مِخْمَاصُ الْوِشَاحِينَ مَشِيهَا إِلَى الرَّوحِ أَفْنَانُ خُطَا الْمُتَجَشَّمِ^(١)
 أَلِمَّا بَسَلَمَى قَبْلَ أَنْ تَرْمِي النَّوَى بِنَافِذَةٍ نَبْضَ الْفُؤَادِ الْمُتَبَمِّ
 يَقِفُ عَاشِقًا لَمْ يَبْقَ مِنْ رُوحِ نَفْسِهِ وَلَا عَقْلِهِ الْمَسْلُوبِ غَيْرُ التَّوَهُّمِ
 فَقُلْنَ لَهَا سِرًّا : فَدَيْنَاكِ لَا يَرُوحُ صَاحِبِحَا ، فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْعَمَى^(٢)
 فَالْقَتُّ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَانْقَتَ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ : كَفَرٍ وَمِنْصَمَرٍ

وهذا البيت الأخير مأخوذ من قول النابغة :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تَرُدْ إِسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلْتَهُ وَانْقَتْنَا بِالْيَدِ^(٣)

ولقوله : « وَقُلْنَ لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكِ لَا يَرُوحُ » خبرٌ ، وهو ما أخبرنا به أبو الحسن
 علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني الباقراني قال : اتصل
 ١٠ بعبيد الله بن سليمان بن وهب أمرُ علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لأبي الحسين
 القاسم ابنه ، وسمع شيئاً من أهاجيه ، فقال لأبي الحسين : قد أحببتُ أن أرى ابنَ روميِّك
 هذا ؛ فدخل يوماً عبيد الله إلى أبي الحسين وابن الرومي عنده ، فاستنشده من شعره
 فأنشده ، وخاطبه ، فرآه مضطرباً العقل جاهلاً ، فقال لأبي الحسين - بينه
 وبينه - : إنَّ لسان هذا أطول من عقله ، ومن هذه صورته لا تؤمن عقاربُه عند أول
 ١٥ عَنَبٍ ، ولا يفكر في عاقبةٍ ، فأخبره عنك ، فقال : أخاف حينئذ أن يُعلن ما يكتمه في
 [١٤٣] دولتنا ، ويذيعه في تمكنا ، فقال : يا بني / لم أرِدْ بإخراجك له طرده ، فاستعمل فيه بيت
 أبي حيَّه النميري :

فَقُلْنَا : لَهَا سِرًّا فَدَيْنَاكِ لَا يَرُوحُ صَاحِبِحَا ، فَإِنْ لَمْ تَقْتُلِيهِ فَالْعَمَى

(١) مخماس الوشاحين ، كناية عن أنها هيفاء . والوشاح : أديم عريض ترصمه المرأة بالجواهر وتشدّه
 على مانتقيا . ومشيا إلى الروح ؛ أي حين تخرج من خباياها تطلب الروح . وأفنان : جمع فن ؛ أي أنواع ؛
 وفن : إقترار خط المتجشم . (٢) ألمى : اشرعى في مبادئ قتله . (٣) ديوانه : ٣٠ ؛ والنصيف :
 الحمار ، أو نصفه .

فحدث القامم بن فراس بما جرى ، وكان أعدى الناس لابن الرومي ؛ وقد هجاه بأهـاج^(١) قبيحة ، فقال له الوزير أعزّه الله : أشار بأن يُقتال حتى يُستراح منه وأنا أكفيك ذلك قال : فسمّه في الخشكناج ، فقات .

قال الباقراني : والناس يقولون ما قتله ابن فراس ، وإنما قتله عبيد الله^(٢) .

وذكر محمد بن يزيد المبرّد قال : "مما يُفَضَّلُ"^(٣) لتخلّصه من التكلف ، وسلامته من التزيّد • وبعبء من الاستعانة قول أبي حيّة :

رَمَتْنِي - وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا - عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ^(٤)

أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتُهَا ، وَلَكِنْ عَهْدِي بِالنُّضَالِ قَدِيمٌ^(٥)

قال سيدنا أدام الله علوه : وقد روى هذان البيتان لتصيب في غير رواية المبرّد . قال المبرّد يقول : "رمتني وأصابني بمحاسنها ، ولو كنت شاباً لرميت كما رُميتُ ، وفتنت كما فُتِنتُ ؛ ولكن عهدي قد تطاول بالشباب ، وهذا كلام واضح ؛ " وأما الاستعانة فهي أن يُدخل في الكلام مالا حاجة بالمستمع إليه ليصحح نظماً أو وزناً^(٥) .

ومما يختار من قول أبي حيّة أيضا :

(١) حاشية الأصل : « يقال بينهم أهجوة وأهجة ، والجمع الأهاجي ، وقد يخفف كالأنافى » .

(٢) في ت : « قال ابن الرومي لا رجوع ، وقد دب الدم في أعضائه :

أشرب الماء إذا ما ألتهبْتُ نَارُ أَحْشَائِي لِإِطْفَاءِ اللَّهَبِ

فَأَرَاهُ زَائِدًا فِي حُرْقَتِي فَكَأَنَّ الْمَاءَ لِلنَّارِ حَطَبٌ

(٣) السكامل - بشرح الموصفي ١ : ١٢٩-١٣٠ ، وهما أيضا في الحماسة - بشرح النبرزي ٣ :

٢٦٩-٢٧٠ وآرام : جمع إرم ، مثل عنب ؛ وهي الحجارة تنصب عليها في المفازة يهتدي بها . رميم : اسم

امرأة . وسر الله : الإسلام ، وقيل الشيب ؛ وقيل ما حرم الله عليهما . (٤) ومن زيادات السكامل

بعد هذا البيت :

يرى الناسُ أَنِّي قد سَكَوْتُ وَإِنِّي لِرِمَى أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ سَقِيمٌ

(٥) بقية عبارة المبرّد : « .. إن كان في شعر ، أو ليتذكر به ما بعده إن كان في كلام مشور » .

أَلَا حَتَّى مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَفَانِيَا لَبِسْنِ الْبِلَى مِمَّا لَبَسْنَ اللَّيَالِيَا^(١)
إِذَا مَا تَقَاضَى الرَّءْ بَوْمٌ وَلَيْلَةٌ تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمِلُّ التَّقَاضِيَا

ويقال: إن أحسن ما وُصفَ به السراكُ قول أبي حية :

لَقَدْ طَالَمَا عَنَيْتُ رَاحِلَةَ الصَّبَا وَعَلَّتُ شَيْطَانَ الْغَوَى الْمُشَوِّقِ^(٢)
وَدَاوَيْتُ قَرْحَ الْقَلْبِ مِنْهُنَّ بِالْأَسَى وَبِالْحَفْظِ - لَوْ يَبْذُلْنَهُ - الْمُتَسَرِّقِ
وَسَاقَيْتَنِي كَأْسَ الْهَوَى وَسَقَيْتَهَا رِيقَ الثَّنَائِيَا عَذْبَةً التَّرِيقِ^(٣)
وَحُمَصَانَةٍ تَفْتَرُّ عَنْ مَتْنَضٍ كَنُورِ الْأَفَاحِي طَيْبِ الْمُتَدَوِّقِ

[١٥٠] / - ويروى: «عن متنسق»، يعنى تقرأ على نسق واحد لا اختلاف فيه -

إِذَا مَضَتْ بَعْدَ امْتِنَاعٍ مِنَ الضُّحَى أَنَا يَبَّ مِنْ عُودِ الْأُرَاكِ الْخُلُقِ
- الامتناع: الارتفاع ، يقال متع النهار وأمتع إذا طال - والخلق: الذى علق به الخلق
والطيب من يدها؛ وقال بعضهم: عنى بالخلق المملس -

سَقَتْ شَعَثَ الْمِسْوَالِكِ مَاءُ نَعْمَامَةٍ فَضِيضًا بِخَرْطُومِ الْمُدَامِ الْمُرُوقِ^(٤)
- والفضيض: الذى حين سأل من النعامة، أى كما فُضَّ^(٥) ، والخرطوم: سُلَافُ الخمر ،
وهو أول ما يخرج من غير عصرٍ ولا دوسٍ -

وَأِنْ دُقَّتْ فَاهَا بَعْدَ مَا سَقَطَ النَّدى بِمِطْفَى بِمَخْنَدَاةٍ رَدَّاحِ الْمُنْطَقِ
- البِخْنَدَاةُ: الضخمة ، والرَّدَّاحُ: العظيمة الأرداف .

شَمِعْتُ الْعَرَّارَ الطَّلَّ غِبَّ هَمِيمَةٍ وَنُورَ الْخُرَّامَى فِي النَّدى الْمَتَرَقِّقِ^(٦)

(١) الكامل - بهرح الموصنى ٣ : ٢٥ .

(٢) زهر الآداب : ٢٢٧ (طبعة الحلبي) ، شرح المختار من شعر بشار : ٢٣٨ .

(٣) حاشية ت : « راق السراب يريق ريقاً ، وتريق ، إذا لمع ؛ كأنه قال : عذبة موضع التريق .
ويجوز أن يكون مشتقاً من الريق الذى هو الرضاب ؛ أى عذبة منشف الريق » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « بخرطوم المدام المروق » . (٥) كما فُضَّ ؛ أى كما تفرق

من السحابة ؛ ولم تصل إليه غيرة . (٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « ونور الأفاحى » .

- العَرَّار: بهار البرّ، والطلّ: الفصّ الطرى، والمهيبة: مَطَر لَيْنٌ^(١).

وأخبرنا المرزبانيّ قال حدثني عليّ بن هارون بن عليّ قال: سمعت أبي -وقد ذكر قول-

أبي حية:

نظرتُ كأني من وراء زجاجةٍ إلى الدّار من فرط الصّباية أنظر^(٢)
بمينين طوراً تفرّقان من البكا فأعشى، وطوراً تحسيران فأبصر^(٣)
فقال: لو اعترضني مملّكٌ بحب طاعته، ويلزم الانقياد لأمره فقال: أيّ شعر أجود
وأولى بأن يستحسن؟ ولم يفسح لي في أن أميز المدح من الفخر، والمجاء من التشبيب،
وسائر أصناف الشعر ومذاهب الشعراء فيه لا عدتُ عن هذين البيتين.

ويقال إن أبا أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر أجاز بيتي أبي حية هذين بقوله:

فلا مقلتي من غامر الماء تنجلي ولا دممتي من مكمّد الوجد تقطر^(٤)

ولأبي حية:

من المبكيات الجلد حتى كأنما تسحّ بمينيّ الأروع شبيب

- الشّبيب: مزادة من أديمين، يشبّ^(٥) أحدهما بالآخر -

(١) حاشية الأصل: «في نسخة س: أخبرنا البارع أبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب البغدادي رحمه الله قال: أخبرني الرئيس الحسن بن عليّ بن محمد بن باري الواسطي رحمه الله قال: كنا عند الملك العزيز في مجلس أنسه، وأنشد منشد بيتي أبي حية: «إذا مضت . . .»، والذي يليه، فسألني الملك العزيز أن أجزهما فقلت:

هنيئاً على رُغمي لِمُودٍ أَرَاكُمْ تسوّلُكُ به الدّلفاء مَبْسَمَها المَذْبا

لَئِنْ شَفِيتُ منه لَقَدْ زانَ تفرّها أَرَاكُمْ كَأَيِّيساً، وَأَنْثَنِي مَنْدَلاً رَطْباً

(٢) أمالي القالي ١: ٢٠٨ بلاءزو. وفوت: «من ماء الصباية» (٣) حاشية الأصل (من نسخة): «فميناى

طوراً»، وتحسيران، أي تنكشان وتنكشان. (٤) حاشية ت (من نسخة): «من مكمد الشوق تقطر»،

وفي حاشيتي الأصل، ف: «في الأصل: بين البيت والبيتين بعيد». (٥) يشب: يخاط. وبسب: يصب

[١٥١] / أَيَايَ أَهْلَانَا جَمِيعًا وَحَوَّلْنَا^(١) سَوَائِمُ مِنْهَا رَافِعٌ وَغَرِيبٌ
وَإِذْ يَتَجَنَّبِينَ الذُّنُوبَ وَمَالَنَا إِلَيْهِمْ^(٢) إِلَّا^(٣) وَدُهْنٌ ذُنُوبٌ^(٤)

وَلَا بِي حَيَّة :

أَصْدُ عَنْ الْبَيْتِ الْحَبِيبِ وَإِنِّي
أَزُورُ بُيُوتًا غَيْرَهُ وَلَا أَهْلَهُ
وَقَطَعَ أَسْبَابَ الْمَوَدَّةِ مَعَشَرَ^(٥)
وَأَلَا تَنِي يَأْمٌ عَمْرٍو نَعِيمَةٌ^(٦)
وَمَا يَبْنِنَا لَوْ أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا
حَدِيثٌ إِذَا لَمْ تَخْشَ عَيْنًا كَأَنَّهُ
١٠ لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ
وَقُلْتُ لَهَا : مَا تَأْمُرِينَ ؟ فَإِنِّي
لَأُصْنِي إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي أَتَجَنَّبُ
عَلَى مَاعَدَا عَنْهُمْ أَعَزُّ وَأَقْرَبُ
غَضَابِي، وَهَلْ فِي أَحْسَنِ الْقَوْلِ مَغْضَبٌ^(٧)
تَدْبُ بِهَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَقْرَبُ
بِذَلِكَ الْأَلَى يُوَلُونَ مَا يَرْتَبُ^(٨)
إِذَا سَاقَطَتَهُ الشَّهْدُ، بَلْ هُوَ أَطِيبُ
مِنْ الْوَتِ كَانَتْ سَكْرَةُ الْوَتِ تَذْهَبُ^(٩)
أَرَى الْبَيْنَ أَذْنَى رَوْعَةٍ تُتْرَقِبُ^(١٠)

قال محمد بن يحيى الصولي : وَلَا أَحْسِبُهُ فِي قَوْلِهِ :

* لَوْ أَنَّكَ تَسْتَشْفِي بِهِ بَعْدَ سَكْرَةٍ *

إِلَّا يَجِبُ قَوْلُ تَوْبَةِ بْنِ الْحُجَيْرِ :

١٥ وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلَّمَتْ
لَسَلَّمَتْ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ، أَوْ زَقَا
عَلَى^(١١)، وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَايُحُ^(١٢)
إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ

(١) حاشية ت (من نسخة) : « أَهْلَانَا جَمِيعٌ » :

(٢-٢) من نسخة بمحو الشئ الأصل ، ت ، ف : « لَوْ لَا وَدُهْنٌ ذُنُوبٌ » .

(٣) من نسخة بمحو الشئ ت ، الأصل : « يَقْطَعُ أَسْبَابَ الْمَوَدَّةِ » ، وفي د « غَضَابٌ » .

(٤) حاشية ت : « قَوْلُهُ : « وَأَلَا تَنِي يَأْمٌ عَمْرٍو » . (٥) حاشية ت : « يُوَلُونَ :

يَحْلِقُونَ عَلَيْنَا » . ومن نسخة بمحو الشئ الأصل : « يُوَدُّونَ » . (٦) من نسخة بمحو الشئ الأصل ، ت :

« كَادَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ » . (٧) في حاشية الأصل ، ت (من نسخة) : « مَا تَأْمُرِينَ » .

(٨) ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢١٧ . الصفائح : الحجارة العراض تكون على القبور .

قال سيدنا أدام الله علوه : وأول من سبق إلى هذا المعنى فأحسن الأعشى في قوله :

عهدى بها في الحيّ قد درعت صفرًا مثل المهر الضامير^(١)

لو أسندت ميتًا إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبًا للميت الناشر!

ومعنى الناشر : المنشور ، يقال : نشر الله الميت فنشر ، وهو ناشر بمعنى منشور ؛

مثل ماء دافق فهو مدفوق .

وقال بعض أصحاب المعاني : إن الجارية التي وصفها أيضًا هي ميتة بمعنى أنها ستموت ،

فيكون المعنى : إن الناس عجبوا من أن يكون من يموت ينشر الموتى ، ومن قال هذا

أجاز : نشر الله الموتى / بمعنى أنشر ؛ والقول الأول أظهر ، وما نطن الأعشى عني غيره . [١٥١]

(١) ديوانه ١٠٤ - ١٠٥ ، وفي حاشية الأصل : (من نسخة) : « قد روعت » ، وفي حاشية ت

(من نسخة) : « قد أبرزت » ، وفي الديوان : « قد سربلت » .

مَجْلِسُ آخِرُ* تَأْوِيلُ خَبَرِ

إن سأل سائل عن قوله تعالى: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَفِرُّ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾؛ [يوسف : ٩٢] ، حاكياً عن يوسف عليه السلام .
فقال: لِمَ خَصَّ «اليوم» بالقول ، وإنما أراد العفو عنهم في جميع مستقبل أوقاتهم ؟
الجواب ، قلنا: في هذه الآية وجوه أربعة :

• أولها أنه لما كان هذا الوقت الذي أشار إليه ^(١) هو أول أوقاته التي كشف فيها نفسه ، وأطلعهم على ما كان يستره ^(٢) عنهم من أمره ؛ أشار إلى الوقت الذي لو أراد الانتقام لابتدأ به فيه ؛ والذي متى عفا فيه عنهم ^(٣) لم يراجع الانتقام .

وثانيها أن يوسف عليه السلام لما قدم توبيخهم ، وعدد عليهم قبائح ما فعلوه ، وعظيم ما ارتكبوه ؛ وهو مع ذلك يستر عليهم ^(٤) نفسه ، ولا يفصح لهم بحاله قال لهم عند تبين أمرهم : ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ ؛ أي قد انقطع عنكم توبيخي ، ومضى عذلي ولائمي عند اعترافكم بالذنب ، وكان ذكر «اليوم» دلالة على انقطاع العقوبة والتوبيخ ؛ وعلى أن الأوقات المتصلة باليوم تجري مجراه في زوال الغضب ، وتام العفو ، وسقوط الواقعة لهم على ما سلف منهم .

وثالثها أن ذكر «اليوم» المراد به الزمان والحين ، فوضع «اليوم» موضع الزمان كله ، المشتغل على الليالي والأيام والشهور والسنين ؛ كما يقول العربي لغيره : قد كنت تستحسب شرب الخمر فالיום قد وُفِّقَ لتركها ومقبتها ؛ يريد في هذا الزمان ، ولا يريد يوماً واحداً بعينه ؛ ومثله :

* في الأصل : • هذا المجلس نصف الكتاب • .

(١) ت : • أشار الله إليه • . (٢) حاشية ت (من نسخة) : • ستره • .

(٣) ساقطة من ت . (٤) ت : • عنهم • .

قد كنت تقصّر في الجواب عن فنون العلم فاليوم مائعجزك مسألة ، ولا تتوقف عن مشكلة ؛
يريد باليوم باقى الزمان كله ، وقال امرؤ القيس :

حَلَّتْ لِيَ الْخَمْرُ وَكُنْتُ امْرَأً عَنْ مُرَبِّهَا فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ ^(١)
فَالْيَوْمَ فَاشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ إِنَّمَا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَاعِلٍ ^(٢)
لم يقصد يوماً بعينه ؛ ومثله :

[١٥٢] /اليَوْمَ يَرُحْنَا مَنْ كَانَ يَغِيظُنَا واليَوْمَ نَتَّبِعُ مَنْ كَانُوا لَنَا تَبَعًا
وقال كبيد :

وَمَا النَّاسُ إِلَّا كَالدَّيَّارِ وَأَهْلِهَا بِهَا يَوْمٌ حَلُّوْهَا ، وَغَدَاً بِلَاقِعٍ ^(٣)
كل ذلك لا يراد بذكر اليوم أو الغد فيه إلا جميع الأوقات المستقبلية .

ورابعها أن يكون المراد : لا تريب عليكم البتة ، ثم قال : ﴿ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ ؛ ١٠
فتعلق « اليوم » بالنفيران ، وكان المعنى غفر الله لكم اليوم ^(٤) .

وقد ضعف قوم هذا الجواب من جهة أن الدعاء لا ينصب ما قبله .

فأما التريب فإن أبا عبيدة قال : معناه لا شغب ولا معاقبة ولا إفساد ^(٥) .

وقال الشاعر :

١٥ فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوً غَيْرَ مُتَرَبِّبٍ وَتَرَكَتُهُمْ لِمَقَابِرِ يَوْمٍ سَرْمَدٍ

(١) ديوانه : ١٥٠ . وفي شرح الديوان : « كانت حلف ألا يشرب خرا ، ولا يأكل لحما ، ولا يفضل رأساً ؛ حتى يدرك بثأر أبيه ؛ وكذلك كانت العرب تفعل ؛ فلما أخذ بثأر أبيه شربها فبرت بعينه » .
(٢) حاشية ت (من نسخة) : « أشرب » بسكون الباء ؛ ورواية الديوان :

* فاليوم أَسْقَى غَيْرَ مُسْتَحَقِّبٍ *

المستحقب : المسكّنسب للأنثى الحامل له . والواغل : الذى يدخل على القوم وهم يشربون فيشرب معهم من غير دعوة . (٣) ديوانه ٢ : ٢٢ . (٤) حواشى الأصل ، ت ، ف : « لم لا يكون إخباراً محضاً بالنفيران حتى لا يترس بذلك ! وله وجه آخر وهو أن المعنى : اليوم أقول لكم هذا القول الذى هو يغفر الله لكم فاختصر » . (٥) حاشية ت (من نسخة) : « فساد » .

وقال أبو العباس ثعلب: يقال: ترَّب فلان على فلان إذا عدَّ دعليه ذنوبه. وقال بعضهم^(١):
الترب مأخوذ من لفظ الترب، وهو شحم الجوف، فكأنه موضوع للمبالغة في اللوم
والتمنيف والتقصي إلى أبعد غايتهما^(٢).

تأويل خبر

روى أبو عبيد القاسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة عن هشام بن حسان،
وحبيب بن الشهيد عن ابن سيرين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله نهى عن كسب
الزَّامَةِ.

وقال أبو عبيد: قال حجاج: الزَّامَةُ الزانية، وقال: هذا مثل حديثه الآخر أنه نهى عن
كسب البغى.

وقال أبو عبيد: وقال غير حجاج: هي الرَّامَةُ، بتقديم الراء، قال: وقول حجاج أثبت
عندنا؛ لأنهم كانوا يُكْرِهُون إماءهم على البغاء، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ
عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النور: ٣٣]، قال: فالمرضى
هو كسب البغى الذى نهى النبي صلى الله عليه وآله عنه.

قال أبو عبيد: ولا أعلمُ ممَّ أَخَذَت «الزَّامَةُ»؛ غير أنى وجدتها مفسرة في الحديث.
وقال ابن قتيبة: الأمر على ما ذكر أبو عبيد، إلا ما أنكره على من زعم أنها
الرَّامَةُ؛ لأن الرَّامَةُ هي الفاجرة، سميت بذلك لأنها ترمز، أى تؤمى بعينها وجاجيتها
وشفتيها.

قال الفراء: وأكثر الرَّمَز بالشفيتين، ومنه قوله تعالى: ﴿آيَتُكَ أَنْ لَا تُكَلِّمَ
النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١]، فالرَّامَةُ صفة من صفات الفاجرة،
[١٠٢] / ثم صار اسمها أو كالأسم؛ ولذلك قيل لها: هَلُوك؛ لأنها تهالك على الفراش، أو على
الرجل، ثم صار اسمها لها دون غيرها من النساء، وإن تهالكَّت على زوجها، وقيل لها خربع،

(١) م: «وهو ابن مسلم». (٢) حاشية الأصل (من نسخة): «غايتهما».

لِلْيَنَاءِ وَتَثْنِيهَا ، ثُمَّ صَارَ ذَلِكَ اسْمًا لَهَا دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ ؛ وَإِنْ لَانَتْ وَتَثْنَتْ ؛ وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمُ لِلْبَعِيرِ : أَعْلَمَ ؛ لِلشَّقِّ فِي مِشْفَرِهِ الْأَعْلَى ثُمَّ صَارَ كَالاسْمِ لَهُ ؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمُ لِلذَّنْبِ : أَزَلَّ أَرْسَحَ ^(١) ، ثُمَّ صَارَ كَالاسْمِ لَهُ ، وَالْمَرِيَّةُ لَا تَكَادُ تَعْلَنُ بِالسَّكَّامِ ، إِنَّمَا تُؤْمَضُ ^(٢) أَوْ تَرْمِزُ أَوْ تَصْفِرُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

• رَمَزَتْ إِلَى خَفَاةٍ مِنْ بَعَائِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَبْدُوَ هُنَاكَ كَلَامُهَا
وقال الأخطل :

أَحَادِيثُ سَدَّاهَا ابْنُ حَدْرَاءَ فَرَقَدَتْ وَرَمَازَةٌ مَالَتْ لِمَنْ يَسْتَمِيلُهَا ^(٣)
وقال الراجز :

يَوْمِئِذٍ بِالْأَعْيُنِ وَالْحَوَاجِبِ إِيْمَاضٌ بَرَقَ فِي عَمَاءٍ نَاصِبٍ ^(٤)

١٠ — وَالْعَمَاءُ : السَّحَابُ ، وَالنَّاصِبُ : الْبَعِيدُ —

وقال بعضهم : إِنَّمَا قِيلَ لِلْفَاجِرَةِ قَجْبَةٌ ، مِنَ الْقُحَابِ وَهُوَ السُّعَالُ ؛ قَالَ : وَأَحْسِبُهُ أَرَادَ أَنَّهَا تَتَنَحَّجُّ أَوْ تَسْتَعْلُ تَرْمِزُ بِذَلِكَ .

قَالَ : وَبَلَّغَنِي عَنِ الْمُفَضَّلِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي قَوْلِ النَّاسِ : « أَجِبْنِ مَنْ صَافَرَ » ^(٥) أَنَّهُ الرَّجُلُ يَصْفِرُ لِلْفَاجِرَةِ ، فَهُوَ يَخَافُ كُلَّ شَيْءٍ .

وَأَمَّا الْأَصْمَعِيُّ فَإِنَّهُ كَانَ يَقُولُ : الصَّافِرُ مَا يَصْفِرُ مِنَ الْعَلِيرِ ، وَإِنَّمَا وُصِفَ بِالْجَيْنِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْجَوَارِحِ .

قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ : وَلَا أَرَى الْقَوْلَ إِلَّا قَوْلَ الْمُفَضَّلِ ، وَالِدَلِيلِ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْكُمَيْتِ بْنِ زَيْدِ الْأَسَدِيِّ :

(١) الْأَزْلُ : الْخَفِيفُ الْوَرَكَيْنِ . وَأُذْرَسِحَ : الْفَاقِلُ لِحَمِ الْعِجْرِ .

(٢) تَوْمَضَ ، أَيْ تَعَرَّضَ نَفْسَهَا (٣) دِيْوَانُهُ : ٢٤١ ، وَاللِّسَانُ (رَمَزَ) وَالْحَدْرَاءُ : الْمَتَلَفَةُ

الْفَخْذُ وَالْعِجْرُ . (٤) الْبَيْتَانِ فِي اللِّسَانِ (زَمَرَ) ، وَالرِّوَايَةُ فِيهِ : « يَوْمِئِذٍ بِالْأَعْيُنِ . . . » .

(٥) الْمَثَلُ فِي مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ لِلْعِيدَانِيِّ ١ : ١٦٨ ؛ وَرَوَى عَنْ ابْنِ حَبِيبٍ أَنَّ الصَّافِرَ طَائِرٌ يَتَعَلَّقُ مِنَ

الشَّجَرِ بِرَجْلَيْهِ ، وَيَنْكَسِرُ رَأْسُهُ ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنَامَ فَيُؤْخَذَ فَيَصْفَرُ مِنْكَوَسًا طَوِيلَ لِيَانِهِ .

أَرْجُو لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي إِخَائِكُمْ كَلْبًا كَوَزْهَاءَ تَقْبَلِي كُلَّ صَفَّارٍ^(١)
لَمَّا أَجَابَتْ صَفِيرًا كَانَ آيْنَهَا مِنْ قَائِسِ شَيْطَ الْوَجْمَاءِ بِالْأَنْزَارِ^(٢)
وهذه امرأة كان يصفر لها رجل فتجيبه ، فتمثل زوجها به وصفر لها ، فأنته
فشيطها بميسم ، فلما أعاد الصفر^(٣) قالت : « قَدْ قَلَيْتُنَا كُلَّ صَفَّارٍ^(٤) » ، تريد أنا قد عففنا^(٥)
• وأطرحنا كل فاجر .

قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري : والاختيار عندى : « الزمارة » معجمة الزاى على
ما قال أبو عبيد ، إحصج ثلاث :

[١٥٣] / إحداهن إجماع أهل الحديث على الزمارة .

والحجة الثانية أن الفاجرة سُميت زمارة ، لأنها تحسن نفسها وكلامها ، والزمير عند العرب
١٠ الحسن ، قال عمرو بن أحمـر الباهلي يصف شراباً وغناء :

دَنَانٍ حَفَانَانٍ بَيْنَهُمَا رَجُلٌ أَجَشُّ غِنَاؤُهُ زَمَرٌ^(٦)

قال الأصمعي : معناه غناؤه حسن ؛ كأنه من مزامير داود .

والحجة الثالثة أنهم سموها الفاجرة زمارة ، لمائها وقلة ما فيها من الخير ؛ من قول العرب^(٧) :
نعبجة زمرة ؛ إذا كانت قليلة الصوف ، ويقال : رجل زمر المروءة ، إذا كان قليلها ، قال
١٥ ابن أحمـر :

مُطْلَنَفِنًا لَوْنُ الْحَصَى لَوْنُهُ يَحْجُزُ عَنْهُ الذَّرَّ رِيَشُ زَمِرٍ^(٨)

(١) البندان في جمع الأمثال ٢ : ٤٠ ، والثاني في اللسان (شبط) . الورهاء : الحفاه .

(٢) شبط : أحرق . والوجماء : الدبر . (٣) ت : « الصغير » .

(٤) الل في جمع الأمثال ٢ : ٤٠ ، والرواية فيه : « قد قلينا صغيركم » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « عففنا » . (٦) البيت في اللسان (زمر) ، وفي ت ، ف ،

وحاشية الأصل (من نسخة) : « زجل » . والزجل : عود أو معزفة .

(٧) م : « من قولهم » . (٨) حواشي الأصل ، ت ، ف : « يصف فرخ القطاة ؛ وقبله :

تُرْوَى لَقَى الْقَى فِي مَهْمَةٍ تَصْهَرُهُ الشَّمْسُ فَمَا يَنْصَهَرُ

المطلنقى : اللاصق بالأرض ، والذرئ : النمل ، والزئير : القليل ، فسمى البنى^(١) زمارة ، على وجه الهم لها والتصغير لشأنها ؛ كما قيل لها : فاجرة ليلها عن القصد ، يقال : فجّر الرجل إذا مال ، قال كبيد :

فإن تتقدّم تغشّ منها مُقدّماً غليظاً، وإن أخرت فالكفلُ فاجر^(٢)

أى مائل ، والكفل : كساء يوضع على ظهر البعير يؤمى من العرق .

قال سيدنا آدم الله علوه : ولا أرى لإحدى الروايتين على الأخرى رجحاناً ؛ لأنّ كلّ واحدة منهما قد أتت من جهة من يسكن إلى قوله ، ولكلّ منهما مخرج في اللغة ، وتأويل يرجع إلى معنى واحد ؛ لأن الرّمازة ، بالراء غير معجمة يرجع معناها على ما ذكر ابن قتيبة إلى معنى الفجور ، ومن رواها بالزاي المعجمة فالرجع في معناها إلى ذلك أيضاً على الوجهين اللذين ذكرهما ابن الأنباري ، والأوّل أن يثبتا^(٣) متساويين ، ويكون الراوى غيراً ١٠ فيها .

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أنشدني محمد بن أحمد الكاتب قال أنشدنا أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي للمضرّب^(٤) ؛ وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى :

(١) ف ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « فسميت البنى » .

(٢) ديوانه ١ : ٥ ، ومن نسخة في حواشي الأصل ، ت ، ف : « أخرت » : بالياء للمجهول . وفيها أيضاً : « قبله » .

فأصبحت أنى تأتياً تبتئس بها كلاً مركبها تحت رحلك شارجر

تأتيا ، أى تأت هذه الحصلة والحالة ، وقال الجوهري : « الكفل هو ما كنف به الراكب ، وهو أن يدار الكساء حول سنام البعير ثم يركب ؛ ومنه قول إبراهيم : لا تشربوا من ثلثة الإناء ولا من عروته ؛ فإنه كفل الشيطان ؛ وإبراهيم هو النيمى » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « أن يكونا » .

(٤) ذكره المرزباني في المؤلفات والمختلف : ٢٨١ ؛ وضبطه صاحب نأج العروس في مستدرک =

وما زلتُ أَرْجُو نَفْعَ سَلَمَى ووُدَّهَا وَتُبِعِدُ؛ حَتَّى أَيْبَضَ مِنِّي الْمَسَامُحُ^(١)
وَحَتَّى رَأَيْتُ الشَّخْصَ يَزْدَادُ مِثْلَهُ^(٢) إِلَيْهِ؛ وَحَتَّى نِصْفُ رَأْسِي وَاضِحٌ
[١٥٣] / عَلَا حَاجِبِي الشَّيْبُ حَتَّى كَانَهُ ظِلًّا جَرَّتْ مِنْهَا سَنِيحٌ وَبَارِحُ^(٣)
وَهَزَّةٌ أَظْعَانٍ عَلَيْهِنَّ بَهْجَةٌ طَلَبْتُ، وَرِيْعَانُ الصَّبَا بِي جَامِحُ^(٤)
فَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِثْنِي كُلَّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأُزْ كَانَ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَاكَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطَى الْأَبَاطِحُ^(٥)
وَشُدَّتْ عَلَى حُذْبِ الْمَهَارَى رِحَالُهَا وَلَا يَنْظُرُ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَائِعُ^(٦)
قَفَلْنَا عَلَى الْخُوصِ الْمَرَايِلِ، وَارْتَمَتْ بَيْنَ الصَّحَارَى وَالصَّفَاحِ الصَّحَاصِحُ^(٧)

(ضرب) أنه بوزن « محدث » ، « معظم » ، وضبط في اللسان بالكسر فقط ، وفي الأصل : بالفتح ؛ وهو الأولى لما رواه ابن قتيبة في الشعراء : ٩٢ أنه « كان الكعب ابن يقال له عقبة بن كعب ، شاعر ، ولقبه المضرب ؛ وذلك أنه شجب بامرأة من بني أسد فقال :

وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّكَ وَاجِدٌ مَلَأَ قَهْلاً قَدْ دُيْتُتْ بَرُّ كُوبِ

فضربه بأخوها مائة ضربة بالسيف ، فلم يمت ، وأخذ الدبة ، فسمى المضرب » .

(١) ورد البيت الخامس والسادس والسابع من هذه الأبيات في معاهد التنصيص ٢ : ١٣٤ ؛ وقال : « وقيل الأبيات لابن الطثرية ، وهي مع بيتين تاليتين في زهر الآداب ٢ : ٦٦ ووردت أيضا في الشعر والشعراء ١١ ، والصناعتين ٥٩ ، وأسرار البلاغة ١٥ ، وورد الخامس والسادس في الخصائص ١ : ٢٨ ، ٢١٨ ، وأمالى الغالى ٣ : ١٦٦ ؛ وفيها جميعا من غير عزو مع اختلاف في الترتيب . ونقلها أيضا صاحب المعاهد يفتيها وروايتها عن الفرر ؛ وهي ضمن ١٨ بيتاً في ديوان كثير : ٧٧-٨٤ والمسامح : شعر جوانب الرأس . (٢) ت ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مثله » ، بفتح اللام .

(٣) السنيح والمسامح : ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك ، والبارح : ما أتاك من ذلك من يسارك . والمسامح : أحسن حالا عندهم في التين من البارح .

(٤) يعنى : ورب ظعان طلبت اهتزازهن وارتياحهن للهو معهن .

(٥) أطراف الأحاديث : ما يستطرف منها ويؤثر . والأباطيح : جمع أبطح ؛ وهو المسيل الواسع ، فيه دقان الحصى . (٦) المهاري : جمع مهريه ؛ وهي المنسوبة إلى مهرة من حيوان ؛ وهي قبيلة تكثر فيها النجائب . ولا ينظر : لا ينتظر . (٧) الخوص : الإبل الفائرة العيون . والمراسيل : الممرعات . والصفايح : جمع صفح ؛ وهو مضطجع الجبل ، والصفايح : جمع صفح ، وهو المكان المستوى الواسع .

وأنشد ابن الأعرابي :

فَصَدَّتْ بِمَيْنَى شَادِنٍ وَتَبَسَّمَتْ بِحَمَاءٍ عَنْ غُرٍّ لَهْنٍ غُرُوبٌ^(١)
جَرَى الْإِسْجَلُ الْأُخْوَى عَلَيْهِمْ أَوْجَرَى عَلَيْهِمْ مِنْ فَرَعِ الْأُرَاكِ قَضِيبٌ^(٢)

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الحسن البليّ قال حدثنا أبو حاتم قال : سمعت الأسمعي يقول : سمعت الرشيد يقول : قلب العاشق عليه مع معشوقه ، فقلت له : هذا والله يا أمير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام المذري لمفراء :

أَرَانِي تَمَرُّونِي لِذِكْرَاكِ رَوْعَةٍ لَهَا بَيْنَ جِلْدِي وَالْعِظَامِ دَرِيْبٌ^(٣)
وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأَبْهَتُ حَتَّى لَا أَكَادُ أَجِيبُ^(٤)
وَأُصْرَفُ عَنْ دَارِي الَّذِي كُنْتُ أُرْتِيهِ^(٥) وَيَعْرُبُ عَنِّي عِلْمُهُ وَيَغِيبُ ١٠
وَيُضْمِرُ قَلْبِي غَدْرَهَا وَيُعْمِيهَا عَلَيَّ ، فَمَا لِي فِي الْفُؤَادِ نَصِيبُ
فقال الرشيد : مَنْ قَالَ هَذَا وَهَمَّ فَإِنِّي أَقُولُهُ عِلْمًا ، وَلِلَّهِ دَرَكٌ يَا أَسْمَعِي ! فَإِنِّي أَجِدُ
عِنْدَكَ مَا تَضِلُّ عَنْهُ الْعُلَمَاءُ .

قال الصولي : فَأَخَذَهُ الْبَاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فَقَالَ :

يَهِيمُ بَحْرَانِ الْجَزِيرَةِ قَلْبُهُ وَفِيهَا غَزَالٌ فَاتَرُ الطَّرْفِ سَاحِرُهُ^(٦) ١٥
يُؤَاذِرُهُ قَلْبِي عَلَى وَلَيْسَ لِي يَدَانِ بَيْنَ قَلْبِي عَلَى يُؤَاذِرُهُ

(١) ف ، ومن نسخة بمحاشية م : « تصدت » .

(٢) الإسجل : شجر تتخذ منه أعمود الدواك . والأحوى : الأسمر . (٣) ديوانه : ٤٣ (مخطوطة الشنيطي بدار الكتب المصرية) ، والشعر والشعراء : ٦٠ ، وخزانة الأدب : ١ : ٥٣٤ ، و ٣ : ٦١٥ - ٦١٧ .
وقم : « وإني لتعروني » . (٤) البيت من (شواهد سيبويه ١ : ٤٣٠) ، على جواز الرفع والنصب في « أبهت » ، فالنصب محمول على « أن » ، والرفع على القطع والاستئناف .

(٥) م : « عارفا » . (٦) حران : قصبة ديار مصر بالجزيرة ، بين الرها

والرقة . ومن نسخة بمحاشية الأصل : « ساحر الطرف فانه » .

[١٥٤]

/ وأشار إليه أيضا في قوله :

قلبي إلى ما ضرتني داعي
كيف احتراسي من عدوِّي إذا
يُكثِرُ أحزاني وأوجاعي^(١)
كانَ عدوِّي بين أضلاعي^(٢)

وأخذه سهل بن هرون الكاتب فقال :

أعانَ طرفي على جسمي وأعضائي
وكنْتُ غِراءَ بما تجني على يدي
بنظرةٍ وقفتُ جسمي على دائي
لا أعلمُ لي أنَ بعضي بعضُ أعدائي
وقال البحتري :

ولستُ أعجبُ من عصيانِ قلبك لي يوماً إذا كانَ قلبي فيكَ يَمُصِيني^(٣)

وروى أبو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال : قال لنا الأصمعي يوماً :

١٠ ما أحسن ما قيل في صفة امرأة عجزاء خميسة^(٤) فأنشد قول الأعشى :

صِفْرُ الوشاحينِ مِلْهُ الدَّرْعِ بِهَكْنَةٍ^(٥) إذا تَأَتَى يَكَاذُ الخَصْرِ يَنْخَزِلُ^(٦)
وأنشد قول علقمة بن عبدة :

صِفْرُ الوشاحينِ مِلْهُ الدَّرْعِ خَرْعَبَةٌ^(٧) كأنها رَشَاءٌ في البَيْتِ مَلْزُومٌ^(٨)

(١) ديوانه : ١٠١ ، وبعده :

وقلما أبقى على ما أرى
أسلمني للوجد أشياءي
يوشِكُ أنَ يَنْعَى بي الناعي
لما سمي به عندهم الساعي

(٢) بعده : كما في الديوان :

ما أَقْتَلَ اليأسَ لأهل الهوى
لا سِيَّاً من بَعْدِ أَطْلَاعِ

(٣) ديوانه : ٢ : ٢٩٥ ، وفي حواشي الأصل ، ت ، ف : « مثله » :

أَنْطَمِعَ أنَ يُطَيِّمَكَ قَلْبُ سَعْدِي وَتَرْعُمُ أنَ قَلْبِكَ قَدْ عَصَاكَ

(٤) م : « خميصة » ، والخميصة والخميصة : الضامرة البطن . (٥) ديوانه : ٤٢ . والعلقات

— بشرح التبريزي : ٢٧٤ . صفر الوشاحين : يعني أنها خميصة البطن دقيقة الخصر ، فوشاحها يعان عنها

والبهكنة : الكبيرة الخلق ، وتأتى : ترفق في المشي . (٦) ديوانه : ١٣٠ . الخربة : الناعمة . الرشاء :

الظلي الصغير . ملزوم : مربى في البيوت ؛ وهو أحسن له .

وأنشد قول ذي الرثمة :

تَرَى خَائِفَهَا نِصْفًا قَدَاةً قَوِيَّةً وَنِصْفًا نَقًّا يَرْجُحُ أَوْ يَتَمَرَّمَرُ^(١)

فقال : أحسن ما قيل فيه قول أبي وَجْزَةَ السَّعْدِي :

أَذْمَاءُ فِي وَضَحٍ يَكَادُ إِزَارُهَا^(٢) يُقَيِّرُ^(٣) وَيَشْبَعُ مَا أَحَبَّ إِزَارُهَا^(٤)

قال أبو عكرمة : ومثله قول الجارث بن خالد المخزومي :

غَرَّتَانُ، سَمَطٌ وَشَاحِهَا قَلِقٌ رَبَّانُ مِنْ أَرْدَافِهَا الْمِرْطُ

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو العيناء قال حدثني الأصمعي قال :

لما مات / محمد بن سلمان بن علي الهاشمي دخلت على أخيه جعفر بن سليمان، وقد حزن عليه حزناً [١٥٤] شديداً ولم يطعم ثلاثاً، فأنشدته لابن أراكاة الثقفي^(٥) :

لَعَمْرِي لَنْ أَتَبَعْتَ عَيْنَكَ^(٦) مَا مَضَى مِنَ الدَّهْرِ أَوْ سَاقَ الْحَيَامِ إِلَى الْقَبْرِ ١٠
لَتَسْتَفِيدَنَّ مَاءَ الشُّثُونِ بِأَسْرِهِ وَلَوْ كُنْتَ تَعْرِيهِنَّ مِنْ ثَبَجِ الْبَحْرِ
فَقُلْتُ لِمَدِّ اللَّهِ إِذْ خُنَّ^(٨) بِأَكْبَا تَمَزَّ، وَمَاءَ الْعَيْنِ مُنْهَمِرٌ يَجْرِي
تَبَيَّنَ فَإِنْ كَانَ الْبُكَاءُ رَدًّا هَالِكًا عَلَى أَحَدٍ فَاجْهَدِ بُكَاءَكَ عَلَى عَمْرٍو
وَلَا تَبْكِ مَيِّتًا بَعْدَ مَيِّتِ أَحِبِّهِ^(٩) عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ

(١) ديوانه : ٢٢٦ يتمرر : يتحرك وهو تحرك درن الارتجاج . وفي د ، م : « يتمرم » .

(٢) ت ، ش : « رداؤها » والأدلة هنا : لون أشرب بياضا . والوضوح : البياض . وفي م : « أدماء عيطة » .

(٣) الإقواء في الأصل : نقاد الزاد ؛ ويريد هنا دقة خصرها . وفي س : « لعله : يقوى وشاحها » :

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ت : « ما أجن إزارها » ، وإيهما أيضا : « أحب ، فعل الإزار » :

أي يشبع إزارها ما أحب ، أي ما شاء . (٥) الخبر والأبيات في حماسة ابن الشجري : ١٣٨-١٣٩ ، بروايته من ابن قدامة عن المرتضى ؛ مع اختلاف في ترتيب الأبيات ؛ وهي أيضا في أمالي الزجاجي : ٧ .

(٦) حاشية ت (من نسخة) « عينك » ؛ وهي رواية ابن الشجري .

(٧) ت : « به الدهر » ؛ وهي رواية ابن الشجري . (٨) ت : « حن » ، ومن نسخة

بحاشيتها : « خر » . (٩) ت : « أجنه » .

قال: فأمر فجيء بالطعام فأكل من ساعته .

قوله: « خن با كياً » معناه رفع صوته بالبكاء ، وقال قوم : الخنين ، بالخاء معجمة من الأنف ، والخنين من الصدر ، وهو صوت يخرج من كل واحد منهما .

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال :

سمعتُ التوزي يقول : دخلنا مع الأصمى إلى إسماعيل بن جعفر ليلة في حاجة ، فأنشده الأصمى أبيات ابن هرمة :

أَتَيْنَاكَ نَرْجِي حَاجَةً وَوَسِيلَةً إِلَيْكَ ، وَقَدْ تَحْطَى لَدَيْكَ الْوَسَائِلُ ^(١)
وَنَذْكُرُ وَدًّا شَدَّهُ اللَّهُ بَيْنَنَا عَلَى الدَّهْرِ لَمْ تَدُبْ إِلَيْهِ الْغَوَائِلُ ^(٢)
فَأَقْسِمُ مَا أَكْبَى زِنَادَكَ قَادِحٌ وَلَا أَكْذَبْتُ فِيكَ الرَّجَاءَ الْقَوَائِلُ ^(٣)
وَلَا رَجَعْتُ ذَا حَاجَةٍ عَنْكَ عِلَّةٌ وَلَا عَاقَ خَيْرًا عَاجِلًا مِنْكَ آجِلُ ^(٤)
وَلَا لَأَمَ فِيكَ الْبَاذِلُ الْوَجْهَ نَفْسُهُ وَلَا احْتَكَمْتُ فِي الْعُجُودِ مِنْكَ الْمُبَاخِلُ ^(٥)

لم يزد على هذه الأبيات ، ففقدت حاجته وأجاب مسألته .

قال سيدنا أدام الله علوه : ويشبه أن يكون ابن هرمة أخذ قوله :

* وَلَا كَذَبْتُ فِيكَ الرَّجَاءَ الْقَوَائِلُ *

من قول الحزین السكناني في زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام :

فَلَمَّا ^(٦) تَرَدَّى بِالْحَمَائِلِ وَانْتَهَى يَصُولُ بِأَطْرَافِ الْقَيْنِ الذَّوَابِلِ ^(٧)
/ تَبَيَّنَتْ الْأَعْدَاءُ أَنْ سِنَانَهُ يُطِيلُ حَنِينَ الْأُمَّهَاتِ الثَّوَالِ كُلِّ

[١٠٠]

(١) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « نرجو حاجة » .

(٢) حاشية ت (من نسخة) : « العوائل » .

(٣) ما أكبي زنادك ، أي ما وجدك كاليا . (٤) حاشية ت (من نسخة) : « عنك آجل » .

(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « عنك المباخل » .

(٦) حاشية ت (من نسخة) : « إذا ما نردى » . (٧) وفي م : « الفنا والذوابل » .

تُبَيِّنَ فِيهِ مِنْهُمْ الْعِزُّ وَالْتَقَى وَلِيداً يَفْدَى بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَائِلِ

وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني محمد بن الحسن البُلَغِي قال حدثني أبو حاتم عن الأسمعي قال : قال الرشيد يوماً : يا أسمعى ، أتعرف للعرب اعتذاراً وتندماً ؟ ودع النابغة فإنه يحتج ويمتذر ، فقلت : ما أعرف ذلك إلا لبشر بن أبي خازم الأسدي ؛ فإنه هجا أوس بن حارثة بن لأم ، فأسره بعد ذلك وأراد قتله ، فقالت له : أمه - وكانت ذات رأي - : والله لا أعما هجاءك لك إلا مدحُه إليك ، فمعا عنه ، فقال بشر ^(١) :

إِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنِّي لَنَادِمٌ وَإِنِّي إِلَى أَوْسِ بْنِ لَأَمٍ لَنَائِبٌ
وَإِنِّي إِلَى أَوْسٍ لِيَقْبَلَ تَوْبَتِي وَيَعْرِفَ وَدِّي مَاخِيَتْ لِرَاغِبُ
فَهَبْ لِي حَيَاتِي فَالْحَيَاءُ لِقَائِمٍ يَسُرُّكَ فِيهَا خَيْرُ مَا أَنْتَ وَاهِبُ
سَأُحْبِيزُ بِمَدْحِي ^(٢) فِيكَ إِذَا نَاصِدِقُ كِتَابَ هِجَاءٍ سَارٍ إِذَا أَنَا كَاذِبُ
فقال الرشيد للأسمعي : إن دولتي لتخسُن ببقائك فيها .

وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دُرَيْد قال حدثنا عبد الرحمن - يعني ابن أخي الأسمعي - عن عمه قال : سمعت بيتين لم أحفل بهما ، ثم قال : قلت : هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب ، قال : فإني عند الرشيد يوماً وعنده عيسى بن جعفر ، فأقبل علي مسرور الكبير ، فقال : يا مسرور ، كم في بيت مال السرور ؟ فقال : ما فيه شيء ، قال : عيسى : هذا بيت مال الحزن ، فاعتم لذلك الرشيد ، وأقبل علي عيسى فقال : والله لتعطين الأسمعي سلفاً على بيت مال السرور ألف دينار ، فوجم عيسى وانكسر ، فقلت في نفسي : جاء موقع ^(٣) البيتين ، وأنشدت الرشيد :

(١) تنسب إلى الأعشى ؛ وهي في ملحقات ديوانه : ٢٣٦ . (٢) ت ، ف ، ونسخة بمحاشية

الأصل : « بمدح » . (٣) ف ، ونسخة بمحاشية الأصل : ت : « موضع » .

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ مُعَبَّسًا وَجَدَّاهُ فِي الْمَاضِينَ كَمَبٍ وَحَاتِمٍ
فَكَشَّفَهُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ فَإِنَّمَا نُكَشِّفُ أَخْبَارَ الرُّجَالِ الدَّرَاهِمُ^(١)
قَالَ: فَتُجَلَّى عَنِ الرَّشِيدِ وَقَالَ لِسُرُورٍ: أَعْطِهِ عَلَى يَدَيْتِ مَالِ السُّرُورِ أَلْفَى دِينَارًا، فَأَخَذَتْ
بِالْبَيْتَيْنِ أَلْفَى دِينَارًا، وَمَا كَانَ يَسَاوِيَانِ عِنْدِي دَرَاهِمِينَ^(٢)!

(١) من نسخة بمحاشي الأصل ، ت ، ف : « احوال الرجال » .
(٢) بهذا المجلس ينتهى الجزء الأول — وهو مالدينا من نسخة ت — وجاء فى آخره : « تم نصف الكتاب بمحمد الله ومنه وفضله وحوله وطوله ، ويتلوه فى الجزء الثانى أوله : مجلس آخر ، تأريلى آية ؛ إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ، إن شاء الله والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله والظاهرين وسلم » .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٧] .

الجواب ، قيل له : قد ذُكر في هذه الآية وجوهٌ من التأويل نحن نذكرها ، ونرجح الأرجح منها :

- ٥ أولها أن يكون معنى القول المبالغة في وصف الإنسان بكثرة العجلة ، وأنه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور ، لم يحجْ باستدناء ما يَحْلِبُ^(١) إليه نفعا ، أو يدفع عنه ضررا ؛ ولهم عادة في استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة ؛ كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم : ما خُلِقْتَ إِلَّا مِنْ نَوْمٍ ، وما خُلِقَ فلان إِلَّا مِنْ شَرٍّ ؛ إذا أرادوا كثرة وقوع الشر منه ؛ وربما قالوا : ما أنت إِلَّا أَكَلٌ وَشَرِبٌ ، وما أشبه ذلك ، قالت الخنساء تصف بقرة^(٢) :
تَرْتَعُ مَا غَفَلَتْ حَتَّى إِذَا أَذْكَرَتْ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ^(٣)
- ١ وإنما أرادت ما ذكرناه من كثرة وقوع الإقبال والإدبار منها .

ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى في موضع آخر : ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴾ ، [الإسراء : ١١] ، ويطابقه أيضا قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ؛ لأنه وصفهم بكثرة العجلة وأن من شأنهم فعلها ، توبيخا لهم وتقريعا ، ثم نهاهم عن الاستعجال باستدعاء الآيات من

(١) حاشية ف (من نسخة) : « ماجر » . (٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « نانة » .

(٣) ديوانها : ٣٨ ، واللسان (سوا) ؛ وفي ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « مارعت » ؛

وهي رواية الديوان .

حيث كانوا متمكنين من مفارقة طريقهم في الاستعجال ، وقادرين على التثبت والتأيد .

وثانيها ما أجاب به أبو عبيدة وقطرب بن المستنير وغيرها من أن في الكلام قلباً ، والمعنى : خُلق العَجَل من الإنسان ، واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ بَلَغْنِي الْكِبَرَ ﴾ ؛ (آل عمران : ٤٠) ، أى قد بلغتُ الكِبَرَ ، وبقوله تعالى : ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْمُصْبَةِ ﴾ ؛ [الفجر : ٧٦] ، والمعنى : إن العصبة تنوءُ بها ، وتقول العرب : عرضتُ الناقة على الحوض ، وإنما هو عرضتُ الحوضَ على الناقة ، وقولهم : إذا طلعت الشمسى استوى المود على الجرباء ، يريدون استوى الجرباء على المود ؛ وبقول الأعشى :

[١٥٦] / لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لَصَوْتِهِ وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمَعَانَ مُوقِقٌ ^(١)
يريد أن الموقق معان .

وبقول الآخر :

على العياراتِ هَدَّاجُونَ قَدْ بَلَغَتْ نَجْرَانٌ ، أَوْ بَلَغَتْ سَوَاءَ نِهِم هَجَرٌ ^(٢)
والمعنى : أن السواءِ هي التي بلغت هَجَر .

وبقول خدّاش بن زهير :

وَزَكَبُ خَيْلًا لَا هَوَادَةَ بَيْنَهَا وَتَشَقَّى الرِّمَاحُ بِالضِّيَاطِرَةِ الْخُمْرِ ^(٣)

(١) ديوانه : ١٤٩ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قبله :

وإن امرأ أهداك بينى وبينه فَيَافٍ : تنوفاتٌ ويَهَمَاهُ خَيْفَقُ

لمحقوقة . . البيت : يخاطب ناقة أهديت له ، فيقول لها : أنت محقوقة بأن تستجيبى لصوته . تنوفات :

جمع تنوفة ؛ وهي المفازة ، وخيفق ، يخفق فيها الآل . »

(٢) البيت للأخطال ، ديوانه ١٠ ، والهدج : مشى في ارتعاش .

(٣) جهرة الأشعار : ١٩٣ ، والاسان (ضطر) . والضباطرة : الضخام الذين لا غناء عندهم ؛ وفي

اللسان : « قال ابن سيده : يجوز أن يكون عني أن الرماح تشق بهم ؛ أى أنهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها ، ويجوز أن يكون على القلب ، أى تشق الضباطرة الحر بالرماح ؛ يعنى أنهم يقتلون بها . والموادة : المصالحة والموادعة . »

يريد تشقى الضباطرة بالرماح .

وبقول الآخر :

تَمْشِي بِهِ هُوذُ النَّعَاجِ كَأَنَّهَا عَذَارَى مُلُوكٍ فِي بَيَاضِ ثِيَابٍ^(١)

يريد في ثياب بيض .

وبقول الآخر :

حَسَرْتُ كَفِّي عَنِ السُّرْبَالِ آخِذُهُ^(٢) فَرْدًا بَحِزُّ عَلَى أَيْدِي الْفَيْضِينَا^(٣)

يريد حَسَرْتُ السُّرْبَالَ عَنْ كَفِّي .

وبقول ابن أحر :

وَجَرِدٍ طَارَ بَاطِلُهَا نَسِيلًا وَأُحْدَثَ قَمُوْهَا شَعْرًا قِصَارًا^(٤)

أراد طار نَسِيلُهَا بَاطِلًا .

وبقول الآخر :

وَقَسُورَةٍ أَكْتَافُهُمْ فِي قِسْمِهِمْ إِذَا مَاشَوْا لَا يَنْعِمُزُونَ مِنَ النَّسَا^(٥)

أى قسيتهم في أكتافهم .

وبقول الآخر :

* وَهْنٌ مِنَ الْإِخْلَافِ وَالْوَلَعَانِ^(٦) *

أى الإخلاف والولعان منهم .

(١) العوذ : جمع عائد ؛ وهى الحديثة التاج ؛ والنعجة هنا : البقرة الوحشية .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « آخذة » . (٣) حاشية الأصل : « فردا ، يعنى

القدح » . يقال أفاض بالقدح : ضرب بها . والبيت لابن مقبل فى الميسر والقدح ١٤١ . (٤) اللسان (قأ) .

الفيل : ما ينسل من شعرها وقوؤها : سمها . (٥) القصورة : الرماة من الصيادين والفوز : الظلم .

(٦) البيت فى اللسان (ولع) ، وصدره :

* خِلَابَةُ الْعَيْنَيْنِ كَذَابَةُ الْمُنَى *

قال فى اللسان : « أى من أهل الخلف والكذب ، وجملهم من الأخلاف الملامتهم » .

ويبقى على صاحب هذا الجواب مع التناضى له عن تحمل كلامه تعالى على القلب أن يقال له :
وما المعنى والفائدة في قوله تعالى : « خُلِقَ الْمَجَلُّ مِنَ الْإِنْسَانِ » أريدون^(١) بذلك أن
الله تعالى خالق في إنسان المجلة؟ وهذا لا يجوز؛ لأن المجلة فعل من أفعال الإنسان، فكيف
تكون مخلوقة فيه لغيره ! ولو كان كذلك لما جاز أن ينهائم عن الاستعجال في الآية فيقول :
﴿ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ، لأنه لا ينهائم عما خلقه فيهم .
[١٠٦] فإن قالوا : لم يرد أنه تعالى خلقها ؛ لكنه أراد كثرة فعل الإنسان لها ؛ وأنه لا يزال /
يستعملها .

قيل لهم : هذا هو الجواب الذي قدّمناه من غير حاجة إلى القلب والتقديم والتأخير ؛
وإذا كان هذا المعنى يتم وينتظم على ما ذكرناه من غير قلب فلا حاجة بنا إليه .

١٠ وقد ذكر أبو القاسم البلخي هذا الجواب في تفسيره ، واختاره وقوّاه ، وسأل نفسه عليه
فقال : كيف جاز أن يقول : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ، وهو خلق المجلة فيهم ! وأجاب بأنه
قد أعطاهم قُدرةً على مغالبة طباعهم وكفّها ، وقد يكون الإنسان مطبوعاً عليها وهو مع
ذلك مأمور بالتثبت ، قادرٌ على أن يجانب المجلة ، وذلك كخلقته في البشر شهوة الفكاح ،
وأمره في كثير من الأوقات بالامتناع منه .

١٥ وهذا الذي ذكره البلخيّ تصرّيح بأن المراد بالمجلّ غيره ، وهو الطبع الداعي إليه ،
والشهوة المتناولة له ، ويجب أيضاً أن يكون المراد بـ « من » هاهنا « في » ؛ لأن شهوة المجلّ لا
تكون مخلوقةً من الإنسان ، وإنما تكون فيه . وهذا تجوّز على تجوّز ، وتوسّع على
توسّع ، لأن القلب أولاً مجاز ، ثم هو من بعيد المجاز ؛ وذكر المجلّ والمراد به غيره مجاز آخر ،
وإقامة « من » مقام « في » كذلك ؛ على أنه تعالى إذانهاهم عن المجلة بقوله : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾

٢٠ أي معنى لتقديم قوله : إلى خلقت شهوة المجلة فيهم ، أو الطبع الداعي إليها ؛ على
ما عيّره البلخيّ . وهذا إلى أن يكون عذراً لهم أقرب منه إلى أن يكون حجة عليهم ؛ وأيسر

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « أريد » .

الأحوال ألا يكون عذراً ولا احتجاجاً ، فلا يكون لتقديره معنى .

وفي الجواب الأول حسن تقديم ذلك على طريق الذم والتوبيخ والتقريع من غير إضافته إليه عز وجل ؛ فالجواب الأول أوضح وأصح .

وثالثها جواب روى عن الحسن ، قال : يعنى بقوله : ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، أى من ضعف ، وهى النطفة المهيئة الضعيفة ، وهذا قريب إن كان فى اللغة شاهد على أن المعجل يكون عبارة عن الضعف أو معناه .

ورابعها ما حكى أن أبا الحسن الأخفش أجاب به ، وهو : أن يكون المراد أن الإنسان خلق من تعجيل من الأمر ؛ لأنه تعالى قال : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ، [النحل : ٤٠] .

فإن قيل : كيف يطابق هذا الجواب قوله من بعد : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ ؟
قلنا : يمكن أن يكون وجهه / المطابقة أنهم لما استعجلوا بالآيات واستبطنوها أعلمهم تعالى أنه ممن لا يُعجزه شيء إذا أراد ، ولا يمتنع عليه ؛ وأن من خلق الإنسان بلا كلفة ولا مثونة بأن قال له : كن فكان ، مع ما فيه من بدائع الصنعة ، وعجائب الحكمة التى يُعجز عنها كل قادر ، ويحار فيها كل ناظر ، لا يُعجزه إظهار ما استعجلوه من الآيات .

وخامسها ما أجاب به بعضهم من أن المعجل الطين ، فكأنه تعالى قال : خلق الإنسان من طين ، كما قال تعالى فى موضع آخر : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ؛ [السجدة : ٧] ، واستشهد بقول الشاعر :

والتَّبْعُ يَنْبُتُ بَيْنَ الصَّخْرِ ضَاحِيَةً والنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْمَجَلِ^(١)

ووجدنا قوماً يطعنون فى هذا الجواب ، ويقولون : ليس بمعروف أن المعجل هو الطين ، وقد حكى صاحب كتاب العين عن بعضهم أن المعجل الحمأة ، ولم يستشهد عليه ، إلا أن

(١) البت فى اللسان (عجل) .

البيت الذي حكيناه يمكن أن يكون شاهداً له ، وقد رواه ثعلب عن ابن الأعرابي ، وخالف في شيء من الفاظه فرواه :

وَالنَّبْعُ فِي الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ مِنْبَتُهُ وَالنَّخْلُ يَنْبُتُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْعَجَلِ
 وإذا صحَّ هذا الجواب فوجه المطابقة بين ذلك وبين قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ ﴾
 على نحو ما ذكرناه ، وهو أن مَنْ خَلَقَ الإنسان - مع الْحِكْمِ الظاهرة فيه - من الطين ،
 لَا يُعِجْزُهُ إظهار ما استعجلوه من الآيات ؛ أو يكون المعنى أنه لا يجب لمن خَلَقَ من الطين المَعِين ،
 وكان أصله هذا الأصل الحقير الضعيف أن يهزأ برسُلِ الله وآياته وشرائمه ؛ لأنه تعالى قال
 قبل هذه الآية : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَاتِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ، أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ
 آلِهَتَكُمْ ﴾ [الأنبياء : ٣٦] .

١٠ وسادسها أن يكون المراد بالإنسان آدم عليه السلام ، ومعنى ﴿ مِنْ عَجَلٍ ﴾ أى في سرعة (١)
 من خلقه ، لأنه لم يخلق من نُطْفَةٍ ، ثم من عِلْقَةٍ ، ثم من مُضْغَةٍ كما خلق غيره ، وإنما ابتداء
 الله تعالى ابتداءً ، وأنشأ إنشأً ، فكأنه تعالى نبه بذلك على الآية العجيبة في خلقه له ، وأنه
 عز وجل يرى عباده من آياته وبياناته أولاً أولاً ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه أحوالهم .

[١٠٧] / وسابقتها ما روى عن مجاهد وغيره أن الله تعالى خلق آدم بعد خلق كل شيء آخر ،
 ١٥ نهار يوم الجمعة على سرعة ، معاجلاً به غروب الشمس .

وروى أن آدم عليه السلام لما نفخت فيه الروح وبلغت إلى أعلى جسده ، ولم تبلغ أسفله
 قال : يا رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس .

وثالثها ما روى عن ابن عباس والشَّاذِّي أن آدم عليه السلام لما خُلِقَ وجعلت الروح
 في أكثر جسده وثبَّ عجلان مبادرا إلى أثمار الجنة - وقال قوم بل هم بالوثوب - فهذا معنى
 ٢٠ قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ﴾ .

(١) حاشية الأصل (من نسخة : « من سرعة » .

وهذه الأجوبة المتأخرة مبنية على أن المراد بالإنسان فيها آدم عليه السلام دون غيره .

قال سيدنا آدم الله تمكينه : وإني لأستحسن لسكين الدارمي قوله ^(١) :

رُبَّ أُمُورٍ قَدْ بَرَيْتُ لِجَاءِهَا وَقَوَّمتُ مِنْ أَصْلَابِهَا نَمَّ زُعُهَا ^(٢)
أَقِيمُ بَدَارِ الْحَرْبِ ^(٣) مَا لَمْ أَهْنُ بِهَا فَإِنْ خِفْتُ مِنْ دَارِ هَوَانَا تَرَكَتُهَا
وَأَصْلَحُ جُلَّ الْمَالِ حَتَّى تَخَالَتَنِي ^(٤) شَحِيحًا وَإِنْ حَقَّ عَرَانِي أَهْنُهَا
وَلَسْتُ بَوَلَّاجِ الْبُيُوتِ لِغَاقَةِ وَلَكِنْ إِذَا اسْتَنْفَيْتُ عَنْهَا وَلَجْتُهَا
أَبَيْتُ عَنْ الْإِذْلَاجِ فِي الْحَيِّ نَائِمًا وَأَرْضُ الْإِذْلَاجِ وَهَمٌ ^(٥) قَطَعْتُهَا
أَلَا أَيُّهَا الْجَارِي سَنِيحًا وَبَارِحًا تُعَرِّضُ نَفْسًا لَوَاشَاهُ قَتَلْتُهَا
تُعَارِضُ فَخَرَ الْفَاخِرِينَ بِمَعْبِيَةِ وَلَوْ وَضِعتُ لِي فِي إِنْاءٍ أَكَلْتُهَا
وَإِنْ لَنَا رِيبِيَّةٌ الْمَجْدِ كُلُّهَا مَوَارِثُ آبَاءِ كِرَامٍ وَرِثْتُهَا ^(٦)
إِذَا قَصُرَتْ أَيْدِي الرُّجَالِ عَنِ الْعُلَا مَدَدْتُ يَدِي بِأَعْمَا عَلَيْهِمُ فَنِلْتُهَا
وَدَاعٍ دَعَانِي لِلْعُلَا فَأَجَبْتُهُ وَدَعْوَةَ دَاعٍ فِي الصَّدِيقِ خَذَلْتُهَا
وَمَكْرُومَةٍ كَانَتْ رِعَايَةً وَالِدِي فَعَلَّمْنِيهَا وَالِدِي فَعَمَلْتُهَا ^(٧)

(١) هو ربيعة بن عامر بن أياف ، ينتمي نسبه إلى مالك بن زيد مناة بن تميم ، شاعر شريف من سادات قومه (وانظر ترجمته وأخباره وأشعاره في الأغاني ١٨ : ٦٨ - ٧٢ ، ومعجم الأدباء ١١ : ١٢٦ - ١٣٢ ، والشعر والشعراء ٥٢٩ - ٥٣٠ ، والخزانة ١ : ٢٦٥ - ٢٧٠ ، والآل ١٨٦ - ١٨٧) (٢) ديوان المعاني ١ : ٧٩ . ف ، حاشية الأصل (من نسخة) ، ديوان المعاني : ورثتها . وفي حاشية الأصل (من نسخة أخرى) : « رعتها » . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « في الصحاح : زاع بعيره أي حركه إلى قدام يستزيد سيره » قال ذو الرمة :

وَحَافِقِ الرَّأْسِ فَوْقَ الرَّحْلِ قُلْتُ لَهُ زُعْ بِالزَّمَامِ وَجَوَزُ اللَّيْلِ مَرَّ كَوْمُ

ومن رواء « زع » ، [بفتح الزاي] فقد أخطأ ؛ لأنه لا يأمره بالكف .

(٣) د : « الحزن » ، ف ، وديوان المعاني : « الحزم » . (٤) ديوان المعاني : « حسبتي » .

(٥) م : أي همة . (٦) حاشية الأصل : « ربيعة المجد : أوله وأجوده » : كربيعة التناج خبره .

ومن نسخة بحاشية الأصل : « موارث آباء » . (٧) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « فعملتها » .

[١٠٨]
 وعوراء من قيل امرئ ذي قرابة
 / رَجَاءُ غَدٍ^(٢) أَنْ يَعْطِفَ الرَّحْمُ بَيْنَنَا
 وَصَامَتُ عَنْهَا بَعْدَ مَا قَدْ سَمِعْتُهَا^(١)
 وَمَظْلَمَةٌ مِنْهُ بِجَنَبي عَرَكَتُهَا
 إِذَا مَا أُمُورُ النَّاسِ رَمَتْ وَضُيِّمَتْ
 وَجَدْتُ أُمُورِي كُلَّهَا قَدْ رَمَعْتُهَا^(٣)
 وَإِنِّي سَأَلْتَنِي اللَّهُ لَمْ أَرَمْ حُرَّةً
 وَلَمْ تَتَمَنِّ^(٤) يَوْمَ مِيرٍ فَخُنْتُهَا
 وَلَا قَازِفٍ نَفْسِي وَنَفْسِي بَرِيَّةً
 وَكَيْفَ اعْتِدَارِي بَعْدَ مَا قَدْ قَدَفْتُهَا

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا أبو ذر القراطيسي قال حدثنا عبيد الله بن محمد
 ابن أبي الدنيا قال حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي أن رجلاً من الأنصار حدثه قال قال
 مسكين الدارمي :

ولست إذا ما سرّني الدهر ضاحكاً
 وَلَا جاعلاً عِرْضِي لِمَالِي وَقَاةً
 وَلَا خَاشِماً مَا عِشْتُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ^(٥)
 وَلَكِنْ أَقَى عِرْضِي فَيُخْرِزُهُ وَفَرِي
 أَعِفُّ لَدَى عُسْرِي وَأُبْدِي تَجَمُّلاً
 وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَعِفُّ لَدَى الْعُسْرِ
 وَإِنِّي لَأُسْتَحْيِي إِذَا كُنْتُ مُعْسِراً
 صَدِيقِي وَإِخْوَانِي بَأَنْ يَعْلَمُوا فَقْرِي
 وَأَقْطَعُ إِخْوَانِي وَمَا حَالَ عَهْدِهِمْ
 حَيَاءً وَإِعْرَاضاً وَمَا بَنَى مِنْ كِبَرِ
 فَإِنْ يَكُ عَاراً مَا أَتَيْتُ فَرْبَمَا
 أُنِي الْمَرْءُ يَوْمَ الشُّؤْمِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
 وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَتَلَمَّ مَكَانَ صَدِيقِهِ
 وَمَنْ يَحْيَى لَا يَدْمُمُ بِلَاءُ مِنَ الدَّهْرِ^(٦)
 وَمَنْ مَسْتَحْسَنُ قَوْلُهُ :

إِنْ أَدْعَ مَسْكِيناً فَمَا قَصَرَتْ
 قَدْرِي بُيُوتُ الْحَيِّ وَالْجُدُرُ

(١) الدوراء هنا : الكلمة القبيحة . (٢) د ، ف ، وحاشية الأصل ، وديوان المعاني : « رجاء
 غد » . (٣) رَمَعْتُهَا : أصْلَعْتُهَا . (٤) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « لم تأتمني » .
 (٥) أبيات منها في معجم الأدباء ١١ : ١٢٩ ، واللائلي : ١٨٦ ، وكنايات الجرجاني : ٩٠ ، ٧٧ .
 (٦) حاشية الأصل : (من نسخة) : « ومن يفن » .

وقيل : إن مسكيناً ليس باسمه ، وإنما اسمه ربيعة ، وإنما سمي بذلك لقوله :

وَسُمِّيْتُ مِسْكِينًا وَكَانَتْ لِحَاجَةٍ وَإِنِّي لِمِسْكِينٌ إِلَى اللَّهِ رَاغِبٌ ^(١)

— ومعنى : قصرت قدرى ، أى : سئرت ، يريد أنها بارزة لا تحجبها السواتر والحيطان —

مَا مَسَّ رَحْلِي الْعَنَكَبُوتُ وَلَا جَدَّيَاتُهُ مِنْ وَضْعِهِ غُبْرٌ

وهذه كناية ملبحة عن مواصلة السير وهجر الوطن ، لأن العنكبوت إنما تنسج على

مالا تناله / الأبدى ولا يكثر استعماله ، والجديات : جمع جدية ، وهى باطن دفة الرجل . [١٠٨] ط

لَا آخِذُ الصَّبَّانَ الثَّمَمِ وَالْأَمْرُ قَدِ يُغَيِّرُ ^(٢) بِدِ الْأَمْرِ

— يقول : لا أقبل الصبي ؛ وأنا أريد التعميرض بأمه .

ومثله لغيره :

وَلَا أَتَقِي لَدَى الْوَدَعَاتِ سَوَاطِي ^(٣) الْأَعْبَهُ ^(٤) وَرَبِيبَتَهُ ^(٥) أَرِيدُ ١٠

وأنشد ابن الأعرابي مثله :

إِذَا رَأَيْتَ صَبِيَّ الْقَوْمِ يَلْتَمِعُهُ ضَخْمُ الْمَنَازِبِ لَا عَمَّ وَلَا خَالٌ

فَاحْفَظْ صَبِيَّكَ مِنْهُ أَنْ يُدَنِّسَهُ وَلَا يَغُرَّنْكَ يَوْمًا قَلَّةُ الْمَالِ ^(٦)

— رجع إلى تمام القصيدة —

وَلَرُبَّ يَوْمٍ قَدْ تَرَكْتُ وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ لِقَائِهِ سِتْرٌ ١٥

وَمُخَاصِمٌ ^(٧) قَاوَمْتُ فِي كَبِيدٍ مِثْلَ الدَّهَانِ فَكَانَ لِي الْعَذْرُ ^(٨)

(١) الشعر والشعراء : ٥٢٩ . (٢) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « يجرى » .

(٣) م : « صوتى » . (٤) د : « لألته » ، ومن نسخة بمحاشيتي ف : « لألهيه » .

(٥) د ، ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « وربته » ، أى أمه التى تربته . والودعات :

الحرزات . (٦) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « كثرة المال » .

(٧) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « ومفادم » . (٨) فى حاشيتي الأصل ، ف : « إنما

يكون العذر إذا كان ثم ظلم ، فيقول : إنما أقاوم وأخاصم مظلوماً متمدى عليه ، وإذا كان كذلك ، فيجب

الاعتذار على الظالم ؛ ويكون العذر لى ، كقوله :

فَإِنْ كَانَ سِحْرًا فَأَعِذْ بِنِي عَلَى الْهَوَى وَإِنْ كَانَ دَاءً غَيْرَهُ فَلَكَ الْعَذْرُ

- و يروى : « القمر » ، والكبد : المنزلة التي لا تثبت فيها الأرجل ، والدهان :
الأديم الأحمر -

مَا عَلَنِي ^(١) إِقْوَمِي بَنُو عُدُسٍ وَهُمْ الْمُلُوكُ وَخَالِي الْبَشَرُ ^(٢)
تَمَيُّ زُرَّارَةٌ غَيْرَ مُنْتَحِلَةٍ وَأَبِي الَّذِي حُدَّتْهُ عَمْرُو
فِي الْمَجْدِ غُرَّتْنَا مَبِينَةٌ لِلنَّاطِرِينَ كَأَنَّهَا الْبَدْرُ
لَا يَرْهَبُ الْجِيرَانُ غَدَرَتْنَا حَتَّى يُوَارِيَ ذِكْرُنَا الْقَبْرُ
لَسْنَا كَأَقْوَامٍ إِذَا كَلَحَتْ إِحْدَى السَّنِينَ فَجَارُهُمْ تَمَرُ

- أى يستعلى النذر به كما يُسْتَحْلَى التمر -

مَوْلَاهُمْ لَحْمٌ عَلَى وَضَمٍ تَنْتَابُهُ الْعِيقَانُ وَالنَّسْرُ
نَارِي وَنَارُ الْجَارِ وَاحِدَةٌ وَالْيَمْرُ قَبْلِي تُنْزَلُ الْقِدْرُ

١٠

[١٠٩] يقال : إنه كان له امرأة تماظه ، فلما قال ذلك قالت له : أجل ؛ إنما ناره ونارك واحدة ، لأنه /
أوقد ولم توقد ، والقدر تنزل إليه قبلك ؛ لأنه طبخ ولم تطبخ ، وأنت تستطعمه .

مَا ضَرَّ جَارِي إِذْ أُجَاوِرُهُ أَنْ لَا يَكُونَ لِبَيْتِهِ سِتْرُ
- قال : ويقال إنها قالت له في هذا البيت أيضا : أجل إن كان له سِتْرٌ هَتَكَتُهُ -

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجْتُ حَتَّى يُوَارِيَ جَارَتِي الْخِذْرُ
وَبَصْمٌ عَمَّا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمِي وَمَا بِي غَيْرُهُ وَقُرُ

١٥

وأنشد عمر بن شبة لمسكين أيضا :

لَا تَجْمَلَنِي كَأَقْوَامٍ عَلِمَتْهُمْ ^(٣) لَمْ يَظْلِمُوا لَبَةً يَوْمًا وَلَا وَدَجًا ^(٤)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ما عابني » . (٢) من نسخة في حاشيتي الأصل ، ف : « هو مسكين بن عامر بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ؛ فهذا عدس وعدس أبو زرارة ، مثل قثم ؛ وقال ابن دريد : يقال عدس وعدس » ، بضم الدال وفتحها .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « لانجملني كأقوام علمتهم » .

(٤) حاشية الأصل : « أى لم ينحروا للضياف فيطعنوا في لبة أو ودج » .

إِنِّي لِأَغْلَاهُمْ بِاللَّحْمِ قَدْ عَلِمُوا نِيثَاءُ وَأَرْخَصَهُم بِاللَّحْمِ إِذَا نَضِجَا
 أَنَا ابْنُ قَاتِلِ جَوْعِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا إِذَا السَّمَاءُ كَسَتْ آفَاقَهَا رَهَجًا^(١)
 يَا رَبِّ أَمْرَيْنِ قَدْ فَرَّجْتُ بَيْنَهُمَا إِذَا مَا نَشَبَا فِي الصَّدْرِ وَاعْتَلَجَا^(٢)
 أُدِيمُ خُلُقِي لِمَنْ دَامَتْ خَلِيقَتُهُ وَأَمَزُجُ الْحَلَوَّ أَحْيَانًا لِمَنْ مَزَجَا
 وَأَقْطَعُ الْخَرْقَ بِالْخَرْقَاءِ لَاهِيَةً إِذَا الْكَوَاكِبُ كَانَتْ فِي الدُّجَى سُرُجًا^(٣)
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ فَأَكْرَهُهُ إِلَّا سَيَجْعَلُ لِي مِنْ بَعْدِهِ فَرَجًا
 مَا مَدَّ قَوْمٌ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى شَرَفٍ إِلَّا رَأَوْنَا قِيَامًا فَوْقَهُمْ دَرَجًا
 وَأُنْشِدُ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ لَهُ :

أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِزَالِ رَحْلِهِ وَلَمْ يُبْلِهْنِي عَنْهُ غَزَالُ مُقَنَّمٍ
 أَحَدْتُهُ إِنْ الْحَدِيثَ مِنَ الْقَرَى وَتَعَلَّمُ نَفْسِي أَنَّهُ سَوْفَ يَهْجَعُ ١٠
 وَمِثْلُهُ لغيره :

أَضَاحِكُ ضَيْفِي قَبْلَ إِزَالِ رَحْلِهِ وَيُخْصِبُ عِنْدِي وَالْمَكَانُ جَدِيبُ
 وَمَا الْخُصْبُ لِلْأَضْيَافِ أَنْ يَكْثُرَ الْقَرَى وَلَكِنَّا وَجْهَهُ الْكَرِيمُ خَصِيبُ
 وَمَعْنَى :

١٥ * أَحَدْتُهُ إِنْ الْحَدِيثُ مِنَ الْقَرَى *

أَيُّ أَصْبَرَ عَلَى حَدِيثِهِ ، وَأَعْلَمَ أَنَّهُ سَوْفَ يَنَامُ ، وَلَا أَعْرِضُ بِمَحَادَثَتِهِ / فَأَكُونُ قَدْ مَحَقْتُ [١٥٩] ط
 قِرَايَ ؛ وَالْحَدِيثُ الْحَسَنُ مِنْ تَمَامِ الْقَرَى .

وَقَالَ الْأَسْمَعِيُّ : أَحْسَنُ مَا قِيلَ فِي الْغَيْرَةِ قَوْلُ مَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ :
 أَلَا أَيُّهَا الْفَاؤُ السُّتَشْيِطُ عَلَامَ تَفَارُ إِذَا لَمْ تُغَرَّ

(١) الرهج : الفبار . (٢) اعتلج . اضطرب .
 (٣) الحزن : المغارة الواسعة ، والخرقاء : النافقة السريعة .

فما خَيْرُ عَرَسٍ إِذَا خِفَتْهَا وما خَيْرُ بَيْتٍ إِذَا لَمْ يُزَرَ^(١)
تَفَارُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا وَهَلْ يَفْتِنُ الصَّالِحَاتِ النَّظَرُ
فإني سأخلى لها بيتها فتَحَفَظُ لِي نَفْسَهَا أَوْ تَذَرُ
إِذَا اللَّهُ لَمْ يُعْطِهِ وَدَّهَا فَلَنْ يُعْطِيَ الْوَدَّ سَوْطَ مُرَّةٍ
وَمَنْ ذَا بُرَاعَى لَهُ عَرَسُهُ إِذَا ضَمَّهُ وَالْمِطَى السَّفَرُ !

قال المرتضى رضى الله عنه: وكان مسكين كثير اللهج بالقول في هذا المعنى ، فمن ذلك قوله:

وإني امرؤ لا آلف البيتَ قاعداً إلى جَنْبِ عَرَسِي لَا أُفَرِّطُهَا شَبْرًا
ولا مَقِيمٌ لَا أَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا لِأَجْعَلُهُ قَبْلَ الْمَاتِ لَهَا قَبْرًا
إِذَا هِيَ لَمْ تُحْصِنِ أَمَامَ فَنَائِهَا فَلَيْسَ بِمُنْجِيهَا بِنَائِي لَهَا قَصْرًا
ولا حَامِلِي ظَنِّي وَلَا قَيْلُ قَاتِلِ^(٢) عَلَى غَيْرَةٍ حَتَّى أُحِيطَ بِهَا إِخْبَرًا
فَهَبْنِي أَمْرًا رَاعَيْتُ مَا دُمْتُ شَاهِدًا فَكَيْفَ إِذَا مَا مِيرَتْ مِنْ بَيْتِهَا شَهْرًا
وَأُنْشِدُ أَبُو الْعَبَّاسِ^(٣) عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ لِمُسْكِينٍ :

مَا أَحْسَنَ الْغَيْرَةَ فِي حِينِهَا وَأَقْبَحَ الْغَيْرَةَ فِي كُلِّ حِينٍ^(٤)
مَنْ لَمْ يَزَلْ مُتِمِّمًا عَرَسَهُ مُنَاصِبًا فِيهَا لَوْ هُمُ الظُّنُونُ
يُوشِكُ أَنْ يَغْرِبَ بِهَا بِالَّذِي يَخَافُ ، أَوْ يَنْصَبُهَا لِلْعُيُونِ
حَسْبُكَ مِنْ تَحْصِينِهَا ضَمُّهَا مِنْكَ إِلَى خُلُقِ كَرِيمٍ وَدِينِ
لَا تَظْهَرَنَّ مِنْكَ عَلَى عَوْرَةٍ فَيَتَّبِعَ الْمُقَرُّونُ حَبْلَ الْقَرِينِ^(٥)

(١) حاشية الأصل : « للسؤال » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « وإن قال قائل » .

(٣) ف : « أبو العيناء » . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « غير حين » .

(٥) حاشية الأصل : « أى إياك أن تطلع المرأة منك عورًا وريبة ؛ فإنها أياضًا ترضى أو تفعل كما فعلت » .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

/ إن سأل سائل عن قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ [١٦٠] ^و
لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلِصِينَ﴾ ؛ [يوسف : ٢٤] .

فقال : هل يسوغُ ما تأوَّل بعضهم هذه الآية عليه من أن يوسف عليه السلام عزم
على العصية وأرادها ، وأنه جلسَ يجلس الرجل من المرأة ، ثم انصرف عن ذلك بأن رأى
٥ صورة أبيه يعقوب عليه السلام عاضاً على إصبعه ، متوعداً له على مواجهة العصية ، أو بأن نُودي
له بالنهي والزجر في الحال على ما ورد به الحديث ؟

الجواب ، قلنا : إذا ثبت بأدلة العقول التي لا يدخلها الاحتمالُ والمجاز ووجوه التأويلات
أنَّ المعاصي لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام صرفنا كل ماورد ظاهره بخلاف ذلك من
كتاب أو سنة إلى ما يطابق الأدلة ويوافقها ، كما نفعل مثل ذلك فيما يرد ظاهره مخالفاً لما
١٠ تدل عليه العقول من صفاته تعالى ، وما يجوز عليه أو لا يجوز .

ولهذه الآية وجوه من التأويل ؛ كلُّ واحدٍ منها يقتضي نزاهة نبي الله تعالى من المزم على
الفاحشة وإرادة العصية .

أوّلها أنَّ الهمَّ في ظاهر الآية متعلّق بما لا يصح أن يعلّق به المزم أو الإرادة على الحقيقة ؛
لأنه تعالى قال : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ ، فمتلّق الهمُّ بهما ، وذاتهما لا يجوز أن يُراد
١٥ أو يعزم عليهما ؛ لأنَّ الوجود الباقي لا يصحّ ذلك فيه ، فلا بدّ من تقدير محذوفٍ يتعلّق
المزم به ؛ وقد يمكن أن يكون ما تعلّق به همُّه إنما هو ضربُها أو دفعُها عن نفسه ، كما

يقول القائل : كنت همت بفلان ، وقد همّ فلان بفلان ؛ أى بأن يوقع به ضرباً أو مكروها .

فإن قيل : فأى معنى لقوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها ؟

• قلنا : يمكن أن يكون الوجه في ذلك أنه لما همّ بدفعها وضربها أراه الله برهاناً على أنه إن أقدم على ما همّ به أهلكه أهلها وقتلوه ، أو أنها تدعى عليه المراودة على القبيح وتقذّره [١٦٠] بأنه دعاها إليه ، وأن ضرّته لا يتناها ، فيظنّ به ذلك من لا تأمل له ، ولا علم بأن مثله لا يجوز عليه ، فأخبر الله تعالى بأنه صرّف بالبرهان عنه السوء والفحشاء ، ويعنى بذلك القتل والمكروه اللذين كانا يوقعان به ، لأنهما يستحقان الوصف بذلك من حيث القبح ، أو ١٠ يعنى بالسوء والفحشاء ظنهم به ذلك .

فإن قيل : هذا الجواب يقتضى أن جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ يتقدّمها ، ويكون التقدير : لولا أن رأى برهان ربّه لم يضربها ودفعها ، وتقدّم جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ قبيح غير مستعمل ، أو يقتضى أن تكون ﴿ لَوْلَا ﴾ بغير جواب .

قلنا : أما تقدّم جواب ﴿ لَوْلَا ﴾ فجائز ، وسنذكر ما فيه عند الجواب المختص بذلك ، ١٥ غير أننا لا نحتاج إليه في هذا الجواب ، لأنّ الهمّ بالضرب قد وقع ، إلا أنه انصرف عنه بالبرهان ؛ والتقدير : ولقد همت به وهمّ بدفعها لولا أن رأى برهان ربّه كفعل ذلك ، فالجواب في الحقيقة محذوف ، والكلام يقتضيه ، كما حذف الجواب في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور : ٢٠] ، معناه : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لهلكتم ، ومثله : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَ تَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴾ ؛ التكاثر : ٥ ، ٦] ، معناه : لو تعلمون علم اليقين لم تتنافسوا في الدنيا ، وتفاخروا بها ؛ وقال أمرؤ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةٌ وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا^(١)

أراد : فلو أنها نفس تموت سوية لانتقضت وفيت ، فحذف الجواب ؛ على أن مَنْ تأول هذه الآية على الوجه الذي لا يليق بنبي الله تعالى ، وأضاف العزم على المعصية إليه لا بدله من تقدير جواب محذوف ، ويكون التقدير عنده : ولقد همت بالزنا وهم به ؛ لولا أن رأى برهان ربه لفعله .

فإن قيل قوله : ﴿ هَمَّ بِهَا ﴾ كقوله : ﴿ هَمَّتْ بِهِ ﴾ فلم جعلتم همتها به متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بما ذكرتم من الضرب وغيره ؟

قلنا : أما الظاهر فلا يدل على ما تعلق به الهم والعزم فيهما جميعا ، وإنما أثبتنا همتها به متعلقا بالقبيح ، لشهادة الكتاب والآثار ؛ وهي ممن يجوز عليه فعل القبيح ، ولم يؤمن دليل من امتناعه عليها ؛ كما أمن ذلك فيه عليه السلام .

والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ، [يوسف : ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [يوسف : ٢٣] ، وقوله تعالى : ﴿ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ^(٢) وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [يوسف : ٥١] ، وفي موضع آخر : ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف : ٢٢] .

(١) ديوانه : ١٤٠ ، وروايته : « تموت جيمة » . وفي حاشية الأصل : « وروى : « تساقط » [بضم التاء] ، وساقط بوزن فاعل متعد ؛ ويكون « أنفسا » ، فمولا ؛ وإذا روى : « تساقط » [بفتح التاء] جاز أن يكون « تفاعل » متعديا ؛ والقي : أسقط . ويجوز أن يكون غير متعد أيضا ؛ و « أنفسا » نصبت على الحال ، كقوله تعالى : ﴿ تَسَاقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴾ ، أي تساقط عليك ثمر النخلة رطبا ، وقال الفراء : هو تغيير ، وكلاهما حسن . ويجوز إذا كان حالا أن يفيد كثرة الرطب على الخدع فكأنها إذا تساقطت رطبا .

(٢) حاشية الأصل : « . » ، « رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ » ؛ أي طلبت منه أن ينزل عن نفسه فيسلمها . وفي هذا هو حقيقة هذه الكلمة ؛ فاختصر .

والآثار واردة بإطباق مفسري القرآن ومتأوليه على أنها همت بالفاحشة والمعصية .

والوجه الثاني في تأويل الآية أن يحمل الكلام على التقديم والتأخير ، ويكون تلخيصه :
ولقد همت به ، ولولا أن رأى برهان ربه لَهَمَّ بها ؛ ويجرى ذلك مجرى قولهم : قد كنت
هَلَكْتُ لولا أنى تداركتك ، وقُتِلْتُ لولا أنى خلصتُك ، والمعنى : لولا تداركى هلكتك ،
ولولا تخليصى لقتلت ، وإن لم يكن وقع هلاك ولا قتل ؛ قال الشاعر :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا لِجُرْعَةٍ لِّسْنِ كُنْتُ مَقْتُولًا ، وَيَسْلَمَ عَامِرُ^(١)

وقال آخر :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي صَرِيحًا لِجُرْعَةٍ لِّسْنِ لَمْ أُعَجِّلْ طَمَعَةً أَوْ أُعَجِّلْ^(٢)

فقدم جواب ﴿لَوْ لَا﴾ في البيتين جميعاً ، وقد استشهد عليه أيضا بقوله تعالى : ﴿وَلَوْ لَا
فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ﴾ ، والهم لم يقع لمكان فضل
الله ورحمته .

ومما يشهد لهذا التأويل أن في الكلام شرطا ، وهو قوله تعالى : ﴿لَوْ لَا أَنْ رَأَى
بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ؛ فكيف يحمل على الإطلاق ، مع حصول الشرط ؟ وليس لهم أن يجماوا
جواب ﴿لَوْ لَا﴾ محذوفا مقدرا لأن جعل جوابها موجودا أولى .

وقد استبعد قوم تقديم جواب ﴿لَوْ لَا﴾ عليها ، قالوا : ولو جاز ذلك لجاز : «قام زيد»
لولا عمرو ، و«قصدتك لولا بكر» وقد يبتغا بما أوردناه من الأمثلة والشواهد جواز
تقديم جواب ﴿لَوْ لَا﴾ ، والذي ذكره لا يشبه ما أجزناه .

وقد يجوز أن يقول القائل : «قد كان زيد قام لولا كذا وكذا» ، و«قد كنت قصدتك لولا
﴿أَنْ صَدَّقَنِي فَلَانَ﴾» ، وإن لم يقع قيام ولا قصد ؛ وهذا هو الذي يشبه الآية ؛ وليس تقديم

(١) صريحا : خالص النسب . (٢) م :

فَلَا يَدْعُنِي قَوْمِي لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ لِّسْنِ لَمْ أُعَجِّلْ ضَرْبَةً أَوْ أُعَجِّلْ

وفي حاشية الأصل : « في نسخة من البيت الثاني مقدم على الأول » .

جواب ﴿أَوَّلًا﴾ بأبعد من حذف جواب ﴿لَوْلَا﴾ جملة من الكلام . وإذا جاز عندهم الحذف - لئلا يلزمهم تقديم الجواب - جاز لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف .

والجواب الثالث ما اختاره أبو علي الجبائي - وإن كان غير مؤيد قد تقدمه إلى معناه - وهو أن يكون معنى ﴿هَمَّ بِهَا﴾ اشتهاها، ومال طبعه إلى مادته إليه . وقد يجوز أن تسمى الشهوة في مجاز اللغة همًا ؛ كما يقول القائل فيما لا يشبهه : ليس هذا من همي ، وهذا أهم الأشياء إلى ؛ ولا قبس في الشهوة لأنها من قبل الله تعالى فيه ؛ وإنما يتعلق القبس بتناول المشتى . وقد روى هذا التأويل عن الحسن البصري قال : أما همها فكان أخت الهم ، وأما همها فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء ، ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى : ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ ، متعلق بمحذوف ؛ كأنه قال : لولا أن رأى برهان ربه لمزم أو فعل .

١٠

والجواب الرابع ، أن من عادة العرب أن يسموا الشيء باسم ما يقع عنده في الأكثر ، وعلى هذا لا ينكر أن يكون المراد بـ ﴿هَمَّ بِهَا﴾ خطر بياله أمرها^(١) ، ووسوس إليه الشيطان بالدعاء إليها ؛ من غير أن يكون هناك هم أو عزم ، فسمى الخطور بالبال همًا من حيث كان الهم يقع في الأكثر عنده ، والعزم في الأغلب يتبعه .

وإنما أنكرنا ما ادّعاء جملة المفسرين ومخرّفوا القصص ، وقرّفوا به نبي الله عليه السلام ، لما في العقول من الأدلة على أن مثل ذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام ؛ من حيث كان منقرًا عنهم ، وقادحًا في الفرض الجري إليه بإرسالهم ؛ والقصة تشهد بذلك ؛ لأنه تعالى قال : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ ؛ ومن أكبر السوء والفحشاء العزم على الزنا ، ثم الأخذ فيه ، والشروع في مقدماته ؛ وقوله تعالى أيضا : ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يقتضي تنزيهه

(١) س : « ما خطر بباله أمرها » .

عن الهم بالزنا ، والعزم عليه . وحكايته عن النسوة قولهن : ﴿ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ ﴾ [يوسف : ٥١] ، تدل أيضا على براءته من القبيح .

فأما البرهان الذي رآه فيحتمل أن يكون لطفًا لطف الله له به في تلك الحال أو قبلها ، اختار عنده الانصراف عن المعاصي ، والتزهد عنها .

[١٦٢] ويحتمل أيضا / ما ذكره أبو علي ، وهو أن يكون البرهان دلالة الله تعالى له على تحريم ذلك عليه ، وعلى أن من فعله يستحق العقاب . وليس يجوز أن يكون البرهان ما ظنه الجهال من رؤية صورة أبيه يعقوب عليه السلام متوعداً له ، أو النداء له بالزجر والتخريف ، لأن ذلك يُنافي المحنة ، وينقض الغرض بالكيف ، ويقضي ألا يستحق على امتناعه واتزاجاره مدحاً ولا ثواباً ؛ وهذا سوء تناء على الأنبياء ، وإقدام على قرفهم بما لم يكن منهم ، ونحمد الله على حسن التوفيق . ١٠

روى أحمد بن عبد الله بن العباس الصولي الملقب بطماس قال : كنت يوماً عند عمي إبراهيم بن العباس^(١) ، فدخل عليه رجل فرفعه حتى جلس إلى جانبه ، أو قريباً من ذلك ، ثم حدثه إلى أن قال عمي : يا أبا تمام ؛ ومن بقي ممن يُعتصم به ويلجأ إليه ؟ قال : أنت لا عُدْت - وكان إبراهيم طويلاً - أنت والله كما قيل :

١٥ يَمْدُ نِجَادِ السَّيْفِ حَتَّى كَأَنَّهُ بِأَعْلَى سَنَامِي فَالْجِرِ يَتَطَوَّحُ
وَيُدْرِجُ فِي حَاجَاتٍ مِنْهُ هُوَ نَائِمٌ وَبُورِي كَرِيمَاتِ النَّدَى حِينَ يَمْدَحُ
إِذَا اعْتَمَ بِالْبُرْدِ الْيَمَانِي خِلْتَهُ هَلَالاً بَدَا فِي جَانِبِ الْأَفْقِ يَلْمَحُ
يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الرُّجَالِ فَضِيلَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَدْحُ مَنْ يَتَمَدَّحُ

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، شاعر مجيد ؛ توفي سنة ٢٤٣ ، وله ديوان شعر ، نشره الأستاذ عبد العزيز الميمني ؛ ضمن مجموعة الطرائف سنة ١٩٣٧ م (وانظر ترجمته في الأغاني (٢٠٩ - ٣٣ ، وابن خلكات ١ : ٩ - ١١ ، ومعجم الأدباء ، ١ : ١٦٤ - ١٩٨ ، وتاريخ بغداد ٦ : ١١٢) .

فقال له إبراهيم: أنت تحسن قائلًا، وراويًا، ومتمثلًا؛ فلما خرج تبعته وقلت له: أكتبني الأبيات، فقال: هي لأبي الجويرية العبدى^(١) نخذها من شعره .

وروى عن يحيى بن البختري قال: رأيت أبي يُذاكر جماعة من أمراء أهل الشام بمعانٍ من الشعر، فمرّ فيها ذكر قلة نوم العاشق وما قيل فيه، فأنشدوا إنشادات كثيرة، فقال لهم أبي: قد فرغ من هذا كاتب كان بالعراق فقال:

أَحْسِبُ النَّوْمَ حَكَاكَ إِذْ رَأَى مِنْكَ جَفَاكَ^(٢)
مَتْنِي الصَّبْرُ وَمِنْكَ الْإِ هَجَرُ فَأَبْلَغُ بِي مَدَاكَ
بَعْدَتْ هِمَّةُ عَيْنٍ طَمِعَتْ فِي أَنْ تُرَاكَ
أَوْ مَا خَطُّ لِعَيْنِي أَنْ تُرَى مِنْ قَدَرَاكَ
لَيْتَ حَظِّي مِنْكَ أَنْ تَسْلَمَ مَا بِي مِنْ هَوَاكَ

قال أبي: / إنه تصرّف في معاني من الشعر في هذه الأبيات، قال: وكتبها عنه جماعة من [١٠٨] حضر؛ والأبيات لإبراهيم بن العباس الصولي.

وأخبرنا علي بن محمد السكاتب قال أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال: لما بايع المؤمنون لعلي ابن موسى الرضا عليهما السلام بالعهد، وأمر الناس بلبس الخضرة صار إليه دُعبل^(٣) بن علي

(١) اسمه عيسى بن أوس بن عصبه؛ أبو جويرية العبدى؛ شاعر محسن متمكن؛ ذكره الأمدى في المؤلفات والمختلف: ٧٩، والرزباني في المعجم: ٢٥٨.

(٢) ديوان إبراهيم بن العباس: ١٤٨.

(٣) هو دُعبل بن علي الخزاعي، شاعر مطبوع؛ كان هجاء خبيث اللسان؛ ولم يسلم من لسانه أحد ممن عاصره من الخلفاء والوزراء ولا من أولادهم وأولاد أولادهم؛ ولا ذو نباهة؛ أحسن إليه أو لم يحسن، وكان من مشاهير الشيعة؛ قال ياقوت: وقصيدته النائية في أهل البيت من أحسن الشعر وأسنن المدائح، قصدها علي بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم، وخام عليه بردة من ثيابه، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم فلم يبرها؛ فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها فقال لهم: إنها ترادفة =

وإبراهيم بن العباس الصولي - وكانا صديقين لا يفرقان ، فأنشده دِعْبِلُ :
مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلُ وَحْيٍ مُتَفَرِّغٍ الْعَرَصَاتِ (١)

وأنشده إبراهيم بن العباس على مذهبها قصيدة ، أولها :

أَزَلْتُ عِزَاءَ الْقَلْبِ بَعْدَ التَّجَلُّدِ مَصَارِعُ أَوْلَادِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

• قال : فوهب لها عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه ، وكان المؤمن أمر بضربها في ذلك الوقت ؛ فأمد دِعْبِلُ بن علي فصار بالشطر منها إلى قم ، فاشتري أهلها منه كل درهم بعشرة ، فباع حصته بمائة ألف درهم .

== عز وجل ؛ وهي محرمة عليكم ؛ فدفعوا له ثلاثين ألف درهم ، فحلب ألا يبيعها أو يعطوه مذهبها يسكون في كفته ، فأعطوه كما واحدا ؛ فكان في أكفائه ؛ ويقال : إنه كتب القصيدة في ثوب وأحرم فيه ؛ وأوصى بأن يكون في أكفائه ، ونسخ هذه القصيدة مختلفة ، في بعضها زيادات ؛ يظن أنها مصنوعة ، ونوفى دِعْبِلُ سنة ٢٤٦ .

(وانظر ترجمته في معجم الأدباء ١١ : ١٩ : ١١٢ ، وابن خلكان ١ : ١٧٩ - ١٨٠ ، والأغانى ١٨ : ٢٩ - ٣٢ ، وناريخ بغداد ٨ : ٣٨٢) .

(١) القصيدة في معجم الأدباء ، وتنوير الأبصار : ١٤١ ، ١٤٢ ؛ ومطلعها فيه :

ذَكَرْتُ عِلَّ الرَّبِّعِ مِنْ عَرَافَاتٍ وَأَجْرِيْتُ دَمْعَ الْعَيْنِ بِالْمِغْرَاتِ
وَفَكَرْتُ صَبْرِي وَهَاجَتِ صَبَابَتِي رَسُومُ دِيَارِ أَفْقَرِ وَعِزَاتِ
مَدَارِسُ آيَاتِ

وفيها يقول :

أَلَمْ تَرَ أَنِي مِنْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً أُرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا
فَإِلَ رَسُولِ اللَّهِ نُخَفُ جُسُومُهُمْ بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ
وَإِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْغِدِ
أَرْوَحُ وَأَغْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ وَأَيْدِيهِمْ مِنْ فِيهِمْ صَفَرَاتِ
وَأَلْ زِيَادِ حُفْلُ الْقَصَرَاتِ وَأَلْ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ
أَكْفًا عَنِ الْأَوْتَارِ مَنْقِبُضَاتِ لَقُطِّعَ قَلْبِي إِزْرَهُمْ حَسَرَاتِ

وأما إبراهيم بن العباس فلم يزل عنده بعضها حتى مات؛ قال الصولي: ولم أقف من قصيدة إبراهيم على غير هذا البيت .

قال: وكان السبب في ذهاب هذا الفن من شعره ما حدثني به أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات والحسين بن علي الباقراني^(١) قالا: كان إبراهيم بن العباس صديقاً لإسحاق بن إبراهيم أخى زيدان الكاتب المعروف بالزمن، فأنسخه شعره في علي بن موسى الرضا عليهما السلام، وقد انصرف من خراسان، ودفع إليه شيئاً بخطه منه، وكانت النسخة عنده إلى أن ولي المتوكل، وولي إبراهيم بن العباس ديوان الضياع، وقد كان تباعد ما بينه وبين أخى زيدان، فعزله عن ضياع كانت في يده بمحلوها وغيرها وطلبه بمال وألح عليه، وأساء مطايبته، فدعا إسحاق بعض من يثق به من إخوانه، وقال له: امض إلى إبراهيم بن العباس، فأعلمه أن شعره في علي بن موسى بخطه عندي، وبغير خطه، والله لئن استمررت على ظلمي^(٢)، ولم يُزل عني المطالبة لأوصلن الشعر إلى المتوكل؛ قال: فصار الرجل إلى إبراهيم بن العباس، فأخبره بذلك، فاضطرب اضطراباً شديداً، وجعل الأمر / في ذلك إلى الوساطة في ذلك حتى أسقط جميع ما كان طالبه به، وأخذ [١٦٣] الشعر منه، وأحلفه أنه لم يبق عنده منه شيء، فلما حصل عنده أحرقه بحضرته .

وذكر أبو أحمد يحيى بن علي النجم أن أبا علي بن يحيى كان الوساطة بينهما .

قال الصولي: وما عرفت من شعر إبراهيم في هذا المعنى شيئاً إلا أبياتاً؛ وجدتها بخط أبي ١٥ قال: أنشدني أخى لعمه في علي بن موسى من قصيدة :

كفى بفعل امرئ عالم على أهله عادلاً شاهداً^(٣)
أرى لهم طارفاً موقفاً ولا يشبه الطارف القالداً
يمن عليكم بأموالكم وتمطون من مائة واحداً

(١) حاشية الأصل : الباقراني : قرية بالعراق ، والنسبة إليها باقراني ؛ وثم أيضاً قرية يقال لها

باقرينا ؛ والنسبة إليها باقريني . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ظلمه » .

(٣) ديوانه : ١٧٢ ، ومن نسخة بحاشية الأصل : « على قومه عادلاً » .

فلا حمّد الله مستنصراً^(١) يكون لأعدائكم حامدا
فضلت قسيمك في قعد^(٢) كما فضل الوالد الوالد

قال الصولي : فنظرت في قوله :

* فضلت قسيمك في قعد *

٥ فوجدت علي بن موسى عليهما السلام والمأمون متساويين في قعد النسب، وهاشم التاسع من آبائهما جميعاً .

وروى الصولي أن منشداً أنشد إبراهيم بن العباس وهو في مجلسه في ديوان الضياع :
ربّما تكره النفوس من الأم ربه فرجة كحل العقال^(٣)
قال : فنكت بقلمه ساعة ثم قال :

١٠ واربّ نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها مخرج^(٤)
كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج
فمجب من جودة بديهته .

وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني
القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان الراوية قال : كنت بالأهواز أيام الواثق، وإبراهيم بن العباس
١٥ يلى ممونتها وخراجها، فوصفت له بالأدب فأمر بإحضاري، فلما دخلت عليه قرّب مجلسي
[١٦٣] وقال : تسلف^(٥) أنس المطاولة؛ فإن الاستمتاع لا يتم إلا به، فانبسطت وتساءلنا / عن الأشعار،
ظ
فأرأيت أحداً قط أعلم بالشعر منه، فقال لي : ما عندك في قول النابغة :

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : * فلا حمّد الله مستنصراً *

(٢) حاشية الأصل : « في قعد » تتعلق بـ « قسيمك » ، والقعد : الأقرب إلى الأب الأكبر ، وفلان أقعد
من فلان نسباً إذا كان أقرب إلى الأب الأكبر . (٣) البيت لأمية بن أبي الصلت ؛ وهو في شعراء
النصرانية : ٢٠٣ ، واللسان (فرج) . والفرجة ؛ بالفتح مصدر ؛ وبالضم اسم ، والرواية بالفتح .
(٤) ديوانه : ١٧١ . (٥) حاشية الأصل : تسلف ؛ أي خذ سلفاً ؛ يعني أنك ستنبسط
إلى بعد المطاولة ؛ فخذ ذلك سلفاً وانبط .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً تَرَى كُلَّ مَلَكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ^(١)
فَإِنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبٌ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبٌ

فقلت : أراد تفضيله على الملوك ، فقال : صدقت ، ولكن في الشعر خب^(٢) ، وهو أنه اعتذر إلى النعمان من ذهابه إلى آل جفنة إلى الشام ، ومدحه لهم ، وقال : إنما فعلت هذا لجفائك بي ، فإذا صلحت لي لم أريد غيرك ، كما أن من أضاعت له الشمس لم يحتج إلى ضوء الكواكب ؛ هـ
فأتى بعنيين : بهذا ، وبفضيله ، قال : فاستحسن ذلك منه .

وكان إبراهيم بن العباس من أصدق الناس لأحمد بن أبي دؤاد ، فعتب على ابنه أبي الوليد من شيء قدمه ، ومدح أباه وأحسن في التخلص كل الإحسان فقال :

عَفَّتْ مَسَاوِي تَبَدَّتْ مِنْكَ وَاضِحَةً عَلَى عَاسِينَ بَقَاها أَبوكَ لَكَ^(٣)
لَنْ تَقْدَمَ أَبْنَاءُ الْكِرَامِ بِهِ لَقَدْ تَقَدَّمَ أَبْنَاءُ اللَّثَامِ بِكَ ١٠
ولإبراهيم :

تَمَرُ الصَّبَا صَفْحًا بَسَا كَنَ ذِي الْغَضَا وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهَبَّ هُبُوبُهَا^(٤)
قَرِيبَةٌ عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا
تَطْلُعُ مِنْ نَفْسِي إِلَيْكَ نَوَازِعٌ عَوَارِفُ أَنْ الْيَأْسَ مِنْكَ نَصِيبُهَا
وأخذ هذا من قول ذي الرُّمَّة :

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبٍ بِهِ آلٌ مَيَّ هَاجَ شَوْقِي هُبُوبُهَا^(٥)
هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَيْثُ كَانَ حَبِيبُهَا
ولإبراهيم :

دَنَتْ بِأُنَاسٍ عَنْ تَنَاءِ زِيَارَةٍ وَشَطَّ بَلِيلِي عَنْ دَنَوٍ مَزَارُهَا^(٦)
وَإِنَّ مَقِيَّاتٍ بِنَقْطَعِ الْوَاوِي لِأَقْرَبُ مِنْ لَيْلَى وَهَاتِيكَ دَارُهَا ٢٠

(١) ديوانه : ١٣ . (٢) الحب : ما خفي واستند ، كالخبي . (٣) ديوانه : ١٦٢ .

(٤) ديوانه : ١٣٩ . (٥) ديوانه : ٦٥ - ٦٦ .

(٦) ديوانه : ١٤٥ ، وفي حاشية الأصل : « يروي البيتان لمحمد بن عبد الملك الزيات » .

[١٦٤]
و

/ وأخذ ذلك من قول النظار الفقمسي :

يَقُولُونَ هَذِي أُمُّ عَمْرٍو قَرِيبَةٌ دَنَتْ بِكَ أَرْضٌ نَحْوَهَا وَسَمَاءُ
أَلَّا إِنَّمَا بُعِدَ الْحَبِيبُ وَقُرْبُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يَوْصَلْ إِلَيْهِ سَوَاءُ

ووجدت بعض أهل الأدب يظن أن إبراهيم بن العباس سبق إلى هذا المعنى في قوله :

كُنْ كَيْفَ شِئْتَ وَأَنْتَى تَشَا وَأَبْرِقْ يَمِينًا وَأَرْعِدْ شِمَالًا^(١)
نَجَابِكَ لَوْ مُكَّ مَنْجَى الدُّبَابِ حَتَّى مَقَاذِيرِهِ أَنْ يُنَالَا^(٢)

٥

حتى رأيت مسلم بن الوليد قد سبق إلى هذا المعنى ، فأحسن غاية الإحسان فقال :

أَمَّا الْمَهْجَاءُ فَدَقَّ عِرْضُكَ دُونَهُ وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَابِلُ^(٣)
فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

(١) ديوانه : ١٦٣ . (٢) من نسخة بحاشية الأصل : « مقاذيره » .

(٣) ملحقات ديوانه : ٢٤٢ .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى حاكياً عن يوسف عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ ، [يوسف : ٢٣] .

فقال : إذا كانت المحبة عندكم هي الإرادة، فهذا تصريح من يوسف عليه السلام بإرادة المصيبة؛ لأن حبسه في السجن، وقطعه عن التصرف بمصيبة من فاعله ؛ وقبيح من المقدم عليه ؛ وهو في القبح يجري مجرى ما دُعِيَ إليه من الزنا . وقوله من بعد : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ يدل على أن امتناعه من القبيح ^(١) مشروط بمنعهن ^(٢) وصرفهن ^(٣) عن كيدته ؛ وهذا بخلاف مذهبيكم ، لأنكم تذهبون إلى أن ذلك لا يقع منه ؛ صرف النسوة عن كيدته، أو لم يصرفهن .

الجواب، قلنا: أما قوله : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ ففيه وجهان من التأويل :

أولهما أن المحبة متعلقة في ظاهر الكلام بما لا يصح في الحقيقة أن يكون محبوباً مراداً؛ لأن السجن إنما هو الجسم، والأجسام لا يجوز أن يريدوها؛ وإنما يريد الفعل فيها ، أو المتعلق بها ؛ والسجن نفسه ^(٢) ليس / بطاعة ولا معصية ، وإنما الأفعال فيه قد تكون طاعات [١٦٤]
ومعاصي بحسب الوجوه التي يقع عليها؛ وإدخال القوم يوسف عليه السلام الحبس ، أو إكراههم له على دخوله معصية منهم ؛ وكونه فيه وصبره على ملازمته ، والمشاق التي تناله باستيطانه ١٥
طاعة منه وقربة ، وقد علمنا أن ظالماً لو أكره مؤمناً على ملازمة بعض المواضع ، وترك

(١-١) د ، ف : « مشروط بمنعهن وصرفهن » .

(٢) حاشية ف (من نسخة) : « وحده » .

التصرف في غيره لكان فعلُ المكرِّ حسناً، وإن كان فعلُ المكرِّ قبيحاً. وهذه الجملة تبين
الآ ظاهرَ في الآية^(١) يقتضى ما عنده؛ وأنه لا بدَّ من تقدير محذوف يتعلق بالسَّجْن؛ وليس
لهم أن يقدِّروا ما يرجع إلى الحارِيس من الأفعال؛ إلّا ولنا أن تقدِّر ما يرجع إلى المحبوس؛
وإذا احتمل الكلام الأمرين، ودلَّ الدليل على أن النبيَّ عليه السلام لا يجوز أن يريد المعاصيَ
والقبائح اختصَّ المحذوف المقدَّر بما يرجع إليه مما ذكرناه، وذلك طاعة لا لومَ على مراده
ومُحبِّه.

فإن قيل: كيف يجوز أن يقول: ﴿السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، وهو لا يحبُّ
ما يدعوهُ جملةً؛ ومن شأن هذه اللفظة أن تدخلَ بين ما وقع^(٢) فيه اشتراكٌ في معناها؛ وإن
فُضِّلَ البعض على البعض؟

١٠ قلنا: قد تُستعمل هذه اللفظة في مثل هذا الموضع؛ وإن لم يكن في معناها اشتراكٌ على
الحقيقة، ألا ترى أن مَنْ خَيْرٌ بَيْنَ ما يحبه وما يكرهه جائزٌ أن يقول: هذا أحبُّ إليَّ
من هذا، وإن لم يجوز مبتدئاً أن يقول من غير أن يُخَيَّر: هذا أحبُّ إليَّ من هذا، إذا كان
لا يحبُّ أحدهما جملةً!

وإنما يسوغ ذلك على أحد الوجهين دون الآخر؛ من حيث كان الخيَّر بين الشيئين لا يخيَّر
١٥ بينهما إلّا وهما مرادان له، أو مما يصحُّ أن يريدَهما، فموضوع التخيير يقتضى ذلك،
وإن حصل فيما ليس بهذه صفته، والمجيب على^(٣) هذا متى قال: كذا أحبُّ إليَّ من
كذا كان مُجيباً على ما يقتضيه موضوع التخيير، وإن لم يكن الأمران يشتركان في تناول
محبته.

وما يقارب ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ﴾؛ [الفرقان ١٥]، ونحن
٢٠ نعلمُ ألاَّ خيرَ في العقاب؛ وإنما حَسُنَ ذلك لوقوعه موقعَ التوبيخ والتقريع على اختيار

(١) حاشية ف (من نسخة): « للآية » . (٢) حاشية ف (من نسخة): « يقع » .

(٣) حاشية ف (من نسخة): « من هذا » .

المعاصي على الطاعات ، وأنهم ما ركبوا المعاصي وآثروها على الطاعات إلا لاعتقادهم^(١) أن فيها خيرا / ونفعاً ، فقيل : أذلك خير على ما تظنون وتعتقدونه ، أم كذا وكذا ؟ [١٦٥]

وقد قال قوم في قوله تعالى : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ ﴾ إنما حسن ذلك لاشتراك الحالين في باب المنزلة ، وإن لم يشتركا في الخير والنفع ، كما قال تعالى : ﴿ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ ؛ [الفرقان : ٢٤] ، ومثل هذا يتأتى في قوله تعالى : ﴿ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ لأنَّ الأمرين - يعني المعصية ودخول السجن - مشتركان في أن لكل منهما داعياً ، وعليه باعثاً ، وإن لم يشتركا في تناول المحبة ، فجعل اشتراكهما في داعي المحبة اشتراكاً في المحبة نفسها وأجرى اللفظ على ذلك .

ومن قرأ هذه الآية بفتح السين فالتأويل أيضاً ما ذكرناه ؛ لأن «السَّجْنَ» المصدر ، فيحتمل أن يريد : أن سَجَنِي لهم نفسي ، وصبري على حبسهم أحبُّ إليَّ من مواجهة المعصية ؛ ولا يرجع ١٠ بالسجن إلى فعلهم بل إلى فعله .

والوجه الثاني أن يكون معنى ﴿ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ أي أهون عندي وأسهل على ؛ وهذا كما يقال لأحدنا في الأمرين يكرههما معا : إن فعلت كذا وإلا فعل بك كذا وكذا ؛ فيقول : بل كذا أحبُّ إليَّ ، أي بمعنى أسهل وأخف ، وإن كان لا يريد واحدا منهما ؛ وعلى هذا الجواب لا يمتنع أن يكون إنما عَنَى فعلهم به دون فعله ، لأنه لم يخبر عن نفسه بالمحبة التي هي الإرادة ؛ ١٥ وإنما وضع ﴿ أَحَبُّ ﴾ موضع أخف ، والمعصية قد تكون أهون وأخف من أخرى .

وأما قوله : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ فليس المعنى فيه على ما ظنَّه السائل ؛ بل المراد : متى لم تلطف لي مما يدعوني إلى مجانبة المعصية ، ويثني على تركها ومفارقتها صوبت ؛ وهذا منه عليه السلام على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى ، والتسليم لأمره ، وأنه لولا معونته ولطفه ما نجا من كيدهن ؛ ولا شبهة في أن النبي عليه السلام إنما يكون ٢٠

ممعصوماً من القبائح بمصصة الله تعالى له وبلطفه وتوفيقه .

فإن قيل: الظاهر خلاف ذلك لأنه قال: ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾^(١) فيجب أن يكون المراد ما يمنعه من الكيد ويرفعه ؛ والذي ذكرتموه من انصرافه عن المصيبة لا يقتضى ارتفاع الكيد والانصراف عنه .

[١٦٥] قلنا: معنى الكلام: وإلا تصرف/ عنى ضرر كيدهن والغرض به ؛ لأنهن إنما أُجْرَيْن بكيدهن إلى مساعدته لمن على المصيبة ، فإذا عُصِمَ منها ولُطِفَ له في الانصراف عنها؛ فكأن الكيد قد انصرف عنه ولم يقع به ، من حيث لم يقع ضرره وما أُجْرِيَ به إليه ، ولهذا يقال لمن أجرى بكلامه إلى غرض لم يقع: ما قلت شيئاً ، ولمن فعل مالا تأثير له: ما فعلت شيئاً ، وهذا بين بحمد الله ومنه .

تَأْوِيلُ خَبَرِ

١٠ إن سأل سائل عن تأويل الخبر الذي يرويه عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ قَالَ فِي خُطْبَةٍ طَوِيلَةٍ خَطَبَهَا: « مَنْ يَتَّبِعِ الشَّمْعَةَ يَشْمَعِ اللَّهُ بِهِ » .

والجواب ، إن الشَّمْعَةَ هِيَ الضَّحِكُ وَالْمُزَاحُ وَاللَّهَبُ ، يُقَالُ: شَمِعَ الرَّجُلُ يَشْمَعُ شُمُوعًا ، وامرأة شُمُوعٌ إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةَ الْمُزَاحِ وَالضَّحِكِ : قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ يَصِفُ الْحَمِيرَ :

بِقَرَارٍ قِيَمَانٍ سَقَاها وَأَبِلَ^(١) وَاهٍ فَاتَّجَمَ بَرُهَةً لَا يُقْلِعُ^(٢)

فَلَمَبْنٍ حِينًا يَمْتَلِجُنَ بَرُوضَةً^(٣) فَيَجِدُ حِينًا فِي الْعِلَاجِ وَيَشْمَعُ^(٤) ١٥

أَرَادَ أَنَّ هَذَا الْحِمَارَ الَّذِي وَصَفَ حَالَهُ مَعَ الْأُتُنِ ، وَأَنَّهُ مَعْمَنٌ فِي بَعْضِ الْقِيَمَانِ يُعَارِكُ هَذِهِ الْأُتُنَ .

(١) ديوان المذللين ١ : هـ . الفرار : مستقر الماء . والقيمان : مناقع الماء في حر الطين ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « سقاها ، أي سقى القيمان واه ؛ أي سحاب كثير المطر ؛ وهذه استعارة ؛ أي كأن هذا السحاب ضعيف فينهل عنه الماء انهلالاً . واتَّجَمَ : أقام برهة ؛ أي مدة من الزمان لا يقلع ولا يذهب » .
(٢) حاشية الأصل : « يروى ، « بروضه » ، والضمير للحمير الذي بصفه ، أو لفرار ، أو لتأويل » .

ومعنى « يَمْتَلِجُنْ » يُعْمَضُ بعضها بمضاً، ويتراخُنْ من النشاط فيجدُ الفحل معهنَّ مرةً، وأخرى يأخذ معهنَّ في اللَّب فيشَمْعُ، وفي يجدَ لفتان: يَجِدُ وَيُجِدُّ، والمفتوح لغة هذيل؛ ويقال فلان جادٌ مُجدٌ على اللّفتين معاً.

وقيل إن معنى يَشْمَعُ الحمار أنه يَتَشَمَّعُ، ثم يرفع رأسه فيكشُر عن أسنانه، فجعل ذلك بمنزلة الضحك، قال الشماخ:

ولو أنى أشاءُ كننتُ نفسى إلى لبّاتٍ بهكفةٍ شوع^(١)

وقال المتنخل الهذلي:

ولا والله نادى الحى ضيفى هدرنا بالمساءة والملاط^(٢)
سأبدؤهم بمشمة وأئننى بجهدى من طعامٍ أو بساطٍ

أراد بقوله « نادى الحى ضيفى » أى لا ينادونه، من النداء بالسوء، والمكروه ولا يتلقونه بما لا يؤثر / والملاط: من أغلظه واعتلط به؛ إذا خاصمه وشاغبه ووسمه بالشر؛ وأصله من [١٦٦] علاط البعير، وهو وسّم في عنقه.

وقيل إن معنى « نادى الحى » من النادى؛ أى لا يجالسونه بالمكروه والسوء.

ومعنى « سأبدؤهم بمشمة » أى بالعب وضحك، لأن ذلك من علامات الكرم والسرور

بالضيف، والقصد إلى إيناسه وبسطه، ومنه قول الآخر:

وربّ ضيفٍ طارق الحى سرى صادفَ زاداً وحديثاً ما اشتهى

إن الحديثَ جانبٌ من القرى^(٣)

وروى الأصمعى عن خاف الأحر قال: سُنَّةُ الأعراب أنهم إذا حدثوا الرجل الغريبَ

(١) ديوانه: ١٧؛ وروايته: « هيكلة »؛ وهى الضغمة. وكننت نفسى: سترتها. ولبات: جملة؛ وهى موضع الفلاة؛ والبهكفة: الفضة الحسنة الخلق.

(٢) ديوان الهذليين: ٢: ٢١. (٣) الأبيات للشماخ يقولها فى عبد الله بن جعفر، وقبلها:

إنك يا بن جعفر نعم الفتى ونعم مأوى طارقٍ إذا أتى

وانظر الأغاني ٩: ١٦٨ (طبع دار الكتب المصرية).

وهشوا إليه ومازحوه أيقن بالقرى ، وإذا أعرضوا عنه عرف الحرمان .

ومعنى : « أثنى * بجهدي من طعام أو بساط » ، أى أتبع ذلك بهذا .

ومعنى الخبر على هذا أن مَنْ كان من شأنه العبث بالناس والاستهزاء بهم ، والضحك منهم أصاره الله تعالى إلى حالة يُعبث به فيها ، ويستَهزأ منه .

• ويقارب هذا الحديث من وجه حديث آخر ؛ وهو ما روى عن النبي صلى الله عليه وآله : « مَنْ يُسَمِّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ يُسَمِّعَ اللَّهُ بِهِ » ؛ والمعنى : مَنْ يرأى ^(١) بأعماله ويظهرها تقرباً إلى الناس واتخاذاً للمنازل عندهم ؛ يشهره ^(٢) الله بالرياء ويفضحه ويهتكه .

ويمكن أيضاً فى الخبر الأول وجه آخر لم يذكر فيه ؛ وهو أن من عادة العرب أن يسموا الجزاء على الشيء باسمه ؛ ولذلك نظائر فى القرآن وأشعار العرب كثيرة مشهورة ، فلا يُنكر ١٠ أن يكون المعنى : مَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُوَ بالناس ، والاستهزاء بهم يعاقبه الله تعالى على ذلك ويجازيه ؛ فسمى الجزاء على الفعل باسمه ؛ وهذا الوجه أيضاً ممكن فى الخبر الثانى .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخى الأصمعى عن عمه قال : إني لفي سوق ضريبة ^(٣) ، وقد نزلت على رجل من بني كلاب كان متزوجاً بالبصرة ، وكان له ابن بضريبة ، إذ أقبلت عجوز على ناقة لها ، حسنة اليزة ، فيها بقايا جمال ، فأناخت / ١٥ وعقلت ناقها ، وأقبلت تتوكأ على محجن ^(٤) لها فجلست قريباً منّا ، وقالت : هل من منشد أفقلت للكلابى : أيحضر لك شيء ؟ قال : لا ، قال : فأنشدتها شعر البشر بن عبد الرحمن الأنصارى :
وَقَصِيرَةَ الْأَيَّامِ وَدَّ جَلِيسُهَا لَوْ بَاعَ مَجْلِسُهَا بِفَقْدِ حَمِيمٍ ^(٥)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « من براء » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « يشهره » ، بالجزم . (٣) ضريبة : قرية توجد في طريق مكة من البصرة . (٤) المحجن : عصا معوجة معقفة الرأس ؛ في رأسها حديدة كالغلق .

(٥) الأبيات في الحماسة — بشرح التبريزي ٣ : ٣٠١ ، وأمالى القالى ١ : ٢٠٣ ، من غير عزو مع اختلاف في الترتيب . والبيت الأول منها في اللسان (ردع) منسوب إلى قيس بن معاذ مجنون بنى عامر . وفي الحماسة : « لو قال مجلسها » ، وفي أمالى القالى : « لو دام مجلسها » .

(١) مِنْ مُحْذِيَّاتِ أَخِي الْهُوَيِّ غَصَصَ الْجَوَى^(١) بدلالٍ غانيةٍ ومُؤَلَّةٍ ريم
صَفْرَاءُ مِنْ بَقَرِ الْجَوَاءِ كَأَنَّمَا خَفَرُ الْحَيَاءِ بِهَا رُدَاعُ سَقِيمٍ^(٢)
قال : فجئت على رُكْبَتَيْهَا وأقبلت تَحْرِشُ^(٣) الأرضَ بِمَحْجَتِهَا ، وأنشأت تقول^(٤) :
قَفَى يَا أَمِيمَ الْقَلْبِ^(٥) تَقْرَأُ تَحِيَّةً ونَشْكُ الْهُوَيِّ ، ثُمَّ أَفْعَلِي مَا بَدَأَ لَكَ^(٦)
فَلَوْ قُلْتِ : طَأْفِي النَّارِ أَعْلَمُ أَنَّهُ^(٧) هَوَى لَكَ ، أَوْ مُدْنٍ لَنَا مِنْ وِصَالِكَ •
لَقَدَّمْتُ رِجْلِي نَحْوَهَا فَوَطِئْتُهَا^(٨) هُدَى مِنْكَ لِي ، أَوْ ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَ^(٩)
(١٠) سَلَى الْبَانَةَ الْعَلِيَّاءُ مِنَ الْأَجْرَعِ^(١٠) الَّذِي بِهِ الْبَانُ : (١١) أَهْلُ حَيْتٍ أَطْلَالُ دَارِكَ^(١١)
وَهَلْ قُتُّ فِي أَطْلَالِهَا عَشِيَّةً^(١٢) (١٢) مَقَامُ سَقِيمِ الْقَلْبِ^(١٢) ، وَاخْتَرْتُ ذَلِكَ

(١-١) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف :

* مِنْ مُحْذِيَّاتِ أَخِي الْأَسَى غَصَصَ الْهُوَيِّ *

(٢) الْجَوَاءُ : مَوْضِعُ بَعِثَاتٍ . (٣) تَحْرِشُ : تَقْرُبُ عَلَيْهَا ؛ مِنْ حَرَشَ الضَّبَّ ، وَالْحَرَشُ

كَالْحَرَشِ وَهُوَ الْحَدَشُ .

(٤) الْآيَاتُ لِابْنِ الدِّمِينَةِ ؛ دِيْوَانُهُ : ١٥ ، وَأُمَالِي الرَّجَاجِيِّ ١١٠ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ ، وَأُمَالِي
الْقَالِي ٢ : ٣٣ عَنْ ابْنِ دَرِيدٍ ، وَمَعَاهِدُ التَّنْصِيصِ ١ : ١٥٩ ؛ وَهِيَ أَيْضًا فِي الْحَمَاسَةِ — بِشَرْحِ التَّبْرِيزِيِّ
٢٦٣ : ٣ ، مِنْ غَيْرِ هَزْوٍ . (٥) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ : « أَضَانَهَا إِلَى الْقَلْبِ كَرَامَةً لَهَا وَإِعْجَابًا بِهَا » .
(٦) فِي حَاشِيَتِي الْأَصْلِ ف : « الْأَحْسَنُ أَنْ يُقَالَ : « بِدَالِكَ » بِكَسْرِ اللَّامِ لِتَتَوَازَنَ الْقَوَافِي ،
وَالْمَلَّةُ فِيهِ مُجَاوِرَةٌ كَسْرَةَ السَّكَافِ كَقِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ : (مِمَّا خَطِيطًا تُهْمُ) ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى : (عَتِيًّا) ، وَ(صَلِيًّا) .
(٧) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ نَسْخَةٍ) : « أَنَّهَا » .

(٨ - ٨) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف :

* سُرُورًا لِأَنِّي قَدْ خَطَرْتُ بِبِأَلِّكَ *

(٩ - ٩) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « سَلَى الْبَانَةَ الْغِيَاءَ بِالْأَجْرَعِ » ، وَهِيَ رَوَايَةُ

الْحَمَاسَةِ . وَالْغِيَاءُ : الشَّجَرَةُ الْعُظْمَى الْوَاسِعَةُ الظِّلِّ . وَالْأَجْرَعُ : السَّهْلُ الْمُخْتَلَطُ بِالرَّمْلِ .

(١٠ - ١٠) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَتِي الْأَصْلِ ، ف : « هَلْ حَيْتٍ أَطْلَالُ ضَالِكٍ » ، وَالضَّالُّ : شَجَرٌ .

(١١ - ١١) مِنْ نَسْخَةِ بِحَاشِيَةِ الْأَصْلِ ، ف : « قِيَامُ سَقِيمِ الْبَالِ » .

لِيَهْنِكَ ^(١) إِمْسَاكِ بَكْفَى عَلَى الْحَشَا وَرَقْرَاقُ عَيْنِي ^(٢) رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكَ ^(٣)

قال الأصمعي: فأظلمت والله على الدنيا بحلاوة منطقها، وفصاحة لهجتها؛ فدنوت منها

فقلت: نَشَدْتُكَ اللهُ لَمَّا زُوِّدْتَنِي ^(٤) من هذا! فرأيت الضحك في عينها، وأنشدت:

وَمُسْتَخْفِيَاتٍ لَيْسَ يَخْفَيْنَ زُرْنَا يُسْحِنُ ^(٥) أَذْيَالُ الصَّبَابَةِ وَالشَّكْلِ ^(٦)

جَمَعْنَ ^(٧) الْهَوَى حَتَّى إِذَا مَا مَلَكَتْهُ نَزَعْنَ، وَقَدْ أَكْثَرْنَ فِينَا مِنَ الْقَتْلِ

مَرِيضَاتٍ رَجَعَ الْقَوْلُ ^(٨) خُرْسٍ عَنِ الْخَنَا

تَأَلَّفْنَ أَهْوَاءَ الْقُلُوبِ بَلَا بَذَلٍ

مَوَارِقُ مِنْ خَلِّ الْحُبِّ، عَوَاطِفُ يَخْتَلِ ذَوِي الْأَلْبَابِ بِالْجِدِّ وَالْهَزْلِ ^(٩)

يُعَنِّفُنِي الْمَذَالُ فِيهِنَّ، وَالْهَوَى يُحَذِّرُنِي مِنْ أَنْ أُطِيعَ ذَوِي الْعَذْلِ

١٠ أما قول الأنصاري «وقصيرة الأيام» فأراد بذلك أن السرور يتكامل بحضورها لحسنها

[١٦٧] / وطيب حديثها فتقصر أيام جليسيها، لأن أيام السرور موصوفة بالقصر.

ويمكن أن يريد بقصيرة الأيام أيضا حدائة سنّها وقُرْبَ عهد مولدها؛ وإن كان الأول

أشبه بما أتى في آخر البيت.

(١) حاشية الأصل (من نسخة): «ليهنك»؛ وهي رواية الحامسة.

(٢) حاشية الأصل (من نسخة): «ورقراق دمع».

(٣) بعد هذا البيت في ف:

لَنْ سَاءَ لِي أَنْ رِنَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ مَرَنِي أَنِّي خَطَرْتُ بِيَالِكَ

وهو أيضا في حاشية الأصل

(٤) حاشية الأصل (من نسخة): «زودتني» ومن نسخة أخرى: «زدتني».

(٥) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «ويسجن».

(٦) الأبيات في أمالي الغالي ٢: ٢٨٧ غير منسوبة (٧) من نسخة بحاشيتي الأصل: الأصل:

(٨) من نسخة بحاشيتي الأصل، ف: «الطرف».

(٩) في حاشيتي الأصل، ف: «أى لا يختلن الحب، بل يختلن ذوى الألباب».

ومعنى:

* لوباعٌ مجلسها بفقد حمير *

أى ابتاعه ، وهذا اللفظ من الأضداد؛ لأنه يستعمل فى البائع والمشتري معاً ، قال الفراء:
سمعت أعرابيا يقول : بَعْتُ لى تمرّاً بدرهم ، أى اشترى لى تمرّاً بدرهم ، وقال الشاعر :

فَيَا عَزُّ لَيْتَ النَّأْيَ إِذْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ بَاعَ الْوُدَّ لِي مِنْكَ تَاجِرٌ ^(١)

أى ابتاع .

وقوله : « من مُحْذِيَاتِ أَخِي الْمَوَى » أى من مُعْطِيَاتِ ، يقال : أَحْذَيْتَ الرَّجُلَ مِنَ
الْعُطِيَةِ ^(٢) وَالْغَنِيمَةِ أَحْذِيهِ إِذَا أَعْطَيْتَهُ ، وَالاسْمُ الْحَذِيَّةُ وَالْحِذْوَةُ وَالْحُذْيَا ؛ كُلُّ ذَلِكَ الْعُطِيَةِ .
وقوله :

١٠ * كَأَنَّمَا خَفَرُ الْحَيَاءِ بِهَا رُدَّاعٌ سَقِيمٌ *

فَالرُّدَّاعُ هُوَ الْوَجَعُ فِي الْجَسَدِ ؛ فَكَأَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهَا مَنقَبُضَةٌ مَنكَسِرَةٌ مِنَ الْحَيَاءِ كَالسَّقِيمِ ،
أَوْ يَرِيدُ تَغْيِيرَ لَوْنِهَا وَصَفَرَتَهَا ^(٣) كَمَا يَتَغَيَّرُ لَوْنُ السَّقِيمِ ؛ وَيَجْرِي ذَلِكَ مَجْرَى قَوْلِ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةِ :
وَمُخْرِقِي عَنْهُ التَّمِيمُ نَحَالُهُ بَيْنَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا ^(٤)

أخبرنا الرزبانى قال حدثنا أبو عبد الله الحكيمى قال حدثنى ميمون بن هارون الكاتب

قال : حدثنا ابن أخى الأصمعى عن عمه قال : لقيت أعرابيا بالبادية فاسترشدته إلى مكان ، ١٥
فأرشدنى وأنشدنى :

(١) البيت لكثير ؛ وفى فى ديوانه ١ : ٩١ .

(٢) ساقطة من م .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « صفرته » . (٤) من أبيات فى الحامسة - بشرح التبريزى

٤ : ١٥٥ ؛ والعينى ٢ : ٤٧ ، وأما فى الفالى ١ : ٢٤٨ وفى م بعد هذا البيت :

حَتَّى إِذَا خَفَقَ اللَّوَاءُ رَأَيْتَهُ نَحَتَ اللَّوَاءُ عَلَى الْخَلِيسِ زَعِيماً

لَيْسَ الْعَمَى طُولُ السُّؤَالِ وَإِنَّمَا تَعَامُ الْعَمَى طُولُ السُّكُوتِ عَلَى الْجَهْلِ
 ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْبَصَرَةِ فَسَكَنْتُ بِهَا حِينًا ، ثُمَّ قَدِمْتُ الْبَادِيَةَ ، فَإِذَا بِالْأَعْرَابِ جَالِسًا
 بَيْنَ ظَهْرَانِي قَوْمٌ ؛ وَهُوَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ ، فَمَا رَأَيْتُ قَضِيَّةً أَخْطَأَتْ قَضِيَّةَ الصَّالِحِينَ مِنْ قَضِيَّتِهِ ؛
 فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : بِرَحْمَتِكَ يَا اللَّهُ أَمَا مِنْ رِشْوَةٍ ؟ أَمَا مِنْ هَدِيَّةٍ ؟ أَمَا مِنْ صِلَةٍ ؟ فَقَالَ : لَا إِذَا
 جَاءَ هَذَا ذَهَبَ التَّوْفِيقُ ؛ فَسَكُوتُ إِلَيْهِ مَا أَتَى مِنْ عَذْلٍ حَلِيلَةٍ لِي إِيَّايَ فِي طَلَبِ الْمِيشَةِ ،
 فَقَالَ : لَسْتُ فِيهَا بِأَوْحَدٍ ، وَإِنِّي لَشَرِيكَكَ ، وَلَقَدْ قُلْتُ فِي ذَلِكَ شِعْرًا ، فَقُلْتُ : أَنْشُدْنِي ،
 فَأَنْشُدْنِي :

[١٦٧] / بَاتَتْ تُعِيرُنِي الْإِقْتَارَ وَالْعَدَمَا
 حُنْفُ لِرَأْيِكَ مَا الْأَرْزَاقُ مِنْ جَلْدٍ ،
 ١٠ يَا أُمَّةَ اللَّهِ إِنِّي لَمْ أَدْعِ طَلَبًا
 وَكُلُّ (١) ذَلِكَ بِالْإِجْهَالِ فِي طَلَبِ
 لَوْ كَانَ مِنْ جَلْدٍ ذَا الْمَالِ أَوْ أَدَبِ
 أَرْضِي مِنَ الْمِيشَةِ مَا لَمْ تُخَوِّجِي مَعَهُ
 وَاسْتَشْمَرِي الصَّبْرَ عَلَى اللَّهِ خَالِقِنَا
 ١٥ لَا تُخَوِّجِينِي (٢) إِلَى مَا لَوْ بَدَّلْتُ لَهُ
 بِاللَّهِ سَرَّكَ أَنْ اللَّهُ خَوَّلَنِي
 مَا سَرَّنِي أَنَّنِي خَوَّلْتُ ذَاكَ وَلَا
 وَأَنْنِي لَمْ أُحْزَ (٣) عَقْلًا وَلَا أَدَبًا
 فَعُسْرَةُ الْمَرْءِ (٤) أُخْرَى فِي مَعَاشِكَ مِنْ

لَمَّا رَأَتْ لِأَخِيهَا الْمَالَ وَالْخَدَمَا
 وَلَا مِنْ الْعَجْزِ ؛ بَلْ مَقْسُومَةٌ قِسْمَا
 لِلرِّزْقِ - قَدْ تَعَلَّمِينَ - الشَّرْقَ وَالشَّامَا
 لَمْ أُرِدْ عِرْضًا ، وَلَمْ أَسْفِكْ لِيذَاكَ دَمًا
 لَكُنْتُ أَكْثَرَ مِنْ نَحْلِ الْقُرَى نَمَا
 أَنْ تَفْتَحِي لِسُؤَالِ الْأَغْنِيَاءِ فَمَا
 يَوْمًا سَيَكْشِفُ عَنَّا الْفَقْرَ وَالْعَدَمَا (٥)
 نَفْسِي لِأَغْفَبِكَ التَّهْمَامَ وَالنَّدَمَا
 مَا كَانَ خَوَّلَهُ الْأَعْرَابَ وَالْمَجَمَا
 إِلَّا أَقُولَ لِبَاغِي حَاجَةٍ نَعْمَا
 وَلَمْ أَرِثْ وَالِدِي بَحْدًا وَلَا كَرَمًا
 أَمْرٌ يَجْرُ عَالِيكَ الْهَمُّ وَالْأَلَمَا

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فكل » .
 (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « لا تخوِّجني » مع نون التوكيد
 (٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « لم أفد عقلا » .
 (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « ففسرة المال » .

قال : فوالله ما أنشدتها حتى حلفت ألا تمديني أبداً .

حدثنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه قال : رأيت بقاء شاباً من بني عامر ؛ فأرأيت بدويًا أفصح منه ، ولا أعرف ؛ فوالله لكانه شواظٌ يتلفي ، فاستنشدته فأنشدني :

فَلَمْ أَنْسَكُمْ يَوْمَ اللّٰوِي إِذْ تَمَرَّضْتُ لَنَا أُمُّ طِفْلٍ خَاذِلًا قَدْ تَخَلَّتْ^(١) .
وَقَالَتْ سَأُنْسِيكَ الْعَشِيَّةَ مَا مَضَى وَأَصْرَفُ مِنْكَ النَّفْسَ عَمَّا أُجِنْتُ^(٢) .
فَمَا^(٣) فَعَلْتُ - لَا وَالَّذِي أَنَا عَبْدُهُ - عَلَى مَابَدَا مِنْ حُسْنِهَا إِذْ أَدَلْتُ
أَبْتُ سَابِقَاتُ الْحُبِّ إِلَّا مَقَرَّهَا إِلَيْكَ ، وَمَا تُثْنِي إِذَا مَا اسْتَقَرَّتِ
هَوَاكِ الَّذِي فِي النَّفْسِ أَمْسَى دَخِيلُهَا عَلَيْهِ انْطَوَتْ أَحْشَاؤُهَا وَاسْتَمَرَّتِ
وَأُنْشِدَنِي أَيْضًا :

دِيَارُ اللَّيْلِ طَرَقَتْكَ وَهَنًا بَرِيًّا رَوْضَةً وَذَكَارٍ رَنْدٍ^(٤)
تَسَائِلُنِي وَأَهْمَابِي هُجُودُ وَتُثْنِي عِطْفَهَا مِنْ غَيْرِ صَدِّ
فَلَمَّا أَنْ شَكَّوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ : فَإِنِّي فَوْقَ وَجْدِكَ كَانَ وَجْدِي
وَلَكِنْ حَالِ دُونِكَ ذُو شَذَاةٍ أُسْرُ بِفَقْدِهِ وَيَهْرُ فَقْدِي^(٥)

وبهذا الإسناد عن الأصمعي قال : قدمت إلى أعرابي يقال له إسماعيل بن عمار ، وإذا هو يفتل أصابعه ويتلف ، فقلت له : علامَ تتلف ؟ فأنشأ يقول :

عَيْنَايَ مَشْهُوَتَانِ وَيُحْمَمَا ! وَالْقَلْبُ حَيْرَانٌ^(٦) مُبْتَلَى بِهِمَا

(١) الخاذل من الظباء : التي تتخلف عن صواحبها . (٢) حاشية الأصل : « أي أصرف نفسي عنك مما أجنته » . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا فعلت » .
(٤) الدهن : الليل ساعة يدبر . والرند : شجر طيب الرائحة .
(٥) الشذاة : الحدة ، ويهر : يكره . (٦) من نسخة بمحاشيني الأصل ، ف : « حيران » .

عَرَفْتَاهُ الْهُوَى بِظُلْمِهِمَا يَأْتِنِي قَبْلَهَا عَدِمَتْهُمَا
هُمَا إِلَى الْحَيْنِ قَادَتَا وَهْمَا دَلَّ عَلَى مَا جَنُّ دَمَمَهُمَا
سَاعَدُرُ الْقَلْبَ فِي هَوَاهُ فَمَا سَبَبَ هَذَا الْبَلَاءَ غَيْرُهُمَا

وبهذا^(١) الإسناد عن الأصمعي قال : نزلت ذات ليلة في وادي بني المنبر ، وهو إذ ذاك
هـ ممان^(٢) بأهله - أي أهل - فإذا فتية يريدون البصرة ؛ فأحببتُ صحبتهم ، فأقمتُ ليلتي تلك
عليهم ؛ وإني لو صِبتُ محموم ؛ أخاف ألا أستميك على راحلتي ؛ فلما أقاموا لي رحلوا
أيقظوني ؛ فلما رأوا حالي رحلوا وحلوني ؛ وركب أحدهم ورائي يمسكني ؛ فلما أمتعن السير
تنادوا ألا فتى يحدو بنا أو ينشدنا ! فإذا منشد في سواد الليل بصوتٍ ندر حزين ينشد :

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ بَانُوا فَلَمْ أُمْتَ خُفَاتَا عَلَى آثَارِهِمْ لَصَبُورُ
غَدَاةَ الْمُنْقَى إِذْ رَمَيْتُ بِنَظَرَةٍ وَنَحْنُ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ^(٣)
فَقُلْتُ لِقَلْبِي حِينَ خَفَّ بِهِ الْهُوَى وَكَادَ مِنَ الْوَجْدِ الْمُنَّ يَطِيرُ^(٤)
فَهَذَا وَلَمَّا تَمَضَّ لِلْبَيْنِ لَيْلَةٌ فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْهِ شُهُورُ
/ وَأَصْبَحَ أَغْلَامُ الْأُحِبَّةِ دُونَهَا مِنْ الْأَرْضِ غَوْلٌ نَارِحٌ وَمَسِيرُ
وَأَصْبَحْتُ نَجْدِي الْهُوَى مُثَمَّ الثَّوَى أَزِيدُ اشْتِيَاقًا أَنْ يَحِينَ بَعِيرُ
عَسَى اللَّهُ بَعْدَ النَّأْيِ أَنْ يُشْفِيَ النَّوَى وَيُجْمَعَ شَمْلٌ بَعْدَهَا وَسُرُورُ

قال : فسكنتُ والله الحمى عني ، حتى ما أحسُّ بها ، فقلت لرفيقي : انزل رحمك الله
إلى راحاتك ، فإني متماسك ؛ وجزاك الله عن حسن الصُّعْبَةِ خيراً .

(١) الخبر والأبيات في حاشية ابن الشجري ١٦١-١٦٢ بروايته عن ابن قدامة عن المروزي ، وهو
أيضا في أمالي القالي ٢ : ٢٦٧ بروايته عن ابن دريد عن عبد الرحمن بن عمة .
(٢) في ابن الشجري : « ممان أهله » . (٣) التقى : موضع بين أحد والمدينة .
(٤) المتن : اللازم المقيم ، وفي س : « المبر » .

عَرَفْتَاهُ الْهُوَى بِظُلْمِهِمَا يَأْتِنِي قَبْلَهَا عَدِمَتْهُمَا
هُمَا إِلَى الْحَيْنِ قَادَتَا وَهْمَا دَلَّ عَلَى مَا جَنُّ دَمْعُهُمَا
سَاعَدُرُ الْقَلْبَ فِي هَوَاهُ فَمَا سَبَبَ هَذَا الْبَلَاءَ غَيْرُهُمَا

وبهذا^(١) الإسناد عن الأصمعي قال : نزلت ذات ليلة في وادي بني المنبر ، وهو إذ ذاك
هـ ممان^(٢) بأهله - أي أهل - فإذا فتية يريدون البصرة ؛ فأحببتُ صحبتهم ، فأقمتُ ليلتي تلك
عليهم ؛ وإني لو صِبتُ محموم ؛ أخاف ألا أستميك على راحلتي ؛ فلما أقاموا لي رحلوا
أيقظوني ؛ فلما رأوا حالي رحلوا وحلوني ؛ وركب أحدهم ورائي يمسكني ؛ فلما أمتعن السير
تنادوا ألا فتى يحدو بنا أو ينشدنا ! فإذا منشد في سواد الليل بصوتٍ ندر حزين ينشد :

لَعَمْرُكَ إِنِّي يَوْمَ بَانُوا فَلَمْ أُمْتَ خُفَاتَا عَلَى آثَارِهِمْ لَصَبُورُ
غَدَاةَ الْمُنْقَى إِذْ رَمَيْتُ بِنَظْرَةٍ وَنَحْنُ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ^(٣)
فَقُلْتُ لِقَلْبِي حِينَ خَفَّ بِهِ الْهُوَى وَكَادَ مِنَ الْوَجْدِ الْعَيْنُ يَطِيرُ^(٤)
فَهَذَا وَلَمَّا تَمَضَى لِلْبَيْنِ لَيْلَةٌ فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْهِ شُهُورُ
/ وَأَصْبَحَ أَغْلَامُ الْأُحِبَّةِ دُونَهَا مِنْ الْأَرْضِ غَوْلٌ نَارِحٌ وَمَسِيرُ
وَأَصْبَحْتُ نَجْدِي الْهُوَى مُثَمَّ الثَّوَى أَزِيدُ اشْتِيَاقًا أَنْ يَحِينَ بَعِيرُ
عَسَى اللَّهُ بَعْدَ النَّأْيِ أَنْ يُشْفِيَ النَّوَى وَيُجْمَعَ شَمْلٌ بَعْدَهَا وَسُرُورُ

قال : فسكنتُ والله الحمى عني ، حتى ما أحسُّ بها ، فقلت لرفيقي : انزل رحمك الله
إلى راحاتك ، فإني متماسك ؛ وجزاك الله عن حسن الصُّعْبَةِ خيراً .

(١) الخبر والأبيات في حاشية ابن الشجري ١٦١-١٦٢ بروايته عن ابن قدامة عن المروزي ، وهو
أيضا في أمالي القالي ٢ : ٢٦٧ بروايته عن ابن دريد عن عبد الرحمن بن عمة .
(٢) في ابن الشجري : « ممان أهله » . (٣) التقى : موضع بين أحد والمدينة .
(٤) المتن : اللازم المقيم ، وفي س : « المبر » .

أخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد الذحوي قال حدثني بعض أصحابنا عن الأصمعي قال: كان^(١) بالبصرة أعرابي من بني تميم؛ يتطفل على الناس، فعاتبته على ذلك فقال: والله ما بنيت المنازل إلا لتدخل، ولا وضيع الطعام إلا ليؤكل؛ وما قدمت هدية فأتوقع رسولاً؛ وما أكره أن أكون ثقلاً ثقيلاً على من أراه شحيحاً بخيلاً؛ أنقح عليه مستأنساً، فأضحك إن رأيته عابساً، فأكل برغمه، وأدعاه بغمه؛ وما اخترق اللهوات طعاماً أطيب من طعام لا ينفق فيه درهم، ولا يستنى إليه خادم، ثم أنشد:

كُلُّ يَوْمٍ أَدُورُ فِي عَرَصَةِ الدَّهْرِ يَأْتِي الْقُتَارَ شَمَّ الدُّنَابِ^(٢)
فَإِذَا مَا رَأَيْتُ آثَارَ عُرْسٍ أَوْ خِثَانٍ أَوْ مَجْمَعِ الْأَصْحَابِ^(٣)
لَمْ أَرَوْعَ دُونَ التَّقَحُّمِ لَا أَرُ هَبْ دَفْعاً وَلَكَزَةَ الْبَوَابِ^(٤)
مُسْتَهِيناً بِمَا هَجَمْتُ عَلَيْهِ فَيَرِ مُسْتَأْذِنٍ ، وَلَا هَيَّابِ
فَتَرَانِي أَلْفٌ بِالرَّغْمِ مِنْهُمْ كُلُّ مَا قَدَمَهُ لَفَّ الْعُقَابِ^(٥)
ذَلِكَ أَذْنِي مِنَ التَّكْلِيفِ وَالْفُرْ مِ وَغِيظِ الْبَقَالِ وَالْقَصَابِ^(٦)

(١) الخبر في التطفيل للخطيب البغدادي ٧٣ - ٧٤ يرويه عن الحسن بن أبي القاسم عن أبي الفرج من جعفر بن قدامة عن أبي هفان .

(٢) في التطفيل: « عرصة الباب » ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف: « شم الدباب » .

(٣) في التطفيل: « أو دعوة لمصاحب » . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف: « لم أروع » ، ورواية الخطيب في هذا البيت وثاليه:

لَمْ أَعْرِجْ دُونَ التَّقَحُّمِ فِيهَا غَيْرِ مُسْتَأْذِنٍ وَلَا هَيَّابِ
مُسْتَخْفًا بِمَنْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ لَسْتُ أَخْشَى تَجَهُّمِ الْبَوَابِ
(٥) رواية البيت في حاشيتي الأصل (من نسخة):

فَتَرَانِي أَلْفٌ مَا قَدَّمَ الْقَوُ مُ عَلَى رَغْمِهِمْ كَلَفَ الْعُقَابِ
(٦) زاد الخطيب بعد هذا البيت:

قَابِلٌ إِنْ جَرَى عَلَى امْتِهَانٍ فِي سَبِيلِ الْحُلُوءِ وَالْجُودَابِ

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ، فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٦٩﴾ [هود: ٤٥، ٤٦] .

[١٦٩] فقال: ظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ يقتضى تكذيب / قوله: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ والنبي لا يجوزُ عليه الكذب ، فما الوجه في ذلك ؟ وكيف يصح أن يخبر عن ابنه بأنه ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾؟ وما المراد به ؟
الجواب ، قلنا: في هذه الآية وجوه :

أولها أن نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول نفى النسب ، وإنما نفى أن يكون من أهله الذين وعده الله بنجاتهم ؛ لأنه عز وجل كان وعدنوحاً عليه السلام بأن ينجي أهله ، ألا ترى إلى قوله: ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [هود: ٤٠] ، فاستثنى تعالى من أهله من أراد إهلاكه بالفرق! وبدل عليه أيضاً قول نوح: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ ، وعلى هذا الوجه يتطابق الأمران ^(١) ولا يتنافيان ؛ وقد روى هذا التأويل بعينه عن ابن عباس وجماعة من المفسرين .

١٥ والجواب الثاني ، أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أى أنه ليس على دينك ؛ وأراد تعالى أنه كان كافراً مخالفاً لأبيه ؛ فكان كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام

أهله؛ ويشهد لهذا التأويل قوله عز وجل على طريق التعليل: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾، فبين أنه إنما خرج عن أحكام أهله لكفره وسبى عمله، وقد روى هذا التأويل أيضا عن جماعة من المفسرين؛ وحكى عن ابن جريج أنه سئل عن ابن نوح فسبح طويلاً ثم قال لا إله إلا الله! يقول الله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾؛ وتقول: ليس منه! ولكنه خالفه في العمل فليس منه من لم يؤمن.

وروى عن عكرمة أنه قال: كان ابنه ولكن كان مخالفاً له في النية والعمل؛ فمن ثم قيل: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾.

والوجه الثالث أنه لم يكن ابنه على الحقيقة؛ وإنما ولد على فراشه، فقال عليه السلام: إنه ابني على ظاهر الأمر؛ فأعلمه الله أن الأمر بخلاف الظاهر، ونبهه على خيانة امرأته؛ وليس في ذلك تكذيب لخبره، لأنه إنما أخبر عن ظنه، وعمّا يقتضيه الحكم الشرعي، فأخبره الله تعالى بالغيب الذي لا يعلمه غيره؛ وقد روى هذا الوجه عن الحسن وغيره.

وروى قتادة عن الحسن قال: كنت عنده؛ فقال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ لعمرك الله ما هو ابنه، قال: قلت: يا أبا سعيد؛ يقول الله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ وتقول: ليس بابنه! قال: أفرأيت قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾؟ قال: قلت معناه: / ليس من أهلك الذين [١٦٩] وعدت أنك أن أنجيهم معك، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه، فقال: أهل الكتاب يكذبون؛ ١٥ وروى عن مجاهد وابن جريج مثل ذلك.

وهذا الوجه يبعد إذ فيه منافاة للقرآن؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾، فأطلق عليه اسم البنوة؛ ولأنه أيضا استثناء من جملة أهله بقوله تعالى: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾؛ ولأن الأنبياء عليهم السلام يجب أن يُنزهوا عن مثل هذه الحال؛ لأنها تعرّ وتشين وتغض من القدر؛ وقد جنب الله تعالى أنبياءه عليهم السلام ما هو دون ذلك؛ تعظيماً لهم وتوقيراً، ونفياً لكل ما ينفر عن القبول منهم؛ وقد كحل ابن عباس ظهور ما ذكرناه من الدلالة على أن تأويل قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط: ﴿فَخَا تَاهُمَا﴾ على أن الخيانة

لم تكن منهما بالزنا، بل كانت إحداهما تخبر الناس بأنه مجنون ؛ والأخرى تدل على الأضياف؛
والمعتمد في تأويل الآية هو الوجهان المتقدمان .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ فالقراءه المشهوره بالرفع ، وقد روى عن
جماعة من المتقدمين أنهم قرءوا : ﴿ إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ ﴾ بنصب اللام وكسر الميم
ونصب « غير » ؛ ولكل وجه .

فأما الوجه في الرفع فيكون على تقدير أن ابنك ذو عمل غير صالح ؛ وصاحب عمل غير
صالح ؛ فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ؛ وقد استشهد على ذلك بقول الخنساء :
مَا أُمُّ سَقْبٍ عَلَى بَوٍّ تُطِيفُ بِهِ قَدْ سَاعَدَتْهَا عَلَى التَّحْنَانِ أَظْكَارُ^(١)
تَرْتَعُ مَارَتَمْتُ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ^(٢)
أرادت إنما هي ذات إقبال وإدبار .

وقال قوم : إن المعنى أصلُ ابنك هذا الذي وُلِدَ عل فراشك وليس بابنك في الحقيقة^(٣) عمل
غير صالح ، يعنى الخيانة من امرأته ، وهذا جواب مَنْ ذهب إلى أنه لم يكن ابنه على الحقيقة^(٣)
والذى اخترناه خلاف ذلك .

وقال آخرون إن الهاء في قوله : ﴿ إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ راجعة إلى السؤال ؛ والمعنى :

(١) ديوانها : ٧٨ ؛ وروايته :

فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَرٍّ تُطِيفُ بِهِ لَهَا حَنِينَانُ : إِصْفَارٌ وَإِكْبَارٌ
والمقب : الذكر من ولد الناقة . والبو : أن ينحر ولد الناقة ويؤخذ جلده فيعشى ويدنى من أمه
فتأمله والتحنان : الحنين . والأظفار : جمع ظفر ؛ وهى التى تعطف على ولد غيرها .
(٢) بعدها :

لَا تَسْمَنُ الدَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رُبِعَتْ فَإِنَّمَا هِيَ تَحْنَانٌ وَتَسْجَارٌ
يَوْمًا بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ فَارَقَنِي صَخْرٌ ، وَلِلدَّهْرِ إِحْلَالٌ وَإِمْرَارٌ
(٣-٣) ساقط من م .

إن سؤالك إياي ما ليس لك به علم عملٌ غير صالح لأنه قد وقع من نوح دليل^(١) السؤال والرغبة في قوله: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ / ومعنى ذلك أى نَجْه كَانَجِيَّتِهِمْ، ومن [١٧٠] يجب بهذا الجواب يقول: إن ذلك صغيرة من النبي؛ لأن الصغار تجوز عليهم، ومن يمنع أن يقع^(٢) من الأنبياء شيء من القبائح يدفع هذا الجواب؛ ولا يجعل المساء راجعة إلى السؤال بل إلى الابن، ويكون تقدير الكلام ما تقدم.

فإذا قيل له: قُلِمَ قال: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾؟ وكيف قال نوح عليه السلام من بعد: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؟

قال: لا يمتنع أن يكون نهى عن سؤال ما ليس له به علم؛ وإن لم يقع منه وأن يكون تعود من ذلك وإن لم يوافقه؛ ألا ترى أن الله قد نهى نبيه عن الشرك والكفر؛ وإن لم يكن ذلك قد وقع منه؛ فقال: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَ كُنتَ لَيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾؛ [الزمر: ٢٦]، وكذلك لا يمتنع أن يكون نهاء في هذا الموضع عما لم يقع منه، ويكون عليه السلام إنماسأله نجاه ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع؛ وهكذا يجب في مثل هذا الدعاء.

فأما القراءة بنصب اللام فقد ضمتها قوم وقالوا: كان يجب أن يقال: إنه عمل عملا غير صالح؛ لأن العرب لا تكاد تقول هو يعمل غير حسن، حتى يقولوا: عملا غير حسن، وليس ١٥ وجهها بضعيف في العربية؛ لأن من مذهبهم الظاهر إقامة الصفة مقام الموصوف عند انكشاف المعنى وزوال اللبس؛ فيقول القائل: قد فعلت صوابا، وقلت حسنا، بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت قولاً حسناً؛ وقال عمر بن أبي ربيعة المخزومي:

أَيُّهَا الْقَائِلُ غَيْرَ الصَّوَابِ أَخْرَانُصْنَعَ وَأَقْلِيلَ عِتَابِي^(٣)

(١) حاشية الأصل (من نسخة): «دليل في السؤال»، وحاشية ف من نسخة: «دليل على

السؤال». (٢) ف: «على الأنبياء». (٣) ديوانه: ٤٢٥.

وقال أيضاً :

وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ مَا يُبَاهِ بِهِ دَمٌ وَمِنْ غَلَقٍ رَهْنٌ إِذَا آفَهُ مَنِي^(١)
وَمِنْ مَالٍ عَيْنِيهِ مِنْ شَيْءٍ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الْجَمْرَةِ الْبَيْضِ كَالْدُمَى^(٢)
أَرَادَ : وَكَمْ إِنْسَانٌ قَتِيلٌ ! وَأَنْشُدْ أَبُو عُبَيْدَةَ لِرَجُلٍ مِنْ بَجِيلَةَ :

كَمْ مِنْ ضَعِيفِ الْعَقْلِ مُنْتَكِبِ الْقَوَى مَا إِنْ لَهُ نَقْضٌ وَلَا إِبْرَامُ^٥
/ مَالَتْ لَهُ الدُّنْيَا عَلَيْهِ بِأَسْرِهَا [١٧٠] فَعَلَيْهِ مِنْ رِزْقِ الْإِلَهِ رُكَامُ
وَمُسْتَعِجٍ جَلَدٍ أَمِينٍ حَازِمٍ مَرَسٍ لَهُ فِيهَا يَرُومُ مَرَامُ
أَعْمَى عَلَيْهِ سَبِيلُهُ^(٣) فَكَأَنَّهُ فِيهَا يُحَاوِلُهُ عَلَيْهِ حَرَامُ
أَرَادَ : كَمْ مِنْ إِنْسَانٍ ضَعِيفِ الْقَوَى .

١٠ أَخْبَرَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ اللَّهِ الرَّزْبَانِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا مَيْمُونُ بْنُ هَارُونَ قَالَ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ بْنُ زِيَادِ الْمَلَقَبِ بِفَتْحِ الْعُسْكُرِ يَعْمَلُ إِلَى الْأَصْمَى وَيَفْضَلُهُ ، وَيَقُومُ بِأَمْرِهِ قَالَ : فَجَنَّتُهُ يَوْمًا بَعْدَ مَوْتِ مُحَمَّدٍ ، وَعِنْدَهُ عَبْدُكَانُ لِمُحَمَّدٍ أَسْوَدٌ ، وَقَدْ تَرَكَ النَّاسَ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَسَاءَ لَهُ وَتَحَفَّى بِهِ وَحَادِثُهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ لُمْتُهِ عَلَى ذَلِكَ وَقُلْتُ : مَنْ هَذَا حَتَّى أَفْنَيْتَ عَمْرَ يَوْمِكَ بِهِ ؟ فَقَالَ : هَذَا غُلَامٌ ابْنُ مَنْصُورٍ ،
١٥ ثُمَّ أَنْشَدَنِي :

وَقَالُوا يَا جَبِيلُ أَتَى أَخُوهَا فَقُلْتُ : أَتَى الْحَبِيبُ أَخُو الْحَبِيبِ^(٤)

(١) ديوانه : ٤٥١ : لا يباه به دم ، أى ليس من يكافئه فيقتل به . وغلق الرهن إذا صار لاسبيل إلى سكاكه ، وفي حاشيته ف (من نسخة) : « ومن غلق رهنا إذا ضمه » .
(٢) حاشية ف (من نسخة) :
(٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « سبيله » بضم اللام .
(٤) حاشية ف : « صفة الحبيب » ، أى الذى هو أخو الحبيب .

* إذا راح نحو الحيرة البيض كالدُمى *

أَجِبْكَ وَالْقَرِيبُ بِنَا بَعِيدٌ لَّأَنْ نَاسَبْتَ بَثْنَةً مِنْ قَرِيبٍ
فقلت له - وكنت أقول هذا كثيراً به لاستعجر كلامه وعلمه - : يا أبا سعيد، ذاك أخوها،
وهذا غلامها^(١) فضحك، وقال : أنشد أبو عمرو - أو قال غيره :

أَرَى كُلَّ أَرْضٍ^(٢) أَوْطَنْتَهَا وَإِنْ خَلْتُ لَهَا حِجَجٌ تَنْدَى بِمِسْكٍ تُرَابُهَا
وَأَقْسِمُ لَوْ أَنِّي أَرَى تَبَعًا لَهَا^(٣) ذِئَابَ الْفُضَى حَبَّتْ إِلَى ذِئَابِهَا
قال : فجملت أعجب من قرب لسانه من قلبه وإجادة حفظه له متى أرادته .

وبهذا الإسناد عن إسحاق الموصلي قال قرأت على الأصمعي شعر امرئ القيس ، فلما
بلغت إلى هذا البيت :

أَمِنْ أَجْلِ أَعْرَابِيَةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بِرَوْضِ الشَّرَى عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ^(٤)
فقال لي أنعرف في هذا البيت خبثاً باطنياً غير ظاهراً ؟ قلت : لا ، فسكت عني ، فقلت :
إِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ فَأَنْدِينِي ، فقال : نعم ، أما يد لك البيت على أنه لفظ مَلِكٍ مُسْتَهِينٍ ذِي قُدْرَةٍ
على ما يريد ؟ قال إسحاق : وما رأيت قط مثل الأصمعي بالعلم بالشعر .
[١٧١]

(١) من نسخة بحاشية الأصل : « غلامه » . (٢) ف : « كل دار » .

(٣) حاشية الأصل من نسخة : « حلفت لو أني » ، ومن نسخة أخرى : « حلفت إلهي » ، ومن نسخة
أخرى :

« حَلَفْتُ بِأَنِّي لَوْ أَرَى تَبَعًا لَهَا »

(٤) ديوانه : ١٢٤ ؛ وروايته :

أَمِنْ ذِكْرِ نِهَانِيَّةٍ حَلَّ أَهْلُهَا بِجَزَعِ الْمَلَا عَيْنَاكَ تَبْتَدِرَانِ

قال شارحه : « نِهَانِيَّة : امرأة من نيهان ، ونِهَان من طي » ، وكان امرؤ القيس نازلاً فيهم ثم
ارتحل عنهم ، والجزع : منعطف الوادي ، والملا : المستوى من الأرض ؛ ويعني تبتدران تستبدان بالدمع ؟
أي أنه لما أبدع به الشوق وغلبه البكاء لام نفسه على ذلك . وفي حاشية الأصل : « قبله :

فَدَمَعُهَا سَحٌّ وَسَكَبٌ وَدِيمَةٌ وَرَشٌّ وَتَوَكَّافٌ وَتَنَهْمِلَانِ

وروى عن إسحاق أيضا أنه قال : قال لي الأعمى : ما يعنى امرؤ القيس بقوله :
فَمِنْكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمُرُضِعٌ فَالْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَامٍ مُحْوِلٌ^(١)
فقلت : تخبرنى ، فقال : كان مفرًا^(٢) فيقول : ألهيت هؤلاء عن كراهتهن للرجال ،
فكيف أنا عند المحبات لهم .

وروى أن السبب الذى هاج التنافر بين الأعمى وابن الأعرابي أن الأعمى دخل
ذات يوم على سميد بن سلم وابن الأعرابي حينئذ يؤدب ولده - فقال لبعضهم : أنشدوا سميد ،
فأنشد الغلام أبياتا لرجل من بنى كلاب ، رواء إياها ابن الأعرابي ، وهى :
رَأَتْ نِضْوًا أَسْفَارِ أُمَيْمَةٍ قَاعِدًا عَلَى نِضْوٍ أَسْفَارِ فَجُنَّ جُنُونُهَا^(٣)
فَقَالَتْ : مِنْ أَى النَّاسِ أَنْتَ وَمَنْ تَكُنْ ؟ فَإِنَّكَ رَاعِى صِرْمَةٍ لَا يَرِيْنُهَا^(٤)
فَقُلْتُ لَهَا : لَيْسَ الشُّحُوبُ عَلَى الْفَتَى بَعَارٍ ، وَلَا خَيْرُ الرِّجَالِ تَمِيمُهَا
عَلَيْكَ رِاعِى ثَلَاثَةَ مُسَلَّحِيَّةٍ يَرُوحُ عَلَيْهَا مَخْضُهَا وَحَقِيْنُهَا^(٥)

(١) ديوانه : ٢٤ . وفى حاشية الأصل . « روى أن النبي صلى الله عليه وآله أنشد هذه القصيدة ،
فلما سمع البيت الذى قبله هذا قال : لأنشد البيت الذى بعده ، وهذا دليل على أنه عليه السلام كان يعرف
العر . ولما سمع قوله :

﴿ قِفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ ﴾

قال : وقف واستوقف ، وكى وأبكى ، وذكر الحبيب والمنزل فى نصف بيت ؟ فقالوا : يا رسول الله ؟
فدينك ! أنت فى هذا النقد أشعر منه . (٢) المفرك : الذى تبغضه النساء .

(٣) الخبر بتهمة فى اللسان (ضحا) ، والزهر ٢ : ٣٧٩ ، والمجالس المذكورة للعلماء ٩ ، وإنباه
الرواة ٣ : ١٣٣-١٣٤ ؟ والأبيات وردت متفرقة فى اللسان (ضحا ، جن ، حقن ، نعم) .
النضو : الدابة التى أهرلها الأسفار وأذهبت لحمها . وفى اللسان : « أميمة شاحبا » .

(٤) الصرمة : القطعة من الإبل ؟ ما بين العشرين إلى الثلاثين . ورواية اللسان :

﴿ فَإِنَّكَ مَوَالِىَ أَسْرَةٍ لَا يَدِينُهَا ﴾

(٥) التلة ، بالفتح : جماعة الغنم . والمسلجة : الممتدة ؟ وأصله فى الطريق . والمخض : اللبن الخالص ،
والحقين : اللبن الحبيس فى الوطى ؟ وقد ورد البيت فى اللسان (حقن) ونسبه المخيل ، والرواية فيه :

وَفِى إِبِلٍ سِتَيْنِ حَسْبُ ظَمِينَةٍ يَرُوحُ عَلَيْهَا مَخْضُهَا وَحَقِيْنُهَا

وفى حاشية الأصل : « أى لست بالراعى فأطلبى غبرى لو كنت تطلبين راغيا » .

سَمِينُ الضَّوَّاحِي لَمْ تُورِّقْهُ لَيْلَةٌ وَأَنْعَمَ أَبْكَارُ الْهُمُومِ وَعَوْنُهَا
ورفع «ليلة» فقال الأصمى: مَنْ رَوَّاهُ هَذَا؟ فقال مؤدبي: فَأَحْضَرَهُ فَاسْتَنْشَدَهُ فَأَنْشَدَهُ،
ورفع «ليلة»، فَأَخَذَ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ وَفَسَّرَ الْبَيْتَ فَقَالَ: إِنَّمَا أَرَادَ: لَمْ تُورِّقْهُ لَيْلَةٌ أَبْكَارُ الْهُمُومِ
وَعَوْنُهَا، وَأَنْعَمَ، أَيْ زَادَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ.

وقوله: «سَمِينُ الضَّوَّاحِي» أَيْ مَا ظَهَرَ مِنْهُ وَبَدَأَ سَمِينٌ، ثُمَّ قَالَ الْأَصْمَى لِابْنِ سَلَمٍ:
مَنْ لَمْ يُحَسِّنْ هَذَا الْقَدَارَ فَلَيْسَ مَوْضِعًا لِلتَّأْدِيبِ وَلَدَ الْمُلُوكِ.

وَأَخْبَرَنَا الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمَكِيِّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعِينَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَى
قَالَ: وَلِدَ بَشَارُ بْنُ بَرْدٍ أَوْ كَمَهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا قَطُّ— وَكَانَ ذَافِطَنَةً— فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا: مِنْ أَيْنَ
لَكَ هَذَا الذِّكَاةُ؟ قَالَ: مِنْ قِدَمِ الْعَمَى؛ وَعَدَمُ النَّوَاطِرِ يَمْنَعُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْخَوَاطِرِ الْمَذْهَلَةِ فَيَكْسِبُ
فِرَاقَ الدَّهْنِ؛ وَصَحَّةَ الذِّكَاةِ، وَأَنْشَدَ لِنَفْسِهِ يَفْتَخِرُ بِالْعَمَى:

١٠
[١٧١] عَمِيْتُ جَنِينًا وَالدِّكَاةُ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْثَلًا^(١)
وَعَاضَ ضِيَاءُ الْعَيْنِ لِلْمَقْلِ رَافِدًا يَقْلِبُ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ حَصَلًا
وَشِمْشَرُ كَنْوَرِ الرُّوضِ لَا أَمْتَ يَبْنِيهِ بِقَوْلٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَمَهَلًا

وَأَخْبَرَنَا الْمَرْزُبَانِيُّ قَالَ أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو الْعِينَاءِ قَالَ حَدَّثَنَا
الْأَصْمَى قَالَ: أَنْشَدَ رَجُلٌ وَأَنَا حَاضِرٌ بِشَارًا قَوْلَ الشَّاعِرِ:

١٥ وَقَدْ جَعَلَ الْأَعْدَاءُ يَنْتَقِصُونَنَا وَتَطْمَعُ فِينَا أَلْسُنٌ وَعِيُونَ^(٢)
أَلَا إِنَّمَا كَيْلِي عَصَا خَيْرُ رَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأُكُفِّ تَلِينُ

فَقَالَ بَشَارٌ: وَاللَّهِ لَوْ جَعَلَهَا عَصَا مَخٍ أَوْ زُبْدٍ لَمَا كَانَ إِلَّا مَخْطُئًا مَعَ ذِكْرِ الْعَصَا أَلَا قَالَ

كَمَا قُلْتُ:

وَحَوْرَاءِ الدَامِعِ مِنْ مَعَدٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا قِطْعُ الْجَنَانِ
إِذَا قَامَتْ لِسَبْحَتِهَا تَنَنَّتْ كَأَنَّ قَوَامَهَا مِنْ خَيْرِ زُرَانِ
بِنَفْسِكَ الْمُنَى نَظَرَ إِلَيْهَا وَبَصِيرُ وَجْهَهَا وَجْهُ الزَّمَانِ

وأخبرنا المرزباني قال حدثنا علي بن أبي عبد الله الفارسي قال حدثني أبي عن عمر بن
شبة قال قال لي أبو عبيدة : رحل بشار إلى الشام ، فمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك ،
وكان مقبلاً بمرحان ، ؛ فقال قصيدة طويلة أولها :

نَأْتِكَ عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ زَيْنَبُ وَمَعْلَمَتُ أَنْ النَّوَى سَوْفَ يَشْعَبُ (١)
وكان سليمان بخيلاً فأعطاه خمسة آلاف درهم ، ولم يصب غيرها بعد أن طال مقامه ، فقال :
إِنْ أُمِسَ مُنْشَجِجَ الْيَدَيْنِ عَنِ النَّدَى وَعَنِ الْعَدُوِّ مُحْبَسَ الشَّيْطَانِ (٢)
فَلَقَدْ أَرْوَحُ عَلَى اللَّثَامِ مُسَلِّطًا تَلِجَ الْقَيْلِ (٣) مُنْعَمَ النَّدْمَانِ
فِي ظِلِّ عَيْشٍ عَشِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ تَنْدَى بَدِي ، وَيَخَافُ فَرَطَ لِسَانِي
أَزْمَانَ سِرْبَالِ الشَّبَابِ مُذْبِلُ وَإِذِ الْأَمِيرُ عَلَى مِنْ جِبْرَانِي
[١٧٢] / رِيحٌ بِأُخُوبَةِ الْعِرَاقِ إِذَا بَدَأَ يَرَقَتْ عَلَيْهِ أَكِلَةُ الرَّجَانِ (٤)
فَا كَحَلْ بِمَبْدَأِ مُقْلَتِكَ مِنَ الْقَدَى وَبَوَشَكِ رُؤْيَيْهَا مِنَ الْهَمَلَانِ
فَلَقَرُبُ مِنْ تَهْوَى وَأَنْتَ مُتَمِّمٌ أَشْفَى لِدَائِكَ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ

فلما رجع إلى العراق برّه ابن هبيرة ووصله ، وكان ابن هبيرة يقدمه ويؤثره لمدحه
قيساً وافتخاره بها ، فلما جاءت دولة خراسان عظم شأنه .

(١) الأغاني ٣ : ٥٦ ؛ ويشعب : يفرق ، وبمده :

يرى الناس ما تلقى بزَيْنَبِ إِذْ نَأَتْ عَجَبِيَا ، وَمَا تَخْفَى بِزَيْنَبِ أَعْجَبُ

(٢) الغر والشعر في الأغاني ٣ : ٥٦ . ومن نسخة بحاشية الأصل : « محبس الشيطان » .

(٣) م : « تلج القام » . (٤) أخوية جمع حواء ؛ والحواء : جماعة البيوت المتدانية .

والأكلة : جم لاكيل ؛ وهو الناج ؛ أو شبه عصاة تزين بالجوهر .

وأخبرني المزياني قال حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال قال الأصمعي : ما وصف أحد الثمر إلا احتاج إلى قول بشر بن أبي خازم :

يُفَلِّجُنَ الشَّفَاةَ عَنْ اقْتِحْوَانٍ جَلَاءُ غِبٍّ سَارِيَةٍ قِطَارُ

ولا وصف أحد اللون بأحسن من قول عمر بن أبي ربيعة :

وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحِيرُ مِنْهَا فِي أَدِيمِ الْخُدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ ^(١)

شَفٌّ مِنْهَا عَقَقُ جَنْدِيٍّ فَهِيَ كَالشَّمْسِ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ ^(٢)

ولا وصف أحد عيني امرأة إلا احتاج إلى قول عدي بن الرقاع :

لَوْلَا الْحَيَاءُ وَأَنْ رَأَيْتُ قَدْ بَدَأَ فِيهِ الْمَشِيبُ لَوُزْتُ أُمَّ الْقَائِمِ ^(٣)

وَكَاثِبُهَا وَسَطَ النِّسَاءِ أَعَاذَهَا قَيْنَتُهُ أَخَوَرُ مِنْ جَاذِرِ جَائِمِ ^(٤)

وَسَنَانُ أَفْصَدُهُ النَّعَاسُ فَرَقَّتْ فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمِ ^(٥)

ولا وصف أحد نجيباً إلا احتاج إلى قول حميد بن ثور :

مُحَلِّيٌّ بِأَطْلُوقٍ عِتَاقٍ يُبَيِّنُهَا عَلَى الضَّرِّ رَاعِي الضَّائِلِ لَوْ يَتَّقَوْفُ ^(٦)

ولا وصف أحد ظليماً إلا احتاج إلى قول علقمة بن عبدة :

(١) ديوانه : ٤٢٣ . (٢) ثوب عقق محكم الفج ، وجند : بلد باليمن .

(٣) الشعر والشعراء ٦٠٢ ، والآل ٢١٠ ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « قد نفا » ،

ومن نسخة أخرى : « قد غشا » . (٤) الجاذر : جمع جؤذر ، بضم الذال وفتحها ، وهو ولد

البرة الوحشي . جاسم قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ . (٥) أفصده : صرعه . رقت : خالطت ،

والبيت أيضاً في اللسان (رفق) . (٦) ديوانه ١١١ ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يصف بعبداً

وعلى : أي عليه نهار العتيق ، وإذا رآه صاحب الضأن الذي لا بصيرة له عرف عتقه ونجاذه على مامسه من

الضر . لم يتقوف ، من الفياقة ، ويروى : « لو يتعيف » . شبه ما يبين من عتقه بأطوق تظهر لمن رآها

ويروى : « يبينه » أي البعير ، وقبل هذا البيت :

فَطَرْتُ إِلَى عَارِيِ الْعِظَامِ كَأَنَّهُ شَقَا ابْنَ ثَلَاثِ ظَهْرِهِ مُتَحَرِّفُ

طَوْتُهُ الْفَلَا حَتَّى كَانَ عِظَامُهُ مَآسِيرَ عِيدَانِ تَمُوجُ وَتُرْجَفُ

فَنَارَ وَمَا يُنْسِي فَوْقَ عِظَامِهِ بِرَمٍ وَلَكِنْ عَارِفٌ مُتَكَلِّفُ =

هَيِّقْ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُوجُوهُ بَيْتُ أَطَافَتْ بِهِ خَرْقَاءُ مَهْجُومٌ^(١)

ولا اعتذر أحد إلا احتاج إلى قول النابغة :

[١٧٢] / فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي وَإِنْ خَاتُ أَنْ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ^(٢)

قال سيبدا أدام الله علوه : أما قول حميد بن ثور : « محلى بأطواق عتاق » فإنه يريد أن عليه نجار الكرم والعتيق ، فصارت دلالتهما وسماتهما حلية له من حيث كان موسوماً بهما .

ومعنى : « يبينها على الضراء » يتبينها ويعرفها هذا الراعى فيعلم أنه كريم ، والتعقوف : من القيافة .

فأما قول علقمة « هَيِّقْ... » فالهَيِّقْ : ذكر النعام . ومعنى : « أطافت به خرقاء » ، أى عملته وابتنته ، وقيل : إن خرقاء هاهنا هى الحاذقة ، وأن هذه اللفظة تستعمل على طريق الأضداد فى الحاذقة وغير الحاذقة ، ومعنى « مهجوم » : أى مهدوم ، وقال الأصمعى : معنى « أطافت به » ، أى عملته فخرقت فى عمله ، يقول : قد أرسل جناحيه كأنه خباء امرأة خرقاء ، كلما رفعت ناحية استرخت أخرى ؛ والوجه الثانى أشبه وأملح .

فأما قول بشرى وصف الثمر فأحسن منه وأكشف وأشد استيفاء قول النابغة :

== قوله : « عارى المظام » أى بعير مهزول ، وشقا ابن ثلاث أى هلال ابن ثلاث . وماء أسير عيدان ويروى « ماء أسير عيدان » ، أى عيدان مأسورة مشدودة . والرم . المنع ، يريد أنه ليس يسمى برم ، أى ليس فى عظامه منخ ؛ ولكنه عارف ؛ أى معترف بالسير ، ذليل متكلف يتكلف السير على جهد .
(١) حاشية الأصل : « هَيِّقْ ، أى ظليم ، وهو اسم له ، والجوؤ : الصدر ؛ وأراد بالبيت بيتان الشعر أو الوبر . الخرقاء : المرأة التى ليست بصناع . ومهجوم : مصروع سافط ، يقول : أتت البيت هذه الخرقاء لتصلحه فلم تحسن ، واستخرجت عيدانه وأطاببه ، فشبه الظالم به ، لاسترخاء جناحيه ونشره لإياها . وقال المازنى : إذا بنت الخرقاء بيتاً تهدم سريعاً . وقال غيره : خرقاء هنا : ريح لاتدوم على جهة واحدة . » والبيت فى ديوانه ١٣٠ ، والمفضليات : ٤٠٠ ، (طبعة المعارف) وروايته فيهما :

(٢) ديوانه :

* صَمَلٌ كَانَ جَنَاحِيهِ وَجُوجُوهُ *

كالأقحوان غداة غب سمانه جفت أعالیه وأسفله ندى^(١)

فإنما وصف أعالیه بالجُفوف ؛ ليكون متفرقاً متنضداً غير متابّد ولا مجتمع ؛ فيشبه حينئذ الثغور ، ثم قال : « وأسفله ندى » حتى لا يكون قحلاً يابساً ، بل يكون فيه الفضاضة والصقالة ، فيشبه غروب الأسنان التي تلمع وتبرق .

وروى الرياشي قال : سمعت الأسمعي يقول : أحسن ما قيل في وصف الثغر قول ذى الرّمة :

وتجلو بفرع من أراك كأنه من العنبر الهندي والمسك يصبح^(٢)
 ذراً أقحوان واجه الليل وارتقى إليه الندى من رامة الترواح^(٣)
 هيجان الثنايا مغرباً لو تبسمت لأخرس عنه كاد بالقول يفصح^(٤)

(١) ديوانه : ٣١ . الأقحوان : نبت له نوار أصفر ، حوالیه ورق أبيض وفي حاشيتي الأصل ، ف : « ضمن القوام الحرائي هذا البيت في هجو فبعله أبدة من الأوابد فقال :

ياسائلي عن جعفر ، علمي به رطب العجكان وكفه كالجلد
 كالأقحوان غداة غب سمانه جفت أعالیه وأسفله ندى

والبيتان في خاص الخاص : ١٤٤ . (٢) ديوانه : ٨٣ . يصبح : يسقى وقت الصباح .

(٣) في الديوان : « رامة الليل » ، بالرفع . رامة : رملة بعينها . الترواح : الذي جاء رواحاً . وبعد هذا البيت في رواية الديوان :

تخف بترب الرّوض من كل جانب نسيم كفار المسك حين يفتح

(٤) المغرب : الأبيض من كل شيء .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن تأويل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ / الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ ؛ [١٧٣]
[التوبة : ٥٥] .

فقال : كيف يعذبهم بالأموال والأولاد ، ومعلوم أن لهم فيها سروراً ولذة؟ وما تأويل قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ وظاهره يقتضي أنه أراد كفرهم من حيث أراد أن تزهق أنفسهم ٥ في حال كفرهم ، لأن القائل إذا قال : أريد أن يلقاني فلان وهو لا يس أو على صفة كذا وكذا ، فالظاهر أنه أراد كونه على تلك الصفة ؟

الجواب ، قلنا : أما التعذيب بالأموال والأولاد ففيه وجوه :

أولها ما روى عن ابن عباس وقناة ، وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير ، ويكون التقدير : فلا تعجبك يا محمد ولا تعجب المؤمنين معك أموال هؤلاء الكفار والمنافقين ١٠ ولا أولادهم في الحياة الدنيا ؛ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة عقوبة لهم على منعهم حقوقها ؛ واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ؛ [النمل : ٢٨] ، والمعنى : فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ، ثم تول عنهم ؛ وأنشد في ذلك قول الشاعر :

عَشِيَّةً أَبَدْتُ جَيْدَ أَدْمَاءٍ مُنْزِلٍ وَطَرَفًا يُرِيكَ الْإِئْتِدَ الْجَوْنَ أَحُورًا ^(١) ١٥

يريد : وطرفاً أحور يريك الإئتمد الجون ؛ وقد اعتمد هذا الوجه أيضاً أبو علي قُطْرُب ، وذكره أبو القاسم البلخي والزجاج .

وثانيها أن يكون معنى التعذيب بالأموال والأولاد في الدنيا هو ما جمعه للمؤمنين من قتالهم وغنيمة أموالهم وسبي أولادهم واسترقاقهم ؛ وفي ذلك لاحتمال إبلام لهم ، واستخفاف بهم ، وإنما أراد تعالى بذلك إعلام نبيه عليه السلام والمؤمنين أنه لم يرزق الكفار الأموال والأولاد ؛ ولم يبقها في أيديهم كرامة لهم ، ورضاً عنهم ؛ بل للمصلحة الداعية إلى ذلك ، وأنهم مع هذه الحالة ممذَّبون بهذه النعم من الوجه الذي ذكرناه ، فلا يجب أن يُغبطوا ، ويحسدوا عليها ؛ إذ كانت هذه عاجلتهم ، والعقاب الأليم في النار آجلتهم ؛ وهذا جواب أبي علي الجبائي .

وقد طمن عليه بعض من لا تأمل له فقال : كيف يصح هذا التأويل ، مع أننا نجد كثيراً من الكفار لا تنالهم أيدي المسلمين ، ولا يقدرّون على غنيمة أموالهم ، ونجد أهل [١٧٣] الكتاب أيضاً خارجين عن هذه الجملة لمكان الذمة والعهد ؟ وليس هذا الاعتراض بشيء ، لأنه لا يمتنع أن تختص الآية بالكفار الذين لا ذمة لهم ولا عهد ؛ ممن أوجب الله تعالى محاربتهم ؛ فأما الذين لا تنالهم الأيدي ، أو هم من القوة على حدة لا يتم معه غنيمة أموالهم ؛ فلا يقدح الاعتراض بهم في هذا الجواب لأنهم ممن أراد الله تعالى أن يُسبي ويُفتم ، ويجاهد ويُغلب ؛ وإن لم يقع ذلك ؛ وليس في ارتفاعه بالتمذّر دلالة على أنه غير مراد .

وثالثها أن يكون المراد بتمذيبهم بذلك كل ما يدخله في الدنيا عليهم من النعم والمصائب بأموالهم وأولادهم التي لهؤلاء الكفار المنافقين عقاب وجزاء ، وللمؤمنين محنة وجالبة للموؤس وللنفع .

ويجوز أيضاً أن يراد به ما يندّر به الكافر قبل موته ، وعند احتضاره ، وانقطاع التكليف عنه مع أنه حي ، من العذاب الدائم الذي قد أعدّ له ، وإعلامه أنه صائر إليه ، ومنقل إلى قراره ؛ وهذا الجواب قد روي معنى أكثره عن قوم من متقدمي المفسرين^(١) ، وذكره أبو علي الجبائي أيضاً .

(١) حاشية الأصل : « نسخة الشجرى : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري » .

ورابمها [جواب] ^(١) يحكى عن الحسن البصرى ، واختاره الطبرى وقدمه على غيره ، وهو أن يكون المراد بذلك ما ألزمه هؤلاء الكفار من الفرائض والحقوق في أموالهم ؛ لأن ذلك يؤخذ منهم على كره ، وهم إذا أنفقوا فيه أنفقوا بنسبة ولا عزيمة ؛ فتعير نفقتهم غرامة وعذاباً من حيث لا يستحقون عليها أجراً .

٥ قال السيد قدس الله روحه : وهذا وجه غير صحيح ؛ لأن الوجه في تكليف الكافر إخراج الحقوق من ماله كالوجه في تكليف المؤمن ذلك ؛ ومحال أن يكون إنما كلف إخراج هذه الحقوق على سبيل العقاب والجزاء ؛ لأن ذلك لا يقتضى وجوبه عليه ^(٢) ؛ والوجه في تكليف الجميع هذه الأمور هو المصلحة واللفظ في التكليف .

ولا يجرى ذلك مجرى ما قلناه في الجواب الذى قبل هذا ؛ من أن المصائب والنوم قد تكون للمؤمنين محنة ، وللكافرين عقوبة ؛ لأن تلك الأمور مما يجوز أن يكون وجه حسنهما العقوبة والمحنة جميعاً ؛ ولا يجوز في هذه الفرائض أن يكون لوجوبها على المكلف إلا وجه واحد ، وهو المصلحة في الدين ، فافترق الأمران .

[١٧٤] وليس لهم أن يقولوا : / ليس التعذيب في إيجاب الفرائض عليهم ؛ ^(٣) وإنما هو لإخراجهم أموالهم على وجه التكره والاستئثار ^(٤) ؛ وذلك أنه إذا كان الأمر على ما ذكره خرج من أن يكون مراد الله تعالى ؛ لأنه جل وعز ما أراد منهم إخراج المال على هذا الوجه ، بل على الوجه الذى هو طاعة وقربة ؛ فإذا أخرجوها متكرهين مستثقلين لم يرد ذلك ؛ فكيف يقول : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَمَذِّبَهُمْ بِهَا ﴾ ! ويجب أن يكون ما يعذبون به شيئاً يصح أن يريده الله تعالى .

وجميع هذه الوجوه التى حكيناها في الآية - إلا جواب التقديم والتأخير - مبنية على أن

(١) من ف . (٢-٢) ساقط من الأصل ، وما أثبتته عن ف .

(٣-٣) ف : « وإنما هو في إخراجهم لأموالهم على وجه التكره والاستئثار » .

الحياة الدنيا ظرف للعذاب؛ فتحمل^(١) كل متأول من القوم ضرباً من التأويل ؛ طابق^(٢) ذلك .

- وما يحتاج عندنا إلى جميع ما تكلفوه، ولا إلى التقديم والتأخير إذا لم تجعل^(٣) الحياة ظرفاً للمقاب ، بل جعلناها ظرفاً للفعل الواقع بالأموال والأولاد ؛ والمتعلق بهما ؛ لأننا قد علمنا أولاً أن قوله : ﴿ لِيَمْزِجَهُمْ رِبِّهَا ﴾ لا بد من الانصراف عن ظاهره ؛ لأن الأموال والأولاد أنفسها لا تكون عذاباً ؛ والمراد على سائر وجوه التأويل الفعل المتعلق بها والمضاف إليها ؛ سواء كان إنفاقها والمصيبة بها والغم عليها ، أو إباحة غنيمتها وإخراجها عن أيدي مالكيها ؛ فكان تقدير^(٤) الآية : إنما يريد الله ليَمْزِجَهُمْ بكذا وكذا ؛ مما يتعلق بأموالهم وأولادهم ، ويتصل بها ؛ وإذا صح هذا جاز أن تكون الحياة الدنيا ظرفاً لأفعالهم القبيحة في أموالهم وأولادهم التي تغضب الله تعالى وتُسخطه ؛ كإنفاقهم الأموال في وجوه المعاصي ، وحملهم الأولاد على الكفر ، وإلزامهم الواقعة لهم في النحلة ، ويكون تقدير الكلام : إنما يريد الله ليَمْزِجَهُمْ بفعلهم في أموالهم وأولادهم ؛ الواقع ذلك منهم في الحياة الدنيا ؛ وهذا وجه ظاهر يفي عن التقديم والتأخير ؛ وسائر ما ذكره من الوجوه .

- فأما قوله تعالى : ﴿ وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ ﴾ فعناء تبطل وتخرج ؛ أي أنهم يموتون على الكفر ؛ وليس يجب إذا كان مريداً لأن تزهق أنفسهم وهم على هذه الحال أن يكون مريداً للحال ؛ نفساً على ما ظنوه ؛ لأن الواحد منّا قد يأمر / غيره ويريد منه أن يقاتل أهل البنى وهم [١٧٤] محاربون ، ولا يقاتلهم وهم منهزمون ، ولا يكون مريداً لحرب أهل البنى للمؤمنين ؛ وإن أراد قتالهم على هذه الحالة ، وكذلك قد يقول لفلامه : أريد أن تواظب على المصير إلى في السجن وأنا محبوس ، والطبيب : صرّ إلى ولازمي وأنا مريض ، وهو لا يريد المرض ولا

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « فتجعل » . (٢) ف : « يطابق » .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « لم تجعل الحياة » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « فكان تقدير الكلام » .

الجنس ؛ وإن كان قد أراد ما هو متعلق بهاتين الحالتين .

وقد ذكر في ذلك وجه آخر على ألا يكون قوله : ﴿ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ حالاً لزهوق أنفسهم ؛ بل يكون كأنه كلام مستأنف ، والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم ؛ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ؛ وتزَهَقْ أنفسهم وهم مع ذلك كافرون صائرون إلى النار ؛ وتكون الفائدة أنهم مع عذاب الدنيا قد اجتمع عليهم عذاب الآخرة ؛ ويكون معنى ﴿ تَزَهَقْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ على هذا الجواب غير الموت وخروج النفس على الحقيقة ، بل المشقة الشديدة والكَلَفُ^(١) الصَّعْبَةُ ، كما يقال : ضربت فلانا حتى مات وتلفت نفسه ، وخرجت روحه ، وما أشبه ذلك .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ذاكرني قوم من أهل الأدب بأشعار المحدثين وطبقاتهم ١٠ وانتهوا إلى مروان بن يحيى بن أبي حفصة^(٢) ؛ فأفرط بعضهم في وصفه وتقريضه ، وآخرون في ذمه وتهجينه والإزراء على شعره وطريقته ؛ واستخبروا عما اعتقده فيه ، فقلت لهم : كان مروان متساوياً الكلام ، متشابه الألفاظ ، غير متصرف في المعاني ولا غواص عليها ولا مدقق لها ؛ فلذلك قلت النظائر في شعره ، ومدائح مكررة الألفاظ والمعاني ، وهو غزير الشعر قليل المعنى ؛ إلا أنه مع ذلك شاعر له تجويد وحِذْق ، وهو أشعر من كثير من ١٥ أهل زمانه وطبقته ، وأشعر شعراء أهله ؛ ويجب أن يكون دون مسلم بن الوليد في تنقيح الألفاظ وتدقيق المعاني ، وحسن الألفاظ ، ووقوع التشبيهات ، ودون بشار بن برد في الأبيات النادرة السائرة ، فكأنه طبقة بينهما ؛ وليس بمقصر دونهما شديداً ، ولا منحط عنهما بعيداً .

وكان إسحاق بن إبراهيم الموصلي يقدمه على بشار ومسلم ، وكذلك أبو عمرو الشيباني

(١) ف : « والكلفة » . (٢) هو أبو السمت - وقيل أبو الهندام مروان بن أبي حفصة ؛ ولد سنة ١٠٥ ، وملك في أيام الرشيد سنة ١٨٢ . (وانظر ترجمته وأشعاره في الشعر والشعراء . ٧٣٩-٧٤١ ، وابن خلكان ٢ : ٧٩-٨١) .

وكان الأسمى يقول : مروان / مؤد^(١) ، وليس له علم باللغة. واختلاف الناس في اختيار الشعر [١٧٥] و
بحسب اختلافهم في التنبية على معانيه ؛ وبحسب ما يشترطونه من مذاهبه وطرائقه.

فستلت عند ذلك أن أذكر مختاراً ما وقع إلى من شعره وأنبه على مرقاته ونظائره
شعره ، وأن أملي ذلك في خلال المجالس وأثناها .

٥ فما يختار من شعره قوله من قصيدة يمدح بها المهدي أولها :

أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ عَائِدُ ! أَجَلْ ، وَاسْتَخَفَّتْكَ الرُّسُومُ الْبَوَائِدُ
يقول فيها :

تَذَكَّرْتُ مِنْ تَهْوَى فَأَبْكَاكَ ذِكْرُهُ	فَلَا الذِّكْرُ مَنِّسِي وَلَا الدَّمْعُ جَامِدُ
تَحْنُ وَيَأْبَى أَنْ يُسَاعِدَكَ الْهَوَى	وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ هَوَى لَا يُسَاعِدُ
أَلَا طَالَمَا أَتَيْتَ دَمْعَكَ طَائِعًا	وَجَارَتْ عَلَيْكَ الْآنَسَاتُ النَّوَاعِدُ ١٠
تَذَكَّرْنَا أَبْصَارُهَا مُقَلَّ الْمَا	وَاعْنَاقُهَا أَدُمُ الظُّبَاءِ الْمَوَاقِدُ ^(٢)
تَسَاقَطُ مِنْهُنَّ الْأَحَادِيثُ غَضَّةً	تَسَاقَطَ دُرٌّ أَسْلَمَتْهُ الْمَعَاقِدُ
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجَادَبَتْ	بِنَا اللَّيْلِ خُوصٌ كَالْقَيْسِ شَوَارِدُ
يَمَانِيَّةٌ بِنَايَ الْقَرِيبِ مَحَلَّةٌ	يَهْنُ ، وَيَدْنُو الشَّاحِطُ الْمُتَبَاعِدُ
تَجَلَّى الشَّرَى عَنْهَا ، وَلِلْعَيْسِ أَعْيُنُ	سَوَامٍ وَأَعْنَاقُ إِلَيْكَ قَوَاصِدُ ١٥
إِلَى مَلِكٍ تَنْدَى إِذَا يَيْسَ الثَّرَى	بِنَائِلٍ كَفَيْهِ الْأُكْفُ الْجَوَامِدُ

(١) ف : « المولدون الذين يمدحون الخضرين » وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « مولد » بكسر اللام ؛ أي يولد الكلام . (٢) المعاد : هو الظلي الذي عطف عنقه إلى ناحية عجزه ؛ وقيل إن الصغار تفعل ذلك كثيراً ؛ قال ساعدة :

وَكُنَّا مَافَاكَ يَوْمَ لَقِيَتْهَا مِنْ وَحْشٍ وَجَرَةٍ عَاقِدٍ مُتَرَبِّبُ

ولا يبعد أن يكون المواقف اللاتي يأوبن إلى عقدات الرمل ، أو يكون معناه أنها عقدت أعناقها ملتفة إلى أذنانها ، وذلك معهود من عاداتها .

له فوق مجد الناس مجدان منها طريف وعادي الجرائيم نال
وأحواض عز حومة الموت دونها وأحواض عرف ليس عنهم ذائد
أيدي بني المباس يعض سوابغ على كل قوم باديات عوائد
هم يمدلون السمك من قبة الهدى كما تعدل البيت الحرام القواعد
سواعد عز المسلمين ، وإنما تنوء بصولات الأكف السواعد
[١٧٠] / يكون غرارا نومه من حذاره على قبة الإسلام والخلق راقده
كان أمير المؤمنين محمدا رافته بالناس للناس والد
أما قوله :

تساقط منهن الأحاديث غضة تساقط در أسلمته الماقد

١٠ فكثير في الشعر ، وأظن أن الأصل فيه أبو حية النخري في قوله :

إذا هن ساقطن الأحاديث للفتى سقوط حصي الرجان من كف ناظم
وإنما عني بالرجان سفار اللؤلؤ ، وعلى هذا يتأول قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ
وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن : ٢٢] .

ومثله قول الآخر :

١٥ هي الدر منشورا إذا ما تكلمت وكالدر منظوما إذا لم تكلم
ومثله :

من نغرها الدر النظير م لفظها الدر النثير

ونظيره قول البحتري - وأحسن غاية الإحسان :

ولنا التقينا والنفا موعده لنا تعجب رأي الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

ومثله قول الأخطل^(١).

خَلَوْتُ بِهَا وَسَجَفُ اللَّيْلِ مُلْقَى وَقَدْ أَصْنَعْتُ إِلَى الْغَرْبِ النُّجُومُ
كَأَنَّ كَلَامَهَا دُرٌّ نَثِيرٌ وَرَوْتَنِي تَنْرِهَا دُرٌّ تَظِيمٌ

ولغيره :

تَبَسَّمتُ فَرَأَيْتُ الدُّرَّ مُنْتَظِماً وَحَدَّثْتُ فَرَأَيْتُ الدُّرَّ مُنْتَبِهاً

ولآخر :

وَتُحْفَظُ لَا مِنْ رِيبةٍ يَحْدَرُونَهَا وَلَكِنِهَا مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ تُحْفَظُ
وَتَلْفِظُ دُرّاً فِي الْحَدِيثِ إِذَا جَرَى وَلَمْ تَرَ دُرّاً قَبْلَ ذَلِكَ يُلْفِظُ

ولبعض من تأخر زمانه من الشعراء وقرب من عصرنا هذا :

أُظْهِرَنَ وَصْلاً إِذْ رَحِمَنَ مُتَيَّماً وَارْبِنَ هَجْراً إِذْ خَشِينَ مُرَاقِباً
/ فَتَنْظَمَنَّ مِنْ دُرِّ الْمَبَايِمِ جَامِداً وَتَثْرَنَنَّ مِنْ دُرِّ الْمَدَامِيعِ ذَائِباً
قال قدس الله روحه : وليس قول أبي دهب في صفة الحديث^(٢) :

كَتَسَاقُطِ الرُّطْبِ الْجَنِيِّ مِنْ ۥ ۥ أَقْنَاءٍ لَا تَثْرَأُ وَلَا تَزُرَأُ

من هذا الباب في شيء ، لأن جميع ما تقدم هو في وصف الثَّغْرِ ؛ وهذا في وصف حسن

الحديث وأنه متوسط في القلة والكثرة ، لازم للقصد كالتثار الرُّطْبُ مِنَ الْأَقْنَاءِ ؛ ويشبه ١٥
أن يكون أراد أيضاً مع ذلك وصفه بالحلاوة والفضاضة لتشبيهه له بالرطب ، ثم إنه غرض طرئ
غير مكرَّر ولا معاد ؛ لقوله : « الرطب الجنى » فتجتمع له أغراض : الوصف بالاعتقاد في القلة
والكثرة ، ثم وصفه بالحلاوة ، ثم الفصاحة ، ثم الفضاضة .

(١) في م : « الأخطل » خطأ ؛ وفي حاشية الأصل : « الأهوازي » ، يقال له برقوفا ؛ وهو

محمد بن عبد الله ، شاعر مجيد من أهل الأهواز .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « في وصف حسن الحديث والثغر » .

ونظير قول أبي دَهبل قول ذي الرمة :

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْحَوَائِي لَا هَرَاءَ وَلَا نَزْرٌ^(١)

فأما قول مروان :

إِلَى مَلِكٍ تَنْدَى إِذَا بَيَّسَ الثَّرَى بَنَائِلَ كَفَّيْهِ الْأَكْفُ الْجَوَامِدُ
فمثل قول أبي حنن النخعي في يحيى بن خالد البرمكي :

لَا تَرَانِي مُصَافِحًا كَفَّ يَحْيَى إِنِّي إِنْ فَعَلْتُ أَتَلَفْتُ^(٢) مَالِي
لَوْ يَمَسُّ الْبَخِيلُ رَاةً يَحْيَى لَسَخَتْ نَفْسُهُ بِبَذْلِ النَّوَالِ

ومثله قول ابن الحلياط^(٣) الدني في المهدي :

لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَنَى الْغَنَى وَلَمْ أَذِرْ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي^(٤)
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوُو الْغَنَى أَفَدْتُ ، وَأُعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي ١٠
وقد قيل إن هذا الشاعر كأنه مُصَرِّحٌ بالهجاء ؛ لأنه زعم أن الذي لمس كفَّه لم يفده شيئاً بل أعداه جوده ، فأَتَلَفَ ماله ، ولم يُرِدِ الشاعر إلا المدح ؛ ولقوله وجه ، وهو أن ذَوِي الْغَنَى هم الذين تستقر الأموال في أيديهم وتلبث تحت أيمانهم ؛ وَمَنْ أخرج ما يملكه حالا بحال لا بوصف بأنه ذو غنى ، فأراد الشاعر أنني لم أفد منه ما بقي في يدي واستقرت ١٥ تحت يدي ؛ فلهذا قال : لم أفد ما أفاد ذرو الغنى .

ومن هذا المعنى قول مسلم :

إِلَى مَلِكٍ لَوْ صَافَحَ النَّاسَ كُلَّهُمْ / لَمَا كَانَ حَيٌّ فِي الْبَرِيَّةِ يَبْخَلُ [١٧٦] ظ
ومثله قول المكوكة :

لَوْ لَمَسَ النَّاسُ رَاةً يَحْيَى مَا يَبْخَلُ النَّاسُ بِالْمَطَا

(١) ديوانه ٢١٢ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « أنلف » .

(٣) حاشية الأصل : « ابن الحلياط ، هو عبد الله بن محمد ، ويعرف بابن الحلياط » ذكر ذلك

أبو الفرج الأصبهاني رحمه الله وترجمته في الأغاني ١٨ : ٩٤ - ١٠٠ .

(٤) الأغاني ١٨ : ٩٤ .

وأحسن من هذا كله وأشبه بالدح ، وأدخل في طريقته قول البحترى :

مَنْ شَاكَرَ عَنِّي الْخَلِيفَةَ بِالَّذِي أَوْلَاهُ مِنْ طَوْلِ وَمِنْ إِحْسَانٍ^(١)
مَلَأَتْ يَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودُهُ بُخْلِي ، فَأَفْقَرَنِي كَمَا أَغْنَانِي
حَتَّى لَقَدْ أَفْضَلْتُ مِنْ إِفْضَالِهِ وَرَأَيْتُ نَهْجَ الْجُودِ حَيْثُ أَرَانِي
وَوَثَّقْتُ بِالْخَلْفِ الْجَمِيلِ مُعْجَلًا مِنْهُ ، فَأَعْطَيْتُ الَّذِي أُعْطَانِي

ومن هذا قول الآخر :

رَأَيْتُ النَّدَى فِي آلِ عَوْفٍ خَلِيقَةً إِذَا كَانَ فِي قَوْمٍ سِوَاهُمْ تَخْلُقًا
وَلَوْ جُزَّتْ فِي أَيْيَاتِهِمْ^(٢) لَتَعَلَّمْتُ يَدَاكَ النَّدَى مِنْهُمْ فَأَصْبَحْتَ مُمْلِقًا
ولا بن الرومي :

يَجُودُ الْبَخِيلُ إِذَا مَارَاكَ وَيَسْطُو الْجَبَانُ إِذَا عَايَنَكَ
فأما قوله :

وَأَحْوَاضُ عَزْرٍ حَوْمَةُ الْمَوْتِ دُونَهَا وَأَحْوَاضُ عُرْفٍ لَيْسَ عَنْهُمْ ذَائِدُ

فيشبهه أن يكون إبراهيم بن العباس الصولي أخذه في قوله :

لَنَا إِبِلٌ كَوْمٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا وَتَفَرَّ عَنْهَا أَرْضُهَا وَمَمَاوُهَا^(٣)
فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا وَمِنْ دُونِنَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهَا
حَيٍّ وَقَرَى فَاَلَوْتُ دُونَ مَرَامِهَا وَأَيْسَرُ خَطْبٍ عِنْدَ حَقِّ فَنَاوُهَا

وقد أحسن إبراهيم بن العباس في أبياته كل الإحسان .

فأما قوله :

يَكُونُ غِرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِذَارِهِ عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقِ رَاقِدُ

/ فكثير متداول ، ومن حسنه قول محمد بن عبد الملك الزيات :

[١٧٧]

و

(١) ديوانه ٢ : ٢٧٢ . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « في أثنائهم » .

(٣) ديوانه : ١٥٣ ، والأغاني ١٠ : ٥٩ (طبع دار الكتب المصرية) . الكوم : الإبل الضخمة

الغليظة السنام ؛ الواحد أ كوم والأثنى كوما .

نِعْمَ الْخَلِيفَةُ لِلرَّعِيَّةِ مَنْ إِذَا رَقَدَتْ وَطَابَ لَهَا الْكَرَى لَمْ يَرُقْدِ
ومثله :

وَيَظَلُّ يَحْفَظُنَا وَنَحْنُ بِغَفْلَةٍ وَيَبِيتُ يَكْلُونَا وَنَحْنُ نِيَامُ
ومثله للبحري :

أَرْبِيعَةُ الْفَرَسِ اشْكُرِي يَدَ مُنْعِمٍ ٥ وَهَبَ الْإِسَاءَةَ لِلْمُسِيءِ الْجَانِ (١)
رَوْعَتُمُو جَارَاتِهِ فَبَعَثْتُمُو مِنْهُ سَحِيَّةً آتِفٍ غَيْرَانِ
لَمْ تَكْرَهَنَّ قَاصِي الرَّعِيَّةِ عَيْنُهُ فَتَنَامَ عَنْ رُثْرِ الْقَرِيبِ الدَّانِي
فأما قوله :

كُنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا لِرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدُ
١٠ فنظير قول بعض الشعراء في يحيى بن خالد البرمكي :
أَحْيَا لَنَا يَحْيَى فَمَالَ خَالِدٍ فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ كَثِيرَ الْحَامِدِ
يَسْخُو بِكُلِّ طَارِفٍ وَتَالِدِ عَلَى بَعِيدٍ غَائِبٍ وَشَاهِدِ
النَّاسُ فِي إِحْسَانِهِ كَوَاحِدِ وَهُوَ لَهُمْ أَجْمَعِهِمْ كَالْوَالِدِ

ومن جيد قول مروان من قصيدة أولها :
١٥ خَلْتُ بَعْدَنَا مِنْ آلِ لَيْلَى الْمَصَانِعُ وَهَاجَتْ لَنَا الشُّوقَ الدِّيَارُ الْبَلَاقِعُ
يقول فيها :

وَمَالِي إِلَى الْمَهْدِيِّ لَوْ كُنْتُ مُذْنِبًا سِوَى جِلْمِهِ الضَّائِي عَلَى النَّاسِ شَافِعُ
وَلَا هُوَ عِنْدَ السُّخْطِ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا بَغْيَرِ الَّتِي يَرْضَى بِهَا اللَّهُ وَاقِعُ (٢)
تَغُضُّ لَهُ الطَّارِفُ الْعِيُونُ وَطَرْفُهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ خَاشِعُ

(١) ديوانه ٢ : ٢٧٢ . وفي حاشية الأصل : « ربيعة رجل ورث أباه دوابه ، فقبل له ربيعة
الفرس ؟ وسميت القبيلة باسم ربيعة وهي التي تذكر مع مضر » .
(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « ولا هو » وفيها (من نسخة) : « قائم » .

أما قوله :

* ولا هو عند السخط منه ولا الرضا *... البيت

فثل قول أشجع :

وَلَسْتُ بِمَخَافٍ لِأَبِي عَلَىَّ وَمَنْ خَافَ إِلَهَ فَلَنْ يُخَافَا

/ومثله:

أَمَّنِي مِنْهُ وَمَنْ خَوْفِهِ خِيفَتُهُ مِنْ خَشْيَةِ الْبَارِي

ولأبي نُوَاس :

قَدْ كُنْتُ خِفْتُكَ ثُمَّ أَمَّنِي مَنْ أَنْ أَخَافَكَ خَوْفَكَ اللَّهُ^(١)

ويُشَبِّه هذا المعنى ما روى عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه وآله أنه دعا غلاماً مراراً

فلم يجبه ، فخرج فوجدَه على الباب^(٢) فقال له : ما حملك على تركِ إجابتي ؟ قال : كسيت

عن إجابتك ، وأمنت عقوبتك ، فقال : عليه السلام : الحمد لله الذي جعلني ممن يأمنه خلقه .

فأما قوله : « تَعُضُّ لَهُ الطَّرْفَ الْعَيُونَ » فيشبه أن يكون مأخوذاً من قول الفرزدق ، أو ممن

تنسب إليه هذه الأبيات :

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُسْكِمُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِمُ^(٣)

(١) ديوانه ١٠٩ : من أبيات بحث بها لدى الفضل بن الربيع .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « على باب البيت » .

(٣) ينسب هذا البيت مع غيره أيضاً للعز بن الكنانى ؟ وانظر مامر من حواشى ص ٦٨ .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال : ٢٤] .
فَقَالَ : مَا مَعْنَى الْحَوْلِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ؟ وَهَلْ يَصِحُّ مَا تَأْوَلُّهُ قَوْمٌ مِنْ أَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْكَافِرِ وَبَيْنَ الْإِيمَانِ ؟ وَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ : ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ؟ وَكَيْفَ تَكُونُ الْحَيَاةُ فِي إِجَابَتِهِ ؟

الجواب ، قلنا : أَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فَفِيهِ وَجْهٌ :

أَوَّلُهُمَا أَنْ يَرِيدَ بِذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ الْإِنْتِفَاعِ بِقَلْبِهِ بِالْمَوْتِ ، وَهَذَا حَتَّى مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْمُبَادَرَةِ بِهَا قَبْلَ الْقَوْتِ وَانْقِطَاعِ التَّكْلِيفِ ، وَتَعَذُّرِ مَا يَسُوِّفُ بِهِ الْمَكْلَفَ نَفْسَهُ مِنَ التَّوْبَةِ وَالْإِقْلَاعِ ؛ فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ : بَادِرُوا إِلَى الْإِسْتِجَابَةِ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْمَوْتُ فَيَحُولَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْإِنْتِفَاعِ بِنَفُوسِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ ، وَيَتَعَذَّرَ عَلَيْكُمْ مَا تَسُوِّفُونَ بِهِ ^(١) نَفُوسَكُمْ مِنَ التَّوْبَةِ بِقُلُوبِكُمْ . وَيَقْوَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُخْشَرُونَ﴾ ^(٢) .

وِثَانِيهَا أَنْ يَحُولَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ بِإِزَالَةِ عَقْلِهِ وَإِبْطَالِ تَمْيِيزِهِ ، وَإِنْ كَانَ حَيًّا ، وَقَدْ يَقَالُ لِمَنْ فَقَدَ عَقْلَهُ وَسَلِبَ تَمْيِيزَهُ : إِنَّهُ بَغِيرُ عَقْلٍ ^(٣) ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ [ق : ٣٧] .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَكِنْ بَلَاقِلْبٍ إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ / وَلَى أَلْفُ وَجْهِ قَدْ عَرَفْتُ مَكَانَهُ

وَهَذَا الْوَجْهَ يَقْرُبُ مِنَ الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى أَخْرَجَ هَذَا الْكَلَامَ مَخْرَجَ الْإِنذَارِ لَهُمْ ،

(١) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ لِسْخَةِ) فِيهِ . (٢) بَقِيَّةُ الْآيَةِ السَّابِقَةِ

(٣) حَاشِيَةُ الْأَصْلِ (مِنْ لِسْخَةِ) : « بَغِيرُ قَلْبٍ » .

والحث لهم^(١) على الطاعات قبل فواتها ، لأنه لا فرق بين تمذّر التوبة وانقطاع التكليف بالوت وبين تمذّرهما بإزالة العقل .

وثالثها أن يكون المعنى المبالغة في الإخبار عن قُرْبِهِ من عباده وعلمه بما يبطنون ويخفون ؛ وأن الضمائر المكنونة^(٢) له ظاهرة ، والخفايا المستورة لعلمه بادية ؛ ويجرى ذلك مجرى قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ [ف : ١٦] ، ونحن نعلم أنه لم تعالى يُرَدِّ بذلك • قرب المسافة ، بل المعنى الذي ذكرناه .

وإذا كان عز وجل هو أعلم بما في قلوبنا منا ، وكان ما نعلمه أيضا يجوز أن ننساه ، ونسهو عنه ، ونُضِلَّ عن علمه - وكل ذلك لا يجوز عليه - جاز أن يقول : إنه يحول بيننا وبين قلوبنا ؛ لأنه معلوم في الشاهد أن كل شيء يحول بين شيئين فهو أقرب إليهما .

ولما أراد تعالى المبالغة في وصف القرب خاطبنا بما نعرف ونألف ؛ وإن كان القرب الذي عناه ١٠ جلت عظمتُهُ لم يُرَدِّ به المسافة ، والعرب تضع كثيراً لفظة القُرب على غير معنى المسافة ؛ فيقولون : فلان أقرب إلى قلبي من فلان ، وزيد مني قريب ، وعمرو مني بعيد ؛ ولا يريدون المسافة .

ورابعها - ما أجاب به بعضهم - من أن المؤمنين كانوا يفكرون في كثرة عدوهم ، وقلة عددهم ، فيدخل قلوبهم الخوف ، فأعلمهم تعالى أنه يحول بين المرء وقلبه ، بأن يبدّله بالخوف ١٥ الأمن ؛ ويبدّل عدوهم - بظنهم أنهم قادرون عليهم وغالبون لهم - الجبن والخور .

ويمكن في الآية وجه خامس ؛ وهو أن يكون المراد أنه تعالى يحول بين المرء وبين ما يدعو إليه قلبه من القبائح ؛ بالأمر والنهي والوعيد والوعيد ؛ لأننا نعلم أنه تعالى لو لم يكلف العاقل مع ما فيه من الشهوات والنفار لم يكن له عن القبيح مانع ؛ ولا عن مواقفته رادع ؛ فكان التكليف حائل بينه وبينه ؛ من حيث زجر عن فعله ، وصرف عن مواقفته ؛

[١٧٨] وليس يجب في الحائل / أن يكون في كل موضع مما يمتنع معه الفعل ؛ لأننا نعلم أن المشير منا على غيره في أمر كان قد همَّ به وعزم على فعله أن يجتنبه. والنبه له على أن الحظ في الانصراف عنه يصح أن يقال : منه^(١)، وحال بينه وبين فعله ، قال عبید الله بن قيس الرقيات^(٢) :

حَال دُونِ الْهَوَى وَدُوْنَ نَ سُرَى اللَّيْلِ مُصْعَبُ
وَسِيَّاطُ عَلَى أَكْفِ رِجَالٍ تُقَلِّبُ

ونحن نعلم أنه لم يحل إلا بالتخويف والترهيب دون غيرها .

فإن قيل : كيف يطابق هذا الوجه صدر الآية ؟

قلنا : وجه المطابقة ظاهر^(٣) ، لأنه تعالى أمرهم بالاستجابة لله تعالى ولرسوله فيما يدعون إليه من فعل الطاعات ، والامتناع من المقتضات ، وأعلمهم أنه بهذا الدعاء والإنذار وما يجري^(٤)

١٠ مجراهما يحول بين المرء وبين ما تدعوه إليه نفسه من المعاصي ؛ ثم إن المكاب بعد هذا كله إليه والمنقلب إلى ما عنده ؛ فيجازى كلا باستحقاقه .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ففيه وجوه :

أولها أن يريد بذلك الحياة في النعم^(٥) والثواب ، لأن تلك هي الحياة الطيبة الدائمة التي يؤمن من تغيرها ، ولا يخاف انتقالها ، فكأنه تعالى حث على إجابته التي تكسب

١٥ هذه الحال .

وثانيها أنه يختص^(٥) ذلك بالدعاء إلى الجهاد وقتال العدو ، فكأنه تعالى أمرهم بالاستجابة للرسول عليه السلام فيما يأمرهم به من قتال عدوهم^(٦) ؛ ودفعهم عن حوزة الإسلام

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « منه منه » . (٢) حاشية الأصل : « كان جده شاعرا يشبب

بجماعة من النساء ، اسم كل واحدة منهن رقية ؛ فأضيف إليهن » .

(٣) حاشية ف (من نسخة) : « وما جرى » . (٤) حاشية ف (من نسخة) : « النعم » .

(٥) ش : « أن يختص » . (٦) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف « الأعداء » .

وأعلمهم أن ذلك يحبيهم من حيث كان فيه قهراً للمشركين، وتقليل لمددكم، وفلح لخدمهم؛ وحسن لأطاعهم، لأنهم متى كثروا وقووا استلأنوا جانب المؤمنين؛ وأقدموا عليهم بالقتل وصنوف المكاره؛ فمن هاهنا كانت الاستجابة له عليه السلام في القتال تقتضي الحياة والبقاء؛ ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾؛ [البقرة: ١٧٩].

وثالثها ما قاله قوم من أن كل طاعة حياة، ويوصف فاعلها بأنه حي، كما أن الماصي يوصف فاعلها بأنه ميت، والوجه في ذلك / أن الطائع لما كان^(١) منتفعاً بحياته، وكانت تؤديه [١٧٩] إلى الثواب الدائم قيل: إن الطاعة حياة؛ ولما كان الكافر الماصي لا ينتفع بحياته؛ من حيث كان مصيره إلى العقاب الدائم كان في حكم الميت؛ ولهذا يقال لمن كان منغصاً^(٢) الحياة، غير منتفع بها: فلان بلا عيش ولا حياة، وما جرى مجرى ذلك من حيث لم ينتفع بحياته.

ويمكن في الآية وجه آخر، وهو أن يكون المراد بالكلام الحياة بالحكم لا في الفعل؛ ١٠ لأننا قد علمنا أنه عليه السلام كان مكلفاً مأموراً بجهاد جميع المشركين المخالفين لمثله وقتلهم، وإن كان فيما بعد كلف ذلك فيمن عدا أهل الذمة على شرطها؛ فكأنه تعالى قال: استجيبوا للرسول ولا تخالفوه، فإنكم إذا خالفتم كنتم في الحكم غير أحياء، من حيث تعبد عليه السلام بقتالكم وقتلكم، فإذا أطعتم كنتم في الحكم أحياء؛ ويجري ذلك مجرى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾؛ [آل عمران: ٩٧]؛ وإنما أراد تعالى أنه يجب أن يكون آمناً؛ ١٥ وهذا^(٣) حكمه، ولم يخبر بأن ذلك لا محالة واقع.

فأما الجبرية فلا شبهة لهم في الآية، ولا متعلق بها؛ لأنه تعالى لم يقل: إنه يحول بين المرء وبين الإيمان، بل ظاهر الآية يقتضي أنه يحول بينه وبين أفعاله، وإنما يقتضي ظاهرها أنه يحول بينه وبين قلبه؛ وليس للإيمان ولا للكفر ذكر، ولو كان للآية ظاهر يقتضي

(١) ش: «إذا كان». (٢) حاشية ف (من نسخة): «متكدر».

(٣) حاشية ف (من نسخة): «وهكذا حكمه».

ماظنوه - وليس لها ذلك - لا نصرفنا عنه بأدلة العقل الموجبة أنه تعالى لا يحول بين المرء وبين ما أمره به ، وأراد منه ، وكلفه فعله ؛ لأن ذلك قبيح ، والقبائح عنه منفية .

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني أحمد بن محمد الجوهري قال حدثنا الحسن بن عليّ المزني قال حدثنا أحمد بن عمرو بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن ابن عوف قال حدثني محمد بن خالد^(١) بن عبد الله عن الحجاج السلمي قال : لما اشتد بمحصن ابن حذيفة بن بدر وجهه من طعنة كرز^(٢) بن عامر إياه يوم بني عقيل دعا ولده فقال : إن الموت أهون مما أجد ، فأتيكم يُطيعني ؟ قالوا : كلنا نطيعك ؛ فبدأ بأكبرهم فقال : قم فخذ سبقي واطعن به حيث أمرك ، ولا تعجل ؛ قال : يا ابتاه : أقتل المرء^(٣) أباه ! فأتى على [١٢٩] القوم كلهم / ، فأجابوه جواب^(٤) الأول ؛ حتى انتهى إلى عيينة فقال : يا ابتاه ، أليس لك فيما تأمرني به راحة ، ولي بذلك طاعة ؛ وهو هواك ؟ قال : بلى ، قال : فرني كيف أصنع ، قال : قم فخذ سبقي فضعه حيث أمرك^(٥) ، ولا تعجل ، فقام فأخذ سيفه ، ووضع على قلبه ، ثم قال : يا ابتاه ، كيف أصنع ؟ قال : ألق السيف ؛ إنما أردت أن أعلم : أيكم أمضى لما أمر به ؛ فأنت خليفتي ورئيس قومك من بعدي ، فقال القوم : إنه^(٦) سيقول فيها كان بيتاً ، فاحضروه^(٧) فلما أمسى قال :

١٥ وَلَوْ أَعْيَيْتَنِي مِنْ بَعْدِي أُمُورَكُمْ وَاسْتَيْقِنُوا أَنَّهُ بَعْدِي لَكُمْ حَامٍ
إِذَا هَلَكْتُ فَإِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكُمْ عِزَّ الْحَيَاةِ بِمَا قَدَّمْتُ قُدَّامِي
وَاسْتَوْسِقُوا لَلَّتِي فِيهَا مَرُوءٌ نُكْمٌ قُوْدَ الْجِيَادِ ، وَضَرَبَ الْقَوْمُ فِي الْهَلَامِ^(٧)

(١) ش : « عمر بن خالد » . (٢) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « كرز » .

(٣) تر : « الرجل » . (٤) ف : « بجوابه الأول » . حاشية الأصل (من نسخة) :

« الجواب الأول » . (٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « كما أمرت به » .

(٦-٦) م : « إنه سيقول في ذلك شيئاً فيما بيننا ، فاحضروه » . (٧) استوسقوا : انضموا واجتمعوا ،

وفي حاشية الأصل : « نصب » قود الجياد ، على تقدير فعل مضمر ؛ كأنه قال : أعني قود الجياد » .

وَالْقُرْبَ مِنْ قَوْمِكُمْ وَالْقُرْبَ بِنَفْسِكُمْ -
 وَلِي حَذِيفَةُ إِذْ وَلَّى وَخَلَفَنِي
 لَا أَرْفَعُ الطَّرْفَ ذُلًّا عِنْدَ مُهَلِكَةٍ
 حَتَّى اعْتَقَدْتُ لِوَأَقَوْمِي قَعْتُ بِهِ
 لِمَا قَضَى مَا قَضَى مِنْ حَقِّ زَائِرِهِ
 أَسْمُو لِمَا كَانَتْ الْآبَاءُ تَطْلُبُهُ
 وَالذَّهْرُ آخِرُهُ شَبَهُ لِأَوَّلِهِ
 فَابْنُوا وَلَا تَهْدِمُوا فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ
 وَالْبُئْدُ إِنَّ بَاعَدُوا ، وَالرَّيْءُ لِلرَّأْيِ
 يَوْمَ الْمَبَايَةِ يَتِيًّا وَسَطًا أَبْتَامَ
 أَلْقَى الْمَدُّوْ بُوْجِهِ خَذُهُ دَائِي
 نَمَّ ارْتَحَلْتُ إِلَى الْجَفْنَى بِالشَّامِ
 عُجْتُ الْمَطَى إِلَى النُّعْمَانِ مِنْ عَامِي
 عِنْدَ الْمُلُوكِ فَطَرَفِي عِنْدَهُمْ سَائِي
 قَوْمٌ كَقَوْمِ وَأَبَامَ كَأَبَامِ
 مِنْ بَيْنِ بَنِي إِلَى الْعَلِيَّاءِ وَهَدَامِ

قال : ثم أصبح ودعا بني بدر ، فقال : لو أني ورياستي لعيينة ؛ واسمعوا مني ما أوصيكم به :

- ١٠ لَا يَسْكَلْ آخِرُكُمْ عَلَى أَوَّلِكُمْ ؛ فَإِنَّمَا يَدْرِكُ الْآخِرُ ^(١) مَا دَرَكَهُ الْأَوَّلُ ؛ وَأَنْكِحُوا الْكُفَّ ^(٢) .
 الْغَرِيبَ ؛ فَإِنَّهُ عَزَّ حَادَثٌ ؛ وَإِذَا حَضَرَكُمْ أَمْرَانِ نَخَذُوا بِخَيْرِهِمَا صَدْرًا ؛ فَإِنْ كُلُّ مُورِدٍ مَعْرُوفٌ ؛ وَاصْحَبُوا
 قَوْمَكُمْ بِأَجَلِ أَخْلَاقِكُمْ ؛ وَلَا تَخَالَفُوا فِيهِمَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ الْخِلَافُ يُزْرِي بِالرَّئِيسِ الْمَطَاعِ ؛
 وَإِذَا حَارَبْتُمْ فَأَوْقِعُوا ثُمَّ قُولُوا صَدَقَا ؛ فَإِنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْكُذْبِ ، وَصُونُوا الْخِيُولَ ، فَإِنَّهَا حِصُونُ
 الرِّجَالِ ؛ وَأَطِيلُوا الرِّمَاحَ ؛ فَإِنَّهَا قُرُونُ الْخِيَلِ ؛ وَأَعِزُّوا ^(٣) الْكَبِيرَ بِالْكَبِيرِ ؛ فَإِنِّي بِذَلِكَ كُنْتُ
 أَغْلِبُ النَّاسَ ، وَلَا تَفْزُوا إِلَّا بِالْعَبِيَّاتِ ؛ وَلَا تَسْرَحُوا حَتَّى تَأْمِنُوا الصَّبَاحَ ؛ وَأَعْطُوا عَلَى حَسَبِ
 ١٥ الْمَالِ ، وَأَعْجَلُوا الضَّيْفَ بِالْقَرَى ؛ فَإِنْ خَيْرَ مَا عَجَلُهُ ، وَاتَّقُوا فَضَحَاتِ الْبَنَى ، وَفَلَتَاتِ الْمِزَاحِ ، وَلَا
 تَجْتَرِّثُوا عَلَى الْمُلُوكِ ؛ فَإِنْ أَيْدِيَهُمْ أَطُولَ مِنْ أَيْدِيكُمْ ؛ وَاقْتُلُوا كُرُزَ بْنِ عَامِرٍ .

ومات حصن فأخذ عيينة الرياسة ، وقال :

أَطَعْتُ أَبَا عَيْنَةَ فِي هَوَاهُ فَلَمْ تَخْلُجْ صَرِيْعَتِي الظُّنُونُ ^(٤)

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « الأخير » . (٢) ف ، وحاشية الأصل (من نسخة) :

« الكنى » . (٣) م : « واغزو » . (٤) الصريعة : العزيمة والرأي . وفي حاشية

الأصل : « يقال : اختلجته الظنون وتخالجته وخلجته ، أي ظن ، والشاعر يقول : لم تأخذني الظنون مأخذها
 إلى طعنه ، ولم أظن ظنا » .

وَقَدْ عَرَضَ الرَّئِيسُ عَلَى بَنِيهِ فَقَالَ الْقَوْمُ : هَذَا لَا يَكُونُ
سَخِيحًا أَوْ تَمُوتُ ، فطاولوه^(١) وَقَتْلُ الْمَرْءِ وَالِدَهُ جُنُونٌ
فَلَمْ أَقْتُلْ بِحَمْدِ اللَّهِ حِصْنًا وَكُلُّ فَتَى سُدْرِكُهُ الْمُنُونُ
وَلَمْ أَنْكُلْ عَلَيْهِ ، وَكُلُّ أَمْرٍ إِذَا هَوْنَتُهُ يَوْمًا يَهُونُ
فَإِنْ يَكُ بَدْءُ هَذَا الْأَمْرِ غَنًّا فَأَخِرُهُ بَنِي بَذَرِ سَمِينُ

وحكى عمرو بن بحر الجاحظ أن اسم عيينة بن حصن حذيفة، وإنما أصابته اللقوة^(٢)
فحفظت عينه ؛ وزال فككه ، فسمى لذلك عَيْنِيَّةَ ؛ وإذا عظمت عين الإنسان لقبوه أبا عيينة،
وأبا عِيناء .

وروى قيس بن أبي حازم أن عَيْنِيَّةَ بن حصن دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله
١٠ فقال : « هذا أحق مطاع » .

وروى أيضاً أنه كان يدعى^(٣) لسانه للحسين بن عليّ عليهما السلام وهو صبيّ ، فيرى
[الصبيّ]^(٤) لسانه ، فيشّ له ، فقال له عيينة : ألا أراك^(٥) تصنع هذا بهذا ، فوالله إنه ليكون
لى الابن رجلاً قد خرج وجهه ، ما قبلته قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إنه
مَنْ لَمْ يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ »^(٦) .

١٥ ونمود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان ؛ فمما يُختار من شعره قوله من
قصيدة أولها :

صَحَا بَعْدَ جَهْلٍ فَاسْتَرَاخَتْ عَوَاذِلُهُ وَأَقْصَرَنَ عَنْهُ حِينَ أَقْصَرَ بَاطِلُهُ
[١٨٠] / وَمَنْ مُدَّ فِي أَيَّامِهِ فَتَأَخَّرَتْ مَنِيَّتُهُ ، فَالشَّيْبُ لَا شَكَّ شَامِلُهُ

(١) حاشية الأصل (من نسخة) :

* سَخِيحًا أَوْ يَمُوتُ فطاولوه *

(٢) اللقوة : داء في الوجه يعوج منه الشدق . (٣) يقال دلج لسانه وأدله إذا أخرجه .

(٤) تسكّلة من ش . (٥) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « لا أراك » .

(٦-٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « مَنْ لَمْ يَرْحَمْ لَا يَرْحَمْ » .

يقول في المديح فيها :

هُوَ الْمَرْءُ ؛ أَمَادِينُهُ فَهَوَ مَانِعُ
أَمْرٌ وَأَحْلَى مَا بَلَى النَّاسُ طَعْمَهُ
أَبِي لَمَّا يَأْبَى ذَوُو الْحَزْمِ وَالتَّقَى
تَرَوْكَ الْهُوَى ، لَا السُّخْطُ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا
يَرَى أَنْ مُرَّ الْحَقِّ أَحْلَى مَنبَةً
فَإِنْ طَلِيقَ اللَّهِ مَنْ هُوَ مُطْلِقُ
وَإِنَّكَ بَعْدَ اللَّهِ لِلْحَكَمِ الَّذِي

مَشُونُ^(١) ، وَأَمَّا مَالُهُ فَهَوَ بَادِلُهُ
عِقَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَائِلُهُ
فَقُولُ إِذَا مَا جَدَّ بِالْأَمْرِ فَاعِلُهُ
لَدَى مَوْطِنٍ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ حَامِلُهُ^(٢)
وَأُنْجَى وَلَوْ كَانَتْ زُعَافًا مَنَاحِلُهُ
وَإِنْ قَتِيلَ اللَّهُ مَنْ هُوَ قَاتِلُهُ
تُصَابُ بِهِ مِنْ كُلِّ حَقٍّ مَفَاصِلُهُ

أما قوله :

وَمَنْ مَدَّ فِي أَيَّامِهِ فَتَاخَّرَتْ
فَتَأْخُذُ مِنْ قَوْلِ طَرِيحِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ التَّقِيّ :
وَالشَّيْبُ غَايَةُ مَنْ تَأَخَّرَ حَيْنُهُ
لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ مَنْ يَجْزَعُ
وَالْأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا
وَاللِّمَوْتُ كَأْسٌ ، وَالْمَرْءُ ذَاتُهَا^(٣)
وَيُشَبِّهُ ذَلِكَ قَوْلَ الْآخَرِ :

١٥

قُلْ لِعِرْسِي لَيْسَ شَيْبِي بِعَجَبٍ
مَنْ يَعْشُ يَا أُمَّ عَمَارٍ يَشِبُ
وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ :

مَنْ يَعْشُ يَهْرَمُ ، وَمَنْ يَكْبُرُ يَمُتُ
وَالنَّايَا لَا تُبَالِي مَنْ أَنْتَ^(٤)

(١) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « مصون » . (٢) حاشية الأصل : « أي لا يحمى »
السخط ولا الرضا إلا على الحق .
(٣) عبطة : أي شابا صحيحا ؛ كذا ذكره صاحب اللسان (في ضبط) ، واستشهد بالبيت . وفي
نسخة ش : « فالمرء ذاتها » . (٤) ديوانه : ٣٩ .

يشبهه قول البحرى :

ولا بُدَّ من ترك إحدى اثنتين / ويقاربه أيضا قوله :
فإما الشبابُ وإما الممرُّ^(١)

[١٨١]

والشيبُ مهربٌ من جارى مَنِيَّتِهِ ولا نجاء له من ذلك المهرب^(٢)
وقريب منه قول ابن المعتز :

وقالت كبرت واتضيت من الصبا فقلت لها : ما عشت إلا لأ كبراً^(٣)
ولبعضهم :

ولا بُدَّ من موتٍ ؛ فإما شبيبةٌ وإما مَشِيبٌ ، والشبيبةُ أصلحُ
معنى قوله : « والشبيبةُ أصلحُ » أن الإنسان إذا مات شاباً كان أكثرَ للحزن عليه
والأسف على مفارقتة ، فإذا أسنَّ برَمَ به أهله ، وهان عليهم فقدوه .

فأما قوله :

هو المرءُ ، أما دينُهُ فهو مانعٌ صئون ، وأما ماله فهو باذله
فعناه متكرر في الشعر كثير جداً .

وأحسن شعر جمع بين وصف المدوح ؛ بمنع ما يجب منه ، وبذل ما يجب بذله قول
١٥ مسلم بن الوليد :

بِذَكَرُ نِيكَ الْجُودُ وَالْبُخْلُ وَالنَّهْيُ وَقَوْلُ الْخَنَاءِ وَالْجِلْمُ وَالْعِلْمُ وَالْجَهْلُ^(٤)
فَأَلْقَاكَ عَنْ مَذْمُومِهَا مُتَمَرِّهَا وَأَلْقَاكَ فِي مَحْمُودِهَا وَلَكَ الْفَضْلُ
وَأَحْمَدُ مِنْ أَخْلَاقِكَ الْبُخْلُ إِنَّهُ بِعَرَضِكَ لَا بِالْمَالِ حَاشَا لَكَ - الْبُخْلُ

(١) ديوانه : ١ : ٢١٩ (٢) ديوانه : ١ : ٣٠

(٣) ديوانه : ١ : ٣١١ ، واتضيت من الصبا ، أى خلع عنك صباك .

وقد أحسن البحترى في قوله :

بَلَوْنَا ضَرَائِبَ مَنْ قَدْ نَرَى فَمَا إِذْ وَجَدْنَا لِفَتْحِ ضَرِيَا^(١)
تَنْقَلُ فِي سَلَفِي^(٢) سُوْدِي سَمَحًا مُرَجًى وَبَاسًا مَهِيَا
فَكَالسَيْفِ إِنْ جِثَّتْ سَارِحًا وَكَالْبَحْرِ إِنْ جِثَّتْ مُسْتَهِيَا

فأما قوله :

تَرُوكُ الْمَهْوَى، لَا السَّخَطُ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا لَدَى مُوْطِنٍ إِلَّا عَلَى الْحَقِّ حَامِلُهُ

فمعنى متداول^(٣) مطروق في الشعر ، وقد كرره هو في قوله :

إِذَا هُنَّ الْقَيْنَ الرَّحَالَ يَبَايِهِ حَطَطْنَ بِهِ ثِقْلًا، وَأَدَرَ كُنَّ مَغْنَمًا^(٤)
إِلَى طَاهِرِ الْأَخْلَاقِ، مَا نَالَ فِي رِضَا وَلَا غَضَبٍ مَالًا حَرَامًا وَلَا دِمَا^(٥)

وأحسن من هذا قول أبي تمام في محمد بن عبد الملك :

ثَبَّتُ الْخَطَابَ إِذَا اضْطَكَّتْ بِمَظْلَمَةٍ فِي رَحْلِهِ السُّنُّ الْأَقْوَامِ وَالرُّكْبُ^(٦)
لَا الْمَنْطِقُ الْقَوِيُّ يَزُكُّ فِي مَقَاوِمِهِ يَوْمًا، وَلَا حُجَّةُ الْمَكْهُوفِ تُسْتَلَبُ
كَأَنَّمَا هُوَ فِي نَادَى قَبِيلَتِهِ لَا الْقَلْبُ يَهْفُو وَلَا الْأَخْشَاءُ تَضْطَرِبُ
وَتَحْتَ ذَاكَ قَضَاءُ حَزْ شَفَرَتِهِ كَمَا يَعْصُ بِظَهْرِ الْغَارِبِ الْقَتَبُ^(٧)
لَا سَوْرَةٌ تُتَمَّى مِنْهُ وَلَا بَلَةٌ وَلَا يُخَافُ^(٨) رِضَا مِنْهُ وَلَا غَضَبُ

(١) ديوانه ١ : ٥١ ، من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خافان وزير التوكل وبماتبه، ومطلعا :

لَوْتُ بِالسَّلَامِ بَنَانًا خَضِيْبًا وَلِحَظًا يَشُوقُ الْفَوَادِ الطَّرُوبَا

ومن نسخة بمحاشية الأصل : « فَمَا إِنْ رَأَيْنَا لِفَتْحِ ضَرِيَا » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :

« خَلَقِي سُوْدِي » ؛ وهي رواية الديوان . (٣) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « فَبَذُول » .

(٤) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « وَأَدِينْ مَغْنَمًا » ،

(٥) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « طَاهِرُ الْأَتَوَابِ » . (٦) ديوانه : ٤٨-٤٩ . ولي م :

« ثَبَّتَ الْجَنَانَ » . (٧) الْغَارِبُ : السَّكَاةُ . الْقَتَبُ : مَا يَوْضَعُ عَلَى ظَهْرِ الرَّحْلِ .

(٨) من نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « وَلَا يُخَافُ » .

ومثله قول البحتري في ابن الزيات أيضا :

وَجَهَ الْحَقُّ بَيْنَ أَخَذٍ وَإِعْطَا ۝ وَقَصْدٌ فِي الْجَمْعِ وَالتَّبْدِيدِ^(١)
وَاسْتَوَى النَّاسُ فَالْقَرِيبُ قَرِيبٌ ۝ عِنْدَهُ ، وَالْبَعِيدُ غَيْرُ بَعِيدٍ
لَا يَمِيلُ الْهَوَىٰ بِهِ حِينَ يُمِضِي ۝ أَمْرَ بَيْنَ الْمُقْلَىٰ وَالْمُودِدِ
وَسَوَاءَ لَدَيْهِ أَبْنَاءُ إِبْرَا ۝ هِمَّ فِي حُكْمِهِ وَأَبْنَاءُ هُودِ^(٢)
مُسْتَرِيحُ الْأَحْشَاءِ مِنْ كُلِّ ضَنْغٍ ۝ بَارِدُ الصَّدْرِ مِنْ غَلِيلِ الْحُقُودِ

فأما قوله :

* وَإِنْ قَتِيلَ اللَّهُ مَنْ هُوَ قَاتِلُهُ *

فيشبهه أن يكون مأخوذا من قول يزيد بن مفرغ في عبيد الله بن زياد :

١٠ إِنْ الَّذِي عَاشَ خَتَارًا بِذِمَّتِهِ ۝ وَمَاتَ عَبْدًا قَتِيلُ اللَّهِ بِالزَّابِ^(٣)

أما قوله :

وإِنَّكَ بِمَدِّ اللَّهِ لِلْحَكَمِ الَّذِي ۝ تُصَابُ بِهِ مِنْ كُلِّ حَقٍّ مِفَاصِلُهُ

فيشبهه قول أبي تمام يصف القلم ، من قصيدة يمدح بها ابن الزيات ، وأجمع العلماء أن

هذه الأبيات أحسن وأفخم من جميع ما قيل في القلم :

١٥ لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابِهِ ۝ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّي وَالْمَفَاصِلِ^(٤)
[١٨٢] لَهُ الْخَلَوَاتُ اللَّائِي لَوْلَا نَجِيَّتُهَا ۝ لَمَا احْتَفَلْتَ لِلْمُلْكِ تِلْكَ الْمَحَافِلُ

(١) ديوانه ١ : ٢٠٥ .

(٢) أبناء إبراهيم : المدغابيون ، وأبناء هود : الفسطاطيون .

(٣) الزاب : موضع قريب من أذربيجان ؛ وقَتِيلُ الزاب هو عبيد الله بن زياد ابن أبيه ؛ قتله أصحاب المختار بن أبي عبيد ؛ ويقال : إن إبراهيم بن الأشتر حمل على كتيفته فانهزموا ، ولقي عبيد الله نضربه فقتله ؛ والبيت في الأغاني ١٧ : ٦٨ ، وبمده :

الْمَبْدُ لِلْعَبْدِ ، لَا أَسْلُ وَلَا طَرْفُ ۝ أَلُوتُ بِهِ ذَاتُ أَظْفَارٍ وَأَنْيَابِ

(٤) ديوانه : ٢٥٧ . الشبابة هنا : حد القلم ، والكلية : جمع كلية أو كلوة .

لَمَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لَمَابُهُ
 لَهُ رِيْقَةٌ طَلٌّ ، وَلَكِنَّ وَقَعَهَا
 فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ ،
 إِذَا مَا امْتَنَطَى الْخَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرِغَتْ
 أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا ، وَتَقَوَّضَتْ
 إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الذِّكْيَ وَأَقْبَلَتْ
 وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصَرَانِ وَسَدَّدَتْ (١)
 رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ
 وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِ عَوَاسِلِ (٢)
 بَأَنَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْمَرْبِ وَابِلِ (٣)
 وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ
 عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ (٤)
 لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلِ
 أَعَالِيهِ فِي الْقِرْطَاسِ وَهِيَ أَسَافِلُ
 ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ
 ضَنَى ، وَتَمِينَا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاجِلُ

(١) الأرى : المصل . اشتارته : استخرجه . عواسل : جمع عاسلة ؛ والعاسل : مستخرج المصل .

(٢) الطل في الأصل : الطلر القليل . والوابل : المطر الكثير .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : « جعل القلم ممتطيا الأنامل ؛ لأنهن يحملنه وإن علونه ؛ ولو جعل القلم مطية للأنامل لأنها لعلوه لجاز وحسن . وقوله : « أفرغت عليه شعاب الفكر » دلالة قوية على أن الفكر مطية ؛ وبعد فهو منقول من قول أحمد بن يوسف وعمرو بن مسعدة : « الأفلام مطايا الفطن » .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « شددت » .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَيُّنَ تَدْعُبُونَ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لَعَنَ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؛ (التكوير: ٢٦-٢٩).
فَقَالَ: مَا تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ؟ أَوَّلَيْسَ ظَاهِرُهَا يَقْتَضِي أَنَّا لَا نَشَاءُ شَيْئًا إِلَّا وَاللهِ تَعَالَى شَاءَ لَهُ، وَلَمْ يَخْصُ إِيمَانًا مِنْ كُفْرٍ، وَلَا طَاعَةً مِنْ مَعْصِيَةٍ؟

الجواب، قلنا: الوجه المذكور في هذه الآية، أَنَّ السَّكْلَامَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا تَقْدِّمُهُ مِنْ ذِكْرِ
الاستقامة؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَعَنَ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾؟ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؛ أَي لَا تَشَاءُونَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى مَرِيدٌ لَهَا؛ وَنَحْنُ لَا نُنْكَرُ أَنْ يَرِيدَ اللَّهُ تَعَالَى الطَّاعَاتِ؛ وَإِنَّمَا أَنْكَرْنَا إِيرَادَتَهُ الْمَعَاصِي؛ وَلَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: تَقْدِّمُ ذِكْرَ الاستقامة لَا يُوجِبُ قَصْرَ الْكَلَامِ عَلَيْهَا؛ وَلَا يَنْفَعُ مِنْ عَمُومِهِ؛ كَمَا أَنَّ السَّبَبَ ١٠ لَا يُوجِبُ قَصْرَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ حَتَّى لَا يَتَعَدَّاهُ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي ذَكَرُوهُ إِنَّمَا يَجِبُ فِيمَ يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ مِنَ الْكَلَامِ دُونَ مَا لَا يَسْتَقِلُّ.

وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ لَا ذِكْرَ لِلدَّرَادِ فِيهِ؛ فَهُوَ غَيْرُ مُسْتَقِلٍّ
[١٨٢] بِنَفْسِهِ؛ وَإِذَا عُلِّقَ بِمَا تَقْدِّمُ مِنْ / ذِكْرِ الاستقامة اسْتَقْلَلْ؛ عَلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِلآيَةِ ظَاهِرٌ يَقْتَضِي مَا ظَنُّوهُ - وَلَيْسَ لَهَا ذَلِكَ - لَوْ جَبَّ الْأَنْصَرَفُ عَنْهُ بِالْأَدْلَةِ الثَّابِتَةِ؛ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَرِيدُ الْمَعَاصِيَ ١٥ وَلَا الْقَبَائِحَ؛ عَلَى أَنَّ مَخَالِفِينَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لَا يُمْكِنُ لَهُمْ حُلُّ الْآيَةِ عَلَى الْعَمُومِ؛ لِأَنَّ الْمَبَادِ قَدْ يَشَاءُونَ عِنْدَهُمْ مَا لَا يَشَاءُ اللَّهُ تَعَالَى؛ بِأَنْ يَرِيدُوا الشَّيْءَ وَيُعْزِمُوا عَلَيْهِ، فَلَا يَقَعُ لِمَنْعٍ أَوْ غَيْرِهِ؛ وَكَذَلِكَ قَدْ يَرِيدُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْكُفَّارِ الْإِيمَانَ، وَنُسَيْدُنَا بِأَنْ يَرِيدَ مِنَ الْمُقْسِدِ عَلَى الْقَبِيحِ تَرْكَهُ؛ وَإِنْ كَانَ تَعَالَى عِنْدَهُمْ لَا يَرِيدُ ذَلِكَ إِذَا كَانَ الْمَعْلُومُ أَنَّهُ لَا يَقَعُ؛ فَلَا بَدَّ لَهُمْ

من تخصيص الآية؛ فإذا جاز لهم ذلك بالشبهة جاز لنا مثله بالحجة؛ وتجري هذه الآية مجرى قوله تعالى: ﴿إِنْ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ، فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾؛ [الزمل : ١٩] ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ، [الإنسان : ٣٠] ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ، [القدر : ٥٦] ، في تعلق الكلام بمقابلته .

فإن قالوا : فالآية تدل على مذهبنا وبطلان مذهبكم^(١) من وجه آخر؛ وهو أنه عز وجل قال : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ؛ وذلك يقتضي أنه يشاء الاستقامة في حال مشيئتنا لها؛ لأن «أن» الخفيفة إذا دخلت على الفعل المضارع اقتضت الاستقبال؛ وهذا يوجب أنه يشاء أفعال العباد في كل حال ، ويبطل ما تذهبون إليه من أنه إنما يريد الطاعات في حال الأمر .

قلنا : ليس في ظاهر الآية إلا نشاء إلا ما شاء الله تعالى في حال مشيئتنا كما ظننتم ؛ وإنما يقتضي حصول مشيئته لما نشأه من الاستقامة من غير ذكر لتقدم ولا تأخر؛ ويجري ذلك مجرى قول القائل : ما يدخل زيد هذه الدار إلا أن يدخلها عمرو ؛ ونحن نعلم أنه غير واجب بهذا الكلام أن يكون دخولها في حال واحدة ؛ بل لا يمتنع أن يتقدم دخول عمرو ، ويتلوه دخول زيد ، و«أن» الخفيفة وإن كانت للاستقبال على ما ذكرناه ، فلم يبطل على تأويلنا معنى الاستقبال فيها؛ لأن تقدير الكلام : وما تشاءون الطاعات إلا بعد أن يشاء الله تعالى ، ومشيئته تعالى قد كانت لها حال الاستقبال^(٢) .

وقد ذهب أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي إلى أنه لا يمتنع أن يريد تعالى الطاعات حالا بعد حال ؛ وإن كان قد أرادها في حال الأمر ؛ كما يصح أن يأمر بها أمرا بعد أمر ؛ قال : / لأنه قد يصح أن يتعلق بإرادته ذلك منا بعد الأمر وفي حال الفعل مصلحة ؛ ويعلم [١٨٣] تعالى أننا نكون متى علمنا ذلك كنا إلى فعل الطاعات أقرب ، وعلى هذا المذهب لا يمتنع بما ذكرناه .

(١) حاشية ف (من نسخة) : « مذاهبكم » . (٢) حاشية ف (من نسخة) : « حال استقبال » .

والجواب الأول واضح إذا لم نذهب إلى مذهب أبي علي في هذا الباب ؛ على أن اقتضاء الآية للاستقبال من أوضح دليل على فساد قولهم ؛ لأن الكلام إذا اقتضى حدوث الشيئة واستقبالها بطل قول من قال منهم : إنه يريد لنفسه ، أو يريد بإرادة قديمة ، وصح ما نقوله من إن إرادته متجددة محدثة .

ويمكن في تأويل الآية وجه آخر مع حملنا إياها على العموم ؛ من غير أن نخصصها بما تقدم ذكره من الاستقامة ؛ ويكون المعنى : وما تشاءون شيئاً من فعالكم إلا أن يشاء الله تمكينكم من مشيئته ، وإقداركم عليها والتخليفة بينكم وبينها ؛ وتكون الفائدة في ذلك الإخبار عن الافتقار إلى الله تعالى ؛ وأنه لا قدرة للمبد على ما لم يقدره الله تعالى عز وجل ، وليس يجب عليه أن يستبعد هذا الوجه ؛ لأن ما يتعلق به الشيئة في الآية محذوف غير مذكور ؛ وليس لهم أن يعلقوا قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ بالأفعال دون تعلقه بالقدرة ؛ لأن كل واحد من الأمرين غير مذكور ، وكل هذا واضح بحمد الله .

ونعود إلى ما كنا وعدنا به من الكلام على شعر مروان ؛ فما يختار قوله من قصيدة أولها :

طَرَقَتْكَ زَاوِرَةٌ ، غَيَّ خَيَالَهَا بَيَضَاءُ تَخْلِطُ بِالْحَيَاءِ دَلَالَهَا

١٥ يقول فيها :

مَالَتْ^(١) بِقَلْبِكَ فَاسْتَمَادَ وَمِثْلَهَا قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَّا لَهَا
وَكَاثِمًا طَرَقَتْ رِنْفُحَةً رَوْضِيَةً سَحَّتْ بِهَا دِيمُ الرَّبِيعِ ظِلَالَهَا
بَانَتْ تُسَائِلُ فِي الْمَنَامِ مُعَرَّسًا^(٢) بِالْبَيْدِ أَشْعَثَ لَا يَمَلُّ سَوَاكُمَا
فِي فِتْيَةٍ هَجَمُوا غَرَارًا بَعْدَمَا سَمِعُوا مُرَاعِشَةَ السُّرَى وَمِطَالَهَا

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ملكت » .

(٢) التمريس : النزول في آخر الليل

فَكَأَنَّ حَشَوَ نِيَابِهِمْ هِنْدِيَّةٌ نَحَلَتْ وَأَغْفَلَتْ الميُونَ صِقَالَهَا

[١٨٣]

ظ

/ المراعشة^(١) : تحريك الرأس في السير من النوم .

أما ذكره في أول القصيدة طروق الطيف ؛ فإنه لم يأت فيه بمعنى غريب ؛ ولا لفظ مستعذب ؛ وقد قال الناس في الطيف والخيال فأكثرُوا ، وقد سبق في ذلك قيس بن الخطيم إلى معنى ؛ كلُّ الناس فيه عيال عليه ، وهو قوله :

أَنِّي سَرَبْتُ وَكُنْتُ غَيْرَ سَرُوبٍ | وَتَقَرَّبُ الْأَخْلَامُ غَيْرَ قَرِيبٍ^(٢)
مَا نَمَتْنِي يَقْطِي فَقَدْ تَوَلَّيْنَاهُ | فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرِّدٍ مَحْسُوبٍ
كَأَنَّ الْمَنَى بِلِقَائِهَا فَلَقِيَتْهَا | فَلَمَوْتُ مِنْ لَهْوِ أَمْرِي مَكْذُوبٍ
وقد أحسن جرير في قوله :

أَنْتَنَسَى إِذْ تَوَدَّعُنَا سُلَيْمَى | بَفَرْعٍ بِشَامَةٍ سَقَى الْبَشَامُ^(٣)
بِنَفْسِي مَنْ تَجَنَّبَهُ^(٤) عَزِيزٌ | عَلَى ، وَمَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامٌ
وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَرَاهُ | وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ

وهذه الأبيات وإن خلت من معنى في ذكر الطيف غريب ، فلم تخل من لفظ مستعذب .

ولأبي عبادة البحترى في وصف الخيال الفضل على كل متقدم ومتأخر ؛ فإنه تغفل في

(١) حاشية الأصل : « في نسخة الشجري : قال السيد المرتضى رضى الله عنه : المراعشة في الأصل : تحريك الرأس في السير من النوم » وفيها أيضا : « الرعش : المشى الضعيف ، من الإعياء وغيره » .
(٢) ديوانه : « ، وحاشية ابن الشجري ١٨٩ ، والآتي : ٥٢٤ . وانظر ٣٩٣ من هذا الجزء .
(٣) ديوانه : ٥١٢ ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات . والبشامة : واحدة البشام ؛ وهو شجر ذو أفنان وورق صغير ؛ إذا قصفت غصونه سال منها سائل أبيض كاللبن ؛ يتخذ منه سواك ؛ يريد أنها أشارت بسواكها تودعه ؛ ولم تتكلم مخافة الرقباء . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « تجنبه » وهي رواية الديوان . ونام : قلب .

أوصافه، واهتدى من معانيه إلى مالا يوجد لنيره، وكان مشغولا بتكرار القول فيه لهجاً يبداه
وإعادته؛ وإن كان لأبي تمام في ذلك مواضع لا يجمل فضلها، وعاسن لا يُبلغ شأوها؛ فما لأبي
تمام قوله:

زارَ الخيالُ لها، لا بَلْ أزارَ كهُ فِكرُ إذا نامَ فِكرُ الخلقِ لم يَم^(١)
طَبِي تَقَنَّنَتْهُ لَمَّا نَصَبْتُ لَهُ من آخرِ اللَّيْلِ أَشْرَا كما من الحُلُمِ
نَمَّ اغْتَدَى، وبنا من ذِكرِهِ سَقَمُ باقٍ، وإن كانَ مشغولاً^(٢) من السَّقَمِ
وقوله:

عادَكَ الزُّورُ لَيْلَةَ الرَّمْلِ من رَمَةٍ لَمَّةً بينَ الحِمَى وبينَ الطَّالِ^(٣)
ثم ما زاركَ الخيالُ وَلَكِنَّكَ بِكَ بِالْفِكرِ زُرْتَ طَيْفَ الخيالِ
وقوله:

اللَّيَالَى أَخْفَى بَقْلِي إذا ما جَرَحَتْهُ النَّوَى من الأيامِ
/ يالها لَذَّةٌ تَنَزَّهَتْ الأَرْ واحُ فيها سرّاً من الأجسامِ
مَجْلِسٌ لم يَكُنْ لَنَا فِيهِ عَيْبٌ غَيْرَ أَنَّا في دَعْوَةِ الأحلامِ
[١٨٤]

فأما البحتري فقولُه في هذا المعنى أ كثرُ من أن يذكر جميعه هاهنا؛ غير أنا نشير إلى
١٥ نادره، فمن ذلك قوله:

فلا وُضِلَ إِلَّا أنْ يُطِيفُ خَيالُها بنا تَحْتَ جُوشُوشٍ من اللَّيْلِ أَسْفَعُ^(٤)
أَلَمْتُ بنا بَعْدَ الهُدُوءِ فَسَاحَتْ بوَضِلَ مَتَى تَطْلُبُهُ في الجِدِّ تَمَنَعُ
وما بَرِحَتْ حَتَّى مَضَى اللَّيْلُ وانْقَضَى وأَعْجَلَهَا دَاعِيَ الصَّبَاحِ المَلَمَعِ
فَوَلَّتْ كَأَنَّ البَيْنَ يَخْلُجُ شَخْصَها أَوَّانَ تَوَلَّتْ من حَشَايَ وَأَضْلَمِي^(٥)

(١) ديوانه : ٢٦٨ . (٢) د ؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « معسولا ؛ أي وإن
كان ذلك السقم حلوا كالعسل » . (٣) الطال : موضع .
(٤) ديوانه : ٢ : ٢٨ . وفي حاشية الأصل : « الجوشوش : الصدر ؛ وكذلك الجوش والجوشن .
أسفع : أسود » . (٥) حاشية الأصل : « الخلج : الجذب ؛ يقول : كأن البين يخلجها من حشاي
وأضلمي » .

وَرُبَّ لِقَاءٍ لَمْ يُؤْمَلْ وَفُرْقَةٍ
أَرَانِي لَا أَنْفَكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ
أَسْرُ بِقُرْبٍ مِنْ مَلَمٍ مُسْلَمٍ
فَكَانَ لَنَا بِمَدِّ النَّوَى مِنْ تَفَرُّقٍ
وَكَقَوْلِهِ :

وَأَنِّي وَإِنْ ضَنْتُ عَلَى بَوْدِهَا
يَمِزُّ عَلَى الْوَاشِنِ لَوْ يَعْلَمُونَهَا
فَكَمْ غُلَّةٌ لِلشَّوْقِ أَطْفَاتُ حَرِّهَا
أَضْمُ عَلَيْهِ جَفَنَ عَيْنِي تَعْلَقًا
وَقَوْلِهِ :

بَلَى وَخَيَالٍ مِنْ أَثْنَلَةٍ كَلَّمَا
إِذَا زُورَةٌ مِنْهُ تَقَمَّصَتْ مَعَ الْكَرَى
تَرَى مُقَلَّتِي مَا لَا تَرَى فِي لِقَائِهِ
وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخَيُّلٍ بَاطِلٍ
وَقَوْلِهِ :

إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَى خِيَالِهِ
إِذَا انْتَرَعَتْهُ مِنْ يَدِي انْتِبَاهَةً
وَلَمْ أَرْ مِثْلَيْنَا وَلَا مِثْلَ شَأْنِنَا
وَقَوْلِهِ :

فَمَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى حُلْمٍ هَاجِدٍ
يُحِلُّ لَنَا جِدْوَالَكَ وَهِيَ حَرَامٌ^(١)

(١) ديوانه : ٢ : ١٢٢ . (٢) ديوانه : ٢ : ٨٧ ؛ وفيه : « وخيال من ثبيلة » .

(٣) ديوانه : ١ : ١٧٤ . (٤) ديوانه : ٢ : ٢٤٩ .

لَأَنْ ، لَمْ تُعْذَرَ وَلَمْ تُتَوَقَّعْ
تُعاوِدُ فِيهَا الْمَالِكِيَّةُ مَضْجَعِي
وَأَشْجَى بَيْنَ مِنْ حَبِيبٍ مُودَعٍ
تُرْجِيهِ أَخْلَامُ الْكَرَى ، وَتَجْمَعُ

لَأَرْتَاحُ مِنْهَا لِلْخَيَالِ الْمُورَقِ^(١)
لِيَالٍ لَنَا نَزْدَارُ فِيهَا وَنَلْتَقِي
بَطِيفٍ مَتَى يَطْرُقُ دُجَى اللَّيْلِ يَطْرُقُ
بِهِ عِنْدَ إِجْلَاءِ النَّعَاسِ الْمُرْتَقِ

تَأَوَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ تَمَرَّضَ يُطْمِعُ^(٢)
تَنْهَيْتُ مِنْ وَجْدٍ لَهُ أَنْفَرُغُ
وَتَسْمَعُ أَذْنِي رَجَعَ مَا لَيْسَ تَسْمَعُ
تُرَدُّ بِهِ نَفْسُ اللَّهْبِغِ قَرَجُ

شَفَى قُرْبُهُ التَّبْرِيجَ أَوْ نَقَعَ الصَّدَى^(٣)
عَدَدْتُ حَبِيبًا رَاحَ مِنِّي أَوْ غَدَا
نُعَذِّبُ أَيقَظًا وَنَنْعَمُ هُجْدًا

إذا ما تبادَلنا التَّفائِسَ خِلْتنا من الجِدِّ أيقاظًا ونَحْنُ نِيَامُ ^(١)
وقوله :

وئيلةَ هَوْمنا على العيسِ أرسَلتْ بطيفِ خيالٍ يُشبهُ الحقَّ باطلُهُ ^(٢)
فلولا بياضُ الصُّبحِ طالَ تشبُّثي بِعطفي غزالٍ يَتُّ وهنا أغارِلُهُ
وقوله :

أَمِنْكَ تَأَوُّبُ الطِّيفِ الطَّرُوبِ حَبِيبٌ جاءَ يُهْدِي من حَبِيبِ ^(٣)
تَخَطَّى رِقْبَةَ الوَاشِينَ كُرْها ^(٤) وَبُعْدَ مَسافَةٍ الخَرَقِ المَجُوبِ
يُكَاذِبُنِي وَأصدُّهُ وِدَادًا وَمِنْ كَلَفِ مُصادَقَةِ الكَذُوبِ
وقوله :

ما تَقْضَى لُبَانَةٌ عِنْدَ لُبْنَى والمُعْنَى بِالغائِيَاتِ مُعْنَى ^(٥)
هَجَرَتْنَا يَقْطَى وَكَادَتْ عَلَى مَذْ هَبْها ^(٦) فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسَنَى
بَعْدَ لَأْيٍ وَقَدْ تَعَرَّضَ مِنْها طَائِفٌ عَرَّجَتْ عَلَى الرَّكْبِ وَهنا

قال المرتضى رضى الله عنه : ووجدت أبا القاسم الحسن بن بشر الأمدى مع ميله إلى
البحترى وأخطأه في شيعه، واجتهاده في تأويل ما أخذ عليه من خطأ وزلل يزعم أن البحترى
١٥ أخطأ في قوله :

هَجَرَتْنَا يَقْطَى وَكَادَتْ عَلَى مَذْ هَبْها فِي الصُّدُودِ تَهْجُرُ وَسَنَى
قال: "لأن ^(٧) خيالها يتمثل له في كل أحوالها ؛ يقضى كانت أو وسنى". قال: "ولكن
الجيد في هذا المعنى قوله :

(١) حاشية الأصل : « في نسخة س : قرأت في ديوانه على شيخى : « خلطنا » ، بضم التاء .
(٢) ديوانه ٢ : ١٦٢ . (٣) ديوانه ١ : ٨٤ .
(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « وهنا » ؛ وهي رواية الديوان .
(٥) ديوانه ٢ : ٢٩٠ . (٦) في الديوان : « عادت » ؛
(٧) الموازنة بين أبي تمام والبحترى : ١٨٨ .

أَرَدْتُ دَوْنَكَ يَقْظَانَا وَيَأْذُنُ لِي عَلَيْكَ سُكْرُ الْكَرَى إِنْ جِئْتُ وَسَنَانَا

قال : "والذى أوقع البحرى فى هذا النلط قول قيس بن الخطيم :

[١٨٥] / مَا تَمْنَى يَقْظَى فَقَدْ تَوَيْبَتْهُ / فِي النَّوْمِ غَيْرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبٍ

وكان الأجود أن يقول : ما تمنى فى اليقظة فقد تويبت فى النوم ، أى ما تمنى فى يقظى فقد تويبت فى حال نومي ؛ حتى يكون النوم واليقظة منسوبين إليه ؛ لأن خيال المحبوب يتمثل فى حال نومه ويتمظته جيماً ، قال : إلا أنه يتسع من التأويل فى هذا لقيس ما لا يتسع للبحرى لأن قيساً قال : « فقد تويبت فى النوم » ولم يقل نائمة ؛ وقد يجوز أن يحمل على أنه أراد : ما تمنى يقظى وأنا يقظان ؛ فقد تويبت فى النوم ، أى فى نومي ؛ ولا يسوغ مثل هذا فى بيت البحرى لأنه قال : « وسنى » ولم يقل فى الوسن .

قال سيدنا أدام الله علوه : وقد يمكن من التأويل للبحرى ما يمكن مثله لقيس ؛ لكن الآمدى قد ذهب عن ذلك ؛ لأن البحرى لما قال : « وسنى » دل على حال الوسن ؛ والحال الممهودة للوسن حال يشترك الناس فيها فى النوم بالمادة ، كما أن الحال الممهودة لليقظة حال مشتركة بالمادة ؛ فقوله : « وسنى » ينبئ عن كونه هو أيضاً نائماً ؛ وإنما أراد المقابلة فى زنة اللفظ بين يقظى ووسنى .

وقوله : « يقظى » متى لم يحمل أيضاً على هذا المعنى لم يصح ؛ لأنه لا بد أن يريد بذلك : هجرتنا فى أحوال اليقظة ؛ ويكون معنى « يقظى » يمتد إلى إليه ؛ ألا ترى أن الآمدى حمل قول قيس : « يقظى » على معنى : « وأنا يقظان » وإن لم يبين الوجه ؛ فكيف ذهب عليه مثل ذلك فى قول البحرى !

وقوله : « وسنى » و« يقظى » مثل قول قيس : « يقظى » ، ولومكن قيساً وزن الشرمن أن يقول : « وسنى » فى مقابلة : « يقظى » لقاله وما عدل عنه إلى النوم ؛ لأنه لم يكن عليه فى « وسنى » إلا ما عليه فى « يقظى » ، وما يتأول له فى أحد الأمرين يتأول له فى الآخر .

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ولي في الخيال وطروقه معني ما علمت أنه سبق إليه ، من

جملة قصيدة :

وَزَوْرٍ تَخَطَّى جُنُوبَ الْمَلَا فَنَادَيْتُ أَهْلًا بِذَا الرَّائِرِ
أَنَايَ هُدُوءًا وَعَيْنُ الرَّقِي بِمَطْرُوفَةٍ بِالْكَرَى النَاصِرِ
فَأَعْجَبَ بِهِ يُسَعِفُ الْمَاجِئِينَ وَتُخْرِمُهُ مُقَلَّةُ السَّاهِرِ
/ وَعَهْدِي بِتَمْوِيهِ عَيْنِ الْمَحِبِّ نِيْمٌ عَلَى قَلْبِهِ الطَّائِرِ
فَلَمَّا التَّقَيْنَا بَرَّغَمَ الرُّقَا دِمَوَّةَ قَلْبِي عَلَى نَاطِرِي

[١٨٥]
ط

ومعنى البيت الآخر أن الأحلام إنما هي اعتقادات تحصل في القلب لاحقيقة لأكثرها؛ لأن الإنسان يعتقد أنه راء لما لا يراه على الحقيقة ، ومذكر لما ليس بمذكره على الحقيقة ؛ ١٠ فالقلب يخيّل في النوم لأمين مالا حقيقة له ؛ كما أن العين تخيّل في كثير من الأحوال للقلب مالا حقيقة له .

فأما قول مروان :

* فكَأَنَّمَا طَارَقَتْ بِنَفْحَةِ رَوْضَةٍ * . . البيت

فيشبهه أن يكون مأخوذاً من قول نهشل بن حرّى (١) :

طَرَقَتْ أَسِيَاءُ الرَّحَالِ وَدُونَهَا نَيْنَانٍ مِنْ كَيْلِ النَّامِ الْأَسْوَدِ (٢)
وَمَفَاوِزُ وَصَلَ الْفَلَاةُ جُنُوبَهَا بِجُنُوبِ أُخْرَى ، غَيْرَ أَنْ لَمْ تَقْدِ

١٥

(١) حاشية الأصل : « منسوب إلى المرة ؛ موضع فيه حجارة سود » .

(٢) في حاشيتي الأصل ، ف : « التي : واحد أثناء القى ، أى تضاعفه ، وثى الوادى والجبل : منعطفه » . ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « بينان » ؛ وهو مثني بين ؛ والبين : القطعة من الأرض على مد البصر . ومن نسخة أيضا :

* نَقْيَانٍ مِنْ رَمْلِ الثَّمَامِ الْأَسْوَدِ *

وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يقال : ولد المولود لثمام ، وقر ثمام [بفتح التاء وكسرهما] ، ولبل الثمام ، بالكسر لا غير ؛ وهى أطول ليلة في السنة » .

رَمَلٌ إِذَا أَبْدَى الرَّكَّابِ قَطْعَنَهُ قَرَعَتْ مَنَايِمُهَا بِقَفٍّ قَرَدَدٍ^(١)
وَكُنَّ رِيحَ لَطِيمَةٍ هِنْدِيَّةٍ وَذِكَى جَادَى بِنَصْعٍ مُجَسَّدٍ^(٢)
وَنَدَى خَزَامَى الْجَوِّ، جَوْ سَوِيْقَةٍ طَرَقَ الْخَيَالُ بِهَرَبُوعَةِ الرَّقَدِ^(٣)
أو من قول الآخر :

طَرَقَتْكَ زَيْنَبُ وَالْمَزَارُ بَعِيدُ بِمَنَى وَنَحْنُ مُعَرَّسُونَ هُجُودُ^(٤)
فَكَأَنَّمَا طَرَقَتْ رِبَّيًّا رَوْضَةً أَنْفٍ يَسْحَسِحُ مُزْمُهَا وَيَجُودُ^(٥)
وهذا المعنى كثير في الشعر المتقدم والمتأخر جداً.
فأما قوله :

* بَانتْ تَسَائِلُ فِي الْمَنَامِ مَعْرَسًا *

البيت، والبيتان اللذان بعده؛ فقد قال الناس في وصف قلة النوم، ومواصلة السرى، والإدلاج،
وشعث السارين فأكثرُوا، فمن أحسن ما قيل في ذلك قول كبيد :
وَبَجُودٍ مِنْ صُبَابَاتِ الْكَرَى عَاطِفِ النَّمْرِقِ صَدَقِ الْمُتَعَذِّلِ^(٦)

-
- (١) الركاب : الإبل ؛ والناسم : جمع منسم كجالس : خف البعير . والفف : ما ارتفع من الأرض
وغلظ . والقردد : الغليظ المرتفع . (٢) اللطيمة : البير التي تحمل الضيب والسك . والجادى :
الزعفران . والنصع : الثوب الأبيض . والمجسد : المصبوغ بالزعفران .
(٣) الخزامى : نبت طيب الريح . وجو سويقة : موضع بالصمان .
(٤) يقال : عرس القوم بالمسكان وأعرسوا ؛ إذا نزلوا في آخر الليل للاستراحة .
(٥) روضة أنف : لم ترع . ويسحسح : يسيل . والجود : المطر النزير .
(٦) ديوانه ١٣ : ٢ . المجود : الذي يجهد من العباس ؛ كذا ذكره صاحب اللسان، واستشهد بالبيت .
وفي حاشية الأصل : « المجود الذي سقى الجود ؛ وهو المطر ؛ والمعنى هنا على التشبيه ؛ كأن النوم جاده ؛
أي مطره . والصبابات : جمع صبابة ؛ وهي البقية . والمخرقة ، مثناة : الطنفة فوق الرجل . وصدق
المتنزل : جلد قوى لا يتغير عند ابتذله نفسه ولا يسقط ؛ والابتذل : مصدر بمعنى الابتذال ؛ وهو ضد الصيانة » .

[١٨٦] / قَالَ هَجَدْنَا فَقَدْ طَالَ السَّرَى وَقَدَرْنَا إِنْ خَنَى الدَّهْرُ غَفْلًا^(١)
 قَلَمًا عَرَّسَ حَتَّى هِجَّتْهُ بِالتَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ^(٢)
 يَلْمَسُ الْأَخْلَاسَ فِي مَنَزِلِهِ بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِيِّ الْمُصَلِّ^(٣)
 يَتَمَارَى فِي الذِّى قُلْتُ لَهُ وَلَقَدْ يَسْمَعُ قَوْلِي حَيْهَلًا^(٤)

ومن ذلك قول ذى الرمة :

وَلَيْلٌ كَأَنَّهَا الرُّؤْبِزِيُّ جَبَّتْهُ بِأَرْبَعَةٍ، وَالشَّخْصُ فِي الْمَيْنِ وَاحِدٌ^(٥)
 - والرُّؤْبِزِيُّ ، هو الطيلسان . وقد روى أيضاً : « كجلباب المروس أدرعته » ؛ وكل ذلك وَصَفَ له بالسواد ؛ لأن الطيلسان أسود ، وجلباب المروس أخضر ، والعرب تجمع بين الخضرة والسواد -

١٠ أَحْمُ عِلَافِيٌّ ، وَأَبْيَضُ صَارِمٌ ، وَأَعْيَسُ مَهْرِيٌّ ، وَأَشَعْتُ مَا جَدُّ^(٦)

(١) هَجَدْنَا : من التهجد ؛ وهو هنا بمعنى النوم ؛ أى دعنا ننام . والسرى : سير عامة الليل وقدرنا ، أى وقدرنا على ورود الماء ، أو قدرنا على التهجد ، أو على السير . وخنى الدهر : آفته وفساده ؛ أى إن غفل منا فساد الدهر فلم يعقنا . (٢) قلما ؛ ما المتصلة بقل كافة لها عن طلب الفاعل ؛ وتجميلها بمنزلة ما النافية في الأغلب ؛ وهنا لإثبات الفلة . والتعريس : النزول في آخر الليل للاستراحة ؛ وهجته : أيقظته من النوم ، وحاج يهيج ؛ يحس لازماً ومتعمداً . وبالتباشير ، أى بظهورها . والتباشير : أوائل المصبح ، جمع تبشير . والأول : صفة التبشير ؛ وهو جمع أولى مؤنث الأول .

(٣) يلمس الأخلاس ؛ يطلبها ، والأخلاس : جمع حلس ؛ وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت رحله . وقوله : « كاليهودى المصل » ؛ قال في حاشية الأصل : « شبهه باليهودى لأنه يسجد على شق وجهه ، وأصل ذلك أنهم لما تنق الجبل فوقهم قيل لهم : إما أن تسجدوا وإما أن يلقى عليكم ، فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم الجبل ؛ فصار عندهم سنة إلى اليوم » . وكذا جاء في شرح الطوسي .

(٤) التمارى : المجادلة . وحيهل : اسم فعل بمعنى أسرع وهجل ؛ وهذه الأبيات أوردها صاحب الحزانة (٢ : ٢٨) فقلاعن الفرر .

(٥) ديوانه : ١٢٩ . أى لاتفاوت الشخصوس والألوان فيه لظلمته .

(٦) يقول : جبت الليل بأربعة ؛ ثم فسر الأربعة فقال : أحمر أسود ؛ وبني به الرجل ، وعلافى : منسوب إلى علاف ؛ وهو رجل من قضاة . والأبيض الصارم : السيف الفاطم . والأعيس : الأبيض ، يعنى بعيره . والماجد : الكثير المفاخر ؛ وفي حاشية الأصل : « الإبل المهرية : منسوبة إلى مهرة بن حيدان ، =

- أَخُو شُقَّةٍ جَابَ الْفَلَاةَ بِنَفْسِهِ
وَأَشْمَتَ مِثْلَ السَّيْفِ قِدْلًا حَجَسَمَهُ
سَقَاءُ الْكَرَى كَأْسُ النَّعَاسِ فَرَأَسُهُ
أَقَمْتُ لَهُ مَذَرَ الْمَطَى فَمَا دَرَى
تَرَى النَّاشِئُ الْغَرِيدَ يُضْحِي كَأَنَّهُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي حِيَّةٍ الْغَمَرِيِّ :
- وَأَغْيَدَ مِنْ طُولِ الشَّرَى بَرَّحَتْ بِهِ
مَرَبْتُ بِهِ حَتَّى إِذَا مَا تَمَزَّقَتْ
أَنْخَنَا فَلَمَّا أَنْ جَرَتْ فِي دِمَاقِهِ
فَمَا قَامَ إِلَّا بَيْنَ أَيْدٍ تُقِيمُهُ
خَطَا الْكُرَّةَ مَقْلُوبًا كَأَنَّ لِسَانَهُ
وَوَدَّ بَوْسَطَى الْخُمْسِ مِنْهُ لَوَانَنَا
- عَلَى الْمَوَلِّ حَتَّى طَوَّحَتْهُ الْمَطَارِدُ^(١)
وَجِيفُ الْمَهَارَى وَالْهُمُومُ الْأَبَاعِدُ^(٢)
لَدِينِ الْكَرَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ سَاجِدُ
أَجَائِرَةٍ أَغْنَاهَا أَمْ قَوَاصِدُ
عَلَى الرَّحْلِ مِمَّا مِنْهُ السَّيْرُ عَاصِدُ^(٣)
- أَفَانِينَ نَهَاضَ عَلَى الْأَبْنِ مِرْجَمُ^(٤)
تَوَالِي الدُّجَى عَنْ وَاضِحِ اللَّوْنِ مُعَلَّمُ
وَعَيْنَيْهِ كَأْسُ النَّوْمِ قُلْتُ لَهُ : قُمْ
كَمَا عَطَفْتُ رِيحُ الصَّبَا خُوطَ سَاسَمِ^(٥)
- لِيَا رَدٍّ مِنْ رَجْعِ لِسَانِ الْمُبَكِّسِ
رَحَلْنَا وَقُلْنَا فِي الْمُنَاحِرِ لَهُ : نَمِ^(٦)

والجمع المهاري، ثم تخفف فيقال: مهاري، ونفتح الراء فيقال: مهاري، تشبيها بصحاري وعذارى، وأصله صحاري وعذارى، فمنهم من يحذف الياء فيقول صحاري [بالكسر]، ومنهم من يحذف الأولى ويجعل الثانية ألفا فيقول صحاري [بالتفتح] لنسلم الألف من الحذف عند التنوين، ومن يحذف الثانية يقول: صحار كجوار .

(١) جاب الفلاة: قطعها . وطوحت: أهدته . وفي الديوان: «لوحت» . وفي حاشية الأصل: «المطارِد: المواضع التي يطرد فيها . ويجوز أن يكون جمع مطرد» . وفي الديوان: «المطاود» .

وفي شرحه: «المطاود: الذهاب في الأسفار» . (٢) أشمت: يفتي صاحبه، يشبهه بالسيف في ضموه ودقته؛

والوجيف: نوع من السير . (٣) الناشئ: الشاب . والغريد: ذو الصوت الحسن .

وفي حاشية الأصل: «العاصد من الإبل: الذي يلوي عنقه إلى حاركة عند الموت . والعصد: المني» .

(٤) المريج: الرجل الشديد، كأنه يرى به معاديه .

(٥) الساسم: نوع من الشجر؛ قبل هو الأبنوس . (٦) بوسطى الخمس: أي بدل قطع الوسطى؛ وفي حاشية الأصل: «يروى: بجمع الألف» ، و«يروى: بقطع الخمس» .

مَجْلِسُ آخِر

تَاوِيلُ آيَةٍ

[١٨٦] إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: ٢٠] .

فقال: أى معنى الاختصاص «الأرض» بالذكر وهم لا يفوتون الله تعالى ولا يُعجزونه، ولا يخرجون عن قبضته على كل حال، وفي كل مكان؟ ولم نفى الأولياء عنهم، وقد نجد أهل الكفر يتولّى بعضهم بعضاً وينصرونهم ويحمونهم من المكاره؟ وكيف نفى استطاعتهم للسمع والإبصار، وأكثرهم قد كان يسمع بأذنه ويرى بعينه؟

الجواب، قلنا: أمّا الوجه في اختصاص الذكر بالأرض، فلأنّ عادة العرب جارية بقولهم للمتوعد: لا مهرب لك منى، ولا وزر، ولا نفق، والوزر: الجبل، والنفق: السرب، وكل ذلك مما يلجأ إليه الخائف المطلوب، فكأنه تعالى نفى أن يكون لهؤلاء الكفار عاصم منه، ومانع من عذابه؛ وأن جبال الأرض وسهولها لا تحجز بينهم وبين ما يريد إيقاعه بهم؛ كما أنها تحجز عن كثير من أفعال البشر؛ لأنّ معاقل الأرض هي التي يهرب إليها البشر من المكاره؛ ويلجئون إلى الاعتصام بها عند المخاوف؛ فإذا نفى تعالى أن يكون لهم في الأرض معقل فقد نفى المعقل من كل وجه .

١٥ فأما قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ فمعناه أنه لا ولى لهم، ولا ناصر من عذاب الله تعالى وعقابه لهم في الآخرة؛ ولا مما يريد أيضا إيقاعه بهم في الدنيا، وإن كان لهم من يحميهم من مكروه البشر وينصرهم ممن أرادهم بسوء؛ وقد يجوز أن يكون ذلك أيضاً بمعنى الأمر، وإن كان مخرجه مخرج الخبر؛ ويكون التقدير: وليس لهم أن يتخذوا أولياء

من دون الله، بل الواجب أن يرجعوا إليه في معونتهم ونصرهم ، ولا يملؤوا على غيره .
فأما قوله عز وجل : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ ففيه
وجوه :

أحدها أن يكون المعنى : يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع فلا يسمعون ؛
وبما كانوا يستطيعون الإبصار فلا يبصرون ؛ عناداً للحق ، وذهاباً عن سبيله ؛ فأسقط الباء
من الكلام ، وذلك جائز كما جاز في قولهم : لأجزيتك بما عملت ، ولأجزيتك ما عملت ؛ ولأحدثتك
بما عملت ، ولأحدثتك ما عملت ؛ وكما قال الشاعر :

تُعَالِي اللَّحْمَ لِلْأَضْيَافِ نَيْثًا وَتُبْذِلُهُ إِذَا نَضِجَ الْقَدِيرُ^(١)

فأراد : تغالى باللحم .

والوجه الثاني أنهم لاستثقالهم استماع آيات الله تعالى ، وكراهيتهم^(٢) تذكرها وتفهمها .
جروا بحجري مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ السَّمْعَ ، كما يقول القائل : ما يستطيع فلان أن ينظر لشدة
عداوته إلى فلان ، وما يقدر على أن يكلمه ؛ وكما تقول لمن عهدنا منه العناد والاستثقال
لاستماع الحجج والبيانات : ما نستطيع أن نسمع الحق ؛ وما تطيق أن يُذَكَّرَكَ ؛ وكما قال
الأعشى :

وَدَّعْ هَرَبَرَةً إِنْ الرُّكْبَ مُرْتَحِلُ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أُيُّهَا الرَّجُلُ^(٣) ١٥

ونحن نعلم أنه قادرٌ على الوداع ؛ وإنما نفى قدرته عليه من حيث الكراهة والاستثقال .
ومعنى : ﴿ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ أى أن إبصارهم لم يكن نافعا لهم ؛ ولا مجدياً عليهم ؛ مع
الإعراض عن تأمل آيات الله تعالى وتدبرها ؛ فلما انتفت عنهم منفعة الإبصار جاز أن ينفى
عنهم الإبصار نفسه ؛ كما يقال للمريض عن الحق ، العادل عن تأمله : مالك لا تبصر ، ولا تسمع ؛
ولا تمقل ؟ وما أشبه ذلك .

(١) البيت في اللسان (غلا) : قال في شرحه : « تغالى اللحم ، تشتره غالبا ، ثم تبذله ونطعمه إذا

نضج في قدورنا » . والفدير : ما طبخ من اللحم بتوال . (٣) ديوانه : ٤١ .

والوجه الثالث ^(١) أن يكون معنى نفى السمع والبصر ^(٢) راجعاً إلى آلهتهم لا إليهم؛ وتقدير الكلام : أولئك وآلهتهم لم يكونوا معجزين في الأرض، يضاعف لهم العذاب؛ ثم قال مخبراً عن الآلهة : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴾ ، وهذا الوجه يروى ^(٣) عن ابن عباس راحة الله عليه ، وفيه أدنى بمد .

ويمكن في الآية وجه رابع ، وهو أن يكون مافى قوله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ ليست للنفي ؛ بل تجري مجرى قولهم : لأواصلنك ملاح نجم ؛ ولأقيمَنَّ على مودتك ما طلعت شمس ؛ ويكون المعنى أن العذاب يضاعف لهم في الآخرة ؛ ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ؛ أى أنهم معذبون ما كانوا أحياء .
فإن قيل : كيف يعبر عن كونهم أحياء باستطاعة السمع والإبصار ؛ وقد يكون حياً من لا يكون كذلك ؟

[١٨٧] قلنا : للعرب في مثل هذا / عادة ؛ لأنهم يقولون : والله لا كلمت فلاناً ما نظرت عيني ، ومشت قدحى ؛ وهم ، يريدون : ما بقيت وحييت ؛ لأن الأغلب من أحوال الحى أن تنظر عينه ، وتمشى قدمه ؛ فجعلوا الأغلب كالواجب ؛ ومن ذلك قول الشاعر :

وما أنسَ من شئٍ تقادمَ عهدُهُ فليستُ بناسٍ ما هدَّتْ قدَمِي نَعْلِي
عشيّةً قالتُ والدُّمُوعُ تُعِينُهَا : ^(٤) هَنِيئاً لِقَلْبٍ عَنْكَ لَمْ يُسَلِّهِ مُسَلِّي ^(٥)

وإنما أراد : أتى لا أنسى ذلك ما حييت ؛ وكذلك لا يمتنع أن يعلق على هذا المذهب دوامُ العذاب بكونهم مستطيعين للسمع والإبصار ؛ ويعودُ المعنى إلى تعلُّقه ببقائهم ، وبكونهم أحياء ؛ والمرجع في ذلك إلى التأييد ؛ لأنه إذا علق العذاب ببقائهم وإحيائهم وعلمنا أن الآخرة لا موت فيها ، ولا خروج عن الحياة ، علمنا تأييد العذاب .

(١-١) حاشية ف (من نسخة) : « أن يكون نفى السمع والبصر » .

(٢) م : « مروي » . (٣) د ، ف : « بينها » .

(٤) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ميل » .

ونمود إلى ما كنا نشرعنا فيه من الكلام على شعر مروان ؛ فما يختار له من القصيدة التي مضى أولها وتكلمنا عليها :

وَضَعُوا الْخُدُودَ لَدَى سَوَاهِمِ جُنَحٍ	تَشْكُو كُلَّوَمَ صِفَاحِهَا وَكَلَالِهَا
طَلَبْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاصَلْتُ	بِمَدِّ الْبُرَى بَعْدُوهَا آصَاها
زَعَتُ إِلَيْكَ سَوَادِيًا فَتَقَاذَفْتُ	تَطْوِي الْقَلَاةَ حُزُونَهَا وَرِمَالَهَا (١)
يَتَّبِعُنَ نَاجِيَةً يَهْزُ مِرَاحُهَا	بَعْدَ النُّحُولِ تَلِيلَهَا وَقَدَّالَهَا (٢)
هُوَ جَاءَ تَدْرِغُ الرُّبَا وَتَشَقُّهَا	شَقَّ الشَّمُوسِ إِذَا تُرَاعُ جِلَالَهَا (٣)
تَنْجُو إِذَا رُفِعَ الْقَطِيعُ كَمَا نَجَتْ	خَرَجَاهُ بَادَرَتْ الظَّلَامَ رِثَالَهَا (٤)
كَالْقَوْسِ سَاهِمَةً أَتَتْكَ وَقَدْ تَرَى	كَالْبُرْجِ تَمَلُّ رَحْلَهَا وَجِبَالَهَا

هذه الأبيات في وصف الرّوَّاحِل بالسرعة والنُّحُول، جيّدة الألفاظ، مطرّدة النسيج، وقد سبق الناس في هذا المعنى إلى ضروب من الإحسان ؛ فمن ذلك قول الأخطل :

يَخُوصِرُ كَأَعْطَالِ الْقِسَى تَقَلَّقْتُ أَجْنَتَهَا مِنْ شَقَّةٍ وَدُوبٍ (٥)

(١) نزع : اشتاقت . سواديا : عطاشا . تقاذفت : تسارعت . (٢) الليل : العنى .

(٣) الشمس : الغور .

(٤) الخرج ، بالتحريك : لونان ؛ سواد وبياض ؛ يقال : نامة خرجاء وظليم أخرج والريال : جمع رأل ؛ وهو ولد النعام ، وبادرت الظلام رثالها ؛ أى بادرت الظلام إلى رثالها .

(٥) ديوانه ١٧٩-١٨٠ وفي حاشية الأصل : « هذه الأبيات من قصيدة يمدح الأخطل فيها عياد بن زياد بن أبيه : أولها :

خَلِيلِي قَوْمًا لِلرَّحِيلِ فَإِنِّي	وَجَدْتُ بَنِي الصَّمْعَاءِ غَيْرَ قَرِيبِ
— بمعنى عمير بن الحباب ورهطه —	
وَأَسْفَهْتُ إِذْ مَنَيْتُ نَفْسِي ابْنَ وَاسِعِ	مُنَى ذَهَبْتُ لَمْ تَسْقِنِي بَدَنُوبِ
فَإِنْ تَنَزَّلَا بِابْنِ الْحَاقِ تَنَزَّلَا	بَذَى عَذْرَةٍ يَبْدَا كَمَا بَلْغُوبِ
— الملقب : عبد العزيز بن حنم —	

لِهَا اللَّهُ أَرْمَا كَمَا يَدْرِجَلَةٌ لَا تَقَى	أَذَاةَ أَمْرِي عَضْبِ اللِّسَانِ شَعُوبِ

— بمعنى نفسه — .

[١٨٨] / إِذَا مُعْجَلٌ غَادَرْتَهُ عِنْدَ مَبْرَكِهِ ^(١) أُنْبِحَ لِحُجُوبِ الْفَلَاةِ كُتُوبِ

— المعجل : الملقى من الأجنة لغير تمام، وجواب الفلاة : الذئب —

وَهُنَّ بَنَّا عُوجٌ كَانَ عِيُونَهَا مَسَانِفٌ يَطْلُو بِهَا مَعَ الْقَيْظِ وَالشَّرَى قَدِيمٌ تَرَى الْأَسْوَاءَ فِيهِ كَأَنَّهَا يَمُومَنَ بَنَّا عَوْمَ السَّفِينِ إِذَا انْجَلَتْ
بَقَايا فِلَاتٍ قَلَمَتْ لِنُضُوبِ ^(٢) تَكَايِفُ طَلَّاعِ النَّجَادِرِ كُوبِ ^(٣) رِجَالُ قِيَامٍ عُصَبُوا بِسُبُوبِ ^(٤) سَحَابَةُ وَخَاحِ السَّرَابِ جَنُوبِ ^(٥)
وقال مسلم بن الوليد الأنصاري :

إِلَى الْإِمَامِ تَهَادَانَا بِأَرْحُلِنَا كَانَ إِفْلَاتِنَا وَالْفَجْرُ بِأَخْذِهَا
خَلَقَ مِنَ الرِّيحِ فِي أَشْبَاحِ ظِلْمَانِ ^(٦) إِفْلَاتٌ سَادِرَةٌ عَنْ قَوْمِ حُسْبَانِ ^(٧)
وقال بشار :

وَإِذَا الْمَطِيُّ سَبَحْنَ فِي أَقْطَافِهِ فَاتَ الْمَطِيُّ بِكَاهِلٍ وَتَلِيلِ ^(٨)

= إِذَا نَحْنُ وَدَعْنَا بِلَادًا هُمْ بِهَا نَسِيرُ إِلَى مَنْ لَا يُغِيبُ نَوَالَهُ
فَبَدَأَ لِحُرَّاتِ لَهَا وَثُهُوبِ ! وَلَا مُسْلِمَ أَعْرَاضَهُ لِسُبُوبِ

بمخوس . . .

أعطال : جمع عطل ؛ وهو القوس الذي لا وتر له . وتغلطت أجنحتها : تحركت في بطونها من سرعة السير .
(١) في الديوان : « منزل » . (٢) بنا ، أي بحملنا ؛ أو حل أعياننا . والعوج : جمع أعوج وعوجاء . والفلات : جمع قلت ؛ وهو القرية في الجبل ؛ والتقليص : الاتزواء ، والنضوب : غشور الماء .
(٣) المسانيف هنا : الإبل المتقدّمات والنجاد : جمع نجد ؛ وهو المرتفع من الأرض . والركوب .
المذل . (٤) قديم ؛ أي طريق قديم . والأسواء : الأعلام . والسبوب : جمع سب ؛ وهو الثوب الأبيض الرقيق ؛ وقيل هو الميعة . (٥) ف : « قوم » . « خبوب » . وهي رواية الديوان .
(٦) ديوانه : ١٠٣ . والتهادي : المسمى الضعيف يتكئ صاحبه على اثنين يميناً وشمالاً . والظلمان : جمع ظليم ؛ وهو الذكر من النعام . ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « خلق من الزنج » .
(٧) إفلاتها ؛ أي سرعتها . صادرة ، أي إفلات سهام صادرة . والحسبان : سهام يرى بها الرجل في جوف قصبه ، ينزع في القوس ثم يرى بعشرين منها فلا تمر بشيء إلا عقرته ؛ والواحد حسبانة .
(٨) حاشية الأصل (من نسخة) « سنحن » أي ظهرن . وأعطافه : جوانبه . وفات : سبق ؛ والتليل : العنق ؛ يقول : « إذا بدا يسير مع الضحايا جاوزهن بكاهل وعنق » .

فكأنه^(١) والناعجات^(٢) يُردنه
فِدْحٌ تَطْلَعُ مِنْ قِدَاحٍ مُجِيلٍ

ولبعض الحارثيين :

نَهَشَ الْهَجَائِرُ وَالظَّهَائِرُ لَحْمَهَا حَتَّى تَحْدَدَ لَحْمَهَا الْمُتَضَابِرُ^(٣)
حَرْفٌ تُنَاهِيهَا النَّجَاءُ قَلَائِصُ^(٤) مِمَّا تَنْخُلُ^(٥) شَدَقَمٌ أَوْ دَاعِرٌ^(٦)
صَبْرٌ إِذَا عَطَفَتْ سَوَالِفُهَا الْبَرَى سُمِيتْ لَهُنَّ كَشَاكِشٌ وَجَرَا جِرٌ^(٧)
وَيُخْلَنَ مِنْ عِزِّ النُّفُوسِ وَجِدُّهَا^(٨) وَهُنَّ إِذَا اخْتَبِرْنَ أَبَاعِرُ
أَمَّا إِذَا مَا أَقْبَلَتْ فَكَأَنَّهَا ذُعُرٌ تَهَادَتْهَا الْقَلَاءُ نَوَافِرُ^(٩)
أَمَّا إِذَا مَا أَعْرَضَتْ فَكَأَنَّهَا كُدُرٌ نَوَرَدْنَ الدُّطَافَ صَوَادِرُ^(١٠)
أَمَّا إِذَا مَا أَنْزَلَتْ فَكَأَنَّهَا صُرُخٌ مُشِيدَةٌ وَهْنٌ ضَوَايِرُ^(١١)

/ وإني لأستحسن قول بشامة بن الغدير في وصف الناقة بالسرعة^(١٢) :

[١٨٨]
ط

(١) الناعجات هنا : الخفاف من الإبل ؟ ومنه قوله :

* والناعجات المسرعات للنجا *

- (٢) الهم المتضابر : المتراكم المكثّر ، وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « المتضاهر » . ومن نسخة أخرى « المتطائر » . (٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « منجل » .
(٤) الحرف : الناقة الضامر : الصلبة . وتنَاهِيهَا : تباريها في الجرى . والنَجَاءُ : السير السريع . والقَلَائِصُ : جمع قَلُوس ؟ وهي الفتية من الإبل . وشَدَقَمٌ ودَاعِرٌ : اسمان لفعلين منجيين من غول الإبل ، تنسب إليهما الإبل الشدقيات والإبل الداعرية . (٥) السوَالِفُ : جمع سَالِفَةٌ ؟ وهي أعلى العنق ، والبرى : جمع برة ، وهي الحلقة في الزمام . والكشَاكِشُ والجَرَا جِرٌ : أصوات تخرج من جوف الإبل .
(٦) حاشية الأصل (من نسخة) : « وحدها » : (٧) ذُعُرٌ ؟ أى وحش مذعورة ؟ ويمجوز أن يريد بالذعر النعام ؟ وهي توصف بذلك . (٨) الكُدُرُ : قطا ألوانها كلون الرماد . والنطاف : جمع نطفة ؟ وهي الماء القليل . (٩) في حاشيتي الأصل ، ف : « صرح : جمع صرَح ؟ وهو التصر ، وأصله صروح فصره ؟ وقد قيل في أسد ، جمع أسد أنه أسود ، فصر ثم خفف بتسكين السين » .
(١٠) الأبيات من قصيدة في المفضليات ٧٩-٩١ ، ومختارات ابن الشجري ١٤-١٦ ، وأبيات منها في حماسه ٢٠٥-٢٠٦ ، ومجموعة المعاني ٥٢ ، وأبيات منها أيضا في الأغاني ١١ : ٨٧ ، ولسبها المعقل بن علفة .

كَأَنَّ يَدَيْهَا إِذَا أُرْقَاتُ وَقَدْ جُرْنَتْ ثُمَّ اهْتَدَيْنِ السَّبِيلَ (١)
 يَدَا سَابِجٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ وَقَدْ شَارَفَ الْمَوْتَ إِلَّا قَلِيلًا (٢)
 إِذَا أَقْبَلْتَ قُلْتَ مَشْحُونَةٌ أَطَاعَتْ لَهَا الرِّيحُ قَلْعًا جَفُولًا (٣)
 وَإِنْ أَذْبَرْتَ قُلْتَ مَذْعُورَةٌ مِنَ الرُّبْدِ تَتَّبِعُ هَيْقًا ذُمُولًا (٤)

و معنى قوله :

* وقد جرن ثم اهتدين السبيل *

يعنى المطايا ؛ يقول : كن نشيطاتٍ يمرحن فلا يلزمن لقم (٥) الطريق ؛ بل يأخذن يميناً
 وشمالاً ؛ فلما عضهن الكلال استقمن على المحجة ، فكأنه وصف ناقته ببقاء النشاط مع كلال
 المطى ؛ وكفى عن الكلال بلزوم جادة الطريق بعد تنكُّبها وهذه كناية فصيحة مليحة .

ومثله قول الآخر :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا يَدَا سَابِجٍ فِي غَمْرَةٍ يَتَذَرَعُ (٦)
 ومما يشاكل هذا المعنى ويقاربه قول الشماخ :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا مُدَّةٍ بُعِيدَ السَّبَابِ حَاوَلَتْ أَنْ تَعْدُرَا (٧)
 مُمَجَّدَةُ الْأَفْرَاقِ قَالَ ابْنُ ضَرَّةٍ عَلَيْهَا كَلَامًا جَارَ فِيهِ وَأَهْجَرَا

(١) أُرْقِلْتُ : أَسْرَعْتُ . وجرن : عدلن عن محجة الطريق .

(٢) الغمرة : الماء الكثير ؛ ورواية ابن الشجرى :

يَدَا عَائِمٍ خَرَّ فِي غَمْرَةٍ فَأَدْرَكَهُ الْمَوْتُ إِلَّا قَلِيلًا

(٣) المشحونة : المملوءة ، وهو من وصف السفينة . والجفول : الذى تستغفه الريح ثم تحركه .

(٤) الربد : جمع ربداء ؛ وهى فى السوداء المنقطعة بحمرة ؛ من وصف النعام . والهيق : ذكر النعام

والذمول : وصف لسير الظليم ، ورواية المفضل :

إِذَا أَقْبَلْتَ قُلْتَ مَذْعُورَةٌ مِنَ الرُّمْدِ تَلْحَقُ هَيْقًا ذُمُولًا

(٥) لقم الطريق معظمه ؛ وقال الليث : لقم الطريق منفرجه ، تقول : عليك بلقم الطريق فإلزمه .

(٦) يقال : ذرع السابج ، إذا حرك يديه للسبح . (٧) من قصيدة طويلة فى ديوانه :

٢٦-٣٤ ، وأولها :

أَتَعْرِفُ رَسْمًا دَارِسًا قَدْ تَعِيرَا بِذَرْوَةِ أَقْوَى بَعْدَ لَبْلَى وَأَقْفَرَا

شبه ذراعها وهي تتذرع في مشيها^(١) بذراعي امرأة مُدَلَّة على أهلها ببراءة ساحتها ، وقد حكى عنها ابن ضرته كلاماً أهرج فيه ؛ أي أخش ، فهي ترفع يديها وتضعهما تعتذرو وتحلف وتنضح عن نفسها .

وقد قيل إن معنى قوله : « مُدَلَّة » أنها تُدِلُّ بحسن ذراعيها ، فهي تُدَمِّن إظهارها ليرى^(٢) حسنهما .

وقوله : « بُعِيدَ الشَّباب » أي في عقيب السَّابَةِ قامت تعتذر إلى الناس ؛ وقوم يروونه « بعيد الشباب » ؛ ومعنى هذه الرواية أنها نَصَفُ من النساء ، فهي أقوم بحجتها من الحدثة الغيرة ؛ ويشهد لهذه الرواية الأخيرة قول الآخر :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ يَقْلُقُ ضَفْرُهَا يَدَا نَصَفٍ غَيْرِي تَعْذِرُ مِنْ جُرْمِ^(٣)

و / قوله : « حِينَ يَقْلُقُ ضَفْرُهَا » فيه سرٌّ وفائدة ؛ لأنَّ الضفر هو الأنساع^(٤) ؛ [١٨٩]
وإنما تقلق إذا جهدها السير فضعرت ، فكأنه وصفها بالتذرع والنشاط مع الجهد والكلال ؛ ومثله :

كَأَنَّ ذِرَاعَيْهَا ذِرَاعَا بَذِيئَةٍ مَفْجَعَةٍ لَاقَتْ ضَرَائِرَ عَنْ عُفْرِ^(٥)
سَمِينٍ لَهَا وَاسْتَعْجَلَتْ فِي كَلَامِهَا فَلَا شَيْءَ يَفْرِي بِالْيَدَيْنِ كَمَا تَفْرِي^(٦)

وبقاربه قول الآخر :

أَلَا هَلْ تُبْلِغُنِيهِمْ عَلَى اللَّأَوَاءِ وَالظَّنَّةِ
وَأَءُ لِحْصَى الْمَغْزَا فِي أَخْفَافِهَا رَنَّةٌ^(٧)
إِذَا مَا عَسَفَتْ قُلْتُ سَحَابَةٌ فَاضَحَتْ كَنَّةٌ^(٨)

- (١) حاشية الأصل (من نسخة) : « في سيرها » . (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :
« ليرى حسنهما » بالبناء للمجهول . (٣) النصف : المرأة التي ذهب نصف عمرها ، ويقال للرجل أيضا .
(٤) الأنساع : جمع نسع ، وهو السير المضفور يجعل زماما للبعير وغيره .
(٥) عن عفر ، أي بعد حين . وفي حاشيتي الأصل ، ف : ويروى « عن عفر » . أي بعد كونها طائرا .
(٦) يفرى ، أي يأتي بالعجب . (٧) الوآة : النجبة من الإبل . والمغزاة : المسكان
الصلب الكثير الحصى : (٨) الحماة : أم الزوجة . والسكنة : امرأة الولد :

وممن شبه سرعة أيدي الإبل بأيدي الفوائح كعب بن زهير فقال^(١) :

كَأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَا إِذَا عَرِقَتْ وَقَدْ تَلَفَّعَ بِالْقُورِ الْمَسَاقِيلُ^(٢)
وَقَالَ لِلْقَوْمِ حَادِيهِمْ وَقَدْ جَعَلَتْ أَرْقُ الْجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الْحَصَى قِيلُوا^(٣)
شَدَّ النَّهَارِ ذِرَاعَا عَيْطَلٍ نَصَفِ قَامَتْ لِحَاوِبِهَا نُكْدٌ مَتَاكِيلُ^(٤)
نَوَاحَةٌ رِخْوَةٌ الضَّبَبَيْنِ لَيْسَ لَهَا لَهَا نَمَى بَكَرَهَا النَّاعُونَ مَعْقُولُ^(٥)

المساقيل : أوائل السراب ؛ ولا واحد لها من لفظها . وأخبر أن ناقته في شدة الحر وانتقاد الظهيرة تمرح في سيرها وتتذرع بيديها ؛ وشبه ذراعيها بذراعي امرأة نصف تنوح على ابنها ، وقد نعى إليها ؛ فهي تشير بيديها وتوالى تحريكهما . والميطل : الطويلة العنق ، وجعلها نصفاً لأنها قد كادت تيأس من الولد فهي أشد لحزنها على ابنها وتفجعها عليه ، والقور : جمع قارة وهي ما ارتفع واستدار من الرمل ؛ وأراد أن يقول : كما تلفمت القور بالمساقيل ، فلم يمكنه قلب .

(١) ديوانه : ١٦-١٨ ، من نصيده المشهورة : « بانت سعاد » .

(٢) رواية الديوان : « وقد عرقت » . وأوب : رجع . وتلفع : تلحف ، وفي حاشية الأصل : « قريب منه قول المزار الفقيص يصف ناقته :

كَأَنَّ أَوْبَ يَدَيْهَا إِلَى حَيْزُومِهَا فَوْقَ حَصَى الْجَدَجِدِ
نَوْحُ ابْنَةِ الْجَوْنِ عَلَى هَالِكِ تَنْدِبِهِ رَافِعَةِ الْمِجْلِدِ

— الجدجد : الأرض الصلبة . ابنة الجون : نواحة معروفة . والمجلد : قطعة جلد تضرب بها الناحية على صدرها » . (٣) حاشية ف (من نسخة) : « ورق » ، والورق والأرق : جمع أورك ؛ وهو الأخضر المائل إلى السواد . أو ما كان على لون الرماد وقيلوا ؛ من الفائلة . (٤) شد النهار : ارتفاع النهار ؛ وهو ظرف ، أي وقت ارتفاع النهار . والميطل : الطويلة ، ونكد : قليات الأولاد . والنصف ، هي التي قامت نوح ، شبه يدي ناقته بأيدي هذه المرأة . والنكد : جمع نكدها ، وهي التي لا يصيبها خير . (٥) نواحة ، يعني هذه النصف ، وقوله : « رخوة الضببين » يريد أنها شديدة الحركة والاندماج . والضبان هما المضدان ، والواحد ضبع . وبكرها : أول ولدها . والمعقول : العقل ، يقال : مالعان معقول ، وماله مجلود .

ومثله :

وكانما رفعت يدي نواحةً شمطاء قامت غير ذات رخار
/ وإنما خص الشمطاء لما ذكرناه من اليأس من الولد، كما قال عمرو بن كلثوم :
ولا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسمة إلا جنيهاً^(١)
وقد قيل في بيت عمرو : بل شبه الناقة بشمطاء، لما على رأسها من اللغام^(٢).

ومثل ما تقدم من المعاني قول الشاعر :

يا ليت شمري والمنى لا تنفع ! هل أغدوَن يوماً وأمرى مجمع !
وتحت رجلي زفيان ميلم كأنها نائمة تفجع
تبكي لميت وسواها الوجع

— الزفيان : الناقة الخفيفة ، والميلم : السريمة ؛ وشبه رجع يديها في السير لنشاطها ١٠
بيدي نائمة تنوح لقوم على ميتهم بأجرة ، فهي تزيد في الإشارة يديها ليري مكانها .
ومثله بمينه قول ذي الرمة :

بحايق تضحى وهي عوج كأنها بجوز الفلا مستأجرات نوائح^(٣)

(١) من الملقبة : ٢١٥ — بشرح التبريزي ؛ وقوله :

فما وجدت كوجدي أم سبق أضلته فرجعت الحنينا

والسب : ولد الناقة الذكر .

(٢) اللغام : الزبد الذي يملو شفاه الإبل إذا احتاجت .

(٣) ديوانه : ١٠٤ . والموج : جمع موجاء ، وهي الناقة الضامرة ، كأنها عجفت فاعوج ظهرها .

وقبل هذا البيت :

وسمري وأغراء المتان كأنها إضاء أحست نفع ربح ضحاضح
على حميريات كأن عيونها ذمام الركاي أنكرتها النوائح

— الأغراء : الحالية من النبات . والمتان : ما ارتفع من الأرض . والإضاء : جمع أضاءة ، وهو الغدير .

والضحاضح : قليلة الماء . والحميريات : إبل منسوبة إلى حمير . وركية ذمة : قليلة الماء . ونكرت الركبة :

قل ماؤها ، وأنكرتها أنا .

المجانيق : التي ضمَّرن بعد سَمَن ؛ وخصَّ المستأجرات من النوائح للمعنى الذي ذكرناه .

وقال الشماخ فيما يقارب هذا المعنى :

كَأَنَّ أَوْبَ يَدَيْهَا حِينَ أَفْجَلَهَا أَوْبُ الْمَرَّاحِ وَقَدْ نَادَوْا بِرَّحَالِ
مَقْطُ الْكُرَيْنِ عَلَى مَسْكُونَةٍ زَلَقٍ فِي ظَهْرِ حَنَانَةِ الْفَيْرَيْنِ مِنْوَالِ

- معنى : « أوب ذراعها » أى رُجْمُهَا - وأوب المَرَّاح ، إذا أراح القوم عازبَ أموالهم ليرحلوا ، وقدروى : « أوب المَرَّاح » بالسكسر ؛ ومعناه رجع المَرَّاح والنشاط . والمَقْطُ : اللَّعِبُ بِالْكُرَةِ . وَالْكُرَيْنِ : جمع كُرَةٍ . والنكوسة : الأرض البرَّاح التي لا شئ فيها . والزَلَقُ : المستوية من الأرض . والحَنَانَةُ : الريح . والنيران : جانباً هذه الأرض . ومنوال ، ١٠ قيل : إنه من صفات الريح ؛ وقيل : من صفات الأرض ؛ وإن كان من صفات الريح فمعناه أن الريح تقول الأرض بأسرها ؛ أى تملؤها ، وإذا كان للأرض فالعنى أنها تقول من [١٩٠] سَلَكَهَا أى هَلَكَهَا ؛ وتلخيص معنى البيت أنه شبه يدي ناقته يدي ضاربٍ / بكُرَةٍ في أرض واسعة في يوم ريح عاصف ؛ وهذا من دقيق المعاني وحسن التشبيه والمبالغة .

ومثل بيتي الشماخ قول المسيب بن عَلس^(١) :

١٥ مَرِحَتْ يَدَاهَا لِلنَّجَاءِ كَأَنَّهَا نَكُرُوا بِكَفِّيْ مَاقِطٍ فِي قَاعِ^(٢)
فِعْلَ السَّرِيْمَةِ بَادَرَتْ جُدَادَهَا قَبْلَ الْمَسَاءِ تَهْمٌ بِالْإِسْرَاعِ

(١) في حاشيتي الأصل ، ف : قال س : « وجدت بخط القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاة رحمه الله : « علس » بفتح العين مضبوطاً كأنه يجمعه فعلاً ماضياً ، والعلس : حب كالعدس » .
(٢) من قصيدة في المفضليات ٦٠-٦٣ (طبعة المعارف) أولها :

أرحلت من سلمى بغير متاعٍ قبل العطاس ورعتها بوداعٍ
والمَاقِطُ : الضارب ، ورواية المفضليات :

* نَكُرُوا بِكَفِّيْ لَاعِبٍ فِي صَاعٍ *

معنى: «تَكْرُو» أى كأنها تلاعب بِكَرَّةٍ . والسريمة ، بمعنى نساجة . والجُدَاد: الفزَل الضعيف، فأراد أنها تُسرِع الضرب بالحَف^(١) والنسج قبل المساء ؛ وما دامت تبصر ؛ فشبه يدي ناقة في تدرعها يدي هذه النساجة .

وقال الأصمعيّ الجُدَاد : هُدْبُ الثوب ؛ فيعنى أن هذه النساجة قد قاربت الفراغ من الثوب ، وبلغت إلى هُدْبِهِ ؛ فهي تبادر لتفرغ منه قبل المساء .

وقريب منه قول الآخر :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِيقِ^(٢) أَيْدِي جَوَارٍ^(٣) يَتَعَاظِنَ الْوَرِقُ
فَالْقَرِيقُ الْخَشِنُ الَّذِي فِيهِ الْحَصَى ؛ وَشَبَّهَ خَذْفَ^(٤) مَنَاسِمِهِنَّ^(٥) لَهُ بِخَذْفِ جَوَارٍ يَلْعَبُ بِدِرَاهِمٍ ،
وخصّ الجوارى لأنهن أخفُّ يداً من النساء .

وقال آخرون : الْقَرِيقُ هَاهُنَا: الْمُسْتَوِى مِنَ الْأَرْضِ، الْوَاسِعُ ؛ وَإِنَّمَا خُصَّ بِالْوَصْفِ لِأَنَّهُ أَيْدَى ١٠
الْإِبِلِ إِذَا أَسْرَعَتْ فِي الْمُسْتَوِى فَهُوَ أَحَدُ لَهَا ؛ وَإِذَا أَبْطَأَتْ فِي غَيْرِهِ فَهُوَ أَحْمَدُ لَهَا .

ومن أحسن ما قيل في الإسراع قول المرّار بن سعيد :

فَتَنَاوَلُوا شُعَبَ الرَّحَالِ فَقَلَّصَتْ سُودُ الْبُطُونِ كَفَضْلَةِ الْمُتَنَمِّسِ

ذَكَرْ قَوْمًا سَفَرًا هَبُّوا مِنْ رَقْدَتِهِمْ إِلَى رِحَالِهِمْ لِيَسِيرُوا ؛ وَيَعْنِي بِسُودِ الْبُطُونِ الْإِبِلَ ؛

وَالْمُتَنَمِّسُ: الصَّائِدُ الذِّي أَخَذَ نَامُوسًا ، وَهُوَ مَا يَسْتَتِرُ بِهِ لِيَخْتَلِيَ الصَّيْدَ ، فَشَبَّهَ الْمَطَايَا فِي سُرْعَتِهَا ١٥
بِقَطَا قَدْ سَادَ الصَّائِدُ بِمَضَاهَا ، وَأَفْلَتَ بَعْضُهَا ؛ فَهِيَ يَطْرُنَ طَيْرَانًا شَدِيدًا .

ومثل هذا - وإن كان في صفة الخيل - قولُ النابغة :

(١) الحف : المنسج . (٢) البتان في اللسان (فرق) .

(٣) اللسان : « أَيْدَى نساء » . (٤) الخذف : الرمي بالحصى الصغار .

(٥) م « مناسمها » .

* كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّؤْبِ ذِي الْبَرَدِ * (١)

وأما قول مروان :

... يَهْرُ مِرَاحُهَا بَعْدَ النَّحُولِ تَلِيلَهَا وَقَدَّالَهَا

فقد مضى من وصف المطايا بالنشاط بعد السَّامة والجهد ماضى .

[١٩٠] وأحسن من قول مروان / وأشدُّ إفصاحاً بالمعنى وإعراباً عنه قولُ الهذلي :

ومن سيرها العنقُ المُسَبِّطُ رُ وَالْمَجْرَفِيَّةُ بِمَدِّ الْكَلَالِ (٢)

وإنما كان هذا أحسنَ لأنه صريحٌ بنشاطها بعد كلالها . وقول مروان : « بعد النحول »

لا يجرى هذا المجرى ؛ لأن النحول قد يكون عن جهد السفر والتعب ، ويكون عن غيره .

وأما قوله :

* كَالْقَوْسِ سَاهِمَةُ أَتَكَ وَقَدْ تُرَى *

١٠

فقد أكرت العرب في وصف المطايا بالنحول وتشبيهها بالقسي وغيرها ؛ وقد أحسن

كثير في قوله :

نَفَى السَّيْرُ عَنْهَا كُلَّ دَائٍ إِقَامَةٍ فَهَنْ رَذَايَا بِالطَّرِيقِ تَرَائِكَ (٣)

وُحُلَّتِ الْحَاجَاتُ خُوصاً كَانَهَا وَقَدْ ضَمَرَتْ صُفْرُ الْقَيْسِ الْعَوَائِكَ (٤)

وقال سلم بن عمرو الخاسر (٥) :

١٥

وَكَاثِنٌ مِنَ الْكَلَالِ أَهْلَةٌ أَوْ مِثْلُهُنَّ عَطَائِفُ الْأَقْوَاسِ (٦)

(١) ديوانه : ٢٣ ، وسدرة :

* وَالْخَيْلُ تَمَزَعُ غَرْباً فِي أَعْنَتِهَا *

(٢) ديوان الهذليين ٢ : ١٧٥ ، والبيت لأمية بن عائذ العنق : السير المنبسط . والمسيطر : المسترسل

السهل . والعجرفية : الشديد . (٣) ديوانه : ٢ : ١٣٦ ؛ الرذايا : جمع رذية ؛ وهي الناقة المهزولة من السير .

والترائك : المتروكة لضعفها . (٤) العوائك : جمع عانكة ؛ وهي القوس إذا قدمت واحترت .

(٥) في حاشيتي الأصل ، ف : هـ قيل إنعاسى عمرو خاسراً لأنه ورث عن أبيه مصحف قرآن ، فاشترى

به عوداً . (٦) القوس العظيمة : المعطوفة ؛ وهي المنحنية .

قُودٌ طَوَّاهَا مَا طَوَّتْ مِنْ مَهْمَةٍ نَأَى الصَّوَى وَمَنَاهَجٍ أَدْرَاسٍ^(١)
وقال أبو تمام يصف ناقة :

أَتَيْنَا الْقَادِسِيَّةَ وَهِيَ تَرْنُو إِلَى بَعَيْنِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ^(٢)
فَمَا بَلَّغَتْ بِنَا عُشْفَانَ حَتَّى رَأَتْ بِلْحَاطِ لَقْمَانَ الْحَكِيمِ
وَبَدَّ لَهَا السَّرَى بِالْجَهْلِ حِلْمًا وَقَدْ أَدِيمَهَا قَدْ الْأَدِيمِ
أَذَابَ سَنَامَهَا قَطْعُ الْفَيَافِي وَمَزَقَ جِلْدَهَا نَضْعُ الْعَصِيمِ^(٣)
بَدَتْ كَالْبَدْرِ وَاقٍ لَيْلَ سَعْدٍ وَأَبَتْ مِثْلَ عُرْجُونٍ قَدِيمِ
وقال البحتري :

وَحَدَّانُ الْقَلَّاصِ حَوْلًا إِذَا قَا بَلَنْ حَوْلًا مِنْ أَنْجَمِ الْأَشْحَارِ^(٤)
يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضْنَ غِمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي
/ كَالْقَيْسِ الْمُعْطَلَاتِ، بِلِ الْأَسْمِ هَمٍّ مَبْرِيَّةٍ ، بِلِ الْأَوْتَارِ

(١) قود : جمع أفود ؛ وهو من الإبل الطويل العنق . الصوى : جمع صوة ؛ وهي الأعلام في الطريق .
وفي حاشية الأصل : « ومثله بسببه للعتبي »

فَتَبَّيْتُ تَسْتَدُ مَسْتَدًّا فِي نَيْهَا إِسْتَادَهَا فِي الْمَهْمَةِ الْإِنْضَاءُ

الإستاد : إسراع السير في الليل . والنى : الشحم . والمهمة : الأرض الواسعة البعيدة . والإنضاء :
مصدر أنضاء ينضيه إذا هزله . قال العكبري : « والمضى أن المهمة ينضيه كما تنضيه » .

(٢) ديوانه : ٤٢٣ ؛ من قصيدة يصف حجة حجبها ؛ وأولها :

لَمَلَّكَ ذَا كِرُ الْطَلَلِ الْقَدِيمِ وَمَوْفٍ بِالْمَهْوِدِ عَلَى الرُّسُومِ
وَوَاصِفُ نَاقَةٍ تَذَرُ الْمَهَارَى مَوَكَّلَةٌ بِوُخْدٍ أَوْرَسِيمِ
وَقَدْ أُمِتَ بَيْتُ اللَّهِ نِضْوًا عَلَى عَيْرَانَةٍ حَرْفِ سَعُومِ
أُنَيْتُ الْقَادِسِيَّةَ . . .

(٣) النضج : الرشح . والعصم : العرق . (٤) ديوانه : ٢ : ٢٤ ؛ من قصيدة يمدح فيها
أبا جعفر بن حميد . وخندان القلاص : لإسراعها . وحول : جمع حائل ، وحول الثانية جمع أحول .

وله أيضاً :

وَهِيَ الْعَيْسُ، دَهْرَهَا فِي ارْتِمَالٍ مِنْ حُلُولٍ، أَوْ فُرْقَةٍ مِنْ جَمِيعٍ ^(١)
 رَبِّ مَرَّتٍ مَرَّتٍ تُجَاذِبُ قُطْرَةً مَرَّابًا كَالْمَهْلِ الْمَشْرُوعِ ^(٢)
 وَسُرِّي تَنْتَجِيهِ بِالْوَحْدِ حَتَّى تَصْدَعُ اللَّيْلَ عَنْ بِياضِ الصَّدِيعِ ^(٣)
 كَالْبُرَى فِي الْبُرَى وَيُحْسَبَنَّ أَحْيَا نَا نُسُوعًا مَجْدُولَةً فِي نُسُوعِ ^(٤)

(١) ديوانه ٢ : ٩١ ؛ من قصيدة يمدح فيها محمد بن محمد الوائلي .

(٢) المَرَّت : الأرض الفقر . (٣) الصدبع : الفجر .

(٤) البرى : جمع برة ؛ وهي الحلقة . والنسوع : الهبال .

مَجْلِسُ آخِر

تَاوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ أُسْكِبَتْ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [س : ٧٠] .

فقال : كيف أضافُ إلى نفسه اليد ؟ وهو ممن بتعالى عن الجوارح ؟

الجواب ، قلنا في هذه الآية وجوه :

أولها أن يكون قوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ جارياً مجرى قوله : « لما خلقت أنا » ، وذلك مشهور في لغة العرب ، يقول أحدهم : هذا ما كسبت يداك ؛ وما جرّت عليك يداك ؛ وإذا أرادوا نفي الفعل عن الفاعل استعمالوا فيه هذا الضرب من الكلام فيقولون : فلان لا تمشي قدمه ، ولا ينطق لسانه ، ولا تكتب يده ؛ وكذلك في الإثبات ، ولا يكون للفعل رجوع إلى الجوارح في الحقيقة ؛ بل الفائدة فيه النفي عن الفاعل .

وثانيها أن يكون معنى اليد هاهنا النعمة ، ولا إشكال في أن أحدَ احتمالات لفظة اليد النعمة .

فأما الوجه في ثنيتها فقد قيل فيه إن المراد نعمة الدنيا ونعمة الآخرة ، فكأنه تعالى قال : ما منعك أن تسجدَ لما خلقتُ لنعمتي ؛ وأراد بالباء اللام .

وثالثها أن يكون معنى اليد هاهنا القدرة ؛ وذلك أيضا من احتمالات اللفظة ؛

يقول القائل : مالي بهذا الأمر يَدٌ ولا يدان ، وما يجري مجرى ذلك ؛ والمعنى : أننى لأقدر ١٥ عليه ولا أطيعه ؛ وليس المراد بذلك إثباتُ قدرة على الحقيقة ؛ بل إثبات كون القادر قادرا ، ونفى

كونه قادراً ، فكأنه تعالى قال : ما منعك أن تسجد لما خلقت وأنا قادر على خلقه ؛ فعبّر عن كونه قادراً بلفظ اليد الذي هو عبارة عن القدرة ؛ وكل ذلك واضح في تأويل الآية .

{١٩١} ونعود إلى ما كنا ابتدأناه من الكلام على شعر مروان .

فمن قصيدته التي تقدم بعضها ووقع الكلام عليه مما يختار قوله :

أخيا أمير المؤمنين محمد
مد الإله على الأنام ظلالها
رأى جبال عدوها فازالها^(١)
إلا أجال لها الأمور مجالها
القي أباه مفرجاً أمثالها
من صرفين لكل حال حالها^(٢)
للمسلمين ، وفي العدو وبالها^(٣)
أذهبت بعد مخافة أوجالها
وفككت من أسرائها أغلالها
وجملت مالك وإقيا أموالها^(٤)
ملك تفرغ نعمة من هاشم
جبل لأمتيه تلوذ بر كنيه
لم تنشأ مما تخاف عظمة
حتى يفرجها أغر مبارك^(٥)
ثبت على زلل الحوادث راكب
كلتا يديك جملت فضل نوالها
وقمت مواقعها بفوقك أنف
أمنت غير معاقب طرادها
ونصبت نفسك خير نفس دونها

أما قوله : ١٥

أخيا أمير المؤمنين محمد سنن النبي حرامها وحلالها

قد عابه عليه بعض من لا معرفة له بنقد الشعر فقال : كيف يكون في سنن النبي عليه

(١) في حاشيتي الأصل ؛ ف « رادى » فاعل « من المرادة » ؛ وهي مرادة الحجر ؛ أصله من الردى

وهو الحجر الذي يكسر به الحجارة ، يستعمل في المفاخرة والمناجزة . (٢) م : « مهذب » .

(٣) أى راكب من الصروف لكل حال حالها . (٤) ش : « ولعدو وبالها » .

(٥) حاشية ف : « بخط عبد السلام بن الحسين البصرى رحمه الله : صياها » .

السلام حرام ! وما ذلك بحبيب ؛ لأنه أراد بقوله : « حلالها وحرامها » التحليل والتحريم ؛
ومن سننه تحريم الحرام ، وتحليل الحلال ؛ وإنما الميب من هذا قول ابن الرقاع العاملي :
ولقد أراد الله إذ ولاكها من أمة إصلاحها وفسادها^(١)
ومثل قول مروان قول سلم الخاسر :

ولا وليت ذكرتُ النبي بتحليله وبتحريمه

فأما قوله :

• حتى بفرجها أغرُّ مبارك • ... البيت

فكثير جداً للمتقدمين والمحدثين ؛ والأسل فيه قول زهير :

وما كان من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل^(٢)

وهل يُنبت الخطي إلا وشيجه وتفرس إلا في منابها النخل^(٣)

ومثله قول الآخر :

/ وَحَزَّةٌ وَالْمَبَاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ عَقِيلٌ وَمَاءُ الْمُودِ مِنْ حَيْثُ يُعَصَّرُ^(٤)

ومثله للربيع بن أبي الحقيق اليهودي :

إِذْ مَاتَ مَنْ أَسِيدٌ قَامَ بَعْدَهُ لَهُ خَلْفٌ يَكْفِي السِّيَادَةَ بَارِعُ

(١) الطرائف الأدبية : ٩٠ ؛ والرواية هناك : « إصلاحها ورشادها » ، وهي أيضاً رواية المؤلف
في المجلس التاسع والأربعين . وفي الحاشية : « عدى قال : « فسادها » ، والأسمى أنشد : « رشادها » ؛ والبيت
من قصيدته التي أولها :

عرف الديار توها فاعتادها من بعد ما درس البلى أبلادها

واقطر روايتها ونخرج أبياتها في الطرائف الأدبية ٨٧-٩١ .

(٢) ديوانه : ١١٥ ؛ وتوارثه ؛ أي ورتوه كابراً عن كابر ؛ كناية عن مجدهم القديم .

(٣) الخطي : الرماح ؛ منسوبة إلى الخط ؛ وهي جزيرة بالبحرين ترفأ إليها سفن الرماح . والوشيح :

اللنا اللث في منبته ، واحداً وشيجه . (٤) حاشية الأصل : « ومثله للمثنى :

فإن كان سيارُ بن مكرم انقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الوردُ

من أبنائه والعرق ينصر فرقه على أصله، والعرق للعرق نازع^(١)
ومثله له:

ترجو الفلام وقد أعياك والدُّ وفي أرومتيه ما ينبت العود
وأخذ هذا المعنى وبمض اللفظ الكميت فقال :

تجري أصغرهم بجري أكبرهم وفي أرومتيه ما ينبت الشجر
ومن هذا المعنى قول عبيد الله بن قيس الرقيات:

يخلفك البيض من بينك كما يخلف عود النصار في شعيه^(٢)
ومنه قول نهشل بن حرثي:

أرى كل عود نابتا في أرومة أبي نسب الميدان أن يتفيرا^(٣)
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لوالد سوء يلقه حيث سيرا^(٤)
ومثله لمسلم بن الوليد الأنصاري :

ألح على الأيام يفرى خطوبها على منهج النفي أباء به قبل^(٥)
ولبشار:

• على أغراقها تجرى الجياد •

(١) نازع : أي ينزع إليه في الشبه . (٢) النصار : شجر الأمل ؛ وقبل : النصار : كل

شجرة ناضرة . (٣) ف : « ناميا في أرومة » . (٤) نسب هذا البيت في حماسة أبي تمام

- بصرح التبريزي ١ : ٣٠٠ إلى جليل بن عبد الله بن معمر ؛ ضمن أبيات ثلاثة ؛ وهي :

أهلك حباب سارق الضيف برده وجددي يا حجاج فارس شمرا
بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لأبائه صدق يلقهم حيث سيرا
فإن تغضبوا من قسمة الله حظكم فله إذ لم يرضكم كان أبصرا

وهي في الحماسة - بصرح المرزوقي ٣١٥-٣١٦ من غير نسبة .

(٥) ديوانه : ٢٠٣

ومثله :

وَمَا فِيَّ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَإِنِّهَا سَجِيَّةُ آبَائِي وَفِئْلُ جُدُودِي
هُمْ الْقَوْمُ فَرَعِي مِنْهُمْ مُتَفَرِّعٌ وَهُودُهُمْ عِنْدَ الْحَوَادِثِ هُودِي

والبحرئ :

• وَإِذَا أَبُو الْفَضْلِ اسْتَمَارَ سَجِيَّةً لِلْمَكْرُمَاتِ فَمِنْ أَبِي يَتَقُوبُ ^(١)
شَرَفٌ تَتَابَعَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَالْمُتَمَحِّ انْبُوبًا عَلَى انْبُوبٍ
وَأَرَى النَّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَمَامُهَا لِنَجِيبِ قَوْمٍ لَيْسَ بَابُنْ نَجِيبِ

/ وله أيضاً :

مَا سَمَوْا يَخْلُقُونَ غَيْرَ أَيِّهِمْ كُلُّ سَاعٍ مِنَّا يُرِيدُ نِصَابَهُ ^(٢)

وله أيضاً :

وَمَا تَابِعُ فِي الْمَجْدِ نَهْجَ عَدُوِّ كَتَمْتُعٍ فِي الْجَدِّ نَهْجَ أَبِيهِ ^(٣)

وفي هذه القصيدة يقول مروان :

هَلْ تَعْلَمُونَ خَلِيفَةً مِنْ قَبْلِهِ أَجْرَى لِنَائِيهِ إِلَى أَجْرَى لَهَا
طَلَعَ الدُّرُوبَ مُشَمَّرًا عَنْ سَاقِهِ بِالْحَيْلِ مُنْصَلِتًا يُجِدُّ نَمَالَهَا ^(٤)
قُودًا تَرِيعُ إِلَى أَغْرَ لَوْجِيهِ نُورٌ يُضِيءُ أَمَامَهَا وَخِلَالَهَا ^(٥)
قَصُرَتْ سَحَائِلُهُ عَلَيْهِ فَقَلَمَتْ وَلَقَدْ تَحَفَّظَ قَيْنُهَا فَأَطَالَهَا
حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ أَوَائِلُ خَيْلِهِ جَيْحَانُ بَثَّ عَلَى الْعَدُوِّ رِعَالَهَا ^(٦)

(١) ديوانه ١ : ٥٧ ؟ من قصيدة يمدح فيها يعقوب بن إسحاق النوبختي .

(٢) ديوانه ١ : ٩٠ ؟ من قصيدة يمدح فيها أبا ثوبة .

(٣) ديوانه ٢ : ٣٢٨ ؟ من قصيدة يمدح بها أحمد بن المدبر .

(٤) الدروب ، يريد بها دروب الروم . والمنصلت : الماضي في الأمر .

(٥) قود : جمع أقود ، وهو القلول من الخيل . وتريع : ترجع .

(٦) جيعان : اسم نهر . والرعال : جمع رهيل ؟ وهو القطعة من الخيل تتقدم المسكر .

أخى بلاد المسلمين عليهم وأباح سهل بلادهم ورجياها
أدمت دواير خيل وشكيبها فارأهن وألحقت آطالها^(١)
لم يبق بعد^(٢) مقادها وطرادها إلا نهازها ولا آطالها^(٣)
رفع الخليفة ناظري وراشبي بيد مباركة شكرت نوالها
وحسدت حتى قيل أصبح باغيا في الشئ مئزف شيمه مختالها^(٤)
ولقد حذوت لن أطاع ومن عصى تملا ورئت عن النبي مثالها^(٥)

أما قوله : « قصرت سمائله » فالأصل فيه قول عنزة :

بطل كان ثيابه في سرحة يحدى نعال السبت ليس بتوهم^(٦)
أو قول الأعمى :

إلى ماجد كهلل السما ١٠
طويل النجاد ، رفيع اليا
أزكى وفاء وبعدا وخيرا^(٧)
د ، يحمى المضاف ، ويمنى الفقيرا^(٨)

[١٩٣] / ومثله :

طويل نجاد السيف طر جبينه
كفصل اليماني أخلصته صياقله
إذاهم بالمعروف لم تجر طيره
نحوسا ، ولم تسيق نداه عواذله

(١) الدواير : جمع دابة ، وهي الموضع الذي يقع عليه مؤخر السرج . وألحقت : ضمرت . والآطال : جمع إطل ؛ وهي الحاصرة . (٢) ش : « لم يبق بعد » .

(٣) نهازها : طباها . وآطالها : يريد شخصا . (٤) المترف : المنيق في الملك والنعمة .

(٥) حاشية الأصل : « ينى أنه اقتدى عن النبي عليه السلام في أفعاله حذو النمل بالنمل » .

(٦) المعلقة - بصرح التبريزي : ١٩٩ ؛ أى هو بطل . والسرحة : الشجرة الكبيرة الطويلة ؛ يستظل بها . ونعال السبت : المدبوغة بالفرط ، وكانت الملوك تلبسها وليس بتوهم : لم يولد معه آخر فيكون ضعيفا . (٧) ديوانه : ٧٠ . والرواية فيه : « إلى ملك » .

(٨) رواية الديوان : « وسطى الفقيرا » . والمضاف : الملجأ ، من قولهم : أضاف ظهري إلى الحائط أى استند إليها .

ومثله قول طرّيج بن إسماعيل الثقفي :

وأشمت طلاع الثنايا مبارك
يقول نجاد السيف وهو طويل^(١)

ولأبي جويرية المبدى :

يمد نجاد السيف حتى كأنه
بأعلى سنامي فالج يتطوح
إذا اهتز في البرد اليماني خلته
هلاً بذا في جانب الأفق يلمح

ولأبي عطاء السندي :

وأزهر من بني عمرو بن عمرو
حمائله وإن طالت قصار

ولبعضهم في آل المهلب :

رأيتكم أعز الناس جارا
وأمنهم إذا عدوا ذمارا^(٢)
حمائلكم وإن كانت طوالا
نراها عن حمائلكم قصارا

ولبعض بني المنبر في معنى الطول :

فجاءت به عبل العظام كأنما
عامته بين الرجال لواء^(٣)

ولآخر:

أشم طويل الساعدين كأنما
تناط إلى جذع طويل حمائله^(٤)

ولابن هرمة:

تناط حمائل الهندي منه
بما تقي ، لا ألف ولا ضئيل
ولكن تستقل به قواه
على ماض بقائمه نبيل

(١) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « بطول » .

(٢) الذمار : الدمة والمهد .

(٣) عبل العظام : ضخمها ، والبيت من أبيات ثلاثة في الحماسة — بشرح المروزقي ٢٦٩-٢٧٠ ،

والرواية هناك : « سبط العظام » . (٤) حاشية ف (من نسخة) : « طوال الساعدين » .

ولسلم الخاسر :

يَقُومُ مَعَ الرُّمَحِ الرُّدَيْنِيَّ قَانِمًا وَيَقْصُرُ عَنْهُ طُولُ كُلِّ نِجَادٍ
وللختمى :

يُوَازِي الرُّدَيْنِيَّ فِي طَوْلِهِ وَيَقْصُرُ عَنْهُ نِجَادُ الْحُسَامِ

وللوالبي :

[١٩٣]

طَوَّلَ وَطَوَّلَ فَتَرَى كَفَّهُ يَنْهَلُ بِالطُّولِ اِهْلَالَ النِّمَامِ
وطوله يُفْتَالُ يَوْمَ الْوَعَى وَغَيْرِهِ فَضْلَ نِجَادِ الْحُسَامِ

فأما قوله :

وَلَقَدْ حَدَّثْتُ لِمَنْ أَطَاعَ وَمَنْ عَصَى نَعْلًا وَرِثْتَ عَنْ النَّبِيِّ مِثَالَهَا
فقد ردّد مروان معناه في مواضع من شعره فقال :

١٠

شَبِيهُ أَيْبِهِ مَنَظَرًا وَخَلِيقَةً كَمَا حُدِّثَتْ يَوْمًا عَلَى أُخْتِهَا النُّعْلُ

وقال في موضع آخر :

أُخِيَا لَنَا سُنَنَ النَّبِيِّ سَمِيحَةٌ (١) قَدْ الشَّرَاكَ بِهِ قَرَنْتَ شِرَاكَ (٢)

وقال أيضا :

صَحِيحُ الضَّمِيرِ ، مِرْءُهُ مِثْلُ جَهْرِهِ قِيَاسَ الشَّرَاكِ بِالشَّرَاكِ دُقَابِلُهُ

١٥

وقال أيضا :

تَشَابَهَتْهُمَا حِلْمًا وَعَدْلًا وَنَائِلًا وَحَزْمًا إِذَا أَمُرُّ أَقَامَ وَأَقَمَدَا
تَنَازَعْتُمَا نَفْسَيْنِ ؛ هَذِي كَهَذِهِ عَلَى أَصْلِ عِرْقِي كَانَ أَفْخَرُ مُقْلَدَا
كَمَا قَاسَ نَعْلًا حَضْرَمِي فَقَدَّهَا عَلَى أُخْتِهَا لَمْ يَأُلْ أَنْ يَتَجَوَّدَا

(١) م : « محمد » . (٢) حاشية ف : « قد الشراك » مصدر في موضع الحال ، أى قادا .

وأخذ هذا المعنى أبو نواس فقال :

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ فَاتَّفَقَا خَلَقًا وَخُلُقًا كَمَا قَدْ الشَّرَّاءُ كَانَ^(١)

والأصل في هذا قول ابن أبي ربيعة :

فَلَمَّا تَوَافَقْنَا عَرَفْتُ الَّذِي يَبْهَى كَمِثْلِ الَّذِي بَى، حَدُّوكَ النَّعْلَ بِالنَّعْلِ^(٢)

ومثله لـسعيد بن محمد الحميري رحمه الله تعالى :

يَقْتُلُونَ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ وَفِعْلَهُ فَالنَّعْلُ تُشَبِّهُ فِي الْمِثَالِ طِرَاقَهَا^(٣)

وقد تقدم إلى هذا المعنى يزيد بن المكسر بن ثعلبة بن سيار المجلي بقوله في يوم ذي قار،

يَحْرُضُ قَوْمَهُ عَلَى الْقِتَالِ :

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ مِنْ حَرِيمَةٍ^(٤) وَجَارِهِ ، وَفَرَّ عَنْ نَدِيمِهِ

/ أَنَا بِنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ^(٥) مِثْلُ الشَّرَّاءِ قَدْ مِنْ أَدِيمِهِ

• وَكَلَّمُهُمْ يَجْرِي عَلَى قَدِيمِهِ •

فأما قوله :

• وَحُصِدَتْ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ بَاغِيًا • . . . البيت

ففي معناه قول البحتري :

أَلَنْتَ لِيَ الْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةٍ وَعَاتَبْتَ لِيَ دَهْرِي الْمُسَىءَ فَأَعْتَبَا^(٦)

وَأَلْبَسْتَنِي النُّعْمَى الَّتِي غَيَّرَتْ أَخِي عَلَى فَأَمْسَى نَارِحَ الْوُدِّ أَجْنِبًا

ومما يختار لروان قوله :

(١) حاشية الأصل : « أَى يَنْزَعَانِ فِي الشَّبَهِ ، كُلُّ مَنِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فِي الشَّبَهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

تَنَازَعٌ ، مِنْ النَّزْعِ الَّذِي هُوَ السَّلْبُ » . (٢) ديوانه : ٣٢٦ .

(٣) طرّاق النعل : مَا أُطْبِقَتْ عَلَيْهِ فَخْرَزَتْ بِهِ . (٤) الأبيات في تاريخ الطبري ٢ : ١٥٤ .

وفي حاشية الأصل : مِنْ نَسْجَةِ « مِنْكُمْ » . (٥) شَكِيمِهِ : طَبْعُهُ وَعَادَتُهُ . (٦) ديوانه ١ : ٥٦ .

مَوْفَّقٌ لِسَبِيلِ الرُّشْدِ مُتَّبِعٌ يَزِينُهُ كُلُّ مَا يَأْتِي وَيَجْتَنِبُ
تَسْمُو الْعُيُونُ إِلَيْهِ كُلَّمَا انْفَرَجَتْ لِلنَّاسِ عَنْ وَجْهِهِ الْأَبْوَابُ وَالْحُجُبُ
لَهُ خَلَائِقُ بَيْضٌ لَا يُغَيِّرُهَا صَرَفُ الزَّمَانِ كَمَا لَا يَصْنَدُ الدَّهَبُ

ووجدت بعض من ينتقد^(١) الشعر يقول: ليس في شعر مروان بيت يُتمثل به غير هذا البيت
• الأخير من الثلاثة الأبيات . وكان ابن منذر^(٢) إياه أراد بقوله ، وقد سأل وهو مجاور بمكة :
من يبتدأ من الشعراء ؟ فقبل له : العباس بن الأحنف ؛ فقال : أنشدوني له ، فأنشدوه :
لو كُنْتُ عَابَةً لَسَكُنَ عَبْرَتِي أَمَلِي رِضَالِكِ ، وَزُرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبِ^(٣)
لَكِنْ مَلَيْتُ فَلَمْ تَكُنْ لِي حِيلَةً ، صَدُّ الْمَلُولِ خِلَافُ صَدِّ الْعَاتِبِ^(٤)
فقال ابن منذر : أخلق بمن أدام بحث التراب أن يصيب خرزة .

١٠ قال سيدنا أدام الله تمكينه : ولا شك في قلة الأمثال في شعر مروان ؛ ولكن ليس إلى
هذا الحد ؛ وهذا المعنى الذي قد تضمنه البيت قد سبق إليه أيضا ، قال طرّيج بن إسماعيل :
جَوَادٌ إِذَا جِئْتَهُ رَاجِيًا كَفَاكَ السُّوَالِ وَإِنْ عُدْتَ عَادَا
خَلَائِقُهُ كَسِيْبِكَ النَّصَا رِ لَا يَفْعَلُ الدَّهْرُ فِيهَا فَسَادَا
ومثله قول الحرّثي :

[١٩٤] رَأَيْتُكَ يَا زَيْدُ زَيْدَ النَّدَى وَزَيْدَ الْفَخَّارِ وَزَيْدَ الْكَرَمِ
تَزِيدُ عَلَى نَائِبَاتِ الْخَطُوءِ بَ بَ بَدَلًا وَفِي سَائِبَاتِ النِّعَمِ
كَذَا الْخَمْرُ وَالذَّهَبُ الْمَعْدِنِ يُجَوِّدُ هَذَا وَذَاكَ الْقَدَمِ

وفي قوله : «الذهب المعدني» فائدة ؛ لأنه إذا خلّص الذهب وصفا لم يفسد؛ وإذا امتزج

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « ينقد » . (٢) حاشية الأصل : « ابن منذر ، بضم الميم ، ومنهم من يفتح الميم ، ذهابا إلى أن له آباء اسم كل منهم المنذر ، وليس هذا بشيء » . وقبل له :
يا ابن منذر ، فقال : منذر الصنري أم الكبرى ؟ وهما ناحيتان بالأهواز ، بل أنا ابن منذر ، بضم الميم » .
(٣) ديوانه : ٢ : ٢٢ . (٤) رواية الديوان : « لكن مللت » .

غيره لم يكن هذا حكمه ؛ ومثله للأُموي^(١) :

يَأْوِي إِلَى خُلُقٍ لَمْ يُصْدِهِ طَبْعٌ كَأَنَّ جَوْهَرَهُ مِنْ جَوْهَرِ الذَّهَبِ

ولبعضهم :

مَلِكٌ لَهُ خُلُقٌ خَلِيقٌ بِالْمَلَا كَسِيكَةِ الذَّهَبِ الَّتِي لَا تَكْلَفُ^(٢)

وقد أخذ الخبز أُرْزِيَّ هذا المعنى في قوله :

فَلَا تَمَنَّ لَتَحْذِيفٍ تَكْلَفُهُ لِصُورَةٍ حُسْنِهَا الْأَصْلَى تَكْفِيهَا
إِنَّ الدَّانِيَةَ لَا تُجَلَى وَإِنْ عَتَقَتْ وَلَا تَزَادُ عَلَى النَّقْشِ الَّذِي فِيهَا

وللمحظة مثله :

١٠ صَدِيقٌ لِي لَهُ أَدَبٌ صَدَاقَةٌ مِثْلُهُ حَسْبُ
رَعَى لِي فَوْقَ مَا يُرْعَى وَأَوْجَبَ فَوْقَ مَا يَجِبُ
وَلَوْ تَقَدَّتْ خَلَاتِقُهُ تَبْهَرُجَ هَنَدَاهَا الذَّهَبُ

(١) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « الأسدى » (٢) لا تكلف : لا تصدأ ؛ من الكلف ؛ وهو

لون يخالف لون الوجه .

مَجْلِسُ آخِر

تَاوِيلُ آيَةٍ

إن سائل سائل عن قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾؛ [الإسراء: ٤٧] .
فقال : لم وحد (نجوى) وهو خبر عن جمع ؟ وما معنى (مسحوراً) وما جرت
عادة مشركي العرب بوصف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ، بل عادتهم جارية بقرّفه
بأنه ساحر ؟

الجواب ، قلنا : أما قوله تعالى : ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ فإن «نجوى» مصدر يوصف
به الواحد والاثنتان والجمع والمذكر والمؤنث ، وهو مُقرّرٌ على لفظه . ويجرى ذلك كجري
[١٩٩] / قولهم : الرجال سَوم ، والنازل سَحد ، يعني بصوم صائمون ، وبمحمد محمودون .

وقد قال قوم : إن معناه : وإذ هم أصحاب نجوى ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ،
١٠ ويقال : القوم نجى والقوم أنجى ، فن وحد بنى على مذهب المصدر ، ومن جمع جملة منقولاً
عن المصادر ، ملحقاً برغيف وأرغفة ، وما أشبه ذلك .

وقد قال الشاعر (١) :

أَتَانِي نَجِيِّي بَعْدَ هَذِهِ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ أَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبٍ (٢)

(١) ف : « وقال الشاعر في التوحيد » ؛ وهو سواد بن قارب السدوسي ؛ صحابي ذكره ابن حجر
في الإصابة ٣ : ١٤٨-١٤٩ . (٢) من أبيات أنشدتها عند الرسول عليه السلام ، ذكرت مع
خبر له في مقدمة جهرة الأشعار ٢٤-٢٦ . والرواية هناك :

* وَلَمْ يَكُ فِيمَا قَدْ عَهَدْتُ بِكَاذِبٍ *

وأنشد الفراء في الجمع:

ظَلَّتْ نِسَاؤُهُمْ وَالْقَوْمُ أَنْجِيَّةٌ يُمَدَى إِلَيْهَا كَأَيْمَدَى عَلَى النَّعْمِ^(١)

فأما قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ففيه وجوه:

أولها أن يكون المراد: إن تتبعون إلا رجلاً متغير العقل؛ لأن المشركين كان من مذهبهم عيب النبي صلى الله عليه وآله، وتضعيف أمره وتوهين رأيه، وكانوا في وقت ينسبونه إلى أنه ساحر، وفي آخر يرمونه بالجنون، وأنه مسحور متغير العقل^(٢)، وربما قذفوه بأنه شاعر حوشي من ذلك كله. وقد جرت عادة الناس أن يصفوا من يضيفونه إلى البله والغفلة وقلة التحصيل بأنه مسحور.

وثانيها أن يريدوا بالمسحور المخدوع الممل؛ لأن ذلك أحد ما يستعمل فيه هذه اللفظة،

قال امرؤ القيس:

أَرَانَا مُوَضِّعِينَ لِحِمِّ غَيْبٍ وَنُسَحَّرُ بِالطَّعَامِ وَبِالشَّرَابِ^(٣)

وقال أمية بن أبي الصلت:

فَإِنْ تَسْأَلِينَا فِيمَ نَحْنُ فَإِنَّا عَصَافِيرُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ الْمُسَحَّرِ^(٤)

(١) البيت في اللسان (نجا)، ونسبه لسحيم، ولم يذكر في ديوانه. وفي ف، وحاشية الأصل

(من نسخة): «يمدى عليها». (٢) د، ف، حاشية الأصل من نسخة: «متغير العقل».

(٣) ديوانه: ١٣٢. موضعين: مسرعين، والإيضاح: نوع من السير. والختم: الإيجاب؛ وبعده:

عصافير وذبان ودود وأجراً من مجلعة الذئاب

فبعض اليوم عاذلتني فائى ستكفيني التجارب وانتسابى

إلى عرق الثرى وشجت عروقي وهذا الموت يسلبني شبابى

(٤) البيت في اللسان (سحر)، ونسبه إلى لبيد؛ وهو أيضاً في ديوانه ٨١: ١

وثالثها أن السَّحَر في لغة العرب الرُّثَّة وما تعلق بها ، فيها ثلاث لغات: سَحَرٌ وسِحْرٌ وسُحْرٌ ، وقيل السَّحَر ما لصق بالخلقوم والرى من أعلى الجوف ؛ وقيل إنه الكبد ؛ فكان المعنى على هذا : إن تَبِيمُون إلا رجلا ذا سِحْر ؛ خلقه الله بشرا كَخَلَقِكُمْ .

ورابعها أن يكون معنى مسحور أى ساحر ، وقد جاء لفظ مفعول بمعنى فاعل ؛ قال الله [١٩٥] تعالى : ﴿ وَإِذَا قرَأْتَ الْقُرْآنَ / جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ رِيبًا آخِرَةً حِجَابًا مُسْتُورًا ﴾ [الإسراء : ٤٥] ، أى ساترا ، والعرب تقول للمعسر : مُلْفَج ، ومعناه مُلْفِج ؛ لأن ماضيه أُلْفَج^(١) ، فجاءوا بلفظ المفعول وهو الفاعل ؛ ومن ذلك قولهم : فلان مشثوم على فلان وميمون ؛ وهم يريدون شائم له ويامن ؛ لأنه من شائمهم^(٢) ويمنهم .

ورأيت بعض العلماء يطمئن على هذا الاستشهاد الأخير فيقول : العرب لا تعرف « فلان مشثوم على فلان » ؛ وإنما هذا من كلام أهل الأمصار ؛ وإنما تسمى العرب من لحقه الشؤم مشثوما ؛ قال علقمة بن عبدة :

ومن تَمَرَّض لِلْفَرَبَانِ يَرْجُرُهَا عَلَى سَلَامَتِهِ لَا بَدَّ مَشْثُومٌ^(٣)
والوجه الثلاثة الأول أوضح وأشبه .

ومما يختار لروان بن أبي حفصة قوله من قصيدة يمدح بها معن بن زائدة الشيباني ، أولها :
أَرَى الْقَلْبَ أَمْسَى بِالْأَوَانِسِ مُوَلَّمًا وَإِنْ كَانَ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا قَدْ تَمَتَّعًا^(٤)
يقول فيها :

وَلَمَّا سَرَى الْهَمُّ الْغَرِيبُ قَرِيبُهُ قَرَى مِنْ أَزَالَ الشَّكِّ عَنْهُ وَأَزَمَا

(١) حاشية الأصل : « يقال : أُلْفَج ؛ فهو ملفج ، وأسهب إذا ذهب عقله فهو مسهب ، وأحصن فهو محصن » . (٢) شائمهم : أصابهم بشؤم . (٣) ديوانه : ١٣١ ، الفضليات : ١٢٠ (طبعة المعارف) .
(٤) الأوانس : جمع آنسة ؛ وهى الفتاة الطيبة الحديث والنفس .

عَزَمْتُ فَمَجَلْتُ الرَّحِيلَ وَلَمْ أَكُنْ
فَأَمْتُ رِكَابِي أَرْضَ مَعْنٍ وَلَمْ تَزَلْ
نَجَائِبُ لَوْلَا أَنَّهَا سَخَّرَتْ لَنَا
كَسَوْنَا رِحَالَ الْمَيْسِ مِنْهَا غَوَارِبًا
فَمَا بَلَفَتْ صَنَمَاءَ حَتَّى تَوَاضَعَتْ
وَمَا الْفَيْثُ إِذْ عَمَّ الْبِلَادَ بِصَوْرِهِ
يقول فيها:

تَدَارَكَ مَعْنٌ قَبَّةَ الدِّينِ بَعْدَمَا
أَقَامَ عَلَى الثَّغْرِ الْمَخُوفِ ، وَهَاشِمٌ
مُقَامَ امْرِئٍ يَأْتِي سِوَى الْخَطَةِ الَّتِي
وَمَا أُحْجِمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةً
رَأَوْا مُخْدِرًا قَدْ جَرَّبُوهُ وَعَابَنُوا
/ وَلَيْسَ بِشَايِنِهِ إِذَا شَدَّ أَنْ يَرَى
لَهُ رَاخَتَانِ : الْحَتَفُ وَالْفَيْثُ فِيهِمَا
لَقَدْ دَوَّخَ الْأَعْدَاءَ مَعْنٌ فَأَصْبَحُوا
نَجِيبُ مَنَاجِيبٍ وَسَيِّدُ سَادَةٍ
لَبَّائَتْ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأَكْمَلَتْ
كَذَى لُوثَةٍ لَا يُطْلَعُ الِهْمُ مَطْلَعًا
إِلَى أَرْضِ مَعْنٍ حَتَّى كَانَ نَزْعًا^(١)
أَبَتْ عِزَّةٌ مِنْ جَهْلِهَا أَنْ تُوزَّعًا
تَدَارَكَ فِيهَا النَّيُّ صَبَاً وَمَرَبَعًا^(٢)
ذُرَاهَا وَزَالَ الْجَهْلُ عَنْهَا وَأَقْلَعًا^(٣)
عَلَى النَّاسِ مِنْ مَعْرُوفٍ مَعْنٍ بِأَوْسَعًا
خَشِينَا عَلَى أَوْتَادِهَا أَنْ تُنْزَعًا
تَسَاقَى مِمَّا بِالْأَسِنَّةِ مُنْقَعًا
تَكُونُ لَدَى غَيْبِ الْأَحَادِيثِ أَرْفَعًا
عَلَيْكَ ؛ وَلَكِنْ لَمْ يَرَوْا فِيكَ مَطْمَعًا
لَدَى غِيَلِهِ مِنْهُمْ بَجَرًا وَمَصْرَعًا^(٤)
لَدَى نَحْرِهِ زُرْقَ الْأَسِنَّةِ شُرْعًا
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ تَضُرَّ وَتَنْفَعًا
وَأَمْنُهُمْ لَا يَدْفَعُ الدَّلَّ مَدْفَعًا
ذُرَا الْمَجْدِ مِنْ فَرْعَى نِزَارٍ تَفَرَّعًا
وَمَا كَمَلَتْ حَسَنُ سِنُوهُ وَأَرْبَعًا^(٥)

(١) نزعا ، أى مشتافين . (٢) الميس : خشبة الرجل ، والغوارب : أعلى السنام . والني : الشعير .

(٣) ذراها : جمع ذروة ؛ وهى الأعلى ؛ ويعنى هنا الأسنة .

(٤) المخدر : الأسد فى خدره وهو ضيله ؛ ويعنى بالحدر الأجرة . (٥) فى حاشيتى الأصل ، ف :

ومثله لآخر :

لَنْ فَرِحَتْ بِي مَقِيلٌ عِنْدَ شَيْبَتِي لَقَدْ فَرِحَتْ بِي بَيْنَ أَيْدِي الْقَوَائِلِ

لقد أصبحت في كلِّ شرقيٍّ ومغربٍ بِسَيْفِكَ أَعْنَقُ الرِّبِينَ خُصْمًا
وَطِئْتَ خُدُودَ الْحَضَرَمِيِّينَ وَطَاةً لَهَا هُدًى رُكْنَا عِزَّهُمْ ^(١) فَتَضَعُضَمَا
فَاقْعَرُوا عَلَى الْأَذْنَابِ إِقْعَاءَ مَغْشَرٍ يَرَوْنَ لَزُومَ السَّلَمِ أَبْقَى وَأَوْدَعَا
فَلَوْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الْحَرْبِ كُلِّهَا لَكَفُّوا وَمَا مَدُّوا إِلَى الْحَرْبِ إِسْبَعَا

• أما قوله:

فَمَا بَلَّغْتُ مَنَعَاءَ حَتَّى تَوَاضَعْتُ ذُرَاهَا، فزَالَ الْجَهْلُ عَنْهَا فَأَقْلَعَا
فَقَدْ رَدَّدَهُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ:

فَمَا بَلَّغْتُ حَتَّى سَاحَا كَلَالُهَا إِذَا عُرِّيَتْ أَصْلَابُهَا أَنْ تُقَيَّدَا

وهذا المعنى ^(٢) كثير في الشعر القديم والمحدث ^(٣)، فنه قول جرير:

إِذَا بَلَّغُوا النَّازِلَ لَمْ تُقَيَّدْ وَفِي طَوْلِ الْكَلَالِ لَهَا قِيُودُ ^(٤)

وروي أنه قيل لنُصَيْب: لك بيت نازعك فيه جرير؛ أيكما فيه أشعر؟ فقال: ما هو؟

فقيل قولك:

أَضَرَّ بِهَا التَّهْجِيرُ حَتَّى كَانَهَا بَقَايَا سُلَالٍ لَمْ يَدَّعَهَا سُلَالُهَا ^(٥)

وأنشد بيت جرير الذي تقدم، فقال: قاتل الله ابن الخطفي! فقيل له: قد فضلتَه

١٥ عليك، فقال: هو ذاك.

وأخذ هذا المعنى المؤمل بن أميل المحاربي فقال:

كَانَتْ تُقَيَّدُ حِينَ تَنْزِلُ مَنَزِلًا فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا الْكَلَالُ قِيُودَا

ولأبي نَحِيلَةَ:

[١٩٦] / قَيَّدَهَا الْجَهْدُ وَلَمْ تُقَيَّدِ فَهِيَ سَوَامٍ كَالْقَنَاءِ الْمُسْتَنْدِ

(١) حاشية ف (من نسخة): «عزهم». (٢-٢) من نسخة بمحاشني الأصل، ف:

«كثير في شعر القدماء والمحدثين». (٣) ديوانه: ١٤٨. (٤) السلال: السل.

وما لَهَا مُعَلِّلٌ^(١) مِنْ مِزْوَدٍ مِنْهَا^(٢) وَلَا مِنْ شَاحِطٍ مُسْتَبَعِدٍ

ومعنى قوله : « سَوَامٍ » أى هى رافعة رؤوسها ، وشبهها بالقنا ، لأن القنا إذا ركز مال قليلا مع الريح^(٣) ، فيقول : فى أعناقها ميل من الضعف ، كما قال الشماخ :
فَأَضْحَتْ تَغَالَى بِالسَّتَارِ كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاها وَجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزٌ^(٤)
وكما قال حميد بن ثور الهلالي :

بِمَثْوًى حَرَامٍ وَالطَّيُّ كَأَنَّهُ قَنًا مُسْنَدٌ هَبَّتْ لَهُنَّ خَرِيقٌ^(٥)

(١) ش « مغل » ، بكسر اللام المشددة . وهو على هذا كناية عن العلف الذى تحترقه من جوفها .
(٢) فى حاشيتي الأصل ، ف : « منها ، متعلق بالزود ؛ أى من مزود منها ، أى من نفسها ، يعنى كرسها » .
(٣) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « من الريح » .
(٤) فى حاشيتي الأصل ، ف : « وهذا البيت آخر زائجه ؛ وقوله :

فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْحِقْفِ حِقْفٌ تَبَالَعٌ لَهُ مَرَكْدٌ فِي مَسْتَوَى الْحَبْلِ بَارِزٌ
فَأَضْحَتْ تَغَالَى بِالسَّتَارِ كَأَنَّهَا . . .

يصف حميرا وصائدا ، والحقف : ما اعوج من الرمل ، والمركد : المقام والحبل : المتمد من الرمل .
وقوله : « تَغَالَى » أى تدخل رؤوسها بعضها فى بعض . والستار : موضع ؛ وشبهها فى دقتها وطولها بالرماح ونحائها : جعلها فى ناحية الريح ؛ شبهها من عرفة إلى ناحية الريح تستنقى ؛ فإن حلت الريح رعا الصائد إليها تركت ذلك المورد وأمنت غيره ؛ ولا تخدم بالرماح والفصيصة فى ديوانه : ٤٣-٥٣ ؛ ورواية البيهقي فيه :

وَأَصْبَحَ فَوْقَ النَّشْرِ نَشْرٌ حَمَامَةٌ لَهُ مَرَكْضٌ فِي مَسْتَوَى الْأَرْضِ بَارِزٌ
وَضَلَّتْ تَغَالَى بِالْيَفَاعِ كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاها وَجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزٌ
(٥) ديوانه : ٣٤ ، من قصيدة طويلة ؛ أولها :

نَأَتْ أُمٌّ تَحْمَرُ وَالْفَوَادُ مَشُوقٌ يَجْنُ إِلَيْهَا وَالْهَأُ وَيَتَوَقُّ
وهو أيضا فى السكامل - بشرح الرصنى ٦ : ١٩٣ ، واللسان (خرق) ، وفى حاشيتي الأصل ، ف :
نسخة س : « مثوى حرام : منى » ، وقبل هذا البيت :

فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا فِي الزِّيَارَةِ أَتَقَى وَذُو اللَّبِّ بِالتَّقْوَى هُنَاكَ حَقِيقُ
وهذا البيت لم يرد فى ديوانه ؛ والذي ورد قبل البيت المذكور :
أَلَا طَرَقْتُ صَحْبِي عَمِيرَةَ إِلَيْهَا لَنَا بِالْمُرُورَةِ الْمُطِيلِ طَرُوقُ
والمروارة هنا : الأرض أو المغارة لاشئ فيها .

فالتحريق ريحٌ شديدة تنخرقُ من كل جهة .

ومعنى قول أبي نخيلة : « من مزود » أى من ثملة^(١) تجترها ، من الاجترار ، وأراد أنه لا شيء في أجوافها تتمثل^(٢) به . والمستبعد : ما بعد من المرعى .
وأنشد أبو العباس ثعلب :

• إذا بلغوا النازل لم تُقيدَ ركايبهم ولم تُشدَّ بعقل
فهنَّ مُقيداتٌ مُطلقاتٌ تقضمُ ما تشذر في الحِل^(٣)

والأصل في هذا قول امرئ القيس :

مطوتٌ بهم حتى تكيل مطيهم وحتي الجياد ما يقدن بأرسان^(٤)

ولعباد بن أنف الكلب الصيداوى :

١٠ فتسمى لا أقيدُها بحبل بها طول الضراوة والكلال

ومن جيد هذا المعنى قول الفرزدق يصف الإبل :

بدأنا بها من سيف رمل كهيلة وفيها نشاط من مراح وعجرف^(٥)

(١) الثملة : بقية العلف .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « فتتمل به » . (٣) تشذر : تفرق ؛ وفي د ، ف :

« تشذب » ، وهى بمعنى تفرق أيضا . (٤) ديوانه : ١٢٩ . مطوت بهم ؛ أى مددت بهم في السير ، ما يقدن بأرسان ؛ أى أعيت فلا تحتاج إلى أرسان . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قبله :

وَجَرَّه كَذَا لَنَ الْأَنْعَمِ بِالْعَرِ ديار العدو ذى زهاء وأركان

المجر : الجيش الكبير الثقيل . والفلان : الأودية ؛ واحدها قال ، وهو الوادى الكثير الشجر . وذوزهاء ؛ أى لا يحصون لكثرتهم . (٥) ديوانه ٢ : ٥٥١-٥٥٨ ؛ من نقائض المشهورة ، وأولها :

عزفت بأعشاش وما كدت تعرف وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف

وأصل السيف شامى البحر ، وكهيلة : موضع . والعجرف : سير فيه نشاط . وفي حاشيتي الأصل ، ف : « قبل هذا البيت :

فما بَلَفَتْ حَتَّى تَقَارِبَ خَطَوُهَا وَبَادَتْ ذُرَاهَا وَالْمَنَاسِمُ رُفَّتْ^(١)
 وَحَتَّى قَتَلْنَا الْجَهْلَ عَنْهَا وَغَوَدِرَتْ إِذَا مَا أُنِخْتُ وَالْمَدَامُ ذُرْفُ^(٢)
 / وَحَتَّى مَشَى الْحَادِي الْبَطِيءُ بِسُوقِهَا لَهَا بِخَمْسٍ دَامٍ وَدَائِي مُجْلَفُ [١٩٧]
 - الْبَخَسُ : لَمْ الْخَفَ الَّذِي نَطَأَ عَلَيْهِ . وَالدَّائِي : فَتَارَ الظَّهْر . وَالْمُجْلَفُ : الْمُقْشُورُ -
 وَحَتَّى بَمَثْنَاهَا وَمَا فِي يَدَيْهَا إِذَا حُلَّ عَنْهَا رُمَّةٌ وَهِيَ رُسْفُ
 - الرُّمَّةُ : الْحَبْلُ ؛ وَأَرَادَ أَنَّهَا تَرُسْفُ كَمَا يَرُسْفُ الْقَبْدُ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي يَدَيْهَا قَبْدُ -
 إِذَا مَا نَزَلْنَا قَاتِلَتْ عَنْ ظُهُورِهَا حَرَاجِيجُ أَمْثَالِ الْأَهْلَةِ شُسْفُ
 - الْحَرَاجِيجُ : الطُّوَالُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَالشُّسْفُ : الْيَابَسَةُ مِنَ الْجَهْدِ وَالْكَلَالِ . وَمَعْنَى
 قَاتَلَهَا لِلْغُرَبَانِ أَنَّهَا إِذَا عَرَبَتْ ظُهُورَهَا نَقَعَ الْغُرَبَانُ عَلَيْهَا لَتَأْكُلَ دَبْرَهَا ؛ فَالْإِبِلُ تُدَافِعُ
 الْغُرَبَانَ بِأَفْوَاهِهَا عَنْ ظُهُورِهَا وَذَلِكَ قَاتَلَهَا -

= إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَمَتْ بَنَاءً هُمُومُ الْمَنَى وَالْمُوجَلُ الْمُتَعَسَّفُ
 وَعَصْفُ زَمَانٍ يَابِنُ مِرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَجَاتٍ أَوْ مَجْرَفُ
 وَمَا رِقَ الْأَعْضَادُ حُسْبٍ كَأَنَّمَا عَلَيْهَا مِنَ الْإِثْنِ الْجِسَادُ الْمُدَوَّفُ
 بِدَأْنِهَا مِنْ سَيْفٍ رَمَلُ كَهَيْلَةٍ ...

الْمُوجَلُ : الْبَطْنُ الْوَاسِعُ فِي الْأَرْضِ . الْمُتَعَسَّفُ : الطَّرِيقُ الْمَسْلُوكُ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ . وَيُرْوَى : « إِلَّا مَسَحَتْ » ،
 بِالرَّفْعِ ؛ وَمَعْنَى : لَمْ يَدَعْ « ، مِنْ الدَّعَا ؛ أَيْ « لَمْ يَتَذَعْ » مَعَ هَذَا الزَّمَانِ إِلَّا مَسَحَتْ مُسْتَأْصِلٌ . قَالَ سُوَيْدٌ :

أَرَقَّ الْعَيْنَ خَيَالٌ لَمْ يَدَعْ مِنْ سُلَيْمَى فِقْوَادِي مُنْتَزِعُ

وَالْمَجْرَفُ : الَّذِي أَخَذَ مَا دُونَ الْجَمِيعِ ؛ وَقَالَ ثَعْلَبُ : « مَسَحَتْ » نَصَبَ يَوْفُوعَ الْفَعْلَ عَلَيْهِ ، وَقَدْ وَلَبِهَ
 الْفَعْلُ ، وَلَمْ يَلِ الْفَعْلُ « مَجْرَفٌ » فَاسْتَوْتَفَّ بِهِ فَرَفَعَ ، قَالَ : التَّقْدِيرُ : « هُوَ مَجْرَفٌ » . وَمَا رِقَ الْأَعْضَادُ :
 الَّتِي تَمُورُ بِيَدَيْهَا دُونَ رِجَالِهَا ، وَذَلِكَ مِمَّا يَسْتَحِبُّ فِي الْإِبِلِ . وَالْجِسَادُ : الرِّقُّ ؛ وَهُوَ مَا اصْفَرَّ ، يُضْرَبُ إِلَى
 الْحُمْرَةِ .

(١) بَادَتْ : هَلَسَتْ أَسْنَمَتُهَا . وَالْمَنَاسِمُ : أَطْعَامُ الْإِبِلِ . وَرَعَفَ : دَامِيَةٌ مِنَ الْخَفَاءِ .

(٢) نَسْخَةُ الشَّجَرِ : « قَتَلْنَا جَهْلَهَا ؛ وَهُوَ مَرْحَبُهَا وَنَشَاطُهَا بِالْكَلَالِ » . وَيُرْوَى : « وَغَوَرَتْ » ،
 مِنَ التَّنْوِيرِ ، وَهُوَ تَزُولُ الْغَائِثَةُ ؛ وَالْغَائِثَةُ نِصْفُ النَّهَارِ .

إذا ما أربناها الأزمنة أقبلت إلينا بمرات الخدود تصدق
فأفنى مراح الداعرية^(١) خوضها بنا الليل إذ نام الدثور الملقف^(٢)

ومن أحسن ما قيل في وصف الإبل بالنحول من الكلال والجهد بعد السمن قول
الشاعر:

• وذات مائني قد غيضت مجتها بحيث تستمسك الأرواح بالحجر
ردت عواري غيطان الفلا ونجت بمثل إبيالة من حائل العشر^(٣)

قوله : « ذات مائني » بمعنى سمناً على سمن ؛ وقيل : بل عني أنها رعت كلاً عامين .
وقوله « قد غيضت مجتها » يعني أنه أتمها بالسير حتى ردها هزلاً بعد سمن ؛ فكأنه
غيض بذلك ماءها .

١٠ ومعنى :

• بحيث تستمسك الأرواح بالحجر •

يعني الفلاة ؛ حيث لا يكون فيها الماء ، فيقتسم الركب الماء الذي يكون معهم بالحجر الذي
يقال له المقلة^(٣) فتمسك أرواقهم .
وقوله :

• ردت عواري غيطان الفلا ونجت •

١٥

أى مارعت من كلاً هذه الأماكن وصممت عنه كان كعارية عندها ، فردته حيث جهدها
السير وأهزلها^(٤) . والإبيالة : الحزمة من الخطب اليابس .

(١) الداعرية : إبل منسوبة إلى فعل يقال له : داعر ، معروفة بالنجاة والكرم . وخوضها : سيرها
بالليل . والدثور : الرجل الثقيل البدن ، الذي لا يبرح مكانه . الملقف ، أى في ثيابه .

(٢) العشر : شجر له صمغ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : « يعنى بمائل العشر ما يمس من هذا
الشجر ، وأصل المائل في الإبل إذا لم تحمل » .

(٣) المقلة ، بالفتح : حصاة القسم ؛ نوضع في الإناء ليعرف قدر ما يسقى كل واحد منهم ؛ وذلك عند
قلة الماء في الفاو . (٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « هزلها » .

وأخذ هذا المعنى بعينه أبو تمام فقال :

رَعْتَهُ الْفَيَافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً
فَكَمْ جِرْعُ وَادٍ جَبَّ ذِرْوَةً غَارِبٍ
غَامًا قَوْلُهُ / :

فَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةً
فَمَا أَخُوذُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ (١) :

فَمَا بُقِيَا عَلَى تَرَكَتْمَانِي
وَلَكِنْ خِفْنَا صَرَدَ النَّبَالِ (٢)

لَمَمَرَّكَ مَا النَّاسُ أَتْنَوْا عَلَيْكَ
وَلَوْ أَنَّهُمْ وَجَدُوا مَطْعَمًا
فَأَنْتَ بِفَضْلِكَ أَتَجَأُهُمْ
إِلَى أَنْ يُجَلُّوا وَأَنْ يُعْظَمُوا

(١) ديوانه : ٤٤ : من قصيدته التي يمدح فيها عبد الله بن طاهر : وأولها :

أَهْنُ عَوَادِي يَوْسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ
وَفِي الدِّيَّانِ : « وَمَاءُ الرُّوْضِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ » . وبعده :

فَأَضْحَى الْفَلَاحُ قَدْ جَدَّ فِي بَرِي نَحْضُهُ
النَّحْضُ : القُحْمُ الْمُسْتَكْتَرُ .

(٢) جَبَّ : قطع . أَمَكَّتْهُ : أَسَمَّتْهُ . الْمَذَانِبُ : مجازى الماء . ورواية الديوان :

• وَبِالْأَمْسِ كَانَتْ أُنْمَكَّتْهُ مَذَانِبُهُ •

(٣) هو العين الماقري : وكان قد تعرض لجرير والفرزدق فقال :

سَأَقْضِي بَيْنَ كَلْبٍ وَبْنِ كَلْبٍ
بِأَنَّ الْكَلْبَ مَرْتَمُهُ وَخِيمٌ
فَلَمْ يَجِبْهُ أَحَدٌ مِنْهُمَا : فقال :

فَمَا بَقِيَا عَلَى تَرَكَتْمَانِي ، وَلَكِنْ خِفْنَا صَرَدَ النَّبَالِ
(٤) البقا : الرحمة والشفقة . وصرد السهم : نفذ أو نكل : وهو من الأضداد : والمعنى على الأول :
أُنْمَكَّتْ خِفْنَا أَنْ تَنْفُذَ سَهَامِي فِيكُمْ ، أَيْ هَجَائِي ، وَعَلَى الثَّانِي : أُنْمَكَّتْ خِفْنَا أَلَّا تَنْفُذَ سَهَامَكُمْ ، فَجَزَعْنَا مِنَ الرَّدِّ عَلَى .

ومثله وقريب منه :

أَمَّا لَوْ رَأَى فَبِكَ الْعَدُوَّ نَقِصَةً نَحَبٌ يَتَصَرَّبُ بِفِ الْعُيُوبِ وَأَوْضَعًا
وَلَكِنَّهُ لَمَّا رَأَاكَ مَبْرَأً مِنْ الْعَيْبِ غَطَّى رَأْسَهُ وَتَقَبَّعًا

ومثله :

قَدْ طَلَبَ الْعَاذِلُ عَيْبًا فَمَا أَصَابَ عَيْبًا فَانْثَنَى عَاذِرًا

وللبحتري في معنى قول مروان :

* فَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بَقِيَّةَ *

من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ويصف لقاءه الأسد :

غَدَاةَ لَقِيتَ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خَادِرٌ يُحَدِّدُ نَابًا لِلِقَاءِ وَخَلْبًا^(١)
شَهِدْتُ ، لَقَدْ أَنْصَفْتَهُ يَوْمَ تَنْبَرِي لَهُ مُصْلِتًا عَضْبًا مِنْ الْبَيْضِ مِقْضَبًا^(٢)
فَلَمْ أَرَ ضِرْغَامِينَ أَصْدَقَ مِنْكُمَا عِرَاكَ إِذَا الْهَيَّابَةُ النُّكْسُ كَذِبًا^(٣)
هَزَبَرٌ مَشَى يَبْنِي هَزَبَرًا ، وَأَغْلَبَ مِنْ الْقَوْمِ يَغْشَى بِاسِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبًا^(٤)
أَدَلَّ بِشَفْبٍ نَمَّ هَالَتُهُ صَوْلَةٌ رَاكَ لَهَا أَمْضَى جَنَانًا وَأَشْفَبًا
فَأَحْجَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ فَبِكَ مَطْمَعًا وَأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا
فَلَمْ يَغْنِهِ أَنْ كَرَّ نَحْوَكَ مُقْبِلًا ، وَلَمْ يُنْجِجْهُ أَنْ حَادَ عَنْكَ مُنْكَبًا
حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ لَا عَزْمُكَ أَنْثَنَى ، وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ ، وَلَا حَدُّهُ نَبَاً
/ وَكُنْتُ مَتَى تَجْمَعُ بَيْنِيكَ^(٥) مَهْتِكًا الْفَهْرَ مَرِييَةً ، أَوْ لَا تُبْقِ لِلْسَّيْفِ مَضْرِبًا

١٠

١٥

[١٩٨]

ومن صافي كلام مروان ورائقه ، ومما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسيج

قوله :

(١) ديوانه ١ : ٥٦ . (٢) يقال : أصلت السيف إذا جردته . والعضب : السيف القاطم .
والقضب : القطع أيضا . (٣) أي كذب الظن فيه ؛ ومن نسخة بحاشية الأصل : « فكبا » .
(٤) الأغلب : الأسد إذا كان غليظ الرقبة . (٥) جعل كلتا يديه يمينا .

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم
هم يغمنون الجار حتى كأنما
لحاميم في الإسلام سادوا ولم يكن
هم القوم إن قالوا أصابوا، وإن دُعوا
وما يستطيع الفاعلون فعالمهم
ثلاث بأمثال الجبال حياهم
أسود لها في غيل خفان أشبل^(١)
لجارهم بين السماكين منزلة
كأولهم في الجاهلية أول
أجابوا، وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا
وإن أحسنوا في الثأيات وأجملوا
وأحلامهم منها لدى الوزن أثقل

ومن جيد قوله من قصيدة يمدح بها معنًا :

ما من عدو يرى معنًا بساحته
يلقى إذا الخيل لم تقدم فوارسها
أغرر بحسب يوم الروع ذا ليد
إلا يظن المنابا تسبق القدر
كاليت بزاد إقداما إذا زجرا
وردأ ويحسب فوق المنبر القمر^(٢)

وله من قصيدة يصف يوماً حارًا :

وبوم عسول الآل حام كأنما
نصبنا له منا الوجوه وكثها
أظى كشميه مشبوب نار تلهب^(٣)
عصائب أمال بها تعصب

ويشبه أن يكون أخذ ذلك من قول الشنفرى :

ويوم من الشمري يذوب كعابه
نصبت له وجهي ولكن دونه
أفاعيه في رمضائه تتكلم^(٤)
ولا ستر - إلا الأتحمى الرقب^(٥)

(١) حماسة ابن الشجرى : ١٠٩ - ١١٠ ، وأبيات منها في باب الآداب ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٢) ليد : جمع ليدة ؛ وهو ما اجتمع من الشعر على قفا الأسد فتليد .

(٣) عسول : جار ؛ وأصله في الذئب والتملب . وحام : حار . (٤) لامية العرب - بشرح الزمخشري :

١٢٨ - ١٢٩ . الشمري : من الكواكب الفيزية . (٥) الأتحمى : نوع من البرود . والمرعب :

ولروان من أبيات يصف فيها حديقة وهبها له المهدي ، ويذكر نخلها وشجرها
أجاد فيها :

نواضر غلباً قد تدانت رءوسها من النبت حتى ما يطير غرابها^(١)
ترى الباسقات العم فيها كأنها ظمائن مضر وب عليها قباها
[١٩٨] / نرى بابها سهلاً لكل مدفع إذا أينعت نخل فأغلق بابها^(٢)
يكون لنا مانجتي من ثمارها ربيعاً إذا الآفاق قل سحابها
حظائر لم يخلط بأمانها الربا ولم يك من أخذ الديات اكتسابها
ولكن عطاء الله من كل مدحة جزيل من المستخلفين ثوابها
ومن ركضنا بالخير في كل غارة حلال بأرض الشركين نهابها^(٣)
حوت غنمها آباؤنا وجدودنا بصم العوالي والدماه خضابها

أما قوله :

حظائر لم يخلط بأمانها الربا ولم يك من أخذ الديات اكتسابها
فكان ابن المعتز نظر إليه في قوله :

لنا إبل ما وفرتها دماؤنا ولا ذعرتها في الصباح الصوايح^(٤)
وفي ضد هذا قول أبي تمام :

(١) ف : « نواضر غلبا » .
(٢) يريد أنه إذا أغلق الآخرون الأبواب على نخلهم ؛
فإن نخل هذه الروضة لا يلق بابها .

(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « للخل » . (٤) ديوانه : ٢٢ ؛ والرواية فيه :

« لنا وفرّة ما وفرتها دماؤنا »

وفي نسخة ش : « الصوائح » ؛ والمعنى أنه لم تأخذ عوضاً عن دماؤنا .

كَثُرَتْ فِيهِمُ الْمَسَارِحُ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ مَنَاكِحٍ وَدِيَاتٍ^(١)
ومثل الأول قول حسان يهجو قوماً من قريش :
وما لَكُمْ لَأَمِنْ طِرَادٍ فَوَارِسٍ وَلَكِنْ مِنَ التَّرْقِيعِ بِآلِ مَالِكٍ^(٢)

(١) ف ، حاشية الأصل من نسخة : « المواشى » ؛ وفي حاشيتهما أيضاً : إذا سكنت الباء من « المواشى » ؛ كان البيت مشتمل العروس ؛ والنشعث في العروس غير مألوف وإنما هو في الضرب الأول من الخفيف . والنشعث : أن تقطع وتد فاعلاتن فتعذف ألفه وتسكن لامه فتصير : « فاعلاتن » ، فتصير : « مفوان » .
(٢) الترقيع : إصلاح المال .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن معنى قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٢٨] .
 وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطْمِئُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [الإنسان : ٩] .
 وقوله تعالى : ﴿ وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] .
 وما شا كل ذلك من آي القرآن المتضمنة لذكر الوجه .

الجواب ، قلنا : الوجه في اللغة العربية ينقسم إلى أقسام :

فالوجه المعروف المركب فيه العيان من كل حيوان .

والوجه أيضا أولُ الشيء وسدرة ؛ ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا آخِرَهُ ﴾ [آل عمران : ٧٢]
 أي أول النهار ؛ ومنه قول الربيع بن زياد :

[١٩٩] / مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ فَلَيَاتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارٍ^(١)

أي غداة كل يوم . وقال قوم : وجه نهار : موضع .

والوجه المقصد بالفعل ؛ من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ ؛

[لقمان : ٢٢] ؛ معناه : من قصد بأمره وفعله إلى الله سبحانه ، وأراد بهما . وكذلك

قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ ﴾ ، [النساء : ١٢٥] ؛ وقال

الفرزدق :

(١) الحماسة — بشرح المرزوق ٩٩٥ ؛ وفي نسخة بمحاشيتي الأصل ، ف : « فليأت ساحتنا » ؛

وهي رواية الحماسة ؛ وهو مالك بن زهير العبسي قتل في بني فزارة ؛ فرتاه الربيع بأبيات من هذا البيت .

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رَكَاظِي إِلَى آلِ مَرْوَانَ بُنَاةَ الْمَكَامِ
 أَي جَعَلْتُ قَصْدِي وَإِرَادَتِي لَهُمْ ، وَأَنْشَدَ الْفَرَاءُ :
 اسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبِّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ
 أَي الْقَصْدُ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الصَّلَاةِ : وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؛ أَي
 قَصَدْتُ قَصْدِي بِصَلَاتِي وَعَمَلِي ؛ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ ﴾ ٥
 [الرُّومُ : ٤٣] .

وَالْوَجْهُ الْإِحْتِيَالُ لِلْأَمْرِ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ كَيْفَ الْوَجْهُ لِهَذَا الْأَمْرِ ؟ وَمَا الْوَجْهُ فِيهِ ؟ أَي
 مَا الْحِيلَةُ ؟

وَالْوَجْهُ الْمَذْهَبُ وَالْجَهَةُ وَالنَّاحِيَةُ ، قَالَ حَمْزَةُ بْنُ بَيْضَ الْخَنْقِ :
 ١٠ أَيُّ الْوُجُوهِ انْتَجَعْتَ ؟ قُلْتُ لَهُمْ : لَا أَيْ وَجْهٍ إِلَّا إِلَى الْحَكَمِ ^(١)
 مَتَى يَقُولُ صَاحِبًا مُرَادِقِهِ : هَذَا ابْنُ بَيْضٍ بِالْبَابِ يَبْتَسِمُ
 وَالْوَجْهُ : الْقَدْرُ وَالْمَنْزِلَةُ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : لِفُلَانٍ وَجْهٌ عَرِيضٌ ، وَفُلَانٌ أَوْجَهُ مِنْ فُلَانٍ ،
 أَيَّ أَعْظَمَ قَدْرًا وَجَاهًا ، وَيُقَالُ : أَوْجَهَهُ السُّلْطَانُ إِذَا جَعَلَ لَهُ جَاهًا ؛ قَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ :
 وَنَادَمْتُ قَيْصَرَ فِي مُلْكِهِ فَأَوْجَهَنِي وَرَكِبْتُ الْبَرِيدَ ^(٢)

وَالْوَجْهُ الرَّئِيسُ الْمَنْظُورُ إِلَيْهِ ؛ يُقَالُ : فُلَانٌ وَجَهُ الْقَوْمِ ، وَهُوَ وَجْهٌ عَشِيرَتُهُ ؛ وَوَجْهٌ
 الشَّيْءِ نَفْسُهُ وَذَاتُهُ ؛ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ جَنْدَلٍ السَّعْدِيُّ :

(١) الْأَغَانِي ١٥ : ١٤ . (٢) اللِّسَانُ (وَجْهٌ) ؛ وَهُوَ مِنْ أَيْبَاتِ أَرْبَعَةٍ فِي الْأَغَانِي ٨ : ١٩٦ .

(طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ الْمَصْرِيَّةِ) ، وَفِي حَاشِيَةِ ف : « يُقَالُ : حَمَلَ فُلَانٌ عَلَى الْبَرِيدِ إِذَا هَيَّأَ لَهُ فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ
 مَرْكُوبًا لِيَرْكَبَهُ ؛ فَإِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَرَحَلَةِ الْأُخْرَى نَزَلَ عَنِ الْمَرْكُوبِ وَرَكِبَ الْمَرْفَقَ ؛ وَهَكَذَا إِلَى أَنْ يَصَلَ إِلَى
 حَقْصِهِ » .

وَنَحْنُ حَفَرْنَا الْخَوْفَزَانَ بَطْمَنَةً فَأَقْلَتَ مِنْهَا وَجْهَهُ عَتِدَ نَهْدٌ (١)

أراد أفلته ونجّاه ومنه قولهم : إنما أفل ذلك لوجهك ، ويدل أيضا على أن الوجه يُعبّر
[١٩٩] به / عن الذات قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ . وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِأَمِيرَةٍ . تَنْظُرُونَ أَن يُفْعَلَ لَهَا فَاِقْرَةٌ ﴾ ؛ [القیامة : ٢٢ - ٢٥] ، وقوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لِّسْمِهَا رَاضِيَةٌ ﴾ ؛ [الفاشية : ٨ ، ٩] ، لأن جميع ما أُضيف إلى الوجوه في ظاهر الآي ؛
من النظر ، والظن ، والرضا لا يصح إضافته في الحقيقة إليها وإنما يضاف إلى الجملة ، فعنى قوله
تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ؛ أي كل شيء هالك إلا هو ؛ وكذلك قوله تعالى :
﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ؛ لما كان المراد بالوجه
نفسه لم يقل « ذی الجلال » كما قال : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ؛
[الرحمن : ٧٨] : لما كان اسمه غيره .

ويمكن في قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ وجه آخر ؛ وقد روى عن
بعض المتقدمين ، وهو أن يكون المراد بالوجه ما يقصد به إلى الله تعالى ويوجهه ؛ نحو القربة
إليه جلّت عظمته ؛ فيقول : لا تُشرك بالله ، ولا تدع إلها غيره ؛ فإن كل فعل يُتقرب به
إلى غيره ، ويُقصد به سواء فهو هالك باطل ؛ وكيف يسوغ للمشبهة أن يحملوا هذه الآية
١٥ والتي قبلها على الظاهر ! أوليس ذلك بوجب أنه تعالى يَفْتَنِي ويبقى وجهه ؛ وهذا كفر وجهل
من قائله .

فأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ ، [الإنسان : ٩] ، وقوله : ﴿ إِلَّا

(١) حفزنا : طمنا . ويقال فرس عتد ، بفتح التاء وكسرهما : إذا كان شديدا تام الخلق سريع الوثبة ؛
ليس فيه اضطراب ولا رخاوة والنهد من لعت الخيل : الجسم الشرف . والخوفزان هو الحارث بن شريك
طمعه قيس بن عاصم يوم جدود ؛ والمشهور في ذلك قول سوار بن حيان المنفري :

وَنَحْنُ حَفَرْنَا الْخَوْفَزَانَ بَطْمَنَةً سَقْتَهُ نَجِيمًا مِنْ دَمِ الْجُوفِ أَشْكَلا
وَحِرَانٍ قَسْرًا أَرْزَلَتْهُ رِمَاحُنَا فَمَالَجَ غُلًّا فِي ذِرَاعَيْهِ مُقَفَّلًا

وانظر شرح الفضليات ٤٧٠ .

ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى) ؛ [الليل : ٢٠] ، وقوله : ﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ ، [الروم : ٣٩] ؛ فمعلوم أن هذه الأفعال مفعولة له ؛ ومقصود بها ثوابه ، والقربة إليه ، والزلفة عنده .

فأما قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمُتَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ؛ [البقرة : ١١٥] ، فيحتمل أن يُراد به : فَمَتَّ اللَّهُ ، لا على معنى الحلول ، ولكن على معنى التدبير والعلم ، ويحتمل أن يراد به : فَمَتَّ رِضَا اللَّهِ وثوابه والقربة إليه .

ويحتمل أن يُراد بالوجه الجهة ، وتكون الإضافة بمعنى الملك والخلق والإنشاء والإحداث ؛ لأنه عز وجل قال : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمُتَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ ؛ أى أن الجهات كلها لله تعالى وتحت ملكه ؛ وهذا واضح بين بحمد الله .

أخبرني أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى الصولي قال : أنحدرنا ^{١٠} مع المكنى بالله في آخر سَفَرَةٍ سافر بها للصييد من الموضع المعروف بحُنة إلى تَكْرِيت في حَرَّاقَةٍ ^(١) فكانت تجنح كثيراً ، فيشتد فزع مَنْ معه من الجلساء / لذلك ؛ وكنت أشدهم ^(٢) فزعاً ، وكان في الحَرَّاقَةِ سواى من الجلساء يحيى بن علي المنجم ، ومتوِّج بن محمود بن مروان ، والقاسم المعروف بابن حَبَابَةِ ، وكان يضحك لفزعنا ويقول : لقد قسم الله لكم حظاً من الشجاعة جزيلاً ، فقلت له : إن البحتري يقول شعراً يصف فيه مثلَ حالنا ، ويمدح به أحمد بن ^{١٥} دينار بن عبد الله - وقد غزا الروم في مراكب - أدله :

أَلَمْ تَرَ تَغْلِيَسَ الرَّيِّعَ الْمَبَكَّرَ وما حالك من وَشَى الرِّيَاضِ الْمُنَشَّرِ ^(٢)

(١) الحَرَّاقَةُ : اسم لفينة ؛ وأصل الحَرَّاقَات : سفن كانت بالبصرة ، فيها مراعى نيران يرى بها العدو .

(٢) ديوانه ٢ : ٢٢ - ٢٤ .

فقال له : أنشدني الموضع الذي ذكر هذا فيه منها - وكان جيد العلم بالأشعار ، حافظاً
للاخبار - فأنشده :

غَدَوْتُ عَلَى الْيَمُونِ صُبْحًا ، وَإِنَّمَا غَدَا الْمَرْكَبُ الْيَمُونُ تَحْتَ الْمُظَفَّرِ (١)
إِذَا زَمَجَرَ النُّونُ فَوْقَ عَلَانِهِ رَأَيْتَ خَطِيئًا فِي ذُوَابَةِ مِنْبَرِ (٢)
يَغْضُونَ دُونَ الْإِسْتِيَامِ عُيُونَهُمْ وَفَوْقَ السَّمَاءِ تَلْمِظُهُمُ الْمُؤَمَّرِ (٣)
إِذَا مَا عَلَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ اعْتَلَى لَهُ جَنَاحًا عُقَابٍ فِي السَّمَاءِ مُهَجَّرِ (٤)
إِذَا مَا انْكَفَأَ فِي هَبْوَةِ النَّارِ خِلْتَهُ تَلَفَّعَ فِي أَثْنَاءِ بُرْدٍ مُجَبَّرِ (٥)
وَحَوْلَكَ رَكَّابُونَ لِلْهَوْلِ عَاقِرُوا كَوْسَ الرَّدَى مِنْ دَارِ عَيْنٍ وَحُسَّرِ (٦)
تَمِيلُ الْمَنَا حَيْثُ مَالَتْ أَكْفُهُمْ إِذَا أَصْلَتُوا حَدَّ الْحَدِيدِ الْمَذْكُرِ
إِذَا أَرَشَقُوا بِالنَّارِ لَمْ يَكُ رِشْقُهُمْ لِيُقْلِعَ إِلَّا عَنْ شِوَاءٍ مُفْتَرِ (٧)

(١) قبله :

وَلَمَّا تَوَلَّى الْبَحْرُ وَالْجُودُ صِنْوُهُ غَدَا الْبَحْرُ مِنْ أَغْلَاقِهِ بَيْنَ أَبْحُرِ
أَضَافَ إِلَى التَّدْيِيرِ فَضْلَ شَجَاعَةٍ وَلَا عَزَمَ إِلَّا لِلشَّجَاعِ الْمَدْبَرِ
إِذَا شَجَرُوهُ بِالرَّمَحِ تَكَثَّرَتْ عَوَامِلُهَا فِي صَدْرِ لَيْثٍ غَضَنْفَرِ

والميمون ، يريد به السفينة ؛ وفي حاشية الأصل : « هو اسم حراقة » .

(٢) حاشية الأصل : « العلاء : الموضع الذي يركب فيه الملاح من السفينة » .

(٣) حاشية الأصل : « يقال وقفوا دونه سماطاً ؛ أي امطوا ؛ وفي شعره : « وفوق السماط » ؛ قال

س : « وهو الصواب ؛ وكذا قرأت على مشايخي . والإشتيام : رئيس المركب ؛ كلفة نبطية » .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « إذا عصفت فيه » ؛ وهي رواية الديوان ومهجر ؛ أي

يحلق في الهاجرة . (٥) في حاشيتي الأصل ، ف : « انكفا الميمون ؛ أي تمايل ؛ وأراد بهبوة

النار ما كانوا يرمون به من النار إلى العدر من الحراقة التي اسمها ميمون ، وشبه مواد الحراقة وحرارة النار

وبياض الماء بلون البرد . وانكفا ، أصله الهمز يخفف ؛ يقال : انكفأت المرأة ونكفأت ؛ إذا تمايلت في

سيرها . وفي م : والديوان : « هبوة الماء » تصحيف . (٦) المعاقرة : الملازمة .

(٧) الرشق : الرمي من جهة واحدة . والشواء المفتر : الذي يصعد منه القنار ؛ والفار عند العرب :

ريخ الشواء إذا ذهب على الجمر .

صدمت بهم مهب المئارين دونهم
يسوقون أسطولا كأن سفينه
كان ضجيج البحر بين رماحهم
تقارب من زحفهم فكأنما
فأرمت حتى أجلت الحرب عن طلى
على حين لا تقح تطوُّحه الصبا
وكنت ابن كسرى قبل ذلك وبمده
جدحت له الموت الذعاف فمأفه
مضى وهو مولى الرّيح يشكر فضلهما

ضراب كإيقاد اللظى المتسمّر
سحائب صيف من جهام ومطير^(١)
إذا اختلفت ترجيع عود مجر جر^(٢)
تولف من أعناق وخش مسفر
مقصصة فيهم وهام مطير^(٣)
ولا أرض تلقى للصريع القطر^(٤)
ملياً بأن توهي صفاة ابن قيصر
وطار على ألواح شطب مسمر^(٥)
عليه ومن يولى الصنيمة يشكر

[٢٠٠]

قال : فاستجد المكنى قوله :

* على حين لا تقح تطوُّحه الصبا *

فقال له يحيى بن علي : أنشدني ابن الرومي شعراً له في هذا المعنى :

ولم أنعم قط من ذي سباحة
ولم لا؟ ولو ألقيت فيها وصخرة
وأيسر إشفافي من الماء أنفي
وأخشى الردى منه على كل شارب
سوى الفوص، والمضموف غير مغالب^(٦)
لوافيت منها القعر أول راسب
أمر به في الكوز مرّ الجانب
فكيف بأمنيه على كل راكب !

١٥

(١) الأسطول : جماعات السفن . وفي حاشيتي الأصل ، ف : ه قال ش : ذكر لي أستاذي عند قراءة شعر البحري عليه بأصبعه أن الأسطول لغة مصرية ؛ وهي عندم عبارة عن جماعة العسكر الذين يتوجهون إلى البحر بجواهرهم ؛ فهم مجموع مراكبهم وحراقاتهم وشباراتهم وتجارهم أسطول ؛ ويشترك أهل مصر فيقولون : ما جاءنا العام أسطول . وفي حاشية الأصل أيضاً : « الشبارات : نوع من المراكب البحرية » .
(٢) العود : المسن من الإبل . (٣) الطلى : جم طلية ؛ وهي صفة العنق ؛ وقصة : مقطعة . ورواية الديوان : « طلى مقطعة » . (٤) يقال : طلعته فقطره ؛ أي ألقاه على قطره ، أي جانبه ، فقطر . (٥) جدحت : خلطت ؛ والشطب في الأصل : الفرس الطويل ؛ وجعل المركب شطباً على التشبيه لمراكبه ونجا . (٦) ديوانه الورقة ٢٣ ؛ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

قلت له : إنما أخذ ابن الرومي بيته الثالث من قول أبي نواس ؛ فقال المكتفي بالله : فما قال ؟ قلت : حدثني علي بن مزاج المصري قال حدثني أبو وائل اللخمي قال حدثني إبراهيم بن الحبيب قال : وقف أبو نواس بمصر على النيل ؛ فرأى رجلاً قد أخذه التماسيح فقال :

٥ أضمرت للنَّيلِ هِجْرَانًا وَمَقْلِبَةً مُذْ قِيلَ لِي : إِنَّمَا التَّمَسَّاحُ فِي النَّيْلِ
فَمَنْ رَأَى النَّيْلَ رَأَى الْعَيْنَ مِنْ كَثَبٍ فَمَا أَرَى النَّيْلَ إِلَّا فِي الْبَوَاقِلِ
قال الصولي : والبواقيل سُفْنُ صَفَارِ .

ثم أجرى المكتفي بعد ذلك ذكر الشيب ، فقال : العرب تقول : أظلم من شيب ، وقد شِبت ، وظلمني المشيب ؛ وشبت ياصولي ، قلت : جواب عبدك في هذا جوابُ معن بن زائدة الشيباني لجدك المنصور وقد قال له : كبرت يامعن ، فقال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : وإنك لتتجعد ، قال : على أعدائك ، قال : وفيك بحمد الله بقية ، قال : لخدمتك . ففرع المكتفي عمامته ، فإذا شيبتان في مقدم رأسه ، فقال : لقد غمّني طالع هاتين الشيبتين ، قلت له : إنما يعيش الناس في الشيب ؛ فأما السواد فلا يصحب الناس خالصاً أكثر من [٢٠١] أربعين سنة إلى الخمسين / ، وقد يماش في البياض الذي لا سواد فيه ثمانون سنة . وأنشده يحيى ١٥ ابن علي في معنى طول العمر مع الشيب قول امرئ القيس :

أَلَا إِنَّ بَعْدَ الْمُدْمِ لِلْمَرْءِ قِنْوَةٌ وَبَعْدَ الْمَشِيبِ طُولَ عُمُرٍ وَمَلَبَسًا^(١)
وأنشدته أنا أيضاً أبياتاً أنشدها إسحاق بن إبراهيم الموصلي لبعض القيسيين :
لَمْ يَنْتَقِصْ مِنِّي الْمَشِيبُ قُلَامَةً الْآنَ حِينَ بَدَأَ أَلْبُ وَأَكْيَسُ
وَالْمَشِيبُ إِنْ يَظْهَرُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ عُمُرًا يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسُ

٢٠ قال سيدنا أدام الله تمسكينه : أما قول البحري : « مضى وهو مولى الريح » فقد كرر معناه في قوله من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري :

أَشْلَى عَلَى مَنُوبِلَ اطَّرَافِ الْقَنَاءِ فَتَنَجَا عَتِيقَ عَتِيقَةٍ جَرْدَاءِ^(١)
وَلَوْ أَنَّهُ أَبْطَأَ لَهْنٌ هُنَيْهَةٌ لَصَدَرْنَ عَنْهُ ، وَهْنٌ غَيْرُ ظَاهِرٍ
فَلَنْ تَبْقَاءُ الْقَضَاءُ لَوْ قَتِرَ فَلَقَدْ عَمَمَتْ جُنُودُهُ بِغَنَاءِ

وأظنه أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام في قصيدة يمدح بها المعتصم ، ويذكر فتح
الخرمية^(٢).

لَوْلَا الظَّلَامُ وَقُلَّةُ عِلَاقُوا بِهَا بَاتَتْ رِقَابُهُمْ بِغَيْرِ قِلَالٍ^(٣)
فَلَيْشْكُرُوا جَنَّعَ الظَّلَامِ وَدَرُوزًا فَهُمْ لِدَرُوزٍ وَالظَّلَامِ مَوَالِي^(٤)

وقد أخطأ الصولي في تفسير بيت أبي نواس بأن البواقيل سُفُنُ صَنَارٍ ؛ لأن البواقيل
جمع بوقال ؛ وهو آلة على هيئة الكوز معروفة ؛ تُعمل من الزجاج وغيره ؛ وهذا مثل قول ابن
الزوي :

« أَمْرٌ بِهِ فِي الْكُوزِ مَرَّ الْجَانِبِ »

وإنما أراد أنني لا أمر بماء النيل إلا إذا أردت شربه في كوز أو بوقال .

وأظن الصولي استمر عليه الوهم من جهة قوله : « فَمَا أَرَى النَّيْلَ » وصرف ذلك إلى
أنه أراد النيل على الحقيقة ؛ وإنما أراد ماء النيل ؛ وما علمت أن السفن الصنار يقال لها بواقيل

إلا من قول الصولي ، هذا ولو كان ما ذكره صحيحاً من أن ذلك اسم لصنار السفن لكان
بيت أبي نواس بما ذكرناه أشبه / وأليق وأدخل في معنى الشعر ؛ وكيف تدخل الشبهة في [٢٠١]
ذلك مع قوله :

(١) ديوانه ١ : ٥ ؛ أشلى : أغرى . ومنوبل : اسم قلعة . والعتيقة هنا : الفرس .

(٢) الخرمية : فرق تنسب إلى بابك الخرمي ؛ خرج من كورة بفارس تدعى البذاء ، وأغار فتنة على الخليفة
سنة ٢١٠ هـ ؛ وامتدت زمن المأمون والمعتصم ؛ إلى أن قتل بمد حوادث دامية في أزمان متطاولة ؛ على يد
الأفشين قائد المعتصم سنة ٢٢٣ هـ . (٣) ديوانه : ٢٦٢ . (٤) دروز : موضع في ثغر
أذربيجان ؛ كذا ذكره ياقوت وأورد بيتي أبي تمام .

* فن رأى النيل رأى العين من كَثَبٍ *

ومن رأى النيل فى السفن فقد رآه من كَثَبٍ، ومن رأى ماءه فى الآنية على بُعد لا يكون
رائياً له من كَثَبٍ .

فأما مدح الشيب وتفضيله على الشباب فقد قال فيه الناس فأكثرُوا؛ فما تقدم من ذلك
• قول رؤبة بن العجاج ؛ ويقال إن رؤبة لم يقل من القصيدة إلا هذين البيتين :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُعَيَّرُ بِالشَّيْءِ بِرِ أَفْلَنْ بِالشَّبَابِ افْتِخَارًا
قَدْ لَبَسْتُ الشَّبَابَ غَضًا جَدِيدًا فوجدتُ الشَّبَابَ ثَوْبًا مُعَارًا

ولعل بن جبلة :

جفا طرَبَ الفتيانِ وهوَ طُرُوبُ وأَغْقَبَهُ قُرْبَ الشَّبَابِ مَشِيبُ
تَجَافَتْ عُيُونُ الْبَيْضِ عَنْهُ ، وَرُبَّمَا مَدَدْنَ إِلَيْهِ الْوَصْلَ وَهُوَ حَيِيبُ
لِعُمْرِى لَنِعْمَ الصَّاحِبُ الشَّيْبُ وَأَعْظَا وَإِنْ كَانَ مِنْهُ لِلْعِيُونِ نُكُوبُ
خَلِيطُ نُهَى ، مُنْتَابُ حِلْمٍ ؛ وَإِنَّهُ عَلَى ذَاكَ مَكْرُوهُ الْخِلَاطِ مُرِيبُ

١٠

ولآخر :

وَتَنَكَّرْتُ شَيْبِي فَقُلْتُ لَهَا : لَيْسَ الْمَشِيبُ بِنَاقِصٍ عُمرى
سَيَّانٍ شَيْبِي وَالشَّبَابُ إِذَا مَا كُنْتُ مِنْ عُمرى عَلَى قَدْرِ

١٥

ولآخر :

إِنْ أَكُنْ قَدَرُزْتُ أَسْوَدَ كَالْفَحَّ مِ وَأَغْقَبْتُ مِثْلَ لَوْنِ الثُّغَامَةِ^(١)
فَلَقَدْ أَسْعِفُ الْكَرِيمَ وَأُحِبُّ أَهْلَهُ بِالْندَى وَآبِى الظَّلَامَةِ

(١) الثغامة : نبت أبيض يشبه به الشيب .

غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ كَانَ رِدَاةَ خَانَتَا فَيَوْهُ كَفَى، النَّهْمَةُ

وَلَاخِرُ:

إِنَّ الْمَشِيبَ رِدَاةَ الْحِلْمِ وَالْأَدَبِ كَمَا الشَّبَابُ رِدَاةَ الْإِيمَانِ وَاللَّعِبِ
تَمَجَّبَتْ إِذْ رَأَتْ شَيْبَى فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَمَجَّبِي، مَنْ يَطْلُ عُمُرُهُ بِهِ يَشِبُ^(١)

ولابن الجهم:

حَسَرْتُ عَنِّي الْقَنَاعَ ظُلُومُ وَتَوَلَّيْتُ وَدَمْعَهَا مَسْجُومُ^(٢)
/ أَنْكَرْتُ مَا رَأْتُ بِرَأْسِي فَقَالَتْ: أَمْشِيبُ أَمْ أُولُو مَنْظُومُ!
قُلْتُ: شَيْبٌ وَلَيْسَ عَيَّيًّا، فَأَنْتِ أَنْتِ يَسْتَمِيرُهَا الْمَهْمُومُ
شَدًّا مَا أَنْكَرْتُ تَصْرُفَ عَهْدِ لَمْ يَدُمْ لِي، وَأَيُّ شَيْءٍ يَدُومُ!

ولأبي هيفان:

تَمَجَّبَتْ دُرٌّ مِنْ شَيْبَى فَقُلْتُ لَهَا: لَا تَمَجَّبِي فَطُلُوعُ الشَّيْبِ فِي السَّدَفِ^(٣)
وَزَادَهَا عَجَبًا لَمَّا رَأَتْ تَمَكِّي وَمَا دَرَّتْ دُرٌّ أَنَّ الدُّرَّ فِي الْعَدَفِ^(٤)

وقد أحسن أبو تمام غاية الإحسان في قوله:

أَبَدَتْ أُمِّي أَنْ رَأَتْنِي^(٥) مُخْلِيسَ الْقَصَبِ^(٦) وَآلَ مَا كَانَ مِنْ عُجْبٍ إِلَى عَجْبٍ^(٧)

(١) د، ف، حاشية الأصل من نسخة: «تمجبت أن رأيت شيبى». (٢) ديوانه: ١٧٦-١٧٧؛ وظلوم: اسم امرأة.
(٣) حاشية ابن الشجري: ٢٤٥؛ والسدف: الظلمات.
(٤) السمل، محرّكة: الثوب الخلق البالي، ومن نسخة بحاشية الأصل: «أن رحت في سمل»؛ وهى رواية الحاشية. (٥) ديوانه: ١٥، والشهاب ١٠، وفي حاشية الأصل (من نسخة): «إذ رأيتنى»، وهى رواية الشهاب والديوان.
(٦) يقال: أخّس النبت؛ إذا جفّ أعلاه وبيض، وفي حاشية الأصل: «القصب: الدواب المفضية؛ الواحدة قصبة وتجمع قصائب، يقال: قصب، فيسكن». ويخط الشجري: «القصب»، بضم ففتح.
(٧) حاشية الأصل: «أى كانت تعجب بى فصارت تعجب من شيبى». وفي الشهاب: «أما قوله: «من عجب إلى عجب» فن البلاغة الحسنة والاختصار السديد البارع».

سِتٌّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَأَتِبُهُمَا إِلَى الْمَشِيبِ وَلَمْ تَظْلِمِ وَلَمْ تَحْبِ (١)
فَلَا يُؤَرِّفُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ (٢)

وللبحتري :

عَيَّرَتْنِي بِالشَّيْبِ وَهِيَ رَمَتْهُ فِي عِذَارِي بِالصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ (٣)
لَا تُرِيهِ عَارًا فَاهْوٍ بِالشَّيْبِ بِلِسْكَتِهِ جَلَاءُ الشَّبَابِ (٤)
وَبِيَاضِ الْبَازِيٍّ أَمْدَقُ حُسْنًا إِنْ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْفُرَابِ

وله :

هَـا هُوَ الشَّيْبُ لَا تَمَّا فَأَفِيقِي وَاتَرُكِهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقٍ (٥)
فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ الْمَعْنَى (٦)

(١) لم تحب : لم تأثم ؛ والمحوب : الإثم ، وبعده في الديوان :

يَوْمِي مِنَ الدَّهْرِ مِثْلُ الدَّهْرِ مَشْتَهَرٌ عَزَمًا وَحَزَمًا وَسَاعِي مِنْهُ كَالْحَقْقَبِ
فَأَصْغِرِي أَنْ شَيْبًا لَاحَ بِي حَدَثًا وَأَكْبِرِي أَنِّي فِي الْمَهْدِ لَمْ أَشِبْ

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا يفرئك » . والفسخ : الشيب ، أو أوله . وفي الشهاب

للمرئضي : « وقوله :

* فَإِنْ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ *

يريد أن الرأي والأدب والحلم إنما يجتمع ويتكامل في أوان الكبر والشيب دون زمان الشباب ، وقد
تصف الشعراء أبدا الشيب بأنه تهدم في الشعر لياحه ؛ إلا أن هذه من أبي تمام تسلية عن الشيب وتنبه على منفعته .

(٣) ديوانه ١ : ٧ ، والشهاب : ٢٥ . وفي حاشية الأصل :

* عَيَّرَتْنِي الْمَشِيبَ وَهِيَ بَدَتْهُ *

وهي رواية الديوان ؛ وبدتة ، مخفف من بدأته بالهمز . وفي حاشية الأصل أيضا (من نسخة) :
« جنته » . (٤) لأنريه : لا تظنه . وفي حاشية الأصل : « جعل سواد الشباب وسغا وصدا على الشخص
والشيب جلاء له » .

(٥) ديوانه ٢ : ١٢٥ ، والشهاب : ٢٥ ، وحلقة ابن الشجري : ٢٤٣ - ٢٤٤ ، وفي حاشيتي

الأصل ، ف : « يقول : أيتها العاذلة ، أفبقي من عذله وعلامته ، فقد أقبل الشيب يلومه ويعذله ، ولا حاجة إلى
عذلك وإن لم يبق فانركيه » . (٦) د ، والحلقة والشهاب . « عن عناء المعنى » .

سِتٌّ وَعِشْرُونَ تَدْعُونِي فَأَتِبُهُمَا إِلَى الْمَشِيبِ وَلَمْ تَظْلِمِ وَلَمْ تَحْبِ (١)
فَلَا يُؤَرِّفُكَ إِيْمَاضُ الْقَتِيرِ بِهِ فَإِنَّ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ (٢)

وللبحتري :

عَيَّرَتْنِي بِالشَّيْبِ وَهِيَ رَمَتْهُ فِي عِذَارِي بِالصَّدِّ وَالْإِجْتِنَابِ (٣)
لَا تُرِيهِ عَارًا فَاهْوٍ بِالشَّيْبِ بِلِسْكَتِهِ جَلَاءُ الشَّبَابِ (٤)
وَبِيَاضِ الْبَازِيٍّ أَمْدَقُ حُسْنًا إِنْ تَأَمَّلْتَ مِنْ سَوَادِ الْفُرَابِ

وله :

هَا هُوَ الشَّيْبُ لَا تَمَّا فَأَفِيقِي وَاتْرُكِهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقٍ (٥)
فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ الْمَعْنَى (٦)

(١) لم تحب : لم تأثم ؛ والمحوب : الإثم ، وبعده في الديوان :

يَوْمِي مِنَ الدَّهْرِ مِثْلُ الدَّهْرِ مَشْتَهَرٌ عَزَمًا وَحَزَمًا وَسَاعِي مِنْهُ كَالْحَقْبِ
فَأَصْغِرِي أَنْ شَيْبًا لَاحَ بِي حَدَثًا وَأَكْبِرِي أَنِّي فِي الْمَهْدِ لَمْ أَشِبْ

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « فلا يفرئك » . والقسم : الشيب ، أو أوله . وفي الشهاب

للمرئضي : « وقوله :

* فَإِنْ ذَاكَ ابْتِسَامُ الرَّأْيِ وَالْأَدَبِ *

يريد أن الرأي والأدب والحلم إنما يجتمع ويتكامل في أوان الكبر والشيب دون زمان الشباب ، وقد
تصف الشعراء أبدا الشيب بأنه تهدم في الشعر لياحه ؛ إلا أن هذه من أبي تمام تسلية عن الشيب وتنبه على منفته .

(٣) ديوانه ١ : ٧ ، والشهاب : ٢٥ . وفي حاشية الأصل :

* عَيَّرَتْنِي الْمَشِيبَ وَهِيَ بَدَتْهُ *

وهي رواية الديوان ؛ وبدت ، مخفف من بدأنه بالهمز . وفي حاشية الأصل أيضا (من نسخة) :
« جنته » . (٤) لأنريه : لا تظنه . وفي حاشية الأصل : « جعل سواد الشباب وسغا وصدا على الشخص
والشيب جلاء له » .

(٥) ديوانه ٢ : ١٢٥ ، والشهاب : ٢٥ ، وحاسة ابن الشجري : ٢٤٣ - ٢٤٤ ، وفي حاشيتي
الأصل ، ف : « يقول : أيتها العاذلة ، أفبقي من عذله وعلامته ، فقد أقبل الشيب يلومه ويعذله ، ولا حاجة إلى
عذلك وإن لم يفق فانركيه » . (٦) د ، والحاسة والشهاب . « عن عناء المعنى » .

عَذَلْتَنَّا فِي عَشِقِهَا أُمَّ عَمْرِو هَلْ صَمِعْتُمْ بِالْعَاذِلِ الْمَعشُوقِ^(١)
 وَرَأَتْ لِمَةً أَلَمَ بِهَا الشَّيْبُ سَبُّ فَرِيَمَتٍ مِنْ ظَلَمَةٍ فِي شُرُوقِ
 وَلَعَمْرِي لَوْلَا الْأَفَاحِي لَا بُصْرُ تِ أَنْيَقَ الرِّبَاضِ غَيْرَ أَنْيَقِ
 وَسَوَادُ الْعَيُونِ لَوْلَمْ يَكْمُلْ بَيَاضٍ مَا كَانَ بِالْأَوْمُوقِ^(٢)
 / وَمِزَاجُ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ أَمَلِي^(٣) بَصْبُوحِ مُسْتَحْسَنِ وَغَبُوقِ
 أَيْ لَيْلٍ يَبْهَى بَغِيرِ نَجُومِ أَوْ سَمَاءٍ تَنْدَى بَغِيرِ رُوقِ!

[٢٠٢
ط

ويشبهه أن يكون أخذ قوله :

* أَيْ لَيْلٍ يَبْهَى بَغِيرِ نَجُومِ *

من قول الشاعر :

أَشْيَبُ وَلَمْ أَقْضِ الشَّبَابَ حُقُوقَهُ وَلَمْ يَمُضْ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ قَدِيمُ^(٤)
 رَأَتْ وَضَحًا فِي مَفْرِقِ الرَّأْسِ رَاعَهَا وَشَتَّانَ مُبَيَّضٌ بِهِ وَبِهِمُ
 تَفَارِيقُ شَيْبٍ فِي الشَّبَابِ لَوَامِعُ وَمَا حُسْنُ لَيْلٍ لَيْسَ فِيهِ نَجُومُ!

ولمحمود الوراق في مثل هذا المعنى وهو قوله :

مَا الدُّرُّ مَنْظُومًا بِأَحْسَنَ مِنْ شَيْبٍ يُجَلِّلُ هَامَةَ السَّكَلِ
 وَكَأَنَّهُ فِيهَا النُّجُومُ إِذَا جَدَّ السَّيْرُ بِهَا عَلَى مَهَلِ
 لَا تَبْكِينَ عَلَى الشَّبَابِ إِذَا يَبْكِي الْجَهْلُ عَلَيْهِ لِلْجَهْلِ
 وَاشْكُرْ لَشَيْبِكَ حُسْنَ صُحْبَتِهِ فَلَقَدْ كَسَاكَ جَلَالَةَ الْفَضْلِ

(١) حاشية الأصل : « إنما عذله لأنه شاخ والمعشوق مع الشيخوخة لا يستحسن » .

(٢) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « بالرموق » ؟ (٣) في حاشيتي الأصل : « أ. ب. ،

محذف من أملا ؛ أَيْ أَوْثَقُ ؛ يقال : ماؤ فلان بذلك ؛ إذا كان ثقة به ، وفلان أملا ؛ بكذا من فلان » .

(٤) البيت الأول والثالث في حاشية ابن الشجري : ٢٤٤ ، من غير نسبة .

ولآخر في مدح الشيب :

لَا يَرُغِكَ الشَّيْبُ يَا بَنَةَ عَبْدِ اللَّهِ لَهُ فَالشَّيْبُ حِلْيَةٌ وَوَقَارٌ^(١)
إِنَّمَا تَحْسُنُ الرِّيَاضُ إِذَا مَا ضَحِكَتْ فِي خِلَالِهَا الْأَنْوَارُ

ولى في هذا المعنى من قصيدة :

جَزَعْتُ لَوْ خَطَاتِ الشَّيْبِ وَإِنَّمَا بَلَغَ الشَّبَابُ مَدَى الْكَمَالِ فَتَوَّارًا
وَالشَّيْبُ إِنِ فُكِّرْتُ فِيهِ مَوْرِدٌ لَا بُدَّ بُورِدُهُ الْفَسَى إِنْ عُمَّرَا
يَبْيَضُ بَعْدَ سَوَادِهِ الشَّعْرُ الَّذِي إِنْ لَمْ يَزُرْهُ الشَّيْبُ وَارَاهُ الثَّرَى

ومن عدل بين الشيب والشباب ، ومدح كل واحد منهما طريق بن إسماعيل الثقفى فقال :

وَالشَّيْبُ لِلْحُكَمَاءِ مِنْ سَفَهِ الصُّبَا بَدَلٌ يَكُونُ لَدَى الْفَضِيلَةِ مَقْنَعٌ
/ وَالشَّيْبُ غَايَةٌ مِنْ تَأَخَّرِ حَيْنِهِ لَا يَسْتَطِيعُ دِفَاعَهُ مِنْ يَجْزَعُ
إِنَّ الشَّبَابَ لَهُ لَذَاذَةٌ جِدَّةٌ وَالشَّيْبُ مِنْهُ فِي الْمُنْبَةِ أَنْفَعُ
لَا يَبْعِدُ اللَّهُ الشَّبَابَ فَرَحًا بِالشَّيْبِ حِينَ أَوَى إِلَيْهِ الرُّجْعُ

ومثله لآخر :

وَكَانَ الشَّبَابُ الْفَضْلُ لِي فِيهِ لَذَّةٌ فَوَقَّرَنِي عَنْهُ الشَّيْبُ وَأَدْبَا
فَسَقِيًا وَرَعِيًا لِلشَّبَابِ الَّذِي مَضَى وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالشَّيْبِ وَمَرَحَبَا

(١) حاسة ابن الشجرى : ونسبها إلى علي بن الجهم .

مَجْلِسُ آخِر

تَاوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦]
 فقال : كيف ضَمِنَ الإِجَابَةَ وَتَكْفُلَ بِهَا ، وَقَدْ رَى مَنْ يَدْعُو فَلَا يُجَاب ؟ .

الجواب ، قلنا في ذلك وجوه .

أولها أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي ﴾ أَيُ أَسْمَعُ دَعْوَتَهُ ؛ وَلِهَذَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ : دَعَوْتُ مَنْ لَا يُجِيبُ أَيُ دَعَوْتُ مَنْ لَا يَسْمَعُ . وَقَدْ يَكُونُ أَيْضاً يَسْمَعُ بِمَعْنَى يُجِيبُ ؛ كَمَا كَانَ يُجِيبُ بِمَعْنَى يَسْمَعُ ؛ يُقَالُ : سَمِعَ اللَّهُ لِنِ حَمْدِهِ ؛ يَرَادُ بِهِ : أَجَابَ اللَّهُ مَنْ حَمَدَهُ وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

دَعَوْتُ اللَّهَ حَتَّى خِفْتُ الْآثَ يَكُونُ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ

أَرَادَ يُجِيبُ مَا أَقُولُ .

وِثَانِيهَا أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَرُدْ بِقَوْلِهِ : ﴿ قَرِيبٌ ﴾ مِنْ قُرْبِ الْمَسَافَةِ ؛ بَلْ أَرَادَ أَنَّنِي قَرِيبٌ بِإِجَابَتِي وَمَمُونَتِي وَنِعْمَتِي ، أَوْ بَعْلَى بِمَيَّاتِي الْعَبْدِ وَيَذَرُ ، وَمَا يُسَرُّ وَيَجْهَرُ ، تَشْبِيهاً بِقُرْبِ الْمَسَافَةِ ؛ لِأَنَّ مَنْ قَرُبَ مِنْ غَيْرِهِ عَرَفَ أَحْوَالَهُ وَلَمْ تَخْفَ عَلَيْهِ ؛ وَيَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿ أُجِيبُ ﴾ عَلَى هَذَا تَأْكِيداً لِلْقُرْبِ ؛ فَكَأَنَّهُ أَرَادَ : إِنَّنِي قَرِيبٌ قُرْباً شَدِيداً ، وَإِنَّنِي بِحَيْثُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ أَحْوَالُ الْعِبَادِ ؛ كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ إِذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْقُرْبِ مِنْ صَاحِبِهِ وَالْعِلْمِ بِحَالِهِ : أَنَا بِحَيْثُ أَسْمَعُ كَلَامَكَ ، وَأُجِيبُ نِدَاءَكَ ، وَمَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى . وَقَدْ رَوَى أَنَّ قَوْمًا سَأَلُوا الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ فَقَالُوا / لَهُ : أَرَبُنَا قَرِيبٌ فَتَنَاجِيهِ ، أَمْ بَعِيدٌ فَتَنَادِيهِ ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ . [٢٠٣]

وثالثها أن يكون معنى هذه الآية أنني أجيب دعوة الداعي إذا دعاني على الوجه الصحيح، وبالشرط الذي يجب أن يقارن الدعاء ؛ وهو أن يدعو باشتراط المصلحة ؛ ولا يطلب وقوع ما يدعو به على كل حال ؛ ومن دعا بهذا الشرط فهو مجاب على كل حال ؛ لأنه إن كان صلاحاً فعمل مادعا به ؛ وإن لم يكن صلاحاً لم يفعل لفقد شرط دعائه ، فهو أيضاً مجاب إلى دعائه .

ورابعها أن يكون معنى ﴿ دَعَانِي ﴾ أى عبدنى ، وتكون الإجابة هى الثواب والجزاء على ذلك ؛ فكأنه قال : إننى أثيبُ العباد على دعائهم لى ؛ وهذا مما لا اختصاص فيه .

وخامسها ما قاله قومٌ من أن معنى الآية أن العبد إذا سأل الله تعالى شيئاً فى إعطائه صلاحٌ فَعَلَهُ به وأجابه إليه ، وإن لم يكن فى إعطائه إياه فى الدنيا صلاحٌ وخيرة لم يُعْطَهُ ذلك فى الدنيا ، وأعطاه إياه فى الآخرة ، فهو مجيب لدعائه على كل حال .

وسادسها أنه إذا دعاه العبد لم يَحُلْ من أحد أمرين : إما أن يُجَابَ دعاؤه ، وإما أن يَخَارَ له بصرفه عما سأل ودعا ، فحسُنُ اختيار الله له يقوم مقام الإجابة ، فكأنه يجاب على كل حال .

وهذا الجواب يضعف لأن العبد ربما سأل ما فيه صلاحٌ ومنفعة له فى الدنيا ، وإن كان فيه فساد فى الدين لغيره فلا يعطى ذلك ، لأمر يرجع إليه ، لكن لما فيه^(١) من فساد غيره ، فكيف يكون مجاباً مع المنع الذى لا يرجع إليه منه شيء من الصلاح ! اللهم إلا أن يقال : إنه دعا؛ مشروط بأن يكون صلاحاً ، ولا يكون فساداً ، وهذا مما تقدم .

ومعنى قوله تعالى ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ ، أى فليجيبونى وليصدقوا رسلى ، قال الشاعر :

وَدَاعٍ دَعَا يَأْمَنُ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَلِكَ مُجِيبٌ^(٢)

(١-١) ساقط من الأصل ، وتسكنته من د ، ف . (٢) مطامع قصيدة كعب بن سعد الغنوى ؛ وهى فى أمالى القالى ٢ : ١٤٨ - ١٥١ .

أى لم يجبه .

قال سيدنا أدام الله علوه : وإذ كنا قد ذكرنا فى المجالس المتقدمة لهذا المجلس طرّفا من الشعر فى تفضيل الشيب وتقديسه ، والتمزى عنه ، والتسأى عن نزوله ؛ فنحن متبعوه بطرف مما قيل فى ذمّه والتألم به والجزع منه .

فمن ذلك قول أبى حية النيرى :

[٢٠٤] / تَرَحَّلَ بِالشَّبَابِ الشَّيْبُ عَنَّا
وقد كان الشبابُ لنا خَلِيلاً
لَعَمْرُ أبى الشبابِ لقد تَوَكَّى
إِذِ الْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ عَلَيْنَا
فليتَ الشَّيْبَ كَانَ به الرَّحِيلُ^(١)
فقد قَضَى مَارِبَهُ الْخَلِيلُ
سَهِيداً مَا يَرَادُ به بَدِيلُ^(٢)
وَوَظِلُّ أَرَاكَةِ الدُّنْيَا ظَلِيلُ

وقال الفرزدق :

أَرَى الدَّهْرَ ، أَيَّامُ الشَّيْبِ أَمْرُهُ
وَفى الشَّيْبِ لَذَاتٌ وَقُرَّةُ أَعْيُنِ
إِذَا نَازَلَ الشَّيْبُ الشَّبَابَ فَاصْلَتَا
فِيَا خَيْرَ مَهْزُومٍ ، وَيَأْمُرُ هَازِمِ
وَلَيْسَ شَبَابٌ بِمَدَّ شَيْبٍ بِرَاجِعِ
وَمَا الْمَرْءُ مَنفُوعاً بِتَجْرِبٍ وَاعِظِ
علينا ، وَأَيَّامُ الشَّبَابِ أَطَايِبُهُ^(٣)
وَمِنْ قَبْلِهِ عَيْشٌ تَمَلُّلٌ جَادِبُهُ^(٤)
بَسِيفَتَهُمَا ، فَالشَّيْبُ لَا بَدَّ غَالِبُهُ
إِذَا الشَّيْبُ وَافَتْ لِلشَّبَابِ كِتَابَتُهُ
مَدَى الدَّهْرِ حَتَّى يَرْجِعَ الدَّرَّ حَالِبُهُ
إِذَا لَمْ تَعْظُهُ نَفْسُهُ وَتَجَارِبُهُ

وأنشد إسحاق الوصلى :

- (١) حماسة ابن الشجرى : ٢٣٩ ، مع اختلاف فى ترتيب الأبيات .
(٢) الحماسة : لا يراد به بديل . (٣) ديوانه : ١ : ٥٢ .
(٤) فى حاشيتى الأصل ، ف : جادبه : عائبه ، أى لم يجد عيباً فتملل وجهاً يتعلل به باطلاً ومنه قول ذى الرمة :

فيا لك من خد أسيلٍ ، ومنطقٍ رخيخٍ ، ومن خلقٍ تعلل جادبه

لَعَمْرِي لَنْ حُلْتُ عَنْ مَهْلِ الصَّبَا
لِيَالِي أُمِّشِي بَيْنَ بُرْدَى لَاهِيَا
سَلَامٌ عَلَى سَيْرِ الْقَلَّاصِ مَعَ الرَّكْبِ
سَلَامٌ أَمْرِي لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ
لَقَدْ كُنْتُ وَرَادَا لِعَشْرَبِهِ الْعَذْبِ^(١)
أَمِيسُ كَغُصْنِ الْبَانَةِ النَّاعِمِ الرُّطْبِ
وَوَصَلَ الْقَوَانِي وَالْمُدَامَةُ وَالشَّرْبِ
سِوَى مَنَظَرِ الْعَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ الْقَلْبِ^(٢)

ولنصور النمرى :

مَا تَنْقِضِي حُسْرَةَ مَنِي وَلَا جَزَعُ
بَانَ الشَّبَابُ فَفَانَتْنِي بِشَرَّتِهِ
مَا كُنْتُ أَوْ فِي شَبَابِي كُنْهُ عِزَّتِهِ
إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ بِرُتْجَعِ^(٣)
صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامُهَا خُدَعُ
حَتَّى مَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعِ^(٤)

ولمحمد بن أبي حازم :

عَهْدَ الشَّبَابِ ، لَقَدْ أَبْقَيْتَ لِي حَزَنًا
سَقِيَا وَرَغِيًا لِأَيَّامِ الشَّبَابِ وَإِنْ
جَرَّ الزَّمَانُ ذُبُولًا فِي مَفَارِقِهِ
وَرَبَّمَا جَرَّ أَذْيَالَ الصَّبَا مَرَحًا
لَا تَسْكَدُ بَيْنَ فَمَا الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا
كَفَاكَ بِالشَّيْبِ عِيًّا عِنْدَ غَانِيَةٍ
مَا جَدُّ ذِكْرِكَ إِلَّا جَدُّ لِي تُكُلُّ^(٥)
لَمْ يَبْقَ مِنْكَ لَهُ رَسْمٌ وَلَا طَلَلُ
وَلِلزَّمَانِ عَلَى إِحْسَانِهِ عِلَلُ^(٦)
وَبَيْنَ بُرْدِيهِ غُصْنٌ نَاعِمٌ خَفِضُ
مِنَ الشَّبَابِ يَوْمٌ وَاحِدٌ بَدَلُ
وَبِالشَّبَابِ شَفِيعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ

(١) حذت : طردت ومنعت . (٢) د : ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « نظر العينين » .

(٣) حسانة ابن الشجرى : ٢٣٩ (٤) حاشية الأصل (من نسخة) :

مَا كِدْتُ أَوْ فِي شَبَابِي كُنْهُ شَرَّتِهِ حَتَّى مَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهَا تَبَعُ

(٥) من أبيات في الأغانى : ١٢ : ١٥٢ - ١٥٣ مجموعها ثلاثة عشرة بيتا ؛ وأبيات منها في الورقة :

١١٠ ، وحسانة ابن الشجرى : ٢٣٩ . (٦) في حاشيتي الأصل ، ف : « أى للزمان علة على تركه

الإحسان ؛ ويجوز أن يكون المعنى : له مع إحسانه علة » .

ولأبي نواس :

كَانَ الشَّبَابُ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ وَمُحَسِّنَ الضَّحَكَاتِ وَالْهَزْلِ^(١)
كَانَ الْجَمِيلُ إِذَا رَتَدَتْ بِهِ^(٢) وَمَشَيْتُ أَخْطَرُ صَيِّتِ النَّمْلِ
كَانَ الْبَلِيغُ إِذَا نَطَقْتُ بِهِ وَأَصَاخَتِ الْأَذَانُ لِلْمُعْمَلِ
كَانَ الشُّفَّعُ فِي مَآرِبِهِ عِنْدَ الْحِسَانِ وَمُدْرِكُ التَّبَلِ
وَالْبَاعِي وَالنَّاسُ قَدْ هَجَمُوا حَتَّى أَيْتَ خَلِيفَةُ الْبَعْلِ
وَالْأَمْرِ حَتَّى إِذَا عَزَمْتُ نَفْسِي أَعَانَ عَلَى الْفَعْلِ
فَالآنَ صَرْتُ إِلَى مَقَارِبِهِ وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ الصَّبَا رَحْلِي

قال سيدنا رضى الله عنه : وعلى هذا الكلام طلاوة ومسحة من أعرابية ليستا لغيره .

ولبشار :

الشَّيْبُ كُرَّةٌ، وَكُرَّةٌ أَنْ يَفَارِقَنِي أَعْجَبُ بَشْيءٍ عَلَى الْبَغْضَاءِ مَوْدُودِ^(٣)
يَمْغِي الشَّبَابُ وَيَأْتِي بَعْدَهُ خَلْفٌ وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُودًا بِمَفْقُودِ
وهذا البيت الأخير يُروى لمسلم بن الوليد الأنصارى .

ومما أحسن فيه مسلم في هذا المعنى قوله :

طَرَفْتُ عُيُونََ الْغَايَاتِ وَرَبَّمَا أَمَانًا إِلَى الطَّرْفِ كُلِّ مَمِيلِ^(٤)
/ وما الشَّيْبُ إِلَّا شَعْرَةٌ، غَيْرَ أَنَّهُ^(٥) قَلِيلُ قَذَاةِ الْعَيْنِ غَيْرُ قَلِيلِ
[٢٠٠] و

(١) ديوانه : ٣١١ . (٢) ديوانه : « كان الجمال » .

(٣) البیتان فی حاسة ابن الشجرى : ٢٤٥ ، ونسبهما إلى مسلم .

(٤) البیتان فی حاسة ابن الشجرى : ٢٤٢ ، ونسبهما لابن الرومى ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف :

« يقال : فلان مطروف العين بفلان ؛ أى يحبه . والمعنى أنه وقم في عينه ، يقال : طرفت عينه بشوكة وبخاشية ثوب ؛ وأصله من طرفته إذا أصبت طرفه ، ورأسه إذا أصبت رأسه » . (٥) الحاسة :

* وما شبتُ إِلَّا شَيْبَةً غَيْرَ أَنَّهُ *

وله :

أهلاً بوافدة للشيبِ واحدةٍ وإن تراءتُ بشخصٍ غيرِ مؤدودِ
لا أجمعُ الحِلْمَ والصَّهْبَاءَ قد سكنتُ نفسي إلى الماءِ عن ماءِ المناقيدِ
لم يَنْهَنِي كِبَرُهَا ولا فَنَدُ لكن صَحَوْتُ وَغُصْنِي غيرِ مَحْضُودِ
أوفى بى الحِلْمُ وافتادَ النُّهى طلقاً شأوى وعِفتُ الصُّبا من غيرِ تَفْنِيدِ^(١)

وقد أحسن دعبل في قوله يصف الشباب والشيب :

كانَ كُحْلاً لما فيها فقد صارَ بالشَّيبِ لَعِينِها قَدْى

ولغيره :

رَأْتُ طَالِماً للشَّيبِ أَغْفَلْتُ أَمْرَهُ فلم تتعاهدُهُ أَكُفُّ الخَوَاضِبِ^(٢)
قَالَتْ : أَشَيْبُ مَا أرى ؟ قلتُ : شَامَةٌ قَالَتْ : لَقَدْ شَانَتْكَ بَيْنَ الْحَبَائِبِ^(٣)

ولحمود الورداق - ويروى لمحمد بن حازم^(٤) :

أليسَ عَجِيباً بأنَّ الفَتَى يُصَابُ بِبَعْضِ الَّذِي فِي يَدَيْهِ
فمن بين بالكِ له مُوجَعٌ وَبَيْنَ مُعْزٍ مُنْعَذٍ إِلَيْهِ
وَيَسْلُبُهُ الشَّيبُ شَرَّخَ الشَّبَابِ فَلَيْسَ يُعْزِيهِ خَلْقٌ عَلَيْهِ^(٥)

ولأبي دُلَف :

فِي كُلِّ يَوْمٍ أَرَى بَيضاءَ طَالِعةً كأنما طَلَعَتْ فِي أَسْوَدِ البَصْرِ
لئن قَصَصْتُكَ بِالْمِقْرَاضِ عَنِ بَصْرِى لَمَّا قَصَصْتُكَ عَنِ هَمِّى وَعَنِ فِكْرِى

(١) حاشية الأصل : « يقال عدا طلقا وشأوا إذا عدا عدوا شديدا إلى غاية » .

(٢) حاشية الأصل (من نسخة) : « تتعده » . (٣) حاشية الأصل (من نسخة) « شامتك » .

(٤) في الأصل : « محمد بن أبي حازم » ، وصوابه من ف . (٥) حاشية الأصل : « يقول : عجبت

من الناس يعزى بعضهم بعضا على فوت المال ، ولا يزرون على فوت الشباب » .

وليحيى بن خالد بن برمك^(١) - ويروى لغيره :

الَيْلُ شَيْبَ وَالنَّهَارُ كَلَامَا رَأَيْتُ بِكَرَّةٍ مَا تَدُورُ رَحَامَا
يَتَنَاهَبَانِ نَفُوسَنَا وَدِمَاءَنَا وَلُحُومَنَا عَمْدًا وَنَحْنُ نَرَاهَا
وَالشَّيْبُ إِحْدَى الْمَيْتَتَيْنِ نَقَدَّمَتْ أَوْلَاهَا وَتَأَخَّرَتْ أَخْرَاهَا

/ وقد اتى الفحلان البرزبان أبو تمام وأبو عباد في هذا المعنى بكل غريب عجيب . [٢٠٥]

فمن ذلك قول أبي تمام :

غَدَا الِهْمُ مُخْتَطًّا بِفَوْدَى خِطَّةٍ طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى الْمَوْتِ مَهْمَعٍ^(٢)
هُوَ الزَّوْرُ يُجْفَى ، وَالْمُعَاشِرُ يُجْتَوَى وَذُو الْإِلْفِ يُقْلَى ، وَالْجَدِيدُ يُرْقَعُ
لَهُ مَنَظَرٌ فِي التَّيْنِ أَيْضُ نَاصِعٍ وَلَكِنَّهُ فِي الْقَلْبِ أَسْوَدُ أَسْفَعُ
وَنَحْنُ نَرْجِيهِ عَلَى السَّكْرِ وَالرَّضَا وَأَنْفُ الْفَتَى مِنْ وَجْهِهِ وَهُوَ أَجْدَعُ^(٣) ١٠

وله :

شُمْلَةٌ فِي الْفَارِقِ اسْتَوْدَعْتَنِي فِي صَمِيرِ الْفَوَادِ تُكَلَّا صَمِيمًا^(٤)
تَسْتَشِيرُ الْهَمُومُ مَا أَكْتَنَ مِنْهَا صُمْدًا وَهِيَ تَسْتَشِيرُ الْهَمُومَا
فُرَّةٌ^(٥) مُرَّةٌ إِلَّا إِنَّمَا كُنْ تُأْغَرَا أَيَّامَ كُنْتُ بَيْنَهُمَا

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « البرمكي » . (٢) ديوانه : ١٩٠ ، والشهاب : ٦ ؛ وحاسة ابن الشجري : ٢٤١ - ٢٤٢ . وفي م قبل هذا البيت :

لَنْ جَزَعَ الْوَحْشَى مِنْهَا لِرُؤْيَى لَأَنْسِيَهَا مِنْ شَيْبِ رَأْسِي أَجْزَعُ
وفي حاسة ابن الشجري : « غدا الشيب » ، وفي م : « غدا العمر » . وفي حاشية الأصل (من نسخة) : « إلى النفس مهيع » ، وهي رواية الديوان ؟ ومهيع : واسع .
(٣) حاشية الأصل (من نسخة) : « يجمع » .
(٤) ديوانه : ٢٩١ ، وحاسة ابن الشجري : ٢٤١ ، والشهاب : ٧ .
(٥) حاشية الأصل (من نسخة) : « عرة » أي صيب .

دِقَّةٌ فِي الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلَالاً مِثْلَ مَا سَمِيَ الدِّبْعُ سَلِيماً^(١)
حَلَمْتَنِي - زَعَمْتُمْ - وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّعْلِيمِ كُنْتُ حَلِماً

وله :

لَمِبَ الشَّيْبُ بِالْفَارِقِ بَلْ جَدَّ فَابِكِي مُخَاضِراً وَلَمُوباً^(٢)
خَضِبْتُ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعَةِ دِمَا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيماً
كُلُّ دَاءٍ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ لَا الْفُظِيمَيْنِ : مِيتَةً وَمَشِيماً
بِأَنْسِبِ الثُّغَامِ ذَنْبُكَ أَبَقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَانِ ذُنُوباً
وَلَنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتَ لَقَدْ أَذْكَرَّنَ مُسْتَنْكَراً وَعَيْنَ مَعِيَا
أَوْ تَصَدَّقَ عَنْ قَلْبِي لَكِنِّي بِأَلْشَّيْبِ يَبْنِي وَيَنْهِنُ حَسِيماً
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنَّ فِي الشَّيْبِ فَضْلاً جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْئاً

قال سيدنا أدام الله علوه : وجدت الأمدى يذكر أن قوما ادَّعوا المناقضة على أبي تمام
في هذه الأبيات بقوله :

لَمِبَ الشَّيْبُ بِالْفَارِقِ بَلْ جَدَّ فَابِكِي مُخَاضِراً وَلَمُوباً •
وقوله :

خَضِبْتُ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعَةِ دِمَا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيماً
يَأْنَسِبُ الثُّغَامِ ذَنْبُكَ أَبَقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَانِ ذُنُوباً

[٢٠٦] / وقوله :

وَلَنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتَ لَقَدْ أَذْكَرَّنَ مُسْتَنْكَراً وَعَيْنَ مَعِيَا

(١) حاشية الأصل : « مثل ، بنى لإضافته إلى « ما » ، ويجوز أن يكون صفةً لمُحذوف ، أي تدعى جلالاً دعوة
مثل تسمية الدبْع سليماً • (٢) ديوانه : ٢٥ ، ٢٦ ، والتمهات : ٩ •

قالوا: كيف يمكن دماً على شبيه ثم يعبه !

قال الأمدى: "وليس هنا بتناقض ؛ لأن الشيب إنما أبكى كُماضر ولعوب أسفاً على شبابه ، والحسان اللواتى عبته غير هاتين الرأتين ، فيكون من أشفق عليه من الشيب منهن وأسف على شبابه بكى ؛ كما قال الأخطل :

لَمَّا رَأَتْ بَدَلَ الشَّابِّ بَكَتْ لَهُ إِنَّ الشَّيْبَ لَأَرْدَلُ الْأُبْدَالِ^(١)

ولم يكن هذه حال من عابه . قال : " وهذا مستقيم صحيح " .

قال سيدنا أدام الله علوه : وليس يحتاج في الاعتذار لأبي تمام إلى ما تسكفه الأمدى ؛ بل المناقضة زائلة عنه على كل حال ، وإن كان من قد بكى شبابه ، وتلف عليه من النساء هن اللواتى أنكرن شبيهه ، وعبته به ، وما المنكر من ذلك ! وكيف يتناقض أن يبكى على شبابه ونزول شبيهه منهن من رأين الشيب ذنباً وعبياً منكرأ ! وفي هذا غاية المطابقة ؛ لأنه لا يبكى الشيب ، ويجزع من حلوله وفراق الشباب إلا من رآه منكراً ومعيباً .

وقال أبو تمام :

رَاحَتْ غَوَاقِي الْحَيِّ عَنْكَ غَوَايَا يَلْبَسْنَ قَابًا نَارَةً وَسُدُودًا^(٢)
مِنْ كُلِّ سَابِقَةِ الشَّابِّ إِذَا بَدَتْ تَرَكْتُ عَمِيدَ الْقَرَبَتَيْنِ عَمِيدًا
أَرَبَيْنَ بِالرُّدِّ النِّطَارِ بِدُنَا غَيْدَا الْغَنَمِ لِدَاَنَا غَيْدَا
أَحْلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ مَوَاقِمًا مَنْ كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِهِمْ خُدُودًا

وقوله : « أَرَبَيْنَ بِالرُّدِّ » من أرب بالشىء إذا لزمه ، وأقام عليه ، يقال : أرب وألب بالمكان إذا لزمه : يريد أنهم كزمن هوى الرُّدِّ وأقن عليهم . ورواه قوم « أَرَبَيْنَ بِالرُّدِّ » من الرُّبَا الذى معناه الزيادة ، يقال : قد أربى الرجل إذا ازداد ؛ فيقول : أَرَبَيْنَ بِالرُّدِّ ، أى زِدْنِ عَليْنا بِهِمْ ، وجعلن للرُّدِّ زيادةً اخترناها علينا^(٣) .

ويقال^(١) : إنه أخذ قوله :

• أحلى الرجال من النساء مواقماً • ... البيت

من قول الأعشى :

وَأَرَى النَّوَانِي لَا يُوَصِّلْنَ امْرَأً فَقَدْ الشَّبَابَ وَقَدْ بَصَلْنَ الْأُمْرَدَا^(٢)

[٢٠٦] / ولنصور النمريّ مثله :

كَرِهْنِ مِنَ الشَّيْبِ الَّذِي لَوْ رَأَيْتَهُ بَيْنَ رَأْيِنِ الطَّرْفِ عَنْهُنَّ إِازُورَا
ونحوه قول الآخر :

أَرَى شَيْبَ الرَّجَالِ مِنَ النَّوَانِي كَوَقْعِ مَشْيَمِينَ مِنَ الرَّجَالِ

وقال أبو تمام :

شَابَ رَأْيِي وَمَا رَأَيْتُ مَشْيَبَ الرَّأْسِ إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَيْبِ الْفُؤَادِ^(٣) ١٠

وَكَذَلِكَ الْقُلُوبُ فِي كُلِّ بَوْسٍ وَنَعِيمٍ طَلَائِعُ الْأَجْسَادِ

طَالَ إِنْكَارِي الْبَيَاضَ وَإِنْ عَمَّ رُتُ شَيْبًا أَنْكَرْتُ لَوْنِ السَّوَادِ^(٤)

زَادَنِي شَخْصُهُ بِطَلْمَةِ ضَيْمٍ عَمَّرَتْ بَحْلِييَ مِنَ الْفُؤَادِ

نَالَ رَأْيِي مِنْ تُفْرِقِ الْهَمِّ لَمَّا لَمْ يَنْلَهُ مِنْ تُفْرِقِ الْمِلَادِ^(٥)

١٥ ومعنى هذا البيت الأخير أن « الثغر » هي الفرجة والثلمة تكون في الشيء ؛ ولذلك سُمِّيَ

كل بلد جاور عدواً ثغراً ؛ كأن معناه مكشوف للمدو . ويجوز أن يكون أصله من ثغر الإنسان ،

لأنه أول ما يقابلك من أسنانه ، وأول ما يظهر عند الكلام ، وأول ما يسقط فيرى مثلوماً ،

فيشبه الثغر الذي هو البلد ؛ يقال انثَرَ الصبيُّ وانثَرَ ؛ وتسمى تلك الفرجة في موضع

(١) الموازنة : ٣٠ . (٢) ديوانه : ١٥١ ؛ والرواية : « وأرى النوانى » .

(٣) ديوانه : ٧٥ . (٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « ولوعمرت شيئا » أى تعبيرا ،

وهي رواية الديوان . (٥) حاشية الأصل : يروى : « من ثغرة الهم مالم » تشتملة .

السن ثُفْرَةٌ وفي كل موضع منفرج ؛ ومنه ثُفْرَةٌ النَّحْرُ .

وأراد بقوله :

* نال رأسي من ثُفْرَةِ الهم لَمَّا *

أى وجد الشيبُ من الهم فرجة دخل على رأسي منها ؛ لأن الهمَّ يُشيب لا محالة .

وقوله :

* مالم ينلّه من ثُفْرَةِ الميلاد *

أراد بثُفْرَةِ الميلاد الوقت الذى يهجم عليه فيه الشيب من عمره ؛ لأنه يجد السبيل فى ذلك الوقت إلى الحلول برأسه ؛ فجعله ثُفْرَةٌ من هذا الوجه ؛ فأراد أن الشيب حلّ برأسه من جهة همومه وأحزانه لَمَّا لم يبلغ السن التى تُوجب حلوله به من حيث كبره .

ورأيت الآمدى يطمئن على قوله :

* عمرت مجلسى من العوَاد *

ويقول : "لاحقيقة لذلك ولا معنى ، لأننا مارأينا ولا سمعنا أحدا / جاءه عوَادٌ يمودونه من [٢٠٧] الشيب ؛ ولا أن أحدا أمرضه الشيب ، ولا عزّاه المزون عن الشباب " ؛ وهذا من الآمدى قلةُ نقد للشعر وضعف بصيرة بدقيق معانيه التى يغوص عليها حذاقُ الشعراء ؛ ولم يرد أبو تمام

بقوله :

* عمرت مجلسى من العوَاد *

العيادة الحقيقية التى يغشى فيها العوَاد مجالسَ المرضى وذوى الأوجاع ، وإنما هذه استعارة وتشبيه وإشارة إلى الغرض خفية ؛ فكأنه أراد أن شخص الشيب لما زارنى كثير المتوجعون لى ، والتأسفون على شبابى ، والمتوحشون^(١) من مفارقتة ؛ فكأنهم فى مجلسى عوَاد لى ، لأن من شأن العائد للمريض أن يتوجّع ويتفجع .

(١) حاشية الأصل (من نسخة) : « والمتفجعون » .

وكنى بقوله :

✽ عمرت مجلسي من العواد ✽

عن كثرة من تفجع له وتوجع من مشيبه؛ وهذا من أبي تمام كلام في نهاية البلاغة والحسن؛
وما المريب إلا من عابه وطعن عليه ؛ ونحن نذكر في المجلس الآتي بمشينة الله ما للبحرئ
• في هذا المعنى إن شاء الله .

مَجْلِسُ آخِر

تَاوِيلُ آيَةٍ

إِنْ سَأَلَ سَائِلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هُرِّدَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ ؛ [النحل : ١٠] .

فَقَالَ : إِذَا كَانَ الشَّجَرُ لَيْسَ بِبَعْضِ الْمَاءِ كَمَا كَانَ الشَّرَابُ بِبَعْضٍ لَهُ ؛ فَكَيْفَ جَازَ أَنْ يَقُولَ :

﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ بِمَدِّ قَوْلِهِ : ﴿ مِنْهُ شَرَابٌ ﴾ ؟ وَمَا مَعْنَى ﴿ تُسِيمُونَ ﴾ ؟ وَهَلِ الْفَائِدَةُ فِي هَذِهِ

الْلفظة هي الفائدة في قوله : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٤] ، وَقَوْلُهُ : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ . مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [هود : ٨٢ ، ٨٣] ؟

الْجَوَابُ ، قُلْنَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ ﴾ وَجْهَانِ :

أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مِنْهُ سَقَى شَجَرٍ ، وَشُرِبَ شَجَرٌ ؛ فَخُذَفَ الْمُضَافُ ، وَأَقَامَ الْمُضَافُ

إِلَيْهِ مَقَامَهُ ؛ وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأُثْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾

[البقرة : ٩٣] ، أَيْ حَبَّ الْعِجْلِ .

وَالْوَجْهُ الْآخَرُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ : وَمِنْ جَمْعِ الْمَاءِ شَجَرٌ ، وَمِنْ سَقِيهِ وَإِنْبَاتِهِ شَجَرٌ ؛ فَخُذَفَ

الْأَوَّلُ وَخُلِّفَهُ الثَّانِي ؛ كَمَا قَالَ عَوْفُ بْنُ الْخَرَّعِ :

أَمِنْ آلٍ لَيْلَى عَرَفَتَ الدِّيَارَا بِجَنَّبِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قَفَارَا^(١)

أَرَادَ : مِنْ نَاحِيَةِ آلِ لَيْلَى .

(١) الْفَضْلِيَّاتُ ٤١٢ (طَبْعَةُ الْمَعَارِفِ) ، وَالرَّوَايَةُ هُنَاكَ :

أَمِنْ آلٍ مَيَّ عَرَفَتَ الدِّيَارَا بِحَيْثِ الشَّقِيقِ خَلَاءَ قَفَارَا

وَالشَّقِيقُ : مَاءُ ابْنِ أُسَيْدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ قَيْمٍ .

وقال زهير :

[٢٠٧] / أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلِّمْ بِحَوْمَانَةٍ الدَّرَاجِ فَالْتَّثَلَمْ^(١)
أراد : من ناحية أم أوفى .

وقال أبو ذؤيب :

٥ أَمِنْكَ الْبَرْقُ أَرْقُبُهُ فَهَاجَا فَيَتُ إِخَالُهُ دُهَا خِلَاجَا^(٢)

وقال أيضاً :

أَمِنْكَ بَرْقُ أَيْتِ اللَّيْلِ أَرْقُبُهُ كَأَنَّهُ فِي عِرَاضِ الشَّامِ مِصْبَاحُ^(٣)

وقال الجعدي :

لَمِنْ الدِّيَارِ عَفَوْنَ بِالتَّهْطَالِ بَقِيَتْ عَلَى حِجَجٍ خَلَوْنَ طَوَالَ
١٠ أراد بقيت على مرّ حجج ، وتكرار حجج .

فأما قوله تعالى : ﴿ فِيهِ تُسَبِّحُونَ ﴾ فمعناه ترعون ، وترسلون أنعامكم ؛ يقال : أسام الإبل
يسمينا إسامة ؛ إذا أرهاها وأطلقها فرعت منصرفه حيث شاءت ؛ وسومها أيضا يسومها
من ذلك ؛ وسامت هي إذا رعت ؛ فهي تسوم ، وهي إبل سائمة ؛ ويقال : سمّتها إذا قصرتها
على مرعى بعينه ؛ وسمّتها الخسف ؛ إذا تركتها على غير مرعى ؛ ومنه قيل لمن أذلّ واهتضم :
١٥ سيم فلان الخسف ؛ وسيم خطّة الضيم ؛ قال الكميّ بن زيد في الإسماء التي هي الإطلاق
في الرّغى^(٤) :

(١) أول المعلّفة ، ديوانه : ٤ . الدمنة آثار الناس وما سودوا من الرماد وغيره . ولم تبين : لم
تسكلم . وحومانة الدراج والمثلّم : موضعان .
(٢) ديوان الهذليين ١ : ١٦٤ ؛ وفي حاشيتي الأصل ، ف : « شبه السحاب بإبل سود ، وصوت الرعد
بمحنيها ؛ ولم يذكر السحاب إلا لأن البرق دل عليه ، وخلّج : جمع خلوج ؛ وهي الناقة التي خلّج ولدها ؛ وهو فعول
في معنى مفعول ، كالركوب والخلوب » .

(٣) ديوان الهذليين ١ : ٤٧ ، واللسان (عرض) ؛ وعراض الشام نواحيه ؛ الواحد عرض .

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « المرعى » .

رَاعِيَا كَانَ مُسَجَّحًا فَقَقَدْنَا هُوَقَقَدُ الْمُسِيرِ هُكَ السَّوَامِ (١)

وقال آخر :

وَأَسْكُنُ مَا سَكَنْتَ بِبَطْنِ وَادٍ وَأُظْمِنُ إِنْ ظَلَمْتِ فَلَا أُسِيمُ (٢)

وذهب قوم إلى أنَّ السَّوَمَ في البيع من هذا ؛ لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زيادة ثمن أو نقصانه إلى ما يهواه ، كما تذهب سوام المواشي حيث شاءت .

وقد جاء في الحديث : « لا سَوْمَ قبل طلوع الشمس » فحمله قوم على أن الإبل وغيرها لا تُسام قبل طلوع الشمس ؛ لئلا تنتشر وتفوت الراعى ويخفى عليه مقاصدها .

وحمله آخرون على أنَّ السوم قبل طلوع الشمس في البيوع مكروه ، لأن السَّلَمة المبيعة تستر عيوبها أو بعضها ، فيدخل ذلك / في بيع القرار المنهى عنها .

[٢٠٨]

فأما الخيل المسومة ، فقد قيل : إنها المَكَمَّة بعلامات ؛ مأخوذ من الشَّيَاء وهي العلامة .

وروى عن الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال : سَوْمٌ نواصبها وأذناها بالصوف .

وقيل أيضا : إن السومة هي الحسان .

وروى عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ قال : هي المطمئة الحسان .

وقال آخرون : بل هي الراعية ؛ روى ذلك عن سميد بن جبير ؛ وكلُّ يرجع إلى أصل واحد ، وهو معنى العلامة ، لأن تحسين الخيل يجري مجرى العلامة فيها ؛ التي تُعرف بها وتتميز لكانها ؛ وقد قيل : إن السَّوَمَ من الرَّغَى يرجع إلى هذا المعنى أيضا ، لأن الراعى يجعل في المواضع التي يرعاها علامات أو كالعلامات بما يزيله من نباتها ، ويمحوه من آثارها ؛ فكان الأصل في السَّوَمِ متفق غير مختلف .

(١) مسجعا: رفيقا سهلا ، وفي م : « مسيما » (٢) د ، ونسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « ماظنت » .

وقال لبيد في التسويم الذي هو التعليم:

وَعْدَاةُ قَاعِ الْقَرْنَتَيْنِ أُنَيْهَمُ رَهْوًا يَلُوحُ خِلَالَهَا التَّسْوِيمُ^(١)

أراد التعليم .

وأما قوله في الملائكة: ﴿ مُسَوِّمِينَ ﴾؛ فالمراد به الملمين، وكذلك قوله تعالى: ﴿ حِجَارَةً

مِنْ سِجِّيلٍ مَنْصُودٍ . مُسَوِّمَةً ﴾ أى مُعَلِّمَةً ؛ وقيل : إنه كان عليها كأمثال الخواتيم .

قال سيدنا أدام الله علوه : ونعود إلى ما كنا وعدنا به من ذكر مالبحتري في ذم الشيب

والتألم من فقد الشباب ؛ فن ذلك قوله^(٢):

وَكُنْتُ أَرْجَى فِي الشَّبَابِ شِفَاعَةً فَكَيْفَ لِبَاغِي حَاجَةٌ بِشَفِيعِهِ^(٣)

مَشِيبٌ كُنْتُ السَّرَّ عَى بِحَعْلِهِ مُحَدِّثُهُ ، أَوْضَاقَ صَدْرُ مُذِيعِهِ^(٤)

تَلَاَحَقَ حَتَّى كَادَ يَأْنِي بَطِيئُهُ لِحَثِّ اللَّيَالِي قَبْلَ أَتَى مَرِيعِهِ ١٠

وما أحسن هذا من كلام! وأبلغه وأطبعه^(٥)!

(١) ديوانه : ١٠٤ : ١ وفي حاشية الأصل : * بعد هذا البيت :

بِكُتَائِبِ رُجُحٍ تَعُودُ كِبَشُهَا نَطَحَ الْكِبَاشِ كَأَنَّهُنَّ نَجُومُ

والقرنتان : موضع ، ورها في السر رهوا أى رفق ، قال القمامى :

يَمُشِينَ رَهْوًا، فَلَا أَعْجَازَ خَاذِلَةٍ وَلَا الصَّدُورَ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلَّمُ

(٢) ديوانه ٢ : ٩٠ ، والشهاب : ١٣ ، وفي حاشيتي الأصل ، ف : * يقول : كنت أرجى أن

يكون الشباب شفيعى . ويجوز أن يكون المعنى : كنت أرجى في شبابى شفاعته إلى الحسان من طراوتى وحسنى .

(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : * يعنى أنه جد محتاج إلى الشفيع ؛ ولأنه ولى وذهب .

(٤) من نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : * كبث السر . وفيهما أيضا : * أى أنه كان كالسر تهرم

به صاحبه نأفشاء . (٥) ذكر المرتضى في الشهاب تعليقا على هذه الأبيات : * وهذا والله أبلغ

كلام وأحسنه وأحلاه وأسلمه وأجمعه لحسن اللفظ وجودة المعنى ؛ وما أحسن ما شبه تسكائر الشيب وتلاحقه

بيت السر عن ضيق صدر صاحبه وإعياؤه بحمله ومجزه عن طيه ! ويشبه بعض الشبه قوله :

* تَلَاَحَقَ حَتَّى كَادَ يَأْنِي بَطِيئُهُ *

وقال أيضاً :

رُدِّيْ عَلَى الصَّبَا إِنْ كُنْتَ قَاعِلَةً إِنْ الصَّبَا لَيْسَ مِنْ شَانِي وَلَا أَرِي (١)
جَاوَزْتُ حَدَّ الشَّبَابِ النَّضْرُ مُلْتَفِتًا إِلَى بَنَاتِ الصَّبَا يَرْكُضْنَ فِي طَلْبِي (٢)
وَالشَّيْبُ مَهْرَبٌ مَنْ جَارَى مَنِيتَهُ وَلَا نَجَاءَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ الْهَرَبِ [٢٠٨]
وَالْمَرْهَ لَوْ كَانَتْ الشَّعْرَى لَهُ وَطَنًا صُبْتُ عَلَيْهِ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كَتَبِ (٣) ٥

وقال أيضاً :

لَا بَسٌ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ نَاضٍ وَمُليحٌ مِنْ شَبِيبَةٍ أَمْ رَاضِي (١)
وَإِذَا مَا امْتَعَضْتُ مِنْ وَلَعِ الشَّ بِ بِرَأْسِي لَمْ يَتْنِ ذَلِكَ امْتِعَاضِي (٥)
لَيْسَ يَرْضَى عَنِ الزَّمَانِ مَرَوٍ فِيهِ إِلَّا عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ تَفَاضٍ (٧)
وَالْبَوَاقِي مِنَ اللَّيَالِي وَإِنْ خَا لَقَنْ شَيْئًا فَشَبَهَاتُ الْمَوَاضِي (٦)
نَا كَرَّتْ لِمَتِّي وَنَا كَرَّتْ مِنْهَا سُوءَ هَذِي الْأَبْدَالِ وَالْأَعْوَاضِ ١٠

== قولي من أبيات :

سَبَقَ احْتِرَاسِي مِنْ أَذَاهُ بَطِيئُهُ حَتَّى تَجَلَّلَنِي ، فَكَيْفَ عَجُولُهُ !

وفي البيت لجة جديدة من بيت البحتري وليس بنظير له على التحقيق ؛ ومعنى البيت الذي يخصني أدخل في الصحة والتحقيق ؛ لأنني خبرت بأن بطيء الشيب سبق وغلب احتراسي وحذري ؛ فكيف عجوله ! ومن سبقه البطيء كيف لا يسبقه السريع ! والبحتري قال : إن البطيء كاد أن يسبق السريع ؛ وهذا على ظاهره لا يصح ؛ لأنه يجعل البطيء هو السريع ؛ بل أسرع منه ؛ لكن المعنى : أنه متداول متواتر فيكاد البطيء له يسبق السريع ؛ وهذا في غاية الملاحظة .

(١) ديوانه ١ : ٢٩ ، ٣٠ ، والتهاب : ١٤ . (٢) حاشية الأصل : « في نسخة س : قرأت في شعره على شيخني : إلى بنات الردى » . (٣) د ، ف ، حاشية الأصل (من نسخة) : « من صبب » أي حدور ؛ وهو الموضع الذي ينحدر فيه « وفي م : « ويروى : حطت عليه صروف الدهر من كتب » .

(٤) ناض : خالع ، ومليح : مشفق ؛ يخاطب نفسه فيقول : ألا بئس أنت برد الشباب أم خالعه ؟ . (٥) في م : « لم يكن ذلك » وفي الديوان : « لم يعد » . (٦) مرو : مفكر . (٧) د ؛ ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « مشبهات » ؛ وفي حاشية الأصل : « ويروى : شبهة بالمواضي وهو أحسن . قال س : فشبهات ، لا بأس به ، والذي حسن الفاء طول الكلام وإن الصرطية فيه » .

شَمَرَاتُ أَفْصُهُنَّ وَيَرْجِهْ نَ رُجُوعَ السَّهَامِ فِي الْأَغْرَاضِ^(١)
وَأَبَتْ تَرْكِ الْفُدَيَاتِ وَالْآ سَأَلُ حَتَّى خَضَبْتُ بِالْقَرَاضِ^(٢)
غَيْرَ تَفْعٍ إِلَّا التَّمَلُّلَ مِنْ شَخْ مِنْ عَدْوٍ لَمْ يَعُدَّهُ إِبْقَاضِي
وَرُؤَاؤُ الشَّيْبِ كَالْبُخْصِ فِي عِي بَنِي قَقْلٍ فِيهِ فِي الْمَيُونِ الْمِرَاضِ^(٣)
طَبْتُ نَفْسًا عَنِ الشَّبَابِ وَمَا سَ دَ مِنْ حَبْنٍ بَرْدِهِ الْفَضْفَاضِ
فَقَلَّ الْحَادِثَاتُ يَا بَنَ عُوَيْفٍ تَارِكَاتِي وَلُبْسَ هَذَا الْبَيَاضِ !
وقال أيضاً :

تَمِيبُ الْغَانِيَاتُ عَلَى شَيْبِي وَمَنْ لِي أَنْ أَمْتَعَ بِالْمَعِيبِ^(٤)
وَوَجْدِي بِالشَّبَابِ وَإِنْ تَوَلَّى سَمِيداً دُونَ وَجْدِي بِالشَّيْبِ
وقال أيضاً :

أَرَأَيْتَهُ مِنْ بَعْدِ جَثَلٍ فَاجِحٍ جَوْنَ الْمَفَارِقِ بِالنَّهَارِ خَضِيماً^(٥)
فَعَجَبْتُ مِنْ حَالَيْنِ خَالَفَ فِيهِمَا صَرَفَ الزَّمَانِ وَمَا رَأَيْتُ عَجِيماً

(١) حاشية الأصل : « من شأن الغرض أن تنزع السهام منه ثم تعود إليه في الحال » .
(٢) قال المرتضى في المنهاج تعليقا على هذا البيت والذي قبله : « قوله : خضبت بالمقراض في غاية الملاحه والرشاقة . ومعنى قوله : رجوع السهام في الأغراض أنه لا يملك ردا لطاوع الشيب في شعره ولا تلافا لحلولة ، فيجري في ذلك مجرى رجوع السهام إلى الغرض في أنه لا يملك مرسل السهم صده عنه ولا رده عن إصابته . ويمكن في ذلك وجه آخر ؛ وإن كان الأول أشد ؛ وهو أن يريد بالأغراض المقاتل والمواضع الشرقة من الأعضاء ؛ فسكانه يشبه رجوع الشيب بعد قصه له وطلوعه في شدة لإلامه وإجماعه بإصابة السهام للمقاتل والفرائس . ويحتمل وجهها آخر ؛ وهو أن السهام تنزع من الأغراض ، ثم ترجع بالرى إليها أبداً ، فأشبهت في ذلك الشيب في قصه ثم طلوعه ورجوعه إلى موضعه » .

(٣) حاشية الأصل : الرؤاء يهمز ولا يهمز ؛ فإذا لم يهمز كان من الرى وإذا همز كان من الرؤية .
والبخص : لحم نائي فوق العينين أو تحتها كهيئة النفخة . وفي حاشية الأصل أيضاً : « مثله لابن الرومي :
إِذَا شَفِئْتُ عَيْنُ الْفَتَى عَيْبَ نَفْسِهِ فَعَيْنُ سِوَاهُ بِالشَّهَادَةِ أَجْدَرُ

(٤) ديوانه : ٢ : ٨٤ .
(٥) ديوانه : ١ : ٧٥ . الجتل من الشعر : الكثير . والجون هنا : الأسود ؛ وهو من الأضداد ، يطلق على الأسود والأبيض . وفي حاشية الأصل : « جمل النهار خضاباً لأنه شيء قدشاع وتقرن عليه » .

/ إِنَّ الزَّمانَ إِذَا تَتَابَعَ خَطْوُهُ سَبَقَ الطَّلُوبَ وَأَدْرَكَ المَطْلُوبَ [٢٠٩]
وقال أيضاً :

رَأَتْ فَلَتَاتِ الشَّيْبِ فَأَبْتَسَمَتْ لَهَا وَقَالَتْ : نُجُومٌ لَوْ طَلَعْنَ بِأَسْعَدِ^(١)
أَعَانِكَ مَا كَانَ الشَّبَابُ مُقَرَّبِي إِلَيْكَ ، فَالْحَيَّ الشَّيْبَ إِذْ كَانَ مُبْعِدِي

وقال أيضاً :

عَنْتَ كَبِدِي قَسْوَةً مِنْكَ مَا إِنُ تَزَالُ تُجَدِّدُ فِيهَا نُذُوباً^(٢)
وَحَمَلْتُ عِنْدَكَ^(٣) ذَنْبَ الشَّرِّ بِحَتَّى كَأَنِّي ابْتَدَعْتُ الشَّيْبَ
وَمَنْ يَطْلُعُ شَرَفَ الأَرْبَعِينَ يُحْيِي مِنَ الشَّيْبِ شَخْصاً^(٤) غَرِيباً

قال المرتضى رضى الله عنه : ولى فى هذا المعنى :

قُلْنَ لَمَّا رَأَيْنَ وَخْطاً مِنَ الشَّيْبِ بِرَأْسِي أَعْيَا عَلَى مَجْهُودِي
كَسْنَا بَارِقِ تَعَرَّضَ وَهْنًا فِي حَوَائِشِ بَعْضِ اللَّيَالِ السُّودِ
أَبْيَاضٌ مُجَدِّدٌ مِنْ سَوَادِ كَانَ قَدْ مَا لَامَرْحَبًا بِالْجَدِيدِ
يَالْحَا كُنْ مِنْ رَمَا كُنْ بِالْحُسْنِ نِ لَتَقَهَّرْنَا بغيرِ جُنُودِ
لَيْسَ بِيضِي مَنِ فَأُجْزَى عَلَيْهِ نَ صُدُوداً أَوْ لَيْسَ فَيَكُنْ سُدُودِي
قَلَّ مَا ضَرَّ كُنْ مِنْ شَمَرَاتِ كُنْ بَوْمًا عَلَى الْوَقَارِ شُهُودِي

وقال البحترى أيضاً :

خَلِّيَاهُ وَجِدَّةَ اللّهُوَ مَا دَا مَ رِدَاءُ الشَّبَابِ غَضًّا جَدِيدًا

(١) الشهاب : ١٧ . (٢) ديوانه ١ : ٥١ ، والشهاب : ١٨ عزت : قصدت

والندوب : آثار المراحات . وفى حاشية الأصل : « نسخة ج : ما تزال هو حسن ؛ لتكون مروض البيت محذوفة ؛ والفصيحة بأسرها محذوفة المروض إلا البيت المصروع فى أولها ؛ وإذا روعيت : « ما إن تزال » فالمروض سالمة ، فقولن » .

(٣) حاشية الأصل : « س : روى « حملت عبك » ؛ كأنه تصحيف ، ولكنه حسن » .

(٤) فى حاشيتي الأصل ، ف : « يروى : زورا » . (١) ديوانه ١ : ١٨٢ ، الشهاب : ١٩ .

إِنَّ أَيَّامَهُ مِنَ الْبَيْضِ بَيْضٌ مَا رَأَيْتُ لِلْفَارِقِ السُّودَ سُودًا

وقال أيضاً :

تَرَكَ السُّوَادَ لِلْإِبْسِيبِ وَبَيْضًا وَنَصًّا مِنَ السُّتَيْنِ عَنْهُ مَا نَصًّا^(١)
وَشَاءَ أَغْيَدُ فِي تَصْرِفٍ لَحْظِهِ مَرَضٌ أَعْلَى بِهِ الْقُلُوبَ وَأَمْرًا^(٢)
وَكَأَنَّهُ وَجَدَ الصَّبَا وَجَدِيدَهُ دَيْنًا دَنَا مِيقَاتُهُ أَنْ يَقْتَضَى
أَسْيَانُ أَثَرِي مِنْ جَوَى وَصَبَابَةٍ وَأَسَافَ مَنْ وَصَلَ الْحِسَانَ وَأَنْفَضَا^(٣)

وقال أيضاً :

هَلْ أَنْتَ صَارِفٌ شَيْءٍ إِنْ غَلَسَتْ فِي الْوَقْتِ أَوْ عَجَلَتْ عَنْ الْيَعَادِ^(٤)
جَاءَتْ مُقَدِّمَةً أَمَامَ طَوَّالِعِ هَذِي تَرَاوِخُنِي وَتِلْكَ تُفَادِي
وَأَخُو الْغَيْبَةِ تَاجِرٌ فِي لَمَّةٍ يَشْرِي جَدِيدَ بَيَاضِهَا بِسَوَادِ^(٥)
لَا تَكْذِبَنَّ فَا الصَّبَا بِمُخْلَفٍ لَهَا وَلَا زَمَنُ الصَّبَا بِمُعَادِ

(١) ديوانه ٢ : ٧٠ ، الشهاب : ١٩ . وفي حاشية الأصل : « أي خلع إتيان السنين عليه للسرة والنشاط » . (٢) شَاءَ : غلبه ، وفوم : « سباه » . (٣) من نسخة بمحاشي الأصل ، ف : « أسوان » ، وهو المزين ، وأساف الرجل : ذهب ماله ، وكذلك أنفض ، والمراد هنا أنه ذهب من يده وصل الحسان وميلهن إليه . (٤) ديوانه ١ : ١٤٤ ، الشهاب ٢٠ - ٢١ .

(٥) قال الرضي في الشهاب تعليقا على هذا البيت : ووجدت الأمدى قد نزل في معنى قوله :

* يَشْرِي جَدِيدَ بَيَاضِهَا بِسَوَادِ *

لأنه قال : « معنى يشرى يبيع » وأراد : أن الغين من باع جديد بياضه بالسواد ، وأراد بالسواد الخضاب ؛ فسكانه ذم الخضاب . والأمر بخلاف ما ذكره ، وما جرى للخضاب ذكر ، ولأما هنا موضع للسكاية عنه ؛ ومعنى : « يشرى » هاهنا يبتاع ؛ لأن قولهم : شريت يستعمل في البائع والمبتاع جميعا ؛ وهذا من الأضداد ، نص أهل اللغة على هذا في كتبهم ؛ فسكانه شهد بالغين لمن يبتاع الشيب بالشباب وبمعوض عنه به ؛ وإنما ذهب على الأمدى أن لفظة « يشرى » تقع على الأمرين المتضادين ؛ فتعمل ذكر الخضاب الذي لا معنى له هاهنا .

وَأَرَى الشَّبَابَ عَلَى غَضَارَةِ حُسْنِهِ وَكَأَلِهِ عَدَدًا مِنْ الْأَعْدَادِ^(١)

/ وقال أيضا :

[٢٠٩]

أَبْنَيْ الشَّبَابُ أَمْ مَا تَوَلَّى مِنْهُ فِي الدَّهْرِ دَوْلَةٌ مَاتَمُودُ^(٢)
لَا أَرَى الْمَيْشَ وَالْفَارِقُ بَيْضُ أَسْوَدَ الْمَيْشِ وَالْفَارِقُ سُودُ
وَأَعْدُ الشَّقِيَّ جَدًّا وَلَوْ أَنَّهُ عَلَى غَنَمًا حَتَّى يُقَالَ سَعِيدُ
مَنْ عَدَّتْهُ الْعُيُونُ وَأَنْصَرَفَتْ عَنْهُ الْغَنَاتُ إِلَى سِوَاهِ الْخُدُودِ^(٣)

وقال أيضا :

قَدْ لَرِيتُنِي فَمَا جَرَى السَّقَمُ إِلَّا فِي ضُلُوعٍ عَلَى جَوَى الْحَبِّ تُحَتَّى^(٤)
لَو رَأَتْ حَادِثَ الْخِضَابِ لَأَنْتَ وَأَرَنْتُ مِنْ أَحْمَارِ الْبِرْنَا^(٥)
كَلَّفُ الْبَيْضِ بِالْعُمَرِ قَدْرًا حِينَ يَكْلَفُنَ وَالْمَصْفَرِّ سِنًا^(٦)
يَتَشَاغَفُنَ بِالْفَرِيرِ الْمُمَيَّ مِنْ تَصَابِ دُونَ الْجَلِيلِ الْكَثْنِ^(٧)

(١) قال للرتضى في الشهاب أيضا : « وقال الأمدى في قوله : عددا من الأعداد » أنه أراد : عددا قليلا ؛ وقد أصاب في ذلك ؛ إلا أنه ما ذكر شاعده ووجهه ؛ والعرب تقول في الشيء القليل إنه معدود ؛ إذا أرادوا الإخبار عن قلته ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ وقال جل اسمه في موضع آخر : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ وأظنهم ذهبوا في وصف القليل بأنه معدود من حيث كان العدد والمصر لا يقع إلا على القليل والكثير ؛ ولما كثرت لا ينضب ولا ينحصر . (٢) ديوانه ١ : ٢٠٨ ، الشهاب : ١٨ ؛ ويرده : جمع رد ؛ وهو كساء مربع مخطط . (٣) ديوانه ٢ : ٢٩٠ ، الشهاب : ١٩ . (٤) البرنا ، بضم اليا ، وفتحها ، مقصورة مشددة النون ، والبرناء ، بالضم والمد : الحناء ؛ ويرنأ صبغ به ، كحنأ ؛ وهو من غريب الأفعال . (٥) في حاشية الأصل ف : الكلف : المحبة ؛ وهذا كما قال أبو الشيس : (٦) من نسخة بمحاشي الأصل ، ف : « الكبير » .

شيثان لاتصبو النساء إليهما حُلُّ الشيب وحلة الإنفاض

(٦) من نسخة بمحاشي الأصل ، ف : « الكبير » .

وقال أيضاً :

أخى إن الصبا استمر به سيرُ الليالي فأنهجت بُردُهُ^(١)
تصدُّ عني الحسانُ مُبعدةً إذ أنا لأقربُه ولا صدُّهُ
شيبُ على المفرقين بارِضُهُ يكثرُني أن أئينهُ هدُّهُ^(٢)
تطلبُ مني الشبابُ ظالمةً بعيدَ خمسينَ حينَ لا تجدُهُ
لا عجبُ إن ملئتِ خلَّتْنَا فافتقدَ الوصلَ منك مُفتقدُهُ
من يتطاولُ على مُطاوَلِهِ أ عيشُ تُقمِّعُ من ملةٍ عمدُهُ

٥

قال سيدنا أدام الله تمكينه : ورأيت الآمدى قد أخطأ في معنى البيت الأخير ، لأنه قال : "معنى «تُقمِّعُ من ملةٍ عمدُهُ» أى عظامه ، يحى لها صوت إذا قام وقعد من كبره وضعفه"
١٠ قال : "وقوله : « من ملة » أى من تملئ العيش ؛ يريد طوله ودوامه ؛ ومنه تملئت حبيبك" والأمر بخلاف مانوهمه ، ومعنى «تُقمِّعُ من ملةٍ عمدُهُ» أن من تطاول عمره تمجَّلَ [٢١٠] رَحْلُهُ وانتقاله عن الدنيا ؛ وكفى عن ذلك / بتقميع العمدة ؛ وهذا مثل معروف للعرب ، يقولون : « من يتجمع بتقميع عمدِهِ » ؛ يريدون أن التجمع داعى التفرق ؛ وأن الاجتماع يعقب ويورث ما يدعو إلى الانتقال الذى يتقميع منه العمدة .

والآمدى على كثرة ما يدعيه من التنقيب والتنقير على علوم العرب إن كان لم يعرف
١٥ هذا المثل ومعناه فهو طريف ، وإن كان قد سمعه وجهل أن معنى بيت البحرى يطابقه فهو أطرف .

فأما قوله : « من ملة » فإنما أراد به من مَلَل ؛ وملة « فَعْلَمَةٌ » من المَلَل ، وكيف يكون

(١) ديوانه : ١ : ١٤٥ ، الشهاب : ٢٠ . (٢) حاشية الأصل : « البارض : النبت أول

ما يبدو من البهمى ، وهو شوك . أئينه : أزيله . يكثرني : يغلبنى بالكثرة . »

من تملّى العيش، ولم يسمع في تملّيت « ملة » ! وهذا خطأ على خطأ^(١).

وقال البحتري :

ما كان شوقى يدع يومَ ذاك ولا دَمعى بأول دَمعٍ فى الهوى سُفْحاً^(٢)
ولِمةٍ كنتُ مَشْفُوقاً بِجَدَّتِها فاعفا الشَّيبُ لى عَنها ولا صَفْحاً

وقال أيضاً :

وَمَا أَنْسَ لَا أَنْسَ عَهْدَ الشَّبَابِ وَعَلَوَةَ إِذْ هَبَّ تَنَى الْكِبَرِ^(٣)
كَوَائِبُ شَيْبٍ عَلِقْنَ الصَّبَا فَقَلَّلْنَ مِنْ حُسْنِهِ مَا كَثُرُ
وَإِنِ وَجَدْتُ وَلَا تُكْذِبَنَّ سَوَادَ الْهَوَى فِي بَيَاضِ الشَّمْرِ
وَلَا بُدَّ مِنْ تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ إِمَّا الشَّبَابَ وَإِمَّا الْعُمُرَ

قال الأمدى : " وعليه فى قوله :

ولا بدَّ من تَرْكِ إِحْدَى اثْنَتَيْنِ إِمَّا الشَّبَابَ وَإِمَّا الْعُمُرَ
معارضة ، وهو أن يقال له : إنَّ مَنْ مات شاباً فقد فارق الشباب وفاته العمر أيضاً ،
فهو تارك لها معاً ، وَمَنْ شاب فارق الشباب ، وهو مفارق للعمر لا محالة ؛ فهو أيضاً تارك
لها جميعاً " .

(١) وعاد المرتضى فبسط هذا النقد مرة ثانية فى كتابه الشهاب فقال : " وقد نبهنا فى كتاب الفرع على

هفوة الأمدى فى قول البحتري : « تَقَعَّقَ مِنْ مِلَّةٍ عَمْدُهُ » ؛ لأنه ظن أن معناه أن عظام الكبير
اللسن يحىء لها صوت إذا قام وقعد ، وتسمع لها قعقة ؛ وما سمعنا بهذا الذى ظنه فى وصف ذوى الأسنان
والكبر ؛ والمعنى أظهر من أن يحصى على أحد ؛ لأنه أراد : من عمر وأسن وطاول العيش تمجّل رحيله وانتقاله
من الدنيا ؛ وكفى عن ذلك بتقعق العمدة ؛ لأن ذوى الأظنان والحياض إذا انتقلوا من محل إلى غيره وقوضوا
عمد خيامهم ، وسارت بها الإبل سمعت لها قعقة ، ومن أمثال العرب المروفة : « من يتجمع يتقعق عمده » ،
يريدون أن التجمع بقب التفريق والرحيل الذى تتقعق معه العمدة . ومعنى قوله : « من ملة » يريد من السأم
واللال دون ما ظنه الأمدى من أنه تملّى العيش " . (٢) ديوانه ١ : ١١٤ . (٣) ديوانه ١ : ٢١٩ .

”وقوله : «إما وإما» لا نوجب إلا إحداها“ قال : ”والعذر للبحترى أن يقال : إن من مات شاباً فقد فارق الشباب وحده لأنه لم يعمر ، فيكون مفارقاً للعمر ألا ترى أنهم يقولون : عمر فلان إذا أسن ، وفلان لم يعمر إذا مات شاباً ، ومن شاب وعمر ثم مات لم يكن مفارقاً للشباب في حال موته ؛ لأنه قد قطع أيام الشباب ، وتقدمت مفارقتة له ، وإما يكون في حال موته مفارقاً للعمر وحده ، وإلى هذا ذهب البحترى ، وهو صحيح / ولم يرد بالعمر المدّة القسيرة التي يمرّها الإنسان ، وإما أراد بالعمر هاهنا الكبير ، كما قال زهير :

رَأَيْتُ الْمَنَايَا خَبَطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِيبُ تُمَيْتُهُ ، وَمَنْ تَخْطِي يُعْمَرُ فَيَهْرَمُ^(١)

قال رضى الله عنه : وما رأيت أشدّ تهافتاً في الخطأ منه فيما يفسّره ويتكلم عليه من شعر هذين الرجلين ! ومعنى البيت غير ما توهمه ؛ وهو أظهر من أن يخفى ؛ حتى يحتاج فيه إلى هذا التغلغل والتعسف ؛ وإما أراد البحترى أن الإنسان بين حالتين : إما أن يفارق الشباب بالشيب ، أو العمر بالموت ؛ فمن مات شاباً - وإن كان قد خرج من العمر ، وخرج بخروجه عن سائر أحوال الحياة من شباب وشيب وغيرهما - فإنه لم يفارق الشباب وحده ؛ وإما فارق العمر الذى فارق بمفارقتة الشباب وغيره . وقسمة الرجل تناولت أحد الأمرين : إما مفارقة الشباب وحده بلا واسطة - ولن يكون ذلك إلا بالشيب - أو مفارقة العمر بالموت . وتلخيص كلامه : أنه لا بدّ للحي من شيب أو موت ، فكأن الشيب والموت متعاقبان ؛ والبحترى إنما جعل قوله : «العمر» مقام الحياة والبقاء ، وإما قال : «العمر» لأجل القافية ؛ مع أنه منبى عن مراده ؛ ولو أنه قال : ولا بدّ من ترك الحياة أو ترك الشباب لقام مقام قوله : «العمر» .

أخبرنا أبو عبيد الله المرزبانى قال حدثني علي بن محمد الكاتب قال حدثنا أحمد بن عبيد الله قال : من معاني ابن الرومى التى فقهها قوله يذم من جعل مصيبة غيره مُنْذِيَةً له مصيبتة ، وطاب

(١) من المعلقة ، ديوانه : ٢٩ ؛ خبط عشواء ؛ أى سير على غير قصد ؛ يقال : عشا يشوعشا إذا أصابه المشاء وهو السير على غير بصر .

مَنْ تَعَلَّلَ بِالتَّائِسِيِّ بِمَا نَالَ غَيْرَهُ، وَهُوَ يَرْتِي شَبَابَهُ، وَأَحْسَنُ :

يَا شَبَابِي وَابْنَ مَنْ شَبَابِي ! آذَنْتَنِي أَبَامَهُ بِانْقِضَابِ^(١)
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى نَيْمِي وَكُهْوِي ! تَحْتَ أَفْنَانِهِ اللَّدَانِ الرَّطَابِ
وَمُمَزَّرَ عَنِ الشَّبَابِ مُوسَى بِمَشِيبِ اللَّذَاتِ وَالْأَصْحَابِ
قُلْتُ لَمَّا انْتَحَى يَمْدُ أَسَاءِ^(٢) مِنْ مَصَابِ شَبَابِهِ كَمَصَابِ
لَيْسَ نَأْسُو كُلُّهُمْ غَيْرِي كُلُّوْمِي مَا بِهِ مَا بِهِ، وَمَا لِي مَا لِي

ولابن الردي:

[٢١١] / لَهْفِي عَلَى الدُّنْيَا وَهَلْ كَهْفَةٌ تَنْصِفُ مِنْهَا إِنْ تَلَهَّفْتُمَا^(٣)
قُبْحًا لَهَا قُبْحًا عَلَى أَنَّهَا أَفْبَحُ شَيْءٍ حِينَ كَشَفْتُمَا
وَقَدْ يَمَزُّنِي شَبَابٌ مَضَى وَمَدَّةٌ لِلْمَيْشِ اسْتَلَفْتُمَا
فَكُرْتُ فِي خَمْسِينَ عَامًا مَضَتْ كَانَتْ أُمَامِي ثُمَّ خَلَفْتُمَا
أُجْهِتُهَا إِذْ هِيَ مَوْفُورَةٌ ثُمَّ مَضَتْ عَنِّي فَمَرَّقْتُمَا
فَفَرَحَةُ الْوُجُوبِ أُعِدَّتْهَا وَتَرْحَةُ الْمَسْلُوبِ أُلْحِفْتُمَا
لَوْ أَنَّ عَمْرِي مِائَةٌ هَدَّتَنِي تَذَكَّرِي أَنِّي تَنْصَفْتُمَا

وله في هذا المعنى ، وقد تقدمت هذه الأبيات في الأمالي السالفة ، وقد أحسن في معناها كل

الإحسان :

كَفَى بِسَرَاجِ الشَّيْبِ فِي الرَّأْسِ هَادِيَا إِلَى مَنْ أَضَلَّتْهُ النَّيَا لِيَا لِيَا^(٤)
أَمِنْ بَعْدِ إِبْدَاءِ الْمَشِيبِ مَقَاتِلِي لِرَامِي النَّيَا تَحْسِيبِي فَاجِيَا !
غَدَا الدَّهْرُ بِرَمِيْنِي فَتَدْنُو مِنْهَا لِشَخْصِي أَخْلِقُ أَنْ يُصَيِّنَ سَوَادِيَا
وَكَانَ كَرَامِي اللَّيْلِ يَرْمِي وَلَا يَرَى فَلَمَّا أَضَاءَ الشَّيْبُ شَخْصِي رَمَانِيَا ٢٠

(١) ديوانه، الورقة ٤٢ (٢) أساء : جمع أسوة ؛ وهو القدوة (٣) ديوانه ، الورقة ٤٤

(٤) حاشية الأصل (من نسخة) : « مَنْ لَمْ يَضَلَّ » .

مَجْلِسُ آخِر

تَأْوِيلُ آيَةٍ

إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۚ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَأُولَٰئِكَ ظَالِمُونَ ﴾ ؛ [آل عمران : ١٢٨] .

فقال : كيف جاءت ﴿ أَوْ ﴾ بعد ما لا يجوز أن يعطف عليه ؟ وما المناسب لقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ وليس في الكلام ما يقتضى نصبه ؟

الجواب ، قلنا : قد ذكر في ذلك وجوه :

أولها أن يكون قوله : ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ معطوفاً على قوله : ﴿ لَيَقْطَعَ طَرَفًا ﴾ والمعنى أنه تعالى عَجَّلَ لكم هذا النصر ، وَمنَحَكَمَ به ليقطع طرفاً من الذين كفروا ، أى قِطْعَةً منهم ، وطائفة من جمعهم أو يكبتهم ؛ أى يغلبهم ويهزمهم بكم فيخيب سعيهم ، وَيُكَذِّبُ فيكم ظنونهم ، أو يعظم ما يرون من تظاهر آيات الله تعالى ، الموجبة لتصديق [٢١١] / نبيه صلى الله عليه وآله ، فيتوبوا ويؤمنوا ، فيقبلُ الله تعالى ذلك منهم ، ويتوب عليهم ، أو يكفروا بمدقيام الحجج ، وتأكيد البينات والدلائل ، فيموتوا أو يُقْتَلُوا كافرين ؛ فيعذبهم الله باستحقاقهم في النار ؛ ويكون على هذا الجواب قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ معطوفاً على قوله تعالى : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ ؛ أى ليس لك ولا لغيرك من هذا النصر شيء ؛ وإنما هو من الله تعالى .

والجواب الثاني أن يكون ﴿ أَوْ ﴾ بمعنى «حتى» ، أو «إلا أن» ؛ والتقدير : ليس لك من الأمر

شيء حتى يتوب عليهم ؛ أو إلا أن يتوب عليهم ، كما قال امرؤ القيس :

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحتقان بقيصر^(١)
فقلت له : لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً ، أو نموت فنعذراً
أراد : إلا أن نموت

وهذا الجواب يضعف من طريق المعنى ؛ لأن لقاتل أن يقول : إن أمر الخلق ليس إلى
أحد سوى الله تعالى قبل توبة المباد وعقابهم بعد ذلك ؛ فكيف يصح أن يقول : ليس
• لك من الأمر شيء إلا أن يتوب عليهم أو يعذبهم ؛ حتى كأنه إذا كان أحد الأمرين كان
إليه من الأمر شيء !

ويمكن أن ينصر ذلك بأن يقال : قد يصح الكلام إذا حُمل على المعنى ؛ وذلك أن قوله :
(لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) معناه : ليس يقع ما تريد وتؤثره من إيمانهم وتوبتهم ، أو
ما تريد من استئصالهم وعذابهم ، على اختلاف الرواية في معنى الآية وسبب نزولها ؛ إلا بأن
• ١٠ يلطف الله لهم في التوبة فيتوب عليهم أو يعذبهم ؛ وتقدير الكلام : ليس ما تريد من توبتهم
أو عذابهم بك ، وإنما يكون ذلك بالله تعالى .

والجواب الثالث أن يكون المعنى : ليس لك من الأمر شيء أو من أن يتوب الله عليهم ؛
فأضمر « من » اكتفاءً بالأولى ، وأضمر « أن » بعدها لدلالة الكلام عليها واقتضاءها ، وهي
مع الفعل الذي بعدها بمنزلة المصدر ؛ وتقدير الكلام : ليس لك من الأمر شيء ومن توبتهم
• ١٥ وعذابهم .

ووجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطمئن على هذا الجواب ويستبعده ، قال : لأن الفعل
لا يكون محمولا على إعراب الاسم الجامد ، الذي لا نصر ف له على إضمار « أن » مع الفعل / [٢١٢]
لأنه ليس من كلام العرب : « عجبت من أخيك ويقوم » ، على معنى : « عجبت من أخيك ومن

(١) ديوانه : ١٠٠ . الدرب : باب السكة الواسع ؛ وهو هنا كل مدخل إلى الروم فهو درب ؛
وصاحبه عمرو بن قتيبة الشاعر ؛ وكان رفيق امرئ القيس في رحلته .

أن يقوم» ، لأن أخاك اسم جامد محض ، لا يعطف عليه إلا ما شاكله . وقال : وهذا إذا استقيم ويصلح في رد الفعل على المصدر ، كقولهم : « كرهت غضبك وأن يغضب أبوك » ؛ على معنى : « كرهت غضبك وأن يغضب أبوك » ، فيطرد هذا في المصادر ، لأنها تتأول بـ « أن » فيقول النحويون : « يعجبني قيامك » ، وتأويله : « يعجبني أن تقوم » ، قال : والاسم الجامد لا يمكن مثل هذا فيه .

وليس الذي ذكره ابن الأنباري مستبعداً ، وإن لم يضعف هذا الجواب إلا من حيث ذكر فليس بضعيف ؛ وذلك أن فيما امتنع منه مثل الذي أجازته ؛ لأنه قد أجاز ذلك في المصادر ، وإن لم يجره في غيرها .

وقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ فيه دلالة الفعل ، لأن « الأمر » مصدر أمرت أمراً ؛ فكأنه تعالى قال : ليس لك من أن أمرهم أو تأمرهم شيء ، ولا من أن يتوبوا ، وجرى ذلك مجرى قولهم : « كرهت غضبك ويغضب أبوك » ، في رد الفعل على المصدر ؛ والوجه الأول أقوى الوجوه ؛ والله أعلم بمراده .

تأويل خبر

إن سأل سائل عن الخبر الذي يرويه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « لا تَنَاجَشُوا ولا تَدَابَرُوا ، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ دمه وعرضه » .

الجواب ، قيل له : أما النجش فهو المدح والإطراء ، قال نابغة بنى شيبان يذكر الخمر :
وَتَرَحَّى بِالْ مَنْ يَشْرِبُهَا وَيُقْدِي كَرَمَهَا عِنْدَ النَّجَشِ (١)

أي عند مدحها ، ومنه النجش في البيع ؛ وهو مدح السلعة والزيادة في ثمنها من غير إرادة لشرائها ؛ بل ليقبض بالزائد في زيادته غيره ؛ وأصل النجش استخراج الشيء والتنفير عنه ، قال بعض الفقهاء :
١٥

أَجْرَسَ لَهَا يَابْنَ أَبِي كِبَاشٍ^(١) فَسَا لَهَا اللَّيْلَةُ مِنْ إِنْفَاشٍ^(٢)
غَيْرِ الشَّرَى وَسَائِقٍ نَجَّاشٍ أَسْمَرَ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْخَشْخَاشِ

والنجاش : هو المستثير لسيرها ، والمستخرج لما عندها منه ، ومعنى : أَجْرَسَ لَهَا ، أى
أَحْدُ لَهَا لَتَسْمَعَ / الحذاء فتسير ، وهو مأخوذ من الجرس وهو الصوت ؛ ومعنى : [٢١٢]
الإنفاس ، أراد أنها لا تترك رعى ليلا ، والنفث أن ترعى الإبل ليلا ، وقد أنفستها إذا أرسلتها
بالليل رعى .

والخشخاش : الخفيف الحركة السريع القلب .

والنجش في البيوع يرجع معناه إلى هذا أيضاً ؛ لأن الناجش يستثير بزيادته في الثمن ،
ومدحه السلعة الزيادة في ثمنها ؛ فيكون معنى الخبر على هذا : لا تناجشوا ، أى لا يمدح
أحدكم السلعة فيزيد في ثمنها ، وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيده .

١٠

وقد يجوز أيضاً أن يريد بذلك : لا يمدح أحدكم صاحبه من غير استحقاق ليستدعى
منفعته ، ويستثير فائدته ؛ وهذا المعنى أشبه بأن يكون مراده عليه السلام ، لأن قوله : « ولا تدابروا »
أشدُّ مطابقة له .

ومعنى : « لا تدابروا » أى لا تهاجروا ويوتئ كل واحد صاحبه دُبُرَ وجهه ، قال

الشاعر :

١٥

وَأَوْصَى أَبُو قَيْسٍ بَأَنْ تَتَوَاصَلُوا وَأَوْصَى أَبُوكُمْ، وَيَحْكُمُ أَنْ تَدَابِرُوا^(٣)

فكانه قال عليه السلام : لا تهادحوا وتتواصلوا بالمدح الذى ليس بمستحق ، ولا تهاجروا

وتتقاطموا .

(١) اللسان (جرس) ؛ وفي حاشية الأصل : « صوت الجرس ؛ وروى ابن السكيت : « أجرش » ،
وأنكروا عليه : أجرشت الشيء إذا لم تنعم دقه » .

(٢) حاشية الأصل : « نفثت الإبل : تفرقت في الرعى ، وأنفستها أنا ، أى ليس لها الليلة استراحة » .

(٣) اللسان (دبر) ، من غير نسبة .

فأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كلُّ المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه»، فقد ذهب قوم إلى أن عِرْضَ الرجل إنما هو سلفه من آبائه وأمهاته؛ ومن جرى مجراهم.

وذهب ابن قتيبة إلى أن عِرْضَ الرجل نفسه، واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وآله حين ذكر أهل الجنة فقال: «لا يولون ولا يتغوثون؛ إنما هو عِرْقٌ يجري من أعراسهم مثل المسك»؛ أي من أبدانهم؛ قال: ومنه قول أبي الدرداء: «أقرض من عِرْضِكَ ليوم فقرِكَ» أراد مَنْ شَتَمَكَ فلا تشتمه، ومن ذكرَكَ بسوء فلا تذكره به، ودع ذلك قرضاً عليه ليوم الجزاء والقصاص.

واحتج أيضاً بحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أيمجز أحدكم أن يكون كَأَبِي ضَمُّمٍ! كان إذا خرج من منزله قال: اللَّهُمَّ إني قد تصدّقت بعِرْضِي على عبادِكَ»؛ قال: فمعناه قد تصدّقت بنفسِي وأحلت مَنْ يفتابني، فلو كان العِرْضُ الأسلاف ما جاز أن يُحِلَّ مَنْ سَبَّ الموتى؛ لأن ذلك إليهم لا إليه.

(٢١٣) قال: ويدلّ على ذلك أيضاً حديثُ سفيان بن عيينة: «لو أن رجلاً أصاب / من عِرْضِ رجل شتاً ثم تورّع من بعدُ؛ فجاء إلى ورثته بعد موته فأحلّوه له، لم يكن ذلك كفارة له، ولو أصاب من ماله شيئاً ثم دفعه إلى ورثته؛ لسكنّا نرى أن ذلك كفارة له».

١٥ قال: ويدلّ على أن عِرْضَ الرجل نفسه قول حسان:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ^(١)
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

(١) ديوانه: ٩؛ يخاطب أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ويهجو؛ وقوله:

أَلَا أبلغُ أبا سفيانَ عَنِّي فَأَنْتَ مَجُوفٌ نَخْبٌ هَوَاءُ
بأن سيوفنا تركتك عبداً وَعَبْدُ الدارِ سادتها الإمامُ

والآيات في الاقتضاب: ٣٠٠؛ ونقل عن محمد بن الحسن بن دريد بسنده: «أشد النبي صلى الله عليه وسلم قسيدة التي أولها:

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ قَالِجُوءُ إِلَى عِذْرَاءٍ مِنْهَا خَلَاءُ =

أراد : فإنَّ أبى وجدى ونفسى وقاء لنفس محمد، صلى الله عليه وآله .

وقال آخرون - وهو الصحيح : المرُض موضع المدح والذم من الإنسان ، فإذا قيل : ذَكَرَ
مرض فلان ، فمعناه ذكر ما يرتفع به أو ما يسقط بذكره ، ويُمدح أو يذم به ، وقد يدخل
في ذلك ذكر الرجل نفسه ، وذكر آبائه وأسلافه ؛ لأن كل ذلك مما يمدح به ويذم ؛ والذي
يدل على هذا أن أهل اللغة لا يفرقون في قولهم : «شتم فلان عرض فلان» بين أن يكون
ذكره في نفسه بقييح الأفعال ، أو شتم سلفه وآبائه ؛ ويدل عليه قول مسكين الدارمي :

رُبَّ مَهْزُولٍ تَمَيَّنَ عَرْضُهُ وَتَمَيَّنَ الْجَنَمُ مَهْزُولِ الْحَسَبِ^(١)

فلو كان المرض نفس الإنسان لكان الكلام متناقضاً ؛ لأن السُّنَّ والمهْزَالَ يرْجَعان إلى
شيء واحد ؛ وإنما أراد : رُبَّ مهْزُولٍ كريمة أفعاله ، أو كريم آباؤه وأسلافه ؛ وقد قال ابن
عبدل الأسدي^(٢) :

١٠

== حتى انتهى إلى قوله :

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا وَأُجِبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جزاؤك على الله الجنة يا حسان ؛ فلما انتهى إلى قوله :

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِمَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

قال رسول الله صلى الله عليه : وفاءك الله يا حسان النار ؛ فلما قال :

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتُ لَهُ بِنِدٍّ فَشَرُّكُمْ خَيْرُكُمْ الْفِدَاءُ

فقال من حضر : هذا أنصف بيت قاله العرب . (١) بعده :

كَسَبَتْهُ الْوَرِقُ الْبَيْضُ أَبَاً وَلَقَدْ كَانَ وَمَا يُدْعَى لِأَبٍ

وانظر الأغاني ١٨ : ٧٠ ، وأمالى الفالي ١ : ١١٨ ، والآلى : ٣٥٢ .

(٢) من مقطوعة في أمالي الفالي ٢ : ٢٦١ ، عدد أبياتها أربعة عشر بيتاً ؛ ومنها في حسنة أبرد تمام - بشرح

المرزوق ١١٦٣ - ١١٦٤ ستة أبيات ؛ وذكر الفالي من خبر هذه الأبيات أنه "اجتمع الشعراء بياب
الحجاج ؛ وفيهم الحكم بن عبدل الأسدي فقالوا : أصلىح الله الأمير ! إنما شعر هذا في الفأر وما أشبهه ،
قال : ما يقول هؤلاء يابن عبدل ؟ قال : اسمع أيها الأمير ، قال : هات ، فأشده الأبيات ؛ حتى انتهى
إلى قوله :

وَلَسْتُ بِذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ عَرَفْتُهُ وَلَا الْبَخْلُ قَاعِلٌ مِنْ سِهَانِي وَلَا أَرْضِي

وَأَتَى لَأَسْتَنْبِي فَمَا أَبْطَرُ الْغِنَى ، وَأَبْذُلُ مَيْسُورِي لِمَنْ يَبْتَغِي قَرْضِي ^(١)
وَأَعِيرُ أَحْيَانًا قَتَشْتُدُ عُسْرَتِي وَأَذْرِكُ مَيْسُورَ الْغِنَى وَمَعِي عِرْضِي
ولا يلبق ذلك إلا بما ذكرناه .

قال سيدنا أدام الله تأييده: وجدت أبا بكر بن الأنباري قد ردَّ على ابن قتيبة قوله هذا
و طعن على ما احتج به ، فقال في الحديث المروي عنه عليه السلام في وصف أهل الجنة : إن
المراد بالأعراض مغاير ^(٢) الجسد .

وحكى عن الأموي أنه قال : الأعراض المغاير التي تمرق من الجسد ؛ نحو الإبطين
٢١٣] وغيرها، وقال في حديث أبي الدرداء : معناه : مَنْ طابك / ، وذكر أسلافك ، فلا تجازيه ؛ ليكون
الله تعالى هو المنيب لك .

١٠ وقال في قول أبي ضمضم : معناه أنه أحلَّ من أوصل إليه أذى بذكره وذكر آبائه فلم
يُحَلَّ إلا من أمره إليه .

وقال في قول حسان : المراد بمرضه أيضاً أسلافه ؛ كأنه قال : إن أبي ووالده وجميع
أسلافي الذين أمدح وأذم من جهتهم وقاء له عليه السلام ، فأتى بالعموم بعد الخصوص ؛ كما
قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ ؛ [الحجر : ٨٧] ،
١٥ فأتى بالعموم بعد الخصوص ؛ ولم أجده ذكر في خبر سفيان بن عيينة شيئاً ؛ وتأويله يقرب
من تأويل خبر أبي ضمضم ، لأنَّ من آذى رجلاً بسبِّه في نفسه ، أو سبَّ سلفه وأدخل عليه
بذلك وضماً ونقصاً لم يكن إلى ورثته بعد موته الإحلال من ذلك ، لأن الأذى لم يدخل
عليهم ، ولو كان داخلاً عليهم أيضاً مع دخوله على المسبوب لكان إحلالهم مما يرجع إلى غيرهم
لا يصح ؛ على أن في الإحلال من الضرر وسقوط العوض المستحق عليه ، وهل يسقط بإسقاط
٢٠ مستحقه أم لا ؟ فيه كلام ليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه في مواضع .

== فلما سمع الحجاج هذا البيت فضله على الشعراء بجائزة ألف درهم في كل مرة يعطيه .

(١) أبطر الغنى ، أي أبطر في الغنى حتى أذهب من سنن الشكر . وأعرض ميسوري ؛ يريد يسري ؛

وضع اسم المفعول موضع المصدر . (٢) المغاير : معاطف الجلد ؛ جمع مغين .

وبعد، فلو سلم لابن قتيبة أن المراد بالمرض في كل المواضع التي ذكرناها النفس دون السلف، أو سلم له ذلك في بيت حسان خاصة؛ فإنه أقرب إلى أن يكون المراد به ما ذكره لم يقدح فيما ذكرناه؛ لأننا لم نقل: إن المرض مقصور على سلف الإنسان، بل ذكرنا أنه موضع الدم والمدح من الإنسان، ولا فرق بين سلفه ونفسه؛ فكيف يكون الاحتجاج بما المراد بالمرض فيه النفس طعناً علينا، وإنما ينفع ابن قتيبة أن يأتي بما يدل على أن المرض لا يستعمل إلا في النفس دون السلف، وكل شيء فيما المراد بالمرض فيه النفس، أو المراد به السلف فهو مؤكد لقولنا في أن هذه اللفظة مستعملة في موضع الدم والمدح من الإنسان؛ وإنما يكون ما استشهدنا به، وما جرى مجراه؛ مما يدل على استعمال لفظة «المرض» في السلف حجة على ابن قتيبة؛ لأنه قصر معناها على النفس والذات، دون السلف؛ وهذا واضح بين بحمد الله.

أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران الرزباني قال حدثنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم ١٠ قال: كان أبو عبيدة / معمر بن المثنى صفرياً^(١)، وكان يكتم ذلك؛ فأنشدني لممران بن حطان^(٢): [٢١٤]

(١) في حاشيتي الأصل، ف: «الصفري»: جنس من الخوارج، سموا بذلك لاصفرار وجوههم؛ وقيل: نسبوا إلى رجل اسمه صفار.

(٢) هو أبو سحابة عمران بن حطان بن ذبيان السدوسي؛ رأس القعدة من الصفرية، وخطيبهم وشاعرهم، أدرك جماعة من الصحابة ورأى عنهم، ثم لحق بالشرقة، فطلبه الحجاج فهرب إلى الشام، فطلبه عبد الملك بن مروان ففر إلى عمان، ولما مال عمره قعد عن الحرب، واكتفى بالتحريض والدعوة بشعره؛ وتوفي سنة ٨٤. وهذه الأبيات يقولها في رثاء أبي بلال مرداس بن أدية؛ وكان قد قتل في لمارة عبيد الله بن زياد، سنة ٦١؛ وهي برواية أبي العباس المبرد:

يا عَيْنُ بَكِّي لمرداسٍ ومصرعه	ياربَّ مرداسٍ اجعلني كمرداسٍ
تركنتي هائماً أبكي لمرداسي	في منزلٍ موحشٍ من بعد إيناسٍ
انكرتُ بعدك ما قد كنتُ أعرفه،	ما الناس بعدك يا مرداسٍ بالناسِ
إمّا شربت بكأسٍ دار أو أهما	على القرونِ فذاقوا جرعة الكاسِ
فكلُّ مَنْ لم يذقها شاربٌ عَجَلًا	منها بأنفاسٍ وريدٍ بعد أنفاسِ

وانظر الإصابة ٨١: ٥، والسكامل - بشرح المرصفي ٧: ٨٣.

أُنْكَرْتُ بِمَدِّكَ مَنْ قَدْ كُنْتُ أَغْرِفُهُ ، مَا النَّاسُ بِمَدِّكَ يَا مِرْدَاسُ بِالنَّاسِ
إِنَّمَا تَكُنْ ذُقْتَ كَأْسًا دَارَ أَوْهَا عَلَى الْقُرُونِ فَذَاقُوا نَهْلَةَ الْكَاسِ
قَدْ كُنْتُ أَبْكِيكَ حِينًا ثُمَّ قَدْ بَيْتُ نَفْسِي فَا رُدَّ عَنِّي عَبْرَتِي يَا بِي

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أخبرنا ابن دريد قال حدثنا الأشنانداني قال قال
التوزي : كنت إذا أردت أن أنشط أبا عبيدة سألته عن أخبار الخوارج فأبج منه تبج
بحر : فجسته يوماً وهو مطرق ينكت الأرض في صحن المسجد ؛ وقد قربت منه الشمس ،
فسلمت عليه فلم ير دوداً^(١) ، فتمثلت :

وَمَا لِلْمَرءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَاعُدٌ مِنْ سَقَطِ النَّعَا
... والبيت لقطري بن الفجاءة ... فنظر إلى وقال : ويحك ! أتدرى من يقوله ؟ قلت :
١٠ قطري ، فقال : اسكت ، رضى^(٢) الله فاك ! فالأقلت : أمير المؤمنين أبو نعمة^(٣) ! ثم انتبه
فقال : اكنمها على ياتوزي ، فقلت : هي ابنة الأرض ، فأنشدني :

أَقُولُ^(٤) لَهَا إِذَا جَاشَتْ حَيَاءً مِنَ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَنْ تَرَامِي^(٥)
فَإِنَّكَ لَوْ طَلَبْتَ حَيَاةَ يَوْمٍ عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تَطْعَمِ^(٦)
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَأَنْ نِيلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعٍ

(١) د ؛ ومن نسخة بمحاشني الأصل ، ف ، : « فلم يرد » (٢) حاشية الأصل (من نسخة) :
« فراض الله فاك » . (٣) هي كنية قطري بن الفجاءة بن مازن الخارجي ؛ كان زعيماً من زعماء الخوارج ؛ خرج
زمن . صاحب بن الزبير سنة ٦٦ ، وفي عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ؛ وكان الحجاج يسير إليه
جيشاً ، وهو يستظهر عليه ، إلى أن توجه إليه سفيان بن أبرد السكلي ، فظهر عليه وقتله سنة ٧٨ ، (ابن
خلكان ١ : ٤٣٠) . (٤) الأبيات في الحماسة - بشرح التبريزي ١ : ٩٦-٩٧ .

(٥) د ، ومن نسخة بمحاشية الأصل : « وقد جاشت » . وفي حاشية الأصل (من نسخة) :
« وقد طارت حياء » ، ورواية الحماسة : « وقد طارت شعاعاً » ؛ الشعاع : المتفرق ، والخطاب لنفسه ؛
ولن ترامي ، من الروح ، وهو الفزع . (٦) الحماسة : « بقاء يوم » .

وَمَا طُولُ الْحَيَاةِ بِثَوْبٍ مَجْدٍ فَيُطَوَّى عَنْ أَخِي الْخَنْعِ الْبِرَاعِ^(١)
سَبِيلُ الْمَوْتِ مَنَهِجٌ كُلُّ حَيٍّ وَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِ^(٢)
وَمَنْ لَا يُنْتَبِطُ بِسَأْمٍ وَيَزَمُّ وَتُفَضُّ بِهِ النُّونُ إِلَى انْقِطَاعِ^(٣)
وَمَا لِلْمَرْءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَاعُدُّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ

فكتبها وقت أنصرف ؛ فقال : اقم ، ثم أنشدني :

إِلَى كَمْ تَعَارِبُنِي السُّيُوفُ وَلَا أَرَى مُنَارَاتَهَا تَدْعُو إِلَى حَامِيَا^(٤)
أَقَارِعُ عَنْ دَارِ الْخُلُودِ وَلَا أَرَى بَقَاءَهُ عَلَى حَالٍ لِمَا لَيْسَ بَاقِيَا
/ وَلَوْ قَرَّبَ الْمَوْتَ الْقِرَاعُ لَقَدْ أَنَى لِمَوْتِي أَنْ يَدْنُو لِي طَوِيلُ قِرَاعِيَا
أَغَادِي جَلَادَ الْعَالَمِينَ كَأَنِّي^(٥) عَلَى الْمَسَلِ الْمَآذِي أَصْبَحُ غَادِيَا^(٦)

[٢١٤]
ط

- (١) الحماسة : « بثوب عز » . الخنع : الجبن ، والبراع : الجبان الضعيف .
(٢) حاشية ف (من نسخة) : « غاية كل حي » ، وهي رواية الحماسة .
(٣) ف :

• وَيُفَضُّ بِهِ الْبَقَاءُ إِلَى انْقِطَاعِ •

ورواية الحماسة :

• وَتُسَلِّمُهُ الْمُنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ •

- والاعتباط : أن الحى يموت من غير علة ؛ أى من لم يمت شاباً مات هرمًا
(٤) د ، وحاشية الأصل (من نسخة) : « تعاربتى » ، وفي حاشية الأصل ، ف : « المعارة ، بالعين
المهملة : من العرى ، أى تلفأتى السيوف عارية ، وبالعين المعجمة : من غرى به إذا أوقع ، والمغارة أيضا :
المتابعة بين الشئيين ، يقال غاربت بين العيين ، إذا واليت بينهما » . وفيه : « تغاربتى » ، تحريف .
(٥) د ، ومن نسخة بحاشيتي الأصل ، ف : « المعلمين » ، بكسر اللام ، والمعلم : الفارس الذى علم
مكانه فى ساحة الحرب بعلامة أعلمها ؛ ومنه قول الشاعر :

فتمرّفوني أننى أنا ذا كُفُّ شاكٍ سلاحى فى الحوادث معلّم
وقول الأخطل :

ما زال فينا رباط الخيل معلّمة وفى كليب رباط اللؤم والعار

- (٦) المآذى : العسل الأبيض .

وَأَذْهَبُوا الْكَمَاءَ لِلزَّالِ إِذَا الْقَنَاءُ تَحَطَّمَتْ فِيهَا بَيْنُنَا مِنْ طِعَانِيَا
وَلَسْتُ أَرَى نَفْسًا تَمُوتُ وَإِنْ دَنَتْ مِنَ الْمَوْتِ حَتَّى يَبْمُتَ اللَّهُ دَاعِيَا^(١)
فَقَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ : وَهَذَا الشَّعْرُ أَيْضًا لِقَطْرَى بْنِ الْفُجَاءَةِ .

أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ قَالَ أَخْبَرَنَا ابْنُ دُرَيْدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ قَالَ :
جَنَّتْ^(٢) أَبَا عُبَيْدَةَ يَوْمًا ، وَمَعِيَ شَعْرُ عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ ، فَقَالَ . فَارْغُ تَحْمِلْ شَعْرَ فَقِيرٍ لِيَقْرَأَهُ
عَلَى فَقِيرٍ ، فَقُلْتُ : مَامَعِيَ غَيْرُهُ ، فَأَنْشِدْنِي أَنْتَ مَا شِئْتَ ، فَأَنْشَدَنِي :
يَارُبُّ ظِلِّ حِمَارٍ قَدْ وَقَيْتُ بِهِ مُهْرِي مِنَ الشَّمْسِ ، وَالْأَبْطَالُ تَجَنَّدُ^(٣)
وَرُبُّ يَوْمٍ رَحِمَى أَرْغَمْتُ عَقْوَتَهُ خَبَلِي اقْتِسَارًا ، وَأَطْرَافُ الْقَنَاءِ قِصْدُ^(٤)
وَيَوْمَ لَهْوٍ لِأَهْلِ الْخَفْضِ ظِلٌّ بِهِ لَهْوِي اصْطِلَاءُ الْوَغَا وَنَارُهُ تَقْدُ^(٥)
مُشَهَّرًا مَوْفِي وَالْحَرْبُ كَاشِفَةٌ عَنْهَا الْقِنَاعَ وَبَحْرُ الْمَوْتِ يَطْرِدُ
وَرُبُّ هَاجِرَةٍ تَغْلِي مَرَّاجِلُهَا نَحْرُهَا بِمِطَاطِهَا غَارَةً تَخْدُ^(٦)
تَجْتَابُ أَوْدِيَةَ الْأَفْزَاعِ آمِنَةً كَأَنَّهَا أُسْدٌ يَقْنَادُهَا أُسْدُ^(٧)
فَإِنْ أُمْتُ حَتَفَ نَفْسِي لِأُمْتٍ كَمَا عَلَى الطَّعَانِ وَقَصُرُ الْعَاجِزِ الْكَمْدُ
وَلَمْ أَقْلُ لَمْ أُسَاقِ الْقَتْلَ شَارِبَةً^(٨) فِي كَأْسِهِ وَالْمَنَابَا تَرْغُ وَرُدُ
ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَذَا الشَّعْرُ ! لَا مَاتَعَلُّونَ بِهِ نَفُوسَكُمْ مِنْ أَشْعَارِ الْمُخَنَّثِينَ . وَالشَّعْرُ
لِقَطْرَى .

(١) حاشية الأصل : « أَى مَلَكًا يَقْبِضُ رُوحَهُ وَيَدْعُوهُ » .
(٢) الخبر والأبيات في أمالي القالي ١ : ٢٦٥ - ٢٦٦ ، وزهر الآداب - طبعة الحلبي ١٠٢٧ -
١٠٢٨ . (٣) د : « ظل عقاب » وفي حاشية الأصل : « روى ظل عقاب ، يريد بها الراية » .
(٤) المقوة : الساحة ، والقصد : القطع ؛ واحده قصدة . (٥) د ، ف ، وحاشية الأصل
(من نسخة) : « إذ ناره » . (٦) د : « نحرها » . وتخذ : تسرع . (٧) الأفزاع :
الخناوف ، وفي زهر الآداب : « بمطاطها » : (٨) حاشية الأصل (من نسخة) : « صاقه » .

أخبرنا علي بن محمد الكاتب قال قال أخبرنا ابن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم قال : كان أبو عبيدة يأنس إلى في أول ما اختلفت إليه ، لأنه كان يظنني على رأيهم ويسألني عن خوارج سجستان - لأنه كان يظنني على رأيهم - وكنت أومه أني على رأيهم ، فنالتني منه لذلك عناية خاصة ، فكان كثيرا ما ينفذني أشعارهم ، ثم يمشل :

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنو البنى وإن عاهدوا أوفوا ، وإن عقدوا شدوا^(١) ٥

/ قال : وأنشدني يوما لرجل من طلي من الخوارج :

[٢١٥]

لا كابن ملحان من شار أخى ثقة^(٢) أو كابن علقمة المستشهد الشار^(٣)
من صادق كنت أصفيه مخالفتي فباع داري بأعلى صفقة الدار^(٤)
إخوان صدق أرجيهم وأحذرهم أشكو إلى الله إخواني وإحذاري
فصرت صاحب دنيا لست أملكها وصار صاحب جنات وأنهار ١٠

تم القسم الأول من كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى ، وبليه القسم الثاني إن شاء الله تعالى ، وأوله : تأويل آية : إن سأل سائل عن قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الْيَهُودُ ... ﴾

(١) البيت للحطبية ، ديوانه : ٢٠ . (٢) الشار : واحد الشراة ؛ والخوارج تسمى نفسها بذلك ؛ كأنهم شروا أنفسهم ؛ أي باعوها ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ أي يبيها . وقال قطري في هذا المعنى :

رَأَتْ فِئَةً باعُوا إِلَهَهُمْ نَفْسَهُمْ بِجَنَاتٍ هَذَنَ عِنْدَهُ وَنَعِيمٍ
(٣) في حاشيتي الأصل ، ف : داري ، يعني الدنيا التي كانت داره ؛ وهو في قيد الحياة ؛ يعني أنه باعها بصفقة رابحة ؛ أراد أنه استشهد وتل ، فباع داره بدار في الجنة .

فهرس الموضوعات

المجلس الأول

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] ٢ - ٥
تأويل الحديث: «من تعلم القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجزم» ٥ - ٩
مسألة في القول بوجوب الأصلح عليه تعالى ٩ - ١٠

المجلس الثاني

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ...﴾ [الإسراء: ٨٥] ١١ - ١٢
تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا...﴾ [المجر: ١٩] ١٣ - ١٥
تفسير معنى «اللعن» عند العرب ١٥ - ١٦
خبر أسير بني النضير في بكر بن وائل ورسالته إلى قومه وشرح ما فيه من
كنایات ١٦ - ١٧
تأويل كلام علي بن أبي طالب: «من أحبنا أهل البيت فليستمدد للفقر جلبابا
أوتجفأفا» ١٧ - ٢٨
ذكر بعض أخبار الشعراء المتقدمين ممن كان على مذاهب أهل المدل ١٩ - ٢١
ذكر بعض أخبار الشعراء المتقدمين ممن كان على مذهب أهل الجبر ٢١ -
مسألة في الاستدلال على نفي الرؤية بالأبصار ٢٢ - ٢٤

المجلس الثالث

- تأويل قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢] ٢٥ - ٢٧
وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ أَلْقَى عَصَاكَ، فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ...﴾ [القصص: ٣١]
(٤١ - غرر - أول)

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ،

[الأعراف: ١٧٢، ١٧٣]

٣٠- ٢٨

تأويل الحديث : « ليس منا مَنْ لم يتغنّ بالقرآن » .

٣٦- ٣١

الكلام على قوله تعالى : ﴿ وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

[القيامة: ٢٢، ٢٣]

٣٨- ٣٦

المجلس الرابع

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾

[يونس: ١٠٠]

٤٢- ٣٨

تأويل قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ ... ﴾ [هود: ١٠٣، ١٠٤]

٤٥- ٤٣

وقوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦]

وقوله تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [الصافات: ٢٧]

٤٦- ٤٥

تأويل الحديث : « لانسبوا الدهر فإن الدهر هو الله » .

٤٨- ٤٧

مسألة في ذكر النافع التي عرض الله الأحياء لها

المجلس الخامس

تأويل قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٨، ٢٩]

٥٥- ٤٩

تأويل الحديث : « إن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » .

٥٧- ٥٥

٥٨

خبر حميد الفرزدق لليلي الأخيلية على أبيات قالتها

٥٩

خبره مع الكميّ حين عرض عليه أبياتنا له من قصيدة

٦٢- ٦٠

خبره عند سليمان بن عبد الملك

٦٥- ٦٣

خبر تنسكه في آخر عمره وما قاله من شعر في ذلك

٦٧- ٦٦

هود إلى خبره مع الكميّ

٦٩- ٦٧

خبر مديحه لعلّ بن الحسين بن علي

المجلس السادس

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾

٧٥- ٧٠

[هود: ١١٨، ١١٩]

تأويل الحديث: «مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستع فاصنع ما شئت». ٧٦- ٧٥

٨١- ٧٧

خبر علي بن أبي طالب ومارية القبطية ، وتفسير ماورد فيه من غريب

٨٦- ٨١

ما قالته العرب في أحوال القمر، وتفسير ماورد في ذلك من الغريب

المجلس السابع

٩٤- ٨٧

تأويل قوله : ﴿ وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى ﴾ [الإسراء: ٧٢]

٩٨- ٩٥

تأويل الحديث : «تقئ الأرض أفلاذا كبادهما مثل الأسطوان».

١٠٤- ٩٨

آيات للخنساء في مدح أخيها ، ثم استطراد لذكر آيات تشبهها

المجلس الثامن

١٠٧- ١٠٥

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [يوسف: ١٨]

١١٢- ١٠٧

خبر قيس بن عاصم حين وفد على الرسول عليه السلام وشرح ماورد في ذلك من الغريب

١١٤- ١١٢

بعض أخبار قيس بن عاصم

١١٧- ١١٦

قصيدة للمؤلف أجاز بها بيت أبي دهبيل:

١١٥- ١١٤

وأبرزتها من بطن مكة عند ما أصات المنادى بالعلاء فأعتما

نسب أبي دهبيل وذكر بعض أشعاره

المجلس التاسع

١٢٣- ١٢٠

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ٢٠]

١٢٧- ١٢٤

إيراد طائفة من شعر العرب مما وقع فيه التكرار

١٢٧-١٢٨	فصل في أخبار الدهريين والزنادقة المتهمين ممن كانوا في صدر الإسلام
١٢٨-١٣٠	أخبار الوليد بن يزيد بن عبد الملك
١٣١-١٣٢	أخبار حماد الراوية
١٣٢-١٣٣	أخبار حماد بن الزرقان
١٣٣-١٣٤	أخبار حماد عجرد
١٣٤-١٣٧	أخبار ابن القفيع، وإيراد بعض كلامه
١٣٧-١٣٨	أخبار ابن أبي العوجاء
١٣٨-١٤١	أخبار بشار بن برد

المجلس العاشر

١٤٢-	أخبار مطيع بن إلياس
١٤١-١٤٤	أخبار يحيى بن زياد الحارثي
١٤٤-١٤٦	أخبار صالح بن عبد القدوس
١٤٦-١٤٧	أخبار علي بن الخليل
١٤٨-	الكلام على أن أصول مذهب أهل العدل مأخوذة من كلام علي بن أبي طالب
١٤٨-١٥٢	فقر من كلام علي بن أبي طالب والأئمة من أبنائه
١٥٢-١٦٢	أخبار الحسن بن أبي الحسن البصري وشيء من كلامه

المجلس الحادي عشر

١٦٣-١٦٥	أخبار واصل بن عطاء
١٦٥-١٦٩	مناظرة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد في القول بالمرأة بين المنزلتين
١٦٩-١٧٣	أخبار عمرو بن عبيد

المجلس الثاني عشر

- ١٧٦-١٧٣ عمرو بن عبيد وأبو جعفر المنصور
١٧٧-١٧٦ عمرو بن عبيد وهشام بن الحكم
-١٧٧ عمرو بن عبيد وسليمان بن علي
-١٧٧ كلام عمرو بن عبيد على القدر
١٨٣-١٧٨ أخبار أبي الهذيل العلاف وأخباره
١٨٥-١٨٣ خبر طرفة بن العبد والتلمس الضبمي وحديث الصحيفة

المجلس الثالث عشر

- ١٨٧-١٨٦ أخبار بشر بن المتمد وإيراد بعض أشعاره
١٨٩-١٨٧ أخبار إبراهيم بن إسحاق النظام وبعض أشعاره
١٩٤-١٨٩ اختبار لبيد بهجائه للبقلة وخبره مع الربيع بن زياد عند النعمان
١٩٩-١٩٤ أخبار الجاحظ وتنف من كلامه

المجلس الرابع عشر

- ٢٠١-٢٠٠ تأويل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولَّوْا وُجُوهَكُمْ ... ﴾ [البقرة: ١٧٧]
٢٠٨-٢٠٧ خبر قيس بن زهير العبسي مع النمر بن قاسط
٢١١-٢٠٨ خير يوم داحس والغبراء وتفسير ما ورد في ذلك من الأمثال
٢١٤-٢١١ مقتل زهير بن جذيمة العبسي
٢١٤ خبر يوم الهباءة

المجلس الخامس عشر

- تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْفِقُ...﴾ [البقرة: ١٧١] ٢١٩-٢١٥
 خبر النبي عليه السلام حين دعى إلى مأدبة ومعه الحسين وهو صبي ، وتأويل
 ماورد من الغريب في ذلك ٢٢٠-٢١٩
 من كلام ابنة الخس وتأويل ماورد في ذلك من الغريب ٢٢٢-٢٢٠
 تأويل قول العرب: «جاءنا بطعام لا يُنادى وليده» . ٢٢٢
 أخبار معن بن زائدة ٢٢٢٧-٢٢٢٢

المجلس السادس عشر

- تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ
 حَقٍّ﴾ [آل عمران: ٢١] ٢٣١-٢٢٨
 باب في ذكر العمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم ٣٣٢
 أخبار الحارث بن كعب الذحرجي ووصيته حين الموت وشرح ماورد في ذلك ٢٣٤-٢٣٢
 أخبار عمرو بن ربيعة المستوغر وإيراد بعض أشعاره ٢٣٦-٢٣٤
 أخبار دريد بن زيد بن نهدي وشرح ما أورده من كلامه ٢٣٨-٢٣٦
 أخبار زهير بن جناب وإيراد بعض أشعاره ٢٤٣-٢٣٨

المجلس السابع عشر

- أخبار ذى الإصبع العدواني وحديثه مع بناته الأربع ٢٤٩-٢٤٤
 خبر عبد الملك بن مروان مع سميد بن خالد الجذلي ٢٥١-٢٤٩
 إيراد شعر لذي الإصبع وشرح ماورد في ذلك من الغريب ٢٥٣-٢٥١
 ذكر معدى كرب الحيرى وبعض شعره ٢٥٣
 أخبار الربيع بن ضبع الفزاري ٢٥٦-٢٥٣

المجلس الثامن عشر

- ٢٦٠-٢٥٧ أخبار أبي الطمجان القيني وإيراد طائفة من شعره
٢٦٣-٢٦٠ أخبار عبد المسيح بن بقيلة النسائي
٢٦٩-٢٦٣ أخبار النابغة الجعدي وإيراد طائفة من أشعاره

المجلس التاسع عشر

- ٣٧٢-٣٧٠ مسألة تتضمن الرد على منكري تطاول الأعمار وامتدادها
٢٧٩-٢٧٣ باب في الجوابات الحاضرة المستحسنة
٢٨٢-٢٧٩ قصيدة لأبي نواس وشرح ما ورد فيها من الغريب

المجلس العشرون

- ٢٨٧-٢٨٣ عود إلى ذكر الجوابات المستحسنة
٢٨٨-٢٨٧ خبر قتيبة بن مسلم مع الحصين بن المنذر الرقاشي
٢٩٤-٢٩٢ بعض ما يروي من أجوبة أبي الأسود الدؤلي الحاضرة

المجلس الحادي والعشرون

- ٢٩٥ خبر سليمان بن عبد الملك مع يزيد بن أبي مسلم
٢٩٥ خبر صفوان بن الأهمم مع رجل من بني عبد الدار
٢٩٦ مآدار بين الفرزدق والحطيئة عند سعيد بن العاص
٣٠٣-٢٩٩ من أجوبة أبي العيناء السكتة
٣٠٦-٣٠٥ موازنة بين شعر لإبراهيم بن العباس الصولي وأوس بن حجر
٣٠٧-٦٠٦ أبيات للمتنخل الهذلي وشرح ما ورد فيها من الغريب

المجلس الثاني والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ

يَغْيِرُ الْحَقَّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦]

٣١٧-٣٠٨

تأويل الحديث : « إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن... »

٣٢٣-٣١٨

المجلس الثالث والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة: ١١٦]

٣٢٧-٣٢٤

المجلس الرابع والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾

[الأحزاب: ١٠]

٣٣٦-٣٢٨

المجلس الخامس والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا ﴾ [النبا: ٩]

٣٤٠-٣٣٧

تأويل الحديث : « إن الميت يمدب في قبره بالنياحة عليه » .

٣٤٣-٣٤٠

تأويل الحديث : « ما من أحد يُدْخِلُهُ عمله الجنة ويُنْجِيهِ مِنَ النَّارِ... »

٣٤٥-٣٤٤

آيات لعمر بن أبي ربيعة يقولها في الثريا بنت عبد الله

٣٤٧-٣٤٦

خبر عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق والثريا بنت عبد الله

٣٤٨-٣٤٧

المجلس السادس والعشرون

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَفَشَّيْهُمْ مِنَ النَّيْمِ مَا غَشَّيْهُمْ ﴾ [طه: ٧٨]

٣٥٠-٣٤٩

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٢٦]

٣٥٣-٣٥١

تأويل الحديث : « إن هذا القرآن مأدبة الله... »

٣٥٨-٣٥٤

ذكر أنواع المآذب وأسمائها وما ورد في ذلك من الشعر

٣٥٨-٣٥٥

أخبار متفرقة عن الأصمعي وحضور ذهنه عند إنشاء الشعر

٣٦٢-٣٥٨

المجلس السابع والعشرون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٣٠] ٣٦٥-٣٦٣
- تأويل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ... ﴾ [إبراهيم : ١٤] ٣٦٧-٣٦٥
- خبر النبي عليه السلام حين سمع رجلاً ينشد شعراً لسويد بن عامر وتأويل ماورد فيه الغريب ٣٧٠-٣٦٨
- آيات لرفيع الوالبي ٣٧١-٣٧٠
- أخبار عقيل بن علفة وإيراد طائفة من شعره ٣٧٤-٣٧١

المجلس الثامن والعشرون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة : ٢١٠] ٣٧٦-٣٧٥
- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ... ﴾ [البقرة : ١٨٩] ٣٧٩-٣٧٦
- آيات لهلal بن خثعم وشرح ماورد فيها من الغريب ٣٨٠-٣٧٩
- إيراد مقطعات مختلفة لحارثة بن بدر الغداني ٣٨٣-٣٨٠
- طرف من أخبار حارثة بن بدر وبعض نوادره ٣٨٨-٣٨٣

المجلس التاسع والعشرون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ أَوَإِنَّكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا ... ﴾ [البقرة : ٢٠٢] ٣٩٢-٣٨٩
- تأويل قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة : ٢١٢] ٣٩٤-٣٩٢
- تأويل الحديث : « توضؤوا مما غيرت النار » . ٣٩٧-٣٩٥
- بعض أخبار عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وطائفة من شعره ٤٠١-٣٩٧

المجلس الثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ ﴾

[الأعراف : ٨٩] ٤٠٥-٤٠٦

تأويل الحديث : « خير الصدقة ما بقيت غني » . ٤٠٧-٤٠٥

ذكر أبيات تروى لثابت قطنة وعروة بن أذينة ٤١٠-٤٠٧

أبيات للسيد المرتضى في معنى أبيات ثابت قطنة وعروة بن أذينة المذكورة ٤١١-٤١٠

خبر عروة بن عبيد الله عن عروة بن أذينة وروايته أبياتا له ٤١٢-٤١١

عروة بن أذينة وسكينة بنت الحسين ٤١٣-

أبيات لعروة بن أذينة في الفزل ٤١٤-٤١٣

موازنة بين مقاله الكميث بن زيد وعروة بن أذينة ونصر بن سيار

في الحسد ٤١٥-٤١٤

المجلس الحادي والثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيَّانٍ ... ﴾

[البقرة : ١٠٢] ٤١٧

المجلس الثاني والثلاثون

تأويل الحديث : لو كان القرآن في إهابٍ مامسته النارُ . ٤٣١-٤٢٦

من شعر الحسين بن مطير الأسدي ٤٣٣-٤٣١

أبيات للسيد المرتضى في معنى بيت للحسين بن مطير الأسدي ٤٣٤-٤٣٣

عود إلى شعر الحسين بن مطير الأسدي ٤٣٧-٤٣٥

المجلس الثالث والثلاثون

تأويل قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ... ﴾

[آل عمران : ٧] ٤٤٢-٤٣٩

إيراد طائفة من محاسن شعر أبي حية النخعي وتفسير ما فيها من الغريب ٤٥١-٤٤٢

المجلس الرابع والثلاثون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ... ﴾ [يوسف: ٩٢] ٤٥٤-٤٥٢
- تأويل ماورد في حديث نهى النبي عليه السلام عن كسب الزمارة ٤٥٧-٤٥٤
- آيات للضرّاب بن كعب بن زهير ٤٥٩-٤٥٧
- موازنة بين قول الرشيد: «قلب العاشق عليه مع معشوقه»، وقول طائفة من الشعراء ٤٦٠-٤٥٩
- أحسن ما قيل من الشعر في صفة امرأة عجزاء خبيثة ، عن الأصمعيّ ٤٦١-٤٦٠
- خبر جعفر بن سليمان وحزنه على موت أخيه محمد ، واسترواحه لشعر ابن أراكه ٤٦٢-٤٦١
- الثقفي
- تلطف الأصمعيّ بإنشاده شعر ابن هرمة عند إسماعيل بن جعفر، وقضاء حاجته عنده بسبب ذلك ٤٦٢
- آيات لبشر بن خازم في الاعتذار، رواها الأصمعيّ للرشيد ٤٦٣

المجلس الخامس والثلاثون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ... ﴾ [الأنبياء: ٢٧] ٤٧١-٤٦٥
- طائفة من شعر مسكين الدارميّ وذكر بعض أخباره ٤٧٦-٤٧١

المجلس السادس والثلاثون

- تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَآ ... ﴾ [يوسف: ٢٤] ٤٨٢-٤٧٧
- أخبار متفرقة لإبراهيم بن العباس الصولي وذكر طائفة من شعره ٤٨٨-٤٨٢

المجلس السابع والثلاثون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ... ﴾ [يوسف: ٣٣] ٤٩٢-٤٨٩
- تأويل الحديث : «من يتبع الشمعة يشمع الله به» ٤٩٤-٤٩٢
- خبر الأصمعيّ مع عجوز في سوق ضرية حينما أنشدتها شعر بشر بن عبد الرحمن الأنصاري وأنشدته شعر ابن الدمينّة، وتفسير ما ورد في ذلك من الغريب ٤٩٩-٤٩٤

- ٤٩٩ خبر الأصمعيّ مع شاب بدوي فصيح من بني عامر واستنشاده الشعر
٥٠٠-٤٩٩ خبر الأصمعيّ مع إسماعيل بن عمار الأعرابيّ
٥٠٠ خبر الأصمعيّ حين سافر إلى البصرة ؛ ومماعه لشعر استحسّنه ورواه
٥١ خبر الأصمعيّ مع أحد الطفيليين وما ورد في ذلك من الشعر

المجلس الثامن والثلاثون

- ٥٠٦-٥٠٢ تأويل قوله تعالى : ﴿ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ ... ﴾ [هود: ٤٦، ٤٥]
٥٠٧-٥٠٦ من أفا كيه الأصمعيّ
٥٠٨-٥٠٧ تأويل الأصمعيّ لببت من شعر امرئ القيس
٥٠٩-٥٠٨ نقد الأصمعيّ لرواية ابن الأعرابيّ أبياتاً رواها ولّد سعيد بن سلم
٥٠٩ حديث الأصمعيّ عن بشار بن برد
٥١٠-٥٠٩ نقد بشار لشعر سمعه
٥١٠ أبيات لبشار يمدح فيها سليمان بن هشام بن عبد الملك
أبيات مختلفة في وصف الشعر واللون والعيون والنجيب والظلم والاعتذار، رواها
٥١٢-٥١١ الأصمعيّ

المجلس التاسع والثلاثون

- ٥١٥-٥١٤ تأويل قوله تعالى : ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ... ﴾ [التوبة: ٥٥]
رأى الشريف المرتضى في شعر مروان بن أبي حفصة ومختارات من محاسن شعره
٥٢٥-٥١٨ وموازنة بين قوله وقول غيره من الشعراء

المجلس الأربعون

- تأويل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾
[الأنفال: ٢٤]
٥٣٠-٥٢٦

خبر حصن بن حذيفة مع أولاده حين طعنه كرز بن عامر ، وما روى له في ذلك

من شعر

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة ، وموازنة شعره بشعر غيره من

الشعراء

أبيات أبي تمام في وصف القلم

المجلس الحادي والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ قَاتِنَ تَذْهَبُونَ ﴾ [الشكوير: ٢٦-٢٩]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة ، وموازنة شعره بشعر غيره من الشعراء

المجلس الثاني والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ [هود: ٢٠]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر غيره من الشعراء

المجلس الثالث والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ... ﴾ [ص: ٧٥]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر غيره

من الشعراء

المجلس الرابع والأربعون

تأويل قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ... ﴾ [الإسراء: ٤٧]

عود إلى المختار من شعر مروان بن أبي حفصة وموازنته بشعر

غيره من الشعراء

المجلس الخامس والأربعون

- ٥٩٣-٥٩٠ تأويل قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [النجم: ٢٨]
- وقوله : ﴿ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴾ [الإنسان: ٩]
- وقوله : ﴿ وَبِئْسَ وَجْهٌ رَبُّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]
- ٥٩٥-٥٩٣ قصة سفرة المصطفى بالله في حرقاة ؛ مع جماعة من الأدباء ؛ واستنشاده شعر البحترى
- ٥٩٦-٥٩٥ أبيات لابن الرومي وموازنتها بشعر غيره من الشعراء
- ٦٠٢-٥٩٨ طائفة من أقوال الشعراء في مدح الشيب وتفضيله

المجلس السادس والأربعون

- ٦٠٥-٦٠٣ تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ... ﴾ [البقرة: ١٨٦]
- ٦١٤-٦٠٥ طائفة من أقوال الشعراء في ذم الشيب والتألم به والجزع منه

المجلس السابع والأربعون

- ٦١٨-٦١٥ تأويل قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... ﴾ [الأنعام: ١٠]
- طائفة من أشعار البحترى في ذم الشيب والتألم من
- ٦٢٧-٦١٨ فقد الشباب

المجلس الثامن والأربعون

- ٦٣٠-٦٢٨ تأويل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ... ﴾ [آل عمران: ٢٨]
- ٦٣٥-٦٣٠ تأويل حديث : « لا تناجشوا ولا تدابروا ... »
- ٦٣٥-٦٣٢ ذكر ماورد في اللغة من معاني « المِرْض »
- ٦٣٩-٦٣٥ طائفة من أشعار قطري بن الفجاءة
- ٦٣٩ أبيات لرجل خارجي من طلي